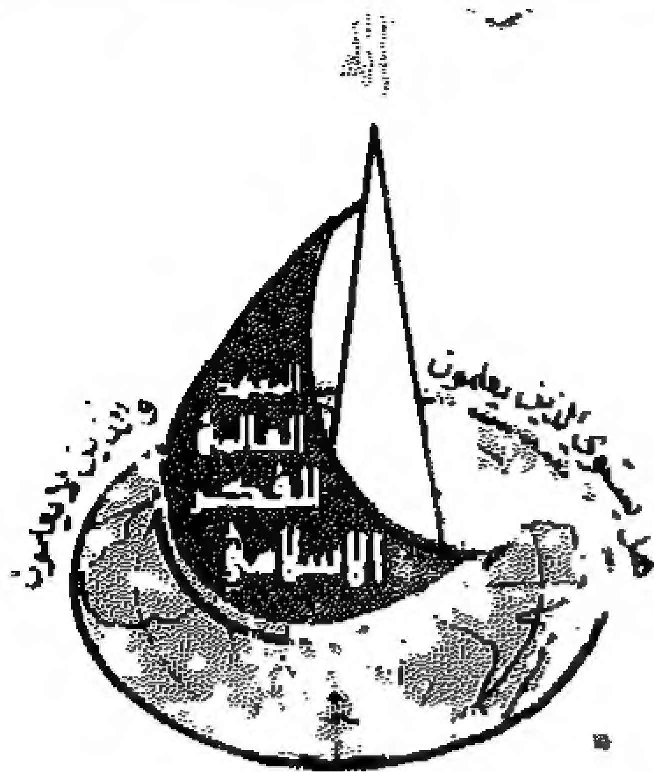
المعهد العالمي للفكر الإسلامي




١٤٠١هـ - ١٩٨١م
1401AH—1981AC

سلسلة إسلامية المعرفة (٢٣)


# التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية
# المنهج والمجالات


الباحثون

د. إبراهيم عبد الرحمن رجب
د. أحمد يوسف محمد بشير
د. السيد عبد الفتاح عفيفي
د. الفاروق زكي يونس
عبد اللطيف
وسى جوهر

د. عاطف مصطفى مكاوي
د. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ
د. ماهر أبو المعاطي علي
د. محمد أحمد عبد الهادي
د. نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم
د. نوال علي خليل المسيري

تقديم
أ.د. طه جابر العلواني

# المشـــاركـــون *

١- أ.د. ابراهيم عبد الرحمن رجب
أستاذ ورئيس قســم الخدمة الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميــة - الرياض - وكلية معارف الوحى - ماليزيا .

٢- د. أحمد يوسف بشير
أستاذ مشارك - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

٣- د. السيد عبد الفتاح عفيفى
أستاذ مشارك لعلم الاجتماع - جامعة الإمام محمد بن سعودْ - الرياض .

٤- أ.د. الفاروق زكى يونس
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة الكويت .

٥- د. رشاد أحمد عبد اللطيف
أستاذ مساعد بكلية الخدمة الاجتماعية - قسم تنظيم مجتمع - جامعة حلوان

٦- د. عاطف مصطفى مكاوى
مدرس بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان .

٧- د. عفاف ابراهيم الدباغ
مدرس بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية للبنات - الرياض .

٨- د. ماهر أبو المعاطى على
أستاذ مشارك بكلية الخدمــة الاجتماعية -جامعة حلوان- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض .

٩- أ.د.محمد أحمد عبد الهادى
أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

١٠- د. نبيل ابراهيم أحمد عبد الرحيم
أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان - وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

١١- د. نوال على خليل المسيرى
أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية للبنات - الرياض .

---

* رتبت الأسماء الفبائياً .

# التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية
## المنهج والمجالات

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

# التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية
# المنهج والمجالات


الباحثون

د.إبراهيم عبد الرحمن رجب — د.عاطف مصطفى مكاوى
د.أحمد يوسف محمد بشير — د.عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ
د.السيد عبد الفتاح عفيفى — د.ماهر أبو المعاطى على
د.الفاروق زكى يونس — د.محمد أحمد عبد الهادى
د.رشاد أحمد عبد اللطيف — د.نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم
د.عادل محمد موسى جوهر — د.نوال على خليل المسيرى

تقديم
أ.د. طه جابر العلوانى



المعهد العالمي للفكر الإسلامي
القاهرة
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

(سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢٣)



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

٢٦ ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج . م . ع

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية الإسلامية .

التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية : المنهج والمجالات / مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ؛ تقديم طه جابر العلواني . - ط ١ . - القاهرة : المعهد ، ١٩٩٦ .

٥٢٤ ص ؛ سم . - (سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢٣)

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .

تدمك X - ١١ - ٥٦٥٨ - ٩٧٧ .

١ - الخدمة الاجتماعية . ٢ - الإسلام والخدمة الا...

أ - العنوان . ب - (السلسلة) .

رقم التصنيف : ٣٦١

رقم الإيداع : ٩٤٩٠ / ١٩٩٦ .

# المحتويات

# المقدمة

أ.د. طه جابر العلوانى
رئيس المعهد العالمى للفكر الإسلامى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله ، وصحبه .

نحمد الله ونشكره أن مسيرة التعاون والتنسيق بين الأزهر الشريف والمعهد العالمي للفكر الإسلامي قد اتصلت واستمرت ، وها نحن اليوم نحتشد هنا في هذا المؤتمر العلمي الدولي الثاني ، الذي يعقد بالتعاون بين المؤسستين ، بعد أن بدأت مسيرة التعاون في تنظيم مؤتمر دولي خاص بـ "إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد" الذي استطاع أن يصل إلى مجموعة من التصورات والأفكار في أبرز قضايا الاقتصاد المعاصرة ، التي تشكل أسئلة وتحديات للاقتصاديين المسلمين . واليوم تعقد المؤسستان الأزهر والمعهد هذا الملتقى المبارك للبحث في جملة من القضايا الفكرية ، والعلمية ، والمنهجية ، والعملية المتعلقة بقضايا علم أو فن " الخدمة الاجتماعية " التي كانت إلى وقت قريب جزءاً من "علم الاجتماع".

إنه لفأل حسن ، وتجاوب محمود من المؤسستين الأزهر والمعهد ، أن تكون ميادين الجهود المشتركة بينهما قد بدأت في أمور عملية ، تتصل مباشرة بمشكلات الجماهير وقضاياها ، وأنهما يجعلان التفكير والتنظير في خدمة التنفيذ والتطبيق ، توضيحا لسمة مميزة من سمات " إسلامية المعرفة " ، وهي الحرص على العلم المحمود النافع ، وتجنب إضاعة الوقت في المعارف المذمومة الضارة ، وفي ذلك رعاية مباشرة من المؤسستين لمقاصد الشريعة ، وأهدافها في خدمة الناس ، وتوفير احتياجاتهم خاصة أولئك الذين تشتد حاجتهم إلى تلك الخدمات .

لقد طورت وتطورت وسائل "الخدمة الاجتماعية" في الغرب تطوراً كبيراً ، وحاول الغرب من خلال تطوير تلك الوسائل أن يبرز جانبه الحضاري الأفضل ، ويقيم الدليل والبرهان على تحضره ، وتمدنه ، واحترامه للإنسان ، وتقديره للحياة ، والأحياء . وذلك بشكل لم تعهده البشرية إلا حين كانت تستظل بظلال الإسلام الوارفة الظليلة ، ويوم كانت مؤسسات الوقف المختلفة ، تقوم بتلك الأدوار المشرقة في خدمة المجتمع الإسلامي ؛ مسلمين، وذميين ، ووافدين عليه من غير المسلمين من مستأمنين ومعاهدين .

واليوم – بعد أن ضرب التخلف قيم الإسلام ، وشاع التراجع عن تلك القيم بلاد المسلمين ، فأصابها القصور المادي والعجز عن الأخذ بأسباب التمدن والشهود الحضاري ، فتراجعت تلك الخدمات في مجتمعات المسلمين ، واختفت مؤسسات الوقف ، لتحصر دورها في خدمة المساجد وحدها ، واستبدلت وسائل الخدمة الاجتماعية ومؤسساتها

بوزارات للشئون الاجتماعية ومؤسسات أخرى موازية ، لكنها كلها لم تستطع أن تسد الفراغ الهائل ، الذي تركته مؤسسات الأوقاف الإسلامية بعد تأميم وتصفية كثير من تلك المؤسسات وأوقافها .

واليوم يقف المسلمون في "آخر الأمم" المهتمة بالخدمة الاجتماعية ، في وقت هم أشد الناس حاجة إلى هذه "الخدمة الاجتماعية" ، علما وفنا وممارسات ومؤسسات وقيادات . فخمس وسبعون في المائة من اللاجئين في العالم اليوم مسلمون ، وسبعون في المائة من جياع العالم وعراته مسلمون ، ولا نريد أن نتحدث عن أعداد ذوي العاهات المختلفة في بلاد المسلمين ، بدءا من التخلف العقلي ، وانتهاءً بفقدان الأطراف ، فتلك أمور يطول شرحها . وكوارث الحروب المحددة ، والمجاعات ، ومخلفاتها كفيلة بأن تقدم المزيد من الأرقام في كل يوم . ولذلك فإن هذه الأمة أحوج ما تكون – اليوم – إلى الوعي على ذاتها ، واليقظة على خواصها ، والإثابة إلى رشدها . والمعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة خاصة مستقلة ، أنشيء من قبل نفر من أبناء هذه الأمة المخلصين ، الذين لا يزالون يؤمنون برسالة هذه الأمة وعالميتها وخيرية هذه الأمة وإخراجها للناس نموذجا ومثالا ، والمعهد يعمل على بناء هذا الوعي مع المؤسسات المهتمة بذلك كالأزهر الشريف ، ولذلك تبنى المعهد فكرة "إسلامية المعرفة" وقام لنشر لوائها لتكون وسيلة من وسائل بناء هذا الوعي ، وإرساء دعائمه . و" إسلامية المعرفة " في نظر المعهد لا تمثل ضرورة معرفية فحسب ؛ بل هي ضرورة حياتية لا يمكن أن يتحقق وعي إسلامي ، أو تقوم نهضة إسلامية بدونها ، وقبل أن تبدأ بإيتاء ثمارها .

و"إسلامية المعرفة" قائمة على فكرة أساسية خلاصتها : أن "الأمة المسلمة" هي أمة نشأت وتكونت وصارت أمة مخرجة للناس نموذجا ، ومثالا ، متصفة بالخيرية والوسطية والشهادة على الناس ، والمسئولة عن إعمار الكون بـ "القراءة" . فهي إذن " أمة القراءة " لا الجهالة والأمية ، بدأ تكوينها بكلمة " اقرأ " لا بكلمة " قاتل ، أو افتح ، أو ادخل هذه الأرض واخرج من تلك ، أو تول قيادة هذا الشعب، لتقاتل به ذاك " ؛ بل كانت البداية أمراً بالقراءة : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾** (العلق : ١ – ٥ ).

ثم يقسم بالقلم ، وما يسطر الناس به بعد تلك القراءة : **﴿ن والقلم وما يسطرون﴾** (القلم : ١) ، ثم يمتن الباري على الإنسان بتعليمه القرآن ، وتعليمه البيان : **﴿الرحمن ، علم القرآن، خلق الإنسان ، علمه البيان﴾** (الرحمن : ١-٤) .

إن القراءة التي ورد الأمر الإلهي بها قراءة محددة المعالم ، واضحة الاتجاه . إن الأمر قد ورد بقراءتين :

القراءة الأولى : قراءة باسم الله تعالى لهذا الوحي النازل ، الذي سيتتابع نزوله حتى يتم قرآنا كريما ، مجيدا ، مكنونا ، مفصل الآيات . تتلوه يا محمد على الناس ، وتبينه لهم ،

ليتعلموا منه الحكمة ، والهداية ، والرشد ، فتزكو نفوسهم ، وتطهر حياتهم ، ويهتدوا بـه في أداء مهام الاستخلاف ، والقيام بواجب الائتمان ، وحق العمران . وحين رد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأنه ليس بقارىء ، لا شك أنه فهم المطلوب وهو قراءة ما سيملى عليه ، وهو لا يعرف القراءة والكتابة ، وليس له من العلم ما يقرؤه ، ولكن ربط القراءة ﴿باسم ربك﴾ نبهه عليه الصلاة والسلام إلى أن ذلك كله سيتم على عين الله ، وبرعايته ومصاحبته . فكأنه كان بمثابة قوله ﴿اقرأ﴾ ولن تكون وحدك في أداء هذا الفعل ، الذي لا تعرفه ؛ بل سيكون معك ربك، الذي أعطاك الكثير ، وهو قادر على أن يعلمك كيفية أداء ما أمرك به ، ويزيد على ذلك، كما علم آدم الأسماء كلها ، وكما علم إبراهيم وموسى وعيسى وسواهم من النبيين والرسل . فاستعن به في القراءة يعنك ، ويصحبك ، ويكون معك فيها .

وذكر الرب – جل شأنه – ووصفه بالخلق ، وذكر خلق الإنسان بالذات ، فيه طمأنينة لرسول الله – ﷺ – بأن منحه القدرة على القراءة ليس بالأمر الصعب على ربه، الذي خلق كل شيء وخلق الإنسان من علق . كما أن في ذكر الخلق تهيئة لبيان النوع الثاني من القراءة ، ألا وهي قراءة الخلق ودراسة الوجود ، فهما كتابان : كتاب منزل متلو معجز وهو القرآن ، وكتاب مخلوق مفتوح ، وهو هذا الخلق والوجود بدءاً من الإنسان . ولابد من قراءتهما معا لتوجد المعرفة الحضارية الكاملة ، التي تمكن الإنسان من القيام بمهام الاستخلاف ، وأداء حق الأمانة ، والقيام بمقتضيات العمران . وهي معرفة لا تقوم على المتلقي وحده ، بل على الأخذ عن الغير كذلك بالمراجعة والمطالعة ، وقراءة الكتب ، وكتابتها ، وتناقل الخبرات والمعارف بين البشر ، واستعمال القلم – الذي علم الله به ، وجعله وسيلة للمعرفة ، وتبادلها ، وإنمائها ، وتناقلها ، وتعلمها ، وتعليمها .

ثم ما يمن الله – تعالى – به من معارف ، تنقدح بها العقول من مستنبطات ، ومخترعات، وغير ذلك مما يندرج تحت قول الله تعالى : ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فهناك مصدران للمعرفة الإنسانية يتضافران في توصيل الإنسان إلى معارف الشهود الحضاري ، والقيام بمهام العمران ، والاستخلاف في هذا الوجود ولابد من الجمع بينهما ، فيفهم القرآن العظيم ، ومدلولاته بالخلق وبالوجود ، ويفهم الوجود ، ويهتدي به في أداء مهام الخلافة فيه والقيام بمقتضيات الأمانة بالقرآن المجيد وتوجيهاته ، وأحكامه ، وتعاليمه .

ولابد من قراءة المصدرين معا وتنفيذ الأمر بالقراءتين : قراءة الوحي النازل المتمثل في الكتاب الكريم ، المحدد لغاية الحق من الخلق ، والمنبه على السنن الحاكمة لهذا الوجود الموضح للمنهج ، والشرعة ، والحقائق الأساسية .وقراءة كونية شاملة لآثار القدرة الإلهية ، وصفاتها ، وخلق الإنسان ، وسائر السنن والظواهر الكونية ، وملاحظة ربوبية الباري جل شأنه ، وكرمه البالغ في خلق الإنسان ، واستخلافه ، وائتمانه على الوجود ، وندبه لإعماره وتسخيره .

والقرآن المجيد المكنون بهذه الآيات الكريمات وما يرتبط بها قدم في الماضي أنجح الحلول لأزمة الإنسان المعرفية في عصر التنزيل ، تلك الأزمة التي عرفت بالجاهلية ، ولا يزال وحده القادر على تقديم مفاتيح الحلول المعرفية لأزمة العالم المعرفية المعاصرة .

فبالجمع بين القراءتين ، وإخراج القلم المصنوع الوضعي عن دائرة نزقه ، وطغيانه ، وربطه بالقراءة الأولى هو ما كتب به ﴿**ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾ (القلم: ١-٢) ، وتعليم الله تعالى الإنسان القرآن والبيان : ﴿**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان**﴾ (الرحمن : ١-٤) . وبذلك كله يتجاوز الإنسان الأزمة المعرفية ، ويقف على الميزان. وبذلك وضع الميزان ، وعهد إليكم : ﴿**ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ (الرحمن : ٧-٩) . فهو الذي ﴿**أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾ (النحل : ٧٨) . نعلمه - وحده تعالى - العلم المحيط الشام : ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم**﴾ (البقرة : ٢٥٥).

فهو سبحانه ﴿**قد أحاط بكل شيء علما**﴾ (الطلاق : ١٢) ، أما الناس فأكثرهم لا يعلمون وإذا علموا شيئا فإنهم ﴿**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الأخرة هم غافلون**﴾ (الروم : ٧) ، ولذلك فإن أزمة العالم المعرفية اليوم لا تخرج منها إلا منهجية القرآن المعرفية ، فلا نبي بعد محمد ولا كتاب بعد القرآن : ﴿**ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ، فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**﴾ (الفرقان : ٥١ - ٥٢) .

فالقراءتان فريضتان ، لأنهما أمران إلهيان ، والجمع بينهما ضروري ، إذ بدونه يقع الخلل ، فمن تجاوز القراءة الأولى واستغرق استغراقا كليا في القراءة الثانية - علم الوجود - فقد العلاقة با لله ، وتجاهل الغيب ، وانطلق بفلسفة وضعية منبتة عوراء قاصرة في مصادرها، تحاول أن توحد بين الإنسان والطبيعة ، وتعتبر الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيات ، إذا كانت قد مارست خلقا أو إيجادا ، فقد تكون مارسته بقوة الدفعة الأولى ، ثم تناسته أو نسيته ليستمر الكون بعد ذلك فاعلا ومنفعلا بشكل آلي ، وحين يحلو لبعض أصحاب هذه الفلسفة أن يتذكروا الباري جل شأنه ، فإنهم يتذكرونه بشكل حلولي يزعم أن الله تعالى قد حل في قوى الطبيعة ذاتها وذاب فيها ليتحول إلى جزء حال فيها ينتهي بنا إلى المادية الجدلية، التي أنكرت الخالق تماما ، وطرحت بدائل له من اتجاهات النمو عبر خصائص التطور المعقد ، ليشعر الإنسان باندماجه الكامل بالطبيعة ككائن طبيعي ، وهنا يبدأ الإنسان الشعور بالغنى أو الاستغناء عن خالقه جل شأنه ، لأنه لم يعد يرى غير الطبيعة أمامه ، فهي كل شيء وهي وراء كل شيء ، لا يراها وهي مسخرة مقهورة بسنن الله تعالى ، بل يراها

كونا مستقلا عن أي امتداد ، وآنذاك لا يشعر أن الله تعالى قد سخرها له ، وأنه الخالق له ولها ، بل يرى أنه نفسه الفاعل المبدع المتعدد القدرات ، المسيطر على الطبيعة ، المفجر لكوامن ما فيها : فالكون مهيأ مسخر للإنسان ، والإنسان مزود بالقدرات التمكينية الذهنية والعلمية التي تمكنه من تسخير الكون وحين يغفل الإنسان أو يعشو عن ذكر الرحمن ، ولا يرى القدرة الإلهية في ذلك كله من خلال هداية الوحي يشده الشعور بالاستغناء ، والإحساس بالقدرة والإبداع إلى أن يجعل من علاقته بالكون علاقة تسلط وقهر وصراع ، وتفقد عناصر الطبيعة علاقتها الودية بالإنسان ، وكونه المخلوق المتسخلف المؤتمن ، وكونها المخلوقة المسخرة لهذا المؤتمن والمستخلف ، وكلاهما في المخلوقية والعبودية لله تعالى سواء ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فيتخذ الوجود آنذاك شكل القوى المتصارعة المتنابذة ، ويتخذ الإنسان الغافل شكل المتأله المسيطر بالعلم على كل شيء ، فيمجد ذاته ، ويتخذ إلهه هواه ، ويستمد قيمه من الطبيعة ، وحتى الأديان تتحول عنده إلى شيء يوظف عندما تدعو الحاجة لسد ثغرة أو تلبية رغبة ، أو أداء خدمة . وهنا يحق عليه القول : ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ (العلق: ٦) . فيقع في الاستبداد والطغيان ، وتحدث كوارث البيئة، ويظهر التلوث والفساد في البر والبحر والجو بما كسبت أيدي الناس ، ويختل التوازن ، وتظهر أمراض الانحراف والشذوذ في المعمورة ، فقارات يعمها الجوع والخراب وأخرى تعمها الأمراض بكل أشكالها ، والجرائم بكل أنواعها ، وتسود المعيشة الضنكة : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه : ١٢٤) .

أما إهمال القراءة الثانية ، أي قراءة الوجود والكون والاقتصار على قراءة الوحي وحده منقطعا منبتا عن الوجود ، فإنه يؤدي إلى نفور من الدنيا واستقذار لها ولما فيها ، يشل طاقات الإنسان العمرانية والحضارية ، ويعطله عن أداء مهام الخلافة والأمانة والعمران ، ويحول بينه وبين التمتع بنعمة التسخير ، ويعطل فكره وينتقص من قيمة فعله ، بل قد يلغي فلا يرى الإنسان نفسه فاعلا في شيء ، ولا يرى لوجوده في الحياة معنى ، وكل هذه الأفكار منافية تماما لمنهج القرآن العظيم .

إن تجاوز القراءة الثانية أو عدم جمعها مع الولي يؤدي إلى ظهور العجز الإنساني الحضاري وتعطل طاقاته ، وإلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة . وقد يتوهم المقتصرون على القراءة الأولى أن تنزيه الباري جل شأنه لا يتم إلا إذا ألغيت قيمة الفعل الإنساني ، ونفيت إرادته واختياره ، واستلب استلابا لاهوتيا من دوره .

والناظر في مقالات الإسلاميين وكتب الفرق ، يجد في مقالاتهم العجب العجاب في قضايا الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي ، والإرادة الإنسانية وقضايا الجبر ، والاختيار والعلل والأسباب وسواها .

إذن لابد من الجمع بين القراءتين : قراءة الوحي وقراءة الوجود ، والدمج بينهما لئلا يقع الإنسان في أي ذينك الطرفين الذميمين ، ومن هنا كان ما سميناه بـ " إسلامية المعرفة "

ضرورة معرفية . وضرورة حضارية . لا على المستوى الإسلامي وحده ، بل على المستوى العالمي كله للخروج من المأزق المعرفي المعاصر ، والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة . فبعد تكريس البعد المنهجي في التفكير واجهت الحضارة الغربية نفسها مشكلة تحديد الصياغة المنهجية لحضارتها ومعرفتها صياغة تستند إلى تطور الغرب العلمي بكل جوانبه ، لقد كانت الماركسية محاولة لإيجاد هذه الصياغة في إطار المادية الجدلية ، وها هي الماركسية تنهار بانهيار الاتحاد السوفيتي قبل أن يجد الغرب البديل المعرفي والمنهجي لها ، لتبقى الحضارة الغربية دون صياغة فلسفية بديلة ، ودون إجابات عن معظم الأسئلة النهائية المعلقة التي يشيح علماء اليوم بوجوههم عن الإجابة عنها . أما أزمتنا نحن – العرب والمسلمين- فهي أشد وأنكى ، فنحن شركاء في الأزمة العالمية من ناحية لأن علاقتنا بها وبالغرب لم تعد برائية كما يتوهم البعض، لأن الحضارة الغربية قد نجحت من خلال غزوها الفكري والثقافي والمؤسساتي في أن تفرض علينا وعلى العالم كله منهجها ووعيها العلمي للوجود وللحركة الكونية ورؤيتها للتاريخ والعلم والمعرفة والحضارة والثقافة والتقدم والتخلف وغيرها ، فما هي " أسلمة المعرفة " التي نقترحها حلا لأزمتنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا ؟ وما الأصل فيها ؟

إن إسلامية المعرفة تنجت من الجمع بين القراءتين فهي واقعة بين كتابين ، تؤسس على تقابلهما وتكاملهما منهجا في البحث والاكتشاف . الكتاب الأول وهو كتاب الوحي المقروء ، ونعني به القرآن ، والكتاب الثاني هو كتاب الكون المتحرك الذي يتضمن ظواهر الوجود كافة ، فالقرآن المجيد العظيم كالكون الواسع العظيم ، كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه ، فالقرآن يقود إلى الكون والكون أيضا يقود إلى القرآن .

وهذا ما أسميناه بالجمع بين قراءتين ، قراءة غيبية عبر الوحي في الكون هي تنزل من الكلي الإلهي إلى الجزئي البشري والطبيعي ، وبما تتيحه قدراتنا البشرية النسبية على تفهم تنزلات الكلي المطلق ، وقراءة الكون هي تطلع من الجزئي من مفردات الكون وأفراد الإنسان باتجاه الكلي وفق قدراتنا النسبية أيضا على فهم الظواهر ، فلا يحدث الانفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية. هذا ما أكدته بدايات سورة العلق **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم(٥)﴾** (العلق: ١–٥) .

أما حين يحدث الفصام بين القراءتين – كما هو حاصل اليوم – فإن مناهج المعرفة البشرية تصل إلى نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون فقط بالجانب الغيبي في القراءة ، أي القراءة الأولى ويسقطون الجانب الموضوعي من حسابهم ، فيتحولون بالدين إلى لاهوت يستلب الإنسان والكون وينفي الأسباب وقوانين الحركة وصيرورتها وكافة السنن الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التي يتفاعل معها الإنسان ، لينتهي الفكر الإنساني إلى فكر سكوني جامد يحسب خطأ على الدين .

والذين يتعلقون فقط بالجانب الموضوعي في القراءة الثانية ، فإنهم ينفون البعد الغيبي الفاعل في الوجود وحركته ، فينتهوا تدريجيا إلى الفكر الوضعي في المعرفة الذي يؤثر على النسق الحضاري بدوره بذلك التأثير السلبي وذلك هو الوجه السائد للفكر الغربي الآن والذي بدأت مدارس فكرية غربية كثيرة تحاول الخروج عليه والتنصل منه بعد أن خبرت ويلاته وأدى إلى تقسيم البشرية وتصارع اللاهوت والوضعية ، في حين أن الرجوع إلى آيات سورة العلق تنفي اللاهوت عن الغيب حين يربط ما بين هذا الغيب والقراءة الثانية ، أي القراءة الموضوعية بالقلم ، كما تنفي عن القراءة في الحالتين هوى الإنسان ، تبعا لتعلقه بالوحي وفهمه له من ناحية وتبعا لتعلقه وفهمه لظواهر الوجود الكوني وحركته في الوقت ذاته وخلافته .

لهذا نعاني وتعاني البشرية كلها الكثير من جراء الفصام القائم في مناهجنا التربوية ونظمنا التعليمية بين علوم الدين والعلوم الكونية ، ولم نتوصل بعد إلى الصيغة التي تؤهل الطالب ليجمع بين العلمين في كل واحد . ومبعث ذلك أننا قد ارتضينا المناهج الغربية في الفصل القائم بين كليات الشريعة وكليات العلوم الحديثة ، أو العلوم الاجتماعية فضلا عن التطبيقية .

هذا الفصل الذي يؤدي إلى الفصام يحمل خطورة أخرى ، إذ يباعد بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، حيث طورت المناهج الوضعية علاقتها بهذه العلوم الإنسانية والاجتماعية وصاغتها وفق القراءة الثانية فقط ، واستبعدتها من مجال العلوم الشرعية التي أوغلت بدورها في الفقه ووسائله .

إن النسق الغربي قد انتهى – كما رأينا – إلى ثنائية اللاهوت والوضعية ، وخطورة هذه الثنائية المفتعلة والمتطرفة أنها قامت على انفصام فدفعت بعض الأنساق الحضارية دفعا نحو الاتجاه الوضعي حين غيبت النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان وارتباط قيمه وأخلاقه با لله سبحانه وتعالى ، فتضخمت الذاتية البشرية على حساب القيم العقلية والأخلاقية ، وما الدين إلا مكارم الأخلاق ، فتم تبرير الصراعات القومية والصراعات الاجتماعية كما تم تبرير الفردية الليبرالية إلى حد الاستباحة ، فتكرس الصراع بكل مظاهره عوضا عن السلام الذي تعطيه القيم ، وما ذلك إلا لأنه وبالقراءة الثانية فقط ، رأى الإنسان نفسه مستغنيا حتى عن الذي خلقه ، ومن يستغني عن ا لله – سبحانه وتعالى – يطغى في الأرض ، ويتطاول بناصيته على كل من يدعوه للقيم والأخلاق ، ولهذا تم الربط بين مقدمة سورة العلق الداعية للجمع بين القراءتين وأزمة الطغيان والتطاول الإنساني للنسق الحضارية الوضعية المتعالية بتطورها العلمي التطبيقي المجرد : ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى** (٦) **أن رآه استغنى**(٧) **إن إلى ربك الرجعى** (٨)﴾ (العلق : ج٣٠) .

فقضية الجمع بين القراءتين مسألة منهجية في المعرفة وتقود إلى نتيجة حضارية ، فالذي يجمع بين القراءتين لا يستغني عن الله لأنه يدرك دوما افتقاره إليه ، فلا يستبد ولا يبتغي علوا في الأرض ولا فساداً.

## كيفية الجمع بين القراءتين :-

لقد زعم البعض أن هذه القضية حلم من الأحلام أو مجرد شعار من الشعارات ، ولهؤلاء وسواهم نود أن توضح أن المدخل الأساسي للجمع بين القراءتين يبدأ باكتشاف العلاقة المنهجية بين القرآن من ناحية والوجود وحركته من ناحية أخرى فالقرآن وحي إلهي يتعقل به هذا الوجود انطلاقا من أنه مطلق ومحيط وشامل ، وبقدر ما تتسع معرفتنا للاثنين معا تتكون لدينا القدرة على الجمع بين القراءتين واكتشاف التداخل المنهجي بين الوحي والكون ، فمنهجية القرآن هي منهجية الوجود ، والمطلوب ليس قول ذلك نظريا ولكن اكتشاف ذلك تطبيقيا ، فالقول النظري لا يتجاوز حالة تبشير بفرضية قد تكون غير صحيحة ويمكن الطعن فيها ، ولهذا يكون التحدي الأول والأهم في اكتشاف مدى التداخل المنهجي من خلال الجمع بين القراءتين ، بين الوحي الإلهي والعلوم الطبيعية والإنسانية القائمة على السنن الإلهية في الكون والحياة والإنسان ، أما الحديث عن عظمة القرآن فإن القرآن عظيم حقا ومعجز فعلا ، وقد كتب الناس عن عظمته وإعجازه آلاف الصفحات ، بل ملايينها ، لكن تلك الكتابات لم تستطع أن تكشف للناس عن منهجيته المستوعبة للكون وحركته . كما لم تؤد إلى الكشف عن التداخل المنهجي بين قراءة القرآن وقراءة الوجود . فقد بقيت آيات كريمة كثيرة ومقولات الإسقاطات الإسرائيلية واضحة . كذلك بقيت في المعارف الإنسانية والاجتماعية ، بل وفي العلوم الطبيعية أبعاد غائبة ، وأسئلة كثيرة حيرى لا تجد من مدارس تلك العلوم المختلفة إجابات شافية ، لأنها لم تكتشف ذلك التداخل المنهجي بين القراءتين إلا في حدود جزئية تمثلت في محاولات انتقائية يغلب على بعضها التلفيق الذي يجعلها تبدو مفتعلة إلى حد كبير كتلك المحاولات التي تبدو فيما عرف بـ "الإعجاز العلمي" .

فتأكيدنا الدائم على وجوب الجمع بين القراءتين ، واعتبار ذلك شرطا مسبقا للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية في مستوياتها العالمية والمحلية يحمل توكيدا على وجوب الالتفات إلى ذلك الارتباط المنهجي بين القرآن والكون والإنسان ، ويتخلص الإنسان من مأساة الفصام بين اللاهوت والناسوت أو الوضعية البشرية وما يجره ذلك الفصام لنا من مشكلات .

إن هذه المهمة لا يستطيع النهوض بها إلا من أوتوا القرآن وحظا من العلوم والمعارف كافيا لاكتشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والوجود والإنسان ولذلك أرسيت قواعد " أسلمة المعرفة " على ما يلي :

١- إعادة بناء الرؤية الإسلامية المعرفية القائمة على مقومات وخصائص التصور الإسلامي السليم ليتضح ما يمكن اعتباره النموذج المعرفي الإسلامي القادر على الإجابة عن الأسئلة النهائية ، دون تجاوز شيء منها ، وبناء قدرة ذاتية على النقد المعرفي الذي يمكن من الاستيعاب والتجاوز بشكل منهجي منضبط ، وفي الوقت نفسه يعطي القدرة على التوليد المعرفي المنهجي ، والتفسير المعرفي الذي لا يقوم على الإقناع والخطابة ، بل على المعرفة المنهجية التامة .

٢- إعادة فحص وتشكيل وبناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء " المنهجية المعرفية القرآنية " وعلى هدى منها ، فإن أضرارا بالغة قد أصابت هذه المنهجية نتيجة القراءات المفردة والتجزيئية التي قرأت القرآن عضين ، وقرأت الوجود والإنسان في معزل عنه قديما وحديثا .

٣- بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد من خلال هذه الرؤية المنهجية وباعتباره مصدرا للمنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمراني ، وقد يقتضي ذلك إعادة بناء وتركيب علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض ، ويتجاوز الكثير من الموروث في هذا المجال . فالإنسان العربي قد فهم القرآن ضمن خصائص تكوين الإنسان العربي للموضعية التي كانت بطيئة محددة اجتماعيا وفكريا بالقياس إلى خصائص التكوين الحضاري العالمي الراهنة ، ففي تلك المرحلة التي تم فيها التدوين الرسمي للعلوم والمعارف النقلية التي دارت حول النص القرآني والحديث النبوي كانت العقلية البلاغية واللغوية ، وما توحي به من اتجاه نحو التجزئة وملاحظة المفردات هي السائدة ، ولذلك اعتبر الفهم الذي تولد عنها مقبولا وكافيا في تلك المرحلة ، أما في المرحلة الراهنة حيث تسيطر عقلية الإدراك المنهجي للأمور ، والبحث عن علاقتها الناظمة لها بطرق تحليلية ونقدية توظف الأطراف العلمية المختلفة ، وتربطها بموضوعات حضارية متشعبة وعلاقات متنوعة فلابد من إعادة النظر في علوم وسائل فهم النص وخدمته وقراءته قراءة الجمع مع الكون والتداخل المنهجي معه ، وتلخيصه من كثير من أنواع التفسير والتأويل ، والربط الوثيق بالنسبي من خلال الإسقاطات الإسرائيلية ، والربط التام بأسباب النزول ، والمناسبات ومشكلات النسخ وتعدد مدارس التفسير .

٤- بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية المطهرة - أيضا - من خلال تلك الرؤية المنهجية وباعتبار السنة النبوية المطهرة كذلك مصدرا لبيان المنهج والشرعة وللمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمراني . فلقد كانت مرحلة النبوة وعصر الصحابة مرحلة تعتمد على الاتصال المباشر برسول الله ﷺ ، ومتابعته والتأسي به فيما يقول أو يفعل : «خذوا عني مناسككم» «صلوا كما رأيتموني أصلي» . والاتباع والتأسي يعتمدان على التحرك العملي في الواقع للرسول عليه الصلاة والسلام . فالرسول - ﷺ - كان يجسد بسلوكه القرآن في الواقع فلا تبدو هناك أية مشكلة في التطبيق وتنزيل القرآن على الواقع .

فالتطبيق النبوي والبيان الرسولي كان يضيق الشقة تماما بين مكونات المنهج الإلهي القرآني وبين الواقع بعقليات أهله وقدراتهم الفكرية والمعرفية وبشروط ذلك الواقع الاجتماعية والفكرية والسقف المعرفي السائد فيه . ولذلك كان الرواة من الصحابة – رضوان الله عنهم – حريصين على ألا تفوتهم أية جزئية تتعلق بحياة الرسول – ﷺ – لأن ذلك هو البديل الوحيد عن الوعي بالمنهج الناظم للقضايا المختلفة ولذلك اشتملت السنة على ذلك الكم الهائل من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله – ﷺ – وتلقينا كل تلك التفاصيل التي تجعلنا قادرين على أن نتابع حركته اليومية عليه الصلاة والسلام في غدوه ورواحه وسلمه وحربه وتعليمه وقضائه وقيادته وفتاواها وممارساته الإنسانية بطريقة تكشف عن أسلوبه أو سنته عليه الصلاة والسلام في التعامل مع الواقع وتكشف – إضافة لذلك – عن خصائص الواقع الذي كان رسول الله – ﷺ – يتعامل معه ويتحرك فيه ، وهو واقع مغاير للواقع الذي نحياه في تركيبته وعقليته .

لقد كان عليه الصلاة والسلام في سنته يمثل تجسيدا للربط بين المنهج القرآني والواقع، ولذلك فإن من الصعب فهم الكثير من القضايا في معزل عن فهم ذلك الواقع الذي كان عليه الصلاة والسلام يتحرك فيه ، فحين ينهي عليه الصلاة والسلام عن النحت والتصوير ويعتبر المصورين أشد الناس عذابا يوم القيامة فلا ينبغي أن يفهم نهيه عن ذلك أن له موقفا من الجماليات المجسمة يتعارض مع فهم نبي الله سليمان الذي كان يجند الجن يصنعون له ما يشاء من تماثيل ولا مع تساؤلات المعاصرين ومجادلاتهم في هذا الموضوع ونحوه بأننا لا نشعر بالرغبة أو الاستعداد في عبادتها ، فلماذا تحرم علينا ؟ ولا يكون الحل بفتوى جزئية تحل هذا النوع وتمنع ذلك ، بل يلاحظ فيها المنهج الذي أشار عليه الصلاة والسلام إليه في مواقف عديدة مثل " لولا قومك حديثو عهد بكفر لفعلت وفعلت " ، وتجريد تلك المعاني ونحوها لبناء منهج التأسي بدلا من منهج التقليد .

لقد كان رسول الله – ﷺ – يعمل على قطع دابر صناعة الأوثان والترويج لها بين قوم حديثي عهد بها ، ولابد من الوصول إلى المنهج الناظم الضابط لمثل هذه القضايا وقراءتها قراءة معرفية تخرج الأحاديث والسنن إلى دائرة المنهج بدلا من دائرة الجزئيات المتصارعة التي كثيرا ما يحولها المختلفون إلى أقوال جزئية تدل على الشيء ونقيضه وكأنها أقوال أئمة المذاهب المختلفة ، لقد ارتبط العرب في مرحلة نزول القرآن بمفهوم الاتباع والاقتداء واتخذوا من رسول الله–ﷺ– قدوة عملية جسدت لهم المنهج طبقا لشروطهم الواقعية الحياتية وعبر الاتباع والتأسي نشأت مفاهيم " المأثور والمنقول" وفي محاولة للتخفيف من آثاره لجأ من لجأ إلى التأويل الباطني والتفسير الرمزي والإشاري كمخرج من التقيد بحرفية النص المأثور ولكن ما زاد ذلك الأمر إلا اضطرابا ، وكان الواجب هو الوصول إلى المنهج القرآني النبوي لتنضبط على هدى منه سائر التفاصيل والجزئيات ولتفهم في إطاره المقاصد وتتضح الغايات .

إن العقلية المعـاصرة عقليـة تبحـث – باستمرار – عـن النـاظم الموضوعـي للأمـور ، وتحاول النفاذ إلى المنهجية الكاملة الأبعاد فضمن هذه المنهجية يصبح التحليل والنقد والتفسير هو الإطار الموضوعي للحركة الفكرية في تعاملها مع القضايا الكونية والمحلية . وبهذه المنهجية يمكن النفاذ إلى مقاصد القرآن المجيد وتفهم السنة النبوية دون الوقوع في أطر ماضوية سكونية أو تأويلات باطنية، أو محاولات تجديديـة تحـاول إحـداث تعديـلات أو تـأويلات لتطبيقـات الماضي لتعيد إنتاجها في الحاضر فكأنها تعبير عن الماضي في ثوب جديد لا يمكن ارتداؤه على أية حال .

٥– إعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامي وقراءته قراءة نقدية تحليلية معرفية تخرجنا مـن الدوائر الثلاث التي تحكم أسـاليب تعاملنـا مـع تراثنـا – في الوقـت الحـاضر – دائـرة الرفـض المطلق ودائرة القبول المطلق ودائرة التلفيق والانتقاء العشوائي ، فهذه الدوائر الثلاث لا يمكـن أن تحقق التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث ، كما لا يمكـن أن تحقـق القطيعـة مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك التراث .

٦ – بناء منهج التعامل مع التراث الإنساني المعـاصر – أيضـا – يخـرج تعـامل العقـل المسلم معه من أساليب التعـامل الحاليـة الـتي تخلفـت عـن أطـراف ومحـاولات المقاربـات ثـم المقارنات لتنتهي بـالرفض المطلـق ، أو القبـول المطلـق بـروح مستلبة تمامـا أو ميالـة للانتقـاء العشوائي .

فهذه الخطوات أو المهام الست هـي الـتي أطلقنـا عليهـا " أسـلمة المعرفـة " أو المنهـج التوحيدي للمعرفة أو أسلمة العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية وتوجيـه العلـوم الطبيعيـة وجهـة إسلامية أو التأصيل الإسلامي للعلوم ، فنحن لأول مرة نجد أنفسنا أمام وضعية عالميـة تعمـل على توظيف المعارف والعلوم واكتشافات العلوم ومنجزاتها .

# المحور الأول

# الإطار الفكرى والمنهجى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية

- منهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية .
- المنظور الإسلامى للرعاية الاجتماعية .
- نحو مدخل إسلامى لممارسة الخدمة الاجتماعية .
- نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامى .
- خدمة الجماعة وتنمية الشخصية الإسلامية .
- مقياس لدرجة التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية .

# منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية

د . إبراهيم عبد الرحمن رجب

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فلقد خطَت حركة أسلمة العلوم ، أو التأصيل الإسلامي للعلوم ، أو التوجيه الإسلامي للعلوم بعامة وللعلوم الاجتماعية خاصة – بفضل الله سبحانه وتعالى– خطوات واسعة خلال السنوات العشر الماضية ، سواء فيما يتصل بعرض القضية على نطاق واسع ، أو مايتصل بالبحث في أصولها وأبعادها ونتائجها ، أو فيما يتعلق بمناقشة آراء المعترضين عليها والمغالين فيها ، حتى وصلنا اليوم إلى مرحلة يبدو أن الرؤية فيها قد اتضحت إلى حد كبير ، وكان من ثمار ذلك ظهور العديد من الكتابات الجادة التى لقيت اهتماماً كبيراً وكان لها أثر واضح لدى قطاعات عريضة من المشتغلين بمختلف فروع العلم –بحثاً وتدريساً وطلباً– في كل أرجاء العالم الإسلامي .

وإذا كان البعض يرى أن الكثير من الوقت والجهد قد أنفق (أو أهدر) في غضون تلك الفترة في محاولات بذلت لتحديد المفاهيم ، أو انصرفت إلى الجدل حول المصطلحات ، فإنه لا ينبغي أن يفوتنا أن عمق وحجم التغييرات التي تتطلبها عملية إعادة صياغة العلوم وخصوصاً الاجتماعية منها لتصبغها بصبغة الإسلام –صبغة الله– تستلزم بحكم طبيعتها إعادة نظر جذرية فى مسلمات ومبادئ ومنهجيات أنفقنا العمر فى تحصيلها ، فإن ذلك يترتب عليه بالضرورة أن نعطى مثل تلك المناقشات حقها دون استعجال شديد للنتائج ، فالمناقشات إذا كانت أصيلة ومبينة على علم ، وكانت من النوع الذي يحرص المشاركون فيه على بذل المجهود اللازم للاطلاع الجاد على تفاصيل آراء من يخالفونهم ، لا يمكن أن تأتي إلا بخير ، ولكننا ينبغي أن نسلم في الوقت ذاته أنه لا يمكن لنا أن نبرر الوقوف طويلاً عند ذلك النوع من المناقشات التي تدور حول خلافات لفظية (سيمانطيقية) ، والتي يغلب أن تولد من الحرارة أكثر مما تولده من ضوء ، كتلك التى تتوقف لإبداء اعتراضات لا نهاية لها على ألفاظ "الأسلمة" أو "التأصيل" أو "التوجيه" لتقترح سلسلة جديدة من "الألفاظ" التى يصعب اجتماع الباحثين عليها (الذى هو شرط لاعتبار أي منها "اصطلاحاً" مقبولاً) ، لأن الأهم من هذا كله أن يكون هناك اتفاق على المفهوم أو الصورة الذهنية التى تستدعى فى العقل غالباً عند ذكر أي من هذه الألفاظ والتى تتصل بالمهمة التى نحن متفقون جميعاً على محوريتها وعلى ضرورتها لإصلاح مسار العلم ليس فقط في عالمنا الإسلامي بل وفي العالم كله .

والواقع أن الكثيرين خصوصاً بين علماء المسلمين من غير المتكلمين بالعربية ـ وهذا أمر له دلالته ـ قد أصبحوا اليوم ينتظرون ظهور ثمار حركة أسلمة المعرفة (أو التأصيل الإسلامي ، أو التوجيه الإسلامي ، والتي تستخدم في هذا البحث كمترادفات) وينظرون في أسباب ما يرون أنه صعوبات تواجه الحركة غير واعين بانشغال المتكلمين بالعربية بتلك القضايا اللفظية ، وعلى كل حال فإنه رغم اختلاف هؤلاء في تحليل الأسباب فيما بينهم إلا أنهم يجمعون على أن الحاجة قد أصبحت ماسة إلى التعامل الجاد مع قضية "منهجية" الأسلمة أو التأصيل ، خذ مثلاً ما ذكره سيد ولى نصر(١) من أنه "برغم هذا الزخم من الأعمال التي وسعت نطاق مشروع إسلامية المعرفة ليصل إلى كل زاوية وركن من أركان الفكر الأكاديمي ، فإن إسهام المسلمين (العلمي) في جملته وتفصيله لا يزال أمراً غير واضح المعالم ، يَعِدُ بالكثير و لم يقدم إلا القليل ـ أو هو عبارة عن وعد لم يتجسد في نتائج ملموسة ـ وبدلاً من أن (يطور المشروع لنفسه) منهجية صارمة مستنيرة بنور العقيدة فإنه قد استبدل بالمنهجية العقيدة" ، أما لؤى صافي(٢) فإنه يقرر ببساطة "إنني أزعم أن مشروع إسلامية (المعرفة) لازال في مرحلة ما قبل ـ "المنهجية" ـ ، "ثم يشير إلى أن الدكتور إسماعيل الفاروقي ـ يرحمه الله ـ قد كان همه الأول وضع الخطوط العريضة لمشروع إسلامية المعرفة ولكنه لم يدخل إلى صلب مسألة المنهجية ، إذ انحصر اهتمامه في التوصل إلى بعض المبادئ المتصلة بنظرية المعرفة (الإبستمولوجيا)"(٣) .

ولقد وضع لؤي صافي يده على أصل القضية عندما نقل رأي د. عبد الحميد أبو سليمان المتضمن أنه "ينبغي إعادة تحديد العلاقة بين العقل والوحي .. وأنه لم يعد من الممكن الاكتفاء بمجرد تقرير أن كلا من العقل والوحي يعتبران من مصادر المعرفة ، فلابد من أن نتقدم خطوة أخرى لنحدد ـ وبشكل ملموس ـ كيف يمكن الربط بين أحدهما والآخر"(٤) ، كما زاد صافي الأمر وضوحاً عندما أشار إلى أن "المرء ينبغي أن يتساءل هنا عما إذا كانت

---

(1) Nasr , Seyyed Vali Reza (1992) Islamization of Knowledge : A Critical Review, (Islamabad : International Institute of Islamiic Thought) .

(2) Safi, Louay (1993) The Quest for an Islamic Methodolgy : The Islamization of Knowledge Project in its Second Decade, The American Journal of Islamic Sciences, 10 , 1, p.p. 23 - 48.

(٣) الفاروقي ، إسماعيل راجي (١٩٨٢) "أسلمة المعرفة" ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ ، ص ٢٥ .

(4) Safi, Louay (1993) The Quest for an Islamic Methodology : The Islamization of Knowledge Project in its Second Decade, The American Journal of Islamic Sciences, 10, 1, p.p.31.

هناك قواعد ينبغي على عالم الاجتماعيات المسلم أن يتبعها عندما يحاول اشتقاق مبادئ اجتماعية من الوحي ، أم أن عملية الاشتقاق هذه ببساطة مسألة ضمنية (لا يمكن تمييز مكوناتها) أو مسألة حدسية ؟ . إن العلوم الاجتماعية الحديثة لا يمكن تركها للتخمينات الفضفاضة وغير المنضبطة لأفراد العلماء المسلمين ، ولكنها ينبغي أن تقوم على مجموعة من المبادئ والمعايير الواضحة الأبعاد والتي تقوم على أصول صارمة[1] ، وهذه لاشك قولة حق يتطلب الأمر الوقوف عندها طويلاً .

فالواقع أن المطلع على كثير من الإسهامات التي تحسب ضمن جهود التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يدرك على الفور مدى الحاجة الماسة إلى الضبط المنهجي ، وإلى وضوح الرؤية حول ماهية الإجراءات والخطوات العملية التي ينبغي أن يسير عليها الباحث ، وحول ماهية الضوابط التي ينبغي عليه أن يلتزمها حال شروعه في العمل في بحوث التوجيه الإسلامي لهذه العلوم، ولقد كان هذا هو الدافع الأول وراء محاولتنا الحاضرة التي نأمل تلقى بعض الضوء على أهم القضايا المتصلة بالمنهج.

وأود أن يكون واضحاً منذ البداية أنه وإن كان مجال الاهتمام في هذا البحث ينحصر في التعامل مع منهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية من الزاوية التي تبدو بها للباحث الفرد "أو الفريق البحثي المحدود" الذي يريد الخوض في لجج تأصيل أحد موضوعات تخصصه ـ سواء كان الموضوع متسعاً أو مجرداً ، أو كان جزئياً أو محدداً ـ ومعنى ذلك أن غرضنا لا يتضمن التعرض لخطة العمل الشامل لمشروع إسلامية المعرفة برمته ، ومع ذلك فإن هذا لا يمنع بطبيعة الحال من تجاوز نظريتنا لزاوية رؤية الباحث المنفرد عندما تتطرق إلى الأمور المتصلة ببناء النظرية أو اختبارها، فتلك مسائل تتطلب بطبيعتها نظرة أوسع لازال على الباحث الفرد أن يضعها في اعتباره حتى عندما يتعرض لدراسة قضية جزئية محدودة من منظور إسلامي .

ويرجع السبب في إبداء هذا التحفظ إلى أن بعض الباحثين يقبلون على "تأصيل" أحد موضوعات تخصصهم وكأنه أمر يتم مرة واحدة (One Shot Effort) ، أو كأنه عمل ذو صبغة ثباتية "استياتيكى" إذا قام به اليوم أحد الباحثين بكفاءة فقد تم استيفاء الموضوع إلى الأبد ، وينسى هؤلاء أن العلم والبحث عن الحقيقة نشاط تراكمى ، قد نقوم اليوم ببذل جهد مبدئى لاستيضاح حقيقة الرؤية الإسلامية له كما نتصورها اليوم في ضوء فهمنا

---

(1) Safi, Louay (1993) The Quest for an Islamic Methodology : The Islamization of Knowledge Project in its Second Decade, The American Journal of Islamic Sciences, 10, 1, p.p. 36-37.

للنصوص وفي ضوء معرفتنا المستمدة من الجهود البحثية الواقعية الراهنة ، ولكننا لا نكاد ننتهي من هذا العمل إلا لنقوم بربطه بغيره من الأعمال الجزئية المتصلة به ، ثم لنقوم في ضوء ذلك بإجراء بحوث جديدة يتمخض عنها لا محالة أطر تصورية أكثر دقة وأكثر اقترابا من فهم الحقيقة .

وأخيراً فإن هناك ملاحظة شكلية قد يكون من المناسب أن نسوقها هنا تتصل بالطريقة التى اخترناها عن قصد في عرض المفاهيم ، واستخدام المصطلحات في هذا البحث، فسيلاحظ القارئ أننا نورد أحياناً المصطلحات المألوفة للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية الحديثة بلغتها الأصلية أو كما تنطق بالعربية "بين قوسين" وذلك بالإضافة إلى ذكر عبارات أو جمل عربية تتضمن المعنى الدقيق لتلك المصطلحات ، ويرجع السبب في اختيار هذا الأسلوب إلى أن المصطلح الأجنبي الأصلي يترجم في معظم الأحيان "باصطلاحات" عربية مختلفة دون اتفاق واضح بين المتخصصين حول المقصود بالاصطلاح العربي البديل ، مما يصعب معه متابعة القارئ للفكرة المقصودة بالوضوح المطلوب ، ومن هنا كان الظن بأن إضافة المصطلح بلغته الأصلية (أو كما ينطق بالعربية) يصبح أقرب إلى ما هو مألوف لدى المشتغلين بالعلوم الحديثة ، في نفس الوقت الذي يتيح فيه الشرح بعبارة أو جملة تعبر عن "المعنى الكلى" للاصطلاح متابعة غيرهم لمضمون ذلك الاصطلاح وربطه بما لديهم من أطر مرجعية ، وقد تستمر الحاجة إلى مثل هذه الطريقة في العرض على جمهور مختلف في أطره المرجعية إلى حين تبلغ جهود التوجيه الإسلامي للعلوم بعون الله مداها ، وحينئذ فإن الحاجة ستنتفي لاستخدام مثل هذا الأسلوب ، بل ونأمل أنه عندما يتحول المسلمون ليصبحوا منتجين للعلم الأصيل أن تصبح المصطلحات العربية واللغة العربية بعامة هي الأصل الذى يتسابق إلى استخدامه أصحاب اللغات الأخرى كما كان عليه الحال في "القرون الوسطي"(١) .

والآن فإن من واجبنا قبل أن نشرع في الحديث عن مختلف جوانب أو مراحل منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية أن نقف وقفة قصيرة عند مفهوم "التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية" لتحديد أبعاده ومكوناته بأكبر قدر ممكن من الدقة باعتبار أنه هو المفهوم الأساسى الذي نريد البحث عن منهجه ، وأن الاتفاق على المفهوم شرط لازم لأي اتفاق على المنهج .

---

(١) آرنولد ، السير توماس (١٨٩٦) الدعوة إلى الإسلام : ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وزملائه (القاهرة : مكتبة النهضة.

## المبحث الأول : مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية :

رغم الجهود المشكورة التي بذلها الباحثون إلى الآن لتعريف التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية وتحديد مضمونه بدقة ، فلازال هناك قدر من التفاوت في الآراء يحسن معه أن نبدأ هذا البحث بتحديد المقصود "بالتوجيه الإسلامي" وما يتصل به من اصطلاحات ، ولعل أنسب طريقة لمعالجة هذا الموضوع أن نعمد أولاً لتحديد الفكرة أو المهمة أو الرسالة التى يريد المشتغلون بالعلوم الاجتماعية في العالم الإسلامي اليوم تحقيقها لإقامة علومهم على أسس إسلامية أيا كانت التسمية التى يطلقها كل منهم على تلك المهمة ، وذلك على اعتبار أنه إذا ثبت وجود اتفاق كاف فى الرأى حول طبيعة تلك المهمة وأبعادها فإن مسألة التسمية أو الاصطلاح تصبح ثانوية إلى حد كبير : فما هي أبعاد مفهوم "التوجيه الإسلامي للعلوم" التى ينطلق هؤلاء الباحثون منها ؟ لعلنا لا نبتعد عن الحقيقة كثيراً إذا قررنا أن هناك اتفاقاً واضحاً بين كل من كتبوا حول هذا الموضوع تقريباً(1) ، سواء كان ذلك بشكل

---

(1) المبارك ، محمد (١٩٧٧) "نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع" ، المسلم المعاصر ، العدد ١٢ ، ص ص

- الفاروقى ، إسماعيل راجى (١٩٨٠) "صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية" المسلم المعاصر ، العدد ٢٠، ص ص ٣٥ - ٤١ .
- الفاروقى ، إسماعيل راجى (١٩٨٢) "أسلمة المعرفة" ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ ، ص ص٩ -٢٣ .
- أبو سليمان ، عبد الحميد (١٩٩٠) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي (الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي).
- المختارى ، أحمد (١٩٨٥) "نحو علم اجتماع إسلامي" المسلم المعاصر ، العدد ٤٣ ، ص ص ٣٩ - ٥٤ .
- عيسي ، محمد رفقي (١٩٨٦) "نحو أسلمة علم النفس" المسلم المعاصر ، العدد ٤٦ ، ص ص ٣١ - ٥٦ .
- المعهد العالمي للفكر الإسلامي (١٩٨٦) إسلامية المعرفة (واشنطون : المعهد العالمي للفكر الإسلامي) .
- مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٧) ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية : أوراق العمل ،الرياض .
- مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٩٩٣) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، تعريف معروض على الندوة التى عقدت حول مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، الرياض .
- بدرى ، مالك (١٩٨٧) علم النفس الحديث من منظور إسلامي ، بحث قدم لمؤتمر قضايا المنهجية في العلوم السلوكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الخرطوم .
- نجاتي ، محمد عثمان (١٩٩٠) "منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس" ، المسلم المعاصر ، العدد ٥٧ ، ص ص ٢١ - ٤٥ .
- خليل ، عماد الدين (١٩٩٠) مدخل إلى إسلامية المعرفة (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) .
- رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة .

* Khalil, Imad Ai - Din (1991) Islamization of Knowledge, A Methodology (Herndon, Virginia, Intenational Institute of Islamic Thought

صريح أو ضمني على أن التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يتضمن المكونات أو الأركان الثلاثة الآتية على الأقل :

١ ـ تحديد أبعاد التصور الإسلامي الشامل للإنسان والمجتمع والوجود ، استخلاصاً من المنابع الرئيسية للمنهج الإسلامي التي تتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة ، مع الاستفادة من اجتهادات علماء المسلمين من السلف والمعاصرين المستمدة من تلك المنابع الرئيسة والملتزمة بها ، وتحديد متضمنات هذا التصور بالمجال العام الذي تغطيه اليوم العلوم الاجتماعية الحديثة .

٢ ـ حصر نتائج "البحوث العلمية المحققة" في نطاق العلوم الاجتماعية الحديثة ، ومسح "نظرياتها" وتحليلها وإخضاعها للتمحيص والنقد في ضوء مقتضيات ذلك التصور الإسلامي سواء من حيث الموضوع أو المنهج .

٣ ـ بناء نسق علمي متكامل يضم ما صح من نتائج العلوم الحديثة وما صمد للتمحيص والنقد من نظرياتها ، ويربط بينها وبين ما توصل إليه علماء المسلمين من حقائق وتعميمات برباط تفسيري مستمد من التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود .

ويمكن لنا أن نسارع فنضيف على الفور ركناً رابعاً تكتمل به دائرة العلم الصحيح كما يلي : ـ

٤ ـ استنباط فروض مستمدة من ذلك النسق العلمي المتكامل الذي تم التوصل إليه فيما سبق وإخضاع تلك الفروض للاختبار في أرض الواقع للتحقق من صدق الاجتهاد البشري المتضمن بالضرورة في عملية بناء أي نسق علمي نظري .

ولكن ما هو المبرر لإضافة هذا الركن الرابع ؟ إن المصادر التي أشرنا إليها آنفاً قد كفتنا ـ فيما نحسب ـ مئونة البرهنة على محورية المكونات أو الأركان الثلاثة الأولي ولزومها لمفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ولكن الركن الرابع المتصل بضرورة اختبار الأطر التصورية المنطلقة من المنظور الإسلامي يستحق منا وقفة قصيرة في هذا الموضع قبل العودة إليه في سياقه من العرض اللاحق لمختلف جوانب المنهج .

لقد أشفق الكثيرون ـ ولهم كل الحق في ذلك ـ من أن تتحول عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية إلى مسألة دعوية وعظية ، أو أن ينظر إليها كمجرد إعلان ساذج بالالتزام للشخص الباحث بالإسلام ، حيث يندفع المتحمسون للقضية إلى استخلاص ما يظنون أنه يمثل وجهة الإسلام في موضوع الدراسة ليفرضوه على الناس دون إخضاع تلك المرئيات للاختبار ، وكأن الإخلاص يكفي "وحده" لبناء العلم .

ولقد يرجع السبب في شيوع هذا التخوف لدى البعض إلى أن الكتابات الباكرة حول أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامي للعلوم "والتي أشرنا إلى بعض منها فيما سلف"

كان من الطبيعي أن ينصب جل اهتمامها على الدعوة للفكرة ، وبيان ضرورتها ، وتوضيح أبعادها ، أكثر من اهتمامها ببيان المنهجية العلمية الصارمة التي تلتزمها ، تلك المنهجية التي لا تقل في الحقيقة – إن لم تتفوق – على مناهج البحث العلمي المعاصرة في درجة التزامها بالضوابط المتفق عليها لأى نشاط علمي منظم ، ومن هنا فقد كان من الضروري لنا ونحن هنا بصدد البحث في موضوع المنهجية إبراز هذا الركن الرابع ضمن أركان عملية التوجيه الإسلامي للعلوم استكمالا للصورة وبياناً لوجه الحق في الأمر .

ويكفينا أن نشير في هذا المقام إلى أن هذا الركن الرابع المتضمن لاشتقاق فروض مستمدة من النسق العلمي المتكامل لا يمكن بدونه أن تعد العلوم الاجتماعية "علوماً" بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، لأن في اختيار الفروض المستمدة من النظرية الضمان الرئيسي للتأكد مما إذا كان استنباطنا الذي نتج عنه ذلك النسق العلمي المتكامل صحيحاً ومطابقا للواقع من عدمه ، فعملية الاختبار تتمشى مع فكرة التصحيح - الذاتي التي تميز العلم الناضج ، والتي تجعله مختلفاً عن الفلسفة التي تتركنا على الدوام أمام أبواب مفتوحة بلا نهاية ، كما أن عملية الاختبار تقضي على فكرة أن بالإمكان أن نترك الحبل على الغارب لكل من يتوصل إلى استنباطات مبنية على فهمه للنصوص – أو على ربط فهمه للنصوص بإسهامات العلوم الحديثة على الوجه الذي يراه ، دون وجود محك أو معيار للصدق يمكن الاعتماد عليه ، فالمعيار المعتمد هنا هو مدى مطابقة تلك الاستنباطات للواقع.

ولقد يتساءل البعض هنا مدفوعين بالغيرة على دين الله : هل يتضمن هذا الركن الرابع لمفهوم التأصيل - عياذا بالله - إخضاع آيات الله تعالى أو أحاديث المصطفى الصحيحة للاختبار في أرض الواقع ؟! ولو عاد القارئ إلى الفقرة السابقة مباشرة ليتأمل ما أكدنا عليه فيها لوجد أن ما يخضع للاختبار في الحقيقة هو الأطر التصورية التي يتوصل إليها الباحث باستنباطه هو للتأكد من مطابقتها للواقع ، وليس اختبار النصوص القرآنية أو الأحاديث الصحيحة في ذاتها - نعوذ بالله العظيم من أن نَضِلَّ أو أن نُضِلَّ – فتلك الأطر التصورية المستنبطة ذات طبيعة كلية تفسيرية ، وهي وإن بنيت على الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة إلا أن عملية الربط بين هذه النصوص المتعددة تتضمن جهداً بشرياً يحتمل الصواب والخطأ كما سنبينه في موضعه إن شاء الله تعالى .

والآن فإذا كنا قد سلمنا بأن هذه الأركان الأربعة تقترب في مجموعها من تصوير حقيقة المهمة التي نريد لها أن تتحق في واقع علومنا الاجتماعية فما هو الاصطلاح الذي يمكن أن يعبر عن هذه المهمة وفق هذا التصور المطروح بشكل مقبول ؟ لقد تعددت الألفاظ التي استخدمت في هذا السياق تعدداً كبيراً حتى وصلت إلى ما يقرب العشرة[1] ، وسنكتفى هنا

---

(١) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

باستخدام ثلاثة من هذه المصطلحات هي أكثرها شيوعاً ، هي الأسلمة والتأصيل الإسلامي والتوجيه الإسلامي ، ولكننا كما قدمنا سنستخدمها في هذا البحث كبدائل تعبر عن نفس الشيء و نفس المهمة ، وسنخصص ما بقي من هذا البحث لبيان المنطق الذي استندنا إليه .

يعترض البعض على استخدام اصطلاح إسلامية العلوم على أساس أن الأسلمة تقتضي إسلام العلوم وهي لا إرادة لها ولاعقل كالجمادات الأخرى التي لا يمكن إطلاق الإسلام عليها ، ويقال أيضاً متى كفرت العلوم حتى تسلم[1] ، ولقد بالغ البعض متوسعاً في مد هذه الحجة إلى نهايتها المنطقية حين قال بأن "كل علم فهو إسلامي ، أليس الكون من خلق الله ، والعقل هبة من الله ، فكل ما يصدر عن هبة الله في فهم كون الله فهو بالضرورة مسلم" أو ما هو قريب من هذه العبارات (وَرَدَ ما يشبه هذا القول ضمن مناقشات دارت في بعض المؤتمرات المتصلة بالتوجيه الإسلامي للعلوم) .

ورغم أنه قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ما يوشك معه العقل أن يقبل متسرعاً بمثل تلك المقولات على اعتبار أنه بمنطق المخالفة فإن الأسلمة تعني أن ما يقابلها كفر ، فإن هذا ليس بلازم أبداً ، وإنما يمكن بطبيعة الحال أن يكون المقصود أن "المعرفة قبل أسلمتها كانت بعيدة في توجهها عن توجيه الإسلام" وأننا نريد لها أن تقترب من التوجيه الإسلامي ، أو أننا مهتمون بإعادة صياغتها وفق منهج الإسلام وروحه بعد أن كانت مصاغة بشكل يهمل هذا المنهج أو لا يدرك وجه ارتباطه بها .

كما اعترض آخرون على اصطلاح التأصيل الإسلامي للعلوم على أساس أن معناه عندهم رد الشيء لأصله ، ومقتضي ذلك أن كل العلوم الاجتماعية الحديثة موجودة بحالتها الصحيحة أو مدفونة بشكل ما في تراثنا الإسلامي ، وأن كل ما علينا هو التنقيب عنها ، وإزالة الغبار العالق حولها لتصل مباشرة إلى ما نريد من عملية التأصيل ، وليس لهذا الزعم ما يشهد له بالصحة ، ونلاحظ هنا أنه حتى أولئك الذين يرون أن هذا "المصطلح سليم إلى حد كبير"يضيفون أنه" لا يمكن إقامة كل العلوم على الأصول الإسلامية مثل الفيزياء والكيمياء، فإذا قصرنا التأصيل على العلوم الاجتماعية يكون المصطلح سليماً ، لأننا نستطيع أن نجد لها أصولاً إسلامية سواء في التراث الإسلامي أو في القرآن والسنة"[2] ، ولعله قد بات من الواضح في ضوء ما جاء في صدر هذا البحث أن من يستخدمون اصطلاح التأصيل الإسلامي للعلوم لا يمكن في واقع الأمر أن يقصدوا أن الفيزياء النووية أو علوم الأعصاب

---

(١) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ٣.

(٢) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب ) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص ٤.

الحديثة أو النظريات الحديثة في الإدراك الحسي كانت موجودة بتمامها عند الأقدمين من علماء المسلمين ، أو أن المطلوب إعادتها إلى الوجود مرة أخرى، وإنما يقصدون بالتأصيل جعل الإسلام ومنهجه وتصوراته الكبرى بمثابة "الأصل" الذي تردّ إليه العلوم في منطلقاتها ومنهجياتها ونظرياتها ، مع الإفادة من إسهامات السابقين من علماء المسلمين بالقدر الذي ثبتت به لبعض أعمالهم قيمة علمية مستمرة إلى اليوم دون صدود عن إسهام المعاصرين من غير المسلمين ما دام قابلاً للاندماج في منظومة التصور الإسلامي بشكل أصيل ودون تعسف.

ولم يسلم اصطلاح التوجيه الإسلامي للعلوم من النقد أيضاً على أساس أن التوجيه عند المعترضين على استعماله إنما يعني استخدام العلوم في مجال خدمة الإسلام وخدمة الدعوة الإسلامية، وهذا المصطلح بهذا المعني قد لا يتضمن محاولة إيجاد الأصول والقواعد الإسلامية في التفكير الإسلامي أو في القرآن والسنة ، ذلك أنه يوجّه ما هو موجود وكائن ولا يوجه ما هو غير موجود ولا يقتضي إيجاد ما يجب إيجاده[1] ، ومقتضى هذه الحجج أن لفظ التوجيه إنما ينصب على تطبيق النتائج التي توصلت إليها العلوم بالفعل لتحقيق أهداف الإسلام ، ولعل من الواضح أيضاً أن هذا المعني لايلزم بالضرورة عن لفظ التوجيه ، فالتوجيه الإسلامي للعلوم يقصد به كما رأينا استثارة الباحث في رؤيته العلمية العامة بنظرية المعرفة الإسلامية ، كما يتضمن توجيه مناهج العلوم وطرق بحثها ، وكذا توجيه بناءاتها النظرية ، ثم توجيه التطبيقات العلمية التي تتوصل إليها ، وذلك دون أدنى قدر من التعسف في استعمال اللفظ .

ولقد قام الدكتور مقداد يالجن أيضاً[2] بالتعبير عن رفضه وانتقاده لعدد آخر من الألفاظ (المصطلحات؟) التي لم يكتب لها نفس الدرجة من الشيوع كبدائل للألفاظ الثلاثة السابقة ، فأراح بذلك من قد يفكرون في اختراع ألفاظ بديلة جديدة ، فانتقد مثلا اصطلاح "تأسيس العلوم الاجتماعية على الأصول الإسلامية" ، مبيناً أنه يؤخذ عليه أن التأصيل يتضمن أكثر من مجرد "إقامة العلوم الاجتماعية على دعائم وأسس فقط ، بل المراد إقامة بنيان العلوم بجميع جوانبها وهندستها على الأصول الإسلامية" ، كما اعترض على لفظ "إبراز الأسس الإسلامية" على أساس أن الإبراز إظهار وبيان والمطلوب بناء وتأسيس ، واعترض أيضاً على "صياغة العلوم صياغة إسلامية" على أساس أنه "يفيد وضعها في الثوب

---

(١) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب ) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص ٤.

(٢) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ ب) مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ورقة مقدمة إلى ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، ذي الحجة ١٤١٣ ، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الإسلامي ، ولكن لا يفهم منها الدخول إلى محتواها والنزول إلى جوهر العلوم وإيجاد قواعد أو منهج أصيل وعريق ..." ، ثم إنه أضاف من عنده اصطلاحاً جديداً بلفظ آخر هو "بناء العلوم الاجتماعية على منهج الإسلام" ، وكل ما نخشاه أن يأتي معترض فيقتبس طريقة الدكتور ياجن نفسه ليؤكد لنا أن هذا الاصطلاح أو التعريف مرفوض أيضاً لأنه يركز على المنهج ، وأن التركيز على "البناء" يعني أننا نقيم صرح العلوم على أرض فضاء ، ومعنى ذلك أننا سنبدأ من فراغ ، وأن عملية البناء لا تقول لنا شيئاً عن التطبيقات .. إلخ !!

لقد آن الأوان أن نتجاوز هذا الجانب الشكلي اللفظي من القضية لكي نركز على صورة أخيرة من الصور غير المنتجة للتعامل مع قضية المصطلح ، فلقد دعا البعض في وقت من الأوقات إلى أنه ينبغي التمييز بين التأصيل والتوجيه على أساس أن نستخدم التأصيل في الإشارة إلى المهمة التي نحن بصددها "والتي شرحنا أركانها فيما سبق" ، عندما يتعلق الأمر بالعلوم الاجتماعية ، مع قصر اصطلاح التوجيه في الإشارة إلى نفس المهمة عند التعامل مع العلوم الكونية أو التطبيقية "الطبيعية في الاصطلاح التقليدي" ، فيما يتصل بحاجة الأولى إلى الوحي كمصدر أساسي للمعرفة وحاجة الثانية إلى الحواس كمصدر أساسي للمعرفة ، إلا أن ما يحتاج إلى التنبيه إليه هو الطريقة التي استدل بها أصحاب هذا الراي على ضرورة التفرقة بين الاصطلاحين لأنها بيت القصيد هنا . إن من المسلم به في علم المصطلح أن العلماء في سعيهم للبحث عن الحقيقة يقعون أولا على مفهوم أو فكرة أو تصور ذهني "يتفقون" على إدراك كنهه بعقولهم ، ثم إنهم يحتاجون إلى اختيار لفظ أو اصطلاح للدلالة على ذلك المفهوم ، وهم قد يختارون لفظاً مما يستخدم في لغة حية أو حتى لغة متروكة (لتجنب اختلاط المعنى الاصطلاحي بظلال غير مرغوبة في المعنى اللغوي) أو قد يختارون رمزاً لكي يربطوا هذا "المعنى" أو "المفهوم" به ليتيسر التواصل والتفاهم بين الباحثين ، وليس هناك من شك في أن كتابات أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامي ..الخ لم تبدأ في الحقيقة إلا استجابة للشعور بوجود معنى معين أو فكرة أو مهمة رئي أن فيها إصلاح العلوم بل وصلاح الأمة ، ولقد يكون مفهوماً أن يتناقش الباحثون أو يشتد جدالهم في محاولات لتحديد هذا "المعنى" الاصطلاحي أو المفهوم (Concept) ، ثم إن لهم بعد ذلك أن يطلقوا عليه ما شاءوا من اصطلاح في (Technical Term) إذا لقى ذلك قبولا من جمهرتهم ، ومن هنا فإن الأصل هو وضوح "المفهوم" الذي هو الحَكَمَ والفيصل في اختيار اللفظ أو "الاصطلاح" الذي يتفق على أنه ينطبق عليه أفضل انطباق ، ولكن الأمر المقلق حقا هو أن المناقشات حول الاصطلاح قد انتكست في الآونة الأخيرة لتجعل الاصطلاح أو "اللفظ" في معناه اللغوي حَكَمَاً وفيصلا في تحديد المفاهيم ! فرأينا بعض الباحثين يصدر حكمه بأنه "لما كانت لفظة التأصيل مختلفة في معناها عن لفظة التوجيه بحسب المعنى الوارد لكل منهما في معاجم اللغة العربية ، فلابد أن يختلف المفهوم أو المعنى الاصطلاحي الذي يشير إليه كل منهما ، ومن هنا فالتأصيل والتوجيه مختلفان ، أو لابد أن يكونا مختلفين "الصياغة من عندي" وكأن من يدعو

إلى هذا الرأي مؤيد لنا بعد أن قمنا ـ باختيارنا ـ فاستعملنا هذه الألفاظ للدلالة على المعاني الفنية التي نقصدها ، على أن تعود أدراجنا فتنصب من هذه الألفاظ التي اخترناها بأنفسنا حَكَماً على مفاهيمنا الاصطلاحية .

ولكن تحذيرنا من هذه النزعة لا ينبغي من جانب آخر أن يصرفنا عن قضية مهمة بالفعل تتصل بالفرق بين العلوم الاجتماعية والعلوم المسماة بالطبيعية من حيث مدى ونطاق حاجتها لعملية أسلمة العلوم أو التأصيل الإسلامي أو التوجيه الإسلامي للعلوم "أيا كانت التسمية التى تختارها" ، ولكى نتعامل مع هذه القضية بطريقة منظمة فإنه يلزمنا أولاً : أن نحدد الجوانب المختلفة "للمهمة" التى نحن بصددها أو الأنشطة العلمية المختلفة التى ينصب عليها التأصيل ، ويمكننا بصفة عامة أن نقول : إن التأصيل الإسلامي للعلوم ينصب على الجوانب الرئيسة التالية :

١ ـ **الغاية من العلم** والنشاط العلمي بصفة عامة ، وارتباطها بالغاية من وجود الإنسان ذاته .

٢ ـ **التوجه العام للعالم** في سلوكه البحثي أو في بحثه عن المعرفة وفي نظرته لنفسه وتكييفه لعلاقته بربه وخالقه .

٣ ـ **نظرية المعرفة** التى ينطلق منها العالم وافتراضاتها المعرفية (الإبستمولوجية) خصوصاً فيما يتصل بما يلي :

أ ـ مصادر المعرفة وخصوصاً قضايا العلاقة بين الوحى والعقل والحواس .

ب ـ مجال المعرفة ونطاقها وخصوصاً فيما يتصل بمدى شمولها لعالم الشهادة وعالم الغيب .

٤ ـ **منهج البحث العلمي وأسسه** من الناحية "الميتودولوجية" .

٥ ـ **التنظير وتفسير نتائج البحوث** في صلتها بقضية درجة الاستفادة بكل من الوحي والعقل .

٦ـ **تطبيق نتائج العلم والاستفادة منها في حياة الناس (الجانب التقني أوالتكنولوجيا).**

ومن مجرد النظرة العابرة إلى هذه الجوانب نجد أنه لا يوجد اختلاف جوهري بين العلوم الاجتماعية والعلوم المسماة بالطبيعية من حيث حاجتها ، لأن التأصيل فيها يشمل تلك الجوانب كلها بصفة عامة ، وأن الاختلاف إنما يكمن فقط في "درجة" استخدام الوحى كمصدر للمعرفة (النقطة ٣أ) وفي "حدود" مجال المعرفة ونطاقها من جهة الاتصال بعالم الغيب أو الاقتصار على عالم الشهادة "النقطة ٣ب" ، وما ينبنى على ذلك فيما يتصل باختلاف "التركيز" في المنهج "النقطة ٤" على الملاحظة الخارجية والتجربة ، وفي "درجة" الاستناد إلى الوحي في التنظير وتفسير النتائج "النقطة ٥" .

ونحن نزعم أن هذه الفروق لا تسوغ إطلاق تسميات مستقلة على عملية أسلمة كل قطاع من هذين القطاعين من العلوم لأن المهمة في جوهرها كما رأينا واحدة بالنسبة لكليهما، لا تستقل فيها العلوم الاجتماعية بجوانب تختص بها اختصاصاً كاملاً ، أو تستقل فيها العلوم المسماة بالطبيعية بجوانب أخرى ، وإذا كان البعض يظنون أن المهمة بالنسبة لتأصيل العلوم الطبيعية هي مهمة "توجيه" لتطبيقات تلك العلوم فقط فقد وهموا من جانبين:

١ ـ أننا رأينا أن المطلوب في الحقيقة توجيه كل جانب من الجوانب الستة للأنشطة المطلوبة للسعي للحصول على المعرفة العلمية في الاتجاهات التي تتمشى مع التصور الإسلامي.

٢ ـ كما أنه لا يمكن لأحد في نفس الوقت أن ينفي عن العلوم الاجتماعية أن "تطبيقاتها" في مختلف جوانب الحياة تحتاج أيضاً إلى "توجيه" إسلامي مثلها في ذلك مثل تطبيقات العلوم "الطبيعية" .

## المبحث الثاني : تفاوت وجهات النظر حول مركز الثقل في المنهج :

أوضحنا فيما سبق أن هناك قدراً كبيراً من الاتفاق بين معظم الكتاب المهتمين بقضية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية "أو ما يكافئ ذلك الإصطلاح" حول مضمون المهمة التي يسعى الجميع إلى تحقيقها ، وبيّنا أن جوهر هذا المفهوم إنما يكمن في إيجاد التكامل بين معطيات العلوم الاجتماعية الحديثة من جانب ، وبين ما يتضمنه الوحي "القرآن الكريم والسنة الصحيحة" وإسهامات علماء المسلمين حول الظواهر التي تتعرض لها العلوم الاجتماعية الحالية من جانب آخر، ولكن كيف هذا التكامل ومداه ، والوزن النسبي لكل مصدر من مصادره "المصادر الشرعية، مصادر العلوم الاجتماعية الحديثة" . أمر آخر اختلفت الأنظار فيه ، وترتب على ذلك ظهور عدد من التوجهات التي تتصل بالمنهج ، والتي يحسن الإحاطة بها ومناقشتها قبل الانتقال إلى تفاصيل الإجراءات المنهجية وفق التوجه الذي اخترناه من بينها .

فالمتابع للمناقشات والكتابات المتصلة بمنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية سرعان ما يتبين له أن مواقف أصحاب الاجتهادات في الموضوع تتفاوت فيما بينها على مقياس متدرج ذي طرفين متقابلين (Continuum) يبدأ من جهة بمن يرون التركيز على المصادر الشرعية بشكل يكاد يكون كاملاً (في بعض الحالات) ، إلى من يرون من الجهة الأخرى التركيز على مصادر العلوم الاجتماعية الحديثة بشكل يكاد يكون كاملاً (في بعض الحالات أيضاً) مع توزُّع الآخرين فيما بين هذين القطبين ، بحيث يحتل كل منهم نقطة على هذا المقياس المتدرج فيكون أقرب إلى هذا القطب أو ذاك ، مع التسليم بأن موقفه يتضمن

قدراً مُكملاً من عناصر القطب المقابل ، وبطبيعة الحال فإن من يريد استيعاب الصورة الكلية لوجه الاختلاف يكون في موضع أفضل للفهم إذا تفحص الحجج التى يقوم عليها موقف أولئك الذين "يقتربون" من هذا القطب أو ذاك بدلا من دراسة الحالات المعتدلة النقية الرافضة على الجانبين أو دراسة الحالات الواقعة عند منتصف المقياس المتدرج.

## الاتجاه الأول : اتخاذ العلوم الشرعية نموذجاً للتأصيل :

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن عملية التوجيه الإسلامي للعلوم إنما هي في جوهرها عملية استخلاص واستنباط للآراء والنتائج التي يعتمد عليها في هذا المجال من المصدرين الأساسيين للشريعة (القرآن والسنة) ، (وجاء هذا التعريف ضمن وثيقة تحوي توجيهات للباحثين أعدتها إحدى الجهات المهتمة بقضية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية) ، ويتفق هذا بدرجة ما مع فحوى تعريف تبنته مؤخراً اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والتي عرفت التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية على أنه "إبراز الأسس الإسلامية التى تقوم عليها هذه العلوم ، من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة ، ودراسة موضوعات هذه العلوم على ضوئها ، مع الاستفادة مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم ، مما لا يتعارض مع تلك الأسس" .

ومن الواضح أن الأخذ بهذا التصور يترتب عليه بالضرورة آثار عميقة بالنسبة لمنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، فالقضية لا تصبح فقط قضية اعتماد مكثف على مصادر العلوم الشرعية لاستخلاص الأحكام "الاجتماعية" منها إذا صح التعبير ، ولكن الأهم من ذلك أن التركيز فيما يتصل بالمنهج سيكون على طريق الاستنباط من النصوص ، وأن صدق النتائج سيكون مبنياً على صحة استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة كما أسلفنا ، ولعل من العبارات المختصرة المفيدة في هذا السياق قول أحد كبار المتخصصين في العلوم الشرعية من ذوي الاهتمام بمنهجية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية تعبيراً عن هذا المعنى "إن المطلوب هو وضع منهج للتأصيل على غرار منهج الأصوليين والحديثيين" .

ولقد قدم الدكتور مقداد يالجن[1] ، تصوراً لأهم "القواعد والخطوات الإجرائية" للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية نورده هنا باعتبار أنه يمثل هذا الاتجاه بوضوح ، فيري الدكتور يالجن أن هذه القواعد والخطوات هي :

---

(١) يالجن ، مقداد (١٩٩٣ أ) أهم معالم منهج التوجيه الإسلامي للعلوم ، ورقة غير منشورة .

**الخطوة الأولى :** ضرورة وقوف الباحث على الدراسات التخصصية والدراسات الإسلامية معاً .

**الخطوة الثانية :** البدء بالآيات القرآنية في التأصيل .

**الخطوة الثالثة :** الاستدلال بالأحاديث ، وذلك بعد إثبات النص وبعد التأكد من درجته ومعرفة مواطن الاستشهاد به حسب درجته .

**الخطوة الرابعة :** ضرورة استخدام الآيات والأحاديث في كل موضوع إن أمكن وذلك حتى يمكن إعطاء تصور كامل عن رأي الإسلام فيه لأن القرآن والسنة يمثلان الإسلام في الدرجة الأولى .

**الخطوة الخامسة :** استخدام قواعد فهم النصوص من حيث العموم والخصوص والحصر والقصر وما إلى ذلك من وجوه الدلالات التي عالجها الأصوليون .

**الخطوة السادسة :** إن لم يوجد دليل من القرآن والسنة نستخدم مصادر المعرفة الإسلامية الأخرى .

**الخطوة السابعة :** إن لم يجد الباحث دليلا مما سبق ، فعليه استخدام قواعد الاستنباط الأصولية .

**الخطوة الثامنة :** أن يكون استخلاص الأفكار والأحكام والقيم في ضوء أحد الأصول الإسلامية العامة أو كلها إن أمكن ذلك ، وتلك الأصول هي الأصول الاعتقادية والتعبدية والتشريعية والأخلاقية والاقتصادية والفكرية .

**الخطوة التاسعة :** الرجوع إلى التراث الإسلامي وآراء العلماء وإسهاماتهم في مجال البحث.

**الخطوة العاشرة :** الاسترشاد بالتوجيهات الإسلامية العامة في طرق دراسة الحقائق وتعليمها واستخدامها .

ويلاحظ على هذا التصور أنه لم يشر إلى نصيب العلوم الاجتماعية الحديثة في عملية التوجيه الإسلامي لهذه العلوم لا من جهة النتائج ، ولا من جهة المنهج ، اللهم إلا في الخطوة الأولى التي أشار فيها إلى ضرورة "وقوف الباحث" على الدراسات "التخصصية" والدراسات الإسلامية معاً ، وهذا على كل حال يتضمن اعترافاً ضمنياً بضرورة استخدام مناهج العلوم الاجتماعية في دراسات واقعية متخصصة ، ولكن المنطلق الذي يستند إليه أصحاب هذا الاتجاه في قلة اكتراثهم بالعلوم الاجتماعية الحديثة ـ مصادرها ومناهجها على حد سواء ـ يقوم على اعتبارين :

**الاعتبار الأول :**

أن كل ما يتصل بالناس كأفراد أو جماعات أو مجتمعات في دنياهم وأخراهم يختص بتوجيهه الوحي ، وأن ما تحاوله العلوم الاجتماعية من مزاحمتها للوحي كمصدر لتوجيه حياة الناس بناء على ما تزعم أنها تتوصل إليه من "حقائق" إنما هو محض ادعاء لا يقوم على

أساس، ذلك أن ما تصل إليه تلك العلوم من تصورات بناء على دراسات تجري في مجتمعات مختلفة لا يعطيها صدقاً ذاتياً ، لأنه إنما يعكس الانحرافات والاختلالات في تلك المجتمعات كما يعكس ما قد تكون عليه من هدى ، يقول الدكتور عبد القارد هاشم رمزي (١٩٨٤) في هذا السياق إن هذه الدراسات "قفزت بدون مبرر إلى حيث يستحيل أن يوجد غير العلوم التجريبية ، كما اختلطت فيها الحقائق بالأوهام اختلاطا جعلها عاجزة عن سد الفجوة الثقافية "إن" أحد المعلومات عن المجتمعات المختلفة أو المجتمع الواحد في ظروف مختلفة لا يجعل هذه المعلومات حقائق ، إن المجتمع الإنساني ليس مصدراً للحقائق وإن كان مصدراً للمعلومات ، إنه "أي المجتمع الإنساني" عرضة لأن يلتوى أو ينحرف أو أن يتوقف أو أن يهبط ، ولابد من ضبط مساره بالحقائق ، التي ليس لها مصدر سوى المصدر الإلهي المتمثل في النصوص الإسلامية وفي دلالات هذه النصوص"(١) ، ويرى نفس المؤلف أن النظريات المبنية على التصورات الوضعية لم تستطع أن تتوصل إلى "مرجع أو مقياس تقاس به أحكامها وتعميماتها"(٢) .

**الاعتبار الثاني :**

أن العلوم الاجتماعية بسبب تأثرها في نشأتها بالظروف التاريخية للحضارة الغربية ، وبسبب ما شاب هذه التجربة من صراع بين الكنيسة والعلم مما انتهى إلى نزعة مادية "إلحادية في كثير من الأحوال" ، قد عانت خلال تطورها من التواءات وندوب وكسور يصعب جبرها ، ففشلت من جهة فشلاً ذريعاً في تحقيق ما زعمت أنها تحققه من أهداف ، وجاء ما توصلت إليه من مجدب النتائج مهلهلاً ومشوباً بالعيوب من كل جانب ، وبذلك فإنه يكون من العبث أو من الغفلة الرجوع إلى نتائج تلك العلوم ، لأنه حتى لو وجدنا فيها مايشبه الخير ، فإننا لن نعدم أن نجده "ملوثاً" أو مدموغاً بشكل لا يمكن إزالته بطابع أصله الذي نشأ فيه ، والذي لا يمكن أن يؤدى في المجتمعات الموحّدة إلا إلى تشتت الرأي والخيال واختلال المعايير . ولقد ذهب البعض إلى أنه لا حاجة للمسلمين أصلاً إلى علم الاجتماع ، وإلى أنه ليس هناك مبرر موضوعي لبذل أي جهد لاستنفاذ أي علم نافع منه لأنه ببساطة لايحوى علماً نافعاً(٣) .

---

(١) رمزى ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (اللوحة : دار الثقافة) ، ص ص٦٢ - ٦٨.

(٢) رمزى ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (اللوحة : دار الثقافة) ، ص ٧٦ .

(٣) خضر ، أحمد إبراهيم (١٩٩١ أ) "هل نحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟" ، البيان ، العدد ٤٥ ، ص ص ١٩ - ٢٧، خضر، أحمد إبراهيم (١٩٩١ ب) "هل نحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟" ، البيان ، العدد ٤٦ ، ص ص ٣٧ - ٤٣.

ولكن هناك من يرون أن البديل الذي يطرحه أصحاب هذا الاتجاه من اكتفاء بالمناهج الأصولية يثير أيضاً إشكاليتين خطيرتين لا يجوز التغافل عنهما مهما كان تقديرنا لهذه المناهج:

**الإشكالية الأولى :** وتتصل هذه الإشكالية بماهية معيار الصدق في كل ما يتوصل إليه المشتغلون بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية بالاعتماد على المناهج الأصولية من اجتهادات ، فلا يخفى أن هناك اختلافاً واضحاً بين المادة الخام التى هى موضوع عمل الفقهاء والتى تتصل بالأحكام الجزئية التى يمكن أن تنضبط بالالتزام "بقواعد الاستنباط الأصولية" ، وبين المادة الخام التي هي موضوع اهتمام العلوم الاجتماعية ، والتي تتصل بكليات الدين في توجيهها لكليات الحياة الاجتماعية ، ومن هنا يرى هؤلاء المعترضون أن اتخاذ منهجية أصول الفقه نموذجاً ودليلاً يحتذيه التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية سيكون مشوباً بأخطاء ناتجة عن بعد الشقة بين النصوص من جانب وبين الاجتهادات التي يتوصل إليها الباحثون في العلوم الاجتماعية من جانب آخر ، ويصبح من الخطورة بمكان أن نساوي بين اجتهادات الفقهاء في المسائل الجزئية في ضوء المنهج الأصولي ، وبين "اجتهادات" المتخصصين في العلوم الاجتماعية "ومن يتعاونون معهم من المتخصصين في العلوم الشرعية" في المسائل المتصلة بكليات الحياة الاجتماعية باستخدام نفس المنهج الواحد ، وذلك لما يمكن أن ينتج في الحالة الثانية من تجاوزات باسم استخدام المناهج الأصولية وإلصاق أي قدر مضاف من الصحة للنتائج تحت ستارها ، ومن هنا فإن من المحتم استخدام طرق "إضافية" للضبط واختبار النتائج التى يتوصل إليها المشتغلون بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية للتأكد من صدقها الواقعي ، وهو أمر ميسور باعتبار أن تلك العلوم تتصدى لواقع الناس والمجتمعات بما يمكن من اختبار تلك النتائج فيها .

**الإشكالية الثانية :** وتتصل هذه الإشكالية بأن المنهجية الأصولية رغم نجاحها الكبير في صدر الإسلام في توجيه حياة المجتمع في كل جوانبها إلا أنها في العصور المتأخرة قد أصيبت بعدد من الشوائب التي قتلت فاعليتها ، وعلى سبيل المثال فقد انتقد الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بمرارة (١٩٩٢) ما أسماه "بقصور المنهجية الإسلامية بمفهومها التقليدي" نتيجة الانفصام بين علماء الإسلام من جانب ، وبين القيادة السياسية للمجتمع المسلم من جانب آخر ، والتى أدت إلى انصراف العلماء إلى العمل في التأليف والبحث والدرس والتأصيل للجوانب الخاصة بدراسات نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما يتعلق بشئون الأفراد من عبارات ومعاملات دون كبير التفات إلى شئون السياسة والحكم ومؤسسات المجتمع وذاتيته الجماعية والعامة ، وضاعت حكمة السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة وحركية الفقه والفكر الإسلامي وانعدم في كثير من هذا الفكر بُعْدا الزمان والمكان

موضع النص الجزئي من أصل مجمل الوحي والفطرة الإنسانية والكونية"(1) ، وقد أدى هذا كله إلى تقسيم العلوم إلى "علوم شرعية وغير شرعية" ، وارتبط ذلك "بوأد العلوم الاجتماعية" .

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن الاتجاه إلى اعتماد العلوم "الشرعية" ـ بمحتواها التقليدي وبمناهجها الأصولية الحالية ـ نموذجاً تحتذيه العلوم الاجتماعية الموجهة إسلامياً لن يحقق هدفه المنشود من إنتاج علوم اجتماعية إسلامية قادرة على قيادة الحياة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة بشكل فعال ، اللهم إلا بعد عملية تقويم شاملة تعود بهذه المناهج إلى أصل نصوعها وحيويتها ، مع الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة بعد تطويرها ، على الوجه الذي يحقق التكامل المنشود دون تجوز أو صدود .

**الاتجاه الثاني : الانطلاق من نموذج العلوم الاجتماعية الحديثة : ـ**

إن نقطة البدء عند أصحاب هذا الاتجاه في الواقع الراهن يقوم على وجود متمايز وهوية مستقلة لمجموعة من "العلوم الاجتماعية" التي اختطت لنفسها حدوداً للظواهر التي تتعامل معها ، والتي بلورت لنفسها مجموعة من المناهج والأدوات البحثية ، والتي تختلف في ذلك كله عن مجموعة "العلوم الشرعية" بمجالاتها ومناهجها الخاصة بها ، ومن هنا فإن أصحاب هذا الاتجاه ينظرون بشيء من الدهشة أو الانزعاج لما يقترحه أصحاب الاتجاه الأول الذي ينظر للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية على أنه يتضمن استبدال مصادر ومناهج العلوم الشرعية بمصادرهم ومناهجهم "العلمية" ويرون أن هذا يعني إخضاع العلوم الاجتماعية للعلوم الشرعية على حد تعبير أحد المشاركين في ندوة حول مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، وهو أمر غير وارد وغير مرغوب فيه من الناحية العلمية ، لأن معناه عندهم أن نترك "العلوم" الاجتماعية ودراساتها المدققة ونتائجها المحققة لنستبدل بها "تأكيدات" يزعم أصحابها أنها تمثل وجهة نظر الإسلام دون التحقق منها واقعياً ، ويطلب من الباحثين أن يسلموا بها على أنها دين ، بكل ما يترتب على ذلك ، خصوصاً في حالة وجود اختلاف في الرأي قد ينظر إليه على أنه دلالة على عدم الالتزام الديني . كما أن بعض أصحاب هذا الاتجاه يتصورون أن تبني نموذج العلوم الشرعية في التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يعني تحويل تلك العلوم إلى مواعظ وخطب تدور حول الدعوة إلى فعل أشياء والنهي عن فعل أشياء أخرى على أساس معياري ودون دراسة "علمية" .

وفي مقابل ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن "الأصل" أن لدينا تراثاً متراكماً من نتائج العلوم الاجتماعية ، التي أقرتها جهود أجيال من الباحثين الذين كرسوا حياتهم لها ،

---

(1) أبو سليمان ، عبد الحميد (١٩٩٢) أزمة العقل المسلم (الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي) ، ص ص ٧٤ ، ٧٧ .

وأن لدينا ثروة وافرة من مناهج البحث وأدوات القياس التي تمت تجربتها على مدى السنين ، حتى اشتد عودها ، وثبتت قيمة الكثير منها ، وبَانَ إمكان الاعتماد عليها ، وأن الباحث المسلم لا يمكن له أن يتجاهل وجود هذه النتائج والمناهج جمله واحدة ، وأنه لا يليق به أن يتخذ منها موقفاً رافضاً من البداية ، فهذا كله يتمخض عن ضياع وإهدار لجهود وتراث شارك المسلمون أصلا في نشأته الأولى ، كما أن معناه أن نبدأ من فراغ ، أو أن نبدأ من جديد عند النقطة التى توقف فيها إبداع العقل المسلم عن العطاء منذ بضعة قرون .

ومع ذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه مقتنعون بأهمية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ولكنهم قانعون بمنهجية يرونها واقعية تجنبنا المثالية – على حد تعبير أحدهم – يكتفى فيها بالانطلاق من النتائج المحققة والمناهج الشائعة الاستخدام في العلوم الاجتماعية في أرقي صورها ، على أن نأخذ في الاعتبار أوجه النقد التي تثار حولها من داخل النموذج العلمي التقليدي ذاته ، مع إضفاء الصيغة الإسلامية عليها على الصورة الآتية :

١- اعتماد نتائج ونظريات العلوم الاجتماعية الحالية كما هي (مع إثبات أوجه النقد من الداخل المثارة حولها) وإثبات التحفظات عليها في ضوء التصور الإسلامي .

٢- استبدال المصطلحات الحديثة ببدائلها الإسلامية خصوصاً ما اتصل منها بالأنساق التصنيفية التى وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

٣- الاهتمام بالدراسات التراثية التي تمثل إسهام علماء المسلمين تاريخياً في نطاق كل تخصص من تخصصات العلوم الاجتماعية .

٤ – إيضاح الرؤية الإسلامية لمشكلات العالم الإسلامي ، واستخدام المعارف المتخصصة في إيجاد الحلول لها .

٥ - تحديد النماذج النمطية المعيارية للسلوك الفردي وللتنظيمات المجتمعية كما تشير إليها المصادر الإسلامية لتتخذ كمعيار تقاس عليه ألوان السلوك الفردي والاجتماعي وأشكال التنظيمات الاجتماعية الواقعية .

وأما من الناحية المنهجية فإنه ليس مطروحاً عند أصحاب هذا الاتجاه الاعتماد على المناهج الأصولية التى تقوم على الاستنباط من النصوص ، بل إن الأصل في العلوم الاجتماعية قيامها على الدراسات الواقعية التي تستهدف "الوصف" تعرفاً على آيات الله في خلقه كما تستهدف "التفسير" كشفاً عن سنن الله في مخلوقاته ، ولقد أوضح الدكتور فؤاد أبو حطب (١٩٨٩) المقصود بذلك إذ قال :

"والتعرف على آيات الله في خلقه على مستوى العلم المتخصص لا يتحقق إلا بالوصف الجيد الدقيق لها ، ومن هنا يحتل الوصف مكانة أولى بين أهداف العلم في الإسلام ،

والوصف العلمي يعتمد في جوهره على الملاحظة ، وقد تكون الملاحظات مباشرة ، وقد تكون غير مباشرة، وفي الحالتين تكون المؤشرات القابلة للملاحظة التي تستخدم في التسجيل والوصف من نوع معطيات الحس"(١) .

ثم يشير إلى أنه إذا كان "الوصف" الدقيق المحكم هو وسيلة العلم إلى "التعرف على آيات الله" ، فإن "الكشف عن سنن الله في مخلوقاته" يتم من خلال "التفسير" ، ولكن التفسير ، ولكن التفسير يقود بدوره إلى هدفين آخرين هما "التحكم" و "التنبؤ" ، ويبين أن الإنسان يستخدم "في التعرف على آيات الله (أي الوصف) وفي الكشف عن سننه "أي التفسير" ما زوده سبحانه وتعالى به من نعم وخاصة الحواس والعقل"(٢) .

وهناك حجة "عملية" منطقية يشير إليها أصحاب الاتجاه الثاني الذين يرون اتخاذ العلوم الاجتماعية الحديثة كأساس لانطلاقة التوجيه الإسلامي لتلك العلوم ، فهم يشيرون إلى أن تلك العلوم بنتائجها ومناهجها تملأ الساحة اليوم ، وجيوش الخريجين الذين يشغلون معظم مواقع العمل في مختلف جوانب الحياة ، قد تم تعليمهم وفق النموذج التقليدي لهذه العلوم ، وهم يمارسون أعمالهم وفق هذا النموذج ذاته ، ولا يعقل أن نبدأ في محاولة التعامل مع هؤلاء الذين يتخذون القرار اليوم في كل جوانب الحياة عن طريق لفتهم بشدة إلى منطلقات جديدة تماما عليهم ، وليس من العدل أن نطالبهم بالسير في طريق التأصيل "وفق الاتجاه الأول" في اتجاهات لم يألفوها ويصعب عليهم الارتباط بها معتمدين في ذلك على استثارة مشاعرهم وشئونهم الدينية ، وإنما مقتضى الإنصاف أن نبدأ تدريجياً من حيث يقفون اليوم ، ومن المصطلحات التي ألفوها لكي تنتقل معهم في الاتجاه الصحيح بما يتمشى مع اتضاح منهج التوجيه الإسلامي وبما يتمشي مع ظهور ثماره .

ثم إن أصحاب هذا الاتجاه الثاني يشيرون أيضاً إلى أننا على كل حال لا نبدأ نقد نتائج هذه العلوم الاجتماعية الحديثة ومناهجها من فراغ ، ولكن هذه العلوم قد وصلت تلقائياً ومن خلال التصحيح الذاتي للعلم إلى شئ من النقد من الداخل لهذه النتائج والمناهج كما تقدم ، والكثيرون ممن أفنوا أعمارهم في تعلم تلك العلوم وتعليمها لديهم الكثير مما يندرج في إطار هذا النقد ـ من ـ الداخل ، وأن من الخير أن ننطلق من مثل تلك البصائر التي تشير ـ ومن عجب ـ في كثير من الأحيان إلى ما يقترب من الاتجاهات التي ينادي بها التوجه

---

(١) أبو حطب ، فؤاد (١٩٨٩) نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، بحث قدم في ندوة علم النفس ، التى نظمها المعهد العالمي للفكر إسلامي بالقاهرة ، ص ٩٢ . ١٥ـ ٤٤

(٢) أبو حطب ، فؤاد (١٩٨٩) نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، بحث قدم في ندوة علم النفس ، التى نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ، ص ص ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨.

الإسلامي "ولا تتوقف عندها بالطبع" وصولاً إلى ترشيد تلك العلوم بطريقتها ، وبما ييسر قبول التغيير ويتلافى أسباب المقاومة ، فالواقع أن التهجم على العلوم الاجتماعية دون تدقيق أو تمييز يؤدى إلى تردد الباحثين من أهل الجد والرصانة العلمية وتوقفهم عن قبول الكثير مما يمكن أن يقبل لولا ذلك التهجم .

**تعقيب : ـ**

لا يعدم من يتابع المناقشة السابقة أن يستشعر أن كل اتجاه من هذين الاتجاهين المتمايزين قد أصاب جانباً من الحق ، وإن جانبه الحق في بعض ما ذهب إليه المدافعون عنه ، وإذا كنا قد ذكرنا منذ البداية أن هذين الموقفين إنما هما بمثابة القطبين المتباعدين فإن علينا أن نتذكر احتمالات مبالغة أنصار كل اتجاه في إبراز الحجج المؤيدة لموقفه ضماناً لإبراز وجهة نظره وبيانها بقدر كاف من الوضوح : فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذين الموقفين إنما يقعان بالقرب من طرفي مقياس متدرج مزدوج النهايات (Continuum) فإن معنى ذلك أنه يندر أن نجد بين الباحثين اليوم من يلتزم بما يمكن أن نسميه بالصورة "النقية" المتطرفة لأي اتجاه من الاتجاهين ، والصورة الأكثر احتمالاً أن نجد أن مواقف الباحثين تقع في مكان ما بينهما ، بحيث تمتزج في تلك المواقف دائماً عناصر تنتمي إلى كل من الاتجاهين ولكن بدرجات متفاوتة .

ولعل أحد العوامل الفارقة بين نظر الفريقين كما رأينا يتمثل في النتيجة التى توصل إليها كل منهما في تقويمه لنتائج ومناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ، فأصحاب الاتجاه الأول يبدون وكأنهم يرون كل عيوب تلك العلوم وسوءاتها ، ولا يكادون يرون فيها خيراً أبداً ، كما يرون أن ما هو معيب في تلك العلوم متداخل ومختلط بما قد يكون فيها من صواب اختلاطاً شديداً لا يمكن معه عزل الغث من السمين ، ويرون أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الافتراضات الوجودية (الأنطولوجية) والافتراضات المعرفية (الابستمولوجية) التى بني عليها المنهج والتى تشربت بها النظريات معيبة ، وبالتالي فإن كل ما بني عليها معيب ، وإن أي محاولة لاستنقاذ أي خير منها محكوم عليها مسبقاً بالفشل ، بينما يرى أصحاب الاتجاه الثاني أن في هذه العلوم نضجاً وخيراً كثيراً ، وأن الغرب قد استخدم نتائجها بنجاح لتحقيق أهدافه وفق تصوراته ، وأنه يمكن بسهولة عزل العناصر المخالفة للتصور الإسلامي واستبعادها ثم استبدالها بما يناسب ذلك التصور ، ويرون في الضبط والاتساق المنهجي الذي تلتزم به الكثير من الدراسات الواقعية نماذج تحتذى لا يمكن أن يفرط فيها إلا غافل .

وفي كل من المقالين حق لا مراء فيه كما ذكرنا، وإن كان في كل شئ كثير من المبالغة ، ويبدو لنا أن الحق يكمن بين هاتين النظرتين إذا أعرضنا عما فيهما من مبالغة ، وبلغة أخرى فإن الصواب يبدو لنا في التوازن بين الاتجاهين بشكل إيجابي ، يرى ما في العلوم

الاجتماعية الحديثة من خير على حقيقته دون زيادة أو نقصان ، ويرفض رفضاً قاطعاً ما يشوبها من أخطاء ، وإن كان في الوقت ذاته لا يتحرج عن قبول ما قد يكون فيها من خير دون تردد .

ولعل هذه الدعوة إلى الوسطية والاعتدال والنصفة في النظر إلى الأمور أن تكون أولى بنا وأن نكون أولى بها في مواجهة مثل هذه القضية البالغة التعقيد والبالغة الأهمية في آن معاً، إن ما نحن بصدده اليوم لا يقل عن أن يكون محاولة لاستعادة مسار أمتنا على طريق الحق ، وأن يكون دعوة إلى عودة معارفنا إلى منهج العلم بمعناه الإسلامي الصحيح ، منهج وحدة المعرفة المبنية على وحدة الخلق ، والمستمدة جميعاً من عقيدة وحدانية الخالق .

## المبحث الثالث : نحو منهج متوازن للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية:

إن ما نقصده بالمنهج المتوازن الذى نحاول التزامه في هذا البحث هو ذلك المنهج الذى يأخذ من المناهج الأصولية بقدر الحاجة إليها وصولاً للفهم المنضبط لنصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة فيما يتصل بشئون الإنسان والمجتمع ، كما يأخذ من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة بقدر الحاجة إليها فيما يتصل بفقه الواقع الاجتماعى والإنساني دون تجاوز أو صدود ، وبهذا يوضع كل من النوعين من المناهج في أفضل موضع يمكننا من إنتاج علم اجتماعى واقعى مهتد بنور الوحى وموجه بتوجيهاته . ولكن هناك عدداً من الأسئلة التى ينبغى طرحها هنا وهى : هل سيتم استخدام المناهج الأصولية بنفس أسسها ومنطلقاتها الحالية ؟ وهل سيحقق استخدام تلك المناهج الآمال المرجوة منها في إنشاء هذا العلم الاجتماعى الإسلامي ؟ وإذا كان كذلك ، فلماذا لم تنتج تلك المناهج علماً اجتماعياً إسلامياً حقيقياً من قبل هذا كجزء لايتجزأ من (الفقه) أو أي من علوم الشريعة الأخرى ؟ ومن جهة أخرى هل سيتم استخدام منهج البحث العلمى المستخدم حالياً في العلوم الاجتماعية بنفس أسسه ومنطلقاته الحالية ؟ وهل سيحقق ذلك الآمال المرجوة في إصلاح هذه العلوم في ضوء التوجيه الإسلامي الصحيح ؟

إن من الواضح أن استخدام كل من النوعين من المناهج لإنتاج العلم الاجتماعى الإسلامي سيتطلب تعديلات تجرى في منظور كل منهما ، إذا أردنا أن نواجه أنفسنا مواجهة صريحة في هذه القضية ، فإذا كنا كما يقول الدكتور / طه العلوانى (١٩٨٨)[(١)] .

لانرضى بأن يكون مصدر معارفنا كلها هو (الوجود) وحده كما يفعل علماء الغرب، وإذا كنا قد انتهينا إلى ضرورة ضم (الوحى) ليكون مصدرنا الآخر للمعرفة ، فلابد من منهج يتعامل بكفاءة مع هذين المصدرين من مصادر المعرفة (الوحى والوجود) وإذا

---

(١) العلوانى ، طه جابر (١٩٨٨) : إسلامية المعرفة : محاضرات دورة استراسبورج (المعهد العالمى للفكر الإسلامي بالقاهرة) ص٤٩ .

كانت لنا ملاحظات على المنهج الغربى المعاصر للتعامل مع الوجـود ، وإذا كـانت لنـا أيضـاً ملاحظات على منهج الأصوليين ، فإن علينا أن ننظر في هذه المناهج جميعاً لنرى ماهو صـالح ومايمكن توظيفه منها ، (وما تحتاجه المساحات الخالية ، لنضفيه إلى تلك المناهج) .... لكـى يتكامل عندنا المنهـج العلمـى مـع المنهج الأصولى فتسـد الفـراغ الـذى لم يسـد في الظـاهرة الاجتماعية والإنسانية . وسنحاول فيما يلى أن نسـتجلي أبعـاد هـذه القضـية تمهيـداً لعـرض منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية المنطلق من هذا المنظور في المبحـث التـالى ، بـادئين أولاً بالنظر في مناهج علم أصول الفقه ثم ثانيا بالنظر في مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة .

## الموقف من المناهج الأصولية :

يحذرنا الدكتور العلوانى - وهو من المتخصصين البـارزين في العلـوم الشـرعية - مـن الظن بأن إجراء بعض تعديلات طفيفة على منهج الأصوليين يمكـن أن يجعلـه منهجـاً صـالحـاً لكل القضايا ، فالظاهرة الاجتماعية والإنسـانية يستحيل أن نتعـامل معهـا كمـا نتعـامل مـع القضية الفقهية ... فلا يمكن أن ندعو إلى إهمال سائر المناهج والاقتصار على المنهج الأصولى كما هو وبوضعه الحالي ، لأنه منهج لن يلبي الحاجة المطلوبة ، وإنما نقول مادام لنـا مصـدران للمعرفة (الوحى والوجود) فلابد لنا من منهج يجمع بـين الاثنـين ، بـين المنهـج العلمـى وبـين منهج نريده للوحى ، فالأصوليون قرروا هذا المنهج وفيه مافيـه ... وكـثير مـن قضايـاه قابلـة للنقض والأخذ والرد .. ولكن من الممكـن تطويـره ليكـون منهجـاً للوحـى الـذى سيتناول ظواهر اجتماعية وظواهر إنسانية[1] .

وقد أوضح الدكتور العلوانى ضمن ماعرضه في سلسـلة مـن المحـاضرات القيمـة التـى ألقيت في ستراسبورج (١٩٨٨) . أنه من الصعب مدّ منهج أسّس في الأصل لمعالجة الظـاهرة الفقهية وهى ذات صفة خاصة تتسم بالجزئية في الغالب ، لكى يكون صـالحاً لمعالجة الظـاهرة الاجتماعية أو الإنسانية التي يـراد أن تكـون معالجتهـا متصفـة بـالتعميم ، كمـا أن الظـاهرة الفقهية المطلوب منها تبين الحكـم الشـرعى التكليفـى أو الوضعـى (معنـاه في علـم الأصـول ماوضعه الشارع من أمارات لثبوت أو انتفاء) أما الظاهرة الاجتماعية والإنسانية فـنريد منهـا أن نتبين القوانين والسنن وشبكة العلاقات التى يمكن على ضوئها أن نقيم نظاماً صـالحـاً .. . لا أتوقع أن أصول الفقه في وضعه الذى أعرفه قادر على أن يستجيب لهذه الحاجة[2] .

---

(١) العلوانى ، طه جابر (١٩٨٨) إسلامية للعرفـة : محاضرات دورة إستراسبورج (المعهـد العـالمى للفكـر الإسلامي بالقاهرة) ص٥٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٩ .

أما عن الملاحظات التى يشير إليها الدكتور / العلوانى (بطريقة النقد –من– الداخل باعتباره متخصصاً في العلوم الشرعية) حول منهج أصول الفقه ، والتى يرى أنها تَحُدّ من فاعليته في تحقيق المأمول من وراء بناء مناهج العلوم الاجتماعية على غراره فيمكن إجمالها في ثلاثة :

١ ـ أن تعريف الأصوليين للاجتماع وبيانهم لحقيقته (أفقد هذا الدليل معناه) إذ قالوا: إنه اتفاق جميع مجتهدى أمة محمد في عصر من العصور على أمر من الأمور ، وهذا أمر يستحيل تحقيقه ، رغم أن الاجماع دليل من أفضل الأدلة ، وقد كنا نريد أن نستخدمه دليلاً يمكن أن يغطى مساحة من المساحات الخالية[1] .

٢ ـ تجميد العقل وإفقاده أهميته كدليل نتيجة لكثرة القيود والضوابط التى وضعت عليه بسبب ظروف استثنائية نتجت عن انفصال علماء الأمة عن قيادتها السياسة وعدم ممارستها للحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ولما حاولت القيادة السياسية الاستعانة بعناصر فقهية لاتثق فيها الأمة فقد حاولت الأمة الدفاع عن (فقهها وتشريعها وعن دينها بأن تقول: إما أن تأتونى بنص من الكتاب والسنة ، وإما أن تأتونى بأقوال إمام من الأئمة السابقين..)[2] . مما أدى إلى إفقاد العقل المسلم لفاعليته .

٣ ـ كما أن الاجتهاد أيضاً قد تمت معاملته معاملة الإجماع ، فشروط الاجتهاد بالطريقة التى وضعها الأصوليون يستحيل معها أن تجد مجتهداً[3] .

ويقرر الدكتور العلوانى أنه لابد من إعادة النظر في الاجتهاد ليكون مفهومه هو المفهوم الذى ينسجم مع مقاصد الإسلام ، والذى يمكن أن نتعامل به مع الظواهر المختلفة آنذاك ، ربما يكون لدينا فقه مّن نوع آخر ، ليس الفقه في الأحكام الجزئية الشرعية المعروفة، وإنما فقط نستطيع أن نسميه فقه الواقع ، فالدراسات الاجتماعية المختلفة تعد نوعاً من فقه الواقع .. وينعى الفقيه الناقد في محاضراته القيمة على الفقهاء إهمالهم فقه الواقع واقتصارهم على الفقه اللغوى ، فالحكم الشرعى خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين (إما بالطلب) أو التخيير ، وأن أركان الحكم : حاكم وهو الله سبحانه وتعالى .. ومحكوم عليه وهو المكلف الإنسان به ، وهو الحكم ، ... في فقهنا درسنا الحكم وعرفنا .. ولكن المحكوم عليه هو الإنسان ، طبيعته ، قوته ، ضعفه عندما نتحدث عن رفع الحرج ، وعن التكاليف ، وعن سد

(١) المصدر السابق : ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٤ .

الذرائع ، وعن المصلحة ، وعن الاستحسان ، هذه كلها لانستطيع أن نعرفها دون أن نتعرف على هذا المحكوم عليه الذى هو الإنسان فرداً أو أسرة أو دولة أو قيادة[1] .

ويضيف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان (١٩٩٠) . في نفس الاتجاه أن (العقل المسلم والمنهج الأصولى قد قدما للإنسانية تراثاً وفكراً حضارياً غير مسبوق أضاء حلكة الأفق الإنسانى كله ، ولكن مع تعاظم الهوة بين الغاية الإسلامية والالتزام الإسلامي ، ضعف الأثر الإسلامي .. واليوم فإن جوهر أزمة هذه الأمة إنما ينبع من الجهود والقصور والتدهور الذى ألم بمنهجية فكرها الإسلامي ، مما أدى إلى تدهور قدراتها[2] ، ولعل هذا كله يشير من جهة إلى أنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، أى بمنهج أصولى مستجيب بجرأة وفاعلية لحاجات الواقع المتغير ، سائر في حدود التوجيه الإلهى ومنضبط به، بما لا يترك مجالاً لمساحات خالية من حياة المجتمعات المسلمة تغيب عنها شمس المنهجية الإسلامية الحية تملأ بغثاء من إفراز العقول البشرية غير المهتدية بنور الوحى وغير المنضبطة بضوابطه . كما أن هذا كله يشير من جهة أخرى إلى حاجتنا الماسة إلى جهود جهابذة المتخصصين في المناهج الأصولية ممن لديهم القدرة والكفاءة وممن يدركون هذه الأبعاد الكبرى للقضية ، وممن يستطيعون النظر في الكيفية التى يمكن بها أن تستجيب تلك المناهج للقضايا الكلية الأوسع التى تهتم بها العلوم الاجتماعية ، حتى تتكامل بهذا علوم الإسلام ، بما يخدم الأمة وحاجاتها وبما يعينها على النهوض من كبوتها .

## الموقف من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة :

لقد لخص الدكتور عبد القادر هاشم رمزى (١٩٨٤ ب) . موقف المنهج العلمى للبحث في الدراسات الإنسانية وآثار اتباع هذا المنهج (المستمد من مناهج البحث في العلوم الطبيعية) على المجتمعات الإنسانية تلخيصاً جيداً حين أشار إلى عدم ملاءمة تلك المناهج للدراسات الإنسانية ، وإلى أن هذه الدراسات المنصبة على الإنسان والمجتمع نتيجة لذلك غيرت اتجاهها ، وتشعبت موضوعاتها وفروعها بشكل لم تعد معه إيجابية أو علمية .. كما اختلطت فيها الحقائق بالأوهام اختلاطاً جعلها عاجزة عن سد الفجوة الثقافية ، بل جعلها أضعف وسيلة في مجال الحفاظ على توازن المجتمع الإنسانى وإيقاف التراجع الثقافى أمام التفجير المعرفى والتطور التكنولوجى ...[3] ، وتلك أحكام لايمارى في صدقها ومطابقتها لمقتضى أحوال الأمم اليوم إلا مكابر ، فالمجتمعات المعاصرة التى قعدت زمناً تنتظر الهداية في

---

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٢) أبو سليمان عبد الحميد (١٩٩٠) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي ، الخرطوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ص ١٠٨ ، ١١٣.

(٣) رمزى،عبد القادر هاشم (١٩٨٤ب) الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية، الدوحة:دار الثقافة ص ٦٢.

فهم النفس الإنسانية على أيدى أمثال سجموند فرويد ، وفي تربية أبنائها في ضوء حكمة أمثال دكتور سبوك ، وفي بناء حياتها الاقتصادية والاجتماعية على أيدى أمثال آدم سميث وكارل ماركس لم تبؤ على أيدى هؤلاء وقرنائهم إلا بالخسران المبين الذى تصرخ به أحوال المجتمعات المعاصرة وما تفيض به من حياة الناس فيها اختلالات ومظالم ، تبدو مظاهرها على مستوى الأفراد كما تبدو على مستوى المجتمعات وعلى المستوى الدولي .

إن باستطاعتنا أن نميز بوضوح عاملين جوهريين يمكن النظر إليهما على أنهما من أهم أسباب الضعف والقصور في العلوم الاجتماعية المعاصرة ، يتصل أولهما بالمنهج ويتصل الآخر بطبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية (كما ألمحنا من قبل) فأما من جهة المنهج فإنه من المعلوم أن الفلسفة الوضعية التى دعا إليها أوجيست كونت وأشاعها ، قد قامت على نظرية مادية بحتة للوجود وللإنسان ، تعكس التصورات التقليدية لعلم الطبيعة ولفلسفة العلم المرتبطة بها في القرن التاسع عشر ، كما استهدفت في الوقت ذاته قطع كل صلة للعلوم الاجتماعية بالدين ممثلاً في الكنيسة ، لإبعاد تأثير المعتقدات الخرافية عن مجال العلم ، فلم تعترف الوضعية بغير معطيات الحس سبيلاً للمعرفة ، مما أثمر في النهاية علوماً اجتماعية تقف على ساق واحدة ، أجهدت نفساً إجهاداً شديداً في دراسة ماهو مادى بدنى في الإنسان ، وأغفلت أو تجاهلت الجانب الروحى غير المادى الذى ينتمى إلى عالم الغيب ، فلما أهملت مصدر المعرفة بالغيب ألا وهو الوحى ، فإنها قد ضلت فأضلت أجيالاً متعاقبة من البشر ممن أحسنوا الظن بتلك العلوم التى حسبوا أنها على شئ نتيجة لادعاءاتها المتواصلة .

ولقد أشرنا تفصيلاً في موضع آخر (رجب ، ١٩٩١)(١) . إلى أن الاكتشافات الحديثة في علم الطبيعة على أيدى أنشتاين وهايزبرج قد أطاحت بتلك النظرية المادية التقليدية للعلم ، وإلى أن هذه الاكتشافات قد ترتب عليها مراجعة جذرية في اتجاهات فلسفة العلوم خلال العقود الأربعة الأخيرة ، مما أسفر عن ظهور الوجهة الجديدة في العلم (The New Paradigm) كثورة على الوضعية الإمبيريقية التى لاتزال هى الأساس الفلسفى الذى يقوم عليه بناء العلم التقليدى إلى يومنا هذا . وهذا التحول في نظرية المعرفة الحديثة ، وفي المنهج العلمى الجديد في دراسة الظواهر الإنسانية يفتح الباب على مصراعيه أمام مشروعية الإفادة من مصادر للعلم متجاوزة لمعطيات الحس ، وهى عندنا ليست شيئاً آخر إلا وحى السماء وهدى الله على الوجه الذي قامت عليه حضارة الإسلام في عصرها الزاهر الأول ، حيث يمد الوحى الإنسان بالأطر التصويرية العامة ولكنه يطالب الإنسان في الوقت ذاته باستخدام الحواس والعقل في اكتشاف سنن الله في الأنفس وفي الآفاق في تناغم تام ووحدة كاملة .

---

(١) رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمى للبحث من وجهة إسلامية . ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهدالعالمى للفكر الإسلامي بالقاهرة .

وأما من جهة النظر إلى طبيعة الظواهر الاجتماعية الإنسانية فإن أخطر الأخطاء التى وقعت فيها العلوم الاجتماعية الحديثة هي الظن بأن دراسة الواقع الفردى أو الاجتماعى أو دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية على الأشكال والصور التى تتبدى بها في المجتمعات موضوع الدراسة يمكن أن يكون منطلقاً للفهم الموضوعى للإنسان والحياة الاجتماعية ، ويكمن الخلل الخطير في هذا المنطق فى التغافل عن قضية المعيارية التى هى جزء لايتجزأ أبداً من الوجود البشرى في كل صوره (وإن لم تكن لازمة لدراسة الوجود المادى الذى تتعرض له العلوم الطبيعية بالدراسة) .

إننا إذا تأملنا طبيعة الإنسان الفرد من جهة وطبيعة المجتمع الإنسانى من جهة أخرى ، فإننا ندرك على الفور أن من المستحيل بناء علوم اجتماعية على أساس الملاحظة الخارجية والتجربة التى تنصب علي ماهو واقع وكائن وحده ، لأن ماهو واقع وكائن لايمثل في ذاته ناموساً أو قانوناً اجتماعياً ، وإنما هو يعتبر بمجرد وصف لمحصلة الاختيارات المحددة التى اختارها البشر تحت ظروف معينة ، ولو أن نفس أولئك البشر قد اتخذوا لهم أطراً مرجعية مختلفة ، فاعتقدوا مثلاً بديانة ، أو التزموا أيدلوجية أخرى لاتخذ واقعهم وما هو كائن فيهم صورة واقعية مختلفة ، وهنا يدخل في الصورة ما ينبغي أن يكون - أى العنصر المعيارى - لأنه بدون الجانب المعيارى يكون كل شئ مساوياً لكل شئ دون وجود نقطة بدء يقاس إليها كل شئ ... وليس هذا إلا العقيدة الصحيحة (وليس أى عقيدة ، فالقضية ليست نسبة مطلقة أيضاً ، ولكنها نسبة موحدة ترد كل شئ إلى مصدر كل الخير في هذا الوجود وترتبط به - سبحانه جل شأنه -) التى تكون بمثابة القطب الشمالى للبوصلة الذي ينسب إليه كل الاتجاهات ، فيصبح لكل شئ معنى بعد أن كان لامعنى له في ذاته .

فإذا كان المولى - سبحانه وتعالى - قد عرفنا أنه قد خلق الإنسان قادراً على السير في أى من الاتجاهين ﴿ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها﴾(١) ، فكيف يمكن لنا أن نتخذ من هذين الاتجاهين (أو بالأحرى هذه الاتجاهات) أساساً يقاس به نفسه إلى نفسه ؟ إن هذه النسبة المطلقة التى تترتب - لامحالة - على الأخذ بالتوجيهات الحالية للعلوم الاجتماعية هي ولاشك أساس للضياع الذى تعانى منه البشرية اليوم في حضارة تعبر عن نفسها (حضارة العلم) .. ولايقصد أصحاب التسمية بذلك فقط العلم الطبيعى بل أيضاً العلم الاجتماعى . ولكن المولى - جل شأنه - أبت حكمته أن يتركنا هملاً دون هدى أو رشد ، فالآيات الكريمة التالية لتلك التى حددت تلك الطبيعة الأصلية المتكافئة للإنسان تأتى لتبين لنا مباشرة ماهية القطب الشمالى ، أى المعيار الذى يمكن بالقياس إليه تحديد الاتجاهات ﴿قد

---

(١) سورة الشمس آية ٨ .

أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها﴾(١) ، وطريقة التزكية بعد ذلك موضحة تفصيلاً في آيات الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، وعليها يقاس السلوك الفردى معيارياً ، وبها يتحدد الاتجاه .

ونفس النتيجة نصل إليها بمراجعة الموقف على المستوى المجتمعي ، فالعلوم الاجتماعية أيضاً تزعم أنها تقوم بدراسة ما هو كائن وواقع في المجتمعات البشرية ، ولكنها أيضاً لا تملك نقطة البداية ـ لا تملك قطباً شمالياً تقاس إليه بقيه الاتجاهات ـ فهل يمكن والحال كذلك أن تصل تلك العلوم إلى نتيجة ذات بال؟ يقول الدكتور عبد القادر رمزى (١٩٨٤ب) . في تقويمه للنظرية التفاعلية في علم الاجتماع (وهى لا تختلف في هذا عن غيرها من نظريات علوم المجتمع) إنها لاتطرح أية وجهة نظر من خارج المجتمع ، بل هى تتلمس الأحوال والأوضاع الاجتماعية ، وتستنتج بعض الاستنتاجات المشروطة بهذه الأوضاع والأحوال وتسميها قوانين التفاعل الاجتماعى ، وتواصل الدراسة والاستنتاج والتعميم على مختلف المجتمعات . ولكن الرؤية الإسلامية ـ نظراً وعملاً ـ تقوم على ماترسمه الرسالة الإسلامية التى تضع دعائم المجتمع ، وتصبح مكوناته الأفكار والمشاعر والأنظمة والناس والقيادة "الدولة" بالصبغة المهتدية ، وترسى قواعد الأفكار والعلاقات والمعاملات ... في حركة متسامية متجهة نحو استخلاف الإنسان في الأرض(٢) .

ويضيف الدكتور رمزى أن المنظور الإسلامي في إطار هذا الفهم إنما يتمثل في بلورة مكونات المجتمع في ضوء النصوص ، واستخلاص المفاهيم الأساسية المتعلقة بالعملية الاجتماعية التربوية التى يفترض فيها أن تجسد منهاج الرسالة الإسلامية ، أى أن تكون العملية هداية للمجتمع وللفرد ، وعليه فإن الرؤية الإسلامية لا تنشغل أو لاتهتم بتشريح عمليات التفاعل في المجتمعات غير المهتدية ، بل ينصب اهتمامها على رعاية الإيمان وعلى عملية الهداية ومايتعلق بهما ، كما أنها لاتأخذ من المجتمع بل تقدم له ماترفعه به إلى مستوى الاهتداء دون أن يكون مايريده هذا المجتمع أو ما يرتضيه أو ما يعيشه مقياساً أو مصدراً للأخذ(٣) .

وفي ضوء التحليل السابق يتبين لنا أن منهجية العلوم الاجتماعية الحديثة وإن كانت لازمة بالضرورة كأحد المكونين الرئيسين لمنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، إلا أن هناك تعديلات جوهرية لابد من إحداثها في تلك المنهجية وفي النظرية المعرفية التى تستند

---

(١) سورة الشمس آية ١٠ .

(٢) رمزى ، عبد القادر هاشم (١٩٨٤ ب) الدراسات الإنسانية فى ميزان الرؤية الإسلامية (اللوحة : دار الثقافة) ص ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

إليها إذا أردنا لها أن تحقق ما هو متوقع منها من فائدة في بناء علم اجتماعي إسلامي صحيح، وأول تلك التعديلات يتمثل في إفساح المجال لدراسة عالم الغيب المتضمن في الجانب الروحي للإنسان بالرجوع إلى المصدر الأساسي للمعرفة فيه ألا وهو الوحي دون الاقتصار التقليدى على عالم الشهادة وعلى شهادة الحواس ، وأما ثانيها فيتصل بالنظرة إلى طبيعة الإنسان والمجتمع الإنساني من حيث أنهما ـ بطبيعتهما ـ لا تجدي فيهما دراسة ما هو كائن وحده وإنما لابد لفهم سلوكهما من تعدي ذلك إلى الانطلاق من بعد معياري ، بشرط أن يكون لهذا البعد المعياري صدق تجاوزي (Transcendent) ، أي أن يكون مصدره مصدراً متعالياً عن البشر ، وأن يكون سند وصوله إلينا سنداً صحيحاً موثقاً بعيداً عن التزييف والتحريف .

وتبقى قضية أخيرة : هل يعني تأكيدنا على هذا الجانب المعياري باعتباره جوهر معنى الحياة النفسية للأفراد والحياة الاجتماعية للمجتمعات أن نبالغ في الأمر حتى ينكر البعض أنه توجد في الوقت ذاته أوجه للانتظام (Regularities) في حياة الأفراد والمجتمعات يمكن دراستها دراسة وصفية وصولاً إلى تعميمات تنطبق على واقع الناس بصرف النظر عن الإطار المعياري الذي تمارس الحياة الفردية أو الاجتماعية في ضوئه ؟ الحق أنه لا يمكن إلا لمكابر أن ينكر وجود تلك الانتظامات في السلوك الفردي والتنظيمات المجتمعية "التي لا يمكن بدونها أن توجد حياة إنسانية منظمة ، ولا يمكن بدونها أيضاً فهم تلك الحياة" فالتعميمات التي توصلت إليها العلوم السلوكية حول الوظائف العقلية كالإدراك والتذكر والتعلم ، وكذلك التعميمات التي توصلت إليها العلوم الاجتماعية مثلاً حول عمليات الاتصال والتأثير الجماعي، تعبر عن مثل هذه الانتظامات ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو عن مدى الأهمية النسبية والقيمة الحقيقية لدراسة مثل هذه الانتظامات التي تظهر كثيراً ولاشك في ألوان مختلفة من السلوك الفردي والمجتمعي ، والتي يمكن بالفعل دراستها دراسة وصفية تقريرية واقعية ؟

إننا إذا أمعنا النظر في هذه الانتظامات التى تمتلئ كتابات العلوم الاجتماعية بالإشارة إليها على أنها بؤرة اهتمام الدراسة فيها ، لوجدناها لاتخرج في حقيقة الأمر عن مجموعة من الآليات أو الميكانزمات ذات الطبيعة المحايدة التى يمكن استخدامها وتوجيهها لتحقيق ما يختاره الناس من خير أو شر، ولكن مشكلة العلوم الاجتماعية المعاصرة أنها تشير إلى تلك الآليات على أنها تمثل الصورة الكلية للحياة البشرية بسبب ماهو ملاحظ من تداخلها المضطرد في كل جوانب السلوك الفردى أو المجتمعى ، ولكن هل يمكن لمن يفهم هذه الآليات أو الميكانزمات وحدها دون أى صلة بالأنساق المعيارية المحملة فوقها أن يفهم كلية الحياة البشرية ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لايمكن إلا أن تكون بالنفى القاطع .

إن المجتمعات البشرية لايمكن أن تنحصر توقعاتها من العلوم الاجتماعية في الوقوف عند تلك الآليات أو الميكانزمات المحايدة وحدها ، مهما بدا لذلك من وجاهة علمية شكلية، ولكنها تنتظر أن تساعدها تلك العلوم على فهم السلوك الفردى والتنظيمات المجتمعية

وإضفاء المعنى عليها بما يعين على تحقيق أهداف الإنسان ، ولقد كان مقتضى الأمانة العلمية أن تضع العلوم الاجتماعية الصورة كاملة أمام تلك المجتمعات ، وأن تبين الحجم الحقيقى والقيمة الحقيقية للجوانب الوضعية من تلك العلوم فتضعها موضعها الصحيح ، وتضع المجتمعات أمام مسئولياتها فيما يتصل بخطورة اختياراتها فيما يتعلق بالجوانب المعيارية ، ولكن الأمر جاء على العكس من ذلك ، حين أسهمت نظريات العلوم الاجتماعية بشكل نشط في تسريب الأطر المعيارية التى اختارتها وفق الظروف التاريخية والجغرافية التى أثرت على تكوينها ـ وهى أطر إلحادية مادية عند معظم مؤسسى تلك العلوم كأوجيست كونت واميل دوركايم ـ إلى حياة الناس تحت ستار العلم الوصفى التقريرى الذى يصف ويحلل ماهو كائن بشكل موضوعى محايد ...!

## التكامل بين المنهج الأصولي والمنهج العلمى الاجتماعى :

لقد انتهينا فيما سبق إلى أن منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يقوم على جناحين هما استخدام المنهجية الأصولية (في صورة أكثر سعة) ومنهجية العلوم الاجتماعية الحديثة (في صورتها المعدَّله) ، وصولاً إلى علم اجتماعى إسلامي ناضج ، بحيث تنصب الدراسة في تلك العلوم على الوجود الإنساني الكلي الذى يضم عناصر تنتمى إلى عالم الغيب كما يضم عناصر تنتمى إلى عالم الشهادة ، وتتكامل فيه مصادر المعرفة لتشمل الوحى ، كما تشمل معطيات المشاهدة الحسية ، وكذا عمل العقل (المنضبط بضوابط الوحي) ، ولكن السؤال المهم الآن هو كيف يمكن أن يتحقق هذا التكامل ، وماهى الصورة الواقعية التى يمكن أن يتخذها والتى يمكن أن ينطلق منها المشتغلون بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية فيما يبذلونه من جهود لتطوير وبلورة أبعاد هذا العلم الاجتماعى الناضج الذى نصبو إليه ؟

لقد قدمنا في غير هذا الموضع (رجب ، ١٩٩١) (Ragab, 1993)(١) . محاولة لوضع استراتيجية لإيجاد التكامل المنهجى بين حصيلة مانستنبطه من المصادر الشرعية باستخدام المناهج الأصولية ، وبين مانتوصل إليه من الدراسة الواقعية للظواهر الإنسانية باستخدام مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ، ويمكن لمن شاء الرجوع إلى تلك المصادر تفصيلاً ، ولما كنا أيضا قد تعرضنا ـ في ثنايا المباحث السابقة ـ لبعض جوانب متفرقة تتصل بالموضوع ، فإننا سنكتفى في هذا المقام بتلخيص الأسس العامة التى نظن أنها تحقق هذا التكامل كأساس لمنهجية موحدة للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية .

إن الصعوبة الرئيسية التى تقابل الباحث في أسس التكامل بين مناهج ونتائج تنتمى – لظروف تاريخية– إلى مايشبه عالمين مختلفين (عالم العلوم الشرعية وعالم العلوم الاجتماعية) إنما تكمن في معيار الصدق المطبق في كل منهما ، فمعيار الصدق في العلوم الشرعية يتمثل في

---

(١) رجب ، ابراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) للنهج العلمى للبحث من وجهة إسلامية ، مصدر سابق .

صحة إسناد النصوص باستخدام منهج التحقيق التاريخي ، ثم في صحة الاستنباط من النصوص باستخدام منهج أصول الفقه ، أما معيار الصدق وفقاً للمنهجية العلمية الاجتماعية فهو مطابقة النتائج لما يشاهد في الواقع المحسوس باستخدام الملاحظات والتجارب .

ولعل أول خطوة لتقريب هذه الفجوة بين المنظورين تتمثل فيما سبق أن أشرنا إليه من ضرورة توسيع نظرة كل من المنهجين لحدوده وجوهر رسالته ، بحيث يتجه علم أصول الفقه لإعطاء مزيد من الاهتمام لما كان في الماضى يعتبر من الأصول الفرعية الأقل أهمية كالاستحسان والمصلحة المرسلة . بما يمكن من تخطي (النظر الجزئى إلى النظر الكلى ... في ضوء ماتمليه روح الشريعة الشرعية)[1]. وذلك يساعد على تغطية المساحات الخالية التى تتصل بالأمور الاجتماعية والسياسية التى تهم الناس ، في الوقت الذى يتجه فيه المنهج العلمى للبحث في العلوم الاجتماعية إلى إعطاء مساحة أوسع لدراسة النواحي الروحية والاعتقادية في تأثيرها على سلوك الأفراد وتنظيم المجتمعات ، مع تخطى النزعة الإمبيريقية الحسية وتجاوزها إلى الآفاق الرحبة للنظر للإنسان في كليته والنظر للواقع الفردى والاجتماعى في إطار النظرة المعيارية المنطلقة من التصور الموحد .

أما بوتقة التكامل بين النوعين من المناهج فإنها تتمثل في أنشطة (بناء النظرية) في العلوم الاجتماعية التى ينبغى أن تتم على أسس جديدة قديمة في آن معاً ! فالخط الذى التزمناه - والذى نعترف هنا بالانحياز إليه عن قصد - هو أن التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية يتطلب في حقيقة الأمر هدم كل ماسبقه والبدء من جديد ، بقدر مايتطلب النظر الناقد في ماهو متاح ومقبول ومتعارف عليه في المناهج والإجراءات والضوابط القائمة أولاً ، فإن وجد فيها مايغنى فبها ونعمت، وإن وجدت بحاجة إلى إصلاح جزئى فلا بأس بذلك أيضاً ، أما إن لم يوجد فيها مايصلح على الإطلاق فهنا وهنا فقط يكون المسوغ الحقيقى للبدء من نقطة الصفر دون تردد أو التفات إلى الوراء .

فإذا نظرنا في بناء النظرية من المنظور التقليدى بعين الإنصاف فإننا سنجد أن الأسس التى يقوم عليها تنتمى إلى الفئة الثانية المذكورة أعلاه ، بمعنى أن في تلك الأسس خيراً كثيراً، ولكنها مع ذلك بحاجة إلى عدد من الإصلاحات الجوهرية لكى تصبح قادرة على استيعاب المنظور الإسلامي القائم على التكامل بين الوحي والعقل والحواس ، فمن المعلوم للكافة أن بناء النظرية العلمية في العلوم الاجتماعية يقوم على المكونات الآتية :

١ - عدد من المشاهدات المحققة أو الحقائق (Facts, Observations) الجزئية التى تم التوصل إليها من خلال إجراء البحوث الواقعية (الإمبيريقية) التى تعتمد الحواس كوسيلة وحيدة للوصول إلى المعرفة العلمية .

---

(١) أبو سليمان ، عبد الحميد (١٩٩٠) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ، مصدر سابق .

٢ ـ عدد من التعميمات الواقعية (الإمبيريقية) (Empirical Generalizations) التى هى عبارة عن (علاقات ذات طبيعة عامة بين حقائق تم التحقق من صدقها بالمشاهدات الواقعية)(١) .

٣ ـ تفسيرات تربط بين تلك الحقائق والتعميمات الواقعية (الإمبيريقية) برباط منطقى، وينبغى أن يلاحظ أن (تفسير المشاهدات يستهدف ربط المشاهدات الحالية بالسابقة أو حتى بوقائع أو علاقات افتراضية)(٢) .

ويتفق من كتبوا في مجال (بناء النظريات) العلمية على الدور المهم الذى يلعبه خيال الباحث في التوصل إلى هذه التفسيرات بما يؤدى إلى إضفاء المعنى على الحقائق الجزئية والتعميمات المتفرقة لكى نصل إلى فهم الظاهر ، فروبرت دوبن مثلاً يقرر أن (كل النماذج النظرية إنما هي محاولة تخيلية من جانب المنظر لإعادة بناء شريحة من العالم المشاهد ، بهدف فهم ... ذلك القطاع المختار من العالم المحيط به ... فالخيار البناء يزيد من قدرة الإنسان على فهم العالم المشاهد(٣) .

ولكن هل معنى ذلك أن النظريات (العلمية) تستمر طويلاً في الاعتماد على التخمين وعلى خيال الباحث إلى مالا نهاية ؟ إن الخط الرسمى الذى تلتزمه العلوم الاجتماعية الحديثة في الرد على هذا السؤال هو بالنفى بطبيعة الحال ، ولكنك إذا سألتهم كيف إذن يبنى علم على ظن وتخيل ؟ فإن الرد الحاضر دائماً هو أن الباحثين يقومون ـ بعد إدخال هذه التفسيرات المبنية على خيال الباحث ـ بطريقة منظمة باستنباط فروض تستمد من تلك الأطر التفسيرية التى تضمها النظرية لكى يتم اختبارها في أرض الواقع المحسوس (الإمبيريقي) فإذا ثبت صدق هذه الفروض ـ أى مطابقة مضمونها للواقع ـ فإنها تتحول إلى مشاهدات محققة أو حقائق علمية ، وبهذا تزداد الثقة في النظرية وفي الأطر التفسيرية التى تتضمنها إلى أن تتحول إلى قانون علمى (وإن كان استخدام اصطلاح القانون لازال إشكالياً إلى اليوم في العلوم الاجتماعية) وأما إذا ثبت صحة الفروض فإن الثقة في النظرية وفي أطرها التفسيرية تتناقص ، ويجرى تعديلها بحيث تستوعب النتائج المحققة (الحقائق / المشاهدات) ولا تناقضها.

ومنهجية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية لاتحتاج إلى هدم هذا الفهم العام لبناء النظرية العلمية الاجتماعية ، ولكنها تقدم تحسينات جوهرية عليه في مواضع ثلاثة أساسية :

١ ـ بدلاً من الاعتماد على خيال الباحث أو على مجرد التخمين وحدهما في الوصول إلى أطر تفسيرية تضم الحقائق (أو المشاهدات المحققة) إلى بعضها لتعطيها معنى ، فإن التصور الإسلامي يقدم أطراً تفسيرية وفق ضوابط المنهجية الأصولية من الكتاب والسنة ، ولأن هذه

---

(1) Theodorson & Theodorson , 1969 : 130 .

(2) Ibid, P. 213 .

(3) Dubin , 1978 : 216, 221 .

الأطر مستنبطة من مصدر يقيني هو الوحي فإنها تكون ولاشك أرقى من مجرد الاعتماد على خيال الباحثين ، ثم لأنها تتضمن استنباطاً واجتهاداً بشرياً ستظل خاضعة لضمان الصدق الواقعي للاستنباط .

٢ ـ عدم الاكتفاء بالاعتماد في اختيار الفروض على مايسمى بالواقع المحسوس (الإمبيريقي) (Total Reality) الذى يضم ماهو محسوس وما ليس محسوساً في ذاته بسبب انتمائه إلى عالم الغيب (وهذا بطبيعة الحال يتطلب استخدام طرق غير مباشرة في مشاهدة نتائجه وآثاره).

٣ ـ يتم استنباط الجوانب المعيارية الموجهة للسلوك الفردى وللتنظيمات المجتمعية بالاعتماد على المصادر الشرعية باستخدام المناهج والقواعد الأصولية العامة ، بما يضمن أفضل اقتراب ممكن من تحقيق مقاصد الشريعة ، وتعتبر هذه الجوانب المعيارية مكملة ومتممة وموجهة للأطر النظرية التى تنطلق منها العلوم الاجتماعية الموصلة إسلامياً ، سواء تم اختبارها بطريق غير مباشرة ، أو قبل أن يتم اختبارها ، أو حتى دون أن يتم اختبارها إذا كانت قد روعيت في استنباطها الضوابط الصحيحة في الاستنباط ، وينبغى أن نراعى هنا ماهو متعارف عليه من أن ماهو معيارى بطبيعته لا يمكن اختباره في ذاته بالرجوع إلى الواقع لأنه مبنى على التفضيل والاختيار .

## المبحث الرابع : الإجراءات المنهجية للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية :

في ضوء ما تقدم فإننا سنقوم في هذا البحث بمحاولة لترجمة منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية إلى مجموعة من الإجراءات أو الخطوات أو العمليات المحددة التى يمكن للباحث أن يسير في ضوئها ، حال سعيه لتأصيل أحد موضوعات العلوم الاجتماعية أو حتى أحد فروعها ، ويلاحظ أن تناولنا للموضوع سيكون منطلقاً مما أسميناه (بالمدخل المتوازن) في النظر إلى منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، كما يلاحظ أننا نقصد ـ كلما كان ذلك ضرورياً ـ إلى صياغة بعض (القواعد) التى نعتبرها من مسلمات المنهج ، وإننا نبرزها في العرض لإعطاء الفرصة للقارئ لمعرفة الأرضية التى ننطلق منها ، ثم لنقدها أو الإضافة إليها ، بما يعين على وضوح الرؤية أمام الجميع ، وسيتم تناول الموضوع من خلال العناصر التالية :

١ ـ اختيار الإطار المرجعى الذى ينطلق البحث في البداية من مفاهيمه .

٢ ـ الاستنباط من المصادر الإسلامية .

٣ ـ الاستفادة من نتائج العلوم الحديثة .

٤ ـ إيجاد التكامل المنشود بين الأطر الإسلامية وبين النتائج الممحصة المستمدة من العلوم الحديثة.

٥ ـ اختبار وتطوير النظريات الموجهة إسلامياً .

وفيما يلى نتعرض لكل من هذه العناصر بشئ من التفصيل في حدود مايسمح به المقام .

## أولاً : اختيار الإطار المرجعى الذى ينطلق البحث في البداية من مفاهيمه :

يواجه الباحث في المراحل الأولى للتفكير في بحثه قضية مبدئية مهمة ينبغي عليه اتخاذ قرار بشأنها عندما يبدأ العمل ألا وهى : هل يبدأ بحثه منطلقاً من مفاهيم العلوم الاجتماعية الحديثة أم يبدأ منطلقاً عن مفاهيم العلوم الشرعية ومصطلحاتها ؟ وذلك بصرف النظر عما يكون في المراحل التالية بالضرورة من التكامل بينهما .

فعلى سبيل المثال هب أن متخصصاً في الخدمة الاجتماعية انتوى القيام بدراسة يحاول فيها استجلاء أبعاد موضوع كالرعاية الاجتماعية (Socail Welfare) فى ضوء المنهج المتوازن للتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية على الوجه الذى بيناه فيما سبق ، فإنه سيسأل نفسه هل يبدأ بحثه من المفاهيم الحديثة المألوفة في محيط المتخصصين فى مهنة الخدمة الاجتماعية ، فيستخدم في البداية مثلاً اصطلاحات كالرعاية الاجتماعية ، وظائف الرعاية الاجتماعية ، برامج الرعاية الاجتماعية ، تمويل الرعاية الاجتماعية ... ثم يمضى قدماً في تقسيم كل موضوع من تلك الموضوعات إلى عناصره بنفس الطريقة ، بحيث يستخدم كل اصطلاح بنفس المفهوم المشتق من الإطار المرجعى الغربى ، اعتماداً على أن المهم هو المحتوى الذى يوضع في كل فئة من تلك الفئات ، وهو محتوى سيتضمن في نهاية المطاف المضمون الإسلامي إلى جانب ماصح من التصورات الحديثة لمهنة الخدمة الاجتماعية ... وهكذا ؟

أم أنه سيرى أنه إن فعل فسيكون بذلك قد وقع ـ دون أن يقصد ـ أسيراً لفئات الفكر الغربى ذاته ، المنطلقة من افتراضات الوجودية والمعرفية (الأنطولوجية والابستمولوجية)، ويكون قد كبل نفسه بقيودها دون وعى منه ؟ وهل كان الأفضل أن يبدأ مباشرة بمفاهيم ومصطلحات إسلامية ضاربة بجذورها في التصور الإسلامي بدلاً من ذلك ؟ فيستخدم مثلاً مفاهيم كالتكافل الاجتماعى أو البر بدلاً من الرعاية الاجتماعية ، ومفاهيم موارد الزكاة ومصارفها والصدقات والهبات بدلاً من مفهوم التمويل ، ومفاهيم حقوق الوالدين الطاعنين في السن وحق الضعيف مثلاً بدلاً من خدمات رعاية المسنين ؟

وفي كل الحالات فإنه ستثور لدى الباحث تساؤلات مكملة عن مدى صحة نقطة البدء التى اختارها من الناحية المنهجية ، فإذا اختار مثلاً اصطلاح (الرعاية الاجتماعية) فمن يدريه أن الإسلام يتوقف عند حد مفهوم (الرعاية) . إن نظرة الإسلام للعلاقات بين

المسلمين ... أفرادهم وجماعتهم ، قويهم وضعيفهم ... هي نظرته إلى الأجزاء في جسد واحد وقد يكون مفهوم (الرعاية الاجتماعية) الذى نبت عند غيرنا يعتبر قمة الرحمة في المجتمعات المادية ولكنه لايكون كافياً في مجتمع مسلم يعيش التصور الإسلامى الصحيح ... وهكذا ، ومن جهة أخرى فإن الباحث إذا اختار مفهوم (التكافل الاجتماعى) - أو البر مثلاً فإنه لابد أن يسأل نفسه عن علاقة هذا المفهوم بالمفاهيم المقابلة (أو التى تبدو له كذلك) في التصور الغربي مثل مفهوم الاعتماد الوظيفي المتبادل (Functional Interdepen dance) أو مفهوم التكافل الاجتماعى (Social Integration) أو غيرها ... ، وتلك كلها أسئلة لها وجاهتها ، وقد يعنى التعامل الواعى معها الفرق بين الانعتاق من القيود الفكرية المستقرة في العقول وبين العبودية الفكرية التى لا ينتج منها شئ أصيل ، ولكنه قد يعنى أيضاً الفرق بين فكر إسلامي ناضج صحيح وبين التحنى ومراهقة الفكر وعدم التروى .

وعموماً فإننا سنقوم فيما يلى بتلخيص الجوانب المختلفة للموضوع في ضوء المثال السابق، حيث نبين باختصار المبررات التى يستند إليها كل من الخيارين المطروحين ، ونوضح التحفظات على كل منهما ، ثم نوضح الطريق العلمى الواجب اتباعه في المراحل التالية- أياً كان الخيار الذى يفضله الباحث في البداية :

**الخيار الأول :**

اتخاذ الفئات والتصنيفات المستمدة من العلوم الاجتماعية الحديثة كنقطة بداية للبحث:

١- المبررات : البدء من نسق من المفاهيم والمصطلحات المألوفة والمتفق على تعريفها بين الباحثين المتخصصين .

٢- التحفظات : الانزلاق إلى تبنى الأطر المرجعية للعلوم الحديثة دون وعى بمخاطر ذلك على عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية .

**الخيار الثانى :**

اتخاذ الفئات والتصنيفات المشتقة من الألفاظ القرآنية ، أو من منطوق الأحاديث النبوية ، أو من تصنيفات العلماء المسلمين المتقدمين كنقطة بداية للبحث :

**١- المبررات :**

أ - المصطلحات هنا تكون أقرب للإطار التصورى الإسلامي .

ب- المفاهيم مصدرها الأصلى يقينى (خصوصاً تلك المستمدة من النصوص قطعية الثبوت) بعكس المصطلحات ذات المصدر البشرى البحت .

**٢- التحفظات :**

أ- التعسف في تحميل الألفاظ القرآنية أو النبوية من المعانى مالا تحتمل أو مالم يقصد منها .

ب- صعوبة الربط فى المراحل الأولى من العمل بين المفاهيم والمصطلحات الشرعية والمصطلحات المستمدة من الإطار المرجعى الغربى المألوف لدى الباحثين .

جـ- الكتابة الموسوعية ذات الطابع الدعوى عند كثير من علماء المسلمين ، وصعوبة ترجمتها إلى أنساق تصنيفية محددة قابلة للاختيار الواقعي .

وعلى أى حال فإن الباحث ينبغى عليه أن يقوم في المراحل التالية لذلك الاختيار الأولى بالمراوحة الدائمة والترداد المستمر بين كل من الإطارين المرجعين (تصنيفات العلوم الحديثة - التصنيفات المستمدة من المصادر الشرعية) على أن يتم بوعي شديد ، وبإدراك كاف للتحفظات السابقة ، دون تعسف مع ترك الباب مفتوحاً دائماً لمراجعة الأنساق التصنيفية والمفاهيم في ضوء كل تقدم يحرزه الباحث في الفهم والربط ، وفي ضوء كل استبصار جديد يسفر البحث عنه ، ويتطلب ذلك : -

١- الانتباه إلى أي شعور بعدم الاتساق بين مجموعة المفاهيم المستقاة من العلوم الغربية أو العلوم الشرعية ، فتلك علامة على الحاجة إلى إعادة فحص الأطر المرجعية الأصلية التى بدأ الباحث منها وإعادة الاختيار بين المفاهيم .

٢- الانتباه إلى وجود فجوات بين المفاهيم بمعنى وجود مساحات من الظواهر التى لم يفلح نسق المفاهيم المستخدم في تغطيتها ,وعجز الإطار المرجعي عن تغطية كافة نثات الظاهرة بشكل مقبول.

٣- التحلى بالجرأة العلمية على تجاوز الأنساق التصنيفية التقليدية في العلوم الاجتماعية كلما ظهر سبب جوهري وأصيل يدعو لذلك ، بشرط إمكان تبرير ذلك منطقياً دون تعسف أو تجن ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾(١) .

٤- التخلى عن إغراء "الاقتصار" على الأطر المرجعية المستمدة من كتابات الإسلاميين لما توحى به من اتصال مباشرة بعملية التوجيه "الإسلامي" للعلوم دون رجوع لما قد يكون مفيداً من إسهامات العلوم الحديثة .

٥- التخلى عن التوجس أو النفور من استخدام المصطلح الحديث كراهية لأصله ، ويمكن في المراحل الأولى وضع المقابل الإسلامي بين قوسين - والعكس بالعكس - إلى حين التوصل إلى لغة مشتركة متفق عليها بين معظم الباحثين .

## ثانياً : الاستنباط من المصادر الإسلامية :

** (قاعدة رقم ١) يتطلب التوجيه الإسلامي لأي موضوع جزئى من موضوعات العلوم الاجتماعية وضوحاً أولياً لدى الباحث فيما يتصل بالأطر العامة والمسلمات الأساسية التي يقوم عليها التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون والحياة بصفة عامة ، باعتبار أن

---

(١) سورة المائدة : الآية ٨ .

هذه المسلمات الوجودية (الأنطولوجية) والمعرفية (الإبستمولوجية) تحدد إلى حد كبير بل وتكاد تحسم الاعتبارات المنهجية (الميثودولوجية) التي ينبغي أن يلتزم بها الباحث في بحثه لأي موضوع جزئي .

إن الدراسة المنظمة التى تستهدف بلورة الرؤية الإسلامية لأي موضوع متخصص من موضوعات العلوم الاجتماعية لتتطلب القيام بالإجراءات الآتية (حسب الاستطاعة) في ضوء نوع ومدى المعرفة السابقة للباحث لمصادر العلوم الشرعية ومناهجها .

١- البحث المنظم والواعى عن الألفاظ والتعبيرات المتضمنة في الآيات القرآنية ، أو فى الأحاديث النبوية الصحيحة ، والتي يبدو للباحث أنها ترتبط بالظاهرة موضوع البحث ، أو ببعض جوانبها ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويمكن التقاط الإشارات إلى تلك الألفاظ القرآنية والحديثية الملائمة من خلال :

١- مراجعة المكانز الإسلامية المتخصصة التى بدأت تظهر في السنوات الأخيرة ، والتي تحوى حصراً لمصطلحات التخصص مع ما يمكن أن يقابلها في الاصطلاح الإسلامي .

٢ - الرجوع إلى الجهود التأصيلية السابقة خصوصاً ما اتصل منها بما أصبح يعرف بالثقافة الإسلامية ، والتي تنظر في كليات الإسلام ، ومن هنا تكون أقرب لتقديم الأطر التصورية التى يستفيد منها المشتغلون بالعلوم الاجتماعية .

٣- الإفادة من كتابات علماء الإسلام المتقدمين ممن اشتهروا بنظراتهم النفسية والاجتماعية ، ويمكن الاستعانة في هذا الصدد بالأدلة المتخصصة التى تمد الباحثين بإشارات مختصرة إلى مثل تلك الكتابات مع جهود لتحليلها وربطها بما يمكن أن يقابلها في المصطلح الحديث .

٤- القراءة المنظمة للقرآن الكريم ، والنظر في الأبواب والفصول الملائمة من صحاح السنة للبحث المستقل من جانب الباحث نفسه عن الألفاظ القرآنية والحديثية المتصلة بالموضوع ، أو اكتشاف الآيات والأحاديث المتضمنة للمعنى باستخدام ألفاظ أخرى مع رصد تلك الألفاظ .

٢- حصر جميع المواضع التي استخدمت فيها تلك الألفاظ والتعبيرات القرآنية والنبوية التي تم التقاطها ، وذلك باستخدام معجم ألفاظ القرآن الكريم ومعجم ألفاظ الحديث لكي نضمن ألا تفوتنا أي إشارات لتلك الألفاظ دون قصد .

٣- الكشف عن معاني الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى وردت تلك الألفاظ في سياقها رجوعا إلى كتب التفسير والشروح المعتمدة ، ويمكن الاستعانة في هذا الصدد بالكشافات المتخصصة لآيات القرآن الكريم وللأحاديث النبوية الشريفة ، والتي تضم مختلف التفاسير والشروح للنصوص المتصلة بكل موضوع من موضوعات التخصص ، والتي بدأت في الظهور في السنوات الأخيرة .

٤- الاستناد إلى مجموعة الأفكار الواردة في تلك التفاسير والشروح لاستنباط المفاهيم والقضايا التي تصف أو تفسر موضوع الدراسة أو تضع الضوابط المعيارية عليه ، وذلك عن طريق الربط المنطقي والمنظم بين المعاني المستمدة من تلك التفاسير والشروح ، ومن الواضح أن هذا الربط المنظم سيقوم على أساس استخدام القواعد المنطقية للانتقال من المقدمات إلى النتائج ، وهو بطبيعة الحال يتضمن اجتهاداً بشرياً من جانب الباحث ، ولكن من الضروري أن نشير هنا إلى ضرورة إلمام الباحث بالقواعد الأصولية والقواعد اللغوية المتعارف عليها في فهم النصوص ضماناً لعدم التجاوز عند محاولات الربط والاستنباط .

٥- في حالة شعور الباحث بإمكان استيعاب نصوص الآيات أو الأحاديث لمعان ومضامين أخرى غير تلك التي وردت في شروح وكتابات المتقدمين يمكن للباحث المتمكن في فنه والمتمكن في الوقت نفسه من منهجية العلوم الشرعية استنباط معان وأفكار جديدة للنصوص ولكن هذا الأمر لايجوز إلا بمبررات ، كما أن عليه ضوابط ومحاذير :

١- المبررات :

أ ـ حدوث معارف محققة جديدة لم تكن معروفة في زمن المفسرين والشراح المتقدمين حول ظواهر ووقائع تتسم بالثبات النسبي .

ب ـ ظهور حوادث وظواهر جديدة تتطلب تجلية "التصور الإسلامي" الذي يحكمها.

٢ ـ الضوابط :

أ ـ العلم بمناهج البحث المعتمدة في العلوم الشرعية ـ ولو في حدها الأدنى المقبول .

ب ـ التطبيق الدقيق لمناهج البحث المعتمدة في العلوم الشرعية للاستنباط من النصوص أو الجمع بينها ، وخصوصاً ما اتصل منها بالقواعد الأصولية الواجب مراعاتها في الاستنباط من النصوص وفهمها "أمثلة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ـ العمل بالمطلق على إطلاقه إلا بدليل على تقييده ـ العمل بالظاهر واجب إلا بدليل يصرفه عن ظاهره ـ صيغة الأمر عند الإطلاق تقتضي الوجوب والمبادرة بالفعل إلا لدليل يخرجه عن ذلك فيصير إلى الندب أو الإباحة ـ لايجوز حمل اللفظ على مجازه إلا بدليل صحيح أي قرينة[(١)] ، وكذا القواعد الفقهية الكلية "من أمثلتها : الأمور بمقاصدها ـ اليقين لا يزول بالشك – المشقة تجلب التيسير – الضرورات تبيح المحظورات– الضرورة تقدر بقدرها – الحاجة تنزل منزلة الضرورة– لا ضرر ولا ضرار– درء المفسدة أولى من جلب المنافع – يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام – يختار أهون الشرين – الضرر لايزال بمثله – التصرف على الرعية منوط بالمصلحة – لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه – الأصل في الأشياء الإباحة[(٢)] .

---

(١) العثيمين ، محمد صالح (١٩٨٦) الأصول من علم الأصول ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

(٢) عطية ، جمال الدين (١٩٨٨) النظرية العامة للشريعة الإسلامية (القاهرة : مطبعة المدينة) .

جـ- عرض النظر الجديد في النصوص على المتخصصين في العلوم الشرعية للتأكد من درجة دقة متابعته للأصول المرعية في تلك العلوم في الفهم الذي توصل إليه لتلك النصوص .

**٣ ـ المحاذير :**

أ ـ الحذر من الاستناد إلى الخواطر أو "النظرات الشخصية" البحتة في كتاب الله أو أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ لأن النظرات الشخصية لا يمكن أن تلزم إلا صاحبها .

ب ـ تجاوز النزعات "الرمزية" والصوفية التي تستهوى البعض ، لأن العبرة في العلم هي بالمعارف القابلة للتعميم ، ولأن كل خروج عن هدى المصطفي ـ ﷺ ـ في فهم كتاب الله إلى تهويمات الصوفية وأشباههم لا يمكن أن يودى إلى خير .

ج ـ تجاوز النزعات اللفظية والتحليلات اللغوية التي تتبع "الغريب" من الاستخدامات القاموسية وتتشبث بها (دون منطق راشد) في تفسير الآيات والأحاديث .

د ـ ومن جهة أخرى فإنه من الضروري الابتعاد عن المسارعة في تفسير الألفاظ بتفسيرات مجازية مادام منطوقها بوحي بمعنى مباشر مقبول ، وعند التحير أو التردد فإن النزاهة العلمية تقتضي التوقف إلى أن يفتح المولى بما يجلو الموقف أمام الباحثين .

هـ ـ الحذر من الوقوف في العلوم الاجتماعية عندإسهامات الفقهاء ذات الطبيعة الحكمية (إصدار الأحكام على الوقائع) أو الاكتفاء بذلك والاستعاضة به عن النظر الإيجابي التفصيلي في شئون الحياة الاجتماعية الذي يكون موجهاً ودافعاً للفعل وللوقائع لتحقيق مقاصد الشريعة ، لأن هذا النظر فيما يدفع وقع الحياة إيجابياً ـ في إطار الشريعة ـ يقع على عاتق العلوم الاجتماعية بمفهومها الصحيح ، وكما يقول الدكتور طه العلواني (١٩٨٨) فإن "الفقه من شأنه أن ينظم حضارة قامت ، لكن أن ينشئ أو يوجد حضارة فليس الأمر كذلك ، لأن الفقه عبارة عن ضبط لوقائع ونوازل تكون قد حدثت ، وبيان وجه الحق أو الصواب فيها من عدمه"(١) .

٦- تحديد معالم التصور الإسلامي المبدئي لموضوع الدراسة في ضوء ما سبق ، وفي ضوء المسلمات الوجودية (الأنطولوجية) ، والمعرفية (الابستولوجية) ، والمنهجية (الميثودولوجية) الإسلامية .

٧- عرض التصور المبدئي الذي تمت بلورته في جملته على المتخصصين في العلوم الشرعية من ذوي التفهم لقضايا العلوم الاجتماعية وذوي التعاطف مع قضايا التوجيه الإسلامي لتلك العلوم ، وذلك "لاختبار" درجة مطابقته للفهم الشرعي الصحيح بوجه عام.

٨- إجراء التعديلات المناسبة على ذلك التصور في ضوء أوجه النقد التي يبديها المتخصصون في العلوم الشرعية ، خصوصا تلك التي يتفق عليها أكثر من واحد من أولئك

---

(١) العلواني ، طه جابر (١٩٨٨) : إسلامية المعرفة : مصدر سابق : ص ٣٧ .

المتخصصين ، تحسباً للاحتمالات القائمة دائماً لوجود اختلافات في الرأي بين ذوي الاجتهاد .

٩- صياغة إطار تصوري متماسك -بقدر الإمكان- يمكن استخدامه في تحقيق الأغراض الآتية:

١- ليكون معياراً يتم نقد إسهامات العلم الحديث في ضوئه .

٢- ليكون إطاراً نظرياً يمكن أن يتخذ أساساً لتفسير الحقائق الجزئية "كما سنرى فيما بعد" .

**ثالثاً : الاستفادة من نتائج العلوم الحديثة :**

** **(قاعدة رقم ٢)** إن أي جهود تبذل لاستنباط الرؤية الإسلامية لموضوع ما اقتصاراً على المصادر الشرعية وحدها لا تعد بذاتها "توجيهاً إسلامياً للعلوم الاجتماعية" بالمعنى الاصطلاحي ، وإنما تعتبر بحثاً في العلوم الشرعية أو فى الدراسات الإسلامية "في المرحلة الحالية التى لازال الانفصال فيها قائماً بين المجالين" ، أما التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية فإنه يتطلب إلى جانب ذلك :

أ ـ استثمار ما صلح من معطيات العلوم الاجتماعية التفصيلية في الموضوع وإدماجه في نسق معرفي متكامل تحت مظلة التصور الإسلامي .

ب ـ تعريض حصيلة هذا التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية للاختبار الميداني في أرض الواقع ، والتصحيح المستمر لتلك الحصيلة في ضوء نتائج الاختبار الواقعي .

** **(قاعدة رقم٣)** يتطلب حُسن الاستفادة من نتائج العلوم الاجتماعية الحديثة في إطار التوجيه الإسلامي لأي قضية جزئية من جزئيات التخصص وعياً واضحاً بالمسلمات المعرفية والمنهجية الموجهة "لذلك التخصص" بأسره ، مع المراجعة المنظمة والمتأنية للمصادر الأساسية لذلك التخصص سواء من حيث النتائج أو المناهج أو الظروف التاريخية التي أثرت في تطورها جميعاً حتى وصلت إلينا على الوجه الذي نعرفه اليوم ـ وذلك قبل الانتقال إلى التناول النقدي لإسهامات العلم في الموضوع المحدد المراد توجيهه إسلامياً - وهذا يتطلب بدروه :.

١- حصر النظريات والتعميمات والقضايا والمفاهيم والمصطلحات المتصلة بالموضوع في الكتابات العلمية المتخصصة التى تمثل الوجهة السائدة في فهم الموضوع (The Paradigm) بكافة اتجاهاتها، مع الوعي بالمنطلقات التي تنطلق منها وبأصولها الفكرية قدر الاستطاعة .

٢- بذل جهد خاص لاستقصاء وجهات النظر النقدية والآراء "المنشقة" والمخالفة لتلك الوجهة السائدة والثائرة عليها ، حتى وإن كانت لاتزال دائرة في فلك الحضارة الغربية

المعاصرة ، لأن الوجهات النقدية والآراء المنشقة عادة ما تكشف عن المسلمات الضمنية التي تكمن وراء الوجهة السائدة بما يعيننا على تجنب مواطن الزلل إن سلمنا بما يبدو بريئاً وغير مخل قيمياً وليس كذلك على الحقيقة .

٣- إلقاء نظرة نقدية فاحصة على كل من الوجهة السائدة والتوجهات المنشقة ، وذلك في ضوء التصور الإسلامي السابق التوصل إليه .

٤- استثمار الآراء النظرية المنشقة (التى أظهرت الخبرة أنها في حالات كثيرة تمثل رد فعل للاتجاهات المادية والاختزالية التي اصطبغ بها العلم الحديث في توجهه السائد) إلى المدى الذي تصل إليه - ودون التوقف عنده بطبيعة الحال - طالما أنها تخدم التصور الإسلامي وتسير في اتجاهه (ذلك أنها في أغلب الأحوال تتوقف عند نقطة معينة لا تقوى على تجاوزها بسبب ارتباط تلك الآراء بالثقافة التي نبتت فيها) .

٥- فرز المفاهيم والتعميمات والأطر النظرية وغربلتها في ضوء ما سبق ، واستبقاء ما يتمشي منها مع التصور الإسلامي ، واستبعاد ما بني منها على مسلمات خاطئة.

٦- يراعي الحذر من التسرع باختيار إحدى النظريات التي يرى الباحث أنها "الأكثر اقتراباً" من التصور الإسلامي وتبنيها باعتبارها تمثل نهاية المطاف للتوجيه الإسلامي ، لأن مثل هذا الاختيار يتجاهل عادة المسلمات التى بنيت عليها مثل تلك النظرية ، والتي قد تختلف بشكل جوهري عن المسلمات التي يقوم عليها التصور الإسلامي .

** (قاعدة رقم ٤) بعض مكونات العلوم الحديثة أقرب بطبيعتها للاستفادة منها في إطار النظرة الإسلامية من بعضها الآخر ، ومثال ذلك : آليات العمليات النفسية والاجتماعية ، وطرق التحليل المنهجي المنظم للقضايا والمشكلات ، وأدوات جمع البيانات ، وأدوات التدخل المهني - ولكن مما ينبغي ملاحظته أن الخطأ الذي يشوب الاستفادة من تلك الآليات أو الأدوات في المنظور الغربي التقليدي إنما يكمن عادة في الإطار العام الذي يحكم استخدامها ، والذي يكون عادة ناقصاً ومختزلاً وبحاجة إلى إعادة النظر .

## رابعاً : إيجاد التكامل المنشود بين الأطر التصورية الإسلامية وبين النتائج الممحصة المستمدة من العلوم الحديثة :

١- إعادة ترتيب وإعادة تفسير المشاهدات المحققة (الحقائق والتعميمات الإمبيريقية) المستمدة من الكتابات العلمية الحديثة في ضوء :

أ - الأطر التصورية الإسلامية التي تم التوصل إليها .

ب- الأطر النظرية المستقاة من تراث العلم الحديث بعد ثبوت اتساقها مع التصور الإسلامي .

٢- صياغة النظرية العلمية الموجهة إسلامياً في شكل أنساق استنباطية تسمح باستخلاص فروض علمية تقبل الاختبار الواقعي ، وهذا جهد إنشائي أو بنائي يقوم على

الانتقال المنطقي من المقدمات إلى النتائج بطريق صحيح ، ويسمح في الوقت ذاته باستنباط نتائج أخرى مشتقة منها وهكذا (انظر الأمثلة في مقال المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية(١)).

٣- إن كون هذه النظريات العلمية الموجهة إسلامياً "علمية" يعني :

أ - أن صدق هذه النظريات ليس أمراً مسلماً به على أساس قبلي (Apriori) ، وأن درجة صدقها تتوقف دائما على ما يسفر عنه "اختبارها" في الواقع .

ب- أنه لا يتصور التوصل إلى تلك النظريات مع جهل بإسهامات العلوم الاجتماعية أو تجاهل لها .

٤- إن كون هذه النظريات "موجهة إسلامياً" يعني :

أ - هيمنة التصور الإسلامي وإعطائه "أولوية مطلقة" فى تفسير المشاهدات الجزئية المحققة ، وفي توجيه الفروض العلمية ، وذلك في حالة عدم وجود أطر تصورية تفسيرية منافسة ذات بال .

ب- في حالة وجود أطر تفسيرية منافسة : فإن التصور الإسلامي يعطي "أولوية نسبية" للأطر المستمدة من الاجتهاد البشري المحض ، لزيادة احتمال الصدق في التصور الإسلامي المشتمل على ما يزيد عن الاجتهاد البشري الذي هو قدر مشترك بين النوعين من الأطر .

## خامساً : اختبار وتطوير النظريات الموجهة إسلامياً :

** (قاعدة رقم ٥) النظريات "العلمية" المتخصصة الموجهة إسلامياً وإن استمدت مسلماتها وأطرها العامة من التصور الإسلامي إلا أنها ليست في نفسها وحياً منزلاً ، وإنما هي مشتملة بالضرورة على اجتهادات وأفكار بشرية ضمن مكوناتها الرئيسة وذلك من جهتين :

١- أن التصور الإسلامي الموجه لتلك النظريات وإن بني على آيات الكتاب الكريم وعلى الأحاديث الصحيحة ، فإن الاجتهاد البشرى للباحثين يدخل في عملية البناء هذه من عدة طرق :

أ ـ الاختيار من بين الآيات أو الأحاديث "عن وعي" أو بدون قصد لما يظنه الباحث متصلا بموضوع بحثه .

ب ـ الاختيار من بين التفسيرات المختلفة الواردة في كتب التفسير المعتمدة للنص الواحد.

---

(١) رجب ، إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩١) المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية ، مصدر سابق .

جـ- الجهد الذي يبذله الباحث في "الربط" بين الآيات والأحاديث التى يراها متصلة بموضوع بحثه .

وهذه الاجتهادات لا تعدو من وجهة النظر العلمية أن تكون "فروضاً" تستحق الاختبار في أرض الواقع .

٢- أن المشاهدات الواقعية المحققة "الحقائق العلمية في الاصطلاح التقليدي" التي تحويها نظريات العلوم الاجتماعية ، إنما تم التوصل إليها من خلال دراسات وبحوث هى محاولات بشرية للاقتراب من الحقيقة إلى أقصى قدر مستطاع ، ولكنها معرضة في الوقت ذاته للتأثر بقصورنا البشري الذي يتبدي أساساً في ضعف الإجراءات المنهجية وفي قصور عمليات القياس .

يترتب على تلك القاعدة أن اعتبارات العلمية الحقة تتطلب إخضاع نتائج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية للاختبار الميداني الواقعي ، حتى نتمكن من التحقق من صحة استنباطاتنا البشرية التفصيلية ، وحتى يمكن الاحتفاظ للعلم البشري بخاصية التصحيح - الذاتي المسلم بأنها وراء كل علم صحيح فيما يخرج عن نطاق الوحي المنزل اليقيني ، وتتضمن عملية الاختبار ما يلي :

١- استنباط فروض مستمدة من النظريات "العلمية" الموجهة إسلامياً والتي تم التوصل إليها من خلال الخطوات السابقة (يلاحظ أن اختبار كل فرض جزئي إنما هو في الوقت ذاته اختبار للنظرية كلها بدرجة ما) .

٢- اختبار تلك الفروض في الواقع بمعناه الشامل (Total Reality) ، الذي يضم ما هو محسوس قابل مباشرة للمشاهدة الحسية ، كما يضم ما ليس محسوساً وإن كان يمكن مشاهدة آثاره بطريقة غير مباشرة ، ويتطلب ذلك بالطبع بذل جهود كبيرة لابتكار أدوات للبحث ذات حساسية كافية لاستبار هذا النوع الأخير من الظواهر ، (ويلاحظ وجود بدايات جيدة في هذا الطريق عند أصحاب التوجه الجديد (The New Paradigm) من رجال مناهج البحث من الغربيين أنفسهم) ، وعلى سبيل المثال فقد قام ريزون وروان(١) ، بجمع عدد من الإسهامات الحديثة في مجال طرق وأدوات البحث المنطلقة من هذا التوجه ، والتى تبدو ذات فائدة كبيرة للمشتغلين بالتوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية خصوصاً ما يطلق عليه منهجية البحث بالمشاركة (Participative Research) ، المنهجية الباطنة (Endogenous Research) ، المنهجية الخبراتية (Experiential Methodologies) ، المنهجية الحوارية (Dialogical Research) وغيرها من المنهجيات والأدوات التى تنظر في الجوانب الداخلية للخبرة الإنسانية الذاتية توصلاً إلى تعميمات موضوعية وذلك كبديل

---

(1) Reason , Peter & John R owan , eds, (1981) Human Inquiry : A Source book Of New Paradigm Research (New York John Wiley) .

لمنهجيات الملاحظة من الخارج بزعم الموضوعية دون إمكان الوصول إلى الحقيقة الداخلية أبداً .

٣- إذا ثبتت صحة الفروض (أو إذا فشلنا في رفضها ، بلغة الاختبارات الإحصائية) فإن ثقتنا في النظرية الموجهة إسلامياً تزداد .

٤- إذا لم تثبت صحة الفروض فإنه يكون من الضروري القيام بالخطوات الآتية على الترتيب :

١- مراجعة الإجراءات المنهجية المستخدمة في البحث ، وخصوصاً ما اتصل منها بإجراءات القياس للتأكد من عدم الوقوع في أخطاء جوهرية ، وللتأكد أيضاً من عدم استخدام تقريبات غير كافية من النموذج المثالي لتصميم البحث أو اختيار العينة .. إلخ .

٢ ـ إذا ثبت أن الإجراءات المنهجية صحيحة تماماً (وهو أمر شديد الندرة بل قد يراه البعض مستحيلاً في العلوم الاجتماعية) فإن على الباحث مراجعة "استنباطاته" من المصادر الشرعية، وخصوصاً ما اتصل منها باختيار النصوص واختيار الشروح ، وما اتصل بضم تلك النصوص والشروح إلى بعضها، للتعرف على مصدر الخطأ أو التجاوز ، ثم تعديل الإطار التصوري في ضوء ذلك .

٥ ـ في كل الأحوال فإنه يتم إعادة إجراء البحوث (Replica) للتأكد من ثبات النتائج وذلك في حالة ثبوت صحة الفروض ، والاستمرار في إجراء بحوث جديدة بهدف إعادة تقدير الموقف بعد تعديل الإجراءات المنهجية أو تعديل الأطر التصورية "وذلك في حالة رفضها" .

** (قاعدة رقم ٦) لما كان الكون من خلق إله واحد : هو سبحانه وتعالى أيضاً منزل الوحى ، فإنه لا يمكن تحت أي ظروف أن يوجد تناقض بين مشاهدات محققة واقعياً وصادقة وبين أى نص شرعي يقيني الدلالة يقيني الثبوت .

## خاتمة :

١- بالرغم من أن العرض السابق لمكونات أو خطوات أو إجراءات عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية قد يوحي بوجود نوع من التسلسل الزمني أو الترتيب المنطقي لتلك الخطوات ، إلا أن هذا ليس أمراً لازماً فواقع الأمر أن تفكير الباحث في كل خطوة أو جانب من الجوانب السابقة يندر أن يتم في معزل عن التفكير في الجوانب والخطوات الأخري، ويلزم التنبيه هنا إلى أن ثراء عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية وتشابك جوانبها يتنافي بطبيعته مع مثل ذلك التفكير الخطي الذي قد يتصور معه إمكان السير في خطوات متتابعة بطريقة آلية .

٢- ينبغي النظر إلى النموذج المعروض في المبحث الأخير على أنه إنما يقدم مؤشرات

إلى الطريق الذي تسير فيه عملية التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية "بصفة عامة" ولم يقصد منه قيام أي باحث منفرد باستيفاء جميع العناصر والمكونات والإجراءات المشار إليها في كل عمل علمي يقوم بإنتاجه ، ومن المتصور أن يقوم أي باحث بخدمة جانب أو عنصر ، أو مرحلة أو أكثر - كلياً أو جزئياً - في أحد بحوثه، ليخدم غيره في بحث آخر وهكذا ، ولكن بالشروط الآتية :

أ- أن يكون الباحث واعياً بموقع العمل الذي يقوم به ، وبموضعه من هذه العملية التأصيلية المترابطة الحلقات .

ب- أن يكون ذلك العمل قابلاً للاندماج مع غيره في المنظومة الكلية للجهود التأصيلية ، وعلى الباحث أن يشير بنفسه إلى نقاط انطلاقه وصلتها بما قبلها (عند مراجعة أدبيات الموضوع) ، وإلى نقاط انتهائه وصلتها المتوقعة بما بعدها (عندما يشير إلى البحوث المستقبلية) .

جـ - أن يلتزم الباحث في عمله بالشروط والضوابط العامة لعملية التوجيه الإسلامي على الوجه الذي فصلناه في المباحث السابقة .

٣- إن النموذج المطروح في المبحث الأخير لازال يشير إلى الاتجاهات العامة ويتحمل الكثير من التفصيل والتحديد ، والهدف من عرضه على هذا المستوى من التجريد أمران :

أ - فتح الطريق أمام حوار علمي يرشد هذا التوجه العام ويصحح مساره .

ب- تطبيق ما يصح من هذا النموذج - بعد تمحيصه وترشيده - من خلال جهود تأصيلية واقعية تملأ فراغاته ، وتثرى بالتفصيلات عمومياته .

٤- من الواضح أن على الباحثين المتخصصين فى العلوم الاجتماعية ممن يريدون أن يسهموا بشكل فعال في جهود التوجيه الإسلامى لتلك العلوم أن يعيدوا تعليم أنفسهم لاكتساب أكبر قدر مستطاع من العلوم الشرعية خصوصا ما كان منها منطلقا للتوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية ، حتى تكون إسهاماتهم جادة وصحيحة من جهة ، وحتى يكتسبوا ثقة وتعاون المتخصصين في العلوم الشرعية من جهة أخرى بما يؤدى - بإذن الله - إلى تضافر الجهود نحو توحيد العلم الإسلامي فى ضوء التصور الإسلامي الواحد .

٥- وإذا كان البعض قد يتوهم أن الإلمام بالحد الأدنى المطلوب من تلك العلوم أمر مستحيل على المتخصص في العلوم الاجتماعية ، فلعل مما يدعوه للاطمئنان أن يرجع إلى ما ذكره الإمام الرازي في مصنفه (المحصول في علم أصول الفقه) ليرى أنه يهون الأمر على من كانت له همة في الأمر ، إذ أنه على سبيل المثال يقدر الحد الأدني المطلوب من تلك العلوم

بوجود تصنيف معتمد في كل فن يمكن الرجوع إليه عند الحاجة ، مع القدرة على الاطلاع عليه عند الاحتياج إليه وليس حفظه(١) .

٦- وفي الخاتمة فلعله من المفيد أن نذكر هنا بأن ثمرة التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية لا يمكن تحصيلها إلا بإخلاص النية لله - عز وجل - في طلب هذا العلم العظيم ، وبالثقة في معونته - جل وعلا - لمن وجه وجهه إلى الله وهو محسن ، فهذا العمل ليس حرفة تحترف أو مهنة تمتهن على الوجه الذي اعتدناه في إطار التصور الغربي للوظائف والمهن ، وإنما هو أولا وقبل كل شئ طاعة وقربة إلى الله - عز وجل - وهو واجب نحو الأمة التي بدأت تتداعى الأكلة عليها تداعي الأكلة إلى قصعتها ، عسى أن يكون إصلاح فكر الأمة ومنهجيتها أساسا في إصلاح أحوالها وإقالتها من عثرتها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) الإسنوى ، جمال الدين ، المتوفى ٧٧٢هـ (١٩٨١) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، تحقيق د . محمد حسن هيتو ، ط (بيروت : مؤسسة الرسالة) ، ص ص ٤٤ - ٤٥ .٢

# المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية

د . عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ

## تمهيد :

نظراً لأن النظـام الاجتماعي في الإسلام يتمثل فيما شرعه ا لله من قوانين تحكم العلاقات الإنسانية ، فالرعاية الأجتماعية في المجتمع المسلم يجب أن تحكمها الشريعة الإسلامية ، وبذلك يكون دور الإنسان هو التلقى والفهم والطاعة ومحاولة الوصول إلى أفضل السبل والوسائل والبرامج لتطبيق الشريعة على أكمل وجه ممكن . فا لله ـ عزت قدرته ـ رحيم بعباده لم يتركهم يضعون الأنظمة الاجتماعية تبعاً لأهوائهم المختلفة ، لأن في ذلك ضلالهم وفسادهم وهو ـ سبحانه ـ لا يرضى ذلك لهم ، فـأنزل على رسله الكتب والهدي الذي ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبداً ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿**قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ..**﴾(١) ، والهدى هو بيان لسبيل ا لله وما اختاره لخلقه من دين ، كما جاء في تفسير الطبرى(٢) .

فعلاقة الإنسان ـ كفرد ـ بربه ، والعلاقات بين الناس في المجتمع ، يجب أن تتسم بطاعة ا لله وتقواه حتى يمكن أن يعيش الأفراد والمجتمع حياة طيبة ، وبذلك تصبح هذه العلاقة هي المحور الأساسي الذي يجب أن تدور حوله برامج الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ، كما يتضح أيضاً أن الدافع إلى إنشاء برامج للرعاية الاجتماعية في المجتمع المسلم هو دافع داخلي (Internal) بينما الدافع إلى ذلك في بعض الدول هو دافع علاجي ومن الخارج (External) فبعض الدارسين(٣) يؤكدون أن برنامج الرعاية الاجتماعية في تلك الدول نشأ بهدف الحفاظ على استقرار النظام الرأسمالي وتدعيما للفئات ذات النفوذ فيها .

ولقد جاء الفصل بين الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية كمفهومين ، بناء على فلسفة المجتمعات الغربية وثقافاتها ، بينما تأتي جهود الأمم المتحدة مؤخراً لتقول : إنه لا يمكن الفصل بينهما ، وكذلك في المنظور الإسلامي سنجد أنهما يلتقيان ، والأصل الذي يجمعهما هو تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الضروريات الخمس "الدين ،

---

(١) سورة طه ، الآيتان ١٢٣، ١٢٤ .

(٢) ج ١٦، ١٦٣ .

(٣) عروس خليفة ، ممارسة الخدمة الاجتماعية ـ قراءة جديدة في قضايا الرعاية الاجتماعية ، الإسكندرية ١٩٨٩ م ، دار المعرفة الجامعية . ومختار عجوبة إبراهيم ، الرعاية الاجتماعية وأثرها على مداخل الخدمة الاجتماعية المعاصرة، الرياض ، ١٩٩٠م ، دار العلوم.

والنفس، والعقل ، والنسل ، والمال" . فبرامج الرعاية الاجتماعية تعمل على إقامة أركان هذه الضروريات وتثبيت قواعدها ، وتقوم بالدور العلاجي ـ غالباً ـ لدرء الاختلال الواقع ، بينما تقوم برامج التنمية الاجتماعية بالدور التنموي والوقائي في حفظ هذه الضروريات ، لذلك يمكن أن نطلق على مفهومى الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية ـ من المنظور الإسلامي ـ مسمى واحداً مثل : "تحقيق مقاصد الشريعة في الجانب الاجتماعى" ، وتحقيقها بمعنى إيجادها وحفظها .

ولكن على الرغم من أن المسلمات التي بني عليها المصطلحان "الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية" لا تتمشى مع مسلمات التصور الإسلامي الصحيح ، إلا أن البحث سيسير فى دراسة الموضوع مستخدماً هذين المصطلحين ، حتى يحين الوقت الذى يتفق على استبدالهما بمصطلح يعبر عن المنطلقات والمسلمات الإسلامية .

## الرعاية الاجتماعية في التصور الإسلامي :

إذا نظرنا إلى الرعاية الاجتماعية في الإسلام كنظام اجتماعي ، أمكن دراستها عن طريق تحليل هذا النظام إلى مكوناته ، كما يقول مصطفى الخشاب : إنه إذا حللنا أي نظام اجتماعي من النظم الأساسية تحليلاً بنائياً نجده ينطوى على العناصر الآتية :

١ ـ القوة البشرية المنفذة للنظام (أعضاء النظام أو العنصر البشرى) .

٢ ـ الأجهزة والمعدات التي بفضلها يؤدى الأعضاء وظائفهم ، وهى ما تسمى بالعنصر المادي .

٣ ـ التنظيمات والطرق والكيفيات ومجريات العمل وشئون الإدارة ، وهي ما تسمى بقواعد النظام .

٤ ـ مجموعة القيم والمواثيق ، وما ينطوى عليه النظام من عادات وتقاليد مرعية .

٥ ـ وظائف النظام والاهتمامات التي يثيرها النظام الاجتماعي في مشاعر أفراد المجتمع، ثم الأغراض التي يحققها[1] .

وفي ضوء هذا التحليل العام لمكونات أو عناصر النظام الاجتماعي ، سيتم معالجة نظام الرعاية الاجتماعية في المنظور الإسلامي من خلال مناقشة العناصر الآتية :

١ ـ وظائف نظام الرعاية الاجتماعية وأهدافه .

٢ ـ القيم العامة والمبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية .

٣ ـ أنشطة الرعاية الاجتماعية وبرامجها .

٤ ـ تمويل خدمات الرعاية الاجتماعية .

---

(١) مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص٣٤٣ .

## أولاً : وظائف نظام الرعاية الاجتماعية وأهدافه :

يرى المتخصصون في العلوم الاجتماعية أن النظم "الاجتماعية" ـ وهي من أنماط التنظيم الاجتماعي للمجتمع ـ تعتبر الأنساق الكبرى المنظمة للتفاعل الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية(١) ،والمجتمع المسلم يأخذ بالشريعة الإسلامية في جميع تنظيماته الاجتماعية ، لذلك فالشريعة الإسلامية تعتبر النسق الكبير المنظم للتفاعل بين أفراد المجتمع المسلم والمحدد لقواعد العلاقات الاجتماعية ، فالشريعة الإسلامية كما يذكر محمود شلتوت هى: "اسم للنظم والأحكام التى شرعها الله أو شرع أصولها وكلف المسلمين إياها ليأخذوا أنفسهم بها فى علاقاتهم با لله وعلاقاتهم بالناس"(٢) .

وفى ضوء ذلك فإن النظم "الاجتماعية" ليست حاكماً على الشريعة وإنما هى محكومة بها، وموجهة لتحقيق مقاصدها وأهدافها ، والرعاية الاجتماعية كنظام ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها فى التصور الإسلامى ، فهى تؤدى وظائفها فى تحقيق مقاصد الشريعة مع غيرها من النظم الاجتماعية ، ولكنها تختص من تلك المقاصد بما يتصل برعاية الفئات الضعيفة ، ومواجهة المشكلات الاجتماعية ، وتحقيق التنمية الاجتماعية .

وعلى هذا الأساس ، فإن مفهوم مقاصد الشريعة يعتبر مفهوماً محورياً لفهم وتحديد وظائف الرعاية الاجتماعية وأهدافها كنظام اجتماعي ، لذا فإنه من الضرورى عرض هذا المفهوم بشيء من التفصيل لتحديد أبعاده العامة أولاً ، ثم لتحديد القطاعات التى تختص الرعاية الاجتماعية بها ، تحقيقاً لمصلحة الناس في الدنيا والآخرة .

### مقاصد الشريعة :

لقد اتفق الفقهاء ـ كما قال الشاطبي فى الموافقات ـ على أن القصد العام للشريعة هو: "مصلحة العباد في العاجل والآجل معاً"(٣) وعرف الغزالي ـ في المستصفي ـ المصلحة بأنها عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة(٤) .

ويضيف ابن عاشور : "إن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان ، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه ، والشارع ما أراد من الإصلاح المنوه به مجرد صلاح العقيدة وصلاح العمل ـ كما قد يتوهم ـ بل أراد منه صلاح

---

(١) غيث ، ١٩٧٨ : ٢٨٧ .

(٢) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ط ١٤ ، القاهرة ١٩٨٧ ، دار الشروق ، ص ٧٣ .

(٣) ج ٢ : ٦ .

(٤) م ١ : ٢٨٦ .

أحوال الناس وشئونهم في الحياة الاجتماعية[1] ، كما يذكر آخرون في هذا الصدد أن المقصد العام للشريعة هو إسعاد الفرد والجماعة وحفظ نظام التعايش فيها وعمارة الأرض واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل والعمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع[2] .

وإذا كانت الرعاية الاجتماعية كنظام اجتماعي ، هي جزأ لا يتجزأ من المجتمع المسلم الملتزم ، فإن أهدافها ووظائفها تنبثق من أهداف ومقاصد الشريعة ، لذلك فإنه يمكن القول : إن الهدف العام للرعاية الاجتماعية ، هو جلب المصالح ودرء المفاسد فيما يتصل بشئون الناس في علاقاتهم الاجتماعية ، مع ملاحظة ما يلي بالنسبة لخصائص المصلحة الشرعية :

١ ـ أن مصدرها هدي الشرع ، وليس هوى النفس أو العقل المجرد .

٢ ـ أن المصلحة والمفسدة في الشريعة الإسلامية ليست محدودة بالدنيا وحدها ، بل باعتبار الدنيا والآخرة مكاناً وزماناً لجني ثمار الأعمال .

٣ ـ لا تنحصر المصلحة الشرعية في اللذة المادية ، كما هو شأن المصلحة عند علماء الأخلاق ، وإنما تتعدى حدود المادة إلى اللذة والسعادة الروحية التي هي من تمام الإيمان .

٤ ـ إن مصلحة الدين أساس للمصالح الأخرى ومقدمة عليها ، ويجب التضحية بما سواها في سبيل المحافظة عليها وإلغاء ما يعارضها من المصالح الأخرى ، وهذا بخلاف ما يراه علماء الأخلاق والقانون والاجتماع[3] .

فإذا ما انتقلنا إلى المستويات التي تنقسم إليها مقاصد الشريعة ، فإننا نجد الشاطبي قد قسمها إلى ثلاثة أقسام هي : الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينات ، والضروريات هي أصل المصالح ، والحاجيات تتمة لها ، والتحسينات تكملة للحاجيات[4] وهذا التقسيم كما يقول الغزالي ـ في المستصفى ـ تقسيم باعتبار قوة المصلحة في ذاتها ، لذلك فلقد سماها بالرتب[5] .

فالضروريات هي ما لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد .

---

(١) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تونس ، الشركة التونسية ، ١٩٧٨ م ، ص ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) علال الفاسي ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ـ الرباط ١٩٧٩ م ، مطبعة الرسالة ، ص ٤١ . وهبه الزحيلي ـ أصول الفقه الإسلامي ـ دمشق ، ١٩٨٦ م ، دار الفكر ، ص ١٠١٨.

(٣) يوسف حامد العالم ـ المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ـ واشنطون ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩١ م، ص ١٤٠ ـ ١٤٧ .

(٤) ج ٢ ، ٨ .

(٥) م ١ : ٢٨٦ .

ومجموع الضروريات خمس هي : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ المال ، ولقد اتفقت الملل والشرائع على وجوب المحافظة عليها .

أما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب .

أما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات ويجمع ذلك مكارم الأخلاق(١) .

وبناء على ذلك ، فالرعاية الاجتماعية لكي تحقق هدفها المشار إليه ، يجب أن تقوم ـ مع غيرها من النظم ـ بوظائف الحفاظ على الضروريات الخمس وأن تعمل على الارتقاء من رتبة الضروريات إلى رتبة الحاجيات والتحسينات ، وبذلك تقوم بعمليات التنمية الاجتماعية في ذات الوقت .

ولكن كيف يمكن الحفاظ على هذه الضروريات ؟

يري الشاطبي ـ كما ذكر في الموافقات ـ أن حفظ الضروريات يكون بأمرين :

أحدهما : ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

الثانى : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم(٢) .

ومن هذا يتبين أن الشاطبي يشير باصطلاح العصر إلى الوسائل الإنشائية أو التنموية (ما يقيم الأركان ويثبت القواعد) ، والوسائل العلاجية (درء الاختلال الواقع) ، والوسائل الوقائية (درء الاختلال المتوقع) .

ومراعاة الضروريات من جانب الوجود تكون بفعل ما به قيامها وثباتها ، وتأدية العبادات ـ كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وما أشبه ذلك ـ يحفظ الدين من جانب الوجود ، والقيام بالعادات ـ كتناول الطعام والشراب ، والسكن ، وما أشبه ذلك ـ يحفظ النفس والعقل من جانب الوجود ، كما أن المعاملات ـ وهي كل ما كان راجعاً إلى مصلحة الإنسان مع غيره ـ تحفظ النسل والمال من جانب الوجود ، وتحفظ النفس والعقل أيضاً ولكن بواسطة العادات ، أما مراعاة الضروريات من جانب العدم فتكون بترك ما به تنعدم ، عن طريق الجنايات وهي ما كان عائداً على ما تقدم

---

(١) أبو إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، م ٣ : ج ٢ ـ بدون سنة نشر ـ ٨ ـ ١١ .

(٢) ج ٢ : ٨ .

بالإبطال فشرع فيها ما يدرأ ذلك الإبطال ، كالقصاص والديات لحفظ النفس ، والحد لحفظ العقل ، ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١) .

ويمكن تلخيص ما سبق بالجدول رقم (١) :

جدول رقم (١)

| الشريعة الإسلامية | الوظائف الرئيسة التى تقوم بها |
|---|---|
| عبادات | حفظ الدين |
| عادات | حفظ النفس والعقل |
| معاملات | حفظ النسل والمال |
| جنايات | حفظ الدين ، والنفس ، والعقل، والنسل ، والمال من جانب العدم |

وإذا ما أريد مواصلة المقابلة بين إسهام الشاطبي ، والإسهامات المعاصرة حول المصالح الدينية والدنيوية ، بالوظائف الاجتماعية ، للمجتمع بكل نظمه الاجتماعية ، فقد يكون من المناسب عرض ما أورده جليرت وسبكت في هذا الصدد ، فلقد أوضحا (أخذاً عن جونسن Johnson وعن وارن Waren) أن الوظائف الاجتماعية لمجتمع يمكن تقسيمها إلى خمس وظائف تدور حولها معظم الأنشطة التي تقوم بها النظم الاجتماعية وهي :

١- **وظيفة التنشئة الاجتماعية** : وتشير إلى تلك العمليات التي من خلالها ينقل المجتمع المعارف والقيم الاجتماعية وأنماط السلوك إلى أعضائه .

٢- **وظيفة التكامل الاجتماعي** : وهو ما يتصل بالعلاقات بين وحدات النسق الإجتماعي ، فإذا كانت التنشئة تتصل بوسائل تعليم الناس كيف يسلكون ، والضبط الاجتماعي يختص بوسائل ضبط هذا السلوك ، فإن التكامل الاجتماعي يشير إلى أساليب حث الناس على الرغبة في السلوك المنضبط ، أي الالتزام بقواعد الضبط والتنشئة ، وتقوم بهذه الوظيفة كل المؤسسات التي تهتم بتنمية القيم الاجتماعية والمعايير ، مثل المؤسسات الدينية والأسرة والمدرسة .

٣- **وظائف الإنتاج والتوزيع والاستهلاك** : وتتصل بالعمليات التي يتم عن طريقها إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها ، وهي تشمل بالإضافة إلى المؤسسات الاقتصادية ـ المؤسسات التى تقدم السلع والخدمات سواء كانت صناعية أو صحية أو تعليمية – وهي تؤثر على الأفراد من جانب طرق كسب الرزق وإشباع الاحتياجات الضرورية .

---

(١) أبو إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، م ٢ : ج ٢ ـ بدون سنة نشر ـ ٩ ـ ١٠ .

٤- وظيفة الضبط الاجتماعي : وتشير إلى الترتيبات التي يتخذها المجتمع ليسيطر على سلوك أفراده لضمان خضوعه للمعايير الاجتماعية .

والحكومة الرسمية بما لديها من القوة والسلطة هي المؤسسة الرئيسية المسئولة عن تطبيق القوانين عن طريق الشرطة والقضاء ، إلا أن الوحدات الاجتماعية الأخرى مثل الأسرة والمدرسة ووكالات الرعاية تتحمل أيضاً بعضاً من المسئوليات للقيام بهذه الوظيفة .

٥- وظيفة المساعدة المتبادلة : تظهر هذه الوظيفة حين يعجز الأفراد عن إشباع احتياجاتهم من خلال الأنظمة والمؤسسات التي تقوم بالوظائف الاجتماعية السابقة ، وتتم هذه الوظيفة في المجتمعات البسيطة (غير المتقدمة تكنولوجياً) من خلال الأسرة أو الجيرة ، ولكن كلما أصبحت المجتمعات أكثر تعقيداً ، ظهرت جماعات ومؤسسات لتقوم بهذه الوظيفة .

ونظام الرعاية الاجتماعية هو ذلك النمط من العلاقات الذي ينشأ في المجتمع للقيام بوظيفة المساعدة المتبادلة(١) .

ولقد عرض جلبرت وسبكت ما سبق من وظائف النظم الاجتماعية في شكل جدول، كما يلي :

جدول رقم (٢)

| النظام | الوظائف الرئيسية التى يقوم بها |
| --- | --- |
| الأسري | التنشئة الاجتماعية |
| الديني | التكامل الاجتماعي |
| الاقتصادي | الإنتاج والتوزيع والاستهلاك |
| السياسي | الضبط الاجتماعي |
| الرعاية الاجتماعية | المساعدة المتبادلة |

وهناك مجموعة من الملاحظات على هذا التقسيم ، يمكن إجمالها فيما يلي :

١- أن التصنيف يكاد يوحي باختصاص كل نظام اجتماعي بوظيفة محددة ، وكأنه منعزل عن غيره من النظم ، وهذا يتمشى مع ما يلاحظ على التصور الغربي دائماً من إصرار على فكرة التخصص وتقسيم العمل بشكل يؤدى إلى القطيعة والعزلة .

٢ ـ أنه يجعل النظام الديني مجرد نظام آخر من النظم الاجتماعية ، يتولى قطاعاً واحداً من قطاعات وظائف المجتمع ، وهذا التصور يتناقض بوضوح مع نظرة الإسلام للدين كإطار منظم لحياة الناس والنظم الاجتماعية جميعها .

(1) Gilbert & Specht, H . 1986 Dimmsions of Social Welfare Policy, 2nd Ed ., New Jersey : Englewood Cliffs, 5 - 7.

٣ ـ أنه يقصر وظائف الرعاية الاجتماعية على المساعدات المتبادلة مما يتمشى مع المنظور التقليدي للرعاية الاجتماعية في تركيزها على خدمة الفقراء والمحتاجين أو المنظور العلاجي بصفة خاصة .

وبمقارنة تقسيم الشاطبي بتقسيم جلبرت وسبكت لوظائف النظم الاجتماعية ، نلاحظ أن تقسيم الشاطبي يشمل جميع الوظائف الاجتماعية التي يقوم بها المجتمع ، فالشريعة الإسلامية باحتوائها لنظم العبادات والعادات والمعاملات والجنايات ، تمثلت فيها جميع النظم التي أشار إليها جلبرت وسبكت ، فالنظام الديني يتمثل فى العبادات ، والنظام الأسري يتمثل في العادات ، والنظام الاقتصادي يتمثل في المعاملات ، والنظام السياسي – من جهة قيامه بالضبط الاجتماعي ـ يتمثل في الجنايات .

جدول رقم (٣)

| النظام | مقاصد الشريعة | حفظ الدين | حفظ النفس | حفظ العقل | حفظ النسل | حفظ المال |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الدينى | | +++ | ++ | ++ | ++ | ++ |
| الأسري | | ++ | ++ | ++ | +++ | + |
| الاقتصادى | | + | + | + | + | +++ |
| السياسي | | ++ | +++ | +++ | + | ++ |
| الرعاية الاجتماعية | | ++ | ++ | ++ | ++ | ++ |

فإذا نظرنا إلى الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها النظم الاجتماعية المختلفة واستخلصنا الوظائف التي يقوم بها نظام الرعاية الاجتماعية ضمن تلك النظم في التصور المهني الحديث ، ثم طبقنا هذا النموذج على المصالح الشرعية لتحديد درجة اتصال كل منها بالرعاية الاجتماعية كنظام اجتماعي ، فإننا نجد ـ كما هو موضح في جدول رقم (٣) ـ أن :

١– النظام الديني (إذا صح استخدام هذا الاصطلاح في التصور الإسلامي) يتصدى لتحقيق حفظ الدين بصفة أساسية ، مع حفظ بقية الضرورات بنفس الدرجة من الأولوية بعد ذلك.

٢ ـ النظام الأسرى يتصدى لتحقيق حفظ النسل بصفة أساسية ، مع حفظ الدين والنفس والعقل كمهام حيوية ، أما حفظ المال فيأتى في المرتبة الثالثة .

٣ ـ النظام الاقتصادى يتصدى لتحقيق حفظ المال بصفة أساسية ، أما تحقيق بقية

المصالح فتأتي في المرتبة الثالثة بشكل متساو .

٤ ـ النظام السياسي يتصدى لتحقيق حفظ النفس وحفظ العقل بصفة أساسية ثم حفظ الدين، وحفظ المال ، أما حفظ النسل فيأتي بعد ذلك .

٥ ـ أما نظام الرعاية الاجتماعية فإنه يهتم بكل هذه المقاصد بنفس الدرجة ، ولكن دون إعطاء أي منها أولوية مطلقة على غيره ، مما يفسر انتشار خدمات الرعاية الاجتماعية ، ووجودها في جميع النظم الاجتماعية دون استثناء .

ومن هنا نرى الصلة الوثيقة بين نظام الرعاية الاجتماعية والنظام الديني ، والتي تتبدى من خلال اهتمام النظام الديني أساساً بحفظ الدين مع بقية الضرورات ، في حين أن اهتمام نظام الرعاية الاجتماعية متساو بكل الوظائف الاجتماعية .

فإذا كانت وظائف الرعاية الاجتماعية تتمثل في الإسهام في المحافظة على الضروريات الخمس ، أصبح من الواجب تناول كيفية القيام بحفظ هذه الضروريات بشيء من التفصيل .

ولقد تناول العديد من علماء الفقه الإسلامي ـ وعلى رأسهم الشاطبي ، والغزالي ، والعلماء المحدثون أمثال ابن عاشور (١٩٧٨) ، ووهبه الزحيلي (١٩٨٦) ، ومحمد الخضري (١٩٦٥) ، وعلال الفاسي (١٩٧٩) ـ تناولوا جميعاً مقاصد الشريعة ولكن كان التركيز حول إثبات وجود هذه المقاصد ، وبيان أنواعها ، وحول المصالح الشرعية وأقسامها ـ مما هو خارج عن اهتمام هذه الدراسة ـ وتميز ابن عاشور من بينهم في توضيحه لمقاصد الشريعة الخاصة بأنواع المعاملات بين الناس التي تتضمن مقاصد أحكام العائلة أو الأسرة ، ومقاصد التصرفات المالية ، بينما نجد في البحث المهم ليوسف حامد العالم ، الذي عنوانه : "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية" ، اشتماله بالشرح لجميع مقاصد الشريعة والتى تتمثل في حفظ الضروريات الخمس (الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، المال) ، الأمر الذي كفتنا به الدراسة الكثير من المشقة ، لذا سيعتمد عليها في العرض التالي نظراً لوفائها بالمطلوب ، مع الحاجة للنقل المطول عنها لكي يبنى عليه ما يلي من حديث عن أنشطة وبرامج الرعاية الاجتماعية .

## ثانياً : القيم العامة والمبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية :

إن كلاً من الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية تهدف إلى رفاهية المجتمع والوصول به إلى مستوى أفضل للحياة ، ولقد حاول المفكرون رسم أبعاد ومقاييس للرفاهية والسعادة البشرية ، ومن تلك المحاولات التي أشار إليها عبد المنعم بدر ما قام به ولكنسون (Wikinson) لتحديد أبعاد الخير ، حيث حدد لها ثلاثة أبعاد هي :

البعد المادي ـ الاقتصادي ، والبعد البشري ـ الإنساني ، والبعد الاجتماعي ـ البيئي ، وأوضح أن أي تطور وتقدم موجب فيها إنما يمثل تنمية وبالتالي يعبد الطريق إلى بلوغ مجتمع الرفاهية .

أما ايرما اديلمان وكريستينا موريس (I . Adelman and C Morris) فأشارتا إلى مؤشرات ثلاثة لبلوغ مرحلة الخير الاجتماعي وهي : المؤشرات الاجتماعية ــ الثقافية ، والمؤشرات السياسية، والمؤشرات الاقتصادية .

بينما حددت هيئة حماية البيئة بالولايات المتحدة الأمريكية أبعاداً أربعة لبلوغ الحياة الجيدة المرادة ـ من منظور بيئي وهي : جودة البيئة الطبيعية ، وجودة البيئة الاقتصادية ، وجودة البيئة الاجتماعية ، وجودة البيئة السياسية(١) .

والمتأمل للأبعاد والمؤشرات السابقة التي تحدد الخير الاجتماعي عند غيرنا ، يلاحظ أنها جميعاً قد أغفلت البعد الروحي المتعلق بنوع صلة الناس بربهم ، بينما يمثل ــ في المنظور الإسلامي ـ البعد المهيمن والمسيطر على جميع الأبعاد الأخرى ، ولقد أشار إلى هذا عبد المنعم بدر عند عرض تصوره للنموذج الإسلامي للتنمية ، حيث قال : إنه يرى الحياة الجيدة أو الرفاهية الاجتماعية المبتغاة ، متمثلة في تحسين الأبنية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية بما تشتمل عليه جميعاً من أبعاد فرعية ، كما أنه ينظر إلى البناء الديني أو البعد العقائدي كأساس يحتوي علي الأبعاد والأبنية الأخرى للتنمية ويؤثر فيها(٢) ، ويقترب بعض الدارسين الغربيين أنفسهم من هذا المعنى ، ولكن في محيط الحديث عن القيم الاجتماعية ، فيرون أن الخير يحدده كل مجتمع برغباته وتفصيلاته التي تعتمد هي الأخرى على القيم المجتمعية التي يؤمن بها(٣) ، لذلك فإن للقيم أهمية كبيرة في مجال الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية .

يعرف فاروق عبد السلام القيم كما يلي :

"القيم هي حالات إدراكية واقعية توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الاجتماعية ، وأهم ما يميزها هو اتصالها بثقافة المجتمع وحضارته مباشرة"(٤) .

وقد اقترحت الأمم المتحدة فى الدليل الذي أصدرته عام ١٩٨٨ م المبادئ العالمية العامة الموجهة لسياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية ، وذلك على أساس أن الأهداف الاجتماعية تعتبر عالمية أي واحدة في كل المجتمعات ، حيث إنها تقابل الاحتياجات الأساسية (Basic Needs) وتطلعات الناس في كل مكان ، مع الأخذ في الاعتبار تنوع واختلاف المداخل بالنسبة لعديد من الدول حسب تنوع النظم الاجتماعية واختلاف مستويات التنمية لدى كل منها :

---

(١) عبد المنعم بدر ـ الإسلام والتنمية ـ مقال المسلم للعاصر ، ١٩٨٢ م ، العدد ، ٢٩ ، ١٩٦ .

(٢) عبد المنعم بدر ـ الإسلام والتنمية ـ مقال المسلم للعاصر ، ١٩٨٢ م ، العدد ، ٢٩ ، ١٤٧ .

(3) Federico , Ronald , C 1984 The Social Welfare Instituation An Introduction , 4th ed., Masschusetts , D. C . Heath Company , 20.

(٤) عبد السلام ف ، الهاشمي ع ـ البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم ، بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة ، ١٩٨٠ ، ٤ .

وفيما يلي نص تلك المبادئ :

١- ينبغي النظر إلى برامج الرعاية الاجتماعية في الإطار الأشمل لأهداف وأغراض ميثاق التقدم الاجتماعي والتنمية (الذي اعتمد على الميثاق العالمي لحقوق الإنسان) ، حيث يقر المبدأ الرئيسي للميثاق ما يلي : إن جميع الناس لهم الحق في العيش في حرية وكرامة ، بدون أي شكل من أشكال التميز مثل السياسة القمعية للتفرقة العنصرية ، كما أن لهم الحق في المشاركة الكاملة في عمليات التنمية الاجتماعية والاستمتاع بثمار التقدم الاجتماعي : كما أن عليهم ـ من جانبهم ـ أن يساهموا فيها بجهودهم .

٢- إن التحديدات التي تواجهنا في التكيف مع التغيرات في الظروف الاجتماعية والاقتصادية يمكن التغلب عليها بفاعلية من خلال سياسات متكاملة للتنمية الاجتماعية وأنساق التدعيم الاجتماعي - ذات العلاقة بها - لإعادة التوجيه لتكون لها مساهمة أكثر إيجابية تدعم التنمية الشاملة ، وذلك من خلال منظور طويل الأمد مع الاستمرارية في أهداف تلك السياسات ، ومن الضروري التأكيد على أن البرامج الاجتماعية لا تمثل عبئاً على الموارد المتاحة ، بل إنها أيضاً أحد أشكال الاستثمار التي لا تختلف عن الاستثمار في البنية الاقتصادية الأساسية .

٣- إن هناك حاجة لتصميم برامج مدعومة دولياً لتحقيق التوافق الاقتصادي في ظل إطار طويل المدى يسمح لهذا التوافق أن يتحقق ضمن النمو ، دون إحداث اختلالات اجتماعية ، ومن خلال تلك البرامج لابد من اتخاذ إجراءات لحماية الفئات الضعيفة في المجتمع ، وتدعيم قدرة الناس على المساهمة في جهود التنمية ، مع إعطاء هذه الإجراءات اهتماماً أكبر.

٤- التأكيد على الحقوق المتساوية للمرأة والرجل في الأحوال الأسرية ، وإعطاء أهمية لتحقيق مشاركة متساوية وفوائد متساوية للمرأة والرجل في جميع مجالات التنمية الاجتماعية ، وذلك في إطار القوانين القومية وبما يتمشى مع الاستراتيجيات المتفق عليها في مؤتمر نيروبي .

٥- يسهل تحقيق التوافق مع الأوضاع المتغيرة في ظل زيادة التضامن والكرامة الإنسانية ، واحترام الحقوق الإنسانية ، والمساواة بين الرجل والمرأة ، والعدالة الاجتماعية ، وممارسة الديمقراطية وحق التجمع في منظمات بما في ذلك الحرية الدينية ، وحرية التعبير ، وحرية الانتقال للأشخاص، مع وجود نظام قضائي عادل وذي استقلال .

٦- إن أحد الاهتمامات الرئيسية في تصميم برامج الرعاية الاجتماعية الجديدة سيكون الاستخدام الكامل للموارد البشرية ، مع التركيز على تشجيع المبادرة والاعتماد على الذات لدى الأفراد.

٧- الحاجة إلى إعطاء اهتمام أكبر نحو زيادة قدرة المجتمع والأسرة على البقاء والنماء في إطار من المساواة بين الرجل والمرأة ، ودعم الفئات الضعيفة والمحرومة في جهودهم التي يبذلونها لتلبية احتياجاتهم .

٨ - الحاجة إلى تقوية دور المنظمات التطوعية وغير الحكومية والهيئات الخاصة ومساهماتهم ، وتشجيع جهود الناس أنفسهم للمساهمة في تدعيم الخدمات الاجتماعية والتنمية ، وذلك في إطار من القوانين القومية .

٩- يمكن تقوية التماسك الاجتماعي عن طريق ضمان حد أدنى من الدعم والحماية الاجتماعية على المستوى القومي ، على وجه يتلاءم مع الظروف السائدة ومستوى الموارد المتاحة ، وذلك بهدف حماية الأفراد من فقدان ما حصلوا عليه ، كثمرة للعمل المنتج ، مع حماية الفئات الضعيفة والمحرومة ، ويوضح هذا الحد الأدنى من خلال رؤية طويلة الأمد مع الالتزام بزيادته وتطويره بالتدريج .

١٠- هناك إدراك متزايد للحاجة إلى تشجيع الوصول إلى فهم أفضل لمفاهيم الرعاية الاجتماعية وممارستها في الدول المختلفة ، وكذا لدور الرعاية الاجتماعية في إطار التنمية الاجتماعية الشاملة .

١١- يمكن تقوية الجهود القومية لتشجيع التقدم الاجتماعي وتحسين الرعاية الاجتماعية عن طريق التعاون الإقليمي ، والتعاون بين الأقاليم ، وبين المنظمات الحكومية وغير الحكومية ، والجماعات ذات الاهتمامات الاجتماعية .

١٢- المحافظة على ظروف السلام وتحسين كل أشكال التعاون والحوار الدولي ، يمكن أيضاً أن يساعد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة للتركيز بشكل أفضل على القضايا المهمة للسياسة الاجتماعية والرعاية الاجتماعية(١) .

وبعد هذا العرض للمبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية على المستوى العالمي ، ننتقل إلى البحث عن أهم القيم التي يمكن أن تسود المجتمع المسلم ،التي من خلالها يمكن استخلاص المبادئ الموجهة للرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية ، بالإضافة إلى تفحص المبادئ التي أخذت بها هيئة الأمم المتحدة لمعرفة مدى قربها أو بعدها عن القيم والمبادئ الإسلامية من جهة ، وملاءمتها لاحتياجات المجتمعات الإسلامية في هذه الحقبة من الزمن - من جهة أخرى .

---

(1) United Nations , 1988 , Guiding Principles for Development Social Welfare Policies and Programmes in the Near Future . New York : United Nations.

## القيم العامة للمجتمع المسلم :

تنبثق قيم المجتمع المسلم عن العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد ، وهو الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب ، والمقصود هنا توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، بينما المقصود من توحيد الربوبية الإقرار بأن الله وحده خالق كل شئ وهو ما أقره المشركون من العرب ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**﴾(١) ، وكذلك كان حال الأمم السالفة من المشتركين الذين كذبوا الرسل ، فلقد كانوا مقرين بالصانع وأنه ليس للعالم صانعان ، ولكن اتخذوا لهم شفعاء مثل (الكواكب ، الأصنام ، الملائكة ، الجن) ، كما أخبر عنهم تعالى بقوله : ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾(٢) بينما توحيد الألوهية يعني : استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له(٣) .

وهناك جانب قيمي للتوحيد ، يظهره إسماعيل الفاروقي بقوله : "إنه عند تأكيدنا أنه لا إله إلا الله ، نعني أن "الإيمان" بالله هو القيمة المفردة والنهائية ، وأن كل شئ آخر يعتبر فقط أداة تتوقف قيمتها على الله سبحانه ، ويقاس بتحقيقها الخير الإلهي النهائي ، ونعني أن الله هو الغاية النهائية لجميع المطالب، وأن كل ما هو موجود في الكون يجب أن يماثل نفسه مع إرادة الله ، وبمقتضى هذا فإن الإنسان يعد بمثابة العبد الذي يجب أن يجند كل أعماله وقدراته لخدمة "دين" الله أو تحقيق الإرادة الإلهية، ثم يضيف قوله : "إن التوحيد يعبر عن ثلاثة معان جديدة على المستوى القيمي ؛ المعنى الأول : أن الخليقة هي الشئ المادي الذي يجب أن يتحقق فيه الكمال المتمثل في الإرادة الإلهية ، ولذلك فإن كل عنصر من عناصر الخليقة يتسم بالصلاح ، وأن الكون لم يخلق على أفضل صورة فحسب ، بل إنه خال من النقائص ويتسم بالكمال ، ونتيجة لذلك فإن التمتع بقيمه الجوهرية أو النفعية لا يعتبر ذنباً ، فالحياة التي تتمثل فيها جميع القيم تعتبر أثراً من آثار الله ، ويتوقف الاحتفاظ بها وتدعيمها على أفعال الإنسان المتمثلة في التسبيح لله وعبادته ، وتغرس القيم الكونية السامية في كل فرد باعتبارها أداة للتوصل إلى الحقيقة المطلقة ، وعلى عكس ذلك نجد أن المسيحية قد انتقصت من قدر الحياة الدنيا بتصويرها إياها بأنها تتكون من مجرد "كائنات حية" ، وأن البشرية تعد مجموعة هائلة من الآثام وأنه لن يأتي أبداً الزمان والمكان عندما تتوصل للحقيقة المطلقة .

---

(١) سورة لقمان ، الآية ٢٥ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣ .

(٣) أبو العز الحنفي ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ ط ٩ ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، المكتب الإسلامي ، ٧٨ ـ ٨٣ .

أما المعنى الثاني : فهو أن الإنسان لا يقع في مأزق إلا ويستطيع أن يخرج نفسه منه ، فاعتبارات مثل كون طريق الإنسان مليئاً بالعقبات ، وأن الإنسان يميل إلى الانقياد التام لأنانيته ، أو أن يتخذ أسهل الطرق التي تؤدي إلى تحقيق المتعة والشعور بالنشاط ، تعد جميعها حقائق ، ولكنها ليست بأكثر واقعية من نقائضها ولذلك ، فإن الإنسان ليس بحاجة إلى منقذ ، أو مسيح أو خلاص ، ولكنه في حاجة إلى أن يكرس نفسه لأداء واجبه في الحياة وأن يقيس كفاءته بصورة مباشرة بمقدار منجزاته ، ولذلك فإن الإسلام ـ باختلافه عن المسيحية ـ يدعو الناس للسعادة العظيمة بدلاً من الخلاص ، ويعدهم بالأجر في الحياة الدنيا والآخرة بما يتناسب مع أعمالهم .

أما المعنى الثالث الجديد للتوحيد على المستوى القيمي فهو أنه نظراً لأن الخير الذي يجب تحقيقه يتمثل في الإرادة الإلهية ، ونظراً لأن الإرادة الإلهية ـ بمقتضى كونها إرادة الخالق- تعتبر واحدة بالنسبة لجميع المخلوقات ويجب عليهم جميعاً الالتزام بها ، فإنه ليس من الممكن أن تكون هناك أي تفرقة بين الأماكن والأشخاص باعتبارهم القائمين بالفعل الأخلاقي(١) .

ويلاحظ على إسماعيل الفاروقي اهتمامه بالتفرقة بين القيم النصرانية والقيم الإسلامية، وهذا ما نود التأكيد عليه ، نظراً لأن الكتابات الغربية عن الرعاية الاجتماعية في الديانات السماوية توحي للقارئ بتماثل القيم في هذه الديانات ، مما يجعل هناك نوعاً من التقبل المطلق لكل ما يرد من مبادئ مهنية مستندة إلى تلك القيم ، فلابد من التنبيه إلى حقيقة الاختلاف بين القيم الإسلامية ، والقيم النصرانية أو اليهودية كما هي في الواقع ، خصوصاً في المقررات الدراسية التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية ، وأعتقد أن استخدام مصطلح "الديانات السماوية" غير دقيق ويشوه المعنى ، والأفضل القول "بالرسالات السماوية" فدين الله واحد وإنما تعددت الرسالات .

أما فاروق الدسوقي فيصف القيم الإسلامية بأنها ثابتة ومطلقة ، ويعددها في ثلاث قيم هي :

* الحق : هو القيمة العليا التي تنبثق من عقيدة الإسلام باعتبارها التعبير الإلهي عن الواقع الكوني ، والحق اسم من أسماء الله عز وجل ، ومن ثم لا تعلو قيمة في الإسلام على الحق .

* الخير : هو القيمة العملية المنبثقة من شريعة الإسلام ، ولكن مفهوم الخير يخضع للحق باعتباره القيمة الأعلى والأثبت .

---

(١) إسماعيل راجي الفاروقي ـ إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية ـ ١٩٨٠ م ، مقال المسلم المعاصر ، العدد ٢٢، ٣٨ - ٤١ .

* العدل : قيمة ثابتة أيضاً في الحياة الإسلامية تنبثق من الحق والخير ويتبع هذا سائر القيم الخلقية من أمانة وصدق ووفاء ورحمة ومودة وإحسان وبر : فكلها تهدف إلى الخير وتحققه وتقوم على الحق[1] .

أما خورشيد أحمد فيطبق القيم العامة على أحد مجالات الحياة المهمة ، فيرى أن الأساس الفلسفي للمدخل الإسلامي للتنمية يتمثل في :

١- **التوحيد** : وهو يضع القواعد الأساسية لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بالآخرين .

٢- **الربوبية** : ويقصد بها هنا الترتيبات الإلهية التي تمد الإنسان والكائنات الحية بالغذاء والأسباب التي تبقي على حياتهم ، وتوجيه الأشياء لتحقيق كمالها ، وهذا هو القانون الأساسي للكون ، والذي يلقى الضوء على النموذج الإلهي للتنمية المفيدة للمصادر والإمدادات المتبادلة لها ، وإنه من خلال هذه الترتيبات الإلهية يأخذ الجهد البشري مكانه .

٣- **الخلافة** : وهي دور الإنسان كخليفة لله يعمل على إعمار الأرض وإقامة شرع الله فيها ، وهذا يحدد دور الإنسان ومكانته ، ومسئوليته كمسلم ، ومسئولية الأمة الإسلامية كمستأمنة على الخلافة ، ويترتب عليه المفاهيم المميزة لكل من الأمانة الملقاة على الإنسان ، والأخلاق والسياسة والاقتصاد ومبادئ التنظيم الاجتماعي .

٤- **التزكية** : بمعنى "التطهير والنمو" ولقد كانت مهمة كل أنبياء الله هي القيام بتزكية الإنسان فيما يتعلق بعلاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان ، وبمجتمعه ، وبالدولة ، وبالبيئة الطبيعية من حوله[2] .

هذا ولقد كتب عن القيم العامة للمجتمع تحت مسميات مختلفة مثل المبادئ أو الأسس ، أو المقومات التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم .

فعلى سبيل المثال يرى مصطفى عبد الواحد أن أهم مبادئ المجتمع المسلم هي : الأخوة العامة - المساواة - الحرية - التكافل[3] ، وهو يتفق بذلك مع محمود شلتوت في تحديده لاثنين من المقومات هما الأخوة ، والتكافل ، التي ذكرها شلتوت بالإضافة إلى الشورى والعدل[4] ، بينما يختلف رأي محمد المدرسي عن الآراء السابقة ، حيث أخذ بقيمة واحدة فقط هي التقوى ، ويرى أنها محور المجتمع الإسلامي والركيزة الأساسية له ، وأن العدالة ما هي إلا إحدى إفرازات التقوى[5].

---

(١) فاروق الدسوقي - مقومات المجتمع المسلم - ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، المكتب الإسلامي ، ٦٥ .

(2) Ahmad , Khurshid , Economic Development in an Islamic Framework , London , The Islamic Foundation , 1979 , 12.

(٣) مصطفى عبد الواحد - المجتمع الإسلامي - ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ ، دار الجيل ، ٤٤ - ١٣٩ .

(٤) محمود شلتوت - الإسلام عقيدة وشريعة - ط ١٤ ، القاهرة ١٩٨٧ م ، دار الشروق ، ٤٣٣ - ٤٤٦ .

(٥) محمد تقي المدرسي - المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه - بيروت ١٩٨٢ م ، دار الجيل ، ٦٦ .

أما سيد قطب فقد تميز بتركيزه على ما يفرق المجتمع المسلم عن المجتمعات الأخرى ، وهو إيمانه بأن الحاكمية لله وحده ، فهو الذي يشرع وحده ، أما المجتمعات الأخري فالإنسان فيها يشرع لنفسه، ثم حدد الأسس التي تقوم عليها العدالة الاجتماعية في التحرر الوجداني ، والمساواة ، والتكافل الاجتماعي[1] .

ويعلق المودودي على القول بأن الإسلام فيه عدالة اجتماعية بأنه قول فيه نقص كبير، والصحيح أن الإسلام هو العدل بعينه ، فتطبيق الإسلام وإقامة العدل شئ واحد[2] .

وتطبيقاً لتلك القيم العامة للمجتمع المسلم ، قدم بعض أساتذة الخدمة الاجتماعية العرب محاولات لاستخلاص مبادئ الرعاية الاجتماعية في الإسلام ، ومنهم من ركز على مفهوم أومبدأ التكافل الاجتماعي مثل سيد أبو بكر حسنين (١٩٧٧) ، وعبد العزيز مختار (١٩٨٨) ، ومنهم من أخذ يعظم تلك القيم مثل أحمد كمال أحمد (١٩٧٧) .

وينفرد الفاروق يونس بتمييزه بين قيم المجتمع بصفة عامة وبين مبادئ الرعاية الاجتماعية بصفة خاصة ، وهو إذ يرى أن دعائم المجتمع الإسلامي هي :

الأخوة ، والمساواة ، والتكافل الاجتماعي ، والشوري . إلا أنه استخلص منها أسس للرعاية الاجتماعية وحددها في :

١ ـ حق الفرد على المجتمع .

٢ ـ تدرج مسئولية الرعاية .

٣ ـ العمل كقيمة وكأساس للإعالة .

٤ ـ الكرامة الإنسانية[3] .

كما نجد عبد الستار أبو غدة يؤكد على أهمية الإحسان كقيمة بالإضافة إلى العدل ، لأن الجماعة قد لا تنهض بالاقتصار على العدل دون بسط الإحسان لمن لا يكفي العدل لرعايته[4] .

ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً كبيراً بين المعاني التي تحملها مسميات تلك القيم ، فمثلاً الأخوة والتكافل ، فالأخوة تستوجب التكافل فيمكن النظر إلى التكافل كجزء من

---

(١) سيد قطب ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام ـ ط ٦ ، القاهرة ١٩٦٤ م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ٣٥ ـ ٦٣، ٩٤ .

(٢) أبو الأعلى المودودي ـ مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ـ جدة ١٩٨٥ م ، الدار السعودية للنشر ، ١٧٣ ، ١٧٥ .

(٣) الفاروق زكي يونس ـ الرعاية الاجتماعية في الإسلام ـ بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي لعلماء المسلمين ـ إسلام اباد باكستان، ١٩٨١ م، ١٦ ـ ٣٢.

(٤) عبد الستار أبو غدة ـ رعاية المعوقين في الإسلام ـ مقال ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٤ ، ١٩٨٣ م ، ١١١ .

الأخوة ، وكذلك بالنسبة للعدل ، فهناك ترابط كبير بين العدل والمساواة ، كما أنه يمكن إضافة بعض المبادئ الأخري ذات الصلة بالرعاية الاجتماعية مثل الرحمة والبر ، فالرحمة تستوجب التعاضد والتكافل والتعاون والرأفة بين المسلمين، وكذلك البر فإنه يتسع ليشمل كل المعاني التي جاءت بها الآية الكريمة :

**﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن با لله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾**(١) .

ولاشك أن تعدد هذه القيم تري مضمون الرعاية الاجتماعية في الإسلام وتزيده غنى.

وبتفحص مفهوم التكافل الاجتماعي ، نجد أنه يمكن أن يكون مرادفاً للرعاية الاجتماعية ، ولذلك فإن كلا عبد العزيز الخياط وأحمد بودهان (١٩٨٢م) وافقا سيد قطب في نظرته للتكافل الاجتماعي كنظام كامل لأنه لا يعني مجرد المساعدات المالية ـ أيا كانت صورها ـ كما تعني كلمات الضمان الاجتماعي ، أو التأمين الاجتماعي ، ولكن المساعدات المالية نوع واحد من المساعدات التي يعنيها التكافل في الإسلام ، فهو يعتني بتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي ، وعني بتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها ، وعني بالعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة ، كما عني بالمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي(٢) .

وبإعادة النظر في المبادئ التي اقترحتها هيئة الأمم المتحدة لسياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية في ضوء القيم والمبادئ الإسلامية سابقة الذكر ، يمكن ملاحظة ما يلي :

١- الحرية والعدالة والمساواة ، هي قيم أساسية ومبادئ يجب تطبيقها في مجال الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية في كل من المنظور الغربي والعالمي والمنظور الإسلامي ، والفرق بين المنظورين يكمن في اختلاف المنطلق الذي تنطلق منه تلك القيم ، فنجد أنه في الإسلام تنطلق تلك القيم من العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد (كما اتضح في قول الفاروق وأحمد وقطب).

بينما تنطلق في الحضارة الغربية من الظروف التاريخية والصراعات الاجتماعية والسياسية ، مثل انتهاء عهد الإقطاع وظهور الثورة الفرنسية التي كان من أهم نتائجها على العالم إعلان حقوق الإنسان في صورة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) عبد العزيز الخياط ـ المجتمع المتكافل في الإسلام ـ عمان ، ١٩٧٢ م ، مكتبة الأقصى ومؤسسة الرسالة ، ٧٩ .

٢- تؤكد مبادئ الأمم المتحدة على أهمية التكامل الاقتصادى والاجتماعى فقط ، بينما نجد فى الإسلام أهمية التكامل بين الجوانب الاعتقادية أو الإيمانية والجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

٣- تشير مبادئ الأمم المتحدة إلى الحاجة للدعم الدولي لبرامج الرعاية الاجتماعية والتي غالباً ما تمول من المساعدات الدولية التي تحكمها المصلحة قصيرة النظر لتلك الدول ، والرغبة في تحقيق أغراضها السياسية ، أما في الإسلام نجد أن مفهوم الأخوة والتكافل الاجتماعي يحتم التعاون والتكامل في سد الاحتياجات وتمويل البرامج الاجتماعية بين القطاعات المختلفة في المجتمع الواحد ، وبين المجتمعات الإسلامية فيما بينها وبين بعض ، استجابة لأوامر الله التي تحقق المصلحة في الدنيا والآخرة .

٤- إن التطوع ومساهمة الناس جميعا - أو ما يسمى بالمشاركة - في جهود الرعاية الاجتماعية وتقديم الخدمات الاجتماعية ، الذي تنادي به مبادئ الأمم المتحدة والذي اعتبرته كثير من الدول الصناعية المتقدمة المخرج الوحيد لأزمة التمويل للرعاية الاجتماعية ، نجد أن الإسلام قد حث عليه ، بل ربطه بالإيمان با لله وجعله جزءاً لا يتجزأ منه .

٥- ضمان حد أدنى من الدعم والحماية الاجتماعية على مستوى الدولة وحماية الفئات الضعيفة هو من المسئوليات الشرعية للدولة في الإسلام ، لذلك فلا خلاف عليه ، كما أن الحد الأدنى ليس هو حد الكفاف ولكنه حد الكفاية ، ويتحقق بصورة رئيسة - كما سبق الإشارة - عن طريق مسئولية الدولة في تحصيل الزكاة وتوزيعها على الفئات المستحقة .

٦- يتميز الإسلام بالنظرة إلى الإنسان كمستخلف، ولذلك فإن مفهوم الاستخلاف يجب أن يكون له دور في ترشيد السياسات الاجتماعية لتحقيق إرادة الله وشرعه من جهة ، والتركيز على تنمية الموارد البشرية واستخدمها استخداماً كاملاً من جهة أخرى ، ومبادئ الأمم المتحدة إن كانت تطالب بتنمية الموارد البشرية ، إلا أن ذلك ليس بهدف تحقيق الإرادة الإلهية .

٧- أما عن الاهتمام بالأسرة والمطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة ، فمعروف مدى اهتمام الشارع بتنظيم أوضاع الأسرة وسنه للتشريعات التى تحمي كيانها وتدعم قدراتها ، أما المساواة بين الرجل والمرأة في الأحوال الأسرية فإن للإسلام نظرته الخاصة في ذلك ، فلتحقيق المساواة العادلة بينهما نجده أعطى كلا منهما ما يناسبه من حقوق وطالبهما بالواجبات التي تتلاءم وخصائص كل منهما ، فالإسلام له نسقه للتكامل في تنظيم الروابط والحقوق والواجبات ، وهو أكثر تحقيقاً للمساواة الحقيقية من مجرد المقارنات السطحية التي يقيمها الكثيرون بين "بعض" جوانب تلك الحقوق والواجبات في غيبة النظر إلى بعضها الآخر .

والآن يحق لنا أن نتساءل : هل هذه القيم والمبادئ الإسلامية هي السـائدة بـالفعل في المجتمعات الإسلامية اليوم ؟ والإجابة للمؤسفة عن هذا السؤال تشـير بـالنفى ، فمـن ينظـر إلى أحوال العالم الإسلامي اليوم يهوله الفارق الشاسع بين الواقع والمثال ، والانحراف الشديد عن حقيقة الإسلام وقيمه السامية ، لا في السلوك وحده ولكن في التصـور أيضـاً ، وكمـا يقـول محمد قطب مثلاً : إن مفهوم "لا إله إلا الله" تحول إلى كلمة تقال باللسان لا أثر لها في حياة المسلمين ، ومفهوم العبادة انحصر في شعائر التعبد ، ومفهوم القضاء والقدر صـار في صورتـه السلبية قوة مخذلة مثبطة عن العمل والنشاط بدلاً أن يكون قوة دافعة رافعـة ، ومفهـوم الدنيـا والآخرة ، وعمارة الأرض أهملت حين أهملت الدنيا مـن أجـل الآخـرة فخيـم على النـاس الفقر والجهل والمرض والتخلف الحضاري ، وزاد على ذلـك كلـه أنـه – في حسـهم – قـدر مقدور من عند الله ، لا حيلة لهم فيه إلا الرضا والتسليم(1) .

أما الحرية والعدالة والمساواة ، فقد أصبحت شعارات تتغنى بها معظـم الحكومـات ، والأخوة الإيمانية التي تستوجب التعاون والتعاضد بين المسلمين ليصبحوا كالجسـد الواحـد لا نجد لها أثراً بـل علـى العكـس نجـد التنـاحر والاختـلاف والقتـال بـين المسـلمين ربمـا بسـبب الحصول على السلطة أو على قطعة أرض .

هذا بالإضافة إلى ما تتعرض له الشعوب الإسلامية من هجـوم وحـروب وقتـل وتَعَـدّ على الحرمات من أعداء الإسلام في العديد مـن الـدول الإسـلامية ، وبالإضافـة إلى التيـارات الفكرية المختلفة الـتي تجتـاح العـالم الإسـلامي ، وتجعـل هنـاك نوعـاً مـن البلبلـة والشـك في المعتقدات الإسلامية ، والأخطر من هذا حملات التنصير للمسلمين خصوصاً في البلاد الفقيرة والتنصير للأطفال اليتامى ضحايا الحروب .

فالأمة الإسلامية اليوم تواجه – وقد انتبهت من رقادها – مشكلات هائلة على كـل الجبهات ، فمشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية – وهي مشكلات مستعصية بكل المقاييس – ليسـت سـوى الأجـزاء اليسـيرة الظـاهرة مـن مرضهـا الكـامن في نـاحيتي الفكـر والأخلاق ، وتتطلب هذه المشكلة برمتها مسحاً علمياً وتحليلاً نقدياً(2) ، وإذا كان الفاروقي وكثير من المفكرين الإسلاميين قد أرجعوا تدهور أوضاع الدول الإسلامية إلى الأزمة الفكرية التي تعانى منها تلك الدول نتيجة للغزو الفكري والتبديل الثقافي من قبـل الغـرب(3) ، فإننـا نجد من يرجع ذلك التدهـور إلى النمـو المبتـور للنظـم والمؤسسـات المجتمعيـة في تلـك الـدول

---

(1) محمد قطب – منهج التربية الإسلامية – الجزء الثانى ، ط3 ، بيروت ، دار الشروق ، 1982م ، 8 .

(2) إسماعيل راجي الفاروقي ـ أسلمة المعرفة ـ مقال ، المسلم المعاصر ، العدد 32 ، 1983 م ، 20.

(3) المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ إسلامية المعرفة ـ واشنطون ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1986 م ـ 17 .

كنتيجة للسيطرة الأجنبية على أحوال المسلمين(١) ، ولقد اعتبر الفاروقي "تحديد أهم مشكلات الأمة" هو أحد خطوات أسلمة المعرفة ، ومن هذا المنطلق فإن وضع مبادئ لتوجيه سياسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية لابد أن يسبقه تحديد للمشكلات التي تعاني منها الأمة ، فإن المبادئ بصفتها العامة يمكن أن تفيد المجتمعات في توجيه سياسات الرعاية في كل وقت وتحت أي ظروف ، ولكن نحن في حاجة إلى مبادئ توجه بصورة مباشرة سياسات الرعاية الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية في الوقت الحالي ، وتحت الظروف والمشكلات الراهنة .

لذا فإنه في ضوء المشكلات الواضحة والمشار إليها آنفاً ، سيتم اقتراح بعض المبادئ التي يمكن أن توجه سياسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في هذه الحقبة من الزمن بالتركيز على محورين أساسيين هما : إصلاح الفكر ، وإصلاح المؤسسات المجتمعية ، وذلك فيما يلي :

١- ينبغي التركيز على حماية الدين عن طريق المساهمة في الإعداد بكل ما يستطاع من قوة للجهاد في سبيل الله بالأنفس والمال ، لإعلاء كلمة الله .

٢- الاهتمام بتنقية العقيدة من الشبهات والانحرافات التي قد ترجع إلى الجهل أو إلى ما يدسه أعداء الإسلام ، بالإضافة إلى العمل على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأجيال الجديدة وحمايتها من الأخطار والتيارات الفكرية الملحدة .

٣- التأكيد على ضرورة نشر التعليم النافع بين جميع فئات المجتمع وبخاصة بين النساء (مربيات الأجيال) .

٤- الحاجة إلى سياسات متكاملة للتنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية بين الدول الإسلامية – ويمكن ذلك إذا تم التجاوز عن الخلافات السياسية ـــ حتى يتحقق الاعتماد الذاتي (في نطاق الأمة الإسلامية) .

٥- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى عامة المسلمين ، ونشر الفهم الصحيح للقيم الإسلامية مثل مفهوم البر كما ورد في القرآن الكريم "سورة البقرة الآية ١٧٧" وتشجيع التطبيق العملي لهذه المفاهيم على مستوى العلاقات الرسمية وغير الرسمية .

٦- تدعيم الأسرة ، وعلاقات القرابة والجيرة داخل المجتمع المحلي ، وتشجيعهم على التعاون والتكافل الاجتماعي فيما بينهم وحماية الفئات الضعيفة .

٧- الدولة مسئولة عن توفير الضروريات بحد الكفاية لجميع أفراد المجتمع .

٨ ـ الاهتمام بالتنمية البشرية ، والاستخدام الأمثل للطاقات الإنسانية ، وتشجيع الجهود الذاتية ، وتنظيم الجهود التطوعية .

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب ـ الإسلام والتنمية ـ في كتاب تنظيم المجتمع أسس نظرية وتطبيقات عملية ، القاهرة ١٩٨٣ م ، دار الثقافة ، ٣٢٧.

٩- تنقية المؤسسات التربوية والاجتماعية والإعلامية من الاتجاهات غير الإسلامية الفاسدة ، وإنشاء المؤسسات وتطويرها على أسس من الشريعة الإسلامية والقيم الإسلامية .

١٠- الاهتمام ببرامج رعاية الأسرة والطفولة ، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية للأسرة.

١١- التأكيد على الدور الطبيعي لكل من الرجل والمرأة في المجتمع ومسئوليات كل منهما كما حددها الشارع ، وعدم إعطاء الفرصة لأي منهما للتخلي عن بعض من مسئولياته ، ولا للمرأة لتحمل أعباء غير مكلفة بها شرعاً .

## ثالثاً : أنشطة وبرامج الرعاية الاجتماعية :

لقد بدأت جهود متعددة من جانب المتخصصين في الخدمة الاجتماعية لتصنيف برامج الرعاية الاجتماعية ، وسيتم هنا الإشارة إلى بعض منها ، لكي نتعرف على أنواع الأنشطة والبرامج التي تعد داخلها تحت مظلة الرعاية الاجتماعية من المنظور الغربي ، ثم القيام بعد ذلك بإلقاء نظرة نقدية على تلك التصنيفات تمهيداً لمحاولة وضع بعض الخطوط العريضة لما يمكن اعتباره تصنيفاً لبرامج الرعاية الاجتماعية من المنظور الإسلامي ، وذلك بالاستناد إلى مفهوم مقاصد الشريعة والضروريات الخمس التي سبق ذكرها .

## برامج الرعاية الاجتماعية في المنظور الغربي :-

اختلفت تصنيفات برامج وأنشطة الرعاية الاجتماعية باختلاف الأساس الذي قام عليه كل تصنيف ، فجاء تقسيم فريد لاندر – كما ذكره الفاروق يونس – على أساس "مجالات الممارسة" ، والمقصود بمجال الممارسة مجموعة من المؤسسات والبرامج تستهدف إشباع حاجة إنسانية من خلال خدمات مهنية ، وفي ضوء ذلك يقرر فريد لاندر أن هناك خمسة مجالات رئيسة للرعاية الاجتماعية ، هي :

١- الأمن الاقتصادي وتوفير فرص العمل : وتشمل المساعدات العامة ، التأمينات الاجتماعية ، التدريب المهني .

٢- البيئة الاجتماعية والإسكان : وتشمل الإسكان وحماية البيئة .

٣- الخدمات الصحية : الوقائية والعلاجية والإنمائية ، وتشمل خدمات الصحة العامة، والصحة النفسية ، العلاج الطبي ، الخدمات الاجتماعية الطبية .

٤- النمو الشخصي والاجتماعي : ويشمل رعاية الأسرة ، رعاية الطفولة ، رعاية الشباب ، رعاية الفئات ذات الاحتياجات الخاصة ، الخدمات الاجتماعية في المؤسسات العقابية.

٥ - الخدمات التعليمية .

كما قسمت البرامج والخدمات على أساس وظيفى إلى ثلاثة مجالات وظيفية هي :

١- **الإمدادات الاجتماعية** : والهدف من هذه البرامج هو تحقيق الأمن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية للناس في المجتمع ، فهي تمثل الوظيفة الاقتصادية للرعاية الاجتماعية ، وبعض هذه البرامج مؤقت مثل المساعدات العامة ، وبعضها إنمائى مثل التأمينات الاجتماعية.

٢- **الخدمات الاجتماعية** : هذه الخدمات تساند أو تكمل أو تحل محل الأنظمة المعنية بالتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي ، وخصوصاً الأسرة والتربية ومن ثم فهى خدمات تعنى بتغيير الناس عن طريق تزويد الأفراد والجماعات بالموارد والإمكانات اللازمة لتحسين الأداء الاجتماعي .

٣- **العمل الاجتماعي** : ويهتم بتغيير النظم ، فإذا كانت الخدمات الاجتماعية تعنى بمساعدة الناس على أداء أدوارهم في إطار النظم القائمة ، فالعمل الاجتماعي يعني بتغيير مضمون هذه النظم والذي يتصل بتوزيع الأدوار والقوى داخل المجتمع ، وتوفير الفرص ، وإثراء حياة الناس[1] .

بينما قسمت بيولا كومبتون وظيفة الرعاية الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع من "الأنشطة" هي:

١- **أنشطة متعلقة بالحفاظ على مستوى لائق لمعيشة الفرد** : وذلك بتوفير الحد الأدنى من الضروريات ، كذلك الحفاظ على تماسك وتوازن واستمرارية باقي النظم الاجتماعية بالمجتمع.

٢- **أنشطة تنموية** : تعمل في حدود القيم الاجتماعية السائدة والبناء السياسي وذلك للمساعدة على نمو الفرد ، ونمو كل من النظام السياسي والاقتصادي والأسري والديني ، عن طريق توفير الأساسيات لتنمية الأفراد والأسر في إطار من الخطة الوطنية .

٣- **أنشطة للتغيير** : وهي تهدف مباشرة لتغيير وظائف الفرد أو الأسرة أو الجماعة عندما يرغب الفرد في التغيير ، وعندما يصبح التغيير ضرورة لحماية الفرد نفسه والآخرين ، كما تهدف إلى تغيير عناصر محددة في البناء الاجتماعي ، حتى لو أدى إلى تحدي بعض القيم الموجودة ، ومثل هذه الأنشطة تسعى ـ من خلال الضغط في حدود القوانين الموجودة ـ إلى تغيير ما تقوم به بعض الأنظمة الاجتماعية مما يسئ إلى الأفراد أو الجماعات في المجتمع .

كما عرضت بيولا كومبتون أيضاً عدة تصنيفات للبرامج التى تحويها تلك الأنشطة ، فهناك تصنيف حسب المصدر الذي يمول هذه البرامج إن كان عاماً (Public) أو إن كان خاصاً (Private) ، وتصنيف آخر حسب "العملاء المستفيدون" الذين حددتهم في الفئات

---

(١) الفاروق زكى يونس ـ الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعى ـ ط ٢، القاهرة ١٩٧٨ م، عالم الكتب، ١٧ـ ١٩ .

التالية : المسنون ، الأطفال ، الأطفال المهملون ، الجانحون ، المذنبون ، العاطلون ، المعاقون جسمياً ، المضطربون عاطفياً ، مرضى العقول ، المحاربون القدامى ، أبناء السبيل ، العاجزون، والجماعات المحلية ذات الاهتمامات الخاصة .

ويلاحظ على هذا التقسيم أنه ركز على الفئات ذات الاحتياجات الخاصة ، وبذلك فهو يحصر الرعاية الاجتماعية في النطاق العلاجي المؤقت ، على الرغم من أن الكاتبة قد شملت في تقسيمها لوظائف الرعاية الاجتماعية الأنشطة التنموية ، ولذلك فإن تقسيم البرامج على هذا النحو لا يشمل وظائف الرعاية كما تنظر إليها الكاتبة نفسها .

كما ذكرت ما قام به (كان Kahn) من تقسيم للبرامج حسب طبيعة الخدمات المقدمة إلى:

١- المساعدات المالية والضمان الاجتماعي .

٢- الرعاية الصحية .

٣- الإسكان .

٤- التعليم .

٥- القوى العاملة .

٦- الخدمات الاجتماعية الشخصية .

ثم أشارت إلى النوعين الآخرين من الخدمات اللذين أضافهما موريس (Moris) إلى تقسيم "كان" وهما الإصلاحيات ، والتأهيل[(١)] .

وبتأمل هذه التصنيفات ، يمكن ملاحظة مايلي :

١- تقتصر هذه البرامج على رعاية وإشباع الحاجات المادية أساساً ثم الحاجات النفسية والاجتماعية ، دون الحاجات الروحية المتعلقة بصلة الإنسان بربه ، ويرجع ذلك إلى الأساس النظري والمنهجي الذي بنيت عليه تلك البرامج ، فكما يقول إبراهيم رجب : إن المنهج العلمي للبحث في الظواهر الاجتماعية قد اقتصر تقليدياً على دراسة الجوانب المحسوسة من الإنسان وحاجاته ومشكلاته ، مما شكل نظرة مادية آلية للإنسان أثرت سلباً على تصميم برامج الرعاية الاجتماعية وتنفيذها ، بينما يهتم المنظور الإسلامي بالجوانب الروحية والدينية كما تبين لنا من عرض وظائف الرعاية الاجتماعية[(٢)] .

---

(1) Compton Beulah R . Introdction to Homemood , Illinios : the Dorsey press , 1980 , 33 - 34 , 60 - 62 .Krow Laicos & Eraflew Laicos.

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب ـ الإسلام والتنمية في كتاب تنظيم المجتمع أسس نظرية وتطبيقات عملية ـ القاهرة ١٩٨٣ م ، دار الثقافة ، ٥٧.

٢- يلاحظ أن هناك تركيزاً على البرامج الحكومية أساساً ، والأهلية التطوعية في الدرجة الثانية، مع عدم إعطاء العلاقات الاجتماعية الطبيعية بين الناس وزناً كبيراً ، بل ساد- كما يشير إبراهيم رجب- اتجاه يرى أن الحل الأمثل هو في إنشاء "المؤسسات الإيداعية" لرعاية أي فئة اجتماعية تواجه أي نوع من الصعوبات ، "مثل مؤسسات رعاية المسنين ـ ومؤسسات رعاية المعوقين" ولو أدى ذلك إلى عزلة النزلاء عن أسرهم وعن الحياة الطبيعية في المجتمع المحلي ـ مهما كانت آثار ذلك على نفوسهم ـ ما دامت حاجاتهم المادية مؤمنة في إطار تلك المؤسسات(١) ، بينما نجد في المنظور الإسلامي ، أن الرعاية الاجتماعية هي التزام من جانب الجميع من أجل الجميع ، وكما يقول الفاروق يونس : "إن التزامات الرعاية في الإسلام تتجاوب مع التزامات العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الناس ، علاقة الزوج بزوجته ، علاقة الوالدين بالأبناء ، علاقة القرابة أو صلة الرحم ، علاقة الجيرة ، وعلاقة الأخوة في المجتمع(٢) ، فتتسم مسئولية الرعاية الاجتماعية بالتدرج ، فلا يصح أن نعزل المسنين ـ على سبيل المثال ـ في مؤسسات إيوائية في وجود أبناء لهم أو أقارب .

٣- رغم اتساع نطاق هذه البرامج بشكل كبير ، فإن الحكومات لا تبدي في أغلب الأحيان القدر الكافي من الاهتمام بها كما هو متوقع نظرياً ، والدليل على ذلك ـ كما يذكر ريتشارد إستس ـ ما أصدره البنك الدولي من إحصائيات عن معدل الإنفاق على برامج الرعاية الاجتماعية في أربع وعشرين دولة من الدول الصناعية الغنية ، حيث اتضح عدم زيادة ذلك المعدل في تلك الدول منذ عام ١٩٧٢ م وحتى عام ١٩٨٩ م ، مما يشير إلى عدم مقدرة الحكومات على الوفاء بتكاليف برامج الرعاية الاجتماعية المستمرة في الارتفاع ، والذي يستوجب معه ارتفاع معدل الإنفاق(٣) ، بينما نجد تعدد مصادر تمويل الرعاية الاجتماعية في المجتمع المسلم ، بشكل يمكن معه الوفاء بتكاليف برامجها وخدماتها ، كما سيتضح لنا عند تناول مصادر التمويل .

٤- يتضح من تنوع الأنشطة واستهدافها لنمو الأفراد من جانب ، والنظم الاجتماعية من جانب آخر ، ما توليه الرعاية الاجتماعية من الاهتمام المتساوي لكل الضروريات وما تتسم به من انتشار وظيفي ، وارتباطها بجميع النظم الاجتماعية الأخرى

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب ـ التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ـ بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة ١٩٩٢ م، ٥٧.

(٢) الفاروق زكي يونس ، الرعاية الاجتماعية في الإسلام ، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي لعلماء المسلمين ، إسلام اباد ـ باكستان ، ١٩٨١ م ، ٢٨.

(3) Estes Richard J . 1992 , Interationalizg Social Work Eductation : A Guide to Resources for a New Century, Philadelphia , Pennsylvania : University of Pennsylania School of Social Work, 189 - 190.

(النظام السياسي ، النظام الاقتصادي ، النظام الأسري ، والنظام الديني) ، مما يتمشى مع المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية ، كما تبين في المبحث السابق .

وبعد هذه النظرة النقدية لتصنيف برامج الرعاية الاجتماعي في المنظور الغربي ، ننتقل إلى محاولة تصنيف برامج الرعاية الاجتماعية من منظور إسلامي ، حيث سيتم تصنيفها وفقا للهدف منها ، وذلك بما يتمشى مع تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في الحفاظ على الضروريات الخمس وذلك على النحو التالي :

**برامج الرعاية الاجتماعية في ضوء مقاصد الشريعة :**

**١- برامج للإسهام في حفظ الدين :**

وتنقسم إلى نوعين : الأول برامج إنشائية وتنموية تحافظ على وجود الدين واستمراره، الثاني : برامج وقائية وعلاجية تحافظ على الدين من العدم وتدافع عنه ، وفيما يلي أمثلة على النوعين :

**أ ـ البرامج الإنشائية والتنموية ، مثل :**

* برامج للإسهام في جهود الدعوة إلى الله وفي بناء الوعي الإسلامي ، في إطار "الخدمة الاجتماعية الإسلامية" وفق ما يراه محمد عبد الهادي (١٩٩١ م) ، وبخاصة فيما يتصل بالجهود التنسيقية بين المنظمات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة ، وتقديم المشورة المهنية اللازمة لمعاونتها في تصميم البرامج وتقويمها ، وتدريب قيادات الدعوة الإسلامية .

* برامج تعليمية تساعد الأفراد على التأمل والتفكير في آيات الله المشاهدة في الكون، وفي النفس الإنسانية وتدبر آيات الله المتلوة (القرآن الكريم) ، حتى يستطيعوا ـ عن طريق العقل والوحي ـ الوصول إلى الإيمان الصادق .

* برامج للعمل مع الجماعات من المنظور التنموي (Developmental) تقصد في جوهرها إلى التنمية المتكاملة لشخصيات الشباب ، محورها الأساسي اعتقادي وتعليمي .

* برامج تتصل بتوفير الإمكانات المادية وغير المادية ، لمعاونة طلاب العلم وتشجيعهم؛ فكلما استزاد الفرد من العلم قوي إيمانه وزادت خشيته لله -عز وجل- ﴿..إنما يخشى الله من عباده العلماء..﴾[1] .

* برامج تتصل بتوفير وتيسير أداء العبادات ، كإعمار المساجد ، وتيسير الحج والعمرة لأكبر عدد ممكن من المسلمين ، وتوفير الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية لهم.

* برامج تهدف إلى تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع على جميع المستويات : المجتمع المحلي ، والمجتمع القومي ، والمجتمع الإسلامي الكبير ، وتوثيق الروابط ، والعمل على

---

(١) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

تهيئة جو من التضامن والمحبة بين المسلمين من تمام الإيمان با لله ـ عز وجل ـ كما ورد في عدة أحاديث للرسول ـ ﷺ ـ مثل : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))(١) ، كما أن الحث على العناية باليتيم وإطعام المساكين ، يعتبر تصديقاً عملياً بالدين كما جاء في قوله تعالى : ﴿أرايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين﴾(٢) .

**ب ـ البرامج العلاجية والوقائية :**

* الإسهام في برامج إعداد المجاهدين في سبيل ا لله ، عن طريق تقديم الخدمات الاجتماعية لهم ، وتذليل الصعوبات التي تواجههم ، ومساعدة أسرهم خصوصاً أثناء غيابهم، وكفالة أيتام الشهداء .

* برامج للحث على الجهاد بالنفس وبالمال ، وتنظيم عمليات جمع المال وإيصاله للمجاهدين لمقابلة احتياجاتهم المادية والعسكرية .

* برامج توعية بمخاطر الابتداع في الدين ، وتحذير المسلمين من الانحراف في العقيدة والخروج بالدين عن دائرة ما حدده المشرع .

* برامج توعية دينية للمنحرفين والمذنبين بالمؤسسات العقابية ، تساعدهم على فهم العلاقة بين انحرافهم وبين نوع صلتهم بربهم ، وتدربهم على تطهير أنفسهم من دنس المعاصي ، وتزكيتها بالعمل الصالح .

* برامج للوقاية من الانحراف ، وبرامج علاجية للمنحرفين .

ولقد اقترح على زيدان أنواعاً متعددة من هذه البرامج ، فمن البرامج الوقائية : العمل على إزالة المعوقات الاجتماعية التي تحول دون الزواج المبكر لمن يستطيع ـ إعداد المقبلين على الزواج لممارسة الحياة الأسرية على الوجه الذي يرضي ا لله ويقيم حدوده ، وبيان الخطورة المترتبة على مخالفة ذلك ـ المساعدة في حل المشكلات المترتبة على الطلاق ـ توفير الرعاية للأيتام واللقطاء ـ مساعدة الأفراد الذين يعانون من نقص في إشباع حاجاتهم الأساسية ـ الدعوة إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإسهام في تنظيم ذلك على المستوى المحلي والمؤسسي ، مع القيام بذلك على المستوى الفردي ، والجماعات الصغيرة ـ العمل على إرساء قواعد العدل ومنع الظلم بين الناس .

أما البرامج العلاجية فمنها : مساعدة المنحرفين على التوبة ، والصبر ، وأداء العبادات – تهيئة الصحبة الصالحة والإبعاد عن رفاق السوء- تشجيع المنحرفين على العمل الصالح باستخدام أساليب الثواب والعقاب(٣) .

---

(١) البخاري ، كتاب الإيمان : ٧ .

(٢) سورة الماعون : الآيات ١ ـ ٣ .

(٣) على حسين زيدان ـ دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين ـ منظور إسلامي ـ بحث مقدم إلى ندوة التأصيلالإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ١٩٩١ م ، ٥٣ ـ ٩٨.

**٢- برامج للإسهام في حفظ النفس :**

* برامج لرعاية الأسرة ـ لما لها من دور كبير في تنشئة الفرد منذ المراحل الأولى – مثل التوعية بالأسس السليمة التي تقوم عليها الأسرة ، ومراعاة أحكام الزواج من نفقة ، ورضاعة وحضانة ، ومثل : البرامج الصحية والاجتماعية لرعاية الأمومة والطفولة ، وتقديم الخدمات التي من شأنها الحفاظ على النفس منذ بدء تكوينها .

* خدمات صحية وقائية مثل التوعية الصحية والتوعية الغذائية ، بالإضافة إلى الخدمات الصحية العلاجية .

* خدمات الإسكان .

* خدمات الإغاثة في الطوارئ والأزمات .

* برامج الضمان الاجتماعي .

* برامج التربية الرياضية التى تهدف إلى تنشئة أفراد أقوياء قادرين على القيام بما كلفهم الله به .

برامج ترفيهية ـ باستخدام الوسائل المباحة شرعاً ـ للعمل على دفع الملل من القلوب واستعادة النشاط والحيوية والقدرة على مواصلة الأعمال وأداء الواجبات بأحسن صورة ممكنة .

* برامج لرعاية المعوقين .

* برامج لرعاية المسنين .

**٣- برامج للإسهام في حفظ العقل :**

**أ ـ لحفظ العقل من جانب الوجود :**

* برامج تعليمية موجهة لجميع المسلمين لتعليمهم تكاليف دينهم وما فرضه الله عليهم .

* برامج تعليمية موجهة لفئة خاصة من المسلمين لتأهيلهم للقيام بمسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* برامج تعليمية مختلفة تؤدى إلى تحسين الحياة الاجتماعية ورقيها .

* برامج تعمل على تجلية الشبهات ومحاربة البدع والخرافات لوقاية العقل من الانحرافات الفكرية.

هذا بالإضافة إلى جميع البرامج السابق ذكرها لحفظ النفس ، حيث إنها تعمل في ذات الوقت على حفظ العقل .

ب- لحفظ العقل من جانب العدم :

* برامج توعية بأضرار المسكرات والمخدرات .

* برامج علاجية للمدمنين ، وأخرى اجتماعية لأسرهم .

* برامج علاجية لمرضى العقول .

**٤ - برامج للمساهمة في حفظ النسل :**

برامج لحث الشباب على الزواج ، وتيسيره لهم .

* برامج توعية بأهمية النسل وتحريم تحديده ، وجواز تنظيمه .

* برامج صحية لتقوية النسل ، وعلاج حالات العقم المؤقت .

* دعم الأسرة بكل الطرق الممكنة لكي تقوم بوظائفها ، ومنع تفككها ، ومعاونتها على حسن تربية الأبناء .

* رعاية الأطفال مجهولي النسب ، وتشجيع الأسر على كفالتهم .

* برامج لمحاربة الزنا وكل ما يفضي إليه .

**٥ - برامج للمساهمة في حفظ المال :**

* برامج تنمية الموارد البشرية ، والتدريب على المهن المطلوبة في سوق العمل .

* التدريب على إقامة المشروعات الصغيرة ومشروعات زيادة الدخل .

* محاربة الربا والاحتكار والغش ، وكل التجارات المحرمة .

* الحث على الإنفاق المحمود ، والكف عن الإمساك المذموم ، والنهي عن الإسراف والتبذير .

* برامج ترشيد الاستهلاك .

**رابعاً : مصادر تمويل برامج الرعاية الاجتماعية :**

يتميز نظام التمويل للرعاية الاجتماعية في الإسلام عن نظيره في النظم الوضعية بعدة مميزات، فبينما نجد النظام الرأسمالي لا يلزم الفرد إلا بقدر من المال - في صورة ضرائب - للإنفاق على المرافق العامة، كما نجد النظام الاشتراكي قد جند الأفراد بكل طاقاتهم وقدراتهم لخدمة المجتمع نظير ما يعود عليهم من الدولة من أجر نقدي أو عيني ، فإننا نجد في النظام الإسلامي أن الفرد ملزم بتقديم جزء من ماله وقدراته الجسمية أو الفكرية أو الروحية للمجتمع ، دون الطمع في الحصول على مقابل ، لذلك فإن نظام التمويل في الإسلام يتميز كما قال شوقي دنيا "بالتركيز على التمويل بالموارد والطاقات البشرية ، والتلاحم القوي بين التمويل الفردي والتمويل الجماعي ، والجمع بين الاختيار والإلزام ، وبين التعميم

والتخصيص في فرائضه المالية"(1) ، والمقصود بالتمويل بالطاقات البشرية أو الإنسانية هـو أن يقدم الفرد بعضاً من قدراتـه وطاقاتـه لصالح الجماعـة ، دون أن يتوقـف ذلـك علـى المقـابل النقدي ، ويرجع هذا إلى أن الإسلام قد ربط الفرد المسلم بمجتمعه بعلاقة قوية ومتينة يشعر معها الفرد بالتوحد مـع مجتمعـه والانتمـاء إليـه والـولاء لـه ، ممـا يجعلـه يعطـى ويعطى بغير حساب، اعتماداً على أن الله سبحانه يراه ويعلم سره وجهره وأنه عنده حسن الثواب والجزاء في الدنيا والآخرة .

والعمل دون توقع الأجر المادي في الدنيا هو ما يعرف بالعمل التطوعـي الـذي يؤكـد محمد الصـالح علـى أهميتـه ، مشيراً إلى الدولـة الإسـلامية في عهدهـا الأول بأنهـا مـا بنيت وقويت وأدت دورها الحضاري إلا بفضل قيام أفرادها بالجهود التطوعية التى حببهـم القـرآن فيها ، ودعتهم السنة المطهرة إليهـا(2) ، كمـا أن ضعـف العمـل التطوعـي مـن جهـة أخـرى يؤدى إلى التخلف ، فكما يقول عبد المنعم بدر : إن أهم العوائق التي لها دور في الإبقاء على الدول متخلفة ويعطل تنميتها هو عدم المشاركة الشعبية ، وبخاصة في جانبها التطوعي(3) .

والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تحـث علـى الإنفـاق بصـوره المختلفـة ، وكذلـك السنة المطهرة ، ففي حديث عن الرسول - ﷺ - : أنه قال : "على كل مسلم صدقة فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قـال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة"(4).

ويقول ابن حجر في شرحه للحديث : "على كـل مسلم صدقـة ، أي علـى سبيل الاستحباب المتأكد أو على ما هو أعم من ذلك ، والعبارة صالحـة للإيجاب والاستحباب ، وبين صلوات الله عليه أن المراد من الصدقة لا يقتصر على العطيـة ، ولكنـه أعـم مـن ذلـك ، كإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف ، والملهوف أي المستغيث وهو أعم مـن أن يكـون مظلومـاً أو عاجزاً ، والمقصود أن أعمال الخير تنزل منزلة الصدقات في الأجر ، وأنه لابد من الشـفقة على خلق الله ، وهي إما بالمال أو غيره ، والمال إما حاصل أو مكتسب ، وغير المال إما فعل

---

(1) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت - مؤسسـة الرسالة - 1984 م ، 186 .

(2) محمد بن أحمد الصالح - التوجية الإسلامي للخدمة الاجتماعية وتقويم تطبيقاتها الحالية في عالمنا الإسلامي في ضـوء هذا التوجيه ببحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة 1992 م ، 205.

(3) عبد المنعم محمد بدر - اللاتطوعية وأزمة التنمية في العالم العربي والإسلامي - مقال ، المسلم المعـاصر ، العـدد 34 ، 1983 م ، 121 .

(4) البخارى ، كتاب الزكاة ، 30 .

وهو الإغاثة ، وإما ترك وهو الإمساك(١) ، ومعنى هذا أن الإسلام يتوقع من كل فرد مسلم أن يكون ملتزماً بحاجة كل فرد مسلم آخر طالما كان ذلك في نطاق معرفته بتلك الحاجة ، وفي حدود قدرته على الوفاء بها .

وإغاثة الملهوف أي المستغيث تعتبر واجبة في بعض الحالات ، مثل من يجد حريقاً يشب في دار جاره ، وجب عليه شرعاً - أي ديانة وقضاء - أن يطفئ الحريق ، فإن لم يفعل غرم وضمن قيمة البيت ، وإن امتنع طبيب عن معالجة مريض في حالة خطرة - لأسباب شخصية يغرم ديته وإن لم يتعمد قتله .

وفي حديث آخر قال - ﷺ - : "كل معروف صدقة"(٢) .

وهناك العديد من النصوص والمواقف التي توضح أن حقوق المجتمع ليست محصورة في جزء من المال ، وإنما تتعداها إلى كافة طاقات الفرد الفكرية والجسمية والروحية ، ولقد ذكر شوقي دنيا بعضاً منها ثم عقب على ذلك قائلاً : "وللدولة عندما تعجز ميزانيتها أن تجبر الأفراد على تمويلها بالمال من الأغنياء وبالخبرات والقدرات من القادرين ، أغنياء كانوا أو فقراء ، والملاحظ أن الغنى القادر جسمياً أو فكرياً لا يغنى عنه في تلك الحالة دفع المال ، وإلا ترتب على ذلك إلحاق ظلم بالفقراء من القادرين حيث لم يتساووا في تجنيد ما لديهم من موارد وقدرات ، هذا بالإضافة إلى ما يرتبه ذلك من قصور في استخدام الطاقات البشرية المتاحة لدى المجتمع"(٣) ، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في شرح ابن حجر للحديث السابق الذكر ، حيث قال : "وليس ما تضمنه الخبر من قوله ،فإن لم يجد" ترتيباً ، وإنما هو للإيضاح لما يفعله من عجز عن خصلة من الخصال المذكورة فإنه يمكنه خصلة أخرى ، فمن أمكنه أن يعمل بيده فيتصدق وأن يغيث الملهوف وأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويمسك عن المنكر فليفعل الجميع"(٤) .

أما عن التلاحم القوي بين التمويل الفردي والتمويل الجماعي ، فيقول شوقي دنيا إن الإسلام قد أقام في مجال التمويل شبكة جيدة الاتصالات ونسيجاً محكم السرد تبدأ بالفرد ، وتمتد أفقياً ورأسياً حتى تعم الأمة الإسلامية كلها ،فتطالب الفرد أن يعتمد على نفسه ، وتنفر من المسألة بأشد ما يكون التنفير عندما يكون بالوسع الاستغناء عنها ، ثم مدح الغيرية ، وحرص على تجنيد نازع المصلحة الذاتية في سبيل تحقيق مبدأ الغيرية (المسئولية عن الغير) كما ورد في الأحاديث النبوية مثل قوله - ﷺ - : "والله في عون العبد ما دام العبد في عون

---

(١) أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - م٣ ، بيروت ،دار المعرفة ، ٣٠٨ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة ، ١٦ .

(٣) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ١٩٨٤ م ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٠ .

(٤) أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - م ٣ ، بيروت ، دار المعرفة ، ٣٠٨ .

أخيه"(١) وكذلك قوله - ﷺ - : "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شئ فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شئ ، فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شئ ، فهكذا وهكذا"(٢) علاقة الفرد بالمجتمع تتم من خلال شبكة متدرجة من العلاقات الاجتماعية تبدأ بالأسرة فالقرابة فالجيرة فالحي فالمجتمع ، لذلك فإن التزامات الرعاية في الإسلام تتجاوب مع التزامات العلاقات الاجتماعية التى تربط بين الناس(٣) ، كما يقول أبو الأعلى المودودي "إن الإسلام قد منح الفرد ما كان يتعلق بذاته من الحقوق ، وفرض عليه واجبات مخصوصة للجماعة ، وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والجماعية في الإسلام توافق (Harmony) غريب بحيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عوناً بقوته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع(٤) .

وعلى المستوى الاقتصادي حققت هذه القيمة - كما يذكر شوقي دنيا- مبدأ اقتصادياً جديداً هو أن يكون الدخل أكبر من الاستهلاك ، أي يضمن عدم زيادة الإنفاق عن الدخل ، وقد يصعب تحقيق ذلك على مستويات محلية أو قطرية ، ومن ثم تتسع الدائرة لتشمل الساحة الإسلامية كلها بل ما هو أوسع منها ، ويمتد مفهوم الجوار لدى شوقي دنيا من المستوى الفردي إلى المستوى الدولي ، فإذا كان الله جل جلاله لا يرضى أن يشبع فرد ويجوع جاره ، فمن باب أولى لايرضى أن تشبع دولة وتجوع أخرى .

ولو تمكن المجتمع الإسلامي من الاستفادة بهذا النمط التمويلي ، بأن قام كل قادر جسمياً أو فكرياً أو روحياً أو مالياً بتقديم جزء من تلك الإمكانيات دون انتظار عائد نقدي، فإنه يؤمن لنفسه مصدراً لا ينضب للتمويل بكافة جوانبه دون الوقوع في الأسر النقدي أو المالي غير المتوفر غالباً(٥) .

ولقد فصّل الفقهاء في الحديث عن المصادر العامة للتمويل في المجتمع المسلم ، مما سيعتمد عليه في هذا المبحث لبيان مصادر تمويل برامج الرعاية الاجتماعية .

**المصادر العامة للتمويل : -**

يقسم ابن تيمية الأموال العامة - أو كما يسميها - في كتاب السياسة الشرعة (٣٠-٣٦) - بالأموال السلطانية إلى ثلاثة أصناف هي :

---

(١) مسلم ، ذكر ، ٣٨ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة : ١٣ .

(٣) الفاروق زكي يونس - الرعاية الاجتماعية في الإسلام - بحث مقدم إلى المؤتمر الدولى لعلماء المسلمين ، إسلام اباد - باكستان ، ١٩٨١ م ، ٢٧ - ٢٨.

(٤) أبو الأعلي المودودي - نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور - بيروت - مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م ، ٥٦.

(٥) شوقي أحمد دنيا - تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ١٩٠ - ١٩٥.

١ ـ الغنيمة : وهي المال المأخوذ من الكفار بالقتل .

٢ ـ الصدقة : وتشمل الزكاة المفروضة .

٣ ـ الفيء : وهو ما أخذ من الكفار بغير قتال ، مثل الجزية التي على اليهود والنصارى.

ومن البحوث الحديثة في هذا الصدد، بحث شوقي دنيا الذي قسم فيه مصادر التمويل العامة إلى:

١ ـ الزكاة : وهي "فريضة اجتماعية تشطر من مال الغني قدراً معلوماً يجمعه ولي الأمر جبراً عن صاحبه إن امتنع ، ويكون ديناً في تركته يؤخذ منها إن لم يسدد في حياته"[(١)].

والأموال التى تخضع للزكاة في جميع الأموال النامية التي هي معدة للإنتاج والنماء مثل الزروع والتجارة والأنعام والفضة والذهب وعروض التجارة ـ كما ذهب جمهور العلماء ـ وذلك متى استكملت بقية الشروط ، وهي تستهدف تكوين وتنمية رأس المال البشري بإبعاده عن العوز والحاجة التي تشل قدرته وتعطل إمكاناته الإنتاجية[(٢)] .

ويشرح شوقي دنيا فائدة الزكاة من الوجهة الاقتصادية وكيف أن المال لا ينقص بأخذ الصدقة منه كما جاء في حديث الرسول ـ ﷺ ـ مؤكداً أن الزكاة لا تعتمد على مبدأ "الإسعافات السريعة" التي لا يتجاوز أثرها التسكين الوقتي الذي سرعان ما يزول ويبقى المعوز معوزاً ، وإنما تعتمد على مبدأ "تحقيق الغنى للفقير" كما جاء في قول عمر ـ رضي الله عنه ـ : إذا أعطيتم فأغنوا ، وكما يقول ابن تيمية ، "ويأخذ الفقير من الزكاة ما يصير به غنياً وإن كثر" ، فمهمة الزكاة إغناء الفقراء ، وهذا يمكن أن يحدث بأسلوبين : أسلوب القوة الشرائية بأن يقدم للفرد من النقود والأموال ما يمكنه من شراء ما يحتاجه فيتحقق للفرد وضع الغنى بمعنى تأمين الحاجات الأصلية (على مستوى الكفاية) ، والأسلوب الثاني هو أسلوب القوة الإنتاجية بأن يقدم للفرد مورد أو رأسمال يتحول به الفرد من إنسان لا يعمل إلى إنسان منتج ، ومن إنتاجه هذا يشبع حاجاته الأصلية ، ومعروف أن الأسلوب الثاني خير وأجدى للفرد والمجتمع من الأسلوب الأول ، ولقد اعتمدت الزكاة الأسلوب الثاني منهجاً لها[(٣)] .

٢ ـ الخراج : "وهو حصة بيت المال من زرع الأرض وثمارها" ، ويستهدف تعبئة الفائض الزراعي واستخدامه[(٤)] فى أغراض الاستثمار المختلفة ، ولقد كان الخراج مصدر التمويل الأساسي للخزانة العامة في عهد الخلفاء الراشدين ، تمول به مختلف وجوه الإنفاق

---

(١) محمد أبو زهرة ـ محاضرات في المجتمع الإسلامي ـ القاهرة ، معهد الدراسات الإسلامية ، ١٠٣ .

(٢) شوقي أحمد دنيا ـ تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي ـ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ٢٣٥ .

(٣) شوقي أحمد دنيا ـ تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي ـ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م ، ٢٨١ .

(٤) محمد أبو زهرة ـ محاضرات في المجتمع الإسلامي ـ القاهرة ، معهد الدراسات الإسلامية ، ٤٢ .

العام والنفقات الاجتماعية والإنمائية والجارية ، كما كان ينفق منه على المستوى المحلي وعلى المستوى الإسلامي كله .

٣- إيرادات المشروعات الاقتصادية العامة والضرائب ، ويقصد بالمشروع العام ملكية الحكومة وقيامها بالمشروعات الصناعية والزراعية والمالية والتجارية ، ومن حيث الأصول والمبادئ فإن الإسلام يقر قيام مشروعات عامة اقتصادية ، فهناك الأراضي المملوكة للدولة والمملوكة لعامة المسلمين ، ومن حق الدولة أن تقيم فيها مشروعات زراعية عامة ، بالإضافة إلى قطاع المعادن . والفقه الإسلامي يميل في عمومه إلى أنها ملك عام للمسلمين ، كما جاء في حديث الرسول -ﷺ- "المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والكلأ والنار"(١) ومن حق الدولة أن تستغلها بنفسها بما يحقق المصلحة للمسلمين ، فإذا قامت مشروعات زراعية عامة وكذلك مشروعات صناعية عامة ، فإن ذلك يستدعي قيام مشروعات تجارية عامة تباع فيها تلك المنتجات ، وتشترى مستلزمات إنتاجية .

ومعنى هذا أن المشروعات الاقتصادية العملاقة التي تمثل حاجة ملحة لتقدم الاقتصاد، ولا يقبل عليها الأفراد عادة ، تصبح إحدى مسئوليات الدولة .

أما الضرائب ، فلقد أوضح شوقي دنيا أن الإسلام اعترف بها كمصدر من مصادر التمويل العامة في ظل حدود وضوابط معينة ، وذلك أخذاً بمبدأ ، أن في المال حقا سوى الزكاة وفرض الضريبة على الأغنياء مسألة لا غنى عنها عندما تقصر الإيرادات الأخرى عن تغطية شتى النفقات العامة المطلوبة ، ولقد استند في ذلك على آراء كثير من العلماء منهم الغزالي ، والشاطبي ، والنووي، وابن العربي وغيرهم الذين اتفقت كلمتهم في جواز بل على وجوب فرض الضريبة عندما يترتب على عدم فرضها تفويت مصلحة مهمة ، ولم يكن هناك إسراف وتبذير من جانب الدولة في نفقاتها العامة(٢) .

هذا بالنسبة للمصادر العامة للتمويل ، أما بالنسبة لوجوه الصرف ، فلقد حدد الله عز وجل في كتابه الكريم ثمانية فئات يصرف لها من أموال الزكاة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم**﴾(٣) .

والفقراء والمساكين يجمعهم معنى الحاجة إلى الكفاية ، فلا تحل لغنى ولا لقوى مكتسب، والعاملون عليها هم الذين يجبونها ويحفظونها ويكتبونها ، ونحو ذلك(٤) ، وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام ، منهم من يعطيَ ليسلم ، ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت

---

(١) أبو داود ، كتاب البيوع ، ٦٠ .

(٢) شوقي أحمد دنيا – تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي– بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م ، ٣٦٠-٣٩١.

(٣) سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٤) أحمد ابن تيمية – السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والراعية – بيروت ، دار المعرفة ، ٣٤ .

قلبه ، ومنهم من يعطي ليجبي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد[1] وفي الرقاب يدخل فيه إعانة المكاتبين ، وافتداء الأسرى ، وعتق الرقاب ، والغارمون هم الذين عليهم ديون لا يجدون وفاءها ، فيعطون وفاء ديونهم ولو كان كثيراً ، إلا أن يكون غرمهم في معصية الله تعالى ، فلا يعطون حتى يتوبوا ، وفي سبيل الله وهم الغزاة الذين لا يعطون من مال الله ما يكفيهم لغزوهم ، فيعطون ما يغزون به ، أو تمام ما يغزون به ، وابن السبيل هو المحتاز من بلد إلى بلد[2] .

وهناك مبدأ عام بالنسبة لإنفاق الدولة يجب أن تتبعه وهو البدء بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين (أي وضع أولويات) وتحقيق الحد الأقصى من المصلحة العامة ، ويرى ابن تيمية وابن قدامة أنه يجب البدء بالمقاتلة (الجند) الذين هم أهل النصرة والجهاد لأنهم أهم المصالح لكونهم يحفظون المسلمين ، فيعطون كفايتهم فما فضل قدم الأهم فالأهم ، ويقول القرافي : إن تفرقة أموال بيت المال موكولة إلى خيرته ، معناه أنه يجب النظر في المصالح وتقديم أهمها[3] .

بينما نجد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قد قسم المستحقين إلى أربعة أقسام وذلك في قوله : "ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، إنما هو الرجل وسابقته ، والرجل وغناؤه ، والرجل وبلاؤه والرجل وحاجته" أي أنه – رضى الله عنه – جعلهم أربعة أقسام:

**الأول** : ذوو السوابق الذين بسابقتهم حصل المال .

**الثاني** : من يغنى عن المسلمين في جلب المنافع لهم ، كولاة الأمور والعلماء الذين يجعلون لهم منافع الدين والدنيا .

**الثالث** : من يبلى بلاء حسناً في دفع الضرر عنهم ، كالمجاهدين في سبيل الله من الأجناد والعيون من القصاد والناصحين ونحوهم .

**الرابع** : ذوو الحاجات : هذا إلا أن الرسول - ﷺ - كان يقدم ذوي الحاجات ، كما قدمهم في حال بنى النضير[4] .

وبوجه عام فإن الدولة في إنفاقها العام عليها أن تبذل قصارى جهدها بحثاً ودراسة ، ثم عملاً وتنفيذاً ، ثم متابعة ورقابة ، وعليها أن تقارن وتحلل جوانب المصلحة ، وجوانب المفاسد[5] .

---

(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير – تفسير ابن كثير – ج٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ٣٦٦ .

(٢) أحمد ابن تيمية – السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والراعية – بيروت ، دار المعرفة ، ٣٤ .

(٣) شوقي أحمد دنيا – تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي – بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م ، ١٣٦–١٣٧.

(٤) أحمد ابن تيمية – السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والراعية – بيروت ، دار المعرفة : ب .د ، ٤٤–٤٥ .

(٥) شوقي أحمد دنيا – تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي – بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م ، ١٣٨ .

# نحو مدخل إسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية

د. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ

## محور الاهتمام في الممارسة الإسلامية :

لعله من الضروري الاتفاق أولاً على محور اهتمام الممارسة من المنظور الإسلامي ، قبل الخوض في محاولة وضع إطار عام لهذه الممارسة ، إن محور اهتمام الممارسة في النموذج الغربي هو الأداء الاجتماعي للأفراد والأسرة والجماعات والمجتمعات المحلية ، والمحدد في العلاقات والتفاعلات بين هذه الوحدات والبيئة أو الوسط المحيط بهم : فهل يقتصر محور اهتمام الممارسة الإسلامية للمهنة على هذا ؟ أليس هناك علاقات أخرى مهمة لم يأخذها المنظور الغربي في الاعتبار ؟ بالطبع هناك علاقة هذه الوحدات مع الله عز وجل خالقها وربها ورب كل شئ ، بل إن هذه العلاقة هي التي يجب أن تكون حاكمة ومهيمنة على حياة الناس وعلى علاقتهم بأنفسهم ، وعلاقة بعضهم ببعض ، ولكن المنظور الغربي الذي لا يأخذ في اعتباره هذه العلاقة ، وينظر إلى الحياة الدنيا فقط ، من الطبيعي أن يصبح محور اهتمامه هو الأداء الاجتماعي فقط.

وعليه فإن مفهوم الأداء الاجتماعي ـ مهما أضافوا له من معان ـ يصبح قاصراً من وجهة النظر الإسلامية ، ولعله من الممكن استبداله بمصطلح أشمل منه مثل "الأداء الكلي" الذي يتضمن علاقة الإنسان بالله عز وجل وعلاقته بالآخرين وعلاقته بنفسه ، كما يتضمن مفهوم الوظيفة التي من أجلها خلق ، وإن الأخصائيين الاجتماعيين في المجتمع المسلم عليهم أن يساعدوا الناس على تحقيق العبودية لله بمعناها الشامل ، ويساعدوهم على أداء وظيفتهم كخلفاء بأن يعمروا الأرض باستخدام شرع الله ، وبهذا يصبح الأداء الاجتماعي للناس محكوماً بعلاقتهم بالله ـ عز وجل ـ ومدى طاعتهم وقيامهم بحقوق الله عليهم ، وكلما كانت علاقتهم بالله قوية متينة ، بمعنى أنهم ملتزمون بشرع الله كان أداؤهم لوظيفتهم الاجتماعية أقرب إلى الصورة المطلوبة ، وقد ينجح كثير من الناس في أداء وظائفهم الاجتماعية ـ من وجهة نظرهم ونظر المجتمع ـ دون أن يكون ذلك ناتجاً عن التزامهم بطاعة الله ، ولكن هذا غير مقبول من وجهة النظر الإسلامية ، لذلك فإن مدى طاعة الناس لربهم هو المهم ، ثم يأتي في الدرجة التي تليها مدى نجاحهم في أدائهم لأدوارهم الاجتماعية ، وإن كان الارتباط وثيقاً بين الاثنين ، لأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، إلى غيره من الأوامر والنواهي التي تجعل علاقة الناس ببعضهم في أحسن صورة ، وإن كان بعض الناس يقومون بالعدل والإحسان ويقومون بأداء واجباتهم الاجتماعية على أكمل وجه ، ولكن ليس عن إيمان بالله ولا عن رغبة في ثوابه واتقاء لعقابه ، لذلك فهم ينجحون في

حياتهم الدنيوية ويخسرون حياتهم الأخرى ، فالفوز بالآخرة لايتأتي إلا بالإيمان والعمل الصالح معاً ، ولا يغني أحدهما عن الآخر .

ومفهوم الأداء الاجتماعي يؤكد على العلاقة بين الناس والوسط الذي يعيشون فيه ، ولا يمكن تحسين هذا الأداء إلا من خلال التأثير في طرفي العلاقة ، فكما تهتم الخدمة الاجتماعية الغربية بمساعدة الناس على النمو ، فلقد اهتمت أيضاً بالطرف الآخر من العلاقة، وهو الوسط أو البيئة التي يعيش فيها الناس ، لذلك فهي لها دور في وضع الخطط والبرامج والسياسات الاجتماعية اللازمة لإشباع حاجات الناس .

ولابد للممارسة من المنظور الإسلامي أن تهتم بذلك أيضاً فتقوم بأداء دورها من خلال النظام الإسلامي للرعاية الاجتماعية الذي يحقق مقاصد الشريعة ، وفي مقدمتها الحفاظ على الدين، فإذا ما قام المجتمع المسلم بوظيفته في الحفاظ على الدين ، فإنه سوف يسهل للناس قيامهم "بالأداء الكلي" الذي هم مطالبون به .

وبذلك تتصف النظرة الإسلامية لوحدة التعامل في نظرية الممارسة وهي "الشخص في إطار البيئة" ، مقارنة بالنظرة الغربية بما يلي :

١ – **الشمول** : فهي لاتقتصر على علاقة الإنسان بنفسه وبالآخرين ، ولكنها تشمل علاقته با لله عز وجل ، وبذلك فهي تتضمن الجوانب الروحية في الإنسان بالإضافة إلى الجوانب البيولوجية ، والنفسية الاجتماعية .

٢ – **العمق** : فهي لاتكتفي بالنظر إلى المشكلات المادية والنفسية الاجتماعية على أنها ناجمة من تفاعل الإنسان وبيئته فقط ، بل تدرك البعد العميق لهذه المشكلات الذي يتمثل في صلة كل من الإنسان ، والبيئة با لله عز وجل .

٣ – **لها بعد زمني آخر** : حيث لا يتقتصر اهتمامها بالحياة الدنيا فقط ، وكأن انتهاءها يعني انتهاء حياة النفس الإنسانية ، بل تهتم بالآخرة لأنها هي الحياة الأبدية ، ولكن نوعية هذه الحياة الأبدية تتحد بنوعية الحياة الدنيوية ، ومن هنا تأتي أهمية الحياة الدنيا .

فإذا كانت الخدمة الاجتماعية من المنظور الغربي تركز على المشكلات الناجمة من تفاعل الناس (أو نسق العميل) مع بيئته فإن النظرة الإسلامية الخاصة للمشكلات تجعلنا نركز على علاقة نسق العميل با لله عز وجل ، فالتفاعلات بين الناس وبيئاتهم تتمثل من جانب الناس في "الأداء الكلي" لهم ، ومن جانب البيئة في أدائها لوظائفها في تحقيق مقاصد الشريعة، لذلك فالممارسة تسعى إلى مساعدة الناس على القيام بوظائفهم الكلية (Total

Functioning) من جهة ، ومساعدة المجتمع أو البيئة المحلية على تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية من جهة أخرى .

## الإطار العام لنظرية الممارسة :

وفي ضوء تعريف سيبورن لنظرية الممارسة ، هناك عنصران أساسيان لنظرية الممارسة وهما تقدير الموقف ، والتدخل ، باعتبار أن التخطيط للتدخل جزء من تقدير الموقف وتمهيد له ، وأن التقويم هو آخر خطوات التدخل ، ولقد اهتم جوزف أندرسون[١] ، بإبراز هذين العنصرين ، كما أخذ بهما إبراهيم رجب في عرضه لنظرية الممارسة[٢] .

(يلاحظ أن لفظ عميل سيستخدم في البحث للدلالة على وحدة التعامل سواء كان فرداً أو جماعة أومجتمعاً محلياً) .

### أولاً : تقدير الموقف (Assessment) :

ظهر هذا المصطلح عوضاً عن مصطلح التشخيص (Dignosis) المستخدم في النموذج الطبي ، حيث لم يعد مرغوباً فيه نظراً لارتباطه بالأمراض والإعاقة ، إلا أن "تقدير الموقف" في جوهره ما هو إلا "التشخيص الاجتماعي" الذي عرفته ميري ريتشموند (١٩١٧م) بأنه التوصل إلى تعريف دقيق للعميل وموقفه ، لذلك "فتقديرالموقف" كما تقول هيلن نورثن – عملية تتكون من جزأين : الأول هو جمع المعلومات المتصلة بنسق العميل والمتصلة ببيئته ، والثاني هو تقييم هذه المعلومات بطريقة تساعد في وضع خطة التدخل[٣] .

وسوف يأخذ البحث بالمهام التحليلية لعملية تقديرالموقف كما ذكرها سيبورن[٤] ، وأخذ بها العديد من الكتاب المتخصصين مثل (Compton and Galaway , 1989) ، وهي :

١ - فهم المشكلة .
٢ - فهم شخصية العميل أو سماته (سواء كان فرداً أو نسقاً اجتماعياً) .
٣ - تحليل الموقف .
٤ - تقويم متكامل للحالة ككل في ضوء العناصر السابقة .

---

(1) Anderson , Joeseph 1981 , Social Work Methods and Processes , Belmont California ; Wodsworth Publishing Company . 134 - 138.

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة ، ١٩٩٢ ص ٦٢.

(3) Northen Helen - 1987 - Assessment in Direct Practice , Encyclopedia of soical work , 18 th ed Maryland ; National Association of Soical Workers , Vol . I , PP171 - 172.

(4) Siporin , Max - 1975 - Introduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co , Inc . 29 .

## ١ – فهم المشكلة :

إن الحاجات والمشكلات التي يتصدي لها الأخصائي الاجتماعي هي تلك التي تتعلق بالأداء الاجتماعي والنفسي للأفراد ، أو الأداء الاجتماعي والموسسي للأنساق الاجتماعية الأكبر(١) ، كما عرف سيبورن المشكلة الاجتماعية بأنها صعوبات في الأداء الاجتماعي ، وسوء تكيف ، أو خروج عن الأعراف الاجتماعية ، تظهر نتيجة للتفاعل بين وحدة التعامل (فرد ـ جماعة ـ مجتمع محلي) والبيئة(٢) ، وهكذا نرى أن مفهوم المشكلة في النموذج الغربي مرتبط بالأداء الاجتماعى للعميل ، ولقد سبق نقد مفهوم الأداء الاجتماعي في ضوء المنظور الإسلامي ، وتم التوصل إلى استبدال هذا المفهوم بمفهوم آخر يشمل علاقة العميل بـا لله عز وجل ، وهو "الأداء الكلي" ، وعلى هذا الأساس فإن المشكلات التي يتصدي لها الأخصائي الاجتماعي في المجتمع المسلم هي مشكلات تتعلق بالأداء الكلي للعميل ، فإذا كان العميل فرداً أو أسرة أو جماعة صغير ، فالمشكلة تتمثل في صعوبات تواجه العميل في القيام بالعبودية لله دون حرج أو مشقة ، وإذا كان العميل موسسة أو مجتمعاً محلياً ، فالمشكلة تتمثل في الصعوبات التي تواجهه في تطبيق الشريعة وتحقيق مقاصدها .

وبناء على ما توصل إليه بحث سابق عن المنظور الإسلامي للمشكلات الفردية(٣) ، فإن هذه الصعوبات إما أن ترجع إلى خلل في الوظائف الغائية لنسق العميل وهي المتصلة بإشباع حاجته إلى حفظ الدين ، وإما أن ترجع إلى خلل في الوظائف الوسيلية المتعلقة في إشباع الحاجات المتصلة بالبقاء ، "المادية والنفسية والاجتماعية" .

ولكي نصل إلى فهم عميق للمشكلة لابد ـ كما يشير سيبورن ـ من أن نصل إلى إدراك محدد لطبيعة الصعوبة ، وكيفية مواجهتها والتعامل معها ، لذا سيتم تناولها هنا مع الأخذ في الاعتبار المستويات المختلفة لنسق العميل .

وتنحصر الصعوبات ـ كما تبين ـ في نوعين :

الأول : صعوبات ترجع إلى خلل في الوظائف الغائية ، وهي ما تتصل بإشباع حاجة النسق إلى حفظ الدين ، ويتخذ هذا الخلل إحدى الصور الآتية :

---

(1) Northen , Helen , 1987, Assessment in Direct Practice , Encyclopedia of Social Work , 18 th ed , Maryland ; National Association of Social Workers , V . I , 173.

(2) Siporin Max, 1975, Inrtoduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co, Inc ., P 231.

(٣) عفاف إبراهيم الدباغ المنظور الإسلامي لتفسير للمشكلات الفردية ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة، ١٩٩١ص ٦٢.

١- فساد في الاعتقاد أساسه التفريط في توحيد الألوهية وعدم الإيمان باليوم الآخر والعياذ با لله، ففي هذه الحالة يكون العميل هنا غير مسلم -في معظم الأحوال- وسوف تختلف نظرة الأخصائي المسلم لمشكلته ، عن نظرة العميل لها ، حيث يعتبر فساد الاعتقاد في حد ذاته أعظم مشكلة من وجهة النظر الإسلامية ، لأنه ليس بعد الكفر ذنب ، وا لله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به ، لهذا فإن مشكلة العميل غير المسلم - أياً كانت - تصنف تحت هذا النوع من المشكلات بالنظر إلى مصير العميل في الآخرة ، ولكن ما يجب أن يعمله الأخصائي المسلم هنا هو تقدير للمشكلة من وجهة نظر العميل ويتعامل معها - في المقام الأول- كتعامله مع المشكلات من النوع الآخر التي تحتاج إلى إشباع الحاجات المادية أو النفسية والاجتماعية ، ويضع في اعتباره ما للذميين في المجتمع المسلم من حقوق وما عليهم من واجبات ، ثم بإمكانه أن يدعوهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن .

ولا يتصور هنا أن يتعامل أخصائي مسلم مع مجتمع محلي غير مسلم ، إلا إذا كان يعمل في مجال الدعوة .

٢- أنواع من الفساد في الاعتقاد أو في الإرادة : والفساد في الاعتقاد هو ما يشار إليه في الكتابات الإسلامية بمرض الشبهة ، فقد ترجع المشكلة إلى جهل العميل ببعض أوامر ا لله ونواهيه أوبعض صفاته ، أو قد ترجع إلى بعض الشبهات والشكوك والتخيلات الباطلة التي يلقيها الشيطان في الأسماع والأذهان فيتوجب على الأخصائي والعميل أن يحددا موطن الجهل والشبهات ليخططا معاً لعملية التدخل لإجلاء هذه الشبهات ، وكمثال لما يمكن أن يسببه الجهل من مشكلات ، هناك بعض النساء يعتقدن أنه لا يجوز لهن البقاء في بيت الزوجية بعد أن أوقع عليهن الطلاق (الطلقة الأولى) فيسرعن إلى الخروج من بيوتهن والذهاب إلى أهلهن ، مع أن هناك نصاً صريحاً في كتاب ا لله عز وجل يقول : ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا ا لله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود ا لله ومن يتعد حدود ا لله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل ا لله يحدث بعد ذلك أمرا﴾[1] ، فالجهل بمثل هذا الحكم وخروج المرأة المطلقة من بيت زوجها فترة العدة يزيد من تفاقم المشكلة ، فقد يطلب الزوج منها أن ترجع فتأبى ذلك تعنتاً وجهلاً ، أو قد يرفض ولى أمرها مثلاً أن يأخذها إلى زوجها ويصر على حضوره فتزيد المشاحنات وقد تنتهي المشكلة إلى طريق مسدود ، هذا مثال على أحد الأمور أو الحدود الواضحة التي لاسبيل إلى الشبهة فيها ، أما الأمور التي قد يساء فهمها ويسهل على الشخص العادي أن يقع في شبهة وليس حيالها، فهي كثيرة ومهمة ، مثال ذلك مفهوم التوكل على ا لله ـ عز وجل ـ ومفهوم الصبر ، والإيمان بالقدر ، ومفهوم الملكية ، ومفهوم البر ، بل مفهوم العبادة أيضاً ، وعندما يعم الجهل وسوء الفهم بمثل هذه

---

(١) سورة الطلاق ، الآية ١ .

المفاهيم مجتمعاً من المجتمعات ، فلا شك أنه سيكون فريسة للتخلف ولكثير من الأمراض الاجتماعية ، فمفهوم العبادة مثلاً عندما ينحصر في الشعائر التعبدية ، ويقل الاهتمام بأوامر الله الأخرى مثل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فسيكون هذا سبباً لكثير من المشكلات الاجتماعية ، وعلى الأخصائي الاجتماعي الذى يعمل مع مجتمع محلي ولا يجد مثلاً الاستجابة المتوقعة من أفراد المجتمع لمشروع من المشروعات أو تكون مشاركتهم ضعيفة، فلابد له أن يضع افتراضات لهذه المشكلة ، ثم يقوم بدراسة المجتمع ليتحقق من صحة افتراضاته ويضع يده على العوامل المهمة المسببة للمشكلة ، وقد يفترض هنا مثلاً أن معظم أفراد المجتمع يسيئون فهم قضية الإيمان بالقدر ، أو التوكل على الله أو الصبر ، مما ينتج عنه سلبيات سلوكية وتواكل وخمول وعدم مشاركة .

٣- أما فساد الإرادة ، فالمقصود به ضعف العزيمة والاستجابة لهوى الشهوات ، وهو ما يشار إليه في الكتابات الإسلامية بمرض الشهوة ، والمشكلة في هذه الحالة لا ترجع إلى الجهل أو الشبهة ولكن ترجع إلى ضعف الإرادة والاستجابة للشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

والثاني : صعوبات ترجع إلى خلل في الوظائف الوسيلية لنسق العميل ، وهي ما تتصل بإشباع الحاجات المادية والنفسية والاجتماعية ، ويتخذ هذا الخلل العديد من الصور والأشكال منها على سبيل المثال :

* نقص الموارد المادية .
* الإصابة بالأمراض والتعرض للكوارث والأزمات .
* اضطرابات انفعالية ، واضطرابات عقلية نشأت كردود فعل لمواقف صعبة ، وأحياناً كردود فعل للاضطراب في القيام بالوظائف الغائية .
* انتشار البطالة والفقر .
* مشكلات العلاقات الاجتماعية .

وغالباً ما ينظر هنا إلى أسباب المشكلة على أنها صادرة من عوامل خارجية ، مثل الأزمات الاقتصادية ، أو البناء الاجتماعي ، أو العلاقات الأسرية ، وعليه ، فإن عملية التدخل ستوجه إلى إصلاح النظم والمؤسسات أو تحسين العلاقات الأسرية وقد ترجع إلى ذات العميل ، بسبب جهله أو ضعف في قدراته ، أوفقده للمهارات الاجتماعية اللازمة .

**٢- فهم شخصية العميل :**

يجب أن يكون فهمنا وتقويمنا لشخصية العميل في ظل الهدف المراد تحقيقه من عملية المساعدة ، فعلى سبيل المثال :-

إذا كان العميل فرداً يراد إحداث تغييرات في شخصيته كزوج ورب أسرة ، فإن تقويمنا له سيختلف عن تقويمنا لعميل آخر منلوب عن مؤسسة اجتماعية ويعتبر الهدف من

المساعدة هو إحداث تغييرات في المؤسسة نفسها ، لذلك فإن الأخصائي الاجتماعي في الحالة الأولى سيحاول فهم العميل الفرد بطريقة تمكنه من مساعدته للقيام بمسئولياته كزوج ، ولكن في الحالة الثانية سوف يحاول الأخصائي أن يفهم العميل الفرد كممثل المؤسسة وفي حدود خاصة بوظيفته(1) ، ومع الأخذ بهذه الفكرة ، إلا أن المنظور الإسلامي سوف يركز على فهم شخصية العميل من خلال علاقته با لله عز وجل أياً كان الهدف من المساعدة ، نظراً لأن نوعية هذه العلاقة لها دور أساسي ومهيمن على شخصية العميل في جميع الأحوال، وسواء كانت هي السبب المباشر أو غير المباشر في وقوعه في المشكلة ، أو ليس لها أي دور في ذلك فإنه يمكن استغلال هذه العلاقة في عملية التدخل ، وإذا كان فهم شخصية العميل ـ كما يقول سيبورن ـ ووصفها وتقويمها يجب أن يكون في ضوء علاقاته الاجتماعية بالآخرين، فإننا لا نقف عند هذا الحد بل نستخدم فهمنا لعلاقات العميل الاجتماعية لكي نحدد بها علاقاته با لله ، بالإضافة إلى أخذنا في الاعتبار للصفات الإنسانية التي جبل عليها الإنسان مثل : حب الشهوات ، والجزع والبخل إلى غيره .

فإذا كانت "نوعية صلة العميل بربه" هي أهم ما يجب أن نحدده عند فهمنا لشخصية العميل ، فالسؤال هنا كيف يمكن للأخصائي أن يقوم بذلك ؟ وكما يقول إبراهيم رجب إننا كأخصائيين اجتماعيين مطالبون ببذل جهود كبيرة لبلورة أدوات تصلح لقياس بعض المفاهيم مثل"مستوى التدين"(2) ، وذلك على أساس أن صلة العميل بربه تتحدد على أساس مدى تدينه أو إيمانه لأن الإيمان درجات ومستويات وهو يزيد وينقص ، والإيمان هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان ، ولقد حدد القاضي عياض لكل منها خصال معينة، لذا يمكن استخدامها في تصميم مقياس للإيمان(3) ، كما قام صالح الصنيع (١٩٨٩) بتصميم مقياس لمستوى التدين ، اعتمد فيه على شعب الإيمان .

كما يمكن الرجوع إلى تقسيم ابن تيمية للناس حسب العبادة والاستعانة ، ولعله أشمل تقسيماً حيث أنه شمل غير المؤمنين(4) ، كما أن هناك تقسيماً آخر له وهو أبسط تقسيماً ولكنه يخص المؤمنين ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، وذلك حسب ما ورد في الآية ٣٢ من سورة فاطر .

---

(1) Siporin Max - 1975 - Introduction to Social Work Practice , New York ; Macmillan Publishing Co . , Inc . 234 .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة ، ١٩٩٢٧٠.

(٣) أحمد بن على بن حجر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٣ م ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ م ١ : ٤٧ - ٥٢ .

(٤) المرجع السابق ، م ١ : ٣٦ .

كذلك يمكن دراسة جانب مهم من جوانب صلة الإنسان بربه وهو مقدار ما لديه من صبر ومقدار ما يقوم به من شكر لله عز وجل ، ويرى الغزالي (في الإحياء) أن الصبر عن اللذات والشهوات هو ما يفرق بين الإنسان وبين الحيوان ، ثم يسمي هذه الصفة باعثاً دينياً ، ويسمى مطالبة الشهوات باعث الهوى ، ويصور أن هناك قتالاً قائماً بين باعث الدين وباعث الهوى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، وقسم الصبر إلى ثلاثة أحوال : **الأولى** : أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر ، والواصلون إلى هذه المرتبة هم الأقلون وهو الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، **والحالة الثانية** : أن تغلب دواعي الهوي وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين ، فيسلم نفسه إلى جند الشيطان ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة ، وهؤلاء هم الغافلون وهو الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقواتهم ، **والحالة الثالثة** : أن تكون الحرب سجالاً بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه ، وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم(1) .

كما يمكن دراسة مقدار ما لدى العميل من خوف من الله عز وجل ، ومقدار ما لديه من رجاء وأمل في الله ، على اعتبار أن التوازن بينهما يجعل الشخص في صحة نفسية جيدة ، كما أشار إلى ذلك محمد نجاتي : حيث تضطرب شخصية الإنسان ، وقد يسوء أداؤه لواجباته الدينية إذا يئس من النجاة من عذاب الله نتيجة لخوفه الشديد جداً ، أو قد يهمل في واجباته الدينية إذا كان الرجاء في رحمة الله لديه شديداً جداً ، لذلك من الضروري أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء(2) .

هذه فكرة عن بعض الأسس التي يمكن استخدامها في تصميم مقاييس لمعرفة نوعية صلة العميل بربه .

وعليه فإنه يمكن القول أن هناك ثلاث حالات من الناس :

**الأولى** : هم الذين استطاعوا بفضل الله أن يعقلوا الأشياء فيكون إيمانهم واعتقادهم عميقاً بدرجة تهيمن معها على القلب فيتوقع أن يكون السلوك هنا في جملته مطابقاً للشرع مستهدفاً ما يرضي الله سبحانه وتعالي ، كما يتوقع منهم فيحالة ابتلائهم بصعوبات تتعلق بالحاجات المادية أو النفسية أو الاجتماعية مثل نقص الموارد ، أن يكونوا من الصابرين

---

(1) أحمد بن علي بن حجر ، ـ ١٩٥٩ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٣ م ، بيروت ، دار المعرفة ، م . ٤ : ٥٥ ـ ٥٦.

(2) محمد عثمان نجاتي ، ١٩٨٩ ، الحديث النبوي وعلم النفس ، ط ١ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٠١ .

المحتسبين ، الموقنين لحسن الجزاء في الآخرة ، ونتيجة لذلك فإن سعيهم لمواجهة هذه المشكلات سعياً متزناً لا يشوبه الجزع أو الفزع .

**الثانية :** هم الذين لم يصل أثر اعتقادهم وعلمهم إلى القلب والوجدان ، (أي لم يصلوا إلى مستوى عقل الأشياء) ، فهم يواجهون حالة من عدم الارتباط بين الفكر وبين العاطفة ، مما يؤدى إلى ضعف الهمة والإرادة في فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، فيضطرب سلوكهم ، وبالتالي فإن استجابتهم عندما يواجهون الابتلاء بالشر أو بالخير تتفاوت تفاوتاً كبيراً .

**الثالثة :** هم ذوو الاعتقاد السقيم ، حيث يختلط التوحيد عندهم ببعض الشركيات ، لذا يتوقع أن يكونوا من أصحاب القلوب المريضة (مرض شبهة أو مرض شهوة) ، وثقتهم با لله تكون محل نظر شديد ، كما أن احتمالات انخراطهم في التجاوزات في إشباع الشهوات تكون كبيرة ، ومن هنا فإن الخذلان يكون نصيبهم ، فنجدهم يصابون بالهلع والجزع عند ابتلائهم بالنقص في الموارد ، كما يصابون بالشح والطغيان إذا من ا لله عليهم بالخيرات(١) .

كما يمكن تقويم صلة العميل بربه من خلال صفات المؤمنين التي وردت في كتاب ا لله الحكيم، مثل : ﴿**قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون**﴾(٢) ، إلى الآية التاسعة من السورة ، وهناك العديد من الآيات الأخرى التي تصف المؤمنين من جهة وتصف الكافرين والمنافقين من جهة أخرى ، وبتحديد صفات العميل المرتبطة بالمشكلة على وجه الخصوص ، نكون قد توصلنا إلى سبب المشكلة أو أحد أسبابها ، فعلى سبيل المثال إذا جاء عميل يطلب معونة مادية نتيجة ما أصابه من نقص في الموارد بسبب ظرف مفاجئ ، فإن الأخصائي الاجتماعي الذي يأخذ بالأسلوب التقليدي للممارسة ، لن يهتم كثيراً بشخصية العميل وصفاته خصوصاً إذا كانت شروط المؤسسة لمنح المعونة تتوافر فيه ، فإنه سيعمل على صرفها له ، وقد يمنحه قليلاً من التدعيم النفسى ، ولكن الأخصائي الذي يحاول جهده أن يعمل من منطلق إسلامي مدروس ، فإنه بالإضافة إلى سعيه لمنح المساعدة المادية له ، يحاول أن يقف على صفاته النفسية، فإذا ما لاحظ على العميل شدة الجزع من الأزمة التي يمر بها فهذا دليل على إصابة العميل بالهلع المذكور في سورة المعارج ، وهنا فإن عليه أن يتحقق من صفات العميل وسلوكياته الأخرى والمحددة في السورة ، حيث ذكر تعالى صفات الإنسان الذي لا يصاب

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : ١٩٩٢ ، التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، القاهرة ، ٧١ ـ ٧٢.

(٢) سورة المؤمنين : ١ ـ ٤ .

بالهلع ، وعليه فإن إصابة العميل بالهلع تدل على غياب واحدة أو أكثر من هذه الصفات لديه أو جميعها ، وهذه الصفات وردت في قوله تعالى : ﴿**إلا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون .. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾(١) ، فهذه هي قائمة بسبع صفات ، مع التأكيد على الصلاة والمحافظة عليها ، يمكن للأخصائي أن يتأكد من وجودها لدى العميل ، فإذا ظهر له أن إحدى هذه الصفات أوالسلوكيات لا يقوم بها العميل على الوجه المطلوب يكون قد توصل إلى سبب الهلع في شخصية العميل ، وإن كان الهلع في حد ذاته في المثال المذكور ليس هو المشكلة لكنه يزيد المشكلة ويجعل لها مضاعفات غير محمودة في الدنيا وفي الآخرة ، فعدم اتصاف العميل بإحدى الصفات السابقة المذكورة تنذر بسوء العاقبة ، وفي حالات أخرى قد يكون الهلع هو المشكلة خصوصاً عندما لا يكون بيد العميل أو غيره معالجة السبب ، مثل هلع العميل وجزعه لوفاة عزيز عليه .

ولقد جمع محمد نجاتي سمات المؤمنين التي وردت بالقرآن الكريم ، وصنفها إلى تسعة مجالات رئيسية من مجالات السلوك ، هي :

سمات تتعلق بالعقيدة ، سمات تتعلق بالعبادات ، سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية ، سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية ، وسمات خلقية ، وسمات انفعالية وعاطفية ، وسمات عقلية ومعرفية ، وسمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية ، وسمات بدنية .

ويضم كل مجال من هذه المجالات العامة الرئيسة لسمات المؤمنين مجموعة أخرى من السمات الفرعية الكثيرة التي يتعلق كل منها بناحية خاصة معينة من السلوك(٢) ، وكذلك فعل بالنسبة لسمات الكافرين ، والمنافقين ، وبذلك فإنه وضع الأساس التصنيفي الذي يمكن الأخذ به في بناء مقياس للشخصية المؤمنة وغير المؤمنة .

أما في حالة كون العميل أسرة أو جماعة أو مؤسسة ، فإن الأخصائي يقوم بتقدير شخصية كل فرد له علاقة بالمشكلة ، وذلك حسب طبيعة المشكلة وموقف المساعدة(٣) ويقوم كذلك بالتعرف على طبيعة صلته بربه ، ويمكن تقدير صلة الجماعة ككل بربها ، من خلال تفاعل الأعضاء مع بعضهم ومايصدر عنهم من سلوكيات وعادات ومقارنتها بالسلوكيات والآداب الإسلامية ، كذلك من خلال البرنامج الذي يجب أن يخلو من أي

---

(١) سورة المعارج : الآيات ٢٢ - ٢٤ .

(٢) محمد عثمان نجاتي - ١٩٨٧- القرآن وعلم النفس ، ط٣ ، القاهرة ، دار الشروق ٢٢٠-٢٢٤ .

(3) Siproin Max 1975 Introduction to Social Work Practice, New York; Macmillan Publishing Co Inc, 234.

أشياء محرمة أو مكروهة ، وكذلك بالنسبة للأهداف التي يجب أن يراعى فيها التوجهات الإسلامية الصحيحة .

أما إذا كان العميل مجتمعا محلياً ، فصلته بالله تتمثل فى مدى تطبيق أنظمته لشرع الله ، ومدى التزام الأهالى بأوامر الله واجتناب نواهيه أى بتقوى الله ، هذا الالتزام الذى يتضح عند دراسة عادات الناس وأعرافهم ، كما يتضح فى عدة ظواهر منها ، إقامة الصلاة فى بيوت الله ، الالتزام بالآداب الإسلامية وباللباس الشرعى خصوصاً بالنسبة للمرأة ، ماتتسم به المتاجر والأسواق والأماكن العامة ، ماتتسم به العلاقات بين الناس والتعاملات الاقتصادية والاجتماعية السائدة (خلوها مثلاً من الربا والاحتكار والغش) ، وجود التعاون والتكافل الاجتماعى ، إلى غير ذلك من الظواهر التى يستطيع الأخصائى من خلالها الحكم على مدى التزام المجتمع ككل بتقوى الله ومدى قيامه بوظائفه وتحقيقه لمقاصد الشريعة .

## ٣- تحليل الموقف أو البيئة :

يعتبر سيبورن مفهوم الموقف (Situation) أحد المفاهيم الرئيسة فى نظرية الممارسة ، فهو وحدة أساسية فى التفاعل الاجتماعى ، وهو جزء مهم من بيئة العميل ، ثم يعرفه على أنه "خليط أو تركيبة من الناس والأشياء المادية فى ظروف زمانية ومكانية معينة[١] ، ولتقويم الموقف يجب على الأخصائى التعرف على البيئة والنظم المحيطة بالعميل ، المتمثلة فى الأسرة والمدرسة ، ومكان العمل ، والمجتمع المحلى ، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، مع التركيز على مدى التزام هذه البيئة بالشريعة الإسلامية ، ونقاط القوة والضعف بالنسبة لذلك ، ومدى قيام كل عنصر من العناصر المكونة للبيئة بوظيفته في الحفاظ على مقاصد الشريعة وبخاصة الحفاظ على الدين ، وعلى سبيل المثال إذا كانت المشكلة انتشار الفقر في حي من الأحياء ، فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يدرس البيئة المحيطة وبخاصة مؤسسات الرعاية الاجتماعية والنظام الاقتصادى ، فقد يكون التعامل بالربا منتشراً فيتسبب في تكوين دولة بين الأغنياء ، أو قد لا تكون فريضة الزكاة مؤداة من الجميع وعلى الوجه الصحيح .

ويمكن تصنيف بيئة العميل باعتبار قيامها بوظائفها في الحفاظ على مقاصد الشريعة كما يلي :

١- بيئة تقوم بوظائفها كاملة في المحافظة على جميع مقاصد الشريعة وعلى رأسها الحفاظ على الدين .

٢- بيئة تقوم بوظائفها بشكل غير مرضى خصوصاً بالنسبة للحفاظ على الدين .

٣- بيئة لا تدخل في اعتبارها الحفاظ على الدين .

---

(1) Ibid .P237

## ٤- التقويم المتكامل للحالة :

يقوم الأخصائي بصياغة العبارة التشخيصية ، وهي تحتوي على مجموعة التحليلات والملاحظات والتقويمات التى قام بها من قبل ، وفى ضوء ما ذكره سيبورن لبعض الاعتبارات التى يجب على الأخصائى الاجتماعى مراعاتها عند كتابته للعبارة التشخيصية ، يمكن الأخذ بما هو مناسب منها بعد إجراء بعض التعديلات .

١- يفضل أن تتسم الصياغة النهائية لتقدير الموقف بدرجة من التفرد والاختلاف .

٢- يجب أن يتضمن التقدير المتكامل للموقف على عدد من التصنيفات للمشكلة وللأشخاص وللبيئة بدلاً من النظر إلى الحالة أو القضية من خلال تصنيف واحد .

٣- يجب أن يشار إلى العلاقة بين المشكلات الخاصة والقضايا الاجتماعية والسياسية العامة.

٤- تحديد ما يحتاج تغييره فى الأفراد ، وما يحتاج إلى تغييره فى المجتمع والبيئة المحيطة.

إن أخذ هذه الأمور فى الاعتبار يجنبنا محدودية النظر إلى المشكلة من زاوية ضيقة ، ويجعل من التغيير بعيد المدى هدفاً لابد من الوصول إليه . فإن حل المشكلات الشخصية لابد أن يقودنا إلى حل المشكلات الاجتماعية .

وبناء على التصنيفات السابقة لكل من المشكلة ، والعميل ، والبيئة ، يمكن أن نتصور تعدد الاحتمالات التشخيصية وفقاً لهذه التصنيفات ، فانطلاقاً من كون المشكلة ترجع إلى خلل فى الوظائف الغائية لنسق العميل (وهى المتصلة بإشباع حاجته إلى حفظ الدين أو حاجته الروحية) ، أو ترجع إلى خلل فى الوظائف الوسيلية (وهى المتصلة بإشباع الحاجات المادية والنفسية والاجتماعية) يمكن أن تتحد عملية تقدير الموقف -بمعظم احتمالاتها- كما فى شكل(١) ، وشكل(٢) بعد أن نعطى المشكلة من النوع الأول رقم (١) والمشكلة من النوع الثانى رقم (٢) ، وعلى اعتبار أنه لدينا ثلاثة أنواع من العملاء :

- عميل صحيح الاعتقاد سليم القلب ، ملتزم بطاعة الله فى سلوكه ، ونرمز له بالرمز(أ).

- عميل صحيح الاعتقاد دون هيمنة ذلك تماماً على قلبه مما يجعله غير ملتزم دائماً بطاعة الله فى سلوكه ، ويرمز له بالرمز (ب) .

-عميل مضطرب الاعتقاد والوجدان والسلوك ويرمز له بالرمز (ج) .

وكذلك بالنسبة لتصنيف بيئة العميل ، فهناك ثلاثة أنواع من البيئات :

- بيئة تقوم بوظائفها فى الحفاظ على الدين وتطبيق الشريعة فى جميع نظمها ، ويرمز لها بالرمز (أ) .

- بيئة متهاونة فى القيام بالحفاظ على الدين وتطبيق الشريعة ، ويرمز لها بالرمز (ب).

- بيئة لا تقوم بالحفاظ على الدين ولا تطبق الشريعة ، ويرمز لها بالرمز (ج) .

وبذلك يصبح لدينا تسع حالات تندرج تحت المشكلة من النوع الأول (١) ، وتسع حالات أخرى تندرج تحت المشكلة من النوع الثانى (٢) .

والشكل التالى يمثل الحالات التى تندرج تحت النوع الأول من المشكلات .

**مشكلات فى الوظائف الغائية**

| عميل أ | | | عميل ب | | | غميل جـ | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة |
| أ | ب | جـ | أ | ب | جـ | أ | ب | جـ |

شكل رقم (١)

والشكل التالى يمثل الحالات التى تندرج تحت النوع الثانى (٢) من المشكلات :

**مشكلات فى الوظائف الوسيلية**

| عميل أ | | | عميل ب | | | عميل جـ | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة | بيئة |
| أ | ب | جـ | أ | ب | جـ | أ | ب | جـ |

شكل رقم (٢)

هذا ويجب الأخذ فى الاعتبار أنه قد تكون المشكلة ذات شقين أى تجمع بين النوعين من المشكلات (١) ، (٢) وعلى الأخصائى هنا أن يقدر ثقل كل شق منهما ، ويعطيه من الاهتمام القدر الذى يستحقه .

كما أن هذا التقسيم وإن كان يمثل معظم فئات العملاء والبيئات الشائع تواجدهم فى المجتمعات الإسلامية إلا أنه لم يشمل الفئات التالية :

- العميل الكافر أو المشرك (من الذميين أو غيرهم) .
- العميل المنافق وهو الذى يظهر الإيمان ويبطن الكفر .
- البيئة الكافرة .

## ثانياً : التدخل Intervention :

ظهر هذا المصطلح فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات ليحل محل مصطلح "العلاج" (Treatment) وهو ما يقوم به الأخصائى من عمل منظم فى سبيل إحداث التغيير المطلوب[1] .

---

(1) Johnson Louise 1989 Social Work Practice, A Generalist Approach, 3d ed, Boston, Aliyn and Bacon.,PP 84 - 85

وهناك تأكيد على اهميه الا سابيه التى يعمدها الأخصائى مع العميل قبل القيام بعملية التدخل ، حيث تحدد فيها المشكلة ، ويحدد الهدف المراد تحقيقه من التدخل(1) .

ويتخذ التنظير لعملية التدخل عدة نماذج ، منها نموذج الدور الذى أخذت به كومبتون وجالوى (١٩٨٩) ، ويرى سيبورن أنه أفضل نموذج يربط بين عملية تقدير الموقف وعملية التدخل(2) ، وظهر التركيز على خمسة أدوار لتدخل الأخصائى هى : الوسيط الاجتماعى Social Broker ، والممكن Enabter ، والمعلم Teacher ، والوسيط Mediator والمدافع Advocate وهذه الأدوار يمكن القيام بها مع نسق العميل بغض النظر عن حجمه أى سواء كان فرداً أو اسرة أو جماعة أو مجتمعاً محلياً(3) .

وهناك نموذج المهارات التى يستخدمها الأخصائى فى عملية التدخل ، ومن الذين أخذوا بهذا النموذج بنكس ومينهان(4) ، وليونبرج(5) الذى تناول المهارات التالية :

١- المهارة فى إعطاء العميل المعلومات ، والنصيحة ، والتوجيه عندما يكون فى حاجة إلى ذلك.

٢- المهارة فى توضيح المشكلة وتفسير الموقف عندما يعجز العميل عن ذلك .

٣- المهارة فى التحويل .

٤- المهارة فى إعطاء التدعيم النفسى .

٥- المهارة فى التوسط والمفاوضة .

٦- المهارة فى وضع الحدود لسلوك العميل .

٧- المهارة فى الدفاع عن العميل .

٨- مهارة التعليم .

٩- المهارة فى تمكين العميل وتقويته .

١٠- المهارة فى التعامل مع الصراع .

---

(1) Compton and Galaway, 1989 Social work Process, 4th ed Belmont California ; Wodsworht Publishing Company , P 506 .

(2) Siporin Max 1975 Introduction to Social Work Practice, New York, Macmillan Publishing Co., P 291 .

(3) Comipton and Galaway , 1989 Social Work Processes, 4th ed Belmont California; Wodsworht Publishing Company . ,P 507 .

(4) Pincus and Minahan, 1980 Social Work Practice; Model and Method ,Ilinois ed F.E Peacock Publishers, inc,.

(5) Loewwenbery, 1983 .

كما أن هناك من قام بتنظير التدخل عن طريق عرضه للاستراتيجيات المستخدمة فـي التدخل ، ومن هؤلاء هيبورث ولارسين[1] ، فلقد أوضحا العديد من الاستراتيجيات منها : تعزيز مهارة حل المشكلة لـدى العميـل ، والتدريـب علـى الاسـترخاء ، تعليمـات ذهنيـة أو فكرية ، التفسير والمواجهة .

ويعتبر التصنيف الثنائي للتدخل لإحداث التغيير في شخصية العميل من جهـة ، وفـي البيئة المحيطة به من جهة أخرى ، هو التصنيف الشائع ، وهو ما سمي فـي الكتابـات التقليديـة بالعلاج الذاتي ، والعلاج البيئي ، وسوف يأخذ البحث بهذا التصنيف ، وذلـك عـن طريـق عـرض الاسـتراتيجيات التي يمكـن استخدامها مـع العميـل ، والاسـتراتيجيات التـي يمكـن استخدامها للتأثير في بيئة العميل .

ونظـراً لأن المقصـود أساسـاً مـن مصطلـح "العميـل" هـو وحـدة تعـامل الأخصـائي الاجتماعي سواء كان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً محلياً ، فإن الاستراتيجيات التي تسـتخدم مع العميل لها ثلاث صور تبعاً لذلك ، وعليه فإنه يمكن اعتبار الكثير من صور التعامل مع العميل كمجتمع محلي هي أيضا صور للتدخـل فـي بيئـة العميـل (الفـرد أو الجماعـة) مـع اختـلاف الهدف .

وسوف يتم التركيز على أهم ما يميز استراتيجيات التدخل في المنظور الإسلامي عنهـا فـي المنظـور الغربي، لذلـك فـإن هـذا العرض لـن يشـمل جميـع مـا يمكـن استخدامه مـن استراتيجيات بـالتفصيل ، فهنـاك الكثير مـن الاسـتراتيجيات التـي سـيتم ذكرهـا فقـط دون تفصيل لأنها لازالت فـي حاجـة إلى مزيـد مـن الدراسـة ، حتـى يمكـن أن توجـه أو توصـل إسلاميا ، وبخاصة تلك التي تستخدم لتغيير البيئة المحيطة بـالعميل ، حيـث سـيتم تناولها هنـا تناولا عاماً جداً .

وكما كانت عملية تقدير الموقف تهتم أساساً بتقدير صلة العميل با لله عز وجل عـن طريق فهم وتشـخيص جميـع الأبعـاد المتصلـة بموقـف المسـاعدة (المشـكلة ، العميـل ، البيئـة) انطلاقـاً مـن هـذه الصلـة ، فـإن اسـتراتيجيات التدخـل التـي تم التوصـل إليهـا مـن المنظـور الإسلامي، والتي تجاوزت المنظور التقليدي تدور أيضاً حول صلة العميـل بـا لله عـز وجـل ، حيـث تتضمن كل ما يمكنه تدعيم هذه الصلة مثل مساعدة العميـل علـى تصحيـح عقيدتـه ، وتزكيته لنفسه ، وتحسين "أدائه الكلي".

(1) Hepworth and Larsen, 1986, Direct Social Work Practice; Theory and Skills, Illinois the Dorsey Press.

## استراتيجيات التدخل :

وتنقسم إلى استراتيجيات العمل مع العميل ، وهى التى ستيم تناولها بالتفصيل ، واستراتيجية العمل مع البيئة وسيتم ذكرها بوجه عام .

### أولا : استراتيجيات العمل مع العميل :

١- مساعدة العميل على أن يدرك وجه الارتباط بين المشكلة وبين نوع صلته با لله ، بعد أن تم تحديد نقاط الضعف والقوة في هذه الصلة ، وقد يكون هذا الارتباط واضحاً وسهلاً في التعرف عليه ، كأن يكون العميل قد ارتكب معصية - معلومة بالضرورة لعامة المسلمين - تسببت في المشكلة التي يعانى منها ، أو قد يكون الارتباط غير واضح لدى العميل فعلى الأخصائى أن يساعده على إدراكه وفهمه مثل أن يكون العميل من النوع الذى يعتمد في القيام بأعماله على نفسه فقط أو على الآخرين ولايعتمد على ا لله أولا مما يؤثر على سلوكه ككل وكثيراً مايوقعه في المشكلات ، وهنا قد يواجه الأخصائى بمقاومة العميل لتقبل فكرة وجود هذا الارتباط ، وتختلف حدة هذه المقاومة تبعاً لما يلى:

١- درجه إيمان العميل وخوفه من ا لله ، فكلما زاد إيمانه وخوفه كانت مقاومته أقل.

٢- درجة مالديه من معرفة وفهم للعقيدة الإسلامية والشريعة (الأوامر والنواهى التى فرضها ا لله) فيتوقع أن تكون المقاومة أقل كلما كان الفهم أوضح .

٣- شخصية العميل وسماته خصوصاً درجة اعتداده بنفسه ، فكلما كانت هذه الدرجة عالية كانت المقاومة عالية أيضاً .

٤- شدة تأثير المشكلة على العميل ، فإذا كانت المشكلة لها تأثير قوي عليه لا يكاد يتحمله ، فقد يستسلم بسهوله وتقل مقاومته بدافع رغبته المسلحة في الوصول إلى حل .

وفى جميع الحالات فإن على الأخصائى أن يتعامل مع الموقف بحكمة ويستخدم أسلوباً متدرجاً ويحرص على توثيق العلاقة المهنية مع العميل قبل الخوض في هذه المهمة ، وقد يكون من المفيد البدء بالخدمات ذات الطبيعة المادية الملموسة ليستشعر العميل نوعاً من الاطمئنان .

وعندما تكون المشكلة متصلة أساساً بنقص في الموارد (مشكلة رقم ٢) أي خلل فى الوظائف الوسيلية ، ولا ترجع إلى ضعف صلة العميل بربه ، كأن يكون من الفئة (أ) التى صلتها با لله جيدة ، فإذا كانت بيئة العميل أيضاً من الفئة (أ) ذات الاتجاهات الإيجابية فإن مشكلة العميل قد ترجع إلى نقص في قدراته أو مهاراته ، أو قد ترجع إلى جهله ببعض المصادر البيئية للموارد ، أو قد تكون ابتلاء من ا لله عز وجل ، أما إذا كانت بيئة العميل من الفئة (ب) أو الفئة (ج) فقد ترجع مشكلة العميل إلى خلل ما فى البيئة سببه عدم التزامها بالشريعة الإسلامية ، أو ضعف صلة بعض أفراد بيئة العميل با لله عز وجل ، مثال على

ذلك، المشكلات التى قد تواجه تاجراً صغيراً ملتزماً بطاعة الله ومجتنباً لنواهيه ولكنه فى وسط بيئة من التجار يفرضون عليه أساليب من التعامل محرمة أو مكروهة ، فإما أن يوافقهم على هذه الأساليب حتى يحقق ربحاً ، وإما ألا يوافقهم فلا يتعاملون معه ويخسر ، وهنا ربما لايأتى التدخل في بيئة العميل (الفئة الفاسدة من التجار) بنتيجة سريعة ، فعلى الأخصائى تدعيم مالدى العميل من قوة تمسكه بطاعة الله ، ويؤكد لديه بعض الأفكار التي تعينه على الصبر مثل الأمل في رحمة الله وأن الله ينصر من ينصره ، وقد يضطر إلى نصحه بتغيير المكان الذي يعمل فيه ، أو تغيير مهنته .

وفي حالة كون العميل طفلاً أو معوقاً ، يكون تعامل الأخصائى مع الأسرة أمراً ضرورياً ، وقد يكتشف من الدراسة وتقدير الموقف ، أن ضعف صلة الأسرة بالله هي السبب المباشر أو غير المباشر في مشكلة الطفل ، وإذا كانت هناك بعض الدراسات التي قام بها[1]، أثبتت وجود علاقة بين استخدام الآباء الأسلوب العقابى مع أبنائهم ، وبين علاقات الآباء مع أصدقائهم ، حيث إنه فى الأيام التي تضعف فيها صلة الآباء بأصدقائهم يكثر فيها استخدامهم للعقاب[2] . فإننا نتوقع وجود علاقة بين صلة الأسرة بربها وبين طريقة تعاملهم مع أبنائهم ، فقد تظهر الدراسات أن الأوقات التى تقوى فيها صلة الآباء بالله عز وجل ، يكون تعاملهم مع الأبناء – ومع غيرهم – على نحو أفضل من تلك الأوقات التى تضعف فيها صلتهم بالله عز وجل .

٢- مساعدة العميل على تصحيح عقيدته وتخليصه من الأفكار الخاطئة أو الانحرافات المتصلة بالعقيدة ، أو مساعدته على تنقية عقيدته من بعض الشوائب التي علقت بها ، وذلك بعد أن يتم تحديدها في عملية تقدير الموقف .

والمعتقدات الفاسدة قد تتعلق بحكم من الأحكام الشرعية أو بمفهوم من المفاهيم – كما سبقت الإشارة إلى بعض المفاهيم التي يسهل على المجتمعات المحلية الجاهلة أن تقع فيها مثل التوكل والعبادة – أو قد يكون التصور العام للكون والحياة غير صحيح لدى العميل أو مشوشاً ، أو قد تكون هناك بعض الأفكار الخاطئة التي ورثها الناس من بيئاتهم ويعتقدون فى صحتها ، مثل التفاؤل أو التشاؤم بأشياء معينة، أو الاعتقاد بأن القيام بأعمال معينة سوف يشفى المريض ، كذلك قد تسيطر على العميل بعض الأوهام التي ليس لها أساس من الواقع ، فالهدف من هذه الاستراتيجية هو التدخل لتصحيح الأفكار الخاطئة التي لا تتفق مع التصور الإسلامي ، فقد تكون هي التى تسببت في إحداث المشكلة التى يعانى منها العميل أو قد يكون لها دور معوق في العلاج ، لذلك فإنه بعد القيام بعملية التصحيح ، على العميل أن

---

(1) Wahier, 1980.

(2) Gambrill, Eileen, 1987 Behavioral Approach Encyclopedia of Social work 18th ed. Maryland :. National Association of Social Workers, Vol. 1,P186

يعيد النظر في موقفه ، وقد تحل المشكلة بمجرد تصحيح هذه الأفكار واستبدالها بالأفكار السليمة ، وقد يحتاج الأمر إلى خطوات أخرى تأتي في مرحلة تالية .

وربما لايحتاج العميل خصوصاً الذي من الفئة(أ) – ذو العقيدة السليمة والمهيمنة على قلبه –سوى تقوية وتدعيم مالديه من أفكار ومعتقدات صحيحة ، وتنميتها كلما أمكن ذلك، فالمؤمن – كما يقول ابن حجر – وإن كان مصدقاً للحق إلا أن التصديق يزيد بكثرة النظر ووضوح الأدلة ، لهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره(1) ، وكان الرسول – ﷺ – أتقى الناس لأنه أعلمهم با لله كما ورد في الحديث الشريف :((إن أتقاكم وأعلمكم با لله أنا))(2).

فالعلم با لله درجات وبعض الناس فيه أفضل من بعض ، والعلم با لله يتناول ما بصفاته وما بأحكامه ومايتعلق بذلك ، فهذا هو الإيمان حقاً(3) ، فالتعامل إذا مع العميل – الفرد – الذى صحت عقيدته وهيمن علمه على قلبه ، لن يحتاج سوى التدعيم ، وربما يكون العميل أعلم من الأخصائى فلا يستطيع الأخصائى أن يقدم له شيئاً ، سوى موافقته على آرائه ، وفي ذلك تدعيم للعلاقة بينهما ، ومن يسهل العمل وفق الخطة العلاجية المتفق عليها، وقد تكون بيئة العميل من الفئة (ب) أو (ج) ذات الطبيعة السلبية أو المتوسطة فتحتاج إلى تصحيح بعض الاعتقادات الفاسدة لديها ، فيجب على الأخصائى أن يتدخل بالأساليب المناسبة خصوصاً إذا كانت هي السبب في المشكلة التى أتى بها العميل من الفئة (أ) ذو العقيدة السليمة ، وهنا سوف يكون العميل نفسه من أهم المصادر التي تستغل للعمل على تصحيح مالدى البيئة من معتقدات فاسدة ، وفي حالة التعامل مع جماعة أو أسرة من الفئة (أ) فإنه لابد وأن يكون هناك بعض الاختلافات بين الأعضاء في درجة معرفتهم با لله عزوجل وصفاته حتى لو كانت الجماعة ككل يمكن الحكم عليها بصحة العقيدة ، وهنا يمكن العمل على تنمية الجوانب المعرفية المتصلة با لله عزوجل ، خصوصاً مع جماعات النمو .

ويتطلب من الأخصائى الاجتماعى لكي يقوم بهذه المهمة ، أن يكون ملماً إلماماً كافيا بأشكال الانحرافات العقيدية المهمة الشائعة ، كما قد يتطلب تمرساً في فهم الجوانب الشرعية المتصلة بها وبالرد عليها ، وهذا يقتضى بذل جهد خاص من جانب الأخصائى لإعداد نفسه على الوجه الذى ينمى لديه المهارة في هذا المجال(4) ، وبالإضافة إلى ذلك فهو

---

(1) أحمد بن على بن حجر 1959 فتح البارى شرح صحيح البخارى ، 13م ، بيروت ، دار المعرفة م6 ، 46 .

(2) البخارى ، كتاب الإيمان : 13 .

(3) المرجع السابق ، م1، 70 .

(4) إبراهيم عبد الرحمن رجب ، التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، القاهرة، 1992 ، 78 .

في حاجة إلى معرفة الوسائل التي يستخدمها للقيام بهذه المهمة ، ولقد فصل مقداد يالجن وسائل التربية الاعتقادية أذكر بعضاً منها فيما يلي :

١ – التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة على السلوك ، مثل بيان الصفات التي تصور الله في حالة قريبة من الإنسان بحيث يراه ويرعاه ، فبقدر ماتكون صورة العقيدة دقيقة وحية متصلة بحياة المرء من حيث المبدأ والمعاد ، ومن حيث الظاهر والباطن ، ومن حيث إدراك قيمته في الحياة بقدر مايكون له أثر فال في سلوكه وأهم الجوانب الإيجابية المؤثرة هي :

أ– الإيمان با لله باعتبار أنه خالق الكون والإنسان ، وأنه خلق من أجل الإنسان كل هذه النعم وسخر له كل هذه الأشياء في السماء والأرض .

ب– الإيمان بالحياة الآخرة وأنها هي الحياة السعيد ة ، وهي لمن اتقى ا لله وسار فى طريقه.

جـ– إن القوانين التشريعية التى أنزلها ا لله صادرة من إرادة إلهية لتظيم حياة الإنسان على أكمل وجه ، وإن الطريق المستقيم الذي بينه ا لله هو طريق الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة ، والاستدلال على ذلك بالحقائق العلمية ، وضرب الأمثلة الحية من واقع حياة الناس وكيف أنهم حينما خرجوا عن ذلك الطريق تعسوا في حياتهم الفردية والاجتماعية وأصيبوا بالأمراض النفسية والجسمية والاجتماعية .

٢– تكوين الرغبة في الاعتقاد عن طريق بيان المصلحة الحاصلة للإنسان وراء الاعتقاد السليم ، وإظهار حاجة البشر إلى ذلك الاعتقاد ، ولقد رغب ا لله تعالى في الإيمان لما يترتب على ذلك من المصالح والمنافع التي يحققها لهم إذا آمنوا كما في قوله عز وجل : ﴿ومن يؤمن با لله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾[1] ، ولايكفى إحساس الفرد بمجرد الحاجة إلى ذلك الاعتقاد ليكون اعتقاده قوياً بل يجب أن يحس أنه ضرورى ، وأنه لايمكن أن يتحقق ذلك الغرض بدون ذلك الاعتقاد ، وأن يطرد عن ذهنه كل فكرة أخرى تقضى بأنه يمكن أن يحقق بها غرضه دون ذلك الاعتقاد . إن الفكرة الداخلة في الاعتقاد يجب أن تكون قوية بحيث تطرد الفكرة السابقة ، وتستخدم هذه الوسيلة مع العميل من فئة (ب) اعتقاده صحيح ولكن غير مهيمن على قلبه إن ظهر للأخصائى فائدة ذلك ، وتستخدم مع العميل (ج) مضطرب الاعتقاد على وجه الخصوص ، مثال على ذلك : من لايرى في التعامل الربوى في وقتنا الحاضر بأساء ، وينفى عنه صفة الربا، إما لجهله بحقيقة الربا وصفته ، وإما خضوعاً لشهوته فى المال التي تزين له الحرام وتقلبه حلالاً ، فهو فى حاجة إلى تجلية الشبهات التي لديه من جهة ، وتزكية وتطهير نفسه من جهة أخرى ، كما قد يحتاج الأمر إلى إزالة بعض العوائق التى تحول دون رغبة المرء فى

---

(١) سورة الطلاق آية ١١ .

الاعتقاد ، ومن أهم هذه العوائق : التعصب والعناد ، التكبر ، النظرة المادية الحسية للحقائق التي لاتؤمن إلا بما ترى وتحسه في الطبيعة .

٣- استخدام الأدلة البديهية التي تناسب المستويات المختلفة والتي تقوم على سلامة التفكير الفطري ، وذلك مثل الاستدلال على وجود شيء غير مرئى بوجود دلائل مرئية أو حسية ، ومثل : أن إعادة إيجاد الشيء أسهل من إيجاده أول مرة ، وقد تستخدم هذه الوسيلة مع جماعات الأطفال أو العميل - فرداً أو جماعة - الذى يغلب عليه الجهل أو معتنق الإسلام حديثاً .

٤- تكوين عاطفة قوية دافعة للسلوك بموجب الإيمان ، ومن أهم هذه العواطف عاطفة الحب وعاطفة الخوف ، إذ أنهما من أكبر الدوافع والحوافز لعمل الخيرات وتنفيذ المأمورات وترك المنهيات ، وأهم الوسائل لذلك بيان حاجة المرء الدائمة إلى الله على أساس أن الأمور بيده -تعالى- وأن جميع الأرزاق بيده ، وهو الذى يستطيع أن يجعل الإنسان سعيداً أو شقياً ، وذلك حسب ارتباطه به أو انقطاعه عنه[١] ، وتستخدم هذه الوسيلة مع العميل من الفئة (ب) الذى لم تتكون لديه عاطفة قوية تدفعه إلى السلوك الذى يتناسب مع عقيدته التي يؤمن بها ، وكذلك مع البيئة مع الفئة (ب) ، وكذلك تستخدم مع العميل من الفئة (جـ) ولكن بعد تصحيح عقيدته .

ومن أهم الوسائل التي يجب أن يرشد إليها الأخصائى هي قراءة القرآن الكريم وتدبره، ويمكن أن يوجه العميل إلى قراءة الآيات التي تتصل بما لديه من شبهة أو فساد في الاعتقاد بالنسبة لأي أمر ، فكما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**﴾[٢] ، ويعنى جل ثناؤه بالموعظة : القرآن وهو دواء لما في الصدور من الجهل ، يشفى به الله جهل الجهال فيبرئ داءهم ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به[٣] .

ويقول ابن القيم "إن لمعرفة الله سبحانه بابين واسعين : باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله ، والباب الثانى التفكير فى آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه"[٤] .

٣- معاونة العميل على تحقيق أكبر قدر ممكن من تزكيته لنفسه ، وتستخدم هذه الاستراتيجية مع معظم العملاء من جميع الفئات ، نظراً لأنه لايخلو أحد من عيب ، ولا

---

(١) مقداد يالجن حوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط بيروت مؤسسة دار الريحانى للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ١٥-١٧٢ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٥٧ .

(٣) أبو جعفر محمد الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، ٣٠م بيروت ، دار المعرفة ،١٩٩٢، ج١١ ، ٨٦ .

(٤) ابن القيم : الفوائد ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣، ١٧٠ .

يوجد من هو في غنى عن تطهير نفسه وتزكيتها ، فتزكية النفس عملية ضرورية لابد لكل فرد القيام بها إذا أراد لنفسه الفلاح ، كما قال عز وجل :﴿قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها﴾[1] ، وإن كانت عملية التدخل تركز على المشكلة – التى ربما لاتستدعي استخدم هذه الاستراتيجية – إلا أن تحقيق الهدف التنموي من الممارسة يجب ألا يغفل عنه ، فتنمية ذات العميل عن طريق استخدام عمليه التزكية ، يجب إعطاؤها الاهتمام الذى قد يختلف مقداره باختلاف حالة العميل .

ولقد أعطى محمد البوطى تزكية النفس أهمية كبيرة في بناء المجتمع الإسلامي ، واعتبرها الأساس الذى يعتمد عليه هذا البناء بعد العقيدة الإسلامية الراسخة[2] .

كما ذكر في موضع آخر أن تزكية النفس هي الشرط الأساسي لتحمل الإنسان مسئولياته الحضارية بصدق ، فبمقدار ماتتزكى النفس وتصفو من كدرات الأهواء ، يخلص صاحبها في تحمل كل مايجب أن يتحمله في سبيل بنى جنسه من المهام والواجبات المختلفة[3] أى بمعنى آخر يكون أقدر على إحسان قيامه بوظيفة الخلافة على الأرض .

وقد اعتبر على الدين محمد أساليب تزكية النفس من أساليب العون النفسى في علاج مشكلات العلاقات الزوجية ، واعتمد في عرضه على مفهوم : التخلية والتحلية ، أى إبدال الحرام بالحلال والشر بالخير والرذيلة بالفضيلة والضار بالنافع ، فيساعد الأخصائى الاجتماعى العميل على تخلية نفسه من الجوانب السلبية التي أدت لحدوث المشكلة ثم تحلية هذه النفس بالجوانب الإيجابية المحمودة[4].

ولقيام الأخصائى الاجتماعى بمساعدة العميل على تزكية نفسه لابد له أن يفهم أولا ماهو المقصود بالتزكية بالتحديد ، وماهى أساليبها ، وكيف تتم هذه العملية ، وفيما يلى استعراض سريع لهذه الجوانب :

## أولا : مفهوم التزكية :

ورد هذا المفهوم في كثير من آيات القرآن الكريم ، ولقد أجمع المفسرون على أن معناها التطهير، وهي مشتقة من الزكاة وهي النماء[5]، وذلك لأن في أصل خلقة النفوس

---

(١) سورة الشمس الآيتان : ٩، ١٠.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطى، على طريق العودة إلى الإسلام – رسم المنهاج وحل المشكلات ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣، ٢٠٧ .

(٣) محمد البوطى ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، دمشق ، دار الفكر ،١٩٨٢، ٢٥ .

(٤) على الدين السيد محمد : نموذج إسلامي للمعونة النفسية كأسلوب علاجى مقارناً باتجاه سيكولوجية الذات في خدمة الفرد ، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ،١٩٨١، ٣١١ .

(٥) أبو جعفر محمد الطبرى ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠م ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٨٩ ، ج ٦، ٤٣.

كمالات وطهارات ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[1] تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل ، فتهذيب النفوس وتقويمها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها ، وفي الإرشاد إلى الصلاح والكمال نماء لما أودع الله في النفوس من الخير في الفطرة[2] ، فالتزكية إذا هي تطهير باطن الإنسان من كدرات النفس أي عيوبها وصفاتها المذمومة ، والتزكية نماء للصفات الحسنة والأخلاق الحميدة وهو مايشار إليه بالتحلية ، كما يقول الرازى في تفسيره : "إن كمال حال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق لذاته ، والثانى أن يعرف الخير لأجل العمل به ، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهراً من الرذائل والنواقص ، ولم يكن زكياً عنها"[3] ، فالتزكية لها جانبان أحدهما معرفى والآخر سلوكى .

**ثانيا : وسائل التزكية :**

يقول عز من قائل ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[4] ، يقول الرازى في تفسير هذه الآية إن الرسول- ﷺ - لاقدرة له على التصرف في بواطن المكلفين ، وهو لايفعل سوى التلاوة ، وتعليم الكتاب والحكمة ، فيكون ذلك كالسبب لطهارتهم ، فالتزكية إذا لاتتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة ، ثم بالترغيب الشديد في العمل ، الترهيب عن الإخلال بالعمل[5].

كما جاء في الحديث الشريف : عن الرسول - ﷺ - : ((أنه قال ليلة حين فرغ من صلاته اللهم إني أسلك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى، وترفع بها شاهدي ، وتزكى بها عملى))[6] .

كما جاء في حديث آخر : ((صلوا علي فإنها زكاة لكم))[7].

مما سبق يتبين أن وسائل التزكية هي :

١- تعلم كتاب الله .

٢- الرغبة في العمل الصالح والرهبة والخوف من الإخلال به .

---

(١) سورة التين : الآية ٤ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور : ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس ، الدار التونسية ، ١٩٨٤، ج ٢: ٤٩ .

(٣) محمد الرازى : تفسير الفخر الرازى ، ١٦م ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٥ ، ج٤: ٧٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٩ .

(٥) محمد الرازى : ١٩٨٥، تفسير الفخر الرازى ، ١٦م ، بيروت ، دار الفكر ، جـ٤/٧٤ .

(٦) الترمذى : الدعوات : ٣٠ .

(٧) ابن حنبل : ٢ : ٢٦٥ .

٣- طلب الرحمة من الله عز وجل ، مع القيام بموجبات هذه الرحمة وهي طاعة الله وتقواه .

٤- الصلاة على رسول الله - ﷺ -

كما ذكر ابن تيمية عدة وسائل لتزكية القلب هى :

١- الصدقة لما كانت تطفئ الخطيئة صار القلب يزكو بها .

٢- ترك الفواحش وترك المعاصى .

٣- التوحيد ، حيث فسر قوله تعالى : **﴿وويل للمشركين الذي لايؤتون الزكاة﴾** وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب ، فإنه يتضمن نفى ألوهية ماسوى الحق ، وإثبات ألوهية الحق فى القلب وهو حقيقة لا إله إلا الله ، وهذا أصل ما تزكو به القلوب .

٤- العدل : فصحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف[1]. ويرى على الدين محمد أن تزكية النفس كأسلوب علاجى يعتمد على تعميق الإيمان ، كما أشار إلى مجموعة من القيم العلاجية التي على الأخصائى تدعيمها لدى العميل: منها ، ذكر الله ، الصبر ، العمل الصالح ، محاسبة النفس[2] .

ويمكن القول أن تزكية النفس تتم عن طريق مجاهدة الإنسان لنفسه ، ولقد رتب ابن حجر جهاد النفس إلى أربع مراتب هى :

١- حملها على تعلم أمور الدين .

٢- ثم حملها على العمل بذلك .

٣- ثم حملها على تعليم من لايعلم .

٤- ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه ، وجحد نعمه[3] .

ولكن كيف تحدث التزكية ؟يمكن أن تتعرف على ذلك من خلال النظر إلى التزكية كعملية (Process) لها خطوات ، فيما يلى ذكرها :

## خطوات عملية التزكية :

يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى﴾** و**﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾**[4] .

---

(١) ابن تيمية ، م١٠ :٩٦-٩٩.

(٢) على الدين السيد محمد :١٩٨١ ، نموذج إسلامى للمعونة النفسية كأسلوب علاجى مقارناً باتجاه سيكولوجية الذات فى خدمة الفرد ، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط : ٣١٤-٣٢٣ .

(٣) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣م ، بيروت ، دار المعرفة ، م١١:٣٣٨ .

(٤) سورة الأعلى : الأيات ٩، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ .

يفسر ابن عاشور هذه الآيات بقوله : إن المراد بـ : "من تزكى" هنا هو عين المراد بـ"من يخشى ويذكر" ، ولقد عرف هنا بأنه الذى ذكر اسم ربه ، ومعنى تزكى ؛ أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها ، وأصل ذلك هو التوحيد والاستعداد للأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام، وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذاك كله ، فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية ، فعملت بما ينفعها وأكثرت من الإقبال عليه ، فالتزكية ؛ الارتياض على قبول الخير ، والمراد تزكى بالإيمان .

وقد رتبت هذه الخصال الثلاث في الآية على ترتيب تولدها ، أي أن خطوات التزكية هي:

١- إزالة الخباثة النفسية من عقائد باطلة وحديث النفس بالمضمرات الفاسدة، وهو المشار إليه بقوله "تزكى" .

٢- ثم استحضار معرفة الله بصفات كماله وحكمته ، ليخافه ويرجوه وهو المشار بقوله : وذكر اسم ربه .

٣- ثم الإقبال على طاعته وعبادته ،وهو المشار إليه بقوله " فصلى" والصلاة تشير إلى العبادة فهى في ذاتها طاعة وامتثال ، يأتى بعده مايشرع من الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾(١) .

وعلى هذا الأساس من الفهم لعملية التزكية يمكن للأخصائى أن يساعد العميل على تزكية نفسه ، وقد يحتاج الأخصائى إلى تعميق فهمه وزيادة معارفه حول هذا الموضوع ، بأن يرجع إلى المصادر الإسلامية في ذلك .

وعلى الأخصائى أن يأخذ في اعتباره عدة أمور تسهل عليه وعلى العميل القيام بهذه المهمة وهى:

١- أن يبدأ بإثارة مشاعر عدم الرضا عن النفس لدى العميل ، والإيمان بوصف النفس أنها أمارة بالسوء كما أخبرنا خالقها ، كما يجب أن يعلم أن النفس تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب ، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها .

٢- توجيه العميل إلى التدرج في المجاهدة ، بتطهير النفس أولا من المعاصى المتعلقة بالجوارح (اللسان ، الأذنان ، العينان ، اليدان ، الرجلان ، البطن ، الفرج) .

ثم تحلية هذه الجوارح بالطاعات المناسبة لكل منها(٢) .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور : ١٩٨٤، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس ، الدار التونسية ، ج٣: ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) يمكن الرجوع إلى الغزالي في إحياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، به تفصيل عن رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، وكذلك "تزكية النفوس وتربيتها" لمجموعة من علماء السلف . تحقيق ماجد بن أبي الليل ، جمع وترتيب الدكتور أحمد فريد ، بيروت ، دار القلم .

٣- الانتقال إلى مجاهدة الصفات الباطنة كالكبر والرياء ، والغضب ، ويبدلها بصفات حسنة كالتواضع والإخلاص ، والحلم .

٤- مساعدة العميل على تحسين مستوى أدائه الكلى ، لقد تبين لنا شمولية مفهوم "الأداء الكلى" مقارنه بمفهوم " الأداء الاجتماعى" ، حيث إنه يشمل أداء الفرد لواجباته تجاه ربه ، بالإضافة إلى واجباته تجاه نفسه وتجاه غيره ، وأن الأداء الاجتماعى لايتحقق إلا من خلال قيام الفرد بواجباته تجاه ربه التى تتمثل في طاعته لما أمر به واجتنابه لما نهى عنه ، وعليه فإن إيجاد صلة قوية ودائمة بين الفرد وربه هو القاعدة الرئيسة التي يقوم عليها أداؤه الاجتماعى وأداؤه الكلى ، هذه الصلة التي توجه الفرد إلى الرجوع إلى الله فى كل وقت ، وعند قيامه بأى عمل وعند تعرضه لأي أمر من الأمور فإنه يرجع إلى الله وإلى شرعه ليحكمه ، ويسلم أمره إليه في كل شيء راضيا وواثقاً في عدله وإحسانه ، فكيف نكون هذه الصلة ؟ وكيف نحافظ على استمرارها ؟ وكيف ننميها ونزيدها قوة؟

لاشك أن تكوين هذه الصلة هو مهمة التنشئة الاجتماعية فى الإطار الإسلامى في المقام الأول ، والمحافظة على استمرارها وتنميتها هى أيضا مهمة التربية بالاشتراك مع العديد من المهن الإنسانية الأخرى، ومحور اهتمام الخدمة الاجتماعية فى المجتمع المسلم هو مساعدة الناس على أن يقوموا بأدائهم الكلى - المشتمل على الأداء الاجتماعي - بأفضل صورة ممكنة، ونظراً لأن ما كتب فى الخدمة الاجتماعية من المنظور الغربى يدور حول مساعدة الناس على أداء وظائفهم الاجتماعية ، فإنه سيقتصر الحديث هنا عن صلة الإنسان بربه التي تكمل النقص في أدبيات الخدمة الاجتماعية ، وتعطى معنى له . فما هى وسيلتنا للاتصال با لله سبحانه وتعالى ؟

كما يقول محمد قطب إن الروح هي وسيلتنا إلى ذلك ، تلك الطاقة المجهولة التي لاتعرف كنهها ولاطريقة عملها ، ولكنها - أي الطاقة الروحية - هى أكثر طاقات الإنسان وأعظمها ، وأشدها اتصالاً بحقائق الوجود[1] .

فكيف نربى الروح حتى تكون صلتنا با لله صلة سليمة ودائمة تحقق لنا طيب العيش في هذه الدنيا والفوز بالآخرة ؟

يختلف رجال التربية في طرق عرضهم لهذا الموضوع ، ولكن المضمون العام لا خلاف عليه ، فمنهم من يركز على الشعائر التعبدية ، وتزكية النفس (مثل مقداد يالجن) ، ومنهم من اهتم بجميع أبعاد العبودية لله (مثل ماجد الكيلانى) أما مقداد يالجن فيحدد وسائل أو جوانب التربية الروحية كما يلى :

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، جـ ١، ط٦ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ٤٠-٤١ .

١- تنشئة الأفراد على عبادة الله منذ المراحل الأولى .

٢- تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل والنيات السيئة .

٣- تحلية النفس بالفضائل الأخلاقية المختلفة .

٤- ممارسة الرياضة الروحية بأساليبها في ميادينها .

٥- تكوين شعور لدى الفرد بأنه بحاجة إلى الله باستمرار .

٦- التدريب على ذكر الله بالأسلوب التربوى .

٧- تكوين الوعي الكامل بأهمية وضرورة الحياة الروحية .

كما اهتم ماجد الكيلانى بتكامل مفهوم العبودية لله ، وهي صفة العلاقة بين الإنسان ، وربه ، فلتقوية هذه العلاقة لابد من الاهتمام بجميع جوانب أو مظاهر العبادة وهي المظهر الدينى ، والمظهر الاجتماعى ، والمظهر الكونى(١) .

وبهذا نرى كيف أن علاقة الإنسان بربه تنطلق منها علاقته بالآخرين وعلاقته بالبيئة المحيطة (بالكون) .

كما يرى محمد قطب (١٩٨٢ : ٤٣-٤٤) أن وسائل عقد الصلة الدائمة بين الإنسان وربه هي :

١- إثارة حساسية القلب بيد الله المبدعة في الكون ، لتحس دائماً بوجود الله وقدرته المطلقة .

٢- إثارة حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه .

٣- إثارة وجدان التقوى والخشية الدائمة لله .

٤- إثارة عاطفة الحب لله ، والتطلع الدائم إلى رضاه .

٥- بعث الطمأنينة فى القلب إلى الله في السراء والضراء وتقبل قدره بالتسليم والرضا .

وأعتقد أن التركيز على تكامل صور العبودية لله يجب أن تكون السمة التى تميز ممارسة الخدمة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية ، عنها في المجتمعات الأخرى ، كذلك فهي السمة التي تميز مهن الخدمة الاجتماعية عن مهن المساعدة الإنسانية الأخرى ، لذلك فإنه قد يكون من المفيد أخذنا في الاعتبار تفاعل القوى المختلفة في الإنسان (الروحية ، والعقلية ، والنفسية ، والجسمية) ولقد أخذ الغزالى بنظرية العلاقة الدائرية بين الروح والجسم التى توضح تأثير الصفات الروحية - سواء طيبة أو خبيثة - على الجسم ، حيث تدفعه إلى القيام

---

(١) ماجد عرسان الكيلانى : فلسفة التربية الإسلامية ، ط ٢ ، مكة المكرمة ، مكتبة هادى ١٩٨٨ ، ٨٥-٨٦ .

بالأعمال المناسبة لهذه الصفات ، وهذه الأعمال تؤدى إلى وجود الصفة وتقويتها فى الروح، وهذه الصفة للروح تستنفر الجسم مرة أخرى لكى يكرر نفس الأعمال ، وهكذا .

وعليه ، فإن الأخصائى الاجتماعي إذا وجه العميل إلى أفعال معينة أو الأعمال الصالحة فإنه من المتوقع أن تترك أثرها على الروح فتتصف بالصفة الصالحة التى يحملها العمل ، وبالتالى يتحقق النمو الروحى للعميل ، وتقوى صلته با لله عز وجل ، ويقول ابن تيمية في نفس المعنى :"العمل له أثر على القلب من نفع وضر" ، ثم يؤيد قول بعض السلف: إن للحسنة لنوراً فى القلب وقوة فى البدن ، وضياء فى الوجه ، وسعة فى الرزق ، ومحبة فى قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمة فى القلب وسواداً فى الوجه ، ووهنا فى البدن ، ونقصاً فى الرزق ، وبغضا فى قلوب الخلق(١) .

٥- مساعدة العميل على تنمية قدرته على فهم نفسه وفهم الآخرين والبيئة المحيطة به من خلال صلة كل منهم با لله ، فيزن أعماله وأقواله ، وأفكاره ومشاعره بميزان من تقوى ا لله ، فيعرف الخبيث من الطيب ، حتى يستطيع - بفضل ا لله - أن يمحو أو يقلل من الخبيث ، وينمى ماهو طيب ، وكذلك بالنسبة للآخرين ، وبهذا يكون الأخصائى قد ساعده على أن يساعد نفسه بنفسه ، وأن يقوى من صلته با لله عز وجل ، مما يجعله أقدر على مواجهة أية صعوبات أو مشكلات تعترضه .

كما على الأخصائى أن يساعد العميل على أن ينظر إلى تعامله مع الآخرين على أنه تعامل مع ا لله عز وجل ، حتى يتصف تعامله بالإيجابية من جانب ، وبالقبول والتسليم من جانب آخر ، ويمكن للأخصائى أن يساعد العميل فى فهم السلوك المتوقع من الأفراد فى بيئته المحيطة ، حسب نوع صلتهم با لله .

ولقد أشارت كومبتن فى كتابها المشترك مع جلوي إلى عدد من التكتيكات المفيدة التى يمكن للأخصائى الاجتماعى أن يستخدمها ليصل بالعميل إلى فهم نفسه (سلوكه ، أفكاره ، مشاعره) ، وكذلك إلى فهم البيئة المحيطة به(٢) ، منها إعادة ما يقوله العميل بصياغة جديدة وألفاظ مختلفة (Parahrasing) - توضيح وإظهار المعانى والمشاعر التى تركها العميل غير مترابطة (Clarifying and Reflecting) - التأكد من صحة إدراك العميل وفهمه والتركيز على الأفكار والمشاعر حتى لايختلط الأمر عند العميل (Checking Perception and Focusing) - التلخيص والتفسير(Summarizing and Interpreting)

---

(١) أحمد ابن تيمة :١٩٦١- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦م ، الرياض ، مطابع الرياض ، م ١٠ :٩٨ .

(2) Compton and Galaway, 1989: 557-561 Social Work Processes, 4th ed . Belmont Califonia : Wodsworth Publishing Company., P557-561 .

- الإخبار أو التبليغ (Informing) ويشمل إعطاء المعلومات ، والنصيحة والاقتراحات - المواجهة (Confrontation) .

٦- تقديم العون النفسي : المعونة النفسية هي وسيلة لتخفيف حدة المشاعر المصاحبة للمشكلة أو إزالتها ، مثل مشاعر القلق أو الذنب أو الغضب التي نشأت نتيجة المشكلة فأفقدت -مؤقتاً- قدرات الذات على التماسك والاستقرار[١].

أما فاطمة الحاروني فلقد اعتبرت تقوية ذات العميل هو الهدف الأصيل للعلاج الشخصي، وتتم تقوية ذات العميل عن طريق تقديم العون النفسي الاجتماعي ، وهو إعانة العميل على الخروج من دائرة الضغط النفسي المرتفع ، وذلك بتقليل المشاعر السلبية وتخفيف الآلام النفسية كالشعور بالنقص والفشل والضيق والتوتر والمخاوف المختلفة ،وتقوية المشاعر والاتجاهات الإيجابية كالثقة بالنفس والتفوق والأمل الذى يدفع إلى النشاط الاجتماعي المرغوب[٢] .

ولقد تناول كل من عبد الفتاح عثمان وفاطمة الحاروني - شرح الأدوات أو الأساليب التى يستخدمها الأخصائيالاجتماعى لتقديم العون النفسى ، منها : العلاقة المهنية، التنفيس الوجدانى ، التأكيد ، النصح .

وتشير لويز جونسن إلى مفهوم التدعيم (Support) الذى يمكن أن نعتبره نوعاً من أنواع العون النفسى ، حيث ذكرت تعريف جوديث نيلسون (١٩٨٠) للإجراءات التدعيمية باعتبارها تلك الإجراءات التى تعمل على مساعدة العميل على أن يشعر أنه أصبح فى حالة أفضل ، وأقوى أو أن يشعر بأنه أكثر راحة من قبل (Fecl Better Stronger ,or more Comfortabl) وتقول لويز جونسن أنه على الرغم من أن الأخصائى الاجتماعى لايخلو عمله من استخدام وسائل التدعيم، إلا أن أدبيات الخدمة الاجتماعية لم تتناوله إلا قليلاً ، خصوصاً فيما يتعلق بطبيعة التدعيم، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن تطبيقات التدعيم واستخداماته تعتمد على حكمة الممارسة (Practice Wisdom) ومعروف في تاريخ الخدمة الاجتماعية ، أن التدعيم كان يستخدم مع الحالات المزمنة فقط (الميئوس من علاجها)، وكان ينظر إليه على أنه لايستحق أن يأخذ من وقت الأخصائى الاجتماعى سوى القليل ، ولكن النظرة المعاصرة للتدعيم تغيرت ، فأصبح ينظر إليه كوظيفة مقبولة ، حيث

---

(١) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد في المجتمع النامى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠، ص ٢٦٥.

(٢) فاطمة مصطفى الحاروني : خدمة الفرد فى محيط الخدمات الاجتماعية ، ط٧ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٧٧: ٣٨٠-٣٨١.

يستخدم لمساعدة العميل على أن يكافح بنجاح (To Cope With) المواقف الصعبة التي يواجهها ، ومن خلال ذلك يحدث النمو في شخصيته[1] .

وبتدبر آيات القرآن الكريم ، يمكن استنباط بعض الأساليب النفسية التي استخدمها الله عزوجل (وله المثل الأعلى) مع أنبيائه ، أو مع من أوحى إليهم ، وفيما يلى إشارة موجزة عن بعض هذه الأساليب .

**١- التثبيت** : قال تعالى : **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾**[2]، والتثبيت حقيقته التسكين في المكان بحيث ينقي الاضطراب ، والتزلزل ، وتثبيت فؤاد الرسول - ﷺ - زيادة يقينه ومعلوماته بما وعده الله لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أممهم معهم يزيده تذكرا وعلماً بأن حاله جار على سنن الأنبياء . وازداد تذكراً بأن عاقبته النصر على أعدائه ، وتجدد تسليته على مايلقاه من التكذيب ، وذلك يزيده صبراً ، والصبر تثبيت الفؤاد[3] .

كما جاء في تفسير الآية الكريمة : **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾**[4] ، إن التثبيت هو جعل الشيء ثابتاً ويستعار الثبات لليقين وللاطمئنان بحصول الخير لصاحبه كما جاء في قوله تعالى : **﴿لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا﴾** وتثبيت الفؤاد يقتضى كل ما به خير النفس[5] .

ومن تثبيت قلوب المؤمنين قال تعالى : **﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾**[6] ، أي تثبيت لقلوبهم بصحة اليقين[7]، كما ورد في الأحاديث أن الرسول -ﷺ - قد دعا ربه أن يثبت قلبه على دينه[8].

**٢- الربط على القلب** : كما جاء في قوله عز وجل :**﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾**[9] ، والربط على القلب هو توثيقه عن أن يضعف كما يشد العضو الوهن ، أى ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه ، والمراد بالمؤمنين المصدقون بوعد الله ، أي لولا أن ذكرناها ماوعدناها فاطمأن

---

(1) Johnson Louise 1989 Social Work Pracitice; A Generalist Approach,3d ed. Boston, Allyn and Bacon.., PP 333-335.

(٢) سورة هود : الآية ١٢٠ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ . تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، ، تونس ، الدار التونسية ، ج١٢: ٩١٩١.

(٤) سورة الفرقان : الآية ٣٢ .

(٥) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتنوير، ١٥م تونس ، الدار التونسية ، ج١٨ : ١٩

(٦) سورة النحل : ١٠٢ .

(٧) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥ م ، تونس ، الدار التونسية ، ج ١٤ ، ٣٨٤ .

(٨) الترمذى ، قدر ، ٧ ، ابن ماجه ، مقدمة ، ١٣ .

(٩) سورة القصص : الآية ١٠ .

فؤادها[1]. يتبين من المعنى الظاهر أن الربط على القلب والتثبيت أسلوبان متماثلان إلا أن الله عز وجل قد استعمل التثبيت مع المؤمنين بشكل عام عن طريق زيادة اليقين ، فهو أسلوب يستخدم في حالات الضعف والحالات العادية ، أما الربط على القلب فقد استعمله الله تعالى في حالات الضعف الناتجة عن تعرض صاحبها لحدث معين أو ابتلاء من الله ، فقد ربط سبحانه على قلب أم موسى عندما أوحي إليها أن ترمي بولدها في اليم ، كما ربط على قلوب أصحاب الكهف ، كما في الآية الرابعة عشر من سورة الكهف ، حيث كانوا في موقف صعب يحتاجون فيه إلى معونة الله عز وجل ، حتى يحميهم من قومهم الكافرين ، ولقد ربط الله على قلوبهم ، أي ثبت الإيمان به ، لأنهم أصلاً آمنوا وخالفوا قومهم .

٣- **شد العضد** : في دعاء سيدنا موسى لربه قال : ﴿**واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى، اشدد به أزرى**﴾[2] ، فاستجاب له ربه : ﴿**قال سنشد عضدك بأخيك**﴾[3] ، والشد هو الإمساك بقوة والربط ، والأزر أصله الظهر ، وأطلق اسمه على القوة ، وقيل أزره إذا أعانه وقواه ، ولقد جعل الأخ في هذه الآية بمنزلة الرباط الذى يشد به ، والمراد أنه يؤيده بفصاحته[4] . فهذا أسلوب من أساليب العون ، وهو الاستعانة بمن يثق به العميل ، ومن لديه من الموارد والقدرات ماليس لدى العميل ، وهذا من شأنه أن يدخل الاطمئنان في النفس .

٤- **التذكير بالنعم** : كما جاء فى سورة الضحى : ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى**﴾[5] .

المقصود بهذا المن من النعم على الرسول - ﷺ - هو تقوية قلبه واطمئنان نفسه ووعده بدوام النعم ، وكأنه يقول : مالك تقطع منى رجاءك ألست شرعت في تربيتك ، أتظنني تاركاً لما صنعت بل لابد وأن أتم عليك وعلى أمتك النعمة[6] .

فالتذكير بالنعم يبعث الرجاء ويزيد الأمل في استمرار عطاء الله ، ويمكن استخدام هذا الأسلوب مع العميل فيذكره الأخصائى بالنعم التى منحها الله له - نعم عامة وخاصة - وقياساً إلى ماسبق فإن الله لن يخيبه إذا تمسك بطاعته وجاهد وصبر .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس ، الدار التونسية ، ج ٢٠ : ٨٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ٢٩-٣١ .

(٣) سورة القصص : الآية ٣٥ .

(٤) محمد الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤ . تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس ، الدار التونسية ، ج١٦ :٢١٣ ، ج٢٠: ١١٧ .

(٥) سورة الضحى : الأيات ٦ : ٨ .

(٦) محمد الرازى : ١٩٨٥ ، تفسير الفخر الرازى ، ١٦م ، بيروت ، دار الفكر ، ج٣٠ ، ٣١٥ .

هذا ولقد سبقت الإشارة إلى أهمية التوازن أو الاعتدال بين مشاعر الخوف ،والرجاء حتى يكون الفرد في صحة نفسية جيدة ، ومن خلال مايقوم به الأخصائى من دراسة لشخصية العميل ، يمكن له الوقوف على درجة الخوف والرجاء لدى العميل ، كى يستخدم الأسلوب المناسب الذى يساعد على إيجاد التوازن بينهما ، والترغيب والترهيب من الأساليب التربوية المعروفة ، ويستطيع الأخصائى أن يستخدم الترغيب لمن هو فى حاجة إلى زيادة درجة الرجاء ، وأسلوب الترهيب لزيادة درجة الخوف ، ولقد ورد عن الرسول - ﷺ - قوله : ((فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار))[1] ، ويقول ابن حجر في شرح الحديث : ((من علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه ، لايأمن انتقامه من يرجو رحمته ، ولاييئس من رحمته من يخاف انتقامه ، وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة ، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة ، ولقد سبقت كلمة الكافر - مع أن الجنة لم تخلق له - لترغيب المؤمن فى سعة رحمة الله التى لو علمها الكافر الذى كتب عليه أنه يختم عليه أنه لا حظ له في الرحمة لتطاول إليها و لم ييئس منها : وإذا كان هذا حال الكافر فكيف لا يطمع فيها المؤمن الذى هداه الله للإيمان ؟[2] .

وعلى هدى هذه المعانى يمكن للأخصائى -بفضل الله- أن يعاون العميل حسب حالته حتى يصل إلى التوازن بين الخوف والرجاء .

هذا بالإضافة إلى مساعدة العميل على السيطرة على الانفعالات ذات الأثر الضار ، مثل الغضب ، الكره الحسد ، الكبر ، الحزن ، وهناك توجيهات قرآنية ونبوية فصلها محمد نجاتى في كتابيه ، ومن المفيد جداً أن يعرفها الأخصائى ، وتكون جزءاً من الأساس المعرفى لديه[3] ، كما شرح الغزالى في الإحياء كيفية علاج الغضب والحقد والحسد[4] ، وعلاج الكبر[5] .

٧- مساعدة العميل على معرفة الموارد المتاحة ، وكيفية استخدامها : لقد تناولت مراجع الخدمة الاجتماعية هذه المهمة بالتفصيل ، وغالبا ما نقسم هذه الموارد إلى موارد ذاتية ،

---

(١) البخارى ، كتاب الرقاق : ١٩ .

(٢) أحمد بن على بن حجر ، ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣م ، بيروت ، دار المعرفة ، م١١ : ٣٠٢ .

(٣) محمد عثمان نجاتى ، ١٩٨٧ : الحديث النبوى وعلم النفس ، ط١ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٠٥- ١١٤ ، ١٩٨٩ : ١١٦-١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، م٣ : ١٤٣ -١٧٠.

(٥) المرجع السابق ، م٣: ٣٠٨ -٣٨٨.

وأخرى بيئية[١] ، وما يهم عرضه هنا هو ما يتميز به المنظور الإسلامى للممارسة ، فمن الموارد الذاتية التى أغفلها المنظور التقليدى للمهنة الطاقة الروحية لدى الإنسان ، وقوة إيمانه بالله وبما جاء به فى كتابه الكريم ، وكذلك كل ما جاء فى السنة المطهرة ، كما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يعتبران فى حد ذاتهما مصدرين مهمين يعتمد عليهما فى توجيه العميل لفهم نفسه ولفهم مشكلته ، ويعتبر ما جاء بهما مثل الوضوء الذى ينير طريق الأخصائى والعميل فى عملية تقدير الموقف ، وعملية التدخل .

كذلك يركز المنظور الإسلامى للممارسة على استخدام علاقات القرابة والرحم ، والجيرة ، والأخوة الإيمانية ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ، ولعل المحور الإيمانى ، والعمل على طاعة الله وكسب رضاه ، هو الذى يفرق بين الاتجاه الإسلامى والاتجاه الغربى الحديث الذى ينادى باستخدام شبكة العلاقات الطبيعية (Natural Support Networks) ليس من منطلق أنه واجب دينى حث الله عليه ، ولكن من منطلق الواجب الاجتماعى والأخلاقى لذلك فإنه لا يمثل قوة ذات فعالية كبيرة ، ولكن يمكن أن نستفيد من الأساليب المناسبة التى يتبعونها لإحداث التكامل بين الموارد الطبيعية والموارد المؤسسية ، ولقد عالج هذا الموضوع ويتكر وجاربارينو فى كتاب لهما[٢] .

كما أن الإسلام قد وسع دائرة العلاقات التى يمكن الاستفادة منها ، فجميع المؤمنين إخوة، وإن اختلفت ديارهم وبلادهم وأجناسهم ، ولقد سبقت الإشارة فى فصل الرعاية الاجتماعية إلى أهمية التكامل الاقتصادى والاجتماعى بين المجتمعات الإسلامية ، وقد يوجه الأخصائى العميل إلى الهجرة لبلد آخر فى حالة وجود العميل فى بيئة تشكل تهديداً لدينه أو نفسه أو ماله أو عرضه ، فتصبح الهجرة لازمة لحماية هذه الضروريات .

وهناك استراتيجيات أخرى تستخدم حسب حاجة العميل إليها ، مثل تعليم المهارات الاجتماعية فى التعامل مع الآخرين لتنمية القدرة على تكوين علاقات اجتماعية سليمة ، ومثل تقديم العون المادى نقديا أو عينيا ، وتستخدم هذه بصفة خاصة مع العملاء الذين يعانون من نقص فى إشباع الحاجات المادية ، أى الذين لديهم مشكلات تتعلق بالوظائف الوسيلية ، وهى النوع الثانى من المشكلات حسب التصنيف السابق فى عملية تقدير

---

(1) Siporin Max - 1975 - Introduction to Social Work Practice, New York : Macmillan Publishing Co., Inc.,PP 299 - 319 . Johnson Louise Social Work Practice : A Generalist Approach, 3d ed. Boston; Allyn and Bacon, 1989, PP 323 - 329 .

(2) WHittaker J. & Garbarino J. 1983 Social Support Networks Informal Helping in the Human Service. New York : Aldine De Gruyter A Division of Walter Degruyter .

الموقف، وقد يكتفى بتقديم العون الذى فى حالة كون العميل من الفئة (أ) ذى العقيدة السليمة المهيمنة على سلوكه ، ولكننا نجد رسول الله – ﷺ – فى مثل هذه الحالة ، عندما اشتكت إليه فاطمة – رضى الله عنهما – ما تلقى فى يدها من الرحى وسألته خادماً ، نجده صلوات الله عليه يقول لها ولعلى رضى الله عنه «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما – أو أخذتما مضاجعكما – فكبرا أربعا وثلاثين ، وسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، فهذا خير لكما من خادم(١).

ولقد وردت عدة أقوال متباينة فى شرح هذا الحديث ، نظرا لأن الرسول – ﷺ – كان محتاجاً لبيع ما لديه من الرقيق لنفقته على أهل الصفة ، فقيل أنه لو كان لديه فضل من الخدام لكان أعطى فاطمة ، ولقد اجتمعت الأقوال على كونه – ﷺ – أراد أن يعلمها أن عمل الآخرة أفضل من أمور الدنيا على كل حال ، وقال القرطبى إنه صلوات الله عليه أحب لابنته ما أحبه لنفسه من إيثار الفقر وتحمل شدته بالصبر عليه تعظيماً لأجرها(٢) .

ولا شك أن هناك عدة عوامل تلعب دوراً كبيراً فى تحديد الاستراتيجية المستخدمة مثل حجم الموارد ومدى توافرها ، فلقد كان صلوات الله عليه إذا توفرت لديه الموارد يعطى كل من يسأله حتى ينفد ما عنده ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، "إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله – ﷺ – فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال : ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر(٣) .

وإذا كانت الموارد لا تكفى الجميع ، فإنه يعطى من خوف ما فى قلوبهم من جزع وهلع – وكأنه يخشى على إيمانهم أن يضعف – ويمنع من عرف فى قلوبهم الغنى والخير ، كما جاء فى الحديث(٤) .

هذا كما عرف عن الرسول – ﷺ – أن إجاباته تعددت عن السؤال الواحد ، ولقد قال العلماء فى ذلك ، إن اختلاف الأجوبة ترجع إلى اختلاف الأحوال ، واحتياج المخاطبين وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه(٥) ، أى أنه عليه الصلاة

---

(١) البخارى ، كتاب الدعوات : ١١ .

(٢) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣م ، بيروت ، دار المعرفة ، م١١ . ١٢٣ – ١٢٤ .

(٣) البخارى ، كتاب الزكاة : ٥٠ .

(٤) البخارى : كتاب التوحيد : ٤٩ .

(٥) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣ م ، بيروت ، دار المعرفة ، م١ : ٧٠٩ .

والسلام كان يأخذ فى اعتباره الأحوال ، وهى ما أشير إليها فى عملية تقدير الموقف بتحليل الموقف والظروف المحيطة بالعميل ، كذلك احتياج المخاطبين وهو يدخل فيما أشير إليه بفهم شخصية العميل ومعرفة احتياجاته ، ويتبين ذلك من الحديث الشريف :(( عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى: - ﷺ - أوصنى ، قال : لا تغضب فردد مراراً قائلاً : لا تغضب))(١) .وأحد الأقوال التى ذكرت فى شرح هذا الحديث ما قيل عن السائل أنه كان غضوباً ، وكان والنبى- ﷺ - يأمر كل أحد بما هو أولى به ، فلهذا اقتصر فى وصيته له على ترك الغضب(٢) .

## ثانياً : استراتيجيات العمل مع البيئة :

يهدف التدخل فى بيئة العميل إلى إحداث تغييرات فيها ، أو التأثير عليها بشكل أو بآخر، وذلك لصالح العميل ، ونظرا لأن هناك تأثيراً متبادلاً ومستمراً بين الفرد وبيئته فإن العناية بالبيئة والعمل على إصلاحها وتنميتها تعتبر وظيفة ضرورية من وظائف الخدمة الاجتماعية .

ولقد تناولت كتابات الخدمة الاجتماعية -التقليدية منها والحديثة - هذا الموضوع بتوسع، فمن الكتابات التقليدية(٣) ، ومن الكتابات الحديثة(٤) : وعرضها(٥) بعض الكتاب من خلال دور الأخصائى كوسيط وكمدافع ، مثل كومبتون وجلوى .

وفيما يلى إشارة إلى بعض الاستراتيجيات التى يمكن استخدامها مع البيئة من المنظور الإسلامى للخدمة الاجتماعية .

---

(١) البخارى ، كتاب الأدب : ٧٦ .

(٢) أحمد بن على بن حجر : ١٩٥٩ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ١٣م ، بيروت دار المعرفة ، م١٠ : ٥٢٠ .

(٣) فاطمة مصطفى الحارونى -١٩٧٧- خدمة الفرد فى محيط الخدمات الاجتماعية ، ط٧ ، القاهرة ، مطبعة السعادة : ٣٦٩ - ٣٧٦ .

(4) Epworht D. & Larsen J. 1986, Direct Social Work Practice : Theory and Skills, Illiniois : The Dorsey Press.
Johnson Louise Social Work Practice : A Generalist Approach, 3d ed . Boston ; Allyn and Bacon., 1989, 351 - 371.

(5) Compton B. & Galaway B. 1989 Social Work Processes, 4th ed. Belmont Califonia : Wodsworht Publishing Company., 1989, 510 - 513 .

– مساعدة الهيئات الرسمية ، وغير الرسمية فى جهودها المبذولة للقيام بالضبط الاجتماعى لتحقيق أعلى قدر ممكن من امتثال الناس للشريعة الإسلامية أى "التقوى" كما تبين عند دراسة مفهوم الضبط الاجتماعى من المنظور الإسلامى ، ومن أهم تلك الهيئات الرسمية التى يفترض تواجدها فى المجتمع المسلم هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تعمل على سلامة المجتمع ووقايته من أى انحرافات عن شرع الله .

– مساعدة القيادات المحلية ذات الاتجاهات الإيجابية على تحقيق الأهداف المتمشية مع مقاصد الشريعة ، وذلك باستخدام الأخصائى الاجتماعى لمهاراته المهنية فى التخطيط والتنفيذ والتقويم .

– الاتصال بالعناصر المؤثرة فى البيئة والعمل على إحداث تغييرات إيجابية فيها ليصبح سلوكها أكثر اتساقا مع تحقيق مقاصد الشريعة .

– استثمار مشاعر الخير والتراحم المنطلقة من التوجيهات الإسلامية فى تجميع الموارد اللازمة للوفاء بحاجات الفئات المحتاجة فى المجتمع (مثل تنظيم جمع الزكاة ، ودراسة حالات المحتاجين) .

– دعوة أهالى البلدة أو الحى إلى المشاركة والمساهمة فى حل مشكلات مجتمعهم المحلى .

– تدريب القيادات المحلية على العمل التعاونى ، وتدعيم شبكة العلاقات الطبيعية .

– العمل على إحداث التغييرات المرغوبة فى الأسرة لتحسين مستوى أدائها الكلى .

– العمل مع أصحاب السلطة ، لإقناعهم –على سبيل المثال– بالموافقة على مشروع يخدم البيئة، أو بإصدار قرار لصالح بعض الفئات الضعيفة كزيادة مقرر الضمان الاجتماعى مثلاً .

– المساهمة فى تنمية المؤسسات الدينية ، وتدعيم دورها فى المجتمع ، كالمسجد على المستوى المحلى ، والهيئات والمؤسسات الإسلامية على مستوى الدول الإسلامية .

– العمل على الإصلاح بين الفئات المتخاصمة فى بيئة العميل .

# نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي

د. ماهر أبو المعاطى على

## مقدمة :

لعل من الأمور الخطيرة التى تواجهها الحكومات - خصوصاً في الدول النامية - أن تطلعات الناس وآمالهم في حياة كريمة ومستوى أرفع من الحياة أكبر كثيراً من إمكانيات الدولة ، فحاجات الناس تتطور بسرعة وتهدف إلى تحقيق المزيد ويقابل ذلك ضعف الإمكانيات المادية والفنية والبشرية فى هذه الدول[1] ، مما أدى إلى أن تعمل تلك الدول على التوسع فى تقديم الخدمات للمواطنين وبخاصة الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والثقافة لما لها من أثر مباشر وفعال على زيادة معدل التنمية حتى يمكن تحقيق حياة تتوفر فيها عوامل الاستقرار الاجتماعى[2] .

والمجتمع العربي من المجتمعات النامية التى تجاهد من أجل التحرر من المشاكل التى خلفها لها الاستعمار بغرض توفير الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لسكانه ، كى يعيشوا فى مستوى يليق بالكرامة البشرية وذلك عن طريق تحقيق التنمية الشاملة معتمداً في ذلك على موارده المادية والبشرية التى يمكن استثمارها من أجل تحقيق أهداف هذه التنمية.

ولكى تكون هناك تنمية يجب أن تكون هناك سياسة اجتماعية واضحة المعالم باعتبارها تحديداً وتنظيماً لاتجاهات المنهج الذى ترتضيه الدولة لتوجيه العمل الاجتماعي بها في شتى المجالات وفق الأهداف التى تسعى إليها تحقيقاً لآمال الجماهير في العدالة الاجتماعية وفي مستوى أفضل للحياة[3] . ويلاحظ أن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الدول عاجزة عن الاستجابة لاحتياجات السكان بطريقة ذات معنى ، حيث توقف النمو الأصيل الموافق للشريعة وفرضت بدلاً منها نظماً أجنبية تتعارض مع روح الشريعة ، مما أدى بالناس إلى الإحساس المستمر بصراع حاد بين ما استقر في ضمائرهم أنه الحق وبين الأمر الواقع الكئيب[4] . خصوصاً أن الصفوة الحاكمة في العديد من تلك الدول الإسلامية

---

(١) مصطفى الجندى : المرجع في الإدارة المحلية (الإسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٧١) ، ص٤٩ .

(٢) منصور حسين ، كرم حبيب : التخطيط للتنمية (القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٠)، ص٥٤ .

(٣) يحيى حسن درويش وآخرون : التخطيط الاجتماعي (القاهرة ، مطبعة عادل ١٩٨٧) ، ص٢٨٣ .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : نماذج ونظريات فى تنظيم المجتمع (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) ص٢٨٣ .

وجدت أن تبني النموذج الغربي خصوصاً في ذلك الاتجاه التلفيقى الذى يتضمن أنه حيثما وجدت أحكام شرعية متطورة (مثلا فى مسائل الأسرة والأحوال الشخصية) استبقيت ، أما في المجالات التى لم يكن هناك فرصة لتطبيق أصولها العامة على واقع الحياة لفترة طويلة فإن الحل كان النقل المباشر عن الغرب(١) .

وهكذا يتضح أن السياسات الاجتماعية في أغلب تلك المجتمعات سياسات وافدة غير متوافقة مع السياق المجتمعي لواقع المجتمع المسلم ، مما استوجب ضرورة البحث عن سياسة اجتماعية من منظور إسلامي ونابعة من ظروف وإمكانيات وثقافة المجتمع العربى كمجتمع إسلامي خصوصاً بعد أن ثبت فشل الكثير من النظريات الشمولية في التنمية ، كالماركسية ، مثلا. والأمثلة على ذلك كثيرة خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الجمهوريات الإسلامية ، وأيضاً فشل النظريات الرأسمالية في الدول النامية كنموذج للتحديث ، وبعد أن ثبت أيضاً أن القوانين الشرعية الإسلامية ما ضاقت عن حاجة ولا وقفت عقبة في سبيل مصلحة أو عدالة ، بل وسعت مصالح الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم ، وكانت الدولة الإسلامية في عصورها الذهبية تمتد رقعتها من بلاد الصين شرقاً إلى جبال أسبانيا غرباً ، وكان البحر المتوسط بحيرة إسلامية ، وكانت هذه الولايات تضم أمماً متباينة الأجناس والعادات والمصالح من عرب وفرس وروم ، وقد نظمت الدول الإسلامية شئون هذه الأمم والشعوب بقوانين من شريعتهم تفي بحاجاتهم(٢) .

ومن هذا المنطلق –ولأسباب سيرد توضيحها – كان هذا البحث لتحديد تلك السياسة من منظور إسلامي ، مع الإشارة إلى أن كلمة نحو في العنوان وضعت لتدل على أننا لا نزعم أن ما في هذا البحث صيغة إسلامية نهائية للسياسة الاجتماعية ، بل تشير إلى اعتبار أن ما سيرد فى هذا البحث خطوة فى طريق طويل وأن الغاية المأمولة من ارتياد هذا الطريق لا يمكن أن يحققها جهد فردى ، وإنما يجب أن تتضافر في سبيلها جهود من المؤهلين – وهم بحمد الله كثير – وليكن هذا البحث دعوة مفتوحة لمن يريد أن يسهم في ترشيد مسيرة السياسة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية(٣) ، أما وصف السياسة بأنها متكاملة فهذا يعنى

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : نماذج ونظريات في تنظيم المجتمع (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) ص٢١٧ .

(٢) محمد صالح عثمان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطابع الجامعة ، الرياض، ١٩٨٤ ، ص ص١٧٠-١٧١) .

(٣) أحمد المهدى عبد الحليم : نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعى والتربوى (رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، السعودية ، الرياض ، العدد ٢٣ ، ١٩٨٧ ص٣١) .

ضرورة توفر أحد الشروط الأساسية في أية سياسة ، وتحديد العناصر المكونة لها، والعلاقات التى تربط بين تلك العناصر على أساس يحقق الأهداف .

ويمكن معالجة هذا البحث من خلال الإجابة عن عدة تساؤلات وهى :

**أولاً** : لماذا تبنى الباحث للمدخل الإسلامي في تحديد هذه السياسة ؟

**ثانياً** : ما مفهوم السياسة الاجتماعية وخصائصها في ضوء المنظور الإسلامي ؟

**ثالثاً** : ما الأهداف التى ترمى السياسة المقترحة إلى تحقيقها ؟

**رابعاً** : من هم المستهدفون من السياسة (استراتيجياً . جغرافياً . فنياً) ؟

**خامساً** : ما الكيفية التى يتم بها تنفيذ السياسة وعوامل نجاحها ؟

**سادساً** : ما الدور الذى يمكن أن تقوم به الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة ؟

وسيتم مناقشة كل تساؤل من هذه التساؤلات من خلال المباحث التى يتناولها البحث .

## المبحث الأول : الأسباب التى تدعو إلى تبنى المدخل الإسلامي في تحديد السياسة :

تتعدد الأسباب والمبررات التى تدعو إلى تبنى المدخل الإسلامي في تحديد السياسة المقترحة ولعل أهمها :

**أولاً** : أن الشريعة الإسلامية تعتبر من أهم ركائز ودعائم السياسة الاجتماعية وهى الأساس الذى تدور حوله الركائز الأخرى خصوصاً أن دساتير أغلب الدول نصت على أن الإسلام هو دين الدولة ، ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسي للتشريع .

**ثانياً** : أن الدين الإسلامي هو التجسيد الحي لقيمة العقل البشري حيث فضل الله الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل ، والدين دعوة إلى إعمال العقل البشري لمعرفة الخالق وتطبيق ما شرعه الله للناس من تعاليم وشرائع وأحكام ، والانقياد للقيم الأخلاقية التى يحض عليها الدين والتخلق بالفضائل ، والدعوة المستندة إلى الدين تقوم على منهاج الله في العمل تحقيقاً للخلافة عن الله في عمارة الأرض[1].

---

(١) محمد شتا أبو سعد : الشريعة الإسلامية (القاهرة ، مطابع الناشر العربى ، ١٩٨٧) ، ص ص ٩ – ١٣ .

**ثالثاً** : أن الدين الإسلامي يجسد الحقيقة الإيمانية للناس فيرونها كاملة فتطمئن نفوسهم ، حيث لم يكتف الدين الإسلامي بالحقيقة المتعلقة بالعقيدة فقط بل أظهر لنا الحقيقة المتعلقة بالشريعة ، ولذا كان الدين الإسلامي عقيدة وشريعة[1] ، والشريعة الإسلامية تنبثق عن عقيدة الإسلام لتنظيم حياة الفرد وحياة الأمة ، والعمل بها من أركان الإيمان ومقتضيات توحيد الله عز وجل ، وما كان للمؤمنين في حياة رسول الله صلى - الله عليه وسلم - أن يتصفوا بالإيمان لولا أنهم كانوا يتحاكمون إلى رسول الله في كل أمر من الأمور ، يستوى في هذا ما يتعلق بالعبادات ، وما يتعلق بالمعاملات ، فإن تحكيم رسول الله صلى - الله عليه وسلم - في كل شأن من شئون الحياة مع التسليم والرضا من صميم الإيمان ، ويكون هذا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى بتحكيم شريعته .

قال تعالى : **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[2] .

**رابعاً** : أن الدين الإسلامي يساير مصالح الناس ، ولذا قيل أنه حيثما توجد مصالح العباد فثم شرع الله ، ومن هنا أيضاً نفهم لماذا شرع الله سبحانه وتعالى بعض الأحكام ثم رفعها أو نسخها ، ذلك أن الأحكام سارت مع مصالح العباد وجوداً وعدماً .

قال تعالى : **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ..﴾**[3] .

والمدقق في الأحكام التكليفية يتبين له إلى أى حد كانت الشريعة رحمة ورأفة بالبشر؛ لأنها تحقق مصالحهم وترفع الضرر عنهم ، حيث أثبت الاستقراء أن الأحكام كلها في الشريعة الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية ، فما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسنة إلا أثبت المصلحة ، حتى أن بعض الباحثين المحققين من كتاب الفقه يقرون أن الأحكام التكليفية في الشريعة ترتبط بالمصلحة ارتباطاً وثيقاً ، ومراتب التكليف تختلف باختلاف ما فيها من مصالح ، فالأمر المطلوب طلباً حتمياً يكون كذلك لتيقن المصلحة فيه . ويختلف اللزوم الحتمى باختلاف قوتها فيه، وما لا تكون فيه المصلحة مؤكدة يكون محرماً ، ويختلف التحريم قوة وضعفاً باختلاف قوة الضرر، فما يكون أقوى ضرراً يكون أشد تحريماً ، وما لا يكون فيه الضرر مؤكداً يكون من غير الحكم بالتحريم مكروهاً ، وما لا يثبت رجحان

---

(١) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة (القاهرة ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٩٧٢) ص ٢٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

مناع خليل القطان : وحرب تطبيق الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ذكره ، ص ١٩٨.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠٦ .

الضرر على النفع فيه يكون المكلف مخيراً ، وأن كل حكم تصدى القرآن لبيانه أو السنة لتوضيحه يكون مشتملاً على مصالح العباد ، وإن خفيت على بعض الناس فإن ذلك لا يمنع وجودها ، فخفاء الأمر لا يستلزم عدم وجوده(١) .

**خامساً** : أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق ، وإن الرسول - ﷺ - كان المثل الأعلى في القول والعمل للرعاية الاجتماعية ورد الحقوق ، وكان الخلفاء الراشدين من بعده مثلا للقدوة الحسنة وحماية حقوق الإنسان(٢) .

**سادساً** : اتسام الشريعة الإسلامية بخصائص تؤكد صلاحيتها لصوغ سياسة اجتماعية متكاملة، ولعل من أهم تلك الخصائص والمزايا (الربانية ، العالمية ، الشمول ، العطاء والتجدد والعدل المطلق ) . فالإسلام ليس مجرد دين عبادة فقط ، وإنما هو دولة منظمة تقوم على أساس سليم يراعى وجه الله سبحانه وتعالى وصالح البشرية والإنسانية(٣).

## المبحث الثاني : مفهوم السياسة الاجتماعية وخصائصها في ضوء المنظور الإسلامي :

لقد تناول علماء كثيرون وضع تعريف للسياسة الاجتماعية ومن هذه المحاولات :

**التعريف الأول** : هي عبارة عن أفكار أو مفاهيم تعتبر كموجهات للعمل على حل مشكلات المجتمع(٤) .

**التعريف الثاني** : هي تحديد وتنظيم المنهج الذى ترتضيه الدولة لتوجيه العمل الاجتماعي بها في شتى المجالات والهيئات وفق الأهداف التى تسعى إليها تحقيقاً لآمال شعبها في مستوى أفضل للحياة(٥).

---

(١) محمد صالح عثمان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤، ص ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٢) عبد الله محمد سعيد : النفقة في الشريعة الإسلامية (القاهرة ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٦ ، ص ٢٥٥).

(٣) عبد الله ناصح علوان : حتى يعلم الشباب (القاهرة ، دار السلام للطباعة ١٩٨٣ ، ص ص ٤٥ -٧٥ ).

(4) Martin Rein : From policy to practice, the Macmillan press, LTD, 1983, p 210.

(٥) يحيى حسن درويش وآخرون : التخطيط الاجتماعي (القاهرة ، مطبعة عادل ١٩٨٧ ، ص ص ٣٨٥ - ٢٨٦) .

**التعريف الثالث :** هى الخطة القائمة في المجتمع ، أى في سلوكيات وأفعال صادرة عن الحكومة وهى إما أن تكون نظاماً مستقلاً أو مرتبطاً بالأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع(١) .

**التعريف الرابع :** أنها ميدان للعمل الاجتماعى وحل المشكلات التى تواجه المجتمع(٢) .

وبمناقشة التعاريف في ضوء الإطار العام للتصور الإسلامي الصحيح حول الإنسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسنة(٣).

**يلاحظ ما يلى :**

**أولاً :** أن التعريف الأول أوضح أن السياسة الاجتماعية أفكار أو مفاهيم ، وهذه الأفكار أو المفاهيم لابد بداية أن تنبثق عن السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع المستهدف بهذه السياسة . وحيث أن الدين الإسلامي يشكل عصب النسيج الثقافي للمجتمع المسلم حيث أنه لايتصور نجاح سياسة اجتماعية في هذا المجتمع ما لم تكن سياسة اجتماعية إسلامية، وكون هذه الأفكار أو المفاهيم تعتبر موجهات للعمل على حل مشكلات المجتمع فإن هذا التوجيه لن يتأتى إلا إذا كانت هذه الأفكار أو المفاهيم تعبر تعبيراً صحيحاً عن النسق القيمي الموجه للسلوك الاجتماعي في المجتمع.

وهذا التعريف يخلص إلى الحديث عن السياسة الاجتماعية بشكل محايد ، وإن كان لاينفي أن يكون لكل مجتمع تصوره لهذه الأفكار أو المفاهيم وفقاً لطبيعته وبنائه الاجتماعي والثقافي والحضاري الذى يميزه عن غيره من المجتمعات .

**ثانياً :** أن التعريف الثاني أوضح أن السياسة الاجتماعية عبارة عن :

أ - منهج ترتضيه الدولة .

ب - هذا المنهج يوجه العمل الاجتماعي .

ج - يتم ذلك وفق أهداف الدولة .

---

(1) Alfred J. Kalın : Theory and practice of social planning (New york , Russellsagen Foundation ,1969 , p 13 .

(2 Martin Rein ; Social policy Issuses of choice and change (Random House , New York , 1970 , p. 8 .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩١) ص١٣-٣٧ .

د – تحقيقاً لآمال الشعب في مستوى أفضل للحياة .

وإذا نظرنا إلى هذه الجوانب الأربعة في التعريف لاتضح لنا ما يلى :

• أن المنهج الذى ترتضيه الدولة في مجتمع مسلم ينبغى أن ينبنى على أساس تعاليم الإسلام الذى ارتضاه الله تعالى لنا ديناً .

قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾[2].

وفي موضع آخر : ﴿وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[3].

مع ما يتميز به الإسلام من كونه نظاماً شاملاً للحياة ، فالدولة في المجتمع المسلم ملزمة شرعاً ألا تتبنى أية مناهج تتعارض مع الإسلام بتعاليمه وقيمه وشرائعه وأحكامه ، وقد أثبتت التجربة بمالا يدع مجالاً للشك فشل كل المناهج الوافدة التى اعتمدت عليها العديد من المجتمعات الإسلامية لمواجهة مشكلاتها .

مادام هذا المنهج يستهدف توجيه العمل الاجتماعي على أساس ما تشير إليه كلمة اجتماعي من مضامين ثقافية وحضارية فإن ذلك يستوجب على الأقل توافق هذا المنهج مع السياق الاجتماعى والثقافي للمجتمع .

وأن أهداف الدولة في المجتمع المسلم هي أهداف شرعية أو ينبغى أن تكون كذلك .

وأن آمال الشعب في مستوى أفضل للحياة يحكمها بالضرورة النسق القيمي الموجه للسلوك الاجتماعي العام .

وتأسيساً على ما سبق فإن السياسة الاجتماعية في المجتمع المسلم ينبغى أن تكون ترجمة صادقة لآمال الشعب وأهداف الدولة ومتطلبات العمل الاجتماعي ، التى يفترض أن تكون ترجمة صادقة لآمال الشعب وأهداف الدولة ومتطلبات العمل الاجتماعي التى يفترض أن تكون غير متعارضة بل نابعة من التوجيه الإسلامي للمجتمع بأفراده وجماعاته ومؤسساته ونظمه الاجتماعية.

**ثالثاً :** يلاحظ أن أغلب تلك المفاهيم في حقيقة الأمر معتقدات نبتت في المجتمع الأوروبى وهى وافدة على المجتمعات الإسلامية ، لأنها تشكلت في تلك المجتمعات الغربية

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٣ .

وفق مصالحها وغاياتها بما تحمله من تناقضات مع ما يدعو إليه الإسلام باعتباره بديلا عن كل الأيديولوجيات لأنه أشمل وأعم منها.

رابعاً : أن أغلب تلك المفاهيم قد ضلت سبيلها حتى تصورت أن الإنسان مادة فحسب ، فقامت على أساس إشباع البعد الواحد ، وهو بعد المادة متناسية أن الإنسان أيضا روح ، فأغفلت البعد الروحى مما أفقد الإنسان توازنه(١).

قال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾(٢).

وقال سبحانه : ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾(٣).

وبذا فإن تلك السياسات قد استهدفت مجرد تغيير الظروف المادية المحيطة بالإنسان وأهملت تهذيب العقيدة وإصلاح النفس .

قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(٤).

خامساً : أن تلك السياسات انطلقت من منطلقات علمانية وتجزيئية بدلاً من النظم والترتيبات المرتبطة بالمجتمعات الإسلامية ، مما أدى إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلى(٥):

١- تبنت معظم الدول الإسلامية مفهوم الرعاية الاجتماعية القائم على فكرة الحقوق الموحدة وغير الشخصية للمواطنين المتساوين فى درجة حاجتهم والتى تقدم بطريقة غير شخصية لمن يحتاجونه كحقوق مفروضة مدنياً ، وذلك بدلاً من مفهوم التكافل الاجتماعي العضوى القائم على أساس فكرة الأخوة في الله والتراحم بين المسلمين وما يترتب عليها من ارتباط شخصي وثيق، والذى تنطلق الحقوق فيه مما فرضه الله سبحانه - الذى يعلم ما فيه الخير لخلقه - وعلى الوجه الذى شرعه .

٢- تولت الحكومات الوطنية المسئولية الأساسية عن بعض البرامج العامة كالضمان الاجتماعي - التي يتم الإنفاق عليها من حصيلة الضرائب العامة - دون أخذ الواجبات

---

(١) رفعت السيد العوضي : فى الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات - التوزيع ) كتاب الأمة . قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية شعبان ١٤١٠ هـ ، ص ٤٤-٤٦ .

(٢) سورة الحشر : الآية ١٩ .

(٣) سورة طه : الآية ١٢٣ .

(٤) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٥) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجماعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢) ص ص٧-٨ .

الدينية كفريضة الزكاة فى الاعتبار ، وقد قصرت موارد معظم الـدول دون الإنفـاق الكـافى على تلك البرامج حتى أصبحت شكلاً خارجياً لا مضموناً حقيقياً له ، من جهة عدم القدرة على تقديم الحد الأدنى اللازم للمعيشة وفقاً لما هو مفروض نظرياً .

٣- تضاؤل الدور الذى تقوم به الترتيبات والنظم المحلية التقليدية التى كانت تتحمل في الماضى المسئوليات المتكافئة مع وظائف الرعاية الاجتماعية بالمفهوم الحديـث ، وخصوصـا شبكة الدعم الاجتماعي غير الرسمي المتمثلة في الدعـم الأسرى وعلاقـات الجوار والأوقـاف الخيرية نتيجة لشعور المواطنين بأن الدولة قد التزمت بالقيام بتلك الالتزامات بدلاً من الأفـراد المنظمة فاستشرت السلبية بـين المسلمين إلى حـد يصـل إلى التبلد وعـدم الإحسـاس بحاجـة الآخرين في بعض الأحوال .

٤- تضاؤل دور الجهود التطوعية المنظمة ، وضعف المبادرة الذاتية للمواطنين نتيجة لتضييق بعض الحكومات (خصوصاً في فترات ما يسمى بالتحول الاشتراكى) على المجتمعات الأهلية وإحاطتها بالشكوك بسبب التخوف الذى تشعر به تلك الحكومـات نحـو أى تعـاون أصيل فيما بين المواطنين للصالح العام ، لئـلا يـؤدى ذلـك في المـدى البعيـد إلى تقويـة شـعور المواطنين بكيانهم وقوتهم مما يقلق بعض النظم الحاكمة .

٥- تم نشر العديد من المؤسسات التى تقدم الخدمات اللازمـة لبعـض فئـات المجتمـع المحتاجة للرعاية كالأطفال والمعوقين والمسنين على نفس الأسس التي تقـوم بهـا في المجتمعـات غير الإسلامية، حيث يتم التركيز على إشباع الحاجات المادية أساساً ، والنفسية والاجتماعية بشكل أقل ، أما الحاجات الروحية فلا تكـاد تدخـل في الاعتبـار أصـلاً إلا في أضيـق نطـاق وكقطاع مستقل عن بقية جوانب الرعاية الأخرى ، بدلاً من أن تكون محوراً لجميع ما يقـدم من خدمات وما يبذل من جهود ، مما أفقد تلك المؤسسات قدراً كبيراً من فاعليتها .

وفي ضوء ما وجه للمفاهيم السابقة يمكن التوصل إلى تعريف يخدم موضـوع هـذا البحث للسياسة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي هو :

السياسة الاجتماعية هى القرارات الصادرة علـى أسـاس مـن الشـورى والتعـاون بـين القيادات الشعبية والمهنية في المجتمع المسـلم الـذى ينتهـج تطبيـق الشـريعة الإسـلامية لتحديـد وتنظيم وتوجيه مسارات الرعاية الاجتماعية في شتى المجالات والبيئات بأفضل الطرق الممكنة وفق الأهداف التى تسعى إليها الدولة في إطار التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية تحقيقـا لآمال شعبها في مستوى أفضل للحياة في الدنيا والآخرة .

وفى ضوء هذا التعريف يمكن القول : أن السياسة الاجتماعية ترتكز على دعائم تحدد ماهى السياسة من منظور إسلامى وهى :

**أولاً** : أن الإسلام دين ودولة ولا مجال لفصل أحدهما عن الآخر ، وهكذا جاء الإسلام غير مقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية ، وإنما جاء شريعة وتنظيماً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً للمجتمع ، وذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها وشريعة تنظمها كما لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق إذا لم يطمئن المرء في حياته المعيشية ، فالعقيدة والشريعة في الإسلام يكمل كل منهما الآخر .

**ثانياً** : أن هذا الدين وهذه الدولة الإسلامية لها دستور مستمد من القرآن والسنة يرسم المنهج الذى يجب أن تلتزم به السياسة الاجتماعية في الدولة الإسلامية .

قال تعالى : ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون**﴾(١).

وقال سبحانه : ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**﴾(٢).

ويقول جل شأنه : ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**﴾(٣).

وقال سبحانه : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾(٥).

وفى الحديث عن ابن مسعود قال : "خط رسول الله -ﷺ- خطاً بيده ، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ، ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ، (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)(٦).

**ثالثاً** : هذا المنهج الإسلامي يمثل أرقى النظم والنظريات التى تميز السياسة الاجتماعية، وهذه المميزات التى تتميز بها السياسة الاجتماعية من منظور إسلامي هى السبيل أمام الدول الإسلامية لتحقيق أهدافها في إطار من التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية ، وتحقيق آمال شعوبها في مستوى أفضل للحياة في الدنيا والآخرة .

وأهم تلك السمات والمميزات التى تتميز بها السياسة الاجتماعية :

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٦) أخرجه أحمد والنسائى والحاكم وصححه .

١- سياسة يتم التوصل إليها على أساس من الشورى والتعاون في الإسلام .
٢- توضع وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق أهداف المجتمع المسلم .
٣- سياسة متكاملة متوازنة تتخذ من إشباع الاحتياجات الروحية محوراً لجميع ما يقدم من خدمات لإشباع الاحتياجات المادية وغير المادية على السواء .
٤- تهتم بالبعد العقائدى باعتباره أساساً يؤثر على كل الأبعاد الأخرى للسياسة .
٥- تحقق العدالة بين الناس وتؤكد مبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع المسلم .
٦- تحدد تلك السياسة منارات الرعاية الاجتماعية وتوجهها في شتى المجالات والبيئات آخذة في الاعتبار مقاصد الشريعة مفهوماً أساسياً تنطلق منه لتحقيق أهدافها .

وسيتم شرح تلك الخصائص تباعاً عند الحديث عن أهداف السياسة والكيفية التى تنفذ بها والمستهدفين منها ودور الخدمة الاجتماعية في ذلك آنفاً .

## المبحث الثالث : الأهداف التى ترمى السياسة المقترحة إلى تحقيقها :

ويقصد بأهداف السياسة محصلة النتائج التى تسعى السياسة إلى تحقيقها من خلال نشاطاتها المختلفة ، وتعنى التغيير المقصود أو المطلوب نتيجة تنفيذ السياسة .

ويمكن أن نحدد الأهداف التى تسعى السياسة المقترحة إلى تحقيقها فيما يأتى :

**الهدف الأول** : المشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه وتحقيق مصالحه بحيث يصبح هو الغاية والوسيلة بهدف المشاركة الإيجابية في شئون مجتمعه : الإنسان في منهج الإسلام هو خلق الله سبحانه وتعالى والذى أعلن مولده بنفسه ، قال تعالى : **﴿إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾**(١).

وقلده أمر الخلافة في الأرض .

قال تعالى : **﴿إنى جاعل في الأرض خليفة﴾**(٢).

وأسجد له ملائكته الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

قال سبحانه : **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**(٣).

وعلمه وأدبه .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٣) سورة الحجر : الآية ١٩ .

قال تعالى : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾(١).

وهداه إلى الطريق المستقيم ووضح له طريق الخير والشر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾(٢).

ومنحه حرية الاختيار .

قال تعالى : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾(٣).

وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى .

قال تعالى : ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾(٤).

وزوده بالإدراك ووسائله ...

قال تعالى : ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾(٥).

وأنزل له منهجاً للتربية والتوجيه ، يتناول الإنسان من تاريخ ولادته ويتبعه طفلاً و. ـعاً وشاباً وكهلاً حتى آخر حياته(٦) .

وتهدف عملية بناء الإنسان والارتقاء بمستواه وتهذيبه ضماناً للمجتمع الصالح ، كما أنها تبدأ في الدنيا تحقيقاً لصالحه في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة ، وأهم هذه الأهداف(٧):

١ - الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان المسلم بخالقه ، وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق .

قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٨).

---

(١) سورة الرحمن : الآيات ١-٤ .

(٢) سورة البلد : الآية ١٠ .

(٣) سورة المدثر : الآية ٣٨ .

(٤) سورة الشمس : الآيتان ٧-٨ .

(٥) سورة الملك : الآية ٢٣ .

(٦) عبد الرحمن عميرة : التربية الإسلامية وأثرها في المجتمع (مؤتمر الفقه الإسلامي ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٨٤ ، ص٢٧٥ .

(٧) نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الإسلامي ونظمه (السعودية ، دار الشروق جده) ١٩٨٢، ص١١٧ -١١٩) .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

وقال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1].

٢- تطوير سلوكه : بناء أو تغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوكيات والاتجاهات الإسلامية .

قال تعالى : ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾[2].

٣- إعداده لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا :

قال تعالى : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[3].

وقال تعالى : ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾[4].

وهذا هو ما يطلق عليه الإعداد المهني للحياة .

٤- إعداده لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض.

قال تعالى : ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[6].

٥- غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشئ ، مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر.

قال تعالى : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[7].

والإخلاص وإحضار النية .

قال تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيم﴾[8].

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأعلى : الآيات ١٤-١٧ .

(٣) سورة الملك : الآية ١٥ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٨٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٧) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

(٨) سورة البينة : الآية ٥ .

والصبر ..

قال تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾(١).

والصدق ..

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(٢).

ومراقبة الله ..

قال تعالى : ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾(٣).

والتقوى ..

قال تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾(٤).

إلى آخر هذه القيم كالتوكل على الله والاستقامة والمبادرة إلى الخيرات ... إلخ .

وتستهدف هذه السياسة الاجتماعية كجزء من التشريع الإسلامي أهدافاً منها رفع الحرج، ورفع المشقة ، وتحقيق مصالح الناس جميعاً (٥)، كما أن الأحكام كلها في الشريعة الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية ، فكل حكم تصدى القرآن لبيانه أو السنة لتوضيحه يشتمل على مصالح العباد ، والمصالح التى يقررها الإسلام أساساً للتشريع والتى تشتمل عليها الشريعة في نصوصها وفي كلياتها ترجع إلى المحافظة على خمسة أمور تعتبر في نظر الإسلام حقاً من الحقوق الإنسانية التى يتوجب على الدولة ضمانها وهى(٦):

أ- المحافظة على النفس .

ب - المحافظة على الدين .

ج- المحافظة على النسل .

د- المحافظة على العقل .

هـ- المحافظة على المال .

والمشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم وتحقيق مصالحه تنطلق من قيمة احترام كرامة الإنسان والحفاظ عليها .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٥) محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه (الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٧٨ ، ص٣١٢) .

(٦) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام (بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص٦٢) .

قال تعالى : ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾(١).

وهذه المشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه تحمله على أن يعرف مكانته في هذا الوجود التى بوأها الله إياها ، ووظيفته التى كلفه بها ويقتضى منه ذلك أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصلية وفطرته الطيبة النقية فلا يهبط ولا يسف ولا يتقاصر عن السمو والارتقاء بل ينطلق في رحاب الجد والعلم والإنتاج دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء ، فالإنسان طبقاً للتصور الإسلامي للكون والحياة يقوم على حقيقة أن كل شيء يخضع لله عز وجل وتبعا لأوامر ه .

**الهدف الثاني** : إشباع أقصى قدر من الحاجات الأساسية وضمان حد الكفاية لكل فرد من منظور المصالح المقصودة في التشريع الإسلامي :

إن تكاليف الشريعة التى ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ثلاثة أقسام :

أحدها أن تكون ضرورية ، والثاني أن تكون حاجية ، والثالث أن تكون تحسينية(٢).

وأول هذه المقاصد وهو الضروريات : فهى التى لابد منها لصالح الناس فإذا أهملت عم الفساد، وانتشرت الفوضى ، واختل نظام الحياة ، وهى خمس : حفظ الدين ، حفظ النفس ، حفظ العقل ، حفظ النسل ، حفظ المال .

وتكون التكاليف التى يحفظ بها كل نوع من الضروريات الخمس من الجزئيات أى التكاليف العلمية أو الاقتصادية التى تعود إلى أى مقصد من المقاصد العامة – وتكون سلباً أو إيجاباً ، أما الإيجاب فبالأوامر التى تدعو إلى القيام بالفعل ، وأما السلب فبالنواهى التى تدعو إلى ترك الفعل . فمن الأوامر التى تدعو لحفظ الدين مثلاً – الإيمان بالله وبعناصر العقيدة الإسلامية وفرض العبادات أو إيجاب قتال المرتدين ، ومن النواهى ، النهى عن المنكر وتحريم الشرك وعقوبة من يبتدع في الدين ماليس منه أو يحرف أحكامه في مواضعها .

**الهدف الثالث** : تحقيق التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية على المواطنين على أساس من العدالة في توزيع الحقوق والواجبات وإذا كانت سمة الإسلام في التوزيع هى العدالة، لقوله تعالى : ﴿**اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾(٣).

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢) محمد الحبيب الخوجة : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (مؤتمر الفقه الإسلامي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص١٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨ .

فإن أبرز صور ذلك هو حفظ التوازن بين الأفراد على مستوى الوطن الواحد ، فالإسلام إذاً يحث ويدعو إلى الثروة والغنى إلا أن ذلك مشروط بألا يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس ، وبعبارة أخرى ألا يكون هناك تفاوت شديد في توزيع الثروات تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد ، وللإسلام وسائله في ضبط التفاوت وحفظ التوازن منها :

١- عدم السماح بالثروة والغنى إلا بعد ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد .

٢- عدم السماح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع .

٣- إعادة التوزيع عند افتقاد التوازن .

وهو ما فعله الرسول -ﷺ- عند هجرته إلى المدينة إذ ظهر اختلال في المراكز الاقتصادية بين المهاجرين والأنصار بعد أن ترك المهاجرون أموالهم بمكة بينما كان الأنصار مستقرين بالمدينة وأساس ثروتهم هو الزراعة ولبعضهم أراضى واسعة استخدموا فيها المهاجرين كأجراء . وهو ما لايحقق التوازن الاقتصادي ، ومن ثم حرم الرسول عليه السلام تأجير الأراضى الزراعية بقوله : "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يؤجرها إياه" ، أخرجه أبو داود .. حتى إذا ما استقرت الأمور للمهاجرين وتحسنت أحوالهم المادية أجاز الرسول عليه السلام تأجير الأراضي الزراعية .

كما أنه فى أواخر أيام سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حين بدأت تظهر طبقة من كبار الأثرياء ولم يمتد به الأجل ليواجهها بما عرف عنه من حسم ، نقل عنه كلمته المشهورة"لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء".

وقوله "والله لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم" .

ولكن القدر لم يمهله[1].

ولتحقيق التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية فإن الإسلام لا يقبل أن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى أو أن تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات .

وينبغى أن يتم تحقيق ذلك التوازن بشكل متناسب مع جهود المواطنين ودورهم في مواجهة مشكلات التخلف ، ونفس الأمر بالنسبة لعدالة توزيع الحقوق والواجبات ، ذلك أن الشعور بالعدالة متغير أساسى في تحقيق الانتماء والولاء الطوعى والمخلص للمجتمع[2] . وأن يكون التفاضل على أساس العمل الصالح وتقوى الله .

---

(١) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الإقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر) ، ١٩٨٧ ، ص١٥٥-١٥٨.

(٢) نبيل السمالوطى : علم الاجتماع ودراسة مشكلات المجتمع المصرى (القاهرة ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر) ١٩٨٦ ص ص٢٦-٢٧ .

وتحقيق المساواة والتوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية على المواطنين منطلق من قيمة المساواة، وغاية الشريعة الإسلامية من تقريرها لمبدأ المساواة ، السمو بالمجتمع الإنساني والارتقاء بنظمه ومثله عن طريق بنائه على أسس قوية وقواعد هادفة[1] . فقد قرر الإسلام المساواة بين الناس وقضى في الحقوق والواجبات على الفوارق بين بنى الإنسان وأعلنهم في صراحة لاتعرف المواربة أنهم جميعاً من نفس واحدة .

قال تعالى : ﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**﴾[2]

عن حذيفة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان)).

ويتوخى فى تحقيق ذلك التوازن فى توزيع أعباء التخلف التنمية والعدل ، ذلك أن الإسلام ينظر إلى العدل على أنه مبدأ تأسيس قبل أن يكون فضيلة خلقية ولذلك جعله أساساً لنظام الخليقة كلها .

قال تعالى : ﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان**﴾[3] .

ذلك أن العدل هو الأصل الذى بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب .

يقول سبحانه : ﴿**ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[4] .

فالعدل فى الإسلام هو إعطاء كل ذى حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين وبدون نظر إلى الأمور العارضة على الطبيعة الإنسانية كالحسب أو النسب أو المال أو القوة أو الضعف أو العداوة أو الموالاة ، فما دام الإنسان أخا الإنسان فإن ميزان القسطاس المستقيم حتمية مؤكدة بين المسلم وأخيه ، ويتخذ العدل من المساواة أساساً

---

(١) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة في الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) رواه أحمد .

(٤) سورة الرحمن : الآيات من ٧-٩ .

لوجوده وركيزة لمظاهره ، فالمساواة تجعل من العدل حقيقة ثابتة وقضية راسخة ومؤكدة فى داخل النفس البشرية وخارجها وفيما بين الأفراد من علاقات والجماعات من صلات ، وعلى هذا فإن اختل قانون المساواة ومال ميزانها لحق الاضطراب بالمجتمع وتفشى الظلم والفساد ، فالعدل المطلق فى الإسلام ناشئ عن المساواة الكاملة فى الحقوق وبين جميع الناس(1) .

قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾(2) .

وقال تعالى :﴿**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾ .

وفى الحديث : عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :((ما من أمير إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لايفكه إلا العدل))(3) .

وفى ظل ذلك يتحقق للإنسان(4) :

أ- الاطمئنان النفسى والثقة فلا عدوان على مال أو نفس أو عرض .

ب - الانحراف عن الجرائم مادامت حقوق كل إنسان مكفولة له وتصل إليه كاملة فليس هناك مايدفعه إلى الانحراف .

ج - الحصول على ثمرات العمل والجد ، وهذا مايدعو إلى إتقان الأعمال ويثير التنافس فيكثر الإنتاج ويجود ويمتد إلى جميع المجالات .

د - وضع الإنسان المناسب ويترتب على ذلك أن تفتح الأبواب أمام الابتكار والاختراع الجديد الذى ييسر الحياة ويغرس على جوانبها الخير .

وبذا تكون السياسة الاجتماعية سبيلاً لتحقيق التوازن بين المواطنين على أساس من العدالة فى الإسلام .

---

(1) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

(2) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة فى الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص ص ١٨-٣٢ .

(3) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(4) رواه أحمد: محمد نجيب توفيق :أضواء على الرعاية الاجتماعية فى الإسلام (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٤)، ص ص٩٣-٩٤ .

**الهدف الرابع : تقوية الروابط بين المواطنين وتدعيم العلاقات بينهم على أساس الإخاء والتعاون فى الإسلام :**

حيث تهدف السياسة الاجتماعية المقترحة إلى تقوية الروابط بين المواطنين وتدعيم العلاقات ، وإحياء روح الحب بين الأفراد والجماعات حتى تتصافى النفوس وتتآلف القلوب، ذلك أن الشريعة الإسلامية قد نبذت العنصرية والإقليمية والجنسية كرباط يجمع بين الناس لأن فى ذلك تحديداً وتطبيقاً ، ولكنها وحدت بين الجميع عن طريق عقيدتها السامية التى يدين بها الكل عن إيمان واقتناع ، وتجسدت هذه الروابط فى صورة الأخوة الدينية كعقيدة تذوب فيها الفواصل الطبقية .

يقول تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾(1) .

فالإخاء فى نظر الإسلام أمر طبيعى يربط بين جميع المسلمين ويتحقق تلقائياً بمجرد الإيمان بعقيدة الإسلام ، كما أنه واحد من الأمور الأساسية العملية التى يتبنى عليها نظام الجماعة الإسلامية ، لأنه الإطار القوى الذى يجعل من المسلمين أسرة واحدة يفرح فيها المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويهرع إليه إذا ألم به مكروه ، فيمد له يد العون ويقدم له المساعدة ، كما يحفظه فى ماله وعرضه غائباً وحاضراً ، ولذلك امتن الله على نبيه وعلى المؤمنين بالإخاء كنعمة كبيرة(2) .

قال تعالى :﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾(3) .

وقال سبحانه :﴿**هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إن الله عزيز حكيم**﴾(4) .

وعن طبيعة العلاقات بين الأفراد بالإضافة إلى الأخوة يدعو الإسلام إلى التعاون بين الأفراد واضعاً فى اعتباره أن للفرد فى ذاته مصلحة خاصة فى أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وأن للمجتمع مصلحة عليا لابد وأن تنتهى عندها حرية الأفراد والجماعات ولذا يدعو الإسلام إلى التعاون بين الفرد وغيره وفى ذلك يقول تعالى :

---

(1) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(2) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة فى الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص ص ٢٢-٢٣ .

(3) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(4) سورة الأنفال : الآيتان ٦٢-٦٣ .

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾(١) .

وفى الحديث :

عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ - : ((مامن عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم (فضجر) فقد عرض تلك النعمة للزوال))(٢) .

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- عن النبى - ﷺ - قال : ((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(٣) .

ولما كان التعاون أساس لتقوية الروابط بين المواطنين بما يؤدى إلى تماسك المجتمع المسلم فإنه لابد أن يشمل جميع الميادين ، وأن يكون فى كل شكل من أشكال الحياة شريطة ألايتعارض مع أوامر الله ونواهيه ، وألا يكون فى المنكر والإثم وسواء شمل الجمعيات التعاونية والمشاريع الزراعية والتجارية والشركات من التعاون المادى ، أو شمل ضم الجهود على تربية الأفراد وإعانة البشر من التعاون المعنوى وأن تكون الوسيلة لتحقيق أهدافه خاضعة لأوامر الله وأحكامه(٤).

**الهدف الخامس : المشاركة فى تجديد وتطوير ودعم النظم الاجتماعية القائمة لزيادة كفاءتها بالنسبة لجهود إحداث التغيير المطلوب :**

وتنطلق مسئولية المشاركة فى زيادة كفاءة النظم الاجتماعية القائمة من قيمة المسئولية المشتركة من خلال الجهود الحكومية والأهلية والوحدة بين سكان المجتمع وتعاونهم ، ولقد قرر الإسلام المسئولية وألزم بها المجتمع والأفراد باعتبارها ناشئة من عقيدته وإيمانه وجعلها مرتبطة بالمجتمع .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٣) رواه مسلم وأحمد .

(٤) عبد العزيز الخياط : المجتمع للتكامل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى الأردن ، ١٩٨١ ص ص ٢٩٣-٢٩٥) .

والإسلام يحمل أفراد المجتمع مسئولية المشاركة في إحداث التغيير ، وتطوير ودعم النظم لزيادة كفاءتها ولايعفيه من هذه المسئولية أن يكون منعزلاً أو منطوياً على نفسه(١) .

قال تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾(٢) .

ولايجوز مطلقاً أن يهمل الترابط الاجتماعي في المسئولية .

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾(٣) .

وفي تحمل تلك المسئولية يقول الرسول – ﷺ – : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، والولد راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»(٤) .

هذه المسئولية ليست أمام الجماعة فحسب أو أمام القانون وكفى ، بل هي مسئولية تمتد لتحيط بالإنسان في ظاهره وباطنه ، في سره وعلنه ، لأنها أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية(٥) .

وهذه المشاركة تنطلق من قيم أساسية تتضمن :

أ – أن الإسلام لايتعارض مع حرية الفكر بل دعا إليها بشرط أن يتناول ذلك الأمور التي لم يتناولها الشرع بنهي أو ترك .

قال تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾(٦) .

وقال تعالى في الحث على التفكير والثناء عليه :

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾(٧) .

---

(١) عبد العزيز الخياط: المجتمع المتكامل في الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١) ص ص ٢٦٣-٣١٤ .

(٢) سورة الحجر : الآيتان ٩٢-٩٣ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ١٠٥ .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) عبد رب النبي أبو السعود : التخطيط للدعوة الإسلامية (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٣) ، ص ٢٠٨ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٢٠ .

(٧) سورة يونس : الآية ٢٤ .

وقال سبحانه فى إعلاء شأن العقل والدعوة إلى إعماله فى فهم آيات الله وإدراك دلائل الهداية فى الكون والحياة :

﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾(١) .

وفى الحديث : عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»(٢) .

ب - أن الإسلام لايتعارض مع الإعداد للمستقبل والتطور ومحاولة مواجهة المواقف . قال تعالى : ﴿وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾(٣) .

كما يدعو الإسلام إلى الاستفادة من خبرات الآخرين للمشاركة في تطوير ودعم النظم القائمة طبقاً لما كان موجوداً في صدر الإسلام .

قال تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾(٤) .

ويمكن القول بأن الإسلام يقدم لنا النظرة الشاملة للتغيير ومعالجة مشكلات المجتمعات التى هى ثمرة لعوامل متعددة ، ومواجهة التخلف الذي لحق بالنظم القائمة بها، ويضع القيم الضابطة له ، ويبقى على الإنسان أن يسعى ويجتهد لوضع برامج التغيير المطلوب والتى تحقق أهداف السياسة من منظور إسلامى ، ذلك أن هذا التغيير يجب أن يكون منبثقاً من الداخل ، معتمداً على قدرة أفراد المجتمع بصفة عامة والقائمين على وضع وتنفيذ السياسة بصفة خاصة على التغيير الذاتى امتثالا لقوله تعالى :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(٥) .

## المبحث الرابع : المستهدفون من السياسة (استراتيجياً، جغرافياً، فكرياً) :

يلزم أن يكون للسياسة الاجتماعية تأثير مباشر على جميع مجالات الأنشطة الخدمية والإنتاجية ، ويمكن النظر إلى مجال تأثير السياسة طبقاً لما يلي :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

(٥) سورة الرعد : الآية ١١ .

**أولا : استراتيجياً :**

يجب أن تتضمن مجالات العمل(1) .

**١- المجال الوقائى : بالعمل على :**

أ- سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي)

ب- سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية)

**٢- المجال العلاجي : عن طريق :**

أ- الإصلاح الاجتماعي (علاج المشكلات الاجتماعية)

ب- تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية)

ج- إغاثة الملهوفين (نجدة ضحايا الكوارث)

**٣- المجال الإنمائى : عن طريق :**

أ- تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقي).

ب- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) .

**١- المجال الوقائى :**

**أ- سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي) :**

حيث اهتم الإسلام بنظام التكافل فأظهر العلاقات بين كافة الوحدات الإنسانية بصورة فيها التساند الكامل ، فهو يقرر مبدأ التكافل بين الفرد وأسرته وبين الفرد والجماعة وبين الأفراد والجماعات والمجتمع وبين الجيل والأجيال المتعاقبة(2) .

والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس قاصراً على المفهوم المادي فحسب بل هو شامل لجميع نواحي الحياة المادية والمعنوية ، وهو تقرير لمسئولية لوحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾(3).

وقوله : ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾(4).

---

(1) زينب عطية محمد : نحو مكتز إسلامي للخدمة الاجتماعية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، أغسطس ١٩٩١) ، ص ص ٢-٣ .

(2) عبد الهادى الجوهرى : التضامن الإسلامي في مجال التنمية الاجتماعية (جامعة القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨١ ، ص ١٦).

(3) سورة المائدة : الآية ٢ .

(4) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .

وقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾(١) .

ومبدأ التكافل الاجتماعى كما أقره الإسلام يختلف اختلافاً أساسياً عن مثيله في الأنظمة المعاصرة سواء كانت مجتمعات تقوم على أساس النظم الفردية أو تقوم على النظم الجماعية ، فكل تلك المجتمعات قد أفردت نظاماً للتكافل الاجتماعى ، ولكن أهم ما تختلف به عن التكافل الإسلامى الأمور التالية(٢) :

**أولها :** أن التكافل فى الأنظمة الحديثة تكافل لايتناول إلا الحاجات المادية بينما التكافل الإسلامى يتجاوز هذه الصورة المادية إلى صور أرحب وأوسع من التعاون على ضمان الخير والمصلحة الفردية والعامة ، فالتعاون بمعناه الشامل تعاون على الدعوة إلى الخير وإزالة المنكر وحماية الضعفاء وإعطاء الفقراء والمساكين مايكفيهم والإحساس بكل مايصيب الجماعة أو ماتطمح إليه وتعمل له .

**ثانيها :** أن التكافل فى الأنظمة المعاصرة غير الإسلامية لايشمل إلا حلقة واحدة هى دائرة الفرد والجماعة ، بينما يتسع مفهومه فى الإسلام ليشمل كافة الدوائر والحلقات فهناك تكافل بين الفرد وذاته، وبين الفرد وأسرته القريبة وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة .

**ثالثها :** أن النظم المعاصرة إنما قررت مبدأ التكافل بعد مطالبات وضغوط كثيرة تعرضت لها من الأفراد ومن جهات أخرى ، أما الإسلام فإنه يقرر هذا المبدأ دون مطالبة من الناس ودون أن يتعرض لأى نوع من الضغوط .

**رابعها :** أن النظم المعاصرة عندما أقرت هذا المبدأ جعلته مقابل واجب مادى التزم به الفرد كما التزمت به الجماعة والمؤسسات من خلال الضرائب وأقساط التأمين وليس التكافل القائم على مساعدة الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد لأنه يقوم على ما يدفعه الفرد مسبقاً ، أما التكافل الإسلامى فإن المستفيد من المال لايدفع شيئاً ، ولكن الذى يدفع هو المستغنى ، أما الدولة ومؤسساتها فهى واسطة لجمع المال من القادرين وتوزيعه على المستحقين .

**خامسها :** أن النظم المعاصرة تعتمد على التشريع والتشريع وحده لضمان مورد هذه الرعاية ، أما الإسلام فإنه يضيف إلى التشريع إثارة الضمير الإنسانى وتوجيه الوجدان وإحياء الشعور بالواجب ، وهكذا يترك الإسلام المجال رحباً أمام الوجدان الفردى الذى يريد أن

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٢) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٢٥ - ٢٥٤) .

يزيد على مافرض عليه أو التزم به من واجبات ، وهكذا يوجه الإسلام إلى الصدقة والبر ويحبب في الإنفاق طوعاً واحتساباً وانتظاراً لرضا الله وعوضه فى الدنيا ولثوابه فى الآخرة واحتناباً لغضبه وعذابه .

**ب - سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية) :**

يعتبر سد ذرائع الفساد من الإجراءات الوقائية التى يدعو إليها الإسلام فهو يحذر بداية من الفساد واعتبره من الجنايات الاجتماعية وحذر أهله منه فى آيات كثيرة منها :

قوله تعالى :﴿**ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾(1) .

وقال سبحانه :﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾(2) .

ولقد قال - ﷺ - فى سد ذرائع الفساد :((من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا إن حمى الله محارمه)) .

وعلى هذه الطريقة استمد العلماء بعض المبادئ التى ساروا فى التشريع على ضوئها وهى :

مايفضى إلى المحظور فهو المحظور .

مالايتم الواجب إلا به فهو واجب .

ما ضر كثيره حرم قليله .

ولقد شرح العلاّمة ابن القيم الجوزى فى كتابه : "إعلام الموقعين" مبادئ سد ذرائع الفساد وذكر تسعاً وتسعين مثالاً على ذلك مما أمرت به الشريعة أو نهت عنه .

**٢- المجال العلاجى :**

**أ- الإصلاح الاجتماعى (علاج المشكلات الاجتماعية) :**

لايخلو مجتمع من المجتمعات من المشكلات الاجتماعية التى تعبر عن نفسها فى صورة

---

(١) سورة البقرة : الآيات من ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) سورة ص :الآية ٢٨ .

مواقف أو صعوبات أو مشكلات تواجه الأفراد أو الأسر ، وظهور هذه المشكلات يتطلب اتخاذ الإجراءات لمواجهتها وللوقاية منها ، على مستوى المجتمع ككل ، أو إجراءات وممارسات تتخذ لمواجهة آثارها وأغراضها من خلال مساعدة الأفراد والأسر – بطريقة مباشرة– على حل تلك المشكلات ، وتنمية قدرتها على التعامل مع مثلها فى المستقبل(١) .

ومواجهة المشكلات الاجتماعية كبرامج علاجية يجب أن تقوم على إدراك لمسألة وجوب أخذ الجوانب الروحية المتصلة بصلة الإنسان بخالقه فى الاعتبار ، وبوجوب العمل بكل الوسائل على المحافظة على سلامة الفطرة ونقائها من شعور بالأخوة فى الله ، وترتبط فى النهاية بتحقيق رضاء الله سبحانه وتعالى(٢) .

**ب– تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية) :**

من دواعى تكافل المجتمع وتحمل المسئولية نحو أفراده ، أن يؤخذ بيد من أصابته مصيبة فى ماله ونفسه وأن يراعى ذلك الذى ذهبت الجائحة بما لديه ، ولذا حث الإسلام على قضاء حوائج المحتاجين وتفريج كربتهم .

جاء في الحديث الشريف ..

"من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا الآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"(٣) .

ويرتبط تفريج الكرب بعلاج المشكلة الفردية الذى يتضمن من وجهة نظر إسلامية ما يلي:

**أولا : تقدير الموقف أو المشكلة :**

بحيث يتضمن دراسة ما يتصل بالحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) غير المشبعة وتقديرها حق قدرها دون زيادة أو نقصان ووضعها في موضعها الصحيح من

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم) ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٥٢ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم) ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ص ٦٠–٦١ .

(٣) رواه مسلم .

عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل في الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى) الأردن ، ١٩٨١ .

حاجات الإنسان فى الدنيا المتضمنة لأشواقه الروحية ومن حاجاته المتصلة بالحياة الأخرى ، أى ينبغى أن يتضمن ذلك أيضاً تقدير الموقف فيما يتعلق بنوع صلة العميل بربه سواء من النواحى المعرفية المتعلقة بصحة الاعتقاد والسلامة من البدعيات والشركيات أو من النواحى القلبية الوجدانية ، أو من النواحى السلوكية التعبدية بالمعنى الضيق للعبادات وبالمعنى الواسع للعبادة الذى يشمل طاعة الله فيما أمر ونهى في كل جوانب الحياة .

ويتوقع أن تنتهى نتيجة عملية تقدير الموقف بالنسبة للعملاء إلى ظهور واحدة من الحالات الآتية:

النوع الأول : حالة سلامة الاعتقاد ، مع حياة القلب ، وصفاء الفطرة .

النوع الثانى : حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب .

النوع الثالث : حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب .

**ثانياً : تحديد استراتيجيات وأدوات التدخل المهنى :**

١- ففي حالة سلامة الاعتقاد مع حياة الفطرة تتمثل الاستراتيجية المستخدمة في تقديم العون المادي المتصل بالعلاقات الاجتماعية أو غيرها بحسب الحاجة .

٢- أما في حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب ، فإن العلاج يتمثل أساساً في معاونة العميل على أنس النفس (الجبلى) بالماديات لإفساح المجال أمام أنس الروح بالعبادات والطاعات التى تفتح الطريق أمام حسن الصلة با لله سبحانه و تعالى ، ومن هنا يصبح التحكم في النفس والسيطرة عليها لتوجيهها نحو خدمة الإنسان الكلي "بدناً وروحاً" بدلاً من خدمة حاجات البدن وحدها هو المفتاح الوحيد لحل الموقف الإشكالى . ويتطلب التعامل مع هذا النوع من العملاء استخدام استراتيجية متعددة الأوجه تستهدف معاونة العميل على إعادة النظر في حياته واستعادة توازنه من خلال عدة مراحل تتضمن :

أ- إنشاء علاقة "الأخوة في ا لله" بين الاخصائى الاجتماعي والعميل .

ب- مساعدة العميل على الاعتراف بأنه يواجه مشكلة لا يستطيع حلها وحده .

جـ- البدء في إجراءات تقديم العون والمساعدة لإشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية ) التى تتطلبها مواجهة الموقف العاجل الذى يعانى منه العميل على الوجه المعهود في الممارسة المهنية التقليدية .

د- مساعدة العميل -في الوقت ذاته- على إعادة النظر في الطريقة التى يسوس بها حياته حالياً، وإدراك العلاقة بين طريقة حياته وبين الوقوع في المشكلات .

هـ- بدء برنامج التنمية الروحية المتدرجة مع العملاء الذين استجابوا بهدف إزالة

الران الذى أحاط بالقلب واستعادة صفاء الفطرة ونقائها ويستخدم فيه :

العبادات –الطاعات –الذكر والتلاوة .

و– إعادة النظر في المشكلة الأصلية وفي طرق الاستجابة لمواقف الحياة في ضوء جديد.

ز– التدعيم والتثبيت .

٣– في حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب : يتمثل العلاج في العمل على تصحيح العقيدة أولاً حتى ينفتح الباب أمام إمكانية إصلاح القلب . وبعد مرحلة تصحيح العقيدة فإنه يتم السير وفق الاستراتيجيات التى استخدمت بالنسبة للعملاء من النوع الثاني(١) .

**جـ– إغاثة الملهوفين (نجدة ضحايا الكوارث ) :**

من التكافل أن يبادر أفراد المجتمع وجماعاته إلى إغاثة الملهوف وهى مروءة يجب أن يتحلى بها المسلم فيسارع إلى إغاثة أسرة مات عائلها أو يساعد امرأة افتقرت بعد غنى أو إسعاف أناس أصابهم الغرق أو الحرق أو غير ذلك .

• قال عليه الصلاة والسلام : ((على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت إن لم يجد ؟ قال "يعين ذا الحاجة الملهوف))(٢).

• قال عليه الصلاة والسلام : ((إن لله خلقاً خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ألا يعذبهم بالنار ، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب)) .

وبهذا يقرر النبى –ﷺ– ضرورة تكافل المجتمع في إغاثة الملهوف مما يدعو إلى قدرة الأمة وترابطها وتلاحم مشاعرها وتساند أفرادها وجماعاتها(٣).

**٣– المجال الإنمائي :**

**أ– تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقي) .**

جاء الدين الإسلامي داعياً إلى الإعداد والارتقاء الأخلاقي للناس ، حيث إنه هو الذى يجعل من الصفات الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والشجاعة والعفة

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢) ،ص ص ٦٨–٧٨

(٢) رواه مسلم .

(٣) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل في الإسلام (موسسة الرسالة مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١)، ص ص٢٦٣ –٢٦٤).

والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك الإنسان كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيئة كالحسد والحقد والخيانة والكذب والظلم والغدر وغيرها . بل ويتم تجنب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني كالحنق والتكبر والصلف والتهور ، والخوف والجزع وقبول الذل والمهانة والخشونة والغلظة في معاملة الآخرين(١).

ومع التأكيد على دور التربية والظروف البيئية كالأسرة والمدرسة في الارتقاء الأخلاقي وتزكية النفس ، فإن التصور الإسلامي يقوم على أن الإنسان أيضاً مسئول عن المحافظة على نقاء فطرته وسلامة قلبه وتزكية نفسه(٢).

قال تعالى : **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**(٣).

ومن الأهداف التي ينبغي أن نسعى إلى تحقيقها من خلال الارتقاء الأخلاقي وتزكية النفس ما يلي :

١- تكوين مواطن يؤمن بالله تعالى خالق الكون والحياة ومدبر أمرها وحده فلا يعبد أحداً إلا هو ، ولا يتجه أو يلجأ لأحد إلا له ، ولا يطلب رضا أحد إلا رضاه .

٢- تكوين مواطن مؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وبرسل الله وأنبيائه وملائكته وبالقدر خيره وشره .

٣- تكوين مواطن مفعم قلبه بحب الله وحب رسوله وحب دينه ويخشى الله ويخافه، يسعى جاهداً لطلب رضاه ويتمثل أوامره ويتجنب نواهيه ويراقبه في كل شئونه في السر والعلن ويأمل دائماً في رحمته .

٤- تكوين مواطن متحل بالقيم والأخلاق والعواطف الروحية والإنسانية المستمدة من الدين الإسلامي كحب الآخرين والعطف والشفقة عليهم واحترام حقوقهم ومصالحهم ، والإخلاص والأمانة، والوفاء بالعهود والمواثيق ، وتقدير المسئولية نحو ربه ونحو نفسه وأسرته ومجتمعه .

٥- تكوين مواطن يهتم بشئون المسلمين ويود الخير لهم ويخدم مصالحهم ويسعى لإصلاح أحوالهم ويرفع الظلم والضر عنهم .

---

(١) عباس محجوب : مشكلات الشباب – الحلول المطروحة والحل الإسلامي (كتاب الأمة ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية) ،١٤٠٦ هـ ، ص١٤١ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجية الإسلامي للخدمه الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجماعة الأزهر القاهرة ١٩٩٢ ،ص ص ٣٨-٣٩) .

(٣) سورة الشمس : الآيات ٧-١٠ .

٦- تكوين مواطن واع بثقافته الإسلامية وبغاياتها الروحية والإنسانية(١).

ب- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) :

نادى الإسلام بمسئولية الدولة عن تهيئة الحياة الطيبة من خلال توفير الرعاية الاجتماعية بحيث ينبغي ألا تقتصر تلك المسئولية على مجرد النص على الحقوق وتقريرها والنهى عن المساس بها نظرياً ، وإنما مسئولية الدولة في الفكر الإسلامي مسئولية إيجابية ، بمعنى أنها تمتد إلى تهيئة الوسائل لكفالة هذه الحقوق وممارستها عملياً وعقاب من يعتدى عليها(٢).

ومن مظاهر الارتقاء الاجتماعي ما يلى :

١- البعد عن الغيبة والنميمة ، وتحريم الغيبة لا يسع المسلم إلا أن يقاد له .

قال تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾(٣).

عن أبي موسى ، قال : قلت يارسول الله ، أى المسلمين أفضل؟ ...

قال : "من سلم المسلمون من لسانه ويده"(٤).

وقال تعالى : ﴿ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم﴾(٥).

وعن حذيفة ، قال : قال رسول الله -ﷺ- : "لايدخل الجنة نمام"(٦).

٢- عدم قول الزور فهو من الآفات التى تفسد العلاقات الإنسانية والاجتماعية في المجتمع ، ولذلك شدد الإسلام في النهى عنه وقرر في معرض حديثه عن الصيام الذى هو عند الله من أعظم القربات أن صوم قائل الزور مرفوض .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ- "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"(٧).

---

(١) وليد شلاش : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها (بيروت ، مؤسسة الرسالة) ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٨٩-١٩٠ .

(٢) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية في الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ المعهد العالى للخدمة الاجتماعية) ، ١٩٩١ ، ص ٤١ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٤) متفق عليه .

(٥) سورة القلم : الآيتان ١٠-١١ .

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه البخارى .

٣- ومما يحقق الارتقاء الاجتماعي أن تتخذ الشورى منهجاً يتبع في المجتمع ويمتدح وأن يتشاور المواطنون في أمورهم وفقاً لما جاء به الإسلام .

قال تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾(١).

٤- عدم الاعتداء على حقوق الآخرين لأن ذلك يكون سبباً في عدم الارتقاء الاجتماعي في المجتمع .

عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارسي أن رسول الله -ﷺ- قال : "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ . فقال وإن كان قضيباً من أراك"(٢).

ومن أجل وقاية المجتمع من عدوان الناس بعضهم على بعض ، يقرر الإسلام أن المعتدى لا تغنى عنه يوم القيامة صلاته ولا صيامه ولا زكاته وأنه هو المفلس من أبناء المجتمع(٣).

عن أبي هريرة ، أن رسول الله -ﷺ- قال : ((أتدرون من المفلس ؟ ... قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع)) .

فقال : ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة ، بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه وقذف ثم طرح في النار))(٤).

وحتى يساهم الإنسان في تحقيق الارتقاء الاجتماعي للمجتمع من وجهة نظر إسلامية فإن عليه(٥):

أولاً : ألا يكون اهتمامه بالدنيا اهتماماً يصرفه عن القيم الروحية فإن الغاية من الحياة هى تزكية النفس بمعرفة الله ومبادئه وتقوية العلاقات الطيبة بين الناس بالحب والعدل والإخاء .

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) لبيب السعيد : العمل الاجتماعي – مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية (الرياض ، دار عكاظ للطباعة والنشر ١٩٨٠ ، ص ص ٩١-٩٨ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) وليد شلاش : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٧٧ -١٧٨) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾(١).

ثانياً : الاهتمام بأمر المسلمين والعناية بشأنهم والدفاع عنهم والذود عن حياتهم ، والعمل الدائب على ترقية حاضرهم وإعدادهم لمستقبل أعز وأكرم فإن هذا يقتضيه الإيمان وترتضيه الأخوة في الدين .

ثالثاً : ألا يقبل المسلم الذل ولا الضيم على الهوان ولا يستسلم للمكروه ، بل يعتصم بالله ويتقوى بالحق ، ويعتز بالمبادئ العليا التي يدين بها فالعزة ليست إلا ثمرة من ثمرات الإيمان .

قال تعالى : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾(٢).

وقال سبحانه : ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(٣).

وبهذا تتهيأ الحياة الطيبة للمواطنين في المجتمع فيحسنون استثمار أعمارهم ، ويعتدون بعلمهم فيتحقق لهم ولمجتمعهم الخير في الدنيا ويظفرون بنعيم الله في الآخرة .

**ثالثاً : المستهدفون جغرافياً :**

يجب أن تمتد مجالات العمل لكل المواقع التي يعيش فيها الإنسان متضمنة المجال الحضري ، المجال الريفي ، المجال الصحراوي ، المجال الصناعي ، مجال المجتمعات المستحدثة .. إلخ .

**ثالثاً : المستهدفون فئوياً :**

يجب أن تشمل مجالات العمل ما يلي :

**١- الأسرة :**

على اعتبار أنها الخلية الأساسية في بناء المجتمع ، وقد رسم الإسلام سبيل السعادة للأفراد عن طريق الحرص على بناء الأسرة وسلامتها وصفائها(٤).

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

(٤) أحمد الحوفي : تحت راية الإسلام (القاهرة ، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) غير مبين سنة النشر ، ص ص ١٣٧ -١٣٨) .

قال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(١).

ولكى تكتمل المودة في الأسرة أوصى الله سبحانه وتعالى بالو الدين خيراً وقرن الأمر ببرهما بالأمر بعبادته .

قال تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾(٢).

وقال سبحانه : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾(٣).

وحتى تكتمل الصورة الأسرية فقد صور الإسلام الأبناء في الأسرة بأنهم زينة الحياة الدنيا ولكنه أمرنا بحسن تربيتهم ورعايتهم .

قال تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا﴾(٤).

ولقد عُنِي الإسلام بالأسرة وجعلها أساس المجتمع ، ومن أجل ذلك حض على الزواج . عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول "من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء(٥).

ولقد قامت الأسرة في الإسلام على ثلاثة أسس هى: (٦)

**الأساس الأول** : المودة والرحمة بين الزوجين وتبقى الزوجية ما بقيت المودة .

قال تعالى : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾(٧).

**الأساس الثاني** : العدالة وهى حق لكل من الزوجين .

**الأساس الثالث** : التكافل الاجتماعي في داخل الأسرة ، فالفقير العاجز تكون نفقته على الغنى القادر والضعيف يعاونه القوى والغنى إذا مات ورثه قريبه الفقير ...إلخ .

---

(١) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٤٦ .

(٥) رواه البخارى .

(٦) محمد أحمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام (مؤتمر التوجيه الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الحديثة للطباعة) ، ١٩٧١ ، ص ص ٤٤-٤٦ .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

## ٢- الأطفال :

أوجب الإسلام رعاية الأطفال وإحسان تربيتهم وإرضاعهم والإنفاق عليهم وجعل ذلك حقاً لهم على آبائهم وأولياء أمورهم وعلى مجتمعهم .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾(١).

وقال رسول الله -ﷺ- "من حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه"(٢).

وأوجب الله سبحانه وتعالى النفقة للصغار .

قال تعالى : ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾(٣).

وأوجب الإسلام من رعاية الصغير حضانة الأولاد لأنهم عاجزون عن النظر في مصالح أنفسهم وولاية أوليائه عليه في المال والعقود ، وجعل الرجال من الأب وغيره أولياء في ذلك لأنهم أقدر من النساء في تصريف أموال الصبى ، وجعل الحضانة وتربية الولد إلى المرأة لأنها أشفق على الصغير وأحن عليه وأقدر من الرجل على تربيته .

وللحاضن على الصغير ولاية الحفظ والتربية يرعاه ويقوم بما يحتاجه حتى يبلغ حداً يستقل فيه بخدمة نفسه .

وقد بلغت رعاية الإسلام للصغار حد منع الآباء أن ينفقوا أموالهم فى حياتهم فى المباحات بحيث يتركون أولادهم من بعدهم فقراء .

قال عليه السلام لسعد بن أبى وقاص ، وقد أراد أن يوصى بكل ماله للفقراء ويحرم ورثته وكانت بنتا صغيرة : "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"(٤) .

ومن شأن الدولة أن تهتم بالأطفال ، وأن توجد لهم دور الحضانة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، وأن تهيىء لهم وسائل التمتع البرىء من النوادى والمساجد والملاعب وغيرها ، وأن تمكنهم من التثقيف والتعليم والتوجيه لاسيما الدينى منه بتعويدهم الصلاة فى المسجد والتردد عليه وإنشاء مراكز ثقافية ملحقة بالمساجد على أن يتم تحت رعاية متخصصين تتوفر فيهم الأمانة والخلق والدين وسعة الصدر حتى ينشأ الأطفال ، وقد انزرعت فيهم العقيدة

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٤) رواه مسلم .

الطيبة وانغرس فيهم الإيمان القوى وتحلوا بالخلق الطيب وتهيأوا ليكونوا أفراد المجتمع العاملين على تسانده وتكافله وقوته[1].

### ٣- الشباب :

تمثل مرحلة الشباب كمرحلة ممتدة منذ البلوغ حتى النضج سن طلب العلم ثم نشره في المجتمع بعد ذلك ، وهى سن العمل والإنتاج فى فترة النضج فى شتى مناحى الحياة ، وسن الجندية والدفاع عن الوطن ، وسن الزواج وتحمل مسئولية تربية النشء وتنشئته التنشئة الاجتماعية السليمة وهو كمرحلة تقع بين الطفولة والشيخوخة تمثل مرحلة تحمل العبء الكبير فى النهوض بالمجتمع والحفاظ على كيانه[2] .

ويلفت القرآن الكريم أنظار الآباء إلى مهمتهم الأبوية المقدمة فى وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه .

كما نجده يثنى على جماعة من الشباب فى قوله تعالى :

**﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾**[3] .

لماذا ؟ لأنهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا إلى الله فى كهف يعبدونه ويدعونه .

**﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا﴾**[4] .

ونجد القرآن فى موضع آخر يوضح تأديباً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشباب فى موضوع الاستئذان فى دخولهم على الكبار فى أوقات الراحة والخلوة .

قال تعالى : **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾**[5] .

ويبين الرسول -ﷺ- طبيعة مرحلة الشباب وكونها أنسب المراحل صلاحية للتوجيه فى هذا الحديث التربوى القيم ..

---

(١) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى) الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٢) أحمد محمد السنهورى وآخرون : الخدمة الاجتماعية مع النشء والشباب (القاهرة ، دار علاء الدين للطباعة والنشر) . ١٩٩٢ ، ص٣٧ .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٣ .

(٤) سورة الكهف : الآية ١٠ .

(٥) سورة النور : الآية ٥٩ .

"أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة ، لقد بعثنى الله بالحنيفية السمحة فحالفنى الشباب وخالفنى الشيوخ"[1] .

وهذا يقتضى منا أن نتعامل مع الشباب وفق مخططات علمية مدروسة ويحتاج ذلك إلى الحكمة التى أشار إليها القرآن .

قال تعالى : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**﴾[2] .

لذا فإن أنشطة رعاية الشباب يجب أن تركز على التربية الدينية وأن تكون فى برامجها وأساليبها تجسيداً للقيم الإسلامية ، وبذا يمكننا إعداد شباب الغد الذى سوف يمد جميع روافد المجتمع بالقوى البشرية العاملة من خلال المساهمة فى تنشئته تنشئة اجتماعية قويمة وتهيئة الظروف والإمكانات الملائمة لمساعدتهم على النمو المتوازن فى النواحى الخلقية والعقلية والبدنية والصحية والنفسية والاجتماعية وتأصيل القيم والتقاليد الإسلامية وإحياء التراث العربى والإسلامى فى ميادين الرياضة والترويح وتنظيم طاقات الشباب وقدراته الخلاقة وحفزها للمساهمة الإيجابية فى زيادة الإنتاج ورفع مستوى الخدمات فى إطار أهداف المجتمع المسلم[3] .

**٤- المرأة :**

إن دور المرأة فى تنمية المجتمع والنهوض به لا يقل عن دور الرجل بل إن كلاً منهما يدعم دور الآخر ويكمله ، كما أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من النساء كما اصطفى من الرجال[4].

قال تعالى ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض**﴾[5] .

وقال سبحانه وتعالى :﴿**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**﴾[6] .

---

(١) رواه البخارى.

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٣) محمد سلامة غبارى : الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب (الرياض ، عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤) .

(٤) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام (القاهرة ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٩٧٩ ص٢٠٦) .

(٥) سورة آل عمران : الآيتان ٣٣ -٣٤ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٤٢ .

وقد اهتم الإسلام بالمرأة وكرمها مولودة وناشئة ، زوجة ، وأماً ، وأعطاها حرية العمل وحرية التعليم وحق الميراث[1] ، واهتم الإسلام بالمرأة الحامل والمرضع ونوه بالحالات التى تمر بها كل منهما والآلام التى تقاسيها ، وحدود المسئولية فى رعايتها على الزوج ثم على وارثه ثم على المجتمع ، وواضح ذلك فى قوله تعالى فيما تقاسيه الحامل :

قال تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير﴾[2] :

وأوضح الإسلام ضرورة العناية بالمرأة المرضع[3] .

قال تعالى : ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾[4] .

ولقد كرم الإسلام المرأة باعتبارها مخلوقاً آدمياً له قيمته الإنسانية وكرامته .

قال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾[5] .

وكرمها الإسلام وحافظ على كرامتها كزوجة .

قال تعالى : ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[6].

واعترف لها بحق التملك وجعل المهر حقاً من حقوقها وليس لأحد من أقربائها أن يأخذ منه شيئاً إلا بأمرها .

قال تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾[7] .

ثم قرر الإسلام حرية تصرف المرأة فى أموالها .

قال تعالى : ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[8] .

---

(١) محمد نجيب توفيق : أضواء على الرعاية الاجتماعية فى الإسلام (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية) . ١٩٨٤ ، ص ص ٢٦٧ - ٢٧٧ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٣) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى، الأردن ١٩٨١ ، ص ٢٧١) .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٦ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٧) سورة النساء : الآية ٤ .

(٨) سورة النساء : الآية ٣٢ .

## ٥- المسنون :

إن الكبر (التقدم فى السن) قد أصبح ظاهرة عالمية حيث يتزايد أعداد من يصل من المواطنين إلى سنوات العمر المتقدمة .

ولقد راعى الإسلام فى أحكامه وتعاليمه أن توفر للشيوخ كل أنواع التقدير والاحترام والرعاية والعناية .

ولقد أوجب الإسلام رعاية المسنين والاهتمام بهم فى ذلك الشأن .

قال تعالى : **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً﴾**[1] .

وفى الحديث الشريف :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((لا يجزى ولد والدا إلا يجده مملوكاً فيعتقه))[2] .

وفى ضوء ذلك فإن واجب المجتمع أن يوفر الرعاية للمسنين من خلال التوسع فى إنشاء المؤسسات الاجتماعية لرعايتهم ، وأن يلحق بتلك المؤسسات أندية اجتماعية يتردد عليها المسنون، وأن يكون ذلك تحت رعاية متخصصين فى مختلف المجالات الصحية والنفسية والاجتماعية خصوصاً ممن لهم الخبرة فى مجال العمل مع المسنين ، بالإضافة إلى عدم مغالاة تلك المؤسسات فى تحديد قيمة الاشتراكات التى يدفعها المسنون نظير الالتحاق بها بحيث تتنوع وتتعدد خدمات تلك المؤسسات لتشبع احتياجات المسنين المتعددة[3] .

## ٦- اليتيم :

اليتيم هو الصغير الذى لا كاسب له أو هو من مات أبوه وتركه صغيراً ، وهو ضعيف يحتاج إلى رعاية وعناية ، ولقد حرص الإسلام على العناية باليتيم ورعايته والدعوة إلى الإحسان إليه والقيام بتربيته والعناية بأمره والنهى عن تركه وإهماله وأكل ماله وعدم تنميته له[4] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) عبد الحميد عبد المحسن : الخدمة الاجتماعية فى مجال رعاية المسنين (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص ص ٩٥ - ٩٦) .

(٤) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤٣) .

قال تعالى : ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وأما اليتيم فلا تقهر﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم﴾[3] .

قال رسول الله – ﷺ – : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة»[4] .

كما جعل الإسلام إطعام اليتيم وكفالته وكسوته من أعظم القربات إلى الله تعالى ، قال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين» وأشار بإصبعيه[5] .

وإن كان اليتيم غنياً أوجب الله على المسلمين أن يكفلوه ويشرفوا على ماله وينموه له ومنعهم أن يأكلوا من ماله إلا بالتى هى أحسن .

قال تعالى : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾[6] .

وفى ضوء ذلك وجب على المجتمع أن يهتم بالأيتام ويمنع عنهم الفاقة والحاجة ويحرص على تربيتهم وتثقيفهم والرفق بهم وإبعادهم عن التشرد والضياع بكل وسيلة مشروعة كإنشاء دور الأيتام والمدارس والملاجىء وأن يعهد لمن يرعى حق اليتيم بإدارة تلك المؤسسات حتى تتوافر لهم الرعاية التى حددها الإسلام .

٧– المعوقون :

المعوق هو المواطن الذى استقر به عائق أو أكثر يوهن من قدرته ، ويجعله فى أمس الحاجة إلى عون خارجى واع مؤسس على أسس علمية وتكنولوجية يعيدها إلى مستوى العادية أو على الأقل أقرب ما يكون إلى هذا المستوى[7] .وقد تكون الإعاقة عقلية أو بدنية أو نفسية أو اجتماعية، وقد ذكرت أمثلة منهم فى القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾[8] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٠ .

(٢) سورة الضحى : الآية ٩ .

(٣) سورة الماعون : الآية ١ – ٢

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٥٢ .

(٧) إقبال إبراهيم مخلوف: الرعاية الاجتماعية وخدمة المعوقين (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٠، ص١٩) .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٧١ .

والإسلام ينظر إلى رعاية المعوقين كواجب دينى ودنيوى يحاسب عليه الإنسان ، كما يأمر بالإحسان وينهى عن التكبر فى العلاقات مع هؤلاء الضعفاء .

وقد عنى الخلفاء والحكام المسلمون بالمعوقين ويبدو ذلك واضحاً فى اهتمام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الخلفاء الراشدين بتوفير الرعاية للمعوقين ، وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بهذا المجال أنه حث على عمل إحصائية للمعوقين وخصص مرافقاً لكل كفيف وخادماً لكل مقعد لا يقوى على القيام ، كما أولت النظم الإسلامية ذوى العاهات التفاتاً خاصاً ، وعلى سبيل المثال أعطى الوليد بن عبد الملك المجذومين حتى أغناهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً(١) .

قال تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾(٢) .

وواجب المجتمع أن يهتم بتلك الفئات ورعايتها ، فيهتم برعاية الأكفاء وضعاف البصر والبكم وضعاف العقول وتربيتهم تربية صحية ونفسية وتعليمهم حسب إمكانياتهم .

## المبحث الخامس : كيفية تنفيذ السياسة المقترحة وعوامل نجاحها :

تعنى كلمة التنفيذ ترجمة السياسة إلى خطط تتضمن برامج ومشروعات تتناول المجالات المتعددة التى تسعى السياسة لخدمتها وتحقيق أهدافها من خلال العمل معيا ، وتتحقق أهداف السياسة من خلال الوضع التنفيذى الصحيح لتلك البرامج والمشروعات ، وحتى نضمن سلامة ذلك فإنه لابد من توافر الضمانات المالية والبشرية والتنظيمية التى تساعد على ذلك وأهمها :

### أولاً : الالتزام بشريعة الله سبحانه وتعالى وإقامة حدوده فى المجتمع :

حتى يضمن تنفيذ السياسة المقترحة لابد وأن يكون الإسلام هو أساس نظام الحكم ودستور للعدل لا مفر من اتباعه ولا يقبل من المسلم أن ينحرف عنه ، والأصل الذى يقوم عليه الحكم يتكون من ثلاث شعب : الشورى ، العدالة ، الحكم بما أنزل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة واعتبارهما المصدر الوحيد للحكم فى الإسلام .

---

(١) ثريا عبد الرءوف جبريل : الخدمة الاجتماعية والفئات الخاصة (القاهرة ، بل برنت للطباعة والنشر ، ١٤٠٨ هـ ، ص١٩).

(٢) سورة النور : الآية ٦١ .

قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾(١) .

ويقول سبحانه : ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(٢) .

والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته ، والرد إلى الله سبحانه وتعالى هو الرجوع إلى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٣) .

قال تعالى : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾(٤) .

## ثانياً : اعتبار الشورى فى الإسلام هى الأساس للوصول إلى السياسة الاجتماعية وتنفيذها:

لقد أوجب الله على الأمة طاعة أولى الأمر فيما يرتضونه لمصالحهم ، وهؤلاء سن الله لهم قانوناً يسيرون عليه يعفيهم به من الوقوع فى أخطاء قد تجر الدولة إلى الخراب ، وهذا القانون هو الشورى . فالشورى قاعدة من قواعد الشرعية الإسلامية التى يطبق بها القرآن الكريم .

قال الله تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾(٥) .

وقال جل شأنه :﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾(٦)

و لم يكن النص على الشورى نظرياً فقد طبق النبى - ﷺ - على عظيم قدره ومنزلته وتأييده بوحى السماء فى كثير من الشئون التى لم ينص عليها القرآن مشورة أصحابه وكان يعمل بما يظهر له أنه الصواب ، فالله سبحانه وتعالى قال لرسوله :

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) محمد أحمد أبو زهرة : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام (مؤتمر التوجيه الاجتماعى فى الإسلام . القاهرة ، الحديثة للطباعة ، ١٩٧١ . ص١١٧) .

(٤) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٥) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ .

أى لا يحملك ما كان من نتائج المشاورة على أن تتركها بل شاورهم فى الأمر ، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد أن تكون سياسة المسلمين قائمة على مبدأ الشورى وألا يستبد بها فرد مهما كانت نتيجة المشاورة[1] .

وفى الحديث الشريف ما يؤكد أهمية الشورى فى الإسلام للاتباع فى كل أمور المسلمين ومنها :

- عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله - ﷺ - قال لأبى بكر وعمر : ((لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما))[2] .

- عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ((المستشار مؤتمن))[3]

((إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه))[4] .

ومن دراسة مبدأ الشورى وتطبيقاته فى الحياة الإسلامية نلاحظ عدة أمور هى :

١- أن النص على الشورى كان من المرونة بحيث لم يقيد المسلمين بصورة معينة ولا بكيفية خاصة للشورى يلتزم بها الناس فلا يخرجون عليها ، فقد ترك لأولياء الأمور وللشعوب عامة أن تختار الطريقة المناسبة على أن يكون تطبيق الشورى تطبيقاً حقيقياً صحيحاً.

٢- أن استشارة المسلمين واجبة فى جميع المسائل والمصالح ومنها وضع وتنفيذ السياسة الاجتماعية ولا يقيد إلا بقيدين :

**أولهما** : أن الشورى لا تكون فيما ورد فيه نص إلا أن تكون فى حدود التنفيذ والتنظيم لما بينه القرآن والسنة .

**ثانيهما** : أنه لا يصح أن تنتهى الشورى إلى ما يخالف نصاً أو يخرج على روح الشريعة .

ومثل هذين القيدين لا يغيران شيئاً من حقيقة الشورى لأن النصوص الواردة لا يمكن أن تقف أمام أى تجديد سليم أو تطوير صريح ، بل إننا نستطيع القول بأن اقتصار الإسلام

---

(١) ثريا عبد الرءوف جبريل : الخدمة الاجتماعية والفئات الخاصة (القاهرة ، بل برنت للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ ، ص ص١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه ابن ماجة وأبو داود والترمذى

(٤) رواه ابن ماجة .

فى شئون الحياة على القواعد العامة من أهم العوامل لأمره بالشورى وذلك لمجاراة الزمن وسد الحاجة للتطور والتقدم(١) .

**ثالثاً : تدخل الدولة لتوفير برامج الرعاية الاجتماعية التى تتضمنها السياسة باعتبارها حقوقاً للمواطنين :**

نادى الإسلام بمسئولية الدولة عن توفير الرعاية الاجتماعية للمواطنين ، فقد قرر الإسلام للإنسان من منطلق أنه خليفة الله على الأرض كل الحقوق التى تحفظ كرامته وأكد على التزام الدولة بكفالة هذه الحقوق وضمانها ، وهنا ينبغى أن نؤكد على أن مسئولية الدولة ينبغى ألا تقتصر على مجرد النص على الحقوق وتقريرها والنهى عن المساس بها نظرياً وإنما مسئولية الدولة فى الفكر الإسلامى مسئولية إيجابية بمعنى أنها تمتد إلى تهيئة الوسائل لكفالة هذه الحقوق وممارستها عملياً والعقاب على من يعتدى عليها(٢) .

وتدخل الدولة فى تقديم برامج الرعاية الاجتماعية لا يقوم فى التصور الإسلامى على مجرد الاستجابة للضغوط السياسية الضيقة أو الاستجابة لتوازنات القوى المتقلبة ، وإنما تقوم على شعور الحاكم بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى فى ضوء ما شرع من حقوق العباد على الوجه الذى يرى فيه عمر مثلاً أنه لو عثرت بغلة فى العراق لكان متحملاً للمسئولية عما أصابها(٣) .

فالإسلام ينظر إلى كل أوجه الرعاية الاجتماعية كحق للمواطنين تلتزم الدولة بتوفيره، ومن أمثلة ذلك ما قرره الإسلام بالنسبة للتعليم كأحد أوجه الرعاية الاجتماعية فلقد أولى القرآن الكريم عناية بالعلم ، وترتيباً على ذلك اتجهت الدولة الإسلامية إلى تهيئة سبل التعليم والثقافة للأفراد ، كما اهتم الإسلام بالرعاية الصحية ، ويتمثل ذلك فى حثه على العناية بالصحة والوقاية والعلاج من الأمراض وبناء المستشفيات ، كما نظم رعاية وتأمين الإنسان فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل قبل أن تعرفه البشرية(٤) . أى أنه من واجب الدولة أن تكفل الحاجات الإنسانية اللازمة لكل فرد من أفرادها ولهذا فرضت الزكاة

---

(١) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص١٨٣ -١٨٤) .

(٢) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، ١٩٩١، ص٤١) .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٦١) .

(٤) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، ١٩٩١، ص٤٢) .

فى الإسلام[1] حتى يعتبر تأمين أفراد المجتمع فى حياتهم المعيشية أساس العبادة فى الإسلام والسبيل إليها حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله :

﴿رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى﴾[2] .

قرنه بقوله : ﴿كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾[3] .

بل اعتبر الإسلام مجرد ترك أحد أفراد المجتمع جائعاً هو تكذيب للدين نفسه[4] .

قال تعالى : ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين * فذلك الذى يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾[5] .

لذا فإن واجب الدولة أن تتدخل لتوفير برامج الرعاية الاجتماعية التى تتضمنها السياسة المقترحة باعتبارها حقاً للمواطنين قرره الإسلام وشعوراً من الحاكم بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى .

**رابعاً : الاعتماد على مجموعة من التشريعات تكفل تحقيق أهداف السياسة المقترحة فى تقديم أوجه الرعاية للمواطنين :**

حتى نضمن نجاح السياسة المقترحة فى خدمة الناس فى المجتمع والعمل على إسعادهم يلزم أن تلتزم الدولة بالتشريعات التى وضعها الإسلام لخدمة المستفيدين من السياسة ورعايتهم وأهم تلك التشريعات ما يلى[6] :

**١- تشريع المساعدة :**

وهو يشمل : المدين والغارم واليتامى ، والقاتل خطأ ، والمنقطع فى بلده ويسمى ابن السبيل .

**٢- تشريع الجوار :**

قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾[7].

---

(١) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ، ص٣٠٧) .

(٢) سورة طه : الآيتان ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة طه : الآيتان ٣٣ - ٣٤ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ٩٤ -٩٥ .

(٥) سورة الماعون : الآيات ١ - ٣ .

(٦) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٣١٨ - ٣٢١ .

(٧) سورة النساء : الآية ٣٦ .

٣- تشريع الماعون :

قال تعالى : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾(١) .

٤- تشريع المشاركة :

وذلك عندما يحين وقت المواسم الزراعية :

قال تعالى : ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾(٢) .

٥ - تشريع الضيافة :

قال رسول الله - ﷺ - : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما بعد ذلك صدقة)) .

وفى رواية لمسلم :

((لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه ، قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه ؟ قال : يقيم عنده ولا شيء له يقريه به))(٣) .

٦- تشريع الإعفاف :

قال تعالى : ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾(٤) .

٧- تشريعات الإسعاف فى حالات الجوع والعطش المهلكة :

قال رسول الله - ﷺ - : ((أى رجل مات ضياعاً بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله))، وكذلك فى حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والزلازل والحرائق .

٨- تشريعات الطوارىء كحالات تعرض البلاد لهجوم عدو :

قال تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾(٥).

وقال رسول الله - ﷺ - : ((من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))(٦) .

---

(١) سورة الماعون : الآيات ٤ - ٧ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٤١ .

(٦) رواه مسلم .

### ٩- تشريعات الإعانات العائلية :

كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد ، فقد كان رسول الله - ﷺ - إذا أتاه في قسمة من يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظاً واحداً ، وكان عمر -رضي الله عنه- يفرض لكل مولود عطاء يزاد إلى عطاء أبيه (مائة درهم) ، كلما نما الولد زاد العطاء .

ولما كانت هذه التشريعات التى وضعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعى وتوفير الرعاية الاجتماعية للمواطنين تستلزم موارد مالية لضمان تنفيذها وإلا ظلت نظرية بحتة ، فقد سن الإسلام التشريعات المالية اللازمة للتنفيذ باعتبارها جزءاً من تشريعات التكافل الاجتماعى وهى :

١- تشريع الزكاة ، وتؤخذ بنسبة محدودة من النقدين (الذهب والفضة) وعروض التجارة والزروع والثمار وكل ما يستنبت من الأرض، وتصرف لفئات معينة تعتبر حقاً لهم.

قال تعالى : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾ .

٢- تشريع الوقف ذرياً كان أو خيرياً .

٣- تشريع النفقات .

٤- تشريع الوصية .

٥- تشريع الغنائم .

٦- تشريع الركاز .

٧- تشريع الكفارات عن الذنوب والإيمان والظهار ومخالفات الحج والصوم .

٨- تشريع النذور .

٩- تشريع الأضاحى .

١٠- تشريع صدقة الفطر وهى زكاة الفطر فى رمضان .

١١- تشريعات الخزانة العامة بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، وخمس الغنائم وركاز وخراج الأرض وجزية وتركة من لا وارث له .

١٢- تشريع الكفاية .

وما أحرى المجتمع أن يلتزم بهذه التشريعات التى فى ضوئها تتحدد بعض مجالات الرعاية وتتوفر الموارد المالية اللازمة لتنفيذ البرامج والمشروعات التى تكفل تحقيق أهداف السياسة الاجتماعية .

**خامساً : الاعتماد على الإنسان بعد الله سبحانه وتعالى كأساس للتغيير وتنفيذ السياسة :**

الإنسان فى نظر الإسلام هو أسمى من فى الوجود ، والإسلام جاء لتأكيد هذه المكانة له ، ذلك أن الإسلام جاء ليحقق للإنسانية مبدأ العدالة الإنسانية فى جميع جوانبها ومن ثم كان المنهج الإسلامى يهدف إلى بناء الفرد ، ومن بناء الفرد ينطلق إلى بناء المجتمع على اعتبار أن الإنسان هو أداة التغيير فى المجتمع .

وإذا كانت حكمة خلق الإنسان هى الخلافة ممثلة فى شرطيها العبودية لله وحده والسيادة على الأرض حتى تحين الوفاة ويجيء يوم الحساب ، فإنه بذلك تتحدد مهمته ورسالته فى الحياة الدنيا وذلك بشقيها وهما : عبادة الله بإقامة منهجه ، وسيادة الكون بتعميره وإحيائه ، ومن هنا كان إحداث التغيير فى المجتمع وتنميته وتعميره هو جوهر الخلافة بعديها[1] .

قال تعالى **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**[2] .

وقال سبحانه : **﴿فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾**[3].

ويلخص الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقة الدنيا ورسالة الإنسان فيها بقوله : «إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله استخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون»[4].

والفرد فى المجتمع مكلف فى نظر الإسلام بأن يرعى مصالح الجماعة على أساس أنه حارس لها وعليه أن يقوم بدوره بدون ضرر بالآخرين .

قال : - ﷺ - : «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها ، فكان الذين فى أسفلها يمرون بالماء على الذين فى أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه ، فقالوا: مالك قال: تأذيتم بى ولابد من الماء . فإن أخذوا على يديه انجوه ونجوا أنفسهم ،وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم[5]. ويعتبر من أنواع التغيير المسئول عنها الإنسان تكليفه بأن يحسن علمه الخاص، ذلك أن ثمرة العمل الخاص ملك الجماعة وعائدة عليها فى النهاية .

---

(١) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ص١٠٦ - ١٠٩).

(٢) سورة هود : الآية ٦١ .

(٣) سورة الجمعة : الآية رقم ١٠ .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) رواه البخارى .

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1] .

كما أن كل فرد مسئول عن رعاية ما هو فى حوزته من مصالح وتبعات .

قال رسول الله - ﷺ - «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[2] .

كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبر من أنواع التغيير المسئول عنها الإنسان نحو الآخرين فى المجتمع والتقاعس عن هذا الواجب الاجتماعى يؤاخذ به الفرد .

قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ .

وقال - ﷺ - : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان» .

وحتى يستطيع الإنسان أن يقوم بدوره فى إحداث التغيير وتنفيذ السياسة المقترحة .فإنه ينبغى أن يتم بناء تلك الشخصية الإنسانية بحيث يتوفر فيها صفات من أهمها : أن تكون داعية إلى الخير ، متعاونة ، ساعية لقضاء حوائج الناس ، محبة للفضيلة ومؤثرة لمصلحة غيرها على مصلحتها، وصادقة .

**سادسا : الاهتمام بالبعد العقائدى كأساس يؤثر فى كل الأبعاد الأخرى للمجتمع إذا صلح هذا الأساس صلح المجتمع كله حيث إن العقيدة تدفع المسلم للتكيف وفقاً للمنهج الإسلامى :**

لقد أوضح لنا الإسلام أن أساس المجتمع الصالح عقيدة صالحة ، وأن المجتمع الذى تنظمه عقيدة صالحة ينبثق عنها تشريع ينظم علاقات الناس ، وأخلاق وقيم تنبنى عليها أعرافهم وعاداتهم بما يضمن للمجتمع وحدته وتماسكه ، ويسوده العدل والنظام وتتكافل جماعاته وأفراده وتحكمه الطمأنينة والسلام .

ومن هنا كان أساس المجتمع فى نظر الإسلام العقيدة الإسلامية بما تشتمل عليه من الإيمان با لله إيماناً واضحاً خالقٌ لا شريك له ، والإيمان بالملائكة والأنبياء والرسل والكتب السماوية واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيرهما وشرهما من ا لله ، وعما ينبثق عنها من الأنظمة والأعراف التى تسود المجتمع وتحكم أفراده .

ومن هذا الإيمان يصدر التصور الذى يدرك به الإنسان المسلم حقيقة ا لله وحقيقة الكون الذى يعيش فيه ، وحقيقة الحياة التى ينتسب إليها ، وحقيقة نفسه وذاته ، ويكيف

---

(١) سورة التوبة : الآية رقم ١٠٥ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه .

سلوكه ومعاملاته على أساسها وتعامله مع الكون على هداها[1]. خصوصاً أن مشكلة التخلف تتجه إلى أن يكون مردها اليوم إلى غياب البعد العقائدى ، وأى عمل يصدر من الإنسان ولا يقوم على أساس التقوى وصدق الإيمان فهو باطل ، ولو ألبسه صاحبه أفضل صورة من البر والإحسان. وكل قول يصدر عن قلب لا يؤمن با لله فإن ا لله لا يرفعه إليه ولا يثيب صاحبه عليه مهما كانت صورته لأنه صادر عن عقيدة ترعى فى عملها جانب المخلوق دون الخالق .

قال تعالى : ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿**أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف**﴾[3] .

وعلى الجانب الآخر نجد أن القلوب التى عمرت بالإيمان والتقوى تقوم فيها الرقابة الدينية على كل عمل من أعمال الإنسان فلا يصدر عنه قول أو عمل إلا فى ظل الخشية من ا لله .

## المبحث السادس : دور الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة :

تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية إلى إحداث التوازن بين الأفراد وأنفسهم ، وبينهم وبين مجتمعهم ، كما تعمل على إحداث تغييرات مقصودة في الوحدات الإنسانية التى تتعامل معها واستثمار طاقات وقدرات هذه الوحدات لتحقيق أفضل أداء ممكن لوظائفها الاجتماعية.

وتساهم المهنة مع غيرها من المهن في المجتمع في وضع وتنفيذ السياسة الاجتماعية ، وعلى ضوء ما تم اقتراحه فيما تضمنته السياسة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي يمكن للخدمة الاجتماعية أن تساهم بدور فعال في إنجاح تلك السياسة ، ويتضمن ذلك :

### أولاً : تدعيم مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ السياسة :

إن الشورى في الإسلام من الأمور المهمة التى تضمن تضافر الجهود في سبيل تحقيق الأهداف ، ويمكن للخدمة الاجتماعية أن تساهم في زيادة مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة من خلال تشجيع صور المشاركة التى أقرها الإسلام .

---

(١) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص١١ - ١٤).

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

وتهتم الخدمة الاجتماعية بضرورة إعداد الناس للمشاركة في المجتمع عن طريق إمدادهم بالمعلومات والإرشادات حتى يكونوا على مستوى المشاركة في عملية وضع السياسة ، وأيضاً في مساعدتهم على تحديد مجالات وأوقات المشاركة حتى يمكن الاستفادة من المشاركين من خلال مشاركتهم بالرأى أو المال أو الجهد حسبما يتطلب الموقف بما يتناسب وظروف أفراد المجتمع .

**ثانياً : إيقاظ الشعور بالمسئولية الشخصية لدى أفراد المجتمع ليكون لهم دور في الاعتماد عليهم بعد الله – سبحانه وتعالى – كأساس للتغيير ، إلى جانب إيقاظ الشعور بالتعاون في سبيل الخير وتحقيق أهداف السياسة :**

وبخاصة أن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بالتأكيد على مشاركة الفرد والجماعة والدولة في تحقيق الخير للجميع ، وعلى أداء حق الغير والجماعة وولاء الفرد لجماعته ومجتمعه ، وذلك من خلال المساهمة في تكوين الفرد المتوازن الذى لطبيعته المتوازنة لن يعتدى على حقوق غيره ، بل يمكن أن تتوازن المسئولية للفرد مع المسئولية الاجتماعية بما يحقق أهداف السياسة المقترحة ، حيث يتم ذلك على أساس من حقائق المنهج الإسلامي على أساس التوازن الكامل بين مطالب الفرد وحق الجماعة في جو من الحرية والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات .

**ثالثاً: دراسة المجتمع والتعرف عليه وعلى مشكلاته كأساس لوضع وتنفيذ السياسة :**

وتهدف دراسة المجتمع إلى التعرف على السياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذى سيكون موضع تنفيذ السياسة وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة والقوى الاجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته بما يساهم في وضع وتحديد برامج الرعاية التى تتضمنها السياسة، ذلك أن من الأسس المقررة في تصميم البرامج أن كل برنامج يصمم على أساس منبت الصلة بالواقع الثقافي والاجتماعي الذى يعمل في إطاره محكوم عليه منذ اليوم الأول بالفشل أو على الأقل بضعف الفاعلية(١) .

والجانب الآخر الذي تهتم به الخدمة الاجتماعية في دراسة المجتمع هو مشكلات المجتمع ومعرفة نوعية تلك المشكلات بالنسبة لغيرها وعدد الذين يتأثرون بها الجهود التى بذلت لحلها .

بالإضافة إلى ذلك تهتم المهنة بدراسة إمكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء قوى بشرية أو مادية أو اقتصادية وأجهزة الخدمات القائمة ومدى فاعليتها وكيفية تطوير أدائها والاستفادة منها(٢).

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٩) .

(٢) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص١٧-١٨) .

ومن خلال استفادة الخدمة الاجتماعية بتلك الدراسات فإنها يمكن أن تكون أساساً لوضع برامج وخدمات وفقاً لما تستهدفه السياسة من أهداف للفرد والمجتمع على حد سواء .

**رابعاً : الفهم الواعي لموضوع الجهود المهنية للخدمة الاجتماعية .. وهو الإنسان والذى على أساسه يمكن للمهنة أن تنجح في جهود التدخل المهني طبقاً للتصور الإسلامي :**

إذا كانت الخدمة الاجتماعية كمهنة تستهدف مساعدة الإنسان كفرد أو كعضو في جماعة أو مجتمع على مواجهة مشكلاته وإشباع حاجاته ، مع تنمية قدراته إلى أقصى حد ممكن ، فإن من الواضح أن عملية المساعدة لابد أن تكون مبنية في الأساس على فهم كاف لموضوع تلك الجهود المهنية ألا وهو الإنسان من حيث طبيعته ومكوناته التى ركب منها أو من حيث ديناميات التفاعل بين تلك المكونات .

ولما كانت سياسات وبرامج ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية تمثل الوعاء الذى تتم في إطاره الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية فإن وضوح التصور الإسلامي للأسس التي تقوم عليها تلك السياسات والبرامج والمؤسسات يعتبر شرطاً لازماً لابد منه لنجاح جهود التدخل المهني .

لذا فإن على المهنة أن تقوم بإعادة صياغة معارفها ومبادئها وطرقها في التدخل بشكل ينطلق من التصور الإسلامي والافتراضات الأساسية حول الإنسان والمجتمع والكون ، والتوصل إلى نظرية الممارسة في الخدمة الاجتماعية بما تشمله من المواقف والأعراض التي تتطلب التدخل ، كما تشمل الأهداف التي يوجه نحوها العمل المهني في كل نوع من تلك المواقف ، إضافة إلى استراتيجيات وأدوات التدخل الملائمة لكل منهما[(١)] .

**خامساً : تحليل السياسة واقتراح مؤشرات بتعديلها على أساس المنظور الإسلامي الذى يحقق التغيير المنشود في الفرد والجماعة والمجتمع :**

يمكن للخدمة الاجتماعية عن طريق الممارسين والأكاديميين المساهمة في وضع وتحليل السياسة الاجتماعية في ضوء خبراتهم المهنية للتعرف على مدى تحقيق السياسة لأهدافها في إشباع أقصى قدر من الاحتياجات الأساسية وضمان حد الكفاية لكل فرد من منظور المصالح المقصودة في التشريع من خلال عمل الأخصائيين الاجتماعيين في تقديم الخدمات للأفراد والجماعات والمجتمعات في المؤسسات الأولية والثانوية للخدمة الاجتماعية التي تضطلع بمسئولية تقديم البرامج والمشروعات التى تساعد على تحقيق أهداف السياسة ثم

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٢٤).

التوصل إلى أسلوب لتعديل السياسة بالتعامل مع متخذى القرارات الخاصة بوضع السياسة بحيث توضع وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق أهداف المجتمع وتكون متكاملة متوازنة تتخذ من إشباع الاحتياجات الروحية محوراً لجميع ما يقدم من خدمات لإشباع الاحتياجات المادية .

**سادساً : العمل مع المنظمات والهيئات التى تساهم في تقديم الخدمات المرتبطة بتحقيق أهداف السياسة :**

يحتاج تنفيذ السياسة المقترحة إلى أن تطور المهنة من أسلوب عملها في المنظمات التقليدية الحالية لممارسة المهنة على أساس من التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون . خصوصاً أن المهنة ما زالت في حاجة إلى جهود تبذل لاستخلاص ما تحتاج في مجال الممارسة في المؤسسات التقليدية وذلك من خلال قيام العاملين في هذه المجالات ببلورة الافتراضات الأساسية التى يقوم عليها التصور النظرى للأبعاد اللازم تأصيلها في ضوء خبراتهم[1] :

١- الطبيعة البشرية في المنظور الإسلامي .

٢- السنن النفسية والاجتماعية .

٣- تفسير المشكلات الفردية والمشكلات الاجتماعية .

٤- سياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية .

٥- أساليب التدخل المهنى للخدمة الاجتماعية .

وإلى جانب ذلك فإن دور المهنة يتضمن العمل مع المؤسسات الإسلامية التى تهتم بتقديم تلك الخدمات إلى جانب المؤسسات التقليدية كالجمعيات الخيرية ومكاتب الدعوة والإرشاد والمساجد والمؤسسات التى تعمل في مجالات الكوارث والإغاثة والتهجير وغيرها من المؤسسات والتى يمكن للخدمة الاجتماعية أن تقوم بدور يساهم في تحقيق السياسة المقترحة من خلال مساعدة تلك المؤسسات .

**سابعاً : الاهتمام بإعداد الأخصائى المسلم الذى يمثل قدوة المجتمع الذى يعيش فيه والاهتمام بتكوين شخصيته الإسلامية :**

تحتاج مساهمة مهنة الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ ومتابعة وتقويم السياسة الاجتماعية قيام المتخصصين في المهنة وهم الأخصائيون الاجتماعيون بدورهم في ذلك ، ويلزم ذلك القيام بعدة إجراءات قد تكون ملائمة لإعداد الأخصائي الاجتماعي ومنها :

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥).

١- الاهتمام بالإعداد النظري للأخصائي الاجتماعي بحيث يتضمن دراسة مواد شرعية بالإضافة إلى دراسة طرق ومجالات الخدمة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون .

٢- الاهتمام بالإعداد العلمي للأخصائيين الاجتماعيين من خلال الاهتمام بتدريبهم في مؤسسات العمل الإسلامي وتحديد الخطط التى سيتم التدريب عليها بما يكسب الطلاب المعارف والخبرات والمهارات والسمات الشخصية التى تساعدهم على ممارسة عملهم بعد التخرج .

٣- بذل جهود نشطة ومكثفة وواسعة النطاق حتى نتمكن من بلورة ذلك التصور الإسلامي واستكشاف أبعاده والتعرف على حدوده ، ثم إسقاط هذا التصور على نظرية الممارسة الحالية واستبعاد ما لا يتوافق معه ثم البناء على قواعد هذا التصور وعلى ما يعمد من الأطر التصورية التفصيلية المستمدة من المشاهدات المحققة ومن خبرات الممارسة حتى يبلغ الأمر غايته بظهور نظرية الممارسة المنطلقة من التصور الإسلامي(١).

**ثامناً : اهتمام الخدمة الاجتماعية بإجراء الدراسات العلمية والبحوث في المجالات التى تحتاج لذلك لاستنباط المبادئ الجزئية التفصيلية الموجهة للمواقف العملية المحددة وإلى ابتكار أساليب التدخل الإجرائية الملائمة :**

ومن أهم الموضوعات التى يجب أن تهتم بدارستها المهنة ما يلي :

- دراسة حول الأساليب المهنية اللازمة لإعداد الأخصائي الاجتماعي المسلم نظرياً وعملياً.
- دراسات تقويمية للتعرف على حقيقة البرامج التى تقدم من خلال مؤسسات الممارسة الحالية ووضعها بالنسبة لما يجب أن تكون عليه تلك البرامج في ضوء التصور الإسلامي .
- دراسات لتحديد أدوات وأساليب الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية بطرقها المتعددة في المجالات التى تقع في نطاق السياسة الاجتماعية .
- دراسات مرتبطة بطبيعة المشكلات الفردية والمجتمعية وأغراضها والأساليب التى يمكن استخدامها في حلها في ضوء التصور الإسلامي .
- دراسات مرتبطة بالزكاة كأساس لتمويل برامج السياسة الاجتماعية مصادرها ومصارفها .

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢١) .

– دراسات وصفية تاريخية لما كان يقدم من برامج متنوعة لرعاية الفئات التى تخدمهم السياسة فى الدولة الإسلامية الأولى .

– دراسة لنوعية المؤسسات التى تقدم من خلالها الخدمات كالمساجد والمدارس وغيرها فى الإسلام .

– دراسات عن علاقة مهنة الخدمة الاجتماعية بالمهن الأخرى لتحقيق أهداف السياسة في ضوء التصور الإسلامي .

– دراسات لتحديد دور الأخصائي الاجتماعي المسلم ارتباطاً بكل مجال من مجالات الممارسة التى تتضمنها السياسة .

# خدمة الجماعة وتنمية الشخصية الإسلامية

د . نبيل إبراهيم أحمد عبد الرحيم

## مقدمة :

إن النظرة الفاحصة والمدققة لما يجرى من محاولات بشأن التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية بعامة ، والخدمة الاجتماعية بصفة خاصة يمكن أن تدفع إلى القول بأن هناك تناميا ونضجاً في المحاولات الحالية إذا ما قورنت بالمحاولات الأولى التي سلكت هذا الاتجاه . وقد اتجه الباحث إلى الاهتمام بدراسة قضية يرى أنها قضية مهمة - لو صح التعبير - بالنسبة لتخصصه الدقيق- طريقة العمل مع الجماعات في الخدمة الاجتماعية - ألا وهي قضية إسهام طريقة العمل مع الجماعات في تنمية الشخصية الإسلامية .

وإعطاء تلك القضية هذه الأهمية يعود إلى أهمية الإنسان في الكون باعتباره خليفة الله على الأرض ، لذا سخر الله له كل مافى الأرض والكون لخدمته حتى يؤدي أمانته التي أؤتمن عليها ، وإن عِظَم هذه الأمانة يدفعنا إلى طرح التساؤل التالى : هل أي إنسان قادر على أن ينهض بتلك المسئولية ؟ أم أن هذا الإنسان القادر على حمل تلك الأمانة له مواصفات خاصة ؟

وفي تقدير الباحث أن الإنسان المؤهل لحمل تلك الأمانة هو الإنسان المسلم الذى يتسم بسمات الشخصية الإسلامية كما حددت في كتاب الله وسنة رسول - ﷺ - وهذا التحديد لنوعية الشخصية القادرة على حمل تلك الأمانة دفع الباحث إلى أن يطرح سؤالاً محورياً آخر مؤداه:

هل هذه الشخصية -بمعالمها المحددة- متوفرة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة ؟ والحقيقة أنه برصد أوضاع الإنسان المسلم في مجتمعاتنا المعاصرة يمكن أن نصل بسهولة إلى القول بأن هذه الشخصية ليست متوافرة أو على الأقل هي نادرة الوجود .

وقد كان من الطبيعى بل ومن المتوقع - في ضوء هذه الإجابة - أن نهتم بالتعرف على العوامل التي كانت وراء عدم توافر أو ندرة هذه الشخصية ، بيد أن هذا الأمر لا يدخل في نطاق اهتمام هذا البحث ، لذا وتجنباً للدخول في التفاصيل لتفسير هذا الظاهرة نكتفى بالقول باختصار أن هذا الوضع يرجع إلى تضافر مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية والتي تفاعلت معاً وأفرزت فى النهاية غياب أو ندرة أو عدم توفر الشخصية الإسلامية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة ، وفي ضوء هذا الواقع المرير كان طبيعياً أن يطرح سؤالاً مفاده :

هل يمكن إجراء تغيير – أو تنمية – فـي شخصية الإنسـان المسـلم حتى تعـود هـذه الشخصية إلى طبيعتها الإسلامية ، شكلاً وسلوكاً ، قولاً وعملاً ؟

الحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب ممكنة ، غير أن ذلك يحتاج إلى إحـداث تغييرات جوهريـة متعـددة الجوانـب في المجتمعـات الإسـلامية لعـل أبرزهـا إحـداث تغييـرات مقصودة ومتناسقة في نظم المجتمعات الإسلامية ومؤسساتها ، بيد أن هذا التغيـير ربمـا يطـول انتظاره ، لذا كـان مـن المناسـب أن نطـرح السـؤال التـالى : هـل يمكـن لطريقـة العمـل مـع الجماعات في الخدمة الاجتماعية أن تسهم – في ظل الأوضاع الحالية – فى تنمية الشـخصية الإسلامية وهي القضية المحورية لهذا البحث ؟

ولقد حاول الباحث فى معالجته لهـذه القضيـة الابتعـاد عـن الدخـول في التفصيـلات الخاصة بمعالم الشخصية المسلمة – التى تزخر بها كثير مـن المؤلفـات – واتجـه إلى الاهتمـام بإبراز الجوانب الخاصة بإسهام طريقة خدمة الجماعة في تنمية الشخصية الإسلامية ، لذا عنى بإبراز الخبرات الجماعيـة وإسهامها في تكويـن الشـخصية الإسـلامية ، كمـا اهتـم بتبيـان الأساليب الإسلامية التي يمكن أن تفيد فيها الطريقة في تحقيـق تلـك المهمـة ، وعنـى بتصميـم برنامج – مقترح – في العمل الجماعات لتنمية الشخصية الإسلامية ، وهـذا البرنـامج يمكـن أن يخضع للاختبار في أرض الواقع لمعرفة مدى ملاءمته لتحقيق الغاية التي صمم من أجلهـا ، وفى ضوء ما تسفر عنه نتائج هذا الاختبار يمكن الحكم علـى مـدى ملائمتـه أو احتياجـه إلى إعادة مراجعة حتى يكون صالحاً للتطبيق وتحقيق الهدف الذي صمم من أجله .

وفي إطار تناول الباحث لقضية هذا البحث ومحاوره المختلفة – السـابق التنويه عنها – برزت قضية فرعية مفادها : هـل الأخصـائى الاجتمـاعى الحـالي في المجتمعـات الإسـلامية – شـخصيةً وإعـداداً – قـادر علـى الاضطـلاع بمهـة استخدام الجماعـات في تنميـة الشـخصية الإسلامية ؟

في الحقيقة أنه نظراً لأهمية هـذه القضيـة الفرعيـة فقـد اهتـم البـاحث بمناقشـتها مبيناً وجهة نظره فيما ينبغـى أن يكـون عليـه الإعـداد المهنى لأخصـائى العمـل مـع الجماعـات ، وموضحاً لأهم السمات التي ينبغى أن تتوافر في هؤلاء الأخصائيين .

ويهم الباحث في مستهل هذه الدراسة أن يؤكد على أن القضية الـتي يهتـم بمناقشـتها تعد قضية مهمة ومحورية وتحتاج إلى اهتمام يتساوى مع أهميتها من الباحثين المهتمين بقضيـة التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية – لأن ماتقدمه لايعـدو أن يكـون محاولـة متواضعـة في هذا الشأن – كما أن الواجب يقتضى أن يشـير إلى أن القضيـة لهـا جوانـب كثيرة تسـتأهل البحث والعناية ولاسيما قضية تصميم برامج متعددة للعمل مع الجماعات المختلفة تسهم فـى تنمية الشخصية الإسلامية .

## الشخصية الإسلامية وأبعادها :

يحدد لنا الدين الإسلامي الحنيف ملامح وأبعاد أساسية لابد من توافرها في الإنسان حتى يصدق إسلامه وإيمانه ، وهى كفيلة بأن تحقق له الفلاح والنجاح والأمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة(١) .

وليس هنا مجال لعرض التعريفات المختلفة للشخصية إلا أنه يمكن تحديد مفهوم الشخصية الذى نعنيه في هذا البحث فيما يلى :

"الشخصية هي مجموعة الصفات والقدرات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية التى تضفى على الإنسان فرديته"(٢) .

وتشكل العقيدة الإسلامية نموذجاً فريداً من الشخصية السوية المتوازنة المتكاملة التى تستشعر الأمن والأمان والقوة لثقتها في ربها ثم في نفسها(٣) ، ويوضح لنا القرآن الكريم أهم خصائص الشخصية الإسلامية في سورة الفرقان – يقول تعالى :

**﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً * وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً * إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً * والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾**(٤) وتشير هذه الآيات البينات إلى أن شخصية المؤمن تتسم بالتواضع وحب الله وعبادته والخوف من عذابه وتقوى الله في السر والعلن ، وتتسم بالاعتدال في الإنفاق ونبذ وكراهية الشرك ، وعدم قتل النفس إلا الحق ، والبعد عن الفواحش ماظهر منها وما

---

(١) نبيل السمالوطى : النظام الترويحى وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، بحث مقدم إلى ندوة الترويح في المجتمع الإسلامى ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٦م ، ص٢٤٥ .

(٢) عبد الحميد عبد المحسن عبد الحميد : الأنشطة الطلابية وأثرها في تكامل شخصية الطالب : مدخل إسلامى ، مجلة بحوث ودراسات ، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، ص١٤٨ .

(٣) نبيل السمالوطى : النظام الترويحى وأثره فى بناء الشخصية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص٢٤٦ .

(٤) سورة الفرقان : الآيات من ٦٣-٧٤ .

بظن كالزنا ، والتوبة إلى الله والرجوع إليه ، والتفكير في آيات الله سواء المشهودة كالكون والإنسان وكل المخلوقات أو المقروءة وهي القرآن الكريم ، كذلك فإن المؤمن لا يشهد الزور ودائم التضرع إلى الله لإصلاح الزوج والذرية(١).

إن الشخصية الإسلامية شخصية بسيطة تشبع حاجات النفس والعقل والروح والجسم في توازن ، وبالشكل الذي يرسمه لنا الإسلام عقيدة وشريعة ، وهذا يعنى أن الشخصية الإسلامية تتسم بالحفاظ على نقاء الفطرة وإشباع الحاجات الروحية والجسمية والنفسية بالأساليب السوية وإعلاء الغرائز التي لم تحن بعد الفرصة لإشباعها بالشكل السوي السليم .

كما أن الشخصية الإسلامية شخصية جادة نشيطة عاملة تؤمن بقيمة العمل الموجه للخير في كل مجالات الحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، وهي تنطلق في هذا الإيمان من توجيهات القرآن وتوجيهات هدي السنة المطهرة ، ويمكن أن نحدد باختصار ملامح وأبعاد الشخصية الإسلامية في الآتى(٢) :

**البعد الأول :** علاقة المسلم بخالقه وتتمثل في العقيدة والعبادات .

**البعد الثانى :** علاقة المسلم بنفسه وتتمثل في السمات الجسمية والعقلية والمعرفية والانفعالية والعاطفية .

**البعد الثالث :** علاقة المسلم ببيئته الاجتماعية وتتمثل في السمات المتعلقة بالعلاقات الأسرية (علاقة المسلم بوالديه وبإخوته وأقاربه) والسمات المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية والسمات المتعلقة بالجانب الخلقى .

من هنا يجب التأكيد على أهمية فهم الشخصية الإسلامية وأبعادها المختلفة كما يحددها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكما أفاض فيها الفقهاء نجد أنها تجمع كل

---

(١) نبيل السمالوطي : النظام التزويجي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص٢٤٦ .

(٢) يمكن الرجوع إلى :

– سيد عثمان : المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة ، دراسة نفسية وتربوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩ م.

– عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، دراسة قرآنية ، ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م.

– سعد الدين الجيزاوى : فصول في تربية الشخصية الإسلامية ، دراسات في الإسلام ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ٨١–١٩٨٦م .

–حسن محمود جاد الكريم : محاولة لإعادة بناء الذات المسلمة ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٣ م .

–حسنى محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامى ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ، ١٩٧٩ .

الخصائص إلى جانب شيء مهم وأساسي وهو أن هذه الخصائص (الإنجاز - الابتكارية- حب العلم والعمل - القدرة على مواجهة المشكلات - الدقة - الصدق - الأمانة .. إلخ ) تنبثق من الإيمان بالله وتنطلق من دوافع إيمانية تمثل قوة دفع كبيرة أقوى من كل الدوافع والمنطلقات الوضعية - وقد حدد الإسلام أساليب الاهتمام والتوجيه والعناية لهذه الشخصية من خلال اتباع الأساليب الإسلامية .

## الخبرات الجماعية التي توفرها خدمة الجماعة وعلاقتها بتنمية الشخصية الإسلامية:

ترتكز ممارسة خدمة الجماعة على القيمة الإيجابية للخبرات الجماعية وتأثيرها على الأفراد ، هذه الخبرات التي تتيحها الأنشطة المختلفة للبرنامج ، وكذلك تلك الخبرات الناجمة عن العلاقات الاجتماعية التي تتيحها الحياة الجماعية . واستفادة الأفراد من الخبرات الجماعية التي تتيحها عضوية الجماعة كثيرة ومتعددة ، فبالإضافة إلى مقابلة العديد من الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد في مراحل نموهم المختلفة ، فقد اتضح من الممارسة المهنية لخدمة الجماعة إمكانية استخدام الخبرة الجماعية كوسيلة للإعداد وللمشاركة النشطة من الأعضاء في الجماعات المختلفة ، تلك المشاركة التي تسهم في تكوين وإعداد الإنسان الصالح ، ويمكن تحديد بعض الجوانب التي تؤكد هذه الخبرة على الوجه التالي[1] :

١- للخبرة الجماعية أثرها في تهيئة وإعداد الأفراد للمشاركة الفعالة في مجتمعاتنا المحلية .

٢- يتضح تأثير الخبرة الجماعية في العديد من الجماعات التي تستخدم المناقشة الجماعية كأسلوب لدراسة مختلف القضايا الاجتماعية التي تهم الأفراد ومجتمعهم .

٣- تسهم الخبرة الجماعية في إتاحة الفرصة للأفراد لتنمية قدراتهم على الاشتراك مع الغير عن طريق إسهام الأفراد واشتراكهم مع الآخرين في كل مايتعلق بهم من أمور أثناء الحياة الجماعية.

٤-أهمية الخبرة الجماعية في ترشيد واستثمار أوقات فراغ الأفراد بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالنفع .

---

(١) يمكن الرجوع إلى :

-محمد شمس الدين أحمد : العمل مع الجماعات فى محيط الخدمة الاجتماعية ، القاهرة مكتبة يوم المستشفيات . ١٩٨٦م .

-عبد الحميد عبد المحسن عبد الحميد : للممارسة المهنية فى العمل مع الجماعات ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١م .

- مجموعة من الدراسات والبحوث التى أجريت فى مجال العمل مع الجماعات .

٥- للخبرة الجماعية دور فى تدعيم الاتجاهات المقبولة اجتماعياً لدي الأفراد ، وكذلك تدعيم السلوك الإيجابى ، وغرس القيم الاجتماعية الصالحة ، والذى من شأنه أن يساعد في تكوين الإنسان الصالح لنفسه ولمجتمعه .

**الإعداد المهنى لأخصائى الجماعة كمدخل لتنمية الشخصية الإسلامية :**

رغم ماتقدمه الخبرة الجماعية من فوائد لكل من الفرد والجماعة والمجتمع ، فإن الأمر يتطلب ضرورة توافر الريادة الحكيمة للجماعات والتي يمكن أن تستثمر الخبرة الجماعية على الوجه الأمثل ، وبتعبير متكافئ فنحن في حاجة إلى نمط من أخصائى العمل مع الجماعات المزودين بمهارات معينة واتجاهات محددة .

هذا وقد أوضحت الدراسات والبحوث التي أجريت في مجال الممارسة المهنية للعمل مع الجماعات العديد من المهارات والاتجاهات التي تزيد من فاعلية هذه الممارسة ونعرض لبعض منها بإيجاز على النحو التالى :

١- القدرة على تكوين العلاقة الناجحة مع الجماعة ، وهذا يتطلب الوعي الذاتي من أخصائى الجماعة وتكريس قدراته وجهوده لتنمية أعضاء الجماعة لاستخدام طاقاتهم الاستخدام الأمثل .

وترتكز مهارة أخصائى الجماعة في تكوين العلاقات مع الجماعة على الفهم العقلانى لديناميكية السلوك الفردى ، والتنسيق المنطقي للأفكار لتشخيص السلوك الجماعى داخل إطاره الاجتماعى ، هذا بالإضافة إلى أن ذلك يتطلب من الأخصائى الفهم الملائم لكل موقف على حدة والذي يمكنه من التعامل معه بفاعلية وفي نفس الوقت الحفاظ على مسئوليته المهنية .

٢- معرفة الأنشطة الجماعية التى من المحتمل أن تهم جماعات معينة ، وهذا لا يعنى أن يكون ملماً بكل المهارات الترويحية أو التعليمية التى يمكن أن تكون مطلوبة ، ولكن عليه أن يكون على إدراك كاف بالبرامج التي تساعد على تنمية مهاراتهم الذاتية ، والتى قد تتطلب قيادة متخصصة إذا احتاج لذلك .

٣-يجب أن يزود أخصائى الجماعة بالمهارة في الاتصال بأفراد الجماعة خصوصاً هؤلاء الذين يحتاجون لمساعدة أكبر من تلك التي يمكن أن توفرها الجماعة لهم ؛ وذلك يتطلب من الأخصائى القدرة على إدراك السلوك غير السوي ، ويكون قادراً كذلك على إدراك الحاجة إلى المساعدة الفردية ، وأن يعرف المصادر المتاحة التي قد يتطلب الأمر الاستعانة بها ، كما تتضمن تلك المهارة قدرة الاخصائى على استقبال المحولين إليه وأن يضع الأفراد في المواقف الجماعية المساعدة لهم . وهو فى هذا يستخدم على نحو واسع تشخيص

الآخرين ، ولكن تطبيق العلاج يكون من خلال أدواته الخاصة المتاحة من خلال البرنامج والعلاقات داخل الجماعة .

٤- يجب على أخصائى الجماعة ضرورة إدراك قيمة وأهمية الجماعات المختلفة كأدوات أساسية في عملية المساعدة المهنية ، حيث إن الخبرات الجماعية المتنوعة لها قيم مختلفة لأفراد معينين أو لأوقات محددة في الحياة .

وهكذا يتضح لنا تعدد المهارات المطلوبة لأخصائى الجماعة ، تلك المهارات التى تستخدم نظاماً خاصاً في الإعداد المهنى لأخصائى العمل مع الجماعات(١) .

كما يتضح مما تقدم حاجة أخصائى الجماعات إلى إعداد عام يتمثل فيما يحصل عليه أخصائيو العمل مع الأفراد والمجتمعات ، وفي ذات الوقت في حاجة إلى إعداد خاص يتعلق بسياق طريقة العمل مع الجماعات بصفة عامة ومن المنظور الإسلامي بصفة خاصة .

## متطلبات الإعداد المهنى لأخصائى الجماعة في المجتمعات الإسلامية :

وعن عملية الإعداد المهنى لأخصائى العمل مع الجماعات في المجتمعات الإسلامية نعرض لأهم العناصر التي يجب أن تتضمنها تلك العملية ومتطلباتها على النحو التالي :

١- الاهتمام باختيار أخصائيي الجماعات بالتأكد من توافر صفات الشخصية المسلمة فيمن يقع عليهم الاختيار ، وإعطاء عناية بالغة لتنمية جوانب هذه الشخصية من خلال برامج الإعداد المهنى .

٢- أن يتضمن النسق المعرفي لإعداد أخصائيي الجماعات الاهتمام بتوجيه مقررات هذا النسق ومحتوياته توجيهاً إسلامياً أو ما اصطلح على تسميته بالتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية(٢).

٣- إعطاء عناية بالغة بتدريب أخصائيي الجماعات على تصميم وتنفيذ البرامج المختلفة الاجتماعية والثقافية والفنية والرياضية والتى تتسق مع الاتجاه الإسلامى .

٤- وحتى تؤتى عملية الإعداد بأبعادها السابق التنويه عنها ينبغى الاهتمام بما يلى :

(أ) الإلمام الواعى لأخصائيي الجماعات بأصول المنهج الإسلامى وبكيفية إعماله في برامج وأنشطة الجماعات المختلفة .

(ب) إكساب أخصائيي خدمة الجماعة المهارة في إعمال القيم الإسلامية مثل العدل والمساواة والصدق والتعاون ...إلخ في ممارستهم المهنية مع الجماعات التى يعملون معها .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجية الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذي تنظمه رابطة الجماعات الإسلامية ، بالتعاون مع جامعة الأزهر ، القاهرة ، إبريل ١٩٩٢ .

(جـ) إكساب أخصائيي العمل مع الجماعات المهارة في استخدام أساليب التربية الإسلامية في العمل مع الجماعات سواء في تصميم البرامج أو تنفيذها أو تقويمها .

٥- إعطاء عناية بالغة – وبصفة مستمرة – بتنمية الجوانب الإسلامية في شخصية أخصائيي العمل مع الجماعات من خلال تنظيم دورات تدريبية – قبل وأثناء العمل – تصمم محتوياتها وأساليبها والخبرات التي تتيحها والمهارات التي توفرها لتدعيم هذه الجوانب .

٦- ومن الطبيعي أن تتجه ممارسات أخصائيي العمل مع الجماعات في ضوء هذا الإعداد إلى الاهتمام بتنمية شخصية أعضاء الجماعات التي يعملون معها من خلال العناية بالجوانب التالية:

(أ) أن تشتمل برامج العمل مع الجماعات على أنشطة من شأنها الحفاظ على فطرة الإنسان وتنميتها في الاتجاه الإسلامي الصحيح .

(ب) العناية بتزويد أعضاء الجماعات بالمعارف والخبرات والمهارات التي تمكنهم من مواجهة المواقف الحياتية المختلفة وفق المنهج الإسلامي .

(ج) التركيز على تنمية الولاء والانتماء لدى أعضاء الجماعات لمجتمعهم الإسلامي وأن يكونوا أعضاء فاعلين في توجيه غيرهم من أعضاء المجتمع للتمسك بالسلوك الإسلامي القويم في كل مناحي حياتهم .

(د) العناية بتقويم سلوك أعضاء الجماعات في الاتجاه الإسلامي الصحيح .

## سمات أخصائي الجماعة المسلم :

بالإضافة إلى الإعداد المهني لأخصائي الجماعات والمتطلبات الضرورية لهذا الإعداد في المجتمعات الإسلامية ، نذكر سمات أخصائي الجماعة المسلم والتي يجب أن يتحلى بها وتمكنه من أداء عمله على أحسن وجه ممكن وهي :

### ١- صلة قوية بالله :

أخصائي العمل مع الجماعات موجه ومرشد ومعين للجماعات التي يعمل معها ، وعليه هو أولاً أن يمتن صلته با لله في يقين وقوة ويجعل إيمانه قائماً على مرضاة ا لله سبحانه وتعالى ، وبذلك يكون كل هدفه أن يعرف أعضاء الجماعة بربهم الخالق ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة .

### ٢- تطابق القول مع العمل :

على أخصائي الجماعة أن يهتم بتعليم نفسه ، وأن يعطي عناية بالغة للتقويم الذاتي وأن يتطابق أداؤه مع أفعاله ، فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالتقدير من مرشد الناس وموجههم ، قال تعالى : ﴿**أتأمرون الناس بالبر**

وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾(١) ومعنى ذلك أن يكون أخصائى الجماعة فى منأى عن التناقض فى القول والعمل ، وأن يحرص على جعل أفعاله مصدقة لأقواله ، وأن يكون قدوة لغيره فى العمل، وأخصائيو الجماعات أحوج الناس إلى هذا الالتزام الأخلاقى حيث إنهم القدوة والمثل الصالح لأعضاء الجماعات .

وأخصائى الجماعة كمسلم وباعتباره موجهاً ومرشداً ملتزم بأن يعمل بعلمه قال تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾(٢).

ومن هنا يجب على أخصائى الجماعة أن يكون نموذجاً للتصرف السليم فى جميع المواقف التى تعترضه سواء فى داخل الجماعة أو خارجها ، فأخصائى الجماعة الذى يحث أعضاء جماعته على الصلاة ، وهو فى نفس الوقت لايؤديها أو يتكاسل عنها يسئ إلى نفسه ومهنته ومجتمعه .

وأخصائى الجماعة الذى يحث أعضاء جماعته على أهمية الالتزام بالمواعيد ، وأهمية الوفاء بها ثم يحضر إلى المؤسسة متأخراً يمحو بتصرف واحد عشرات الأقوال التى صبها فى آذانهم .

مما تقدم يتضح أن القول والعمل لاينبغى أن ينفصل أحدهما عن الآخر ، ولنا فى رسول الله – ﷺ – الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة(٣) .

**٣- العدل في معاملة الأعضاء :**

ينبغى أن يكون أخصائى الجماعة المسلم مثلاً يحتذى في العدالة والنزاهة والكمال . فيجب ألا يقف أخصائى الجماعة موقفاً يرى منه الأعضاء الميل إلى أحدهم دون الآخر لغرض شخصى أو نفسى حتى يمتلكهم جميعاً وألا يضع نفسه موضع نقد لهم .

إن عضو الجماعة يطيع أخصائى الجماعة في كل أوامره إذا كانت مقبولة ومقرونة بإفهامه الأسباب . إنه لايكتفى أن يأمر بل ينبغى أن يصحب الأمر السبب ، وأن يكون هناك حكم ثالث بينهما هو الحق ، والعدالة التي نطالب بها في كل حال من الأحوال .

**٤- الصدق مع الأعضاء :**

الصدق – فوق أنه في حد ذاته سلوك سام وصفة راقية – هو منبع الثقة ، لأن الصادق لايخالف الواقع(٤) والصدق في أخصائى الجماعة الذي يعمل مع الجماعات ضرورة

---

(١) سورة البقرة : آية ٤٤ .

(٢) سورة الصف : آية ٢-٣ .

(٣) أحمد عبد الحميد أبو عرايس : الوجهة الأخلاقية للتربية الإسلامية ، مجلة بحوث ودراسات في العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ص١٠٢ .

(٤) على بن صالح المرشد : مستلزمات الدعوة فى العصر الحاضر ، القاهرة مكتبة لنية للنشر والتوزيع ،١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، ص ٢٢٢ .

ملحة ، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾(٢).

وفي هذا الشأن ينبغي على أخصائي الجماعات أن يقولوا لاندري إذا كانوا لا يدرون وذلك إقرار بالحق ، ورسولنا -ﷺ-وهو القدوةالحسنة حينما سأله جبريل - عليه السلام - عن موعد الساعة أجابه بقوله : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

أخصائي الجماعة التحلي بالالتزام بالحق لايخجل من قول لا أدري ويشعر دائماً بحاجته إلى التزود بالعلم والمعرفة حتى يمكنه مساعدة الجماعة على أحسن وجه ممكن .

**٥- الحلم وسعة الصدر :**

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(٣) فكمال العلم في الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب ، فأخصائي الجماعة يستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هاديء مطمئن القلب لايستفزه الغضب ولايستثيره الحمق ، فتتفر منه القلوب وتشمئز منه النفوس ، فلو كان أخصائي الجماعة سيء الخلق قاسي القلب ، فأغلظ للجماعة التي يعمل معها في القول ، تفرقوا عنه وانصرفوا من حوله ، فعلى أخصائيي الجماعات أن يهتموا بالحلم وسعة الصدر ليصلوا إلى غرضهم ، ولايجعلوا همهم الغضب والانفعال ، لأن ذلك ينفر الأعضاء منهم ويكفي أخصائيو الجماعات أن يتعلموا من توجيهات القرآن الكريم المؤكدة على الحلم وسعة الصدر والعفو حيث قال تعالى : ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾(٤).

**٦- حسن الخلق :**

للأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة جداً تظهر من وجوه كثيرة ، كما أن خلق لإسلام هو حياة المسلم ، وفي النماذج القرآنية وفي النماذج المأخوذة من السنة النبوية عشرات من الجوانب التي يربي الإسلام أتباعه عليها ليحققوا جانب الاستقامة بعد أن يفوا تطلب العقيدة . ومن هذه الجوانب :

الصدق ، قول الحق وشهادة الحق ، الوفاء بالعهد ، مخاطبة الناس بالحسنى ، العدل ، لمساواة ، الشجاعة ، التعفف ، الصبر ، الإيثار والمروءة ، التعاون على البر والتقوى ، عدم يذاء الآخرين أو العدوان عليهم ، الاعتزاز بالإسلام ، تحمل المسئولية الفردية والجماعية رطاعة الوالدين، صلة الأرحام ، التروي والحلم والأناة والرفق والبعد عن الغضب ... إلخ

---

(١) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٧٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٤) سورة النور : آية ٢٢ .

وهذه الجوانب تجدها في النماذج القرآنية ، وتجدها في النماذج التي وردت في السنة المطهرة، كما أن بعضها ورد في القصص ، وبعضها في الأمثال ، وبعضها في المشاهد ، وبعضها في الصفات التي امتدحها الإسلام لنقتدى بها أو التي شجبها لنبتعد عنها ، كما أن بعضها قد وصف لفظياً والبعض الآخر قد تم عملياً[1] .

كما عرف الدين بحسن الخلق فقد جاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبى -ﷺ- فقال يا رسول الله : ما الدين ؟ فقال الرسول -ﷺ- : «حسن الخلق»[2] .

فحسن الخلق كلمة يندرج تحتها الكثير من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم ، ففى كمالها كمال الإيمان ، وفي نقصانها نقصان الإيمان[3] ولا أدل على ذلك من الثناء على رسول الله محمد -ﷺ- بأنه على خلق عظيم ، حيث يقول عزوجل : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[4] .

وهذا يعنى أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لايقوم الدين بدونه ، ومن أكثر مايرجح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق .

مما تقدم يتضح أهمية حسن الخلق وأهمية أن يتحلى به أخصائى الجماعة وضرورة أن يضع الأعضاء موضع التقدير والاحترام ويعمل على مساعدتهم دون تكبر منه أو تعال، وعليه أن يكون قدوة عملية في سيرته ومنهجه وخلقه وكلامه وهيئته ليكون نموذجاً رائعاً يقتدى به ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

## الأساليب الإسلامية التي يمكن اتباعها في خدمة الجماعة لتنمية الشخصية الإسلامية:

الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ، فطرة خيرة وطبيعة زكية ، ولذا فإن تربية الفطرة الإنسانية والعناية بها وتوجيهها يجعلها صالحة نقية خيرة ، قادرة على الصمود أمام تيارات الفساد . وإذا أهملت الفطرة من التربية والعناية والرعاية تغلبت عليها عوامل الخبث والشر فوجهتها نحو الجريمة والسلوك المشين قولاً وعملاً .

---

(١) محمد محروس الشناوى : التصوير الإسلامى لنماذج السلوك البشرى - مجلة بحوث ودراسات في العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، العدد الثامن ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٣٥٦- ٣٥٩ .

(٢) على بن صالح المرشد : مصدر سابق ، ص٢٣١ .

(٣) توفيق الراعى : الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الوسيلة ، الهدف ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط ١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص٣٦٣ .

(٤) سورة القلم : آية ٤ .

يقول الله عز وجل : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾(١).

وقد تضمن المنهج الإسلامى العديد من الأساليب التى تساعد الأفراد على تعلم وتبيان ماجاء به سواء في جانب العقيدة أو العبادات أو المعاملات أو غيرها من جوانب حياة الإنسان وعلاقاته ، وكذلك على تغيير سلوكهم إلى السلوك القويم الأصلح .

وفى ضوء ما تقدم ينبغى أن يعطى أخصائيو العمل مع الجماعات جل عنايتهم لاختيار المنهج الملائم والأساليب المتسقة مع هذا المنهج بحيث يتجه المنهج وأساليبه المنتقاة إلى العناية بالفطرة الأصلية للإنسان وكيفية توجيهها الوجهة الصحيحة التي ترتقى وتسمو بالذات الإسلامية من جوانبها المختلفة الاجتماعية والجسمية والنفسية والعقلية والروحية .

ومن الأساليب التي يمكن أن يكون لها إسهامها في تنمية الذات الإنسانية وتنمية الشخصية الإسلامية ما يلى :

**١- أسلوب القدوة الصالحة(٢) :**

لقد فطر الناس على الحاجة للقوة ، والبحث عن الأسوة لتكون لهم نبراساً يضىء سبيل الحق ، ومثالاً حياً يبين لهم حقيقة المنهج وكيفية تطبيقه . لذلك بعث الله محمداً - ﷺ - ليكون قدوة للناس ، ويحقق المنهج الإسلامى .

فمن الثابت أن رسول الله - ﷺ - كان خلقه القرآن(٣) وكان بدعائه وسلوكه يتأول القرآن الكريم (يطبق معانيه) ويأمر أصحابه بذلك ، وكان الصحابة لا يجاوزون قراءة السورة حتى يفهموا معانيها ويعملوا بما فيها . وهكذا ربى القرآن نفس الرسول - ﷺ - وأصحابه ومن تبعهم بكل مافي الكلمة من معنى ، فعدّل سلوكهم ، وصحح مفاهيمهم وحددمثلهم العليا ، وقادهم بدافع من أعماق نفوسهم ، حتى فتحوا أكبر الممالك وغيروا نظام الحياة فيها ، وقادوا شعوب العالم ، وأخذوا بزمام الثقافة العالمية ، ورفعوا راية الحضارة الإسلامية .

فالقدوة واقع حي يلمسه أفراد المجتمع ، وهي تدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول ، لذا فإن تأثير القدوة أبلغ وأكثر من مجرد التربية والتعليم بالمقال فقط .

---

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٢) نبيل السمالوطى : بناء المجتمع الإسلامى ونظمه ، ط١ ، دار الشروق ، جدة ، السعودية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ص١٣٧-١٣٨ .

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن عائشة - انظر صحيح الجامع الصغير للألبانى ، رقم ٤٦٧٨ ، ج ٤ ، ص٢٣٨ نشر المكتب الإسلامى بيروت .

وبما أن القدوة الحسنة إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي فقد اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء المجتمع الصالح ، وترقيته في سلم الكمال السلوكي(١).

ومما يدل على أهمية القدوة أنها تعتبر من أهم المؤثرات التي تؤثر في الإنسان فالقدوة بإمكانها أن تبني مجتمعاً صالحاً إن كانت خيرة ، وكذلك قد تهدمه إن كانت شريرة .

فأسلوب القدوة الصالحة .. النموذج الأمثل .. وخير أسوة في التربية الإسلامية هو محمد -ﷺ- إذ يقول الله تعالى : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾(٢) ، ويتجلى في هذا الأسلوب دور أخصائيي الجماعات ، مما يحتم إجراء عملية انتقاء للقدوة حسب معايير التربية الإسلامية وفلسفتها وأهدافها . حيث يتم عن طريق التقليد والمحاكاة انتقال الصفات إلى أعضاء الجماعات حيث إن القدوة الحسنة ذات الفضائل الخلقية الرفيعة تكون لدى أفراد المجتمع ممن حولها الاقتناع الكامل بأن الوصول إلى هذه الفضائل والتحلي بها ممكن وغير مستحيل ، والإنسان مفطور على المحاكاة والتقليد ، وهذا مما يسهل عليه اكتساب الفضائل والسلوك الإسلامي إذا جعل أمام عينيه قدوة حسنة يقتدي بها .

إن أخصائيي العمل مع الجماعات أحوج مايكونون إلى الالتزام الأخلاقي حيث أنه يمثل القدوة الحسنة ، والمثل الذي يحتذيه أعضاء الجماعة .

**٢- أسلوب التوجيه والإرشاد :**

يحفل القرآن الكريم بالعديد من المواعظ والتوجيهات الكريمة والتي لها دورها في تنمية وتربية شخصية الإنسان ، وتعميق المفاهيم وترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية .

ويجب على أخصائيي الجماعات أن يستمروا في توجيه العطاء في كل موقف وحسب طبيعة الموقف . حيث يتسم هذا التوجيه بالواقعية وبذلك يكون نوعاً من الدعوة غير المباشرة ، وفي هذه الحالة يكون تأثيره أقوى وأثبت .

كما يجب أن تتسم التوجيهات والإرشادات التي يسديها أخصائي الجماعة للأعضاء بالأسلوب الحسن والبعد عن الجفاف مع إشعار الأعضاء أن الأخصائي حريص على صالحهم .

يقول تعالى : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾(٣) .

---

(١) عبد الرحمن الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط١، ١٤٠٠هـ ، ص٧٧ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٣) سورة النحل : آية ١٢٥ .

٣- أسلوب الترغيب والترهيب :

يعتمد الإسلام في صياغة الشخصية الإسلامية وتنميتها معرفياً وعقلياً ونفسياًعلى أسلوب الثواب والعقاب،ويميل الإنسان إلى الخبرات والسلوك الذي يقترن بخبرات سارة(١) .

ويعتمد على التشجيع بذكر مايقوم به العضو في مختلف مراحل نموه من أعمال حسنة، ومدحها أمام الآخرين والثناء عليها سواء كانت إنجازاً عملياً أو أخلاقاً طيبة أو تصرفات حسنة ، ويستخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب حيث يحرص باستمرار على تأكيد أن هناك نتائج إيجابية للإيمان ومراقبة الله والتحلي بالقيم الإسلامية . وهناك نتائج سلبية سيئة للانحراف عن العقيدة سواء في الدنيا أو الآخرة ، يقول تعالى : ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم**﴾(٢) .

والترهيب يعني التحذير من التقصير وقد يعتمد على أساليب منها التوبيخ والتأديب، ويوصي علماء التربية المسلمين وغيرهم أن يتم ذلك على انفراد ، وبمعالجة تحفظ ماء الوجه ، حتى لايتعود على الوقاحة إذا تم توبيخه بحضور الآخرين .

وأخصائيو الجماعات أثناء عملهم مع الجماعات يقومون بوضع الحدود للسلوك غير المقبول رغم حبهم للأعضاء ومساعدتهم على التحصيل(٣) ، ولكن يجب عليهم أن يلتزموا بالإطار الأخلاقي للإسلام في وضع هذه الحدود حتى تأتي عملية المساعدة بهدفها المنشود من غرس القيم والاتجاهات الإيجابية في نفوس الأعضاء وتوجيه سلوكهم الوجهة الطيبة .

٤- أسلوب المحاولة والخطأ :

أخصائي الجماعة الناجح هو الذي يستخدم أسلوب المحاولة والخطأ أثناء عمله مع الجماعة حيث إن الفرد يميل إلى تكرار السلوك الذي يصاحبه أو يتبعه ثواب ، كما ينزع إلى التخلي عن السلوك الذي يصاحبه أو يتبعه عقاب ، فالاستجابة الناجحة تقترن بحالة من الرضا والارتياح، الأمر الذي يقوي الروابط بين المثير والاستجابة الناجحة والعكس صحيح .

إن الرسول -ﷺ- استخدم أسلوب التجربة والخطأ في تعليم أصحابه عليهم الرضا من الله ، ذلك أنه - عليه السلام- كان يراقبهم برهة وهم يطبقون تعاليم الإسلام ثم

---

(١) وليد شلاش نايف : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م ، ص ص١٣٨- ١٣٩ .

(٢) سورة فصلت : آية ٣٠-٣٢ .

(٣) انظر محمد شمس الدين أحمد : مصدر سابق ، في طريقة العمل مع الجماعات ، ص ص٣٩-٥١ .

يصحح لهم أخطاءهم ، حتى تعلموا بالممارسة والتجربة الذاتية ، وكان في هذا يطبق مبدأ من مبادئ التعلم وهو التعلم بالعمل ، ومن أهم الأمثلة حديث المسئ صلاته الذي أخطأ عدة مرات في الصلاة وهو يصلى أمام الرسول – عليه الصلاة والسلام– ، وبعد عدة مرات اشتاق إلى التعلم فأرشده – عليه الصلاة والسلام – فتعلم الصحابى واستفاد من خطئه ومن إرشاد النبى – عليه السلام– له .

**٥-أسلوب القصة :**

تؤدي القصة من خلال مضامينها التربوية دوراً في غرس الإيمان والقيم والاتجاهات والميول المطلوبة في نفس الفرد . ويراعى القرآن الكريم هذا الميل الطبيعى لدى الإنسان إلى القصة ، فيقدم العديد من القصص المحتوية على مضامين إيمانية تربوية عميقة كأسلوب فعال في تربية المسلمين ، فالقصص القرآنى لايقف عند عرض الأحداث وإنما ينتهى إلى وضع قيمة بنائية تعليمية توجيهية يستفيد منها الفرد والجماعة والمجتمع في كل وقت .

وقد استخدم القرآن في أغراضه الدينية البحتة ، كل أنواع القصة(1) .

القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية فيستوى أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأى شخص يتمثل فيه ذلك النموذج ، والقصة المضروبة للتمثيل والتي لاتمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وفي أي عصر من العصور .

من النوع الأول ، كل قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من هذا الكذب ، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر : موسى وفرعون ، عيسى وبنى إسرائيل ، صالح وثمود ، هود وعاد ، شعيب ومدين ، لوط وقريته، نوح وقومه ...آلخ .

ومن النوع الثانى قصة ابنى آدم :

قال تعالى : ﴿**واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**﴾(2) .

وقال تعالى : ﴿**واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً**﴾(3).

---

(1) محمد قطب : منهج الفن الإسلامى ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ص١٥٦-١٥٨ .

(2) سورة المائدة : آية ٢٧ .

(3) سورة الكهف : آية ٣٢ .

ومن أمثلة القصص التي أوردها القرآن : قصص آدم ، نوح ، موسى ، يوسف ، عيسى ، ابنى آدم عليهم جميعاً السلام ، ويمكن تلخيص الجوانب التي يركز عليها القصص القرآني فيما يلي[1] :

- الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان .
- الدعوة إلى الإصلاح ونبذ الأخلاق الفاسدة .
- بيان عاقبة المؤمنين الذين آمنوا بالله وبما أرسل به رسلهم من نصر وفوز .
- بيان عاقبة المكذبين من هلاك وعذاب .
- بيان معجزات الله التي خص بها رسله .
- بيان قدرة الله على البعث .
- بيان عاقبة كفر النعمة والغرور .

مما تقدم يجب على أخصائى الجماعات أن يوظفوا القصة في القرآن الكريم لخدمة أهداف دينية من أجل توجيه أعضاء الجماعات ، وأن يعى أخصائيو الجماعات أن القرآن الكريم ليس كتاب قصص ، غير أن إعجاز بلاغة القرآن الكريم ودقة الأداء وفنية التعبير ، جعل القصص القرآني الذي يحتوى على مضامين دينية وتربوية طليقة بليغة من المنظور الفنى.

وهذا يشير إلى إمكانية استخدام أخصائى الجماعات القصص القرآنى كأسلوب في صياغة وتنمية الشخصية المسلمة بشرط نقاء مضمونها واتفاقه مع مبادئ الإسلام .

**٦- أسلوب الحوار والنقاش :**

ينظرْ الإسلام إلى الإنسان على أنه أفضل المخلوقات عند الله ، وبالتالى فهو كائن حي له حرية الاجتماع بالآخرين ، ويرى أن في اجتماع الناس خيراً كثيراً على أن يكون ذلك موجهاً للخير ، وأن يكون ذلك من خلال حرية الرأي والفكر والحوار البناء[2] .

إن التفاعل في الاتصال بين أفراد الجماعة النقاشية بشأن موضوع معين يعتبر عصب المناقشة الحيوية الذي يدل على نشاط الجماعة وحيويتها مما يحقق لإدارة المناقشة الوصول إلى الهدف المطلوب منها .

كما أن الاشتراك فى المناقشة يقوم على اقتناع من الفرد عضو الجماعة بأن هناك ضرورة لمشاركته ، و لم تفرض عليه من قبل فرد أو جماعة دفعته إلى المشاركة في ذلك التزاماً

---

(١) انظر محمد محروس الشناوى : مصدر سابق ، ص ص ٣٥٦ -٣٥٩ .

(٢) انظر : مصطفى حسان : المناقشة الجماعية من المنظور الإسلامى ، المؤتمر الدولى التاسع للإحصاءات والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية ، ١٩٨٤ .

يقول الله تعالى : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[1] . إذا كان ذلك في أمور الدين فما بالك بأمور الحياة العادية التي ترتبط برأى الفرد وظروفه الخاصة .

والشورى في المناقشة والحوار مطلوبة ، وتعنى المشاركة في المشورة إيجابية عضو الجماعة بأن يدلى برأيه مسترشداً في ذلك بأمور دعا إليها الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول : «الدين النصيحة» كما يقول عليه السلام «الدال على الخير كفاعله» .

والأمر بالشورى في المناقشة الجماعية ليس مقصوراً على طرح القضية على بساط الشورى فحسب بل لابد من تحقيق معنى الشورى وأسلوب اتخاذ القرار النهائى أيضاً .

كذلك من الأمور المطلوبة في الشورى التدخل بالحديث وإبداء الرأى بعد التمكن من الرأي ، ولا يتدخل الفرد دون علم حتى يكون للمناقشة قيمة وللمشورة نتائج طيبة وإيجابية ويكون حديثه إضافة جديدة ، ولاشك أن الشورى بين الأعضاء تؤدي إلى الإحساس بالمسئولية والالتزام بمعايير الجماعة الأمر الذى يؤدى إلى نمو الجماعة وأعضائها .

ومما يُسمى المناقشة في الإسلام إيجابية العضو في التفاعل مع الآخرين ويكون الحديث بالقدر المناسب عند استخدام المناقشة كوسيلة في تفاعل الجماعة وأعضائها لزيادة نموهم ، حيث ينظر الإسلام للمناقشة على أنها أداة مهمة وعلى أن الحوار وسيلة ، وليس غاية في حد ذاته لذلك يهتم الإسلام بأسلوب الحوار فيقول الله تعالى : ﴿وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾[2] .

ويقول تعالى :﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾[3]. لذلك ينظر الإسلام للكلمة على أنها مسئولية لاتلقى دون اعتبار بل لها هدف ونتيجة ، كما أن الصمت هنا له حكمة وضرورة ، وأن صمت عضو الجماعة يمكنه من فهم مايقال ، وبالتالى يستطيع أن يتابع ويستفيد من المناقشة ، وليس معنى ذلك أن يصمت عضو الجماعة الواعى إيثاراً للسلامة وتجنباً للخطأ وعدم الوقوع في المحظور ، ولكن يجب أن يكون صمته صمت الواعى الذى يبادر للحديث عندما يري أن له دوراً في ذلك .

كما ينهى الإسلام عن التقليد واتباع الهوى في إصدار الأحكام في المناقشة ، ويحرص على الموضوعية في الحديث والبعد عن الثرثرة أو الجدل العقيم .

### ٧- أسلوب استخدام الواقع فى الوقت الحاضر :

أخصائى الجماعة الناجح هو الذى يستثمر الأحداث والمواقف المختلفة المتنوعة لتوجيه الأعضاء ومساعدتهم على اكتساب الكثير من الخبرات الجماعية الحياتية . وسبحانه عزوجل

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٢ .

يعلم المؤمنين أخطاءهم خلال المواقف الفعلية الواقعية حتى يتخلصوا منها ، ويتحقق لهم النصر والغلبة والعزة ، يقول تعالى : ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾(١) .

**٨- أسلوب استثمار وقت الترويح :**

الإسلام شأنه شأن كل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بل إن الإسلام كان رائداً في اهتمامه وحثه على استثمار أوقات ترويح الأفراد ولكن في إطار مراعاة المبادئ والمثل والقيم الأخلاقية التي تسهم في بناء وتكوين الشخصية المسلمة الصالحة .

والدين الإسلامي دين يعمل على رفع المستوى الخلقي في الإنسان دون أن يعطل فطرته أو يدمر ميوله أو يدفن مواهبه . بل هو حريص على إيقاظ الفطرة بما لا يخل بالسلوك الإنسانى الفاضل الذى يدعو إليه الإسلام ، ويتحرى إشباع الميول والرغبات بما لايؤدى إلى خلل في الوظائف العضوية ، وينمى المواهب بالشكل الذي يعود على الفرد والمجتمع بأعظم النتائج .

ومن منطلقات استثمار وقت الترويح في الإسلام أنها تقوم على قاعدتين أساسيتين هما الواقعية والشمول(٢) ، فواقعية الإسلام أنه دين واقعي أي أنه يعيش واقع الإنسان بكل ظروفه وملابساته ، وذلك جزء من نظرة هذا الدين العظيم إلى الإنسان والكون والحياة ، كما أن الواقعية هنا ليس معناها أن يطوع الإسلام مبادئه لتوافق الحياة على أي لون أو لتساير الواقع على أي شكل، أما عن نظرة الإسلام الشمولية للإنسان فقد أحاط الإسلام الإنسان بتشريعاته من جميع جوانبه ، ونفذ إلى أغوار طبيعته وخصائصه دون أن يغفل ناحية أو يهملها لحساب أخرى ، جسمه، روحه ، عواطفه ، غرائزه ، أفكاره ، ووجدانه ، وذلك ناشئ أساساً مما اختص الله به هذا الدين من صفة الشمول التى امتدت حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾(٣). ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾(٤). والشخصية الإسلامية تجد في إيمانها وصلتها بالله راحة وطمأنينة ومرفأ فى خضم مصاعب الحياة يجب فهمه وعدم الاستهانة به إذا أحسنا تربية وتوجيه الأعضاء .

---

(١) سورة التوبة : آية ٢٥ .

(٢) انظر جمعة على الخولى : فلسفة الترويح في الإسلام ، بحث مقدم إلى ندوة الترويح في المجتمع الإسلامى ، جدة، السعودية ، ١٤٠٣هـ ، ص ص ٦٥-٦٧ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٣٨ .

(٤) سورة النحل : آية ٨٩ .

ولذلك كان استثمار وقت الترويح من خلال النشاطات الروحية كأساس ومنطلق في تنشئة الأجيال المسلمة له أهميته في توجيه حياة المسلم .

مما تقدم يجب على أخصائيي الجماعات أن يتبعوا أسلوب استثمار وقت الترويح بحيث يكون فعالاً في جوانب الشخصية المختلفة الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية بما يضفى عليها من ألوان البهجة والسرور ، على أن تكون الأنشطة المستخدمة في أوقات الترويح لها التأثير الإيجابي والموجه في تنمية جوانب الشخصية الإسلامية بأبعادها المختلفة .

**مقترح لبرنامج في العمل مع الجماعات لتنمية الشخصية الإسلامية :**

**الهدف من البرنامج المقترح :**

الهدف الرئيسي من البرنامج المقترح هو إعداد وتنمية الشخصية الإسلامية لأعضاء الجماعات الذى يهدف بالضرورة إلى الخروج بتصور واضح للشخصية الإسلامية الفردية والجماعية المراد بناؤها وتنميتها ، وهذا الهدف العام يمكن أن يتحقق من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف الفرعية التالية :

١- تكوين عضو الجماعة الذي يؤمن با لله تعالى خالق الكون والحياة ومدبر أمرها وحده فلا يعبد أحداً إلا هو ، ولا يتجه ولايلجأ لأحد إلا إليه .

٢- تكوين عضو الجماعة الذي يؤمن باليوم الآخر ، ومافيه من حساب وثواب وبرسل ا لله وأنبيائه وملائكته وكتبه وبالقدر خيره وشره .

٣- تكوين عضو الجماعة المفعم قلبه بحب ا لله ورسوله ودينه .

٤- تكوين عضو الجماعة المتحلي بالقيم والأخلاق والعواطف الروحية والإنسانية المستمدة من الدين .

٥- تكوين عضو الجماعة الذي يهتم بشئون المسلمين ويود لهم الخير ويخدم مصالحهم ويسعى لإصلاح أحوالهم .

٦- تكوين عضو الجماعة الواعى بثقافته الإسلامية الواسعة وبغاياتها الروحية والإنسانية والمعتز بتراثه الإسلامى .

٧- تكوين عضو الجماعة المحصن بنور الإيمان وخشية ا لله والخوف منه .

**خصائص البرنامج المقترح :**

المنهج الإسلامى يتميز بخصائص معينة لاتتميز بها المناهج الأخرى مما جعله أفضل المناهج في إعداد وتنمية الشخصية الإسلامية ، وأهم خصائص هذا المنهج التى يسعى البرنامج المقترح إلى تحقيقها ما يلى :

**١- الشمول والتكامل :**

فالمنهج الإسلامي هو منهج رباني يسعى إلى تكوين الإنسان الصالح ، كما أنـه يهتم بجميع جوانب الإنسان الجسمية والروحية والعقلية والاجتماعية ، فليس هناك منهج أشمل من هذا المنهج.

البرنامج المقترح يسترشد ويستفيد من شمولية وتكاملية المنهج الإسلامي واهتمامه بجميع جوانب الإنسان حتى يستطيع تنمية وإعداد الشخصية الإسلامية .

**٢- التوازن :**

فالمنهج الإسلامي يوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح ، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته(١). والبرنامج المقترح يسعى إلى تحقيق هذا التوازن بحيث يشمل جميع جوانب الإنسان .

**٣- الإيجابية :**

من نتائج المزج بين طاقات الإنسان كلها وربطها بعضها ببعض ، أن يتحول المخلوق البشرى إلى طاقة إيجابية عاملة في واقع الحياة(٢) ، والبرنامج المقترح يعمل على توجيه طاقات الأعضاء في مساراتها الصحيحة كالجهاد والإنتاج والبناء والاستمتاع المشروع وهدم الباطل ، وهذا يعني تصريفها فيما يرضى الله سبحانه وتعالى .

**٤- الواقعية :**

الإسلام يأخذ الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه ، يعرف حدود طاقاته ويعرف مطالبه وضروراته ، ويقدر هذه وتلك ، ومعنى هذا واقعية تشمل المثالية في طياتها ، ومثالية لا تغفل واقع الحياة ، والبرنامج المقترح في هذا الإطار يستخدم الواقع في الوقت الحاضر أي البدء مع الجماعة من حيث اللحظة الموجودة فيها ، ويكون البرنامج في حدود قدرات وطاقات الأعضاء فلا هو أعلى منهم فلا يستطيعون تنفيذه ولا هو أقل منهم فتفتر عزيمتهم .

**مبادئ البرنامج المقترح :**

١- الاهتمام بغرس القيم الروحية والخلقية في نفوس الجماعة .

٢- أهمية القدوة الحسنة لأعضاء الجماعات .

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص٢٨

(٢) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ص٣٢-٣٤ .

٣- الاهتمام والالتزام بالمبادئ والمثل والتعاليم الإسلامية بشكل تكاملي في تصميم وتنفيذ البرامج المختلفة للجماعات .

ومن أبرز هذه المبادئ التي يتعين الاهتمام بها في الممارسة المهنية في العمل مع الجماعات ما يلي :

أ- ترسيخ مبدأ الشورى فكراً وممارسة لما له من فائدة في مساعدة الجماعة على توفير الفرص العادلة أمام الجميع .

ب- إتاحة هامش من الحرية لأعضاء الجماعات يتسق والمرحلة العمرية لأعضائها ولمستوى وعي ونضج هؤلاء الأعضاء .

جـ- تصميم برامج من شأنها إتاحة الفرص للتفاعلات الإيجابية الموجهة بين أعضاء الجماعات .

د- العناية بتصميم وتنفيذ برامج من شأنها تحقيق التنمية الفردية لعضو الجماعة في إطار التنمية الجماعية كوحدة واحدة وبشكل متسق ومتوازن .

**أساليب البرنامج المقترح :**

يجب على أخصائيي الجماعات أن يهتموا باختيار المنهج الملائم والأساليب المتسقة مع هذا المنهج بحيث يتجه المنهج وأساليبه المنتقاة إلى العناية بإعداد وتنمية الشخصية الإسلامية من جوانبها المختلفة : الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والاجتماعية ، ومن الأساليب التي يمكن أن يكون لها إسهامها في ذلك ما يلي :

١- القدوة الصالحة .

٢- التوجيه والموعظة الحسنة .

٣- الترغيب والترهيب .

٤- القصص القرآني .

٥- النقاش والحوار .

٦- استثمار الأحداث والظروف والمواقف الحالية .

٧- المحاولة والخطأ .

٨- توجيه طاقات الإنسان في مساراتها الصحيحة .

٩- استثمار وقت الترويح .

وقد سبق توضيح تلك الأساليب ودورها في تنمية الشخصية الإسلامية في الجزء الخاص بالأساليب التي يمكن اتباعها في خدمة الجماعة .

**محتويات البرنامج المقترح :**

لاشك أن أي هدف منشود يحتاج إلى عوامل تتضافر جميعاً لتحقيقه ، وهذا يتطلب الاستفادة القصوى من الإمكانيات المتاحة عبر برنامج مدروس ومعروف .

والهدف العام يمكن أن يترجم بواسطة برامج روحية ، فكرية ، ثقافية ، جسمية ورياضية ، سلوكية ، عبادية ، ترفيهية ، ترويحية .

**١- برامج روحية :**

إن الجانب الروحي في الإنسان هو أساس وجوده ، وبه تتحقق إنسانيته ، وبقدر سمو هذا الجانب يكون استعلاء الإنسان على غرائزه ، وارتقاؤه على نفسه التي تأمره بالسوء والفحشاء ، وتحكمه في نزعاته ، فالعناية بهذا الجانب في الإنسان هو هدف الإسلام الأسمى، فطاقة الروح من أكبر طاقات الإنسان التي لها أثر كبير على سلوكه[1] .

من أجل هذا فقد عنى الإسلام بتربيتها بطرق متميزة ، وذلك بعقد الصلة الدائمة بين الجانب الروحي من الإنسان وبين الله – سبحانه وتعالى – في كل لحظة وفي كل عمل يقوم به الإنسان في حدود إمكاناته وطاقاته ، قال تعالى : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[2] .

والإسلام من مهماته الرئيسية بناء وتطوير الجانب الروحي من الإنسان ، فحين يجتمع الروح والعقل السليمان المستقيمان في توجيه الإنسان فإنه يتكامل بناؤه ويصبح لبنة صالحة في كيان المجتمع المسلم .

ومهمة بناء الجانب الروحي في الإنسان من أعسر الواجبات وأكثرها مشقة ، فهو يحتاج لمجاهدة متواصلة ، وعندما نريد بناء هذا الجانب المهم لابد أن نلتزم نهج الرسول – ﷺ – القويم في تكوين الفرد المسلم ، والبدء مع الإنسان وهو صغير بما يتصل بالعقيدة الإسلامية من الإيمان بالله ، وربط قلبه بهذا الإله القادر العظيم .

وبهذا الأسلوب يمكن إيجاد الوازع الديني في قلبه ، وهذا كفيل بإيجاد المسلم المستقيم على طاعة الله .

ويتضح بعد ذلك أن الجانب الروحي هو الجانب الأساسي في العمل الإسلامي ، وبصلاح هذا الجانب الذي يتصل بالعقيدة يصلح المسلم ، وبالتالي مجتمع المسلمين ، لذا فإن العناية بهذا الجانب – في رأينا – من أهم الجوانب التي يجب أن تعمل خدمة الجماعة على تحقيقه لتنمية الشخصية الإسلامية للأعضاء ، ويتم ذلك بالطرق التالية :

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، ص٤٠ .

(٢) سورة التغابن : آية ١٦ .

- تلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره .

- الحرص على صلاة الجماعة في كل الأوقات ، وقيام الليل ، وذكر الله تعالى تأكيداً وعملاً بالآيات الكريمة ، قال تعالى : ﴿**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلا، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**﴾(١) .

- الالتزام بتعاليم الإسلام في السلوك العام وتوفير القدوة الإسلامية الصالحة .

- التناصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

- التذكير بالسنن العملية والأذكار المستحبة في المناسبات المختلفة ، وأداؤها في أكثر من مناسبة حتى تتشربها النفوس ، وتتعود على أدائها في حياتها الخاصة ، ومن أمثلة ذلك : (الأدعية المأثورة المستحب ترديدها في اليوم والليلة ، كدعاء الاستيقاظ من النوم ، دعاء لبس الثوب وخلعه، دعاء الخروج من المنزل ودخوله ، دعاء المشي إلى المسجد ودخوله والخروج منه ، دعاء التخلى ، دعاء الوضوء والغسل والآذان ، دعاء الطعام ، دعاء التهجد والأرق والرؤيا ، ختام الصلاة ، ختام المجلس ، دعاء الاستخارة الشرعية ، صلاة الحاجة ، دعاء السفر ، أدعية الزواج والأولاد ، أدعية السلام والتحية ، أدعية عوارض الحياة ، أدعية المرض والوفاة) .

**٢- برامج فكرية وثقافية :.**

يريد الإسلام من كل فرد مسلم أن تكون له شخصية متميزة ، ويعيش حياة مستقلة، لا أن يذوب في غيره ويصبح إمعة ، يزول عقله بجانب من يقلده ، وعليه أن يستعين بإرادته ، ويرتفع فوق مستوى التأثير بالهوى ، أو بأي عامل من العوامل التي من شأنها أن تعطل العقل وتبعده عن التفكير السوي وبذلك تتأسس لدى الفرد ملكة التفكير وموهبة البحث ، والاستقصاء والمتابعة .

فالاهتمام بثقافة وأفكار عضو الجماعة المسلم يعتبر بمثابة الدواء والوقاية من التحديات الفكرية العديدة التي تكيد للإسلام وللمسلمين ، فالمبادئ المعروضة في سوق الأفكار كثيرة ، والاتجاهات الاجتماعية والفكرية والسياسية أكثر من أن تحصى .. لذلك فإن ترشيد مسيرة أعضاء الجماعات بتحصينهم بالفكر الإسلامي الصحيح وحمايتهم من التيارات الهدامة من النشاطات المهمة التي يجب أن يشتمل عليها برنامج خدمة الجماعة ، وذلك من خلال المكتبة الإسلامية والمحاضرات الموجهة والمدروسة ، والطرق إلى ذلك كثيرة ومتعددة .

كما تتعدد البرامج الثقافية والفكرية التي يستعين بها أخصائي الجماعة خصوصاً تلك التي أقرتها الشريعة الإسلامية مثل القصص والمساجلات الشعرية وإلقاء الشعر والمناظرات

---

(١) سورة المزمل : آية ١-٤ .

والندوات والمحاضرات والمناقشات والألعاب الذهنية ومجلات الحائط واجتماعات البحث وغير ذلك من الأنشطة التي تسهم في صقل خبرات ومهارات الأعضاء وإعدادهم ليكونوا أعضاء صالحين لأسرهم ولمجتمعهم ، وفيما يلي تأثير تلك الأنشطة الثقافية والفكرية في شخصية عضو الجماعة المسلم :

- زيادة البصيرة لدى الأعضاء .
- تدريب الأعضاء على التفكير المنطقي السليم .
- تنمية القدرة على الإقناع .
- تدريب الأعضاء على المناقشة الواعية المقنعة .
- مساعدة الأعضاء على استخدام ما لديهم من قدرة على التصور والتخيل استخداماً نافعاً يعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة .
- التدريب على الخطابة .
- كيفية كتابة الآيات والأحاديث .

**٣- برامج جسمية ورياضية :**

عندما ننظر إلى المنهج الإسلامي نجده قد اهتم ببناء الإنسان من الناحية الخلقية ، كاهتمامه بالناحية الخلقية ، ليتكون بذلك الفرد المسلم الذي يجمع بين قوة البدن ، وقوة العقل والروح ، وذلك لما للجسم من أهمية في القيام بالأعمال الإسلامية التي تتطلب سلامته . وقد أشاد القرآن الكريم ببسطة الجسم ، واعتبرها نعمة من نعم الله[1] قال تعالى :﴿**قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم**﴾[2] .

فالإسلام يحث على تقوية الجسم ، ويريد من كل فرد أن يكون قوياً في جسمه ، بجانب قوة روحه وعقله ، يقول الرسول - ﷺ - : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[3] .

إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت ما يساعد على بناء الفرد المسلم جسمياً ، إذ لم تقتصر فقط على بناء الجانب الروحي منه ، وعندما نبحث عن سبب اهتمام الإسلام بهذا

---

(١) انظر محمد بيصار : العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ ، ط٢، ص٧٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٤٧ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص٢١٥ ، وانظر سنن ابن ماجة باب الزهد .

الجانب نجد أن الجسم إذا قوي يكون أقدر على أداء الواجبات الدينية والدنيوية ، فعبادة الله سبحانه وتعالى تحتاج إلى جهد وطاقة جسمية ، والإسلام بتشريعاته ليس فيه ما يضعف الجسم ، بل نجد التخفيف في بعض التشريعات ، وذلك من أجل صحة الجسم .

ومن هنا كان لجسم الإنسان عليه حق ، فينبغي والحالة هذه الاهتمام بكل ما من شأنه تقوية الجسم والحفاظ على صحته في هذه الحياة والابتعاد عن كل ما يرهقه .

وبما أن الرياضة هي أسلوب تربية الجسم السليم المعافي ، بالإضافة إلى أنها وسيلة لإيجاد التعاون والاحتكاك المباشر في جو ودي إسلامي مثالي والأمثلة كثيرة على تأكيد الإسلام على أهمية ممارسة الإنسان للأنشطة الرياضية المختلفة ، لما لها من تأثير في إعداد المؤمن القوي ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾(1) .ومن أمثلة هذه الرياضات :

- اللعب بالكرة (قدم – طائرة – سلة) .
- ألعاب الجرى (مسابقات العدو) .
- ألعاب الماء والسباحة .
- ركوب الخيل .
- الرماية والكراتيه .
- لعبة الجودو .. إلخ .

والبرامج الجسمية والرياضية تسهم في تنمية شخصيات الأعضاء الممارسين لها مع مراعاة التقيد بقواعد الشريعة الإسلامية فهي تعمل على :

- التعبير عما في نفوس الأعضاء وتدريبهم على ضوابط النفس .
- النمو الجسمي والعقلي .
- إعلاء الكثير من سلوك العضو ونزعاته غير المرغوب فيها .
- توثيق أواصر العلاقات بين العضو وقرنائه الآخرين .

وهناك ألعاب شعبية محلية كثيرة يمكن ممارستها ويترك اختيار المناسب منها لطبيعة وظروف البرنامج .

### ٤- برامج سلوكية وعبادية :

لاشك أن الجانب السلوكي والعبادي من أهم عناصر الشخصية المتكاملة التى تؤدي إلى الترابط الاجتماعى بين الجماعات ، لذلك يجب أن يوضع الأعضاء المشاركون في البرنامج في ظروف تبرز فيها حقيقة اكتسابهم هذه المزايا الخلقية ، وأن توضع لهم البرامج التي تنمي فيهم الأخلاق والسلوك الإسلامي الصحيح وتمرينهم على ذلك من خلال

---

(1) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

الممارسات والمواقف ، وهذا يقود إلى التخلص من العادات والقيم والميول الفاسدة ويساعد على اكتساب العادات الحسنة ، كما يساعد على دراسة نفسية وخريطة عقل الأعضاء ومعرفة المشاكل التي يعانون منها تمهيداً لتقديم الحلول الناجحة لها[1] .

ومن أهم ما ينبغي مراعاته في الجانب السلوكي والعبادي :

– حسن تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه والتدبر في معانيه وعقد حلقات خاصة بذلك.

– الوفاء بالعهد والكلمة والوعد فلا تنقض مهما كانت الظروف .

– العمل على إحياء العادات الإسلامية في كل مظاهر الحياة ، ومن ذلك التحية والسلام والحرص على الكلام باللغة العربية ما أمكن ، واللباس الإسلامي وتحري السنة المطهرة في كل شأن.

– التقرب إلى الله بنوافل العبادات من صيام تطوعي وقيام ليل ، والحرص على صلاة الجماعة في المسجد ..الخ .

– الحرص على الاجتماعات وسائر الأنشطة الاجتماعية أو الروحية أو الرياضية وعدم التخلف إلا لعذر قاهر .

– يمكن الاستفادة من بعض التيسيرات التي أباحها الإسلام في حالات السفر ، خصوصاً في الأيام الأولى مثل : المسح على الجورب والجمع والقصر في الصلاة .. إلخ .

**٥– برامج ترفيهية ترويحية :**

لما كان الإسلام وهو المنهاج الأمثل الذي توجه قيمه وفكره كل شئون الحياة .. ويقدم النظرة المحيطة الشاملة والمستوعبة ، فإننا نحاول أن نقدم بعض الأسس الأولية التي تساعد على توجيه النشاطات الترويحية والترفيهية في برامج العمل مع الجماعات .

ولا يخفى ما للترويح من أهمية قصوى في بناء شخصية الفرد المسلم وتوجيه سلوكه والإسهام في استقراره وإحداث التوازن والانسجام فيه .

والإسلام أجاز من الأساليب والأنشطة الترويحية ما يتفق مع قيمه وأخلاقه وآدابه و لم يجعل الهدف من ممارسة النشاط الترويحي بأشكاله المختلفة ، شغلاً لأوقات الفراغ أو إشباعاً لرغبات النفس وهواها ، وإنما جعل الهدف منه استثمار الوقت بما يعود على المسلم بالفوائد الجسمية والعقلية والروحية .. ويعينه على تحمل أعباء الحياة .. وهذا يعني أن الإسلام لم

---

(١) انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المخيمات الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٠هـ .

يجعل الترويح هدفاً في حد ذاته ، بل جعله عاملاً مساعداً للحياة الجادة والاستمرار فيها ، ودافعاً إلى مزيد من العمل والعبادة .

ولذلك فإن الإسلام لا يعارض بأي شكل أية صورة أو لون من ألوان الترويح طالما أن مادته ووسيلته لا تصطدم مباشرة مع أي مبدأ من مبادئ الإسلام وتشريعاته وأهدافه ومقاصده(١).

وعلى أخصائيي الجماعات أن يهتموا بالضوابط التالية أثناء ممارسة الأعضاء للبرامج الترفيهية والترويحية والتي تسهم في بناء شخصية العضو المسلم :

– أن يراعى أخصائي الجماعة أن يكون النشاط الذي يمارسه العضو المسلم في وقت الترويح داخلاً في حيز الإباحة الشرعية ، ولا يكون من المحرم شرعاً عمله .

– مراعاة أن يكون نوع النشاط الترويحي مما يعزز قيم الانتماء إلى الأمة ويمهد للناشئة طريق الاعتزاز بدينها وشخصيتها الإسلامية .

– أن يكون النشاط الترويحي مما يعزز القيم الإيجابية والتشاركية في المجتمع ، ويحاصر قيم السلبية فيه(٢) .

– التأكيد على الموضوعات التي لها صلة بتاريخ المسلمين وحضارتهم .

– تنقية الممارسات الترويحية القائمة مما علق بها من شوائب تتنافى مع القيم الإسلامية.

– أن يكون الترويح نافعاً ، فقد نهى الرسول – ﷺ – عن الألعاب التي لا نفع فيها ، فضلا عن تحريم الإسلام القاطع للألعاب التي فيها ضرر فردي أو جماعي .

– ألا يشغل الترويح حيزاً كبيراً في الوقت والجهد والرعاية والعناية بحيث يطغى على بقية البرامج .

– النهى عما لا خير فيه من الكلام والانصراف عن فاحش الألفاظ .

– التحكم الدقيق في البرنامج حتى لا يتحول إلى هزل محض وتتغلب روح المرح على روح الجد وتنحل تبعاً لذلك عناصر القوة .

---

(١) يحي بسيوني مصطفى ، البدائل الإسلامية لمجالات الترويح المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ (المقدمة) .

(٢) انظر : جمال سلطان : إشكالية وقت الفراغ ، مجلة المسلم المعاصر ، بيروت ، لبنان ، السنة ١٤١٠هـ ، العددان ٥٥-٥٦ .

– عدم إيذاء الآخرين عن طريق اتخاذ نقائصهم وعيوبهم الخلقية مادة للإضحاك والسخرية واللمز ، وعدم السماح بالدعابات التي تتناول خصائص الشعوب والمدن واللغات والألوان .

– إبعاد الحزن والهم والتشاؤم ، واستقبال الحياة بالبشر والأمل والبشاشة .

– صيانة رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال والمحافظة على أنوثة الأنثى وعدم التشبه بالجنس الآخر .

ولعل الإسلام له حكمة من تعدد تلك الأنشطة الترويحية والترفيهية تتمثل في اختيار كل فرد لما يتلاءم مع احتياجاته وإمكانياته وقدراته ، هذا بالإضافة إلى استغناء الإنسان عن التطلع إلى أنواع اللهو الممنوع .

ومما تقدم نود أن نشير إلى أن محتويات البرنامج السابقة الذكر لا يعتبر حصراً لكل الأنشطة الجماعية فهي كثيرة ومتعددة ، وإنما أردنا أن نمثل بما يمكن أن تسهم به تلك الأنشطة في تنمية الشخصية الإسلامية للأعضاء ، وذلك من خلال مدى شرعية هذه الأنشطة في الإسلام .

# مقياس لدرجة التوكل على الله في الخدمة الاجتماعية

د. نوال على خليل المسيرى

## مقدمة :

من ثمرات الإيمان الصادق (التوكل على الله) والثقة التامة بالإله الواحد الذى لا شريك له فى ملكه ، ولا تدبير فوق تدبيره وهو أرحم الراحمين بعباده .

ومن وصل إلى مرتبة التوكل الصحيح على الله ، فقد وصل إلى منزلة الأمن والرضا وسكون النفس ، وعاش هادئ الأعصاب ، مطمئن القلب لا يتزلزل لشئ فى الحياة .

ويهدف هذا البحث إلى بناء مقياس يتم من خلاله قياس درجة توكل العميل على الله لفرد فى جماعة أو مجتمع ويمكن للأخصائى الاجتماعى تطبيقه قبل القيام بعملية المساعدة. حيث أنه يعطى فكرة عن شئ غامض يرتبط بشخصية العميل إلى أن تتضح الأمور .

وتفيد نتائج هذا المقياس فى الكشف عن جانب التوكل في شخصية العميل وبالتالى تقديم المساعدة المطلوبة له .

ويبدو التوكل على الله واضحاً بصفة خاصة فى المواقف الحرجة أو الصعبة التى يتعرض لها الفرد .

وقد تم تصميم هذا المقياس وإطاره النظرى فى ضوء الأصول الإسلامية من القرآن والسنة المطهرة وتراث السلف مع الاستفادة من الكتابات المختلفة فى التأصيل الإسلامى والخدمة الاجتماعية .

راجية من الله تعالى أن يحقق الفائدة المطلوبة ويوفقنا جميعاً لطلب العلم النافع إنه نعم المولى ونعم النصير .

## أولاً : مفهوم التوكل على الله :

لقد ورد مفهوم التوكل فى العديد من الأصول الإسلامية ، فنجد الإمام أبا حامد محمد بن محمد الغزالى يحدد مفهوم التوكل فى كتاب إحياء علوم الدين على أنه مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول إليه وكيلاً ويسمى المفوض إليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه ما اطمأنت إليه نفسه ووثق به و لم يتهمه بتقصير و لم يعتقد فيه عجزاً أو قصوراً .

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده[1] .

كما عرف التوكل فى موضع آخر بأنه المتوكل على الله الذى يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره .

وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل فى استجلاب المصالح ، أو دفع المضار ، من أمور الدنيا والآخرة كلها[2] .

وعرفه ابن سيده بأنه : "وتكل بالله وتوكل عليه واتكل واستسلم إليه ، وتكرر فى الحديث ذلك التوكل يقال : توكل بالأمر إذا ضمن القيام ووكلت أمرى إلى فلان أى ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته ، إذا عجز عن القيام بأمر نفسه ووكل إليه الأمر[3] .

وعرف التوكل فى كتابات أخرى بأنه "الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد ... وهى كلمة نفسية ، الاسترسال مع الله على ما يريد فى كل ما أراد سبحانه ، فى الجهاد فى الضرب فى الأرض طلباً للرزق ، فى التزود من العلم ، فى حسن الخلق .

إنه الاسترسال مع الله على ما يريد ، وهذا يقتضى أن يسكن الإنسان إلى النتائج بعد أن يكون قد اتخذ الأسباب بقدر طاقته ، ويقتضى أمراً آخر هو : الابتعاد عن كل ما لايريد سبحانه[4] ولقد حدد مفهوم التوكل أيضاً على أنه "الاعتصام بالله تعالى" . إنه الاعتصام بالله تعالى فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه وهو الاعتصام بالله تعالى فى الحركة وفى النتائج أى السكون إليه فى كل ذلك مع السكينة فيما يتعلق بالنتائج[5] .

وإذا توكل الإنسان على الله سبحانه فإن ثمرة ذلك هو كفاية الله للمتوكل يقول سبحانه: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾[6] .

---

(١) الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى : إحياء علوم الدين ، المجلد الرابع (دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدربى ، ١٣٤٧) ص٢٢٣ .

(٢) محمد فائز المط : من كنوز الإسلام (عمان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨٤) ص٨٦ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ج ط٢ (بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٨٥) ص١٨٨ .

(٤) عبد الحليم محمود : الإسلام والتوكل على الله ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، (القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٤) ص٩٠٩ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى : مرجع سبق ذكره ، ص١٩٠ .

(٦) محمد الطيب النجار : الإيمان ومقوماته ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، العدد العاشر (القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٥) ص١٩٠٠ .

كما عرف التوكل أيضاً بأنه "إذا أردت أن تعمل عملاً عملته بكل جد وإتقان مع اعتقادك أن التوفيق فيه يأتى من الله لا من عملك لأن الله هو الذى علمك ما يجب أن تعمل وألهمك العمل وأعانك عليه وسهل لك سبيله ثم وفقك فيه . لهذا فإنك تطلب من الله التوفيق ويأتى النجاح منه سبحانه[1] .

كما عرفه الإمام أحمد بأنه عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلب ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والإدراكات .

ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو علم القلب بكفاية الرب للعبد ومنهم من يفسره بالسكون وخمود القلب فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدى الرب ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجارى الأقدار .

ومنهم من يفسره بالرضا : فيقول هو الرضا بالمقدور ، وقبل التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق[2] .

وحقيقة الأمر أن التوكل حالة مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها ، والكل أشار إلى واحد من هذه الأمور أو اثنين أو أكثر .

فأول ذلك : معرفة بالله وصفاته : من قدرته وكفايته وقيوميته ، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته ، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها الفرد قدمه فى مقام التوكل .

وعرف التوكل أيضاً بأنه صدق اعتماد القلب على الله عز وجل فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة"[3] .

قال الله عز وجل ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ سورة الطلاق آية (٢،٣) .

فمن حقق التوكل والتقوى اكتفى بذلك فى مصالح دينه ودنياه .

وعن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) عن النبى – ﷺ – قال : ((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)) . رواه الترمذى وغيره . وقال الترمذى : حسن صحيح ، قال أبو حاتم الرازى : هذا الحديث أصل فى التوكل وأنه من أعظم الأسباب التى يستجلب بها الرزق .

---

(١) محمد فائز المط : مرجع سبق ذكره ، ص٨٨ .

(٢) ابن رجب الحنبلى ، ابن القيم ، أبو حامد الغزالى : تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف (بيروت ، مكتبة دار العلم ، بدون تاريخ) ص ص ٩٩:١٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ص١٠٣ .

وقال سعيد بن جبير : تحقيق التوكل لا ينافى الأخذ بالأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدرات بها ، وجرت سنته فى خلقته بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطى الأسباب ، مع أمره بالتوكل ، فالسعى فى الأسباب بالجوارح طاعة لله ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به(١) .

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ سورة النساء ، آية ٧١ .

هذا ويختلط بالتوكل مفهوم آخر وهو التواكل وهو علة كثير من المسلمين إذ يعتقدون أن الله يرسل النجاح والتوفيق والرزق وسواها دون عمل ولا علم كمن أغلق الباب عليه منتظراً أن تمطر السماء عليه رزقاً فباء بالخذلان والخسران . لهذا قال رسول الله – ﷺ – للأعرابى إذ سأله أأترك الناقة بالباب متكلاً على الله أم أعقلها لئلا تضيع فقال : "اعقلها وتوكل" . وفى التوكل على الله والاعتماد عليه الثواب الجزيل ، والمعونة والتوفيق ، وهو عبادة وثقة بالله ومحبة ، فقد قال سبحانه ﴿وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ وكما أن التوكل على الله فرض فلا يجوز التوكل على سواه ، إذ لا ينفع ولا يضر(٢) .

وبتحليل ما سبق ذكره من مفاهيم ومعانى خاصة بالتوكل على الله يمكن تحديد أبعاد المفهوم فى :

(١) المعرفة بالله وقدرته وصفاته مع عقد النية .

(٢) الأخذ بالأسباب والبدء بالعمل .

(٣) الرجاء فى توفيق الله والرضا بتقديره .

وبالنظر إلى تلك الأبعاد نجد أنها ترتبط ارتباطا كبيراً بدرجات التوكل على الله .

وهذا يسوقنا إلى الحديث عن .

**درجات التوكل :**

التوكل على الله من أفضل العبادات وأعلى مقامات التوحيد ، قال ابن القيم رحمه الله : جعل التوكل شرطاً فى الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه .

قال تعالى ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ سورة إبراهيم ، آية ١٢ .

فكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل .

وقال تعالى : ﴿وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ الفرقان ، آية ٥٩ .

---

(١) مصطفى ناجى : التوكل فى الكتاب والسنة (بيروت ، مكتبة دار القلم ، بدون تاريخ) ص١٣١ .

(٢) محمد فائز لمط : مرجع سبق ذكره ، ص ص٩١ : ٩٢ .

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس ، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقوماته إلا على ساق التوكل .

قال تعالى ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ المزمل ، آية ١٠ .

لقد أمر الله رسوله – ﷺ – أن يتوكل عليه .

قال تعالى : ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا﴾ النساء ، آية ٨١ .

قال تعالى : ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الشعراء ، آية ٢١٧ .

قال تعالى : ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به رسوله – ﷺ – أن يتوكلوا على الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ سورة المائدة ، آية ٢٣ .

فالمؤمنون هم الذين يتوكلون على الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ سورة الأنفال ، آية ٢ .

وقال تعالى: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ سورة الممتحنة، آية ٤.

وقال تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ سورة لنحل : آية ٩٩ .

وقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى – ﷺ – قال : ((سبعون ألفاً من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب)) قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال – ﷺ – : ((هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) .مسلم ، كتاب الإيمان :٣٧٢ .

قال تعالى : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ سورة الطلاق ، آية ٢ .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم عليه السلام حينما ألقى فى النار ، قال الله للنار : كونى يا نار برداً وسلاماً على إبراهيم (الأنبياء آية : ٦٩) . وقالها النبى – ﷺ – حينما قال له الناس .

قال تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ سورة آل عمران ، آية ١٧٣– ١٧٤ البخارى .

فالتوكل على الله هو العمل بعد القيام بكل ما يحتاج إليه نجاح العمل[١] .

---

(١) مصطفى عبد الواحد : المؤمن بين الرجاء والخوف ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، العدد العاشر (القاهرة ، جامعة الأزهر، ١٩٧٥) ص١٩٠١ .

فالإسلام يدعو ويحض على العمل وبعد ذلك يفتح الباب للأمل فهو يدعو إلى التوكل وينهى عن التواكل .

وهنا فقد حددت درجات التوكل في :-

**أولاً** : عقد النية على العمل ، فالتوكل عمل قلبي ليس بقبول اللسان ولا عمل الجوارح بل يرتبط بالمعرفة با لله وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته ، وهذه تعتبر أول درجة من درجات التوكل(١) .

**ثانياً** : الأخذ بالأسباب [إثبات الأسباب والمسببات] فإن من نفاها فتوكله مدخول .

وإن نفاه لأسباب لا يستقيم له توكل ، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه فهو كالدعاء الذى جعله ا لله سببا في حصول المدعو به ، فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه ا لله سبباً ، ولا جعل دعاه سبباً لنيل شئ ، فقد وقع في الوهم الباطل ، فإن ا لله سبحانه وتعالى قضى بحصول الشبع إذا أكل الفرد ، والرى إذا شرب ، فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو .

وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق ، فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة(٢) .

فالتوكل من أعظم الأسباب التى يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل .

فالأسباب محل حكمة ا لله وأمره ودينه . والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية(٣) .

ويعتقد الكثيرون أن التوكل على ا لله يقتضى ترك العمل بالأسباب وعدم السعى لطلب الرزق ، وأن فعل شئ من ذلك قادح في التوكل وهذا فهم خاطئ .

وا لله تعالى أمر "عباده" بالسعى في طلب الرزق فقال : ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ .

فعلى العبد أن يبذل الأسباب دون الاتكال عليها في تحقيق مراده بل يتوكل على ا لله مالك الأمر كله(٤) .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية (تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٨) ص٨٥ .

(٢) محمد الطيب النجار ، مرجع سبق ذكره ، ص١٩٠٢ .

(٣) ابن رجب الحنبلي : مرجع سبق ذكره ، ص ص١٠٣ : ١٠٤ .

(٤) الإمام ابن قيم الجوزية ، تهذيب عبد المنعم صالح العلى العربي : تهذيب مدارج السالكين (بيروت ، دار القلم ، ١٩٩٠) ص ص٣٤٢ : ٣٤٣ .

فالعمل بما أمر الله لازم لصحة التوكل عليه ، وترقب الخير منه ، والأخذ بالأسباب والوسائل التى رتب الله عليها المسببات والنتائج من المقررات الشرعية التى لا شك فيها ، ولعل ذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿**ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً**﴾(١) .

"فالتوكل على الله مع إهمال الأخذ بالأسباب وإغفال العمل بمقتضى الإيمان لا يسمى توكلاً ولا يسمى إيماناً ، ولهذا قال النبى - ﷺ - "ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم .. وقالوا نحن نحسن الظن بالله .. وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل"(٢) .

فذلك يفهم منه أن الإيمان لا يكون بمجرد تخيل الأمانى وتمنى الحصول عليها بغير الأسباب الموصلة إليها (ولكن الإيمان الحقيقى باسم الإيمان هو ما استقر فى نفس المؤمن أنه حق فاطمأن إليه ، وحرص عليه ، ثم كان عمله موافقاً له ، مصدقاً لوجوده أو دعوى اعتقاده ، وهذا الإيمان بهذا المعنى الواسع العميق هو الذى يستقيم معه ويدخل منه أو يتبعه معنى التوكل على الله ، وهذا ما يلمح فى قوله تعالى : ﴿**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾ فقد جعل الإيمان شرطاً للتوكل عليه(٣) .

والإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل كما قال - ﷺ - ، والتوكل ليس عاطفة سلبية بل هو قوة إيجابية وطاقة روحية تدفع المؤمن إلى العمل والانتاج ، والأخذ بوسائل القوة وأسباب التقدم ، ولهذا يقول النبى - ﷺ - : ((المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))(٤) .

"ثم يذكر وسائل القوة فيقول : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" .

غير أنه يجب أن يلاحظ أن الاعتماد على الأسباب ليس معناه الثقة المطلقة فى أنها تؤدى إلى الخير المنشود منها ، بل يجب الإيمان بأنها وأن ما يراد منها مردهما إلى الله ، فهو خالق الأسباب والمسببات . وقد يعطل الأسباب عن عملها فلا تثمر الخير ، وقد يكون فيها الشر من حيث ترى فيها الخير . كما يفهم من قوله تعالى : ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو**

---

(١) عبد الحليم محمود : مرجع سبق ذكره ، ص٩١٠ .

(٢) الإمام بن قيم الجوزية : مرجع سبق ذكره ، ص٣٤١ .

(٣) محمد الطيب بن عاشور : مرجع سبق ذكره ،ص٨٨ .

(٤) الإمام حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى : مرجع سبق ذكره ، ص٢٢٨ .

خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ولهذا كان التوكل عليه لا عليها والاعتماد عليه لا على غيره[1] .

فالتوكل على الله يكون بمجموع أمرين : الاعتماد عليه والثقة به والإيمان بأن الخير منه وإليه، والعمل بما أمر به والأخذ بالوسائل والأسباب التي رتب عليها النتائج والمسببات .

ثالثاً : الرجاء فى توفيق الله والرضا بتقديره وذلك بإسقاط التدبير والاستسلام لتدبير الله وإلقاء الأمور كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً .

فإذا وضع الفرد قدمه فى هذه الدرجة انتقل منها إلي درجة الرضا وهى ثمرة التوكل ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكل حق التوكل رضى بما يفعله وكيله .

والتوكل يكتنفه أمران : التوكل قبله ، والرضا بعده .

فمن توكل على الله قبل الفعل ورضى بالمقضى له بعد الفعل فقد قام بالعبودية أو معنى هذا[2] .

"ولو تأملنا فى قول النبى – ﷺ – فى دعاء الاستخارة" اللهم إنى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم "فهذا توكل وتفويض ثم قال : (فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب) فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة ، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التى هى أحب ما توسل إليه بها المتوسلون . ثم سأل ربه أن يقضى له الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلاً ، أو آجلاً ، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلا أو آجلا ، فهذا هو حاجته التى سألها : فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقتضيه له . فقال "واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به" .

فقد أشتمل الدعاء على هذه المعارف الإلهية والحقائق الإيمانية ، التى من جملتها : التوكل قبل وقوع المقدور والرضا بعده وهو ثمرة التوكل والتفويض علامة صحته ، فإن لم يرض بما قضى له فتفويضه معلول فاسد[3] .

وباستكمال هذه الدرجات الثلاث من التوكل يستكمل الرضا ويتحقق مقام التوكل وتثبت قدمه فيه وتحقق الآتى : لو توكلت على الله لرضيت بما يفعله الله لك .

---

(١) محمد المدنى : التوكل على الله بين النظرية والتطبيق ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ، الجزء العاشر (القاهرة ، جامعة الأزهر، ١٩٧٥) ص١٢٤١ .

(٢) المرجع السابق : ص١٢٤٣ .

(٣) الإمام ابن قيم الجوزية : مرجع سبق ذكره ، ص٣٤٤ .

وبتحليل طبيعة العلاقة بين التوكل على الله والخدمة الاجتماعية بطرقها المختلفة فإننا نجد أن أحد الأهداف التى تسعى الخدمة الاجتماعية إلى تحقيقها هى مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات على إشباع احتياجاتها ومواجهة المشكلات التى يتعرض لها كل منهم .

ومما أكدت عليه إحدى الدراسات فى بحوث التأهيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية والتى قام بها الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب – بحث بعنوان "التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية[1] – . أن التصور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية والاجتماعية يقوم على ثلاث مسلمات قام بعرضها فى شكل قضايا يمكن استنباط فروض قابلة للاختبار منها وهى :

المسلمة الأولى :

إن انقطاع أو ضعف صلة الإنسان بالله عز وجل يعتبر فى ذاته سبباً "أساسياً وكافياً وحده لوقوع الفرد فى المشكلات الشخصية والمشكلات المتصلة بالعلاقات الاجتماعية فى هذه الحياة الدنيا ، كما يكون سبباً للهلاك فى الآخرة ، ويصدق ذلك عند كل مستويات إشباع الفرد للحاجات الدنيوية .

وتفسير ذلك أن انقطاع الصلة بالله أو ضعفها يؤدى إلى افتقاد إشباع الحاجات ألا وهى افتقار الروح إلى الارتباط بالله خالقها وبارئها الذى ليس لها من دونه ملجأ أو ملاذ ، هذا من جهة ، كما أن انقطاع الصلة بالله أمر يجلب سخط الله وغضبه وخذلانه للعبد من جهة أخرى، فالإنسان إذا افتقد اليقين بالله سبحانه وتعالى ، وإذا ضل عن طريق الله ، فإنه يتخبط فى اشباع حاجاته الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) على غير هدى من الله فيبالغ مبالغة شديدة فى الجزع من أى نقص فى إشباع تلك الحاجات التى هى عنده غاية الغايات ، وفوتها لا يعوض لا فى عاجل ولا فى آجل (فى الدنيا والآخرة) ، فتتأثر بذلك حالته الانفعالية أو قد يمتد التأثير إلى إحداث أعراض بدنية ، وعلى جانب الآخر فإن من توفرت له الموارد الكثيرة لإشباع حاجاته المادية يميل إلى الطغيان والتجاوز ، فيكون بذلك سبباً فى المشكلات لنفسه ولغيره . ومن ذلك نستنتج أن نقص المعرفة واليقين والثقة بالله تعالى يؤدى إلى وقوع المشكلات سواء أشبعت الحاجات المادية أو كان الحرمان والافتقار إلى الموارد المادية .

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الاسلامى للخدمة الاجتماعية : (بحث مقدم الى مؤتمر التوجيه الاسلامى للعلوم والذى تنظمه رابطة الجامعات الاسلامية ، بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة فى الفترة من ١٥ : ٢٠ شوال ١٤١٢هـ الموافق ١٨ الى ٢٣ أبريل ١٩٩٢) ، ص ص٦٢ :٦٤ .

**المسلمة الثانية :**

أن القصور فى إشباع الحاجات الدنيوية (النفسية والمادية والاجتماعية) سبب أساسى – ولكنه ليس كافيا وحده – لوقوع الفرد فى المشكلات الشخصية والمشكلات المتصلة بالعلاقات الاجتماعية وذلك على أساس أنه حتى فى حالة وجود مثل ذلك القصور فى الموارد المادية مع حسن الصلة با لله سبحانه وتعالى فإن المشكلات التى يواجهها الفرد تكون أقل حدة بكثير ، ويتوقف الأمر على درجة ونوع تلك الصلة با لله جل وعلا .

**المسلمة الثالثة :**

إن التغير الاجتماعى السريع وما يؤدى إليه من تفكك اجتماعى لهو سبب أساسى فى حدوث المشكلات الاجتماعية فى كل المجتمعات ، ولكن درجة حدة تلك المشكلات ودرجة انتشارها تكون أقل كثيراً فى حالة المجتمعات التى تهيمن فيها القيم المستمدة من الإسلام والتى تعكس مؤسساتها ونظمها الاجتماعية تلك القيم الإلهية .

فالتصور الإسلامى من هذا المنطلق يقوم على أهم العوامل وهو نوع صلة الإنسان بربه ، تلك الصلة التى تعكسها شعب الإيمان ومنها التوكل على ا لله ، وفى هذا الموضع انقسم الناس إلى أربعة أقسام ،"كما أوردها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية فى مجموعة الفتاوى"(١) .

**القسم الأول :**

قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهى والعبادة والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه وتعالى الذى أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة ، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات ا لله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان لأمر الاستعانة با لله والتوكل عليه والملجأ إليه والدعاء له وهى التى تقوى العبد وتيسر عليه الأمور .

ولهذا قال بعض السلف ، من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على ا لله ، ولهذا روى أن حملة العرش إنما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة إلا با لله ، قال تعالى ﴿ومن يتوكل على ا لله فهو حسبه﴾ .

**القسم الثانى :**

يشهدون بربوبية الحق وافتقارهم إليه ويستعينون به لكن على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته ، وهذا حال كثير من المفتقرة والمتصوفة.

---

(١) أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلى : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – المجلد العاشر ، بدون دار نشر وتاريخ ، ص ص٣٢ :٣٦ .

ولهذا كثيراً ما يعملون على الأحوال التى يتصرفون بها فى الوجود ولا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه ، وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته مرضاته فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهى ويسمون هذا حقيقة ، ويظنون أن هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التى هى تحوى مرضاة الرب ومحبته وأمره ونهيه ظاهراً وباطناً .

**القسم الثالث :**

وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به فهؤلاء شر الأقسام .

**القسم الرابع :**

وهو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ وقوله ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ فاستعانوا به على طاعته وشهدوا أنه إلههم الذى لا يجوز أن يعبد إلا إياه بطاعته وطاعة رسوله وأنه ربهم ﴿**الذى ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع**﴾ وأنه ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**﴾ .

فالتوكل علي الله صفة من صفات المؤمنين ... ﴿**الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ وحين يتوكل المؤمن على ربه فإنه يستند إلى السبب الأقوى والركن المتين .. يستند إلى ذى الحكمة والرحمة والقوة والتدبير .. وهو سبحانه لن يضيع من استند إليه ولن يخذل من توكل عليه . ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ .

والتوكل على الله يمنح القلب الطمأنينة والثبات فى مواجهة المشاكل والمواقف ، كما ينمى العزيمة ويقوى الإرادة ، ويفتح أبواب الرجاء ، وهو قوة إيجابية تدفع إلى العمل وتسد ابواب القلق ، وتقضى على الحيرة والتردد .

**أنواع التوكل :**

"التوكل علي الله نوعان ، أحدهما توكل عليه فى صلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية ، والثانى : التوكل عليه فى حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والدعوة إليه . وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد فى النوع الثانى حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومتى توكل عليه فى النوع الأول دون الثانى كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه"(١) .

فأعظم التوكل عليه التوكل فى الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وبخاصة أتباعهم" .

---

(١) ابن عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى ، ابن قيم الجوزية : الفوائد (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣) ص ص ٨٦ : ٨٧ .

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ الا التوكل كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة ، وتارة يكون توكل اختيار وذلك التوكل مع وجود السبب المفضى إلى المراد. فإن كان السبب مأموراً به ذم على تركه وإن قام بالمسبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن والواجب القيام به والجمع بينهما ، وإن كان السبب محرماً حرم عليه مباشرته وتوحد السبب فى حقه فى التوكل ولم يبق سبب سواه فإن التوكل من أقوى الأسباب فى حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق .

وإن كان السبب مباحاً نظرت هل يضعف قيامك به التوكل أو لايضعفه فإن أضعفك وفرق عليك قلبك وشتت همك فتركه أولى . وإن لم يضعفك فمباشرته أولى لأن حكمه أحكم الحاكمين .

وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به فتوكل اللسان شىء وتوكل القلب شىء ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شىء وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شىء ؛ فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها"(١) .

والتوكل على الله نصف الدين . والنصف الثانى الإنابة فإن الدين الإسلامى استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هى العبادة . بل هو محض العبودية وخالص التوحيد ، إذا قام به صاحبه حقيقة .

فأفضل التوكل ، التوكل فى الواجب - واجب الحق وواجب الخلق ، وواجب النفس أوسعه وأنفعه وهذا ما أمرتنا به السنة المطهرة والقرآن الكريم(٢) .

عن النبى - ﷺ - قال :

يا معاذ بن جبل ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثا) : قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ فقال : إذا يتكلوا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثما .

(البخارى ، كتاب مسلم ، : ٤٩)

---

(١) أحمد بن تيمية : مرجع سبق ذكره ،ص٣٨ .

(٢) محمد المدنى : مرجع سبق ذكره ، ١٢٤٣ .

وفى شرح ابن حجر العسقلانى قوله (إذا يتكلوا) أى إن أخبرتهم يتكلوا ، يمتنعوا عن العمل اعتماداً على ما يتبادر من ظاهره"(١) .

ويؤكد ذلك حاصل السؤال (الذى سأله السائل للرسول – ﷺ –) ألا نترك مشقة العمل فإنا سنصير إلى ما قدر علينا ، وحاصل الجواب : لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له ، وهو يسير على من يسره الله . قال الطيبى : الجواب من الأسلوب الحكيم ، منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية ، وزجرهم عن التصرف فى الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هى علامات فقط"(٢) .

فالتوكل حقيقته الاعتماد ، وهو هنا مجاز فى الشروع فى الفعل مع رجاء السداد فيه من الله ، وهو شأن أهل الإيمان ، فالتوكل انفعال قلبى عقلى يتوجه به الفاعل إلى الله راجياً الإعانة ومستعيذاً من الخيبة والعوائق .

وبذلك يظهر أن قوله "فتوكل على الله" ، دليل على جواب إذا ، والتقدير : فإذا عزمت فبادر ولا تتأخر وتوكل على الله ، لأن للتأخر آفات ، والتردد يضيع الأوقات"(٣) .

## الخدمة الاجتماعية الإسلامية والتوكل على الله :

تهتم الخدمة الاجتماعية بالعمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال الطرق المهنية الثلاثة خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع ، وإذا نظرنا إلى مضمون الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية فى العمل مع تلك الوحدات الثلاث نجد أنها تنصب أساساً على وجود موقف معين قد يكون هذا الموقف مرتبط بمواجهة مشكلة معينة أو تكيف أو سوء تكيف أو إشباع حاجة معينة إلى آخره من الوظائف المختلفة التى يمكن أن تقوم بها الخدمة الاجتماعية .

وبصرف النظر عن الطريقة المهنية المستخدمة فإن جميع طرق مهنة الخدمة الاجتماعية تهتم بإشباع الاحتياجات المختلفة للفرد سواء فى داخل أسرة أو فى داخل جماعة أو مجتمع فى إطار الطريقة المهنية التى يستخدمها الأخصائى الاجتماعى .

هذا ، وقد بذلت إحدى المحاولات من قبل إحدى الباحثات فى وضع تصور للمنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية من خلال تحليل العلاقة بين حدوث المشكلات الفردية

---

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى ، شرح صحيح البخارى (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩) ص٢٢٧ .

(٢) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : مرجع سبق ذكره ، ص٦٦ .

(٣) ابن عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى ، ابن قيم الجوزية : مرجع سبق ذكره ، ص٨٨ .

والنقص فى إشباع الحاجات الإنسـانية . هذاوقـد تم تحليـل هـذه العلاقـة فـى ضـوء المنظـور الغربى للمشكلات الفردية حيث أغفل تماماً البعد المتعلق بصلة الإنسان بخالقه والإيمان بـاليوم الآخر ، كما أنه من هذا المنظور يتصور أن بيئة الإنسان مهما بلغـت مـن كفايـة لـن يمكنهـا إشباع حاجاته ورغباته كافة بصورة تشعره بالرضا والسعادة ، نظراً لتنـوع هـذه الحاجـات وتغيرها وتجددها بين لحظة وأخرى .

ويتفاوت الناس فى مدى استطاعتهم التغلب على مشكلاتهم نظراً لتفاوتهم فى القوة على جهاد النفس والصبر المتوقفة على قوة إيمانهم با لله وتوكلهم عليه والـتزامهم بطاعتـه أى على مستوى إشباعهم الحاجة لحفظ الدين (الوظائف الغائية) . فقد يكـون الفسـاد تامـاً فـلا يشكل لدى صاحبه مشكلة لأنه لا يشعر بإزعاج بل يتمتع بحياته الدنيوية أو ربمـا لا يكـون الفساد تاما بحيث يشكل لديه نوعاً من القلق والشك وعدم الاطمئنان بمـا وجـد عليـه نفسـه من كفر أو شرك .

وتؤكد النتائج التى جاءت بها الدراسة التى قام بها سوليفان على أشـخاص مسـلمين يمرون بأزمات ويشعرون بتوتر نتيجة عدم استطاعتهم تحمـل أعبـائهم أن السـبب فـى ذلـك يرجع إلى العديد من العوامل التى أهمها تفسـيرهم الخـاطىء لأحـداث الحيـاة وللودائـع التـى يمنحها ا لله لهم (الثروة / القوة / العقل) باعتقادهم أنها إنجازات بشرية .

كما أنهم يوجهـون اعتمـادهم وخضوعهـم إلى الوجهـة الخاطئـة (الشـرك) ، وتقـرر الدراسة أيضاً أن الشخص الـذى يعـانى مـن الاضطـراب العصبـى أو الاختـلال العقلـى هـو شخص إمـا أنـه أنكـر الايمـان بـا لله أوأن توجهـه لعبـادة ا لله والإيمـان بـه تتخللـه تناقضـات ومعتقدات خاطئة .

وبهذا نرى أنه لكى نحدد أبعاد المشكلة ونتوصل إلى مسبباتها لابد من التعـرف علـى مدى قوة إيمان الفرد با لله عز وجل وصحـة اعتقاداتـه وتوجهاتـه كمـا جـاء فـى الكتابـات الإسلامية .

وانتهت دراسة الباحثة المذكورة "عفاف الدباغ"(١) إلى أن المشكلات الفردية غالباً ما ترجع إلى أحد أو بعض العوامل التالية :

١- الفساد التام فى الاعتقاد والذى أساسه عدم التوحيـد لله سبحانه وتعـالى وعـدم الإيمان باليوم الآخر (موت القلب) .

٢- أنواع من الفساد فـى الاعتقـاد وفـى الإرادة (مرضـى القلـب ، مرضـى شـبهة ، مرضى شهوة) .

---

(١) عفاف إبراهيم الدباغ : المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية (بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية فى الفترة من ١٠ : ١٣ أغسطس ١٩٩١) ص ١٢ : ١٧ .

٣- النفس الأمارة بالسوء .

٤- الشيطان .

وهذا لا يعنى أن الإنسان المؤمن التقى لا تعرض له مشكلات ولكنه يمكن أن يواجهها بقوة وثبات القلب .

والنظر إلى المشكلات الفردية من المنظور الإسلامى لابد أن يعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :

١- أن الله المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولاراد لقضائه يقول عز وجل : **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾** .(الأنعام :١٧ ، ١٨) .

٢- قول الله عز وجل : **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** .(النساء : ٧٩) .

وتقوم نظرية الممارسة في الخدمة الاجتماعية على ثلاث عمليات أساسية تعد فى مضمونها عمليات للمساعدة تناولتها العديد من الكتابات الأجنبية فى الخدمة الاجتماعية ، فأشارت إليها بعض الكتابات على أنها تتضمن عملية تقدير الموقف والتدخل المهنى[١] .

وتناولتها كتابات أخرى على أنها ثلاث عمليات تشمل تقدير الموقف والتدخل المهنى والتقويم وآخرون تحدثوا عنها فى أربع عمليات تشمل البحث عن أسباب وعلاقة العميل[٢] بالمشكلة ثم اتخاذ قرار والبدء بالعمل وتقويم العمل[٣] .

وسواء كانت ثلاث عمليات أو أكثر فإن عملية المساعدة التى يقوم بها الأخصائى الاجتماعى لعملائه لا تخرج عن كونها :

١- عملية تقدير للموقف أو المشكلة .

٢- التدخل المهنى لمواجهة الموقف .

٣- تقويم نتائج التدخل المهنى .

---

(1) Max Siporin : Interoduction to Social Work Practice (New York : Macmillan Publishing, Co, Inc., 1976) P.46 .

(2) Francis J. Turner : Social work treatment (New York, Macmillan Publishing, Co, Inc, 1986) P P 103 : 164 .

(3) Sheila Dainow & Caroline Bailey Deve oping skills with people (N.Y, Prentice Hall, Inc, 1990) p. 28 .

وبتحليل محتوى الكتابات الغربية التى انصبت على عمليات المساعدة التى تقوم بها الخدمة الاجتماعية . نجد أنها اهتمت أساسا بعملية النقص فى إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية والمادية والتى ينتج عنها المشكلات بأنواعها ، سواء كانت هذه المشكلات فردية ترتبط بالفرد نفسه أو مشكلات ترتبط بالنظم الاجتماعية فى المجتمع وعمليات التخطيط لمواجهة تلك المشكلات . وهنا وجدنا مستويين لممارسة الخدمة الاجتماعية مستوى العمل مع الوحدات الكبرى Macro ومستوى العمل مع الوحدات الصغرى Micro وتنوعت الكتابات فى الخدمة الاجتماعية حول تلك المستويات ومواجهة المشاكل المرتبطة بكل مستوى .

ولكن ما يعنينا هنا هو أن عملية التدخل المهنى لا يمكن أن تتم بدون القيام بتقدير للموقف أو المشكلة ... ولكن المشكلة هنا فى عملية التقدير أو الاختلاف فى تناول تلك العملية من المنظور الغربى والمنظور الإسلامى .

فهذه المشكلات أو المواقف التى تتطلب التدخل جميعاً إنما تتوقف فى المنظور الغربى عند حدود هذه الحياة الدنيا من جهة .

ولقد أثبتت الكتابات فى التأهيل والتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية أنه لا يمكن فهم هذه المشكلات والصعوبات بالاقتصار على دراسة الحاجات الدنيوية وحدها ، وإنما يكون هذا الفهم ممكناً إذا استطعنا أولا وقبل كل شيء أن نتعرف على نوع صلة الإنسان بربه المبنية على مفهوم الشعور بالافتقار إلى الله سبحانه وتعالى باعتبار أن هذا الشعور يكون أساساً لارتباط الإنسان بخالقه ، على أساس أن رضاء الله سبحانه وتعالى عن العبد فيه كفاية إشباع تلك الحاجات الدنيوية .

هذا وقد توصلت دراسة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب حول التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية إلى أنه لا يجوز فى المنظور الإسلامى للخدمة الاجتماعية إغفال إشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) وإن كان إشباعها ينبغى أن يكون إشباعا متوازناً لا يجعل منها أبداً هدفاً فى ذاتها بحيث لا تكون أكبر هم العبد ولا تكون مبلغ علمه.

وبهذا انتهى إلى أن المنظور الإسلامى يستوعب الاهتمامات والحاجات الدنيوية للإنسان التى أسرف المنظور الغربى فى التركيز عليها ، ولكنه يقدرها حق قدرها دون زيادة أو نقصان ، ويضعها فى موضعها الصحيح من حاجات الإنسان فى الدنيا (المتضمنة لأشواقه الروحية) ومن حاجاته المتصلة بالحياة الأخرى .

وبناء على ذلك فإن عملية تقدير الموقف فى المنظور الإسلامى للخدمة الاجتماعية ينبغى أن تتضمن دراسة ما يتصل بالحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) غير المشبعة ولكنها أيضا ينبغى أن تتضمن قبل هذا وبعده تقدير الموقف أيضاً فيما يتعلق (بنوع

صلة العميل بربه) . سواء من النواحى المعرفية المتعلقة بصحة الاعتقاد والسلامة من البدعيات والشركيات أو من النواحى القلبية الوجدانية أو من النواحى السلوكية التعبدية بالمعنى الضيق للعبادات والمعنى الواسع للعبادة الذى يشمل طاعة الله فيما أمر ونهى فى كل جوانب الحياة.

ومن هنا كان اهتمام الباحثة بأهمية تصميم مقياس للتوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية يقيس درجة توكل العميل على الله كمؤشر يساعد الأخصائى الاجتماعى فى الكشف عن بعض الجوانب الإيمانية فى شخصية العميل وعلاقته بربه حتى يتعرف على جوانب القصور والتى فى ضوئها يقوم بعملية تقدير المشكلة والموقف الذى يتعامل معه وبناء عليه يحدد استراتيجيات التدخل المهنى الملائمة لطبيعة ذلك الجانب . خصوصاً كما سبق أن ذكرنا أن المحاولات البحثية المبذولة فى التأصيل الإسلامى والتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية قد أكدت على هذا الجانب الروحى "صلة الإنسان بربه" . وهنا يجب أن تبذل الجهود والمساعى من قبل الباحثين فى الخدمة الاجتماعية فى هذا الجانب المهم الذى يساعد على القيام بأهم عملية من عمليات الخدمة الاجتماعية وهى تقدير الموقف أو المشكلة والتى يترتب عليها نجاح العمليات الأخرى المساعدة .

## مقياس التوكل على الله :

- يعتبر مقياس التوكل على الله فى الخدمة الاجتماعية إطاراً ودليلاً إرشادياً يمكن للأخصائى الاجتماعى استخدامه فى العمل مع الفرد داخل الأسرة أو الجماعة أو المجتمع ليقيس من خلاله درجة توكله على اعتبار أن التوكل على الله شعبة من شعب الإيمان . كما أنه يرتبط بعلاقة الإنسان بربه وخالقه ، وتحدد طبيعة هذه العلاقة مدى قدرة الإنسان على مواجهة المشاكل أو المواقف التى يتعرض لها .
- ويمكن استخدام هذا المقياس فى مجالات الخدمة الاجتماعية الطبية والنفسية ورعاية الشباب والعمالية والأسرية والتأهيل المهنى والمعاقين والضمان الاجتماعى إلى غيره من المجالات المتاحة ، وقد تم استبعاد فئة المنحرفين الصغار والكبار لأن ما يقومون به من أفعال وأعمال لا تعد مشروعة وتخرج عن نطاق التوكل على الله انطلاقاً من أن الفرد يجب أن يسلك ماهو مشروع ويأخذ بالأسباب المشروعة ، المباحة .

فالفقير لكى يسد فقره أو جوعه هل يسلك طريق السرقة ؟ أم يتجه إلى أسباب وأساليب أخرى . والزوج الذى يعانى من مشاكل مستمرة مع زوجته وأسرته و لم يجد أمامه وسيلة لمواجهة مشاكله هل يلجأ إلى شرب الخمر أو إدمان المخدرات هروباً من واقعه المؤلم .. هنا تلعب علاقة الإنسان بخالقه دوراً كبيراً فى مواجهة تلك المواقف والتأقلم معها أو محاولة الأخذ بالأسباب المشروعة ، وكما سبقت الإشارة فى درجات التوكل فإن التوكل على الله نوعان :

أ- توكل اضطرار (لايجد العبد إلا التوكل كلما ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه) .

ب- توكل اختيار (توكل مع وجود السبب المفضى إلى المراد فإذا كان التوكل مأموراً به ذم على تركه وإن قام السبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً) .

وقد يلجأ إلى سبب محرم عليه مباشرته وقد يكون السبب مباحاً .

فالتوكل على الله لا يظهر حقيقة إلا عندما يتعرض الفرد لموقف معين كما أنه مرتبط بالإيمان بالله وعلاقة الإنسان بخالقه وربه .

- واستخدام الأخصائى الاجتماعى لمقياس التوكل على الله وتطبيقه على العملاء قبل القيام بعملية المساعدة سيساعد كثيراً فى الكشف عن الجانب الروحى فى شخصية العميل ويحدد أيضاً درجة الإيمان بالله خصوصاً وأن هناك نمطاً من العملاء سقيم الاعتقاد ، يختلط التوحيد عنده ببعض الشركيات أو البدعيات وهنا نتوقع أن يكون مثل هذا الشخص مصاباً بأمراض القلوب التى وصفها الكثيرون من أهل العلم ، فثقة مثل هؤلاء العملاء فى الله وصدق التوكل عليه تكون محل شك شديد ، كما أن احتمالات انحرافهم فى التجاوزات فى إشباع الشهوات تكون كبيرة ، ومن هنا فإن الخذلان يكون نصيبهم . فنجدهم يصابون بالهلع والجزع الشديد عند الابتلاء بالنقص كما يصابون بالشح والطغيان أن رآه استغنى . وفى كل الأحوال فهم مصدر للمشكلات لأنفسهم أو لغيرهم[1] .

وهنا نتوقع أن يكون الأخصائى الاجتماعى المسلم لا يفتقد إلى التوكل على الله . ويجب أن تتوفر لديه تلك الشعبة المهمة من شعب الإيمان بالله حتى يستطيع فهم شخصية العميل من ذلك الجانب الروحى وتقدير درجة توكله على الله بما يؤدى إلى القيام بعملية تقدير الموقف وفهمه جيدا حتى يمكن للأخصائى الاجتماعى أن يقوم بتحديد واختيار استراتيجيات التدخل المهنى المناسبة للموقف ونمط شخصية العميل .

## الهدف من مقياس التوكل على الله وأهميته :

يتبلور الهدف الرئيسى من هذا المقياس فى قياس درجة توكل العميل على الله حتى يتمكن الأخصائى الاجتماعى من تحقيق أهداف عملية المساعدة التى يقوم بها ، وتتحدد أهمية قياس درجة التوكل بصفة خاصة فى عملية تقدير الموقف Assessment أو المشكلة أو الحالة وذلك لكشف الجوانب الروحية فى شخصية العميل والتى تحدد علاقة الإنسان بربه وخالقه .

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧٢ : ٧٣ .

وبناء على تلك العملية المهمة من عمليات المساعدة (التقدير) يستطيع الأخصائي الاجتماعي في ضوء ما توصل إليه من نتائج تحديد استراتيجيات التدخل المهني الملائمة لدرجة توكل العميل على الله أو عدم توكله بالإضافة إلى الجوانب الأخرى المرتبطة بالموقف والمشكلة التي يتعامل معها .

**وبالنسبة للأهداف العملية التي يسعى هذا المقياس إلى تحقيقها فهي :**

– أن بناء وتصميم مثل هذا المقياس يعتبر محاولة من محاولات التأصيل الإسلامي للمجالات المهنية للخدمة الاجتماعية .

– يحدد هذا المقياس درجة توكل العميل على الله وأن تحديد تلك الدرجة يساعد كمؤشر في تحديد علاقة الإنسان بربه وقدرته على مواجهة الموقف أو المشكلة التي يعاني منها .

– إن استخدام الأخصائي الاجتماعي لمقياس التوكل على الله في المجالات المهنية المختلفة لممارسة الخدمة الاجتماعية يوضح لنا اهتمام الأخصائي الاجتماعي بهذا الجانب الإسلامي المهم ودرجة توكله هو على الله وفهمه لمضمون التوكل وأبعاده .

– استخدام هذا المقياس يساعد في الكشف عن جوانب القصور الروحي في شخصيات العملاء وهذا بالتالي يساعد في تحديد أنواع العلاج الإسلامي الروحي المناسب لتلك الأنماط من الشخصيات . كما أنه يساعد في تحديد مسار استراتيجيات التدخل المهني الملائمة للموقف أو المشكلة .

– إن اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بتطبيق هذا المقياس في المؤسسات المختلفة المرتبطة بمجالات الخدمة الاجتماعية يساعد أيضاً في تنمية الوعي الإسلامي لدى فئات العملاء وتنمية الجانب الروحي لديهم وتقوية صلتهم بالله تعالى نظراً لأهمية تلك العلاقة في مساعدة العميل على تقبل وضعه ومشكلته دون جزع أو هلع أمام تلك المواقف الصعبة والسعي لمواجهتها بالأساليب والطرق المشروعة والرجاء من الله تعالى على تقديم ما فيه خير الفرد .

وترجع أهمية تصميم مقياس التوكل على الله في الخدمة الاجتماعية إلى أهمية قياس درجة الارتقاء الروحي للعملاء . وهذا ما أكدت عليه دراسة كاندا Canda – التي أشار إليها الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في بحثه بعنوان التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية – من توسيع نطاق مفهوم (الشخص في البيئة) الذي يعتبر محور ارتكاز الخدمة الاجتماعية لكي يشمل ليس فقط (دراسة علاقات العميل مع البيئة الاجتماعية) وإنما أيضا مع العالم غير الإنساني ، ومع الحقيقة المطلقة ، وهناك أيضا بعض المحاولات الإسلامية من قبيل صالح

الصنيع عام ١٩٨٩ من خلال دراسة أجراها بعنوان العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامى وقام ببناء مقياس مستوى التدين .

وعلى هذا فإننا كأخصائين اجتماعيين مطالبون ببذل جهود كبيرة لبلورة أدوات تصلح لقياس مثل هذه المفاهيم الروحية لاستخدامها فى تقدير موقف العملاء وذلك للتعبير عن فكرة نوع صلة العميل با لله سبحانه وتعالى والتى تعين فى تقدير موقف العميل فى الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية .

ويعتبر مقياس التوكل على ا لله فى الخدمة الاجتماعية والذى قامت بتصميمه الباحثة فى ضوء التراث الإسلامى ومحاولات التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية أحد المحاولات التى أكدت عليها نتائج وتوصيات تلك الدراسة التى قام بها الدكتور إبراهيم عبد الرحمن بعنوان التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية حتى يتحقق التواصل الفكرى والمعرفى وتتحقق الفائدة المطلوبة من وراء جهود التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية وا لله من وراء القصد وعلى ا لله التوفيق ..

## بناء المقياس والإجراءات المنهجية المستخدمة :

انطلاقاً من الأسس العلمية لبناء وتصميم المقاييس في العلوم الاجتماعية قامت الباحثة باتباع الخطوات الآتية في بناء مقياس التوكل على ا لله وهى :

١- تم تحديد الموضوع الرئيسى الذى تم في ضوئه بناء المقياس وهو التوكل على ا لله في الخدمة الاجتماعية وقد تم استنباط تلك الفكرة من قراءات الباحثة فى التأصيل الإسلامي ومحاولات التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية باعتبار أن التوكل على ا لله شعبة من شعب الايمان التى يتم في ضوئها تحديد علاقة الإنسان بخالقه كما أنها يمكن أن تكشف عن قدرة الفرد على مواجهة المواقف أو المشاكل التى يعانى منها أو تصادفه في حياته .

٢- قامت الباحثة باستعراض التراث الإسلامى من كتب التوحيد والفقه والسنة والأحاديث . بالإضافة إلى الكتابات المختلفة في التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية وذلك لجمع أكبر قدر ممكن من المادة العلمية الإسلامية حول موضوع التوكل على ا لله والإيمان با لله .

٣- تم استعراض الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذلك بهدف تحديد المفهوم الإجرائى للتوكل على ا لله والذى سيتم من خلاله صياغة عبارات المقياس .

٤- قامت الباحثة بتحديد عبارات المقياس والمرتبطة بأبعاد مفهوم التوكل على ا لله والذى تم تحديده في ضوء التراث الإسلامي وكتابات التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية والدراسات السابقة المرتبطة به .

٥- تم التحقق من الصدق الموضوعى للمقياس وذلك بالرجوع إل العديد من الكتابات والمراجع الإسلامية والقرآن والسنة المطهرة وكتب التوحيد وغيرها من الكتابات الإسلامية .

٦- تم عرض المقياس في صورته المبدئية على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس المهتمين بالتأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية في كل من الرياض بالمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية وقد بلغ عددهم تسعة أعضاء ، وذلك للتحقيق من الصدق الظاهرى Face Validity من حيث نوع العبارات وكيفية صياغتها ومدى وضوح هذه المفردات ومناسبة العبارات للغرض بالإضافة إلى مدى مطابقة تلك العبارات لمفهوم التوكل وتحديد العبارات السالبة والموجبة والتى تقيس التوكل القوى والضعيف وقد تم الاسترشاد بأراء المحكمين في إعادة صياغة بعض العبارات أو حذف البعض منها وتحديد السالب والموجب منها . وقد بلغ عدد عبارات المقياس في صورته المبدئية ٨٥ عبارة .

٧- قامت الباحثة بعد ذلك بإعادة صياغة عبارات المقياس فى ضوء آراء المحكمين وذلك تمهيداً لإجراء صدق المضمون (الصدق المنطقى) حيث قامت بتحديد أوزان للعبارات الواردة متبعة في ذلك طريقة ليكرت في إعداد المقاييس وقد تم تحديد أربعة أوزان اشتملت على :

**موافق جدا - موافق - موافق إلى حد ما - غير موافق**

هذا وقد بلغت عبارات المقياس ٧٥ عبارة ، وبعد ذلك تم تطبيق المقياس على عينة من العملاء فى كل من المؤسسات الآتية :

أ- مؤسسة تأهيل مهنى .

ب- مستشفى .

ج- مؤسسة ضمان اجتماعى .

وقد تم اختيار خمسة عملاء من كل مؤسسة من تلك المؤسسات بمدينة الإسكندرية والذين يعانون من مشكلات ويترددون على تلك المؤسسات ، كما تم اختيار عينة من الأفراد العاديين الذين لايترددون على أي مؤسسة ولا يعانون من مشكلات محددة لتطبيق المقياس عليهم وقد بلغ عددهم ١٠ أفراد من الذكور والإناث . وذلك للتحقق من الصدق التنبؤى للمقياس . وبناء على نتائج اختبار الصدق الأول والتى كانت ٤٠ ، تم إجراء بعض التعديلات في العبارات الواردة وذلك فى كل من عبارة رقم :

**٢ ، ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨**

وبتطبيق معامل الارتباط التالى بعد إعادة الاختبار على عينة العملاء المختارة من خلال المعادلة التالية :-

$$ر_{٢}(١ن) = \frac{ن\ ر_{١١}}{ن + ن\ (ن - ١)ر_{١١}}$$

$$ر_{٢}\ (١ن) = \frac{٣ \times ٥٤}{\sqrt{٣ \times ٣ \times ٢ \times ٧٠}} = ٥٤$$

وبحساب معامل الصدق نجد أنه قد زاد من ٤٠ , إلى ٤٥ ,

٨- أما فيما يتعلق بمعامل الثبات ، فقد قامت الباحثة بالتحقق من ثبات المقياس باستخدام قانون سبيرمان وبراون وهو :

$$ر_{١١} = \frac{٢ر_{٢١}}{١ + ر_{٢١}}$$

| ترتيب العينة | العبارات | | | | | درجات العبارات السلبية | درجات العبارات الإيجابية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | | |
| ١ | ١ | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ٣ | ١ |
| ٢ | ١ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ٢ | ٢ |
| ٣ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ١ | ٣ | ٢ |
| ٤ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ١ | ٣ | ٣ |
| ٥ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ٢ | ٣ |
| ٦ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ٢ | ١ |
| ٧ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ٣ | ١ |
| ٨ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ٣ | ٢ |
| ٩ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ٣ | ٢ |
| ١٠ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ١ | ٣ | ٣ |

وبحساب معامل ارتباط سبيرمان يكون معامل ثبات المقياس كالتالي :

$$ر_{11} = \frac{2ر_{21}}{1+ر_{21}}$$

$$= \frac{2 \times .96}{1+.69} = \frac{1.38}{1.69} = .82$$

وهذا يعنى أن معامل ثبات المقياس ٨٢ وهي نسبة لابأس بها .

٩- قامت الباحثة بصياغة المقياس في شكله النهائى ووضع الأوزان على اعتبار أربعة أوزان أساسية للتوكل وهى :-

موافق تماماً ، موافق ، موافق إلى حد ما ، غير موافق

طريقة تصحيح المقياس :

١- يتم تصحيح المقياس بناء على المستويات الأربعة الآتية :

| | |
|---|---|
| موافق تماما | ٣ ثلاث درجات |
| موافق | ٢ درجتان |
| موافق إلى حد ما | ١ درجة واحدة |
| غير موافق | صفر |

العبارات السلبية فى المقياس هى :

٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦، ٦٨ ، ٦٩ .

يتكون المقياس من ٧٥ عبارة ، تعبر عن التوكل على الله لدى الفرد المسلم والمستمدة من الأسس والقواعد الإسلامية في الكتاب والسنة .

وتشتمل الدرجة الكلية للمقياس على عدد للعبارات × الدرجة الكبرى العبارة الواحدة .

= ٧٥ × ٣ = ٢٢٥

$$\text{الدرجة الكلية} = \frac{\text{درجة التوكل}}{٧٥}$$

ويمكن حساب الدرجة الكلية كما يلى :

وفيما يلى مقياس التوكل على الله في صورته النهائية .

| العبارات | موافق تماماً | موافق | موافق إلى حد ما | غير موافق |
|---|---|---|---|---|
| ١- الله وحده مالك الضرر والنفع وكل ما علينا العمل . | | | | |
| ٢- كل ما يواجهنى من أمور مقدرة ومكتوبة ولا أستطيع التغيير فيها ولكنى مطالب بالعمل . | | | | |
| ٣- إذا فاقت المشكلة قدراتى سلمت أمرى إلى الله . | | | | |
| ٤- أدعو الله كثيرا عندما تواجهنى مشكلة أو صعوبة أكثر من أى وقت آخر | | | | |
| ٥- إذا لم أسع إلى رزقى سيموت أولادى جوعا. | | | | |
| ٦- أقدم على أمر فيه مشقة خشية الفشل . | | | | |
| ٧- كل ما أحققه من نجاح في حياتى بفضل جهودى وعملى . | | | | |
| ٨- أرى أن من يلجأون للدعاء لحل مشاكلهم أشخاص سلبيون . | | | | |
| ٩- الله هو المقدر وعلى الإنسان أن يعمل لدفع ما يواجهه من صعوبات . | | | | |
| ١٠- أدعو الله دائما في السراء والضراء | | | | |
| ١١- أسعى جاهداً للبحث عن حل للمشكلة التى أعانى منها وأترك أمرى إلى الله . | | | | |
| ١٢- أبحث دائماً عن مصدر أى مشكلة تواجهنى وأعتمد على جهدى فقط في حلها. | | | | |
| ١٣- أشعر بالضيق الشديد عندما تواجهنى مشكلة لا أستطيع حلها . | | | | |
| ١٤- أعانى من الخوف المستمر من المستقبل. | | | | |
| ١٥- أعانى من الخوف المستمر عندما تواجهنى مشكلة . | | | | |
| ١٦- أقلق دائماً أمام ما يواجهنى في حياتى من عقبات . | | | | |
| ١٧- يصيبنى التوتر أمام أى صعوبة تواجهنى حتى | | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| لو كانت بسيطة . | | | | |
| ١٨- أهتم دائماً بتحقيق كل ما أرغب فيه اعتمادا على نفسى . | | | | |
| ١٩- أشعر بحيرة في تدبير أمورى عندما تواجهنى مشكلة . | | | | |
| ٢٠- أستعين با لله دائماً في كل المواقف التى تواجهنى. | | | | |
| ٢١- لا أشعر بضيق عندما تواجهنى مشكلة أو موقف صعب وأنظر فيما يجب فعله . | | | | |
| ٢٢- عندما يواجهنى موقف صعب أو مشكلة أثق في قدرة ا لله على حلها . | | | | |
| ٢٣- من يكثرون الدعاء إلى ا لله لحل مشاكلهم أشخاص سلبيون . | | | | |
| ٢٤- عندما تواجهنى مشكلة أسعى إلى حلها دون توتر أو توجس . | | | | |
| ٢٥- لا أشعر باليأس عند مواجهة موقف صعب أو مشكلة وأبذل جهدى راضيا بما يقدره ا لله . | | | | |
| ٢٦- إذا واجهتنى مشكلة أشعر باليأس وقلة الحيلة والضعف . | | | | |
| ٢٧- على الإنسان أن يترك نفسه للقدر ولا يفعل شيئا . | | | | |
| ٢٨- ا لله يقدر كل الأمور ولكن الإنسان يسعى قدر طاقته . | | | | |
| ٢٩- أسعى لحل مشكلتى وأترك النتيجة على ا لله . | | | | |
| ٣٠- أنتهج أى وسيلة المهم حل مشكلتى . | | | | |
| ٣١- على الإنسان أن يصل إلى هدفه بأى وسيلة مهما كانت مشروعة أو غير مشروعة لحل مشكلته . | | | | |
| ٣٢- إذا وجدت نفسى عاجزا عن مواجهة مشكلتى أسلم أمرى إلى ا لله . | | | | |
| ٣٣- إذا واجهتني أى مشكلة أعتقد أن حلها | | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | | | يكون في التضرع إلى الله والدعاء فقط. |
| | | | | ٣٤- أشعر أنني قادر على حل مشكلتي بجهدي وحده. |
| | | | | ٣٥- أربط نفسي دائماً بالآخرين لأنهم يساعدونني على حل مشاكلي . |
| | | | | ٣٦- عندما تواجهني مشكلة لا أشعر بالخوف والضيق بل أسعى إلى حلها بقدر وسعي وطاقتي. |
| | | | | ٣٧- أعتمد على الآخرين دائماً في حل مشاكلي. |
| | | | | ٣٨- عندما تواجهني مشكلة أشاور فيها من هم أعرف وأقدر مني فقط . |
| | | | | ٣٩- أعتمد على نفسي في مواجهة أموري ولا أعتمد على الغيبيات . |
| | | | | ٤٠- أسعى إلى حل المشكلة التي تواجهني وأنا متأكد من قدرتي في السعي على حلها بنفسي. |
| | | | | ٤١- أترك الأمر إلى الله وحده عندما تواجهني مشكلة ولا أسعى بنفسي لحلها. |
| | | | | ٤٢- الإنسان يجب أن يعتمد على نفسه فقط لحل مشاكله . |
| | | | | ٤٣- أعتمد على حل مشكلتي وأنا معتقد تماماً في قدرتي وحدي على حلها. |
| | | | | ٤٤- إذا واجهتني مشكلة أسلم أمري إلى الله وأسعى أيضاً لحلها قدر جهدي . |
| | | | | ٤٥- أتحمل دائماً عبء مواجهة مشاكلي بمفردي. |
| | | | | ٤٦- أتردد دائماً في محاولة البدء لحل مشكلتي . |
| | | | | ٤٧- أبذل جهدي في حل مشكلتي وأترك النتيجة على الله . |
| | | | | ٤٨- أعلم أن الله مطلع علي وعالم بمشاكلي . |
| | | | | ٤٩- عندما تواجهني مشكلة أنتظر فرج الله ولا أفعل شيئا لحلها . |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ٥٠- أشعر بالضيق وأقلق خوفا من عدم القدرة على حل مشكلتى . | | | | |
| ٥١- لا أشعر بالخوف دائماً من فشل المحاولات المبذولة لحل مشكلتى . | | | | |
| ٥٢- أعاني من القلق والضيق تحسبا لعدم مقدرة الآخرين على مساعدتى في حل المشكلة . | | | | |
| ٥٣- أشعر بالطمأنينة والراحة عندما يبذل الآخرون المساعى لحل مشكلتى لقدرتهم على حلها . | | | | |
| ٥٤- أكرر محاولاتى وسعيى لحل المشكلة التى تواجهنى . | | | | |
| ٥٥- أعمل على مساعدة نفسى لأن ا لله أمرنا بالعمل وعلينا أن ننفذ أوامره . | | | | |
| ٥٦- تنتابنى حالات من التشاؤم في بعض الأوقات ونحو بعض الأمور . | | | | |
| ٥٧- المؤمن دائما مصاب وعليه الصبر مادام ليس في قدرته عمل شيء . | | | | |
| ٥٨- إذا لم أنجح في حل مشكلتى أبدأ من جديد وأعلم أن الخير فيما اختاره ا لله. | | | | |
| ٥٩- ألجأ إلى ا لله فى كل المواقف الصعبة التى تمر بى. | | | | |
| ٦٠- أسعى لحل مشكلتى وأترك النتيجة عند ا لله دون تفكير . | | | | |
| ٦١- أسلك الوسائل المشروعة لحل مشكلتي وأرجومن ا لله التوفيق . | | | | |
| ٦٢- أشعر أن ا لله يقف بجانبى دائماً في كل أمورى. | | | | |
| ٦٣- أثق في قدرة ا لله دائماً على مساعدتى في اجتياز المتاعب التى تواجهني. | | | | |
| ٦٤- أوكل أمورى كلها إلى ا لله لأنه كفيل بتدبيرها على أحسن وجه . | | | | |
| ٦٥- لا أشعر بالضيق إذا فشلت المحاولات المبذولة لحل مشكلتى وأبدأ من جديد . | | | | |
| ٦٦- ا لله لا يخيب رجاء من يعمل ويتوكل عليه . | | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ٦٧- أثق بأن الله يختار دائماً الأفضل لى. | | | | |
| ٦٨- أشعر بالتشاؤم إذا فشلت المحاولات المبذولة لحل مشكلتى . | | | | |
| ٦٩- تنتابنى حالات من التشاؤم في بعض الأوقات . | | | | |
| ٧٠- أتضرع إلي الله بالدعاء لنجاح المحاولات المبذولة لحل مشكلتى . | | | | |
| ٧١- أرضى بما يختاره الله لى من أمور خيرها وشرها. | | | | |
| ٧٢- إذا لم يمكن حل مشكلتى أسلم أمرى إلى الله . | | | | |
| ٧٣- إذا لم يمكن حل مشكلتى أعرف أن الله قد اختار لى الخير . | | | | |
| ٧٤- إذا عزمت على أمر يتعلق بمشكلتى أسعى إلى تنفيذه وأترك الباقى على الله . | | | | |
| ٧٥- الله يقدر لنا دائماً الخير وعلينا أن نثق دائماً في قدرة الله على مساعدتنا في كل الأمور . | | | | |

# المحور الثانى

# من مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنهج الإسلامى

- دور خدمة الفرد فى مجال الدعوة الإسلامية .تصور مقترح .
- التوجيه الإسلامى للشباب لمواجهة التطرف .
- الخدمة الاجتماعية مع المسنين بنظرة إسلامية .
- سياسات الرعاية الاجتماعية للمسنين بين الفكر الوضعى والتصور الإسلامى .
- دور الأخصائى الاجتماعى مع المرضى المشرفين على الموت مقارنة .
- تعاطى المسكرات كمشكلة اجتماعية – الوقاية والعلاج – من منظور إسلامى .
- الخدمة الاجتماعية الإسلامية فى القوات المسلحة .

# دور خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية
# تصور مقترح

د. عادل محمد موسى جوهر

## مشكلة الدراسة :

لقد أبدى المتخصصون فى الخدمة الاجتماعية فى الدول الإسلامية فى العقود الأخيرة اهتماماً متزايداً بقضية المراجعة النقدية المتعمقة للافتراضات الأساسية التى تبنى عليها المهنة وللمبادىء التى تستند إليها بغرض إحداث التغييرات اللازمة فى ممارستها العملية لكى تصبح أكثر استجابة لحاجات المجتمعات التى تتم فيها الممارسة .

ولقد شاء الله ببالغ حكمته أن تصل تلك المراجعات المتعمقة فى السنوات الأخيرة إلى غاياتها ، إذ تتم فى ضوء ما تشهده المجتمعات الإسلامية اليوم من عودة للوعى واليقظة الإسلامية المباركة حيث نشأ عن هذا اتجاه جهود المتخصصين فى الخدمة الاجتماعية بشكل جاد إلى استلهام الأطر النظرية والممارسات التطبيقية لهذه المهنة من منظور الإسلام ، وتصوره المجدد للإنسان والكون والمجتمع دون تفريط فيما صح من الأطر والممارسات الحديثة التى لا تتنافى مع التصور الإسلامى ، وذلك فيما أصبح يعرف اليوم بالتأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية أو الخدمة الاجتماعية من وجهة إسلامية(1) .

وتستمد مهنة الخدمة الاجتماعية وجودها واستمرارها فى أى مجتمع من تبنيها للقضايا والمشكلات الاجتماعية التى تهم المجتمع ، ولم تعد أدوار الخدمة الاجتماعية قاصرة على المجالات التقليدية على الرغم من أهميتها كرعاية الأحداث والمعوقين والمسنين بل بدأت تهتم هذه المهنة بمجالات السياسة وحماية البيئة والاقتصاد والدين ، وإن غياب المهنة عن فهم العوامل والتعامل معها سيؤثر بشكل واضح على دور المهنة فى المجتمع .

ولقد شكل الدين أحد الدعامات الرئيسية التى قامت عليها مهنة الخدمة الاجتماعية فى الخارج، ومازال يؤثر ويتأثر بممارسة الخدمة الاجتماعية هناك ، وسيمتد فى المستقبل

---

(1) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة فى الفترة من ١٥-٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨- ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م- ص١ .

بشكل أكثر وضوحاً على الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، ولذلك فليس غريباً علينا أن تهتم الخدمة الاجتماعية بالدين الإسلامى ، وتعمل على الاستفادة منه وإفادة المجتمع الإسلامى بما يمكن أن تقدمه مساهمتها منها فى حل مشكلاته وإشباع احتياجاته .

والدعوة إلى الإسلام مسئولية كل مسلم ، كما أنها مسئولية كل المهنيين بصفة خاصة نظراً للدور المنوط بهم وللمكانة الاجتماعية التى يحظون بها على اختلاف مستوياتهم[1] .فالدعوة واجبة على الأفراد ، كما أنها واجبة على الأمة جمعاء ، كما أن هناك وجوباً آخر للدعوة وهو الوجوب التعليمى ، وهذا الوجوب على "الفرقة" وهى الجماعة من الناس يكونون فى بلدة واحدة أو قرية واحدة ، حيث عليهم أن يندبوا من بينهم من ينفر ليتعلم العلم الذى تقوم به الدعوة إلى الله ، ويعرف به الحق من الباطل ويدعو به إلى الله على بصيرة ، ثم تعود هذه الطائفة إلى الفرقة لتعلمها وتنذرها وتحذرها وتدعوها إلى الله تعالى وتعلمها الحلال والحرام[2] .

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[3] ولا يقتصر ذلك على العلم الشرعى، بل ينطبق على كل العلوم التى تحتاجها الأمة لحفظ أمنها وحفظ اقتصادها وصناعتها وكل أنواع العلوم التى تحتاجها ، كما أن الدعوة أصبحت لها فروع وتخصصات ومجالات وطرق ووسائل عديدة وشاملة[4] . ومهنة الخدمة الاجتماعية إحدى المهن العاملة فى المجتمع الإسلامى ، والتى يمكن أن تكون لها مساهماتها الإيجابية فى مجال الدعوة الإسلامية على اعتبار أن الدعوة الإسلامية تعتبر مسئولية كل المهن والعلوم فى المجتمع الإسلامى ، والتى من بينها مهنة الخدمة الاجتماعية[5] وخدمة الفرد كطريقة من طرق مهنة الخدمة الاجتماعية يمكن أن يكون لها مساهماتها الإيجابية فى مجال الدعوة الإسلامية باعتبارها أحد الطرق العاملة مع الإنسان والتى ستتضح من خلال استعراض مكونات هذه الدراسة .

---

(١) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، للمعهد العالمى للفكر الإسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، فى الفترة من ١٠ -١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص٣ .

(٢) محمد زين الهادى العرمانى : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩هـ - ص٦ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(٤) محمد زين الهادى العرمانى : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، - ص٧ .

(٥) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، فى الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص٣ .

**القضايا التى يثيرها موضوع الدراسة :**

**يمكن بلورة الدراسة من خلال القضايا التالية :**

١- قد يتساءل البعض إذا كان عمل الخدمة الاجتماعية وخدمة الفرد كأحد طرقها هو مع المشكلات الفردية والاجتماعية والانحرافية فما علاقة ذلك بالدعوة إلى الله فى مقابل أن علاج المشكلات الفردية والاجتماعية والانحرافية من منظور إسلامى هو بمثابة إصلاح توجه الفرد إلى الله ، كما أن تقديم الخدمات المباشرة من شأنه أن يساعد فى أمر الدعوة الإسلامية (بمعنى أنه من الأمور المعاونة فى أمر الدعوة) .

٢- يرى البعض أن مجال عمل مهنة الخدمة الاجتماعية ، وخدمة الفرد كأحد طرقها هو المساعدة فى علاج المشكلات الاجتماعية والفردية أو العمل على المستوى الوقائى أو التنموى ، وليس العمل فى مجال الدعوة الإسلامية حيث أن شأن العمل فى مجال الدعوة الإسلامية يجب أن ينحصر في المتخصصين فى العلم الشرعى .

٣- هل هناك التقاء بين طريقة خدمة الفرد من منظور إسلامى والدعوة الإسلامية ؟ أم أن كلا منهما يختلف عن الآخر اختلافاً يجعلهما لا يلتقيان من قريب أو بعيد فى بعض الجوانب ؟ .

٤- هل الخدمة الاجتماعية كمهنة وخدمة الفرد كأحد طرقها تمارس دورا أساسياً فى مجال الدعوة الإسلامية أم تمارس دوراً معاوناً فى هذا المجال ؟

٥- هل الدعوة الإسلامية موجهة للمسلمين فقط ولماذا ؟ أم لغير المسلمين ولماذا ؟ أم لكل من المسلم وغير المسلم ؟ ، وهل الأساليب المستخدمة فى الدعوة الإسلامية تختلف باختلاف العمل مع الشخص من حيث كونه مسلماً أو غير مسلم ؟

٦- قضية مدى توفر النماذج النظرية ونماذج التدخل فى الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وخدمة الفرد بصفة خاصة من منظور إسلامى ، فى مقابل توفر بعض هذه النماذج (كنموذج العمل مع الوحدات الصغيرة) وتصورات علم النفس للإنسان من منظور إسلامى والشخصية المسلمة والعلاج من منظور إسلامى .

٧- العمل من خلال مؤسسات تقليدية فى مقابل عدم تقليدية المؤسسة ، بمعنى أن الخدمة الاجتماعية وطرقها والتى من بينها طريقة خدمة الفرد توصف بأنها مؤسسية ، وفى هذه الحالة هل ستمارس الدعوة من خلال المؤسسات التقليدية وهى غير مهيأة لذلك أم ستمارس من خلال مؤسسات متخصصة فى الدعوة ومعدة لذلك الغرض ؟

٨- هل يتطلب ذلك الإبقاء على مجالات عمل الخدمة الاجتماعية التقليدية كالمجال الطبى والأحداث والمسنين والتعليمى ؟ أم يتطلب الأمر تدعيمها بما يتناسب مع أهداف الدعوة الإسلامية واستحداث مجالات عمل جديدة تتناسب مع مجال الدعوة الإسلامية فالإغاثة الإسلامية والعمل مع الأيتام والعمل مع الدول الجهادية والعمل مع مشكلات الانحراف والجريمة والجهاد فى سبيل الله ومكاتب الجاليات والدعوة والإرشاد ؟

٩- النظر فى إعداد الأخصائى الاجتماعى العامل فى مجال الدعوة الإسلامية فى مقابل الإبقاء على الشكل التقليدى للإعداد المهنى للأخصائى الاجتماعى ، بمعنى هل يتطلب الأمر إعداداً مهنياً للأخصائى الاجتماعى يتناسب مع العمل فى مجال الدعوة الإسلامية ومتطلباتها ومجالاتها أم يمكن الاكتفاء بالشكل الحالى للإعداد المهنى للأخصائى الاجتماعى ؟

١٠- هل سيتم الاعتماد على الأساليب التقليدية لخدمة الفرد للعمل فى مجال الدعوة الإسلامية فى مقابل الخروج عن هذا الإطار التقليدى إلى أساليب أخرى تتناسب مع أمر الدعوة ؟

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تحديد مشتملات الدراسة فيما يلى :

## أولاً : مفهوم الدعوة الإسلامية :

المفهوم المحورى فى هذه الدراسة هو "مفهوم الدعوة الإسلامية" وعند تحديد هذا المفهوم ، نجد أن هناك تعريفات عديدة له ، فالبعض ينظر إليه من الناحية اللغوية ، والبعض من منظور فردى ، وينظر إليه البعض بالمعنى العام كما ينظر إليه البعض بمعنى الوجوب ، أو باعتباره عملية حث على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو ينظر له على أنه تبليغ الناس بالإسلام ، والبعض ينظر له على أنه القيام بتبليغ دين الله جل وعلا . فمن الناحية اللغوية تعنى الدعوة "الطلب والسؤال" إذ أن الدعاء يتضمن الميل إلى الشىء والترغيب فيه ، ودعوة الله تعنى أدعو دعاء أى ابتهلت بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ودعاء الخلق إلى التوحيد(١).

كما ينظر البعض للمفهوم من منظور فردى على أنه "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" وهو واجب على كل فرد مسلم .

وهذا النوع من الدعوة لابد لكل مسلم أن يباشره بنفسه ولا يحمله عنه غيره . ذلك لأن كل إنسان قد يعرف منكرا لا يطلع عليه غيره يلزمه النهى عنه ولا تبرأ ذمته إلا بذلك ، كما قد يعرف من المعروف مالا يعرفه غيره فيتأكد فى حقه إبلاغه والقيام به(٢) .

---

(١) أحمد محمد على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، القاهرة ، مطبعة الحلبى غير مبين سنة النشر ، – ص٨٨ .

(٢) محمد زين الهادى العرماتى : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ٦ .

أما الدعوة بمعناها العام ، فهى واجبة على الأمة وجوب كفاية فى جملتها ، إن قام بها نفر منهم سقط وجوبها عن جملة الأمة ، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع .

وهناك وجوب آخر للدعوة ، وهو الوجوب التعليمى للدعوة والذى سبق الإشارة إليه عند الحديث عن مشكلة الدراسة .

وتعرف الدعوة الإسلامية أيضاً بأنها معالجة توصيل الدعوة الإسلامية إلى الناس بالضرورة والتى تتناسب وعصرنا الذى نعيشه ، حيث يلزم كل مسلم يعيش عصره بما هو مطلوب ومناسب له ، فى ضوء القواعد الشرعية وهو يستظل تحت ظلها الوارف الذى لاينحسر(١) .

وهناك من يرى أن الدعوة الإسلامية "فريضة عين" يصبح المتخلفون عنها آثمين شرعاً، ولا يرفع الإثم عنهم إلا نهوضهم بتبعات الدعوة إلى الإسلام وإسهامهم الفعلى فى حدود طاقاتهم وإمكانياتهم بتهيئة كل الأسباب والوسائل لإقامة دولة الإسلام ، وحجتهم فى ذلك أن "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" .

وعلى ذلك فإن دعوة الناس إلى الإسلام وإقناعهم به وتهيئتهم للنزول عند أصوله وأحكامه من الوسائل التى يتحقق بها إقامة المجتمع الإسلامى ، وإذا كان تحقق المجتمع المسلم واجباً بذاته فتصبح كل وسيلة لإقامته وإيجاده واجباً(٢). كما تعنى الدعوة الإسلامية "دعوة غير المسلمين لاعتناق الإسلام ، وتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة عن الإسلام لدى بعض المسلمين وإبراز المفاهيم الصحيحة للإسلام"(٣) .

## ثانياً : أوجه الالتقاء بين أهداف الدعوة الإسلامية وأهداف خدمة الفرد من منظور إسلامى :

### ١- أهداف الدعوة الإسلامية :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحقيق الأهداف التالية :

#### ١- هدف الدعوة الإسلامية الأول هو :

علاج الخلل الإنسانى الذى طمس الفطرة وتقويم السلوك الإنسانى الذى انحرف عن الطريق المستقيم ومداواة العلل الإنسانية ، وكان هذا الهدف هو جهد الأنبياء الأول(٤) .

---

(١) محمد زين الهادى العرمانى : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ص ١٥ - ١٦

(٢) فتحى يكن : كيف ندعو إلى الإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٩٧٧ م - ١٣٧٩ هـ ، - ص١٥ .

(٣) المملكة العربية السعودية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، نشرات مكتب الدعوة والإرشاد بالشفا (قسم الجاليات) ، ١٩٩٣ .

(٤) توفيق يوسف الراعى: النساء الداعيات ، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - ص٢٦.

فيقول الله سبحانه وتعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] .

وقد أرسل الله -سبحانه وتعالى- الرسل والكتب السماوية ، ومن هذه الكتب التوراة والإنجيل والزبور والقرآن لتحقيق هذا الهدف لما شاع فى الأمم من الظلم وبخس الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل والإسراف فى الشهوات والابتعاد عن الصراط المستقيم[2] وهذا الهدف يتحدد فى مسارين هما:

(أ) الدعوة إلى التوحيد وإقرار معنى الألوهية وحقيقة الربوبية فى الناس وترجمة ذلك حقيقة فى حس المؤمن وكيانه فيشعر أن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت بيده الملك والأمر ، لا إله إلا هو ، فينبذ الأنداد ويترك الخرافة[3] . يقول الله سبحانه وتعالى ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾[4].

(ب) الدعوة إلى التكاليف الشرعية وأخذ الناس بها لمداواة عللهم ، وهى مرحلة تفرض فيها الفرائض وتقنن فيها الشرائع ويكلف الناس بها ويدينون لها .

قال تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[5] .

**٢- ربط الإنسان بفكرة الثواب والعقاب :**

تهدف الدعوة الإسلامية إلى ربط الإنسان بفكرة الثواب والعقاب أى الجنة والنار وأوضح القرآن الكريم أن من أهداف الدعوة الإسلامية إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى الوحدانية[6] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٨ .

(٢) توفيق يوسف الراعى : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط١، ١٤١١ هـ .

(٣) توفيق يوسف الراعى : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط١ ، ١١٤١ هـ - ١٩٩٠ م -ص٢٨ .

(٤) سورة الشعراء : آية ٦٩ - ٨٢ .

(٥) سورة المائدة : آية ٤٥ .

(٦) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م - ص٦٩ .

قال تعالى ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾(١)

وسعى الرسول -ﷺ- إلى إخراج الناس من حر جهنم إلى نعيم الجنة ، وكان يطلب منهم أن يرحموا أنفسهم من النار ويبن لهم أن اتباع كتاب الله وهدى نبيه سبيل إلى الخلاص من نار جهنم بنعيم الآخرة(٢) .

### ٣- الرجوع للفطرة :

يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام فكرة الفطرة وأصالتها فى النفس الإنسانية وأنها أصل الخلقة ، فالإنسان صاف تقى ميرأ من الذنوب والخطايا خالٍ من التهم ، فلا تلاحقه عقد النقص التى تعتريه فى بعض العقائد وتجعله قد هبط إلى الأرض يحمل ذنب آدم وخطيئته، وإن كان آدم قد أخطأ فما ذنب أبنائه أن يتحملوا تبعته ، ولكن الله العادل قد تاب على آدم وسامحه قال تعالى : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾(٣) .

ووهب الله الإنسان عقلاً وجسماً حوى غرائز وميول ونوازع فطرية وجعله كائناً إنسانياً ليس ملكاً ولا شيطاناً ثم حاسبه على ما هو عليه فلم يطالبه بأكثر مما يستطيع .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾(٤) .

وعلى الإنسان أن يستخدم ميوله وغرائزه ونوازعه الفطرية في اتجاه الخير ، والدين الإسلامي الحنيف قد استغل هذه النوازع لمصلحة الإنسان ومصلحة الإنسانية ، وبذلك يحث الإنسان أهدافه الإنسانية ويوازن بينهما ليصبحا أمراً واحداً في النهاية والأمثلة في الرجوع للفطرة كثيرة ومتعددة فهى تشمل جميع مناشط الحياة(٥) .

---

(١) سورة إبراهيم : آية ١ .

(٢) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - ص ٧٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٣٧ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

(٥) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ص٧٤-٧٩ .

٤- تحرير العقول :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحرير العقول من القيود الزائفة التي كانت تسيطر عليها، وسارت في هذا بالطرق السلبية مرة وبالطرق الإيجابية مرة أخرى ، فحاولت هدم التصورات الباطلة التي تصورها العرب في سالف أيامهم ، ثم هدفت بعد الهدم إلى بناء تصورات صحيحة تستقيم مع القواعد الأساسية للعقل السليم ، فلقد كان الجاهليون ينظرون إلى موروثاتهم العقلية المألوفة والعرف المتفق عليه نظرتهم إلى العادات التي ترتبط بها مصالح العيش ومصالح السيادة والجاه ، ولم يكونوا يطيقون انتقاد هذه الموروثات المألوفة ولذلك كان هناك تعصب أعمى لتراث الآباء والأجداد مما كان معوقاً لانبعاثات العقل والفكر وعدواً لكل تجديد وإصلاح ، وبالتالي كان هدف الدعوة هو هدم ذلك الصرح لتبني صرحاً جديداً عن طريق الحجج والمحاكمات العقلية وضرب الأمثال .

٥- تحرير النفوس :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحرير النفوس وذلك بتحطيم الطواغيت والأرباب الذين اعتقد الناس بسيطرتهم ونفعهم وضرهم ، ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله الواحد الأحد الإله الصمد ، وبيّن أنه ليس لأحد من سلطان على الإنسان إلا الله وما من أحد يحييه أو يميته إلا الله ، وما من أحد يملك له ضراً ولا نفعاً وما من أحد يرزقه إلا الله ، والله وحده هو الذي يستطيع والكل سواه عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً(١) .

٦- تحرير الأخلاق :

بعث الرسول - ﷺ - والأخلاق بين العرب فيها ما هو على ما تركه الأنبياء ومنها ما تطرقت إليه يد الفساد والتحويل والتغيير ، فهدف الرسول عليه الصلاة والسلام إلى إصلاح ما فسد وإلى إبقاء ما وجد صحيحاً وإلى إتمام ما نقص ، فقال الرسول - ﷺ - ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) .

فقد كانت لدى العرب أخلاق عديدة صحيحة كالصدق والوفاء والشجاعة ، إلا أن بعضها كان فاقداً للمثل الأعلى ، فجاء الرسول عليه الصلاة والسلام وأبقى على هذه الأخلاق وجعل لها مثلا أعلى وربطها بالنية والغاية والنتيجة والعاقبة ، وهناك نوع آخر من الأخلاق خرج عن معناه وترك غايته الأصلية فجاء الرسول عليه الصلاة والسلام وأصلح ما اعوج من هذه الأخلاق وهذا من أهداف الدعوة الإسلامية(٢) .

---

(١) محمد سعيد المرلوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ص٧٩-٨١ .

(٢) محمد سعيد المرلوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص٨٦ .

٧- تحرير الجسد :

الأصل في الدعوة الإسلامية أن يكون الجسد قوياً ، لأن الإسلام دين يعلم أن الحق لا ترسخ أركانه إلا إذا كانت هناك قـوة تحميه ، يقـول سبحانه وتعالى : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾(١) .

إن الجسد حين يكون قوياً يكون أقدر على تحمل المشاق ، وبالتالي يتحقق فيه تحرره من العبودية للشهوات والمذلة ، فتحرير الجسد من لبنات بناء الإنسان الكامل المتحرر عقلاً ونفساً ووجداناً وهدف من أهداف الدعوة الإسلامية(٢) .

٨- التعليم والتربية :

تهدف الدعوة الإسلامية إلى التعليم والتربية قال الله تعالى : ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾(٣) .

٩- أهداف أخرى للدعوة :

لقد حض الرسول عليه الصلاة والسلام الأبناء على البر بالوالدين والإحسان إليهم وحسن صحبتهم مبتدئاً بالأم ، كما أوصى الآباء والأمهات بحسن رعايتهم لأولادهم وتربيتهم تربية كاملة حسنة وجعل ذلك مسئولية أمام الله عز وجل .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال "أمك" قال ثم من ؟ قال "أمك" قال ثم من ؟ قال "أمك" قال ثم من ؟ قال "أبوك"(٤) .

وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار ومساعدة الآخرين في الكرب وحب الخير لكل إنسان والابتعاد عن ظلم الآخرين وأداء الحقوق والواجبات والعدل ، وبالتالي يأمن الناس على أنفسهم وبالتالي تشمل الدعوة المجتمع الإسلامي كله ويصبح كالجسد الواحد(٥) .

---

(١) سورة الإنفال : آية ٦٠ .

(٢) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط٣ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، ص٨٦ – ٨٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٩ .

(٤) "متفق عليه" .

(٥) محمد سعيد المولوى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط٣ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، ص ص٩١ – ٩٦ .

## ٢- أهداف خدمة الفرد من منظور إسلامي :

تنظر خدمة الفرد من منظور إسلامي إلى الإنسان باعتباره وحدة تتكون من "جسد وروح" .

قال الله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾(١) وفي المنظور التقليدي يعتبر البعد الروحي غائباً ، ويتسم بمحدودية نظرته واقتصاره على الأهداف المادية وقطع الصلة بين الإنسان وخالقه واستبعاده الحياة الأخرى ، والاعتقاد في أن الإنسان تموت نفسه وروحه بمعنى أنه لا حياة للنفس بعد موت الجسد.

أما النظرة الإسلامية تغاير تماماً المنظور التقليدي في رؤيته للإنسان والغاية من خلقه ، فرؤية المنظور الإسلامي للإنسان باعتباره جسداً وروحاً وأن الغاية من خلقه هى عبادة الله سبحانه وتعالى(٢).

وهناك من يحدد وظيفة الإنسان من المنظور الإسلامي في :

١ - عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿واستعمركم فيها﴾(٣) .

وذلك لتحصيل ما به صلاح المعاش لنفسه وغيره .

٢ - عبادة الله سبحانه وتعالى ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٤) .

٣ - الاستخلاف في الأرض ، يقول تعالى : ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾(٥) .

وعلى ذلك يكون الهدف من وجود الإنسان هو الاستخلاف في الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى ، والاستخلاف في الأرض يقتضي السعي وإشباع الحاجات في الإطار الإسلامي الذي يبيحه الله سبحانه وتعالى والبعد عما يحرمه(٦) .

---

(١) سورة ص : الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٢) عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص ٢٢.

(٣) سورة هود : آية ٦١ .

(٤) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٢٩ .

(٦) عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، للمعهد العالمي لفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م - ص ٢٤.

وعلى ذلك تتحدد أهداف خدمة الفرد من المنظور الإسلامي في مساعدة الفرد على التخلص من عوامل انحرافه ومعصية للخالق . مع مساعدة كل محتاج وغير قادر[1] .

ومن هنا تتحقق عبودية الإنسان لخالقه (الجانب الروحي) ، وإشباع حاجاته المادية (الجانب المادي) مع إشباع هذه الحاجات المادية في الإطار الإسلامي .

ويتحقق ذلك من خلال تهذيب النفس وإصلاحها ، ونشر الفضائل بين الناس ومساعدتهم على التحلي بالأخلاق الحميدة والتمسك بالقيم الإسلامية والعمل وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية[2].

## ثالثاً : مدى توفر عناصر خدمة الفرد من منظور إسلامي في عملية الدعوة الإسلامية :

يحاول الباحث في هذا المبحث أن يتعرف على متطلبات الدعوة الإسلامية ، ثم يحاول التعرف على ما إذا كانت هذه المتطلبات متوفرة في خدمة الفرد من منظور إسلامي أم لا ؟

وفي محاولة للتحقق من ذلك سوف يعرض الباحث لمتطلبات الدعوة الإسلامية ، ثم يحاول التحقق عما إذا كانت هذه المتطلبات متضمنة في خدمة الفرد الإسلامية أم لا ؟

### أ ـ متطلبات الدعوة الإسلامية :

تتطلب الدعوة الإسلامية مجموعة من العناصر والأركان عرضها على النحو التالي :

١ ـ "رجال" نذروا أنفسهم لتبليغ حقيقة الدين كما علموها[3] طاعة لقول الرسول ـ ﷺ ـ : "بلغوا عني ولو آية"[4] .

وهؤلاء الرجال قد يكونون من أهل العلم المتخصصين أو من الشخصيات العاملة في مجال الدعوة والذين يدعون إلى الله على بصيرة .

---

(١) عبد المنعم السنهوري : نحو مفهوم لخدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) في الفترة من ٢١ ـ ٢٣ مارس ، ١٩٩٠ م ، ص ٩.

(٢) عبد المنعم السنهوري: نحو مفهوم لخدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) في الفترة من ٢١ ـ ٢٣ مارس ، ١٩٩٠ م ، ص ص ١٠ ، ١١.

(٣) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ، ص ٧٧.

(٤) "رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، عن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" .

٢ ـ كما تتطلب الدعوة "مكاناً" وهذا المكان قد يكون المسجد أو التجمعات العامة والأندية والجمعيات والجامعات والمدارس وكل الهيئات التي يتعين على أهل الفكر المساهمة في توجيهها وتثقيف منسوبيها بالثقافة الإسلامية التي تأخذ بنواصيهم إلى الخير وتجنبهم الفواحش والمنكر(١) .

٣ ـ "المدعوون" وهؤلاء قد يكونون من المسلمين أو من غير المسلمين .

٤ ـ "الرسالة الدعوية" وتتضمن هذه الرسالة الدعوة إلى التوحيد ، والدعوة إلى التكاليف الشرعية وربط الإنسان بفكرة الثواب والعقاب والرجوع للفطرة وتحرير العقول والنفوس والأخلاق والجسد وغيرها من الأمور الدعوية(٢) .

وبعد استعراض متطلبات الدعوة الإسلامية سوف يعرض الباحث لعناصر خدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، ثم يحاول التعرف على ما إذا كانت هذه العناصر يمكن تضمينها في عملية الدعوة الإسلامية أم لا ؟

## ب ـ عناصر خدمة الفرد من منظور إسلامي :

يتبادر إلى الذهن تساؤل مؤداه ، هل عناصر خدمة الفرد يمكن تضمينها في عملية الدعوة الإسلامية ؟

للإجابة عن هذا التساؤل يجب أن أحدد عناصر خدمة الفرد من المنظور التقليدي ، ثم أحاول الإجابة عن تساؤل آخر هو : هل تختلف عناصر خدمة الفرد في المنظور التقليدي عنها في المنظور الإسلامي ؟

تحدد عناصر خدمة الفرد في المنظور التقليدي في خمس عناصر هي العميل ، المشكلة المؤسسة ، الأخصائي الاجتماعي ، عملية المساعدة(٣) .

وللإجابة عن التساؤل الذي مؤداه : هل تختلف عناصر خدمة الفرد في المنظور التقليدي عنها في المنظور الإسلامي ؟ ، فهذه العناصر لا تختلف في كلا المنظورين من حيث الشكل أو من ناحية مسمياتها ، أما من حيث المضمون فهي تختلف اختلافاً حقيقياً كما يلي:

---

(١) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ص ص ٨٧ ، ٨٨.

(٢) محمد سعيد المولدى : المربى محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة لنشر والوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ، ص ص ٦٩ ـ ٩٦.

(٣) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد في المجتمع النامي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ م ، ص ١٢٥ .

## ١ ـ العميل :

العميل في المنظور التقليدي هو ذلـك الشخص الـذي أحـاطت بـه المشكلة ، ليجد نفسه عاجزاً عن مواجهتها بالرغم من القدرات الكامنـة فيـه وفي بيئتـه ، وهـذا العجـز الـذي وصل إليه والذي أفقده القدرة على أن يستغل طاقاته الذاتية وبيئته المحيطة هو الذي دفعـه لأن يلجأ إلى إحـدى المؤسسـات الاجتماعيـة لكـي تعينه علـى الوصـول للهـدف الـذي يريـد تحقيقه(١).

أما عن العميل من المنظور الإسـلامي فهـو الشـخص الـذي تواجهـه مشـكلة بسـبب ضعف في الوازع الديني وانحساره لديه ، أو الشخص الـذي ابتعـد عـن ا لله سبحانه وتعـالى وعـن تعاليمـه ، وبالتـالي عنـد تعرضـه لأي متـاعب نفسـية أو عقبـات ، فـإن هـذه المتـاعب والعقبات تؤثر عليه لأنه لا يتقبلها ولا يهونها على نفسـه بـل يضخمهـا فـتزداد وتؤثـر عليـه سلبياً ، بعكس الشـخص المؤمـن الـذي يحس بالرضـا في أي شـئ وبالتـالي تهـون عليـه المشاكل(٢) . ويمكن تقسيم العملاء من المنظور الإسلامي إلى الأقسام التالية(٣) :

١ ـ قسم أعرض عن عبادة ا لله والاستعانة به .

٢ ـ قسم يشـهد بربوبيـة الحق وافتقـارهم إليـه ويسـتعينون بـه ولكـن علـى أهوائهـم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبـه ومحبتـه فيفعلـون المعصيـة ظـانين أنها طاعة .

٣ ـ قسم ينظر إلى جانب الأمر والنهي والطاعـة شـاهدين لألوهيـة الـرب ــ سـبحانه وتعالي ـ الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة ، لأنهم يغلب عليهم الضعف والعجز ، لأن الاستعانة بـا لله والتوكـل عليـه هـي تقـوي العبـد وتيسر عليه الأمور .

ويري الباحث أنه يمكن تقسيم العملاء في مجال الدعوة الإسلامية إلى قسمين رئيسين هما :

---

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسـلة كتـب الخدمـة الاجتماعيـة (٢) ط، الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٥٤ ، ٢.

(٢) عادل محمد جوهر : نموذج ديني مقترح في علاج مشكلة إدمان المخدرات من وجهة نظر الإسلام ، المؤتمر العربي الأول لمواجهةمشكلات الإدمان (الوقاية ، العلاج ، المتابعة) ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، مجلد الأبحاث ، ١٣ ـ ١٦ سبتمبر ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٤٩.

(٣) عفاف الدباغ : المنظـور الإسلامي للطبيعـة الإنسـانية ، المعهد العالمي لفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى نـدوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ م ، ص ص ٤٨ ، ٤٩.

١ ـ العملاء غير المسلمين : وهؤلاء يحتاجون إلى دعوتهم إلى الدخول في الإسلام .

٢ ـ العملاء من المسلمين : وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى قسمين كما يلي :

( أ ) مسلمون عصاة : أي يعرفون الحق ويعرضون عنه ، وهؤلاء يحتاجون إلى مساعدتهم للرجوع للحق .

(ب) مسلمون يجهلون أو لا يعرفون الأحكام الشرعية للإسلام ، وهؤلاء في حاجة إلى من يعرفهم الأحكام الشرعية للإسلام والتمسك بها .

**٢ ـ المشكلة :**

تعرف المشكلة في خدمة الفرد من المنظور التقليدي بأنها "موقف الفرد وتعجز فيه قدراته عن مواجهته بفاعلية مما يعوق أداءه لبعض وظائفه الاجتماعية[١] .

أما عن المشكلة من المنظور الإسلامي فهي تحدث نتيجة لانحسار وضعف الوازع الديني لدى الأفراد مما يودى إلى القلق والتوتر فتحدث المشكلة ، أو قد ترجع إلى قلة الوعي الديني أو عدم الدراية بالأحكام الدينية التي تمنع من الوقوع في المشكلات[٢] .

كما قد تحدث المشكلة من وجهة نظر المنظور الإسلامي للحالات التالية :

١ ـ الكفر والعياذ با لله .

٢ ـ النفاق والعياذ با لله .

٣ ـ القلب الذي له مدتان ، وهو القلب الذي يتمكن فيه الإيمان و لم يزهر فيه سراج ليدفع شبهات الباطل وشهوات الغي ، بل فيه مدة من الإيمان ، وهو يشهد لله بالوحدانية ولنبيه ـ ﷺ بالرسالة ، وفيه من خلافه وهي ظلمات الجهل وغيم الشبهات وهوى الشهوات الذي أطفأ مصباح بصيرته، وهذا القلب وصف بالمرض لأنه قلب له حياه وبه علة، وله مدتان يمد بهذه مرة وبهذه أخرى، وهذا النوع من الحالات يسيطر عليها الشيطان ويتحدد دور الشيطان مع هذه الحالات فيما يلي:

أ ـ التزيين والإغواء والاستهواء .

ب ـ الوعد والتسويل والتخويف .

جـ ـ النزاع بين الناس وإيقاع العداوة بينهم والحزن .

---

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ، الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٥٩ ٢.

(٢) عادل محمد جوهر : نموذج ديني مقترح في علاج مشكلة إدمان المخدرات من وجهة نظر الإسلام ، المؤتمر العربي الأول لمواجهة مشكلات الإدمان (الوقاية ، العلاج ، المتابعة) ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، مجلد الأبحاث ، ١٣ ـ ١٦ سبتمبر ، ١٩٨٨ م ـ ص ٤٥٣.

د ـ مس الإنسان بالنصب والعذاب .

هـ ـ إيقاع النسيان لذكر الله بالإنسان .

و ـ تعليم الناس السحر(١) .

ويرى الباحث أنه يمكن تحديد الحالات أو الموضوعات أو المواقف التي تسبب المشكلات في مجال الدعوة الإسلامية والتي ينبغي التركيز عليها في هذا المجال كما يلي :

١ ـ الكفر والعياذ بالله ، وهذه الحالة تحتاج إلى دعوة صاحبها إلى الإسلام والإيمان .

٢ ـ النفاق والعياذ بالله .

٣ ـ القلب الذي له مدتان .

ويقول الله سبحانه وتعالى في حق الكافر ﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم**﴾(٢) .

ويقول في حق المنافق : ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾(٣) .

وفى حق القلب الذي له مدتان ، يقول الله سبحانه وتعالى في حقه : ﴿**إن الشيطان للإنسان عدو مبين**﴾(٤) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً**﴾(٥) .

**٣ ـ المؤسسة :**

المؤسسة في المنظور التقليدي هي المكان الذي تمارس فيه خدمة الفرد ، وهي إحدى الموارد البيئية التى يلجأ إليها العميل أو يحول إليها من الهيئات المختلفة على أمل أن تخلصه من

---

(١) عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية ، للمعهد العالمى للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ م ، ص ص ٢٠ ـ ٢٥.

(٢) سورة البقرة : آية ٦ ، ٧ .

(٣) سورة البقرة : آية ٨ ـ ١٠ .

(٤) سورة يوسف : آية ٥ .

(٥) سورة النساء : آية ٨٣ .

المشكلة التي يعاني منها ، وهي لابد أن تتوفر لها الإمكانات اللازمة سواء كانت هذه الإمكانات بشرية تتمثل في الأشخاص المهنيين المعدين إعداداً سليماً ، أو الإمكانات المادية التي تتمثل في الميزانية والمكان نفسه وشروط المؤسسة وفلسفتها[1] والمؤسسة من المنظور الإسلامي يجب أن تتطور لكي تتناسب مع هذا الشكل من الممارسة بحيث تركز على الطابع الإسلامي الذي يجب أن يهتم بالمحافظة على القيم وتنميتها واقتداء العملاء بسلوك العاملين بهذه المؤسسات وإمدادهم بالأخلاق الفاضلة[2] .

أما عن المؤسسة في مجال الدعوة الإسلامية فإن "المسجد" يعد مكاناً رئيسياً للدعوة فالله سبحانه وتعالى يقول : **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾**[3] .

ويقول سبحانه وتعالى : **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾**[4] .

كما أن هناك مؤسسات أخرى للدعوة مثل السجن ، فقال تعالى : **﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾**[5] .

كما أن الأندية الثقافية والرياضية من مؤسسات الدعوة ، وهذه ليست بدعة ، فقد كان الرسول - ﷺ - يغشى أندية قريش وغيرها داعياً إلى الله ومذكراً به عارضاً الإسلام في أحسن ما يمكن أن يعرض فيه من صورة ، بل وطالباً الحماية والجوار حتى يبلغ عن ربه[6] .

والسوق من أماكن الدعوة ، وقد مر الرسول - ﷺ - مرة بالسوق وأدخل يده في صرة الطعام فوجد فيه بللاً ، فقال ما هذا يا صاحب الطعام ، فقال : أصابته السماء يا رسول الله ، فقال أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني[7] .

---

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط، الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٦٢ .

(٢) عادل محمد جوهر : نموذج ديني مقترح في علاج مشكلة إدمان المخدرات من وجهة نظر الإسلام ، المؤتمر العربي الأول لمواجهة مشكلات الإدمان (الوقاية ، العلاج ، المتابعة) ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، مجلد الأبحاث ، ١٣ - ١٦ سبتمبر ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٤٧ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٨ .

(٤) سورة البقرة : آية ١١٤ .

(٥) سورة يوسف : آية ٣٣ .

(٦) محمد زين الهادي العماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٧٧ .

(٧) "صحيح مسلم بشرح النووي" ، كتاب الإيمان ، حديث (١٦٤ ، ٢ / ١٠٨) .

كما أن قاعات المحاضرات والاجتماعات العامة بالجامعات أو قاعات الفنادق وجميع المؤسسات يمكن أن تكون أماكن للدعوة[1] .

كما أن الجيش يمكن أن يكون من أماكن الدعوة ، فالله سبحانه وتعالي يقول : **﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾**[2] ويقول : **﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون﴾**[3] .

كما أن الشركات والمصانع ودور العلم وتجمعات اللاجئين والمراكز الإسلامية من أماكن الدعوة أيضاً[4] .

**ويرى الباحث :**

أن جميع المؤسسات الموجودة في المجتمع يمكن أن تكون أماكن للدعوة بشرط أن تتطور هذه المؤسسات لكي تتناسب مع هذا الشكل من الممارسة ويجب استحداث مؤسسات أخري لأمر الدعوة كمكاتب الجاليات والإغاثة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وغيرها .

**٤ ـ الأخصائي الاجتماعي :**

الأخصائي الاجتماعي من المنظور التقليدي هو الشخص المهني المعد إعداداً كافياً لممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية[5] .

أما عن الأخصائي من المنظور الإسلامي فهو الشخص المعد إعداداً إسلامياً لممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، ويجب أن يتصف بالقدرة على تكوين العلاقات والتأثير على الآخرين ودقة الملاحظة وحسن الخلق والاتزان الانفعالي والتسامح

---

(١) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : آية ٧٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٥٤ .

(٤) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٩٥ ـ ٢٠٧ .

(٥) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الأسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٦٤.

وإنكار الذات وأن يعمل بعمله واحترام وتقدير الآخرين وأن يكون عادلاً ومتصفاً بالقدرة الصالحة والصبر والجلد وتطهير النفس ظاهرها وباطنها(١) .

أما عن صفات الأخصائي الاجتماعي العامل في مجال الدعوة فيمكن تحديدها في الإيمان العميق والعلم الدقيق ، ومواجهة الظلم والظالمين ، والعلم بالمدعوين ، والعلم بالتيارات الفكرية المختلفة ، والعلم بطرق الدعوة ووسائلها وغاياتها "أي العلم بفن الدعوة" والخلق الوثيق "كالصبر والحلم" والتواصي بالحق، والتواصي وابتغاء وجه ا لله ، والثقة بـا لله ، وعفة اللسان ، الصدق ، الإحساس بالأمانة(٢) والحكمة والموعظة الحسنة والعلم واليقين والإخلاص في الدعوة والتسلح بالصبر والنصح والقدوة الحسنة والثقة في جانب ا لله ولين الجانب(٣) .

قال ا لله سبحانه وتعالي : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾(٤) .

وقال تعالي : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى ا لله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان ا لله وما أنا من المشركين﴾(٥) .

وقال تعالي : ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر﴾(٧) .

---

(١) عبد المنعم السنهوري : نحو مفهوم لخدمة الفرد من المنظور الإسلامي ، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) في الفترة من ٢١ ـ ٢٣ مارس ، ١٩٩٠ م ، ص ص ١٧ ـ ٢١.

(٢) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ، ص ص ١٠١ ، ١٢٥.

(٣) الشوادفي الباز أحمد حسن : منهج الدعوة والدعاة ، مجلة الجندي المسلم ، مجلة إسلامية ثقافية عسكرية فصيلة ، تصدر عن إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ١٩٩٢ م ـ ١٤١٢ هـ ، ص ص ١٨ ، ١٩.

(٤) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٥) سورة يوسف : آية ١٠٨ .

(٦) سورة الأحقاف : آية ٣٥ .

(٧) سورة المدثر : الآية ١ ـ ٧ .

ويقول تعالى على لسان نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من ا لله ما لا تعلمون﴾(١) ..

ويقول على لسان هود ـ عليه السلام ـ : ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول ا لله أسوة حسنة لمن كان يرجو ا لله واليوم الآخر وذكر ا لله كثيراً﴾(٣) .

**٥ ـ عملية المساعدة :**

عملية المساعدة في المنظور التقليدي هي التأثير في ذات العميل أو في ظروفه المحيطة أو في كليهما لاستعادة قدرات العميل لأداء وظيفته الاجتماعية(٤) وعملية المساعدة في المنظور الإسلامي ، هي العلاج القائم على أساليب هذا المنظور ، والتي من خلالها يمكن تقوية الوازع الديني لدى العميل وتوضيح موقف الدين من مشكلة العميل ومساعدة العميل على الامتثال للأوامر والنواهي الدينية(٥) .

أما عن عملية المساعدة في مجال الدعوة الإسلامية فهي تختلف باختلاف مستوى المجتمع ، ففي المجتمعات الفقيرة يجب أن تتركز عملية المساعدة على :

**أولاً : الخدمات العملية :**

مثل بناء المدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وملاجئ العجزة ، ومن خلال تلك المؤسسات تقوم الدعوة على أن يختار لها المدرسون والأطباء والأخصائيون الاجتماعيون والدعاة الأكفاء. والسبب في هذا النوع من وسائل الدعوة هو أن مثل هؤلاء الناس تشغلهم أمور معاشهم ، وبالتالي إذا ما وجدوا من يتكفل لهم بذلك أو بجزء منه فإنهم يكنون له وداً خاصاً ، فالناس جلبوا على حب من أحسن إليهم .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٦١ - ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٦٨ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٤) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج للمشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الأسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ٦٦ ، ٦٧.

(٥) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد في المجتمع النامي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٨ .

وهناك جهات أخرى لها دعوات نصرانية مثلاً تمد لهم يد العون والمساعدة من كساء وغذاء وتعليم وعلاج ، ثم تدعوهم وهي تمد لهم ذلك العون باسم "يسوع المسيح" والناس تستجيب تحت ضغط وذل المسبغة والفاقة .

**ثانياً : الدعوة القائمة على أسلوب الوعظ النظري والتوجيه :**

أما في المجتمعات الغنية فإن الناس تتسم حياتهم بالهدوء والأخذ بأسباب الراحة في المركب والمسكن والملبس وكل سبل العيش ، وبالتالي يكون التركيز على المعاني الروحية التي تخفف عنهم ما يجدونه من معاناة واضطرابات نفسية بسبب حياة التنعم وكثرة تجاذب المادة لهم من الخدمات العملية كما في المجتمعات الفقيرة[1] .

ويرى الباحث أن عملية المساعدة في مجال الدعوة الإسلامية تأخذ مسارين هما :

١ ـ الخدمات العملية كالمساعدات الاقتصادية وإقامة المستشفيات والمدارس والملاجئ الخاصة بالأيتام وغيرها .

٢ ـ المعاني الروحية التي تركز على الوعظ والإرشاد والتوجيه والترغيب وغيرها .

ولكن ينوه الباحث إلى أن البدء بأحدهما يختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف المستوى الاقتصادى للمجتمع ، فإذا كان المستوى الاقتصادى للمجتمع مرتفعاً كان البدء بالمعاني الروحية ، أما إذا كان المستوى الاقتصادى للمجتمع منخفضاً كان البدء بالخدمات العملية .

## رابعاً : دور خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية :

اتضح من استعراض أهداف الدعوة الإسلامية وأهداف خدمة الفرد من منظور إسلامي أن هناك التقاء بينهما في الأهداف المتمثلة في أن تكون الوجهة لله ـ سبحانه وتعالى ـ خالصة ، ودعوة الشخص إلى القيام بالتكاليف الشرعية (الجانب الروحي) وأيضاً إشباع الحاجات للمدعوين في الإطار الإسلامي (الجانب المادي) ، وبالتالي يمكن بلورة دور خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية من خلال "دور أساسي لخدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية يتمثل في مساعدة المدعوين على أن تكون وجهتهم الله سبحانه وتعالي (وهذا هو الجانب الروحي) ، ودور مساعد لخدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية يتمثل في إشباع الحاجات المادية للمدعوين (وهذا هو الجانب المادي) ، بالإضافة إلى دور يتعلق بالأمر

---

(١) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ص ٤٤ ـ ٤٦ .

بالمعروف والنهى عن المنكر باعتبار الأخصائي الاجتماعي "شخصاً مسلماً" شأنه شأن أي مسلم في المجتمع الإسلامي .

ويمكن تناول هذا الدور من خلال ما يلي :

أ ـ النموذج الذي يمكن الاعتماد عليه في مجال الدعوة الإسلامية .

ب ـ دور خدمة الفرد في مؤسسات الدعوة الإسلامية .

١ ـ التدخل المهني للأخصائي الاجتماعي مع المدعوين من منظور فردي (يتمثل ذلك في دور أساسي) .

٢ ـ الأدوار التبادلية بين الأخصائي الاجتماعي والداعية من خريجي كليات الدعوة ومعاهد الدعوة والشريعة من منظور فردي (ويتمثل ذلك في دور مساعد) .

٣ ـ المشاركة في أمر الدعوة الإسلامية من خلال "عملية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" .

جـ ـ مداخل مقترحة في خدمة الفرد من منظور إسلامي في مجال الدعوة الإسلامية .

يمكن تناول هذا الدور على النحو التالي :

**أ ـ النموذج الذي يمكن الاعتماد عليه في مجال الدعوة الإسلامية :**

يرى البعض أن الخدمة الاجتماعية ليس لها نظرية أو نموذج للتدخل من منظور إسلامي للعمل في مجال الدعوة الإسلامية ، ولكن يمكن القول : إن هناك نماذج يمكن الاعتماد عليها في مجال الدعوة الإسلامية .

ومن أمثلة ذلك : النموذج الذي أعد بواسطة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب للعمل على مستوى الوحدات الصغيرة من منظور إسلامي ، كما أن الخدمة الاجتماعية بحكم اتساع قاعدتها العملية لتأخذ من علوم كثيرة وخاصة علم النفس ، فإنها يمكنها أن تستفيد من النماذج الخاصة بعلم النفس التي تصلح لتفسير السلوك الإنساني من منظور إسلامى انطلاقاً من تصورات علماء النفس من منظور إسلامي والشخصية المسلمة والعلاج من منظور إسلامي ، ونظراً لأن العلم تراكمي ، وأنه لابد من الاستفادة من خبرات الباحثين السابقين في نفس المجال الذي يبحث فيه باحث معين فإنه في هذه الدراسة يمكن الاستفادة من النموذج الذي سبقت الإشارة إليه في مجال الدعوة الإسلامية ، ويمكن عرض هذا النموذج على النحو التالي :

تنطلق نظرية الممارسة في الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي من خلال مجموعتين من القوائم كما يلي[1] .

**أولاهما :** تحوي متلازمات الأعراض ، أو الأحوال التي تستدعي التدخل المهني من جهة.

**ثانيتهما :** تحوي بياناً باستراتيجيات وأدوات التدخل المهني المحددة الملائمة لمواجهة تلك الأعراض أو على الأقل التخفيف منها (وذلك في حالة التدخل على المستوى العلاجي) أو تصحيح الموقف (في حالة التدخل على المستوى الوقائي) أو إحداث التغييرات الإيجابية المرغوبة (في حالة التدخل على المستوى التنموى) .

**ويود الباحث :**

أن يؤكد أن الحديث عن المنظور الإسلامي لا يعني استبعاد أو إهمال ما جاء في العلم الحديث حول نظرية الممارسة .

وفي ضوء ذلك تتمثل نظرية الممارسة من المنظور الإسلامي فيما يلي :

١ ـ القيام بمهمة تقدير الموقف : (Assessment) لتحديد نوع الصعوبة أو المشكلة أو الحالة التي تواجه العميل والتي تحتاج إلى التدخل ، ويتطلب ذلك ما يلي :

* جمع بيانات دقيقة حول الوضع الراهن الذي يعايشه العميل بدءاً من وصف الشخصية إلى مسح الظروف البيئية .

* مقارنة الوضع الراهن بالسمات المعيارية التي تحدد ما هو طبيعي أو سوي بالنسبة لمن هم في مثل خصائصه في ضوء النظرية المعتمدة .

* الانتهاء بتحديد مناطق الخلل أو مواضع الافتراق عن النمط المعياري ومقارنتها بمتلازمات الأعراض .

٢ ـ اختيار استراتيجية التدخل الملائمة والأدوات المناسبة لإحداث التعديل المناسب في العميل أو المحيطين ، ويتضمن ذلك ما يلي :

**أولاً : تقدير الموقف أو المشكلة أو الحالة :**

ويتضمن ذلك معرفة نوع صلة الإنسان بربه المبنية على مفهوم الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، وفي نفس الوقت يجب عدم إغفال إشباع الحاجات الدنيوية (المادية

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ ـ ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ ـ ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م، ص ص ٦٨ ـ ٧٨.

والنفسية والاجتماعية) إشباعاً متوازناً في علاقته بالله سبحانه وتعالى والمتوقع أن تنتهي الموقف إلى الحالات التالية :

**الحالة الأولى :**

أن يكون العميل صحيح الاعتقاد ومقيماً على التوحيد الخالص وهذا الاعتقاد يهيمن على القلب والوجدان ، وبالتالي لا يجزع ولا يفزع ولا يخاف ولا يضطرب .

**الحالة الثانية :**

أن يكون العميل صحيح الاعتقاد ، ولكن هذا الاعتقاد الصحيح لا أثر له على القلب والوجدان، وهنا تكون مداخل الشيطان على هذا الإنسان كثيرة .

**الحالة الثالثة :**

أن يكون العميل سقيم الاعتقاد يختلط التوحيد لديه ببعض الشركيات أو البدعيات ولذلك يتعرض للجزع والهلع الشديد عند مواجهة المواقف الشديدة أو عند الابتلاء .

**ثانياً : استراتيجيات وأدوات التدخل المهني :**

لاشك أن كل فئة من الفئات الثلاث ستتطلب نوعاً مختلفاً من التدخل كما يلي :

**النوع الأول : حالة سلامة الاعتقاد مع حياة القلب وصفاء الفطرة :**

هذه الحالة لا يتوقع أن يواجه الأخصائي صعوبة كبيرة في العمل معها لأنها لا تكون معقدة بتفاعلات نفسية أو وجدانية ، ويتميز صاحبها بالاستقامة ، ولديها من عناصر القوة ما يتيح للأخصائي التعامل بصورة طيبة ، وفي هذه الحالة قد يكون التعامل من خلال معونات مالية وبعض المعونات التيسيرية التي تتعلق بالدفاع أو المفاوضات مع المنظمات الرسمية .

**النوع الثاني : حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب :**

إن هذا العميل يصبر على مواجهة مشاكله حيناً ، ولكنه يعود للجزع أحياناً كثيرة لأنه يسلم نفسه لنفسه أكثر من تسليمها لخالقه ومولاه ، وهذا العميل يتطلب من الأخصائي مساعدته على الخروج من إطار الماديات وارتباط النفس بها ، لإفساح المجال أمام أنس الروح بالعبادات والطاعات ، وهذه الحالة تتطلب استراتيجية متعددة الأوجه تستهدف معاونة العميل على إعادة النظر في حياته واستعادة توازنه .

**النوع الثالث : حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب :**

يتمثل العلاج في هذه الحالة أساساً في العمل على تصحيح العقيدة أولاً حتى ينفتح الباب أمام إمكانية إصلاح القلب ، ويتضمن ذلك تحديد الاختلال في الاعتقاد ثم العمل على إزالة تلك الاختلالات وإعادة تعليم العميل ما ينبغي أن يحل محلها من سليم الاعتقاد ،

سواء قام الأخصائي بذلك بنفسه أم بالاعتماد على أهل العلم الشرعي ، ثم يستكمل الأخصائي تدخله وفقاً للاستراتيجيات السابق وضعها .

### ب ـ دور خدمة الفرد في مؤسسات الدعوة الإسلامية :

ويمكن تناول هذا الدور من خلال الآتي :

١ ـ التدخل المهني للأخصائي مع المدعوين من منظور فردي .

٢ ـ الأدوار التبادلية بين الأخصائي والداعية من خريجي كليات الدعوة ومعاهدها والشريعة من منظور فردي .

٣ ـ المشاركة في أمر الدعوة الإسلامية من خلال "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

لكي نتناول التدخل المهني للأخصائي الاجتماعي مع المدعوين من منظور فردي يجب أن ينوه الباحث إلى أنه سوف يعتمد في مناقشة هذا التدخل على النموذج الذي سبقت الإشارة إليه ، بالإضافة إلى بعض مرئيات علماء النفس من منظور إسلامي للشخصية المسلمة ، وأساليب العلاج في علم النفس من منظور إسلامي ، ويمكن التدخل المهني للأخصائي الاجتماعي مع المدعوين من منظور فردي على النحو التالي :

أ ـ تحديد أهداف التدخل المهني .

ب ـ تحديد مشكلات المدعوين وتقدير موقفهم .

جـ ـ تحديد استراتيجية التدخل والأساليب المستخدمة في ذلك .

**أولاً : تحديد أهداف التدخل :**

يسعى التدخل المهني في مجال الدعوة الإسلامية إلى تحقيق هدفين رئيسين على النحو التالي:

١ ـ إصلاح توجه الفرد لكي يكون لله سبحانه وتعالى والقيام بتنفيذ التكاليف الشرعية .

٢ ـ إشباع الحاجات المادية في إطار الشريعة الإسلامية ، وضرورة توازنها مع الجوانب الروحية(١) .

---

(١) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م ، ص ٢٦.

محمد سعيد المولوي : المربي محمد ، التربية النبوية ، شمولها ، أهدافها طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٩ م ، ص ص ٦٩ ـ ٧٩ .

عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ٢٤ .

ولكن بأيهما نبدأ ، هل بإصلاح التوجه أم بتقديم الخدمات المادية ؟ فهذا ما يحدث حوله الخلاف ، حيث يرى البعض أن ذلك يختلف من مجتمع لآخر حيث يرون أن المجتمع الفقير يكون البدء فيه بتقديم الخدمات المادية يليها التركيز على الجوانب الروحية ، في حين في المجتمع الغني يكون التركيز أولاً على الجوانب الروحية(١) .

كما أن البعض يرى أن تقديم الخدمات المادية يجب أن يكون وسيلة وليس هدفاً ولا يجب أن يطغى على عملية الدعوة ذاتها(٢) .

**ثانياً : تحديد مشكلات المدعوين وتقدير موقفهم :**

لكي نحدد مشكلات المدعوين فإنه يمكن تصنيفها إلى قسمين على النحو التالي :

أ ـ مشكلات المدعوين من غير المسلمين .

ب ـ مشكلات المدعوين من المسلمين ، وتقسم قسمين :

١ ـ مشكلات المسلمين حديثاً .

٢ ـ مشكلات المسلمين .

ويمكن تحديد ذلك على النحو التالي :

**أ ـ مشكلات المدعوين من غير المسلمين :**

إن ما يهمنا بالنسبة للمدعوين من غير المسلمين هو التركيز على مشاكلهم المتعلقة بالعادات السلوكية غير الصحيحة والانحرافات الأخلاقية والمشكلات العقائدية .

ولتقدير موقف المدعو في هذه الحالة انطلاقاً من المنظور الذي سبق أن أكدت على الاعتماد عليه، يمكن اعتبار هذا العميل ممن تنطبق عليهم الحالة الثالثة وهي فساد الاعتقاد وسقم القلوب .

**ب ـ مشكلات المدعوين من المسلمين : وتقسم قسمين هما :**

١ ـ مشكلات المدعوين من المسلمين حديثاً .

٢ ـ مشكلات المسلمين .

وفيما يلي يمكن تناول ذلك على النحو التالي :

---

(١) محمد زين الهادي العرماني : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٧ .

(٢) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ٢٠ .

**١ ـ مشكلات المدعوين من المسلمين حديثاً[١] :**

تواجه المسلمين حديثاً العديد من المشكلات والتي يمكن تحديدها كما يلي :

* احتياج المسلمين حديثاً إلى المعلومات والحقائق الإسلامية التي تساعدهم على المضي قدماً في الإسلام بما يدعم إسلامهم واحتياجهم إلى تعلم الأصول والمبادئ الإسلامية .

* وجود بعض المشكلات مع أصحاب العمل كنتيجة لإسلام هؤلاء الأفراد حيث يتسببون في حدوث مشكلات مع زملائهم من غير المسلمين في مجال العمل .

* تعرض البعض منهم للفصل وما يترتب على ذلك من مشكلات الإسكان والإعاشة .

* وجود بعض المسلمين حديثاً ممن لا عمل لهم (يعانون من البطالة) .

* تعرض بعض المسلمين حديثاً إلى مشكلات أسرية لإشهار إسلامهم .

* وجود بعض المشكلات المادية .

* مشكلات تتعلق بصعوبة التعامل مع الآخرين كنتيجة لعدم معرفة البعض للغة العربية .

* انقطاع البعض منهم عن التردد على مكاتب الجاليات إما لارتدادهم مرة أخرى عن الإسلام أو لعدم سماح أصحاب الأعمال لهم بالتردد على المكتب .

ولتقدير موقف المدعوين في هذه الحالة يمكن اعتبار المدعوين من هذه الحالة ممن تنطبق عليهم الحالة الثانية من النموذج ، وهي حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب ، وذلك لأن العميل في هذه الحالة قد صحح اعتقاده لكنه مازال يحتاج إلى الكثير لكي يهيمن هذا الاعتقاد الصحيح على القلب.

**٢ ـ مشكلات المدعوين من المسلمين[٢] .**

وهؤلاء المسلمون يقسمون إلى ثلاثة أصناف :

١ ـ مسلمون ملتزمون .

٢ ـ مسلمون عاصون .

٣ ـ مسلمون يجهلون الحكم الشرعي .

---

(١) تقرير عن مكتب الجاليات ، أعد بواسطة طلاب التدريب الميداني بقسم الخدمة الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، بمكتب الجاليات بالبطحاء ، تحت إشراف رشاد عبد اللطيف ١٩٩٢ م .

(٢) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ص ص ١٨٩ ـ ١٩٦.

ويواجه المسلمون مشكلات عديدة من أهمها ما يلي :

١- تبرج النساء .

٢ - تخنث الرجال .

٣ - سوء أدب الصغار مع الكبار .

٤ - قسوة الأزواج في معاملة الزوجات .

٥ - تمرد النساء على أزواجهن .

٦ - انتهاك حرمات البيوت دون التمسك بقواعد الشرع في الزيارة والاستئذان .

٧- الدخول على غير المحارم .

٨- التعامل بالربا في بعض الأسواق .

٩- تطفيف المكيال والميزان .

١٠ - احتكار السلع .

١١- بيع الفاسد من الطعام والشراب على أنه صحيح .

١٢ - تدهور الأخلاق في الشوارع .

١٣ - انتشار السباب واللعان .

١٤ - شغل الشوارع والطرقات بالسيارات والمركبات مما يعطل مصالح الناس ويتسبب في كثير من الحوادث والكوارث .

١٥ - ما يسود الدوائر والمصالح من إهمال في أداء الأعمال ، وتسويف قضاء مصالح الناس.

١٦- استغلال النفوذ بالوساطة والمحسوبية والتهرب من تحمل المسئولية .

١٧ - تسرب الطلاب من المدرسة وقضاء الصغار معظم وقتهم بعيداً عن الأسرة مما يؤدي إلى انحراف الأحداث(١) .

١٨ - مشكلات الشباب مثل البطالة والقلق النفسي والاغتراب وعدم القدرة على تكوين أسرة المستقبل وما يترتب عليها من مشكلات ، ومشكلات الجريمة والانحراف

---

(١) الزين عباس عمارة : مدخل إلى الطب النفسي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٦ ، ص ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

ثناء الخولي : التغير الاجتماعي والتحديث ، الأسكندرية دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ص ٣١٦ ، ٣١٧.

والسلبية والتواكل والسلوك العدواني والإدمان وغيرها[1] .

١٩ – مشكلات المسنين المتمثلة في المشكلات الصحية والمادية والنفسية والعقلية واضطراب العلاقة بالآخرين ومشكلات الإقامة[2] .

ولتقدير موقف المدعوين في هذه الحالة يمكن اعتبار المدعوين من المسلمين إحدى حالتين :

**١ ـ الحالة الأولى :**

وهو المسلم الملتزم ، لكنه يحتاج إلى بعض المساعدات المادية وبعض التسهيلات من المؤسسات الاجتماعية وتنطبق عليه الحالة الأولى من النموذج ، وهي حالة سلامة الاعتقاد مع حياة وصفاء الفطرة .

**٢ ـ الحالة الثانية :**

وهو المسلم غير الملتزم ، وهو تنطبق عليه الحالة الثانية من النموذج ، وهي سلامة الاعتقاد دون هيمنة على القلب .

**ثالثاً : تحديد استراتيجية التدخل والأساليب المستخدمة في ذلك :**

أ ـ فيما يتعلق بمشكلات المدعوين من غير المسلمين :

تمثل استراتيجية التدخل المهني ، في استراتيجية مزدوجة كما يلي :

١ – دعوة غير المسلمين في الإسلام ، ويتم ذلك من خلال مساعدة غير المسلم لكي تكون وجهته لله سبحانه وتعالي والتزامه بالتكاليف الشرعية .

٢ – مساعدة هذا المدعو للوصول إلى حالة صحة الاعتقاد مع حياة القلب وصفاء الفطرة ويمكن أن يستخدم في ذلك الأساليب التالية[3] .

---

(١) عادل محمد جوهر : المشكلات الفردية الناتجة عن البطالة لدى عينة من الشباب خريجي الجامعة ، وتصور مقترح لدور خدمة الفرد في مواجهتها ، للمؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ٩ ـ ١١ ديسمبر ، ١٩٨٩ م ، ص ص ٥٧٠ ـ ٥٧٣ .

(٢) عادل محمد جوهر : المشكلات الفردية التي تواجه المسنين وأساليب رعايتهم اجتماعياً بالمؤسسات الإيوائية ، القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٨٠.

(٣) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج للمشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الأسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م .

على حسين زيدان : دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين (منظور إسلامي) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة، ١٠-١٣ اغسطس ، ١٩٩١ .

إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ ــ ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ ـ ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م، ص ص ٦٨ ـ ٧٨.

١ - خدمة الفرد الجماعية .
٢ - المدخل العقلي .
٣ - المدخل الوظيفي .
٤ - العلاج بالتوبة .
٥ - العلاج بالاستغفار .
٦ - الترهيب والترغيب .
٧ - المساعدة على ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة .
٨ - العلاج بالعبادات .
٩ - العلاج البيئي الإسلامي (من خلال الأسرة والصحبة الطيبة) .

**ب ـ فيما يتعلق بمشكلات المدعوين من المسلمين :**

يمكن تناول ذلك على النحو التالي :

**١ - مشكلات المدعوين من المسلمين حديثاً :**

ينطبق على المدعوين من المسلمين حديثاً ، الحالة الثانية من النموذج ، وهي حالة صحة الاعتقاد مع عدم هيمنة على القلب ، ومن هنا تتمثل إستراتيجية التدخل في تحقيق الهدف التالي :

مساعدة المدعو على الوصول إلى الحالة الأولى وهي حالة صحة الاعتقاد مع هيمنة على القلب.

ويمكن الاستعانة في ذلك بالأساليب التسع السابقة[١] :

**٢ - فيما يتعلق بمشكلات المسلمين :**

سبق أن حددت موقف المدعوين من المسلمين بأنهم قد ينتمون إلى الحالات التالية :

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥ ـ ٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ ـ ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م .

عفاف الدباغ : المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ .

محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية . (٢) ط ٢ ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م.

١ – مسلم ملتزم : وهـذا ينتمـي إلى الحالـة الأولى مـن النمـوذج وهـي حالـة صحـة الاعتقاد مع هيمنته على القلب ، وهذا المدعو لا يحتاج إلى التدخل في الجوانب الروحية ، بـل يكون التدخل في الجانب المادي وذلك من خلال إشباع الحاجات المادية لهذا المدعو ، ويمكن أن يستخدم في ذلـك بعـض الأسـاليب التوضيحيـة والمعونـات الاقتصاديـة والخدمـات التيسيرية[1] .

٢ ـ مسلم عـاصٍ أو يجهـل الحكـم الشرعي : وهـذا ينتمـي إلى الحالـة الثانيـة مـن النموذج، وهي حالة صحة الاعتقـاد مـع عـدم هيمنتـه على القلـب ، وتكـون الاسـتراتيجية المطلوبة في هذه الحالة هي الوصول إلى الحالة الأولى من النموذج ، وهي حالة صحة الاعتقاد مع هيمنته على القلب ، ويمكن الاستعانة في ذلك ببعض الأساليب الوارد ذكرها في الصفحة السابقة .

**٢ ـ الأدوار التبادلية بين الأخصائي العامل في مجال الدعـوة والداعيـة مـن خريجي كليات ومعاهد الدعوة والشريعة من منظور فردي :**

أ – يستفيد الداعية من خريجي كليات ومعـاهد الدعـوة مـن الأخصـائي الاجتمـاعي العامل في مجال الدعوة في جوانب عديدة من أهمها :

١ – الدراسة العلمية للظواهر والمشـكلات الاجتماعيـة بغـرض المسـاعدة في حلهـا ، حيث يحتاج الداعية (من خريجي كليات ومعاهد الدعوة) إلى فهم ودراسة المجتمع الذي يعمل فيه ودراسة مشكلاته والأسلوب المناسب للدعوة في هذا المجتمع ، وقد يعطي هذه الخـبرة إلى الدعاة ويدربهم عليها ليقوموا بها عند الضرورة ، وعند توفر أخصائي اجتماعي يعمل معهـم ويدربهم على بعض المهارات في العمل الدعوي .

٢ – دراسة المجتمع بهدف التعرف على طبيعة المجتمع الذي يعمل معه الداعية وطبيعـة العلاقات الاجتماعية القائمة والقوى الاجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاتـه والنظم الاقتصادية السائدة والمنظمات الاجتماعية الرسمية الموجودة والخدمات وطبيعتها أهليـة أم حكومية ، والحالة التعليمية وحجـم القـوى الاجتماعيـة كالشـباب ودورهـم ومنظمـاتهم واهتماماتهم ومشكلاتهم والقوى الاجتماعية ذات النفوذ واهتماماتهم وعلاقاتهم في المجتمع.

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسـلامي للخدمـة الاجتماعيـة ، بحث مقـدم إلى مؤتمر التوجيـه الإسـلامي للعلوم الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهـر بالقـاهرة في الفـترة مـن ١٥ ـ ٢٠ شـوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ ـ ٢٣ إبريل ١٩٩٢ م، ص ص ٦٩ ـ ٧٠.

٣ – دراسة مشكلات المجتمع الذي يعمل فيه الداعية ومعرفة طبيعتها ، وهل هي مشكلات اقتصادية أو اجتماعية وعدد المتأثرين بها والجهود التي بذلت في حلها والقوى التي شاركت في الحل ونتائجه ، وأسباب الفشل في علاجها ومعرفة أهم تلك المشكلات وترتيبها حسب أهميتها وخطورتها وحجمها والإمكانات اللازمة لها والإمكانات المتاحة والتي يمكن إتاحتها ومصادرها .

٤ – معرفة إمكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء كانت قوى بشرية أو مادية أو أجهزة وخدمات قائمة ، ومدى فاعليتها ، ومعرفة معوقات تلك الأجهزة ، وكيفية تطويرها، وأثر ذلك على تنمية المجتمع والنهوض به[1] .

٥ – دراسة المؤسسات والمنظمات التي تعمل في مجال الدعوة الإسلامية من حيث إمكاناتها ومواردها والخدمات التي تؤديها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والمشكلات الفنية والإدارية التي تواجهها ، ومن هذه المنظمات رابطة العالم الإسلامي ، ومكتب الجاليات والإغاثة الإسلامية وغيرها بهدف مساعدة هذه المؤسسات والمنظمات على أداء رسالتها المنوطة بها .

٦ – المساعدة في تنشيط التطوع في المؤسسات والمنظمات الإسلامية من خلال الدعوة إلى زيادة عدد المتطوعين باستخدام الأساليب الملائمة والتركيز على نوعيات معينة لازمة ومؤثرة في عملية الدعوة مثل الشباب والمهنيين والأطباء والمهندسين والاجتماعيين وغيرهم ، كما يمكن المساهمة في هذا الصدد من خلال تنظيم عملية التطوع وما يرتبط بها من عمل مقابلات وسجلات للمتطوعين وتوزيعهم على المجالات والاهتمامات الخاصة بهم حسب قدراتهم وإمكاناتهم وتدريبهم على العمل الذي سيوكل لهم ومتابعتهم في حل المشكلات التي تؤثر على أدائهم لعملهم .

٧ – تقديم المساعدات الاجتماعية في كافة أنشطة المنظمات الإسلامية والتي تقدم إلى المدعوين باستخدام الأساليب العلمية المعروفة في الخدمة الاجتماعية .

٨ – المساعدة في تقديم المساعدات للمسلمين من خلال المنظمات الإسلامية كالمساعدات الاقتصادية والطبية والتعليمية والإسكانية بشرط ألا تطغى على العمل ، وأن تكون وسيلة وليس هدفاً في حد ذاتها ، ويمكن تقديم هذه المساعدات من خلال العلماء

---

(١) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، للعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ – ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ص ١٧ ، ١٨.

الشرعيين والمهندسين والأطباء والمعلمين والأخصائيين الاجتماعيين ممن تتوفر فيهم القدرة على نشر الدعوة الإسلامية[1] .

٩ – مساعدة الداعية في علاج مشكلات المدعوين والتي تؤثر على أدائه لمهمته الدعوية كالمشكلات السلوكية لبعض المدعوين ومشكلات الانحراف والجريمة والمشكلات النفسية وغيرها.

١٠ – القيام بالبحوث الاجتماعية التي توضح أعداد المدعوين وخصائصهم ومشكلاتهم وكيفية الإتصال بهم .

١١ – توضيح أهمية استخدام الأساليب الجماعية في الدعوة الإسلامية لضمان دخول أعداد كبيرة في الإسلام من غير المسلمين ، وتوجيه أكبر عدد ممكن من المسلمين إلى التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بما يوفر الوقت والجهد والتكلفة .

١٢ – المساهمة في التوصل إلى أدوات يمكن من خلالها تقدير مواقف المدعوين حتى يمكن التدخل معهم على أساس علمي سليم .

١٣ – إمداد الداعية بالمجالات التي يمكن أن يوجه لها العمل الدعوي على أساس الدراسة العلمية المستفيضة لهذه المجالات وتوضيح أولويات العمل بها ومداخل العمل الصحيحة بهذه المجالات كالمساجد والسجون والأندية الثقافية والرياضية والتجمعات المؤقتة والجيش والشركات والمصانع ودور العلم والمراكز الإسلامية وتجمعات اللاجئين وغيرها[2] .

١٤ – الاهتمام بالمسجد باعتباره مركز الإشعاع الديني وتدعيم نشاطه الثقافي والاجتماعي ودراسة العوامل التي تؤثر على سلبية بعض المسلمين في أداء الشعائر فيه وربط المسجد بالمجتمع المحلي ومشكلاته وقضاياه بشكل علمي .

١٥ – الاهتمام بالكتاتيب لأهميتها في تحفيظ القرآن ، ويمكن إمدادها ببعض الأساليب التي تجذب الأطفال ، وتروح عنهم في نفس الوقت كبعض الأنشطة الرياضية البسيطة وبعض الرحلات والجوانب الاجتماعية كوسيلة للمساعدة في تحقيق أهداف تلك المراكز ، لأهمية هذه المراكز في تكوين العقيدة الإسلامية .

---

(١) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ص ١٧ ـ ٢٠.

(٢) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ص ص ٥٩ ـ ١٠٦.

١٦ - الاهتمام باجتذاب القيادات المؤثرة في مجال الدعوة لما لهم من أثر طيب في مجال الدعوة الإسلامية ، وقدرتهم على الإقناع والإيمان بالدعوة وإخلاص النية لله والصبر والاحتمال والإصرار على تحقيق أهداف الدعوة[١] .

**ب - يستفيد الأخصائي العامل في مجال الدعوة من الداعية من خريجي كليات ومعاهد والشريعة الإسلامية :**

١ - إمداد الأخصائي الاجتماعي العامل في مجال الدعوة بالمصادر والمعلومات والحقائق الأساسية في مجال الدعوة الإسلامية باعتباره دارساً على درجة كبيرة لهذه المصادر والمعلومات والحقائق[٢] .

٢ - مساعدة الأخصائي الاجتماعي في تصحيح عقائد بعض الأفراد الذين يحتاجون لذلك باعتباره من أهل العلم الشرعي والذي يمكنه من المساهمة في ذلك[٣] .

٣ - إمداد الأخصائي الاجتماعي ببعض الأساليب التي تمكنه في مجال الدعوة الإسلامية مثل الإقناع والقدرة والخطابة والدروس وغيرها[٤] .

**٣- المشاركة في أمر الدعوة الإسلامية من خلال عملية : "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" :**

لقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات الأمة الإسلامية ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[٥] .

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[٦] .

---

(١) محمد أحمد عبد الهادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، في الفترة من ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ، ص ص ٢١ - ٢٤ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد (١٣٤٨) ، الخميس ، ٩ محرم ١٤١٣ هـ الموافق ٩ يوليو ، ١٩٩٢م ، - ص ٢١ .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الأجتماعية ، بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي نظمته الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة في الفترة من ١٥-٢٠ شوال ١٤١٢ هـ الموافق ١٨ - ٢٣ إبريل ١٩٩٢م - ص ٧٨ .

(٤) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة للطباعة والنشر ، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، -ص ص ٦٥ - ١٢٠ .

(٥) سورة آل عمران : أية ١١٠ .

(٦) سورة آل عمران : أية ١٠٤ .

ويقتضي هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام يتعاون أفراد الأمة على دفع الشر عنها وفي التواصي بفعل الخير ، وفي هذا استقامة أمر المجتمع وأمر الفرد أيضاً ، ويعتبر ذلك مسئولية كل مسلم في المجتمع الإسلامي[1] .

ويعتبر الأخصائي الاجتماعي المسلم مكلف شأنه شأن أي مسلم في المجتمع الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر استطاعته .

**جـ - مداخل مقترحة في خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية :**

يوجد في خدمة الفرد مجموعة من المداخل التي يمكن استخدامها في مجال الدعوة الإسلامية، وهذه المداخل هي :

**أولاً : خدمة الفرد الجماعية :**

هي اتجاه يزيد الالتحام بين أساليب خدمة الفرد وخدمة الجماعة وذلك منذ أن أعتبرت الأسرة وحدة علاجية في خدمة الفرد ، ومنذ انتشار المقابلات الجماعية في مؤسسات توجيه الأسرة وغيرها بالدول المتقدمة ، ويمكن التدخل من خلال هذا المدخل كما يلي :

١ - تحسين العلاقات والتفاعلات بين أعضاء الجماعة .

٢ - مساعدة الفرد في الجماعة على القيام بأدواره .

٣ - يكون التركيز على الفرد من خلال الجماعة .

٤ - يتم من خلال هذا المدخل توجيه الجماعة ككل حول العنصر المشترك بينها ، مع التركيز على الفرد صاحب المشكلة واستخدام الجماعة كأداة لتغييره[2] .

**ثانياً : مدخل المساعد :**

وهو ما نسميه بالعلاج الذاتي من خلال آخرين لهم نفس الظروف ، أو بمعنى آخر التعلم من خلال تعليم الآخرين . ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع المنحرفين الذين تم علاجهم واستخدامهم كأدوات لعلاج آخرين لهم نفس الظروف من خلال الإعداد الإسلامي لهم . ويكون ذلك أسلوباً علاجياً مزدوجاً لهم ولمن يوجهونهم في نفس الوقت

---

(١) محمد بن أحمد الصالح : الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ١٤٠٢ هـ، ص ص ١٨٧ - ١٩٣.

(٢) عبد الفتاح عثمان : المدارس المعاصره في خدمة الفرد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩ م ، ص ص ٦٥ - ٦٦ .

ويتم هذا تحت الإشراف المهني[1] ، وقد استخدم هذا الأسلوب في السجون حيث وجد أن المسجون يتقبل من زميله في السجن أكثر مما يتقبله من غيره، ذلك لأنه يشعر بصدقه وأنه مصاب بما أصيب به هو ، وعلى المسئولين عن إدارات السجون أن يتحسسوا عن هؤلاء ويستفيدون منهم في أمر الدعوة .

كما أن السجن قد يجمع أشخاصاً من ذوي الصلاح والتقوي والعلم ، ولاسيما المسجون لأسباب سياسية أو ديون مالية لم يستطع سدادها ، وكم من أناس حفظوا القرآن كله في السجون ودرسوا العلم فيه ومارسوا الدعوة فيه وأسوتهم وقدرتهم جميعاً في ذلك نبي الله يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ــ فقد مارس الدعوة في السجن وتحين الفرصة حتى سنحت له .

**ثالثاً : المدخل العقلي :**

هو علاج مباشر توجيهي يستخدم فنيات معرفية لمساعدة العميل لتصحيح معتقداته الخاطئة واللاعقلانية وتحويل هذه الأفكار والمعتقدات التي يصاحبها خلل انفعالي وسلوكي إلى معتقدات يصحبها ضبط انفعالي وسلوكي[2] ، ويمكن استخدام المدخل العقلي في مجال الدعوة من خلال الحجة والمنطق والدراية بالدين وأحوال الناس[3] ، ويتم ذلك من خلال الصلة الطيبة بين الداعية والمدعو ، ثم إيقاظ الإيمان في نفس المدعو بطريق غير مباشر ، وفي هذا يتم التذكير بلطف ، ثم مرحلة التعرف على الإسلام بمعرفة الأنبياء وقصصهم والصالحين وأولياء الله والبررة ، ثم التعرف على رسول ـ ﷺ ـ وسيرته ودعوته وجهاده ، والتعرف على القرآن الكريم وقراءته ومعرفة ما في قراءته من ثواب وأجر ثم العمل والدعوة إلى الدين، ثم مرحلة التدريب على التبليغ والالتزام الصحيح بمنهج الإسلام والقول فيه بعلم ودراية ومران[4] .

**رابعاً : المدخل السلوكي :**

(القدوة الحسنة) (الاقتداء بالرسول والصحابة والتابعين) .

---

(١) عبد الفتاح عثمان : المدارس المعاصره في خدمة الفرد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩ م ، ص ٦٢.

(2) Albert , alis : Reason and Emotion in Psychotherapy , Newjersy , the Citadel press , 1981, p180.

(٣) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م، ص ١٠٩.

(٤) توفيق يوسف الواعي : النساء الداعيات ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م ، ص.ص١٠٦ ـ ١٠٩.

يعزو هذا المدخل اضطراب شخصية العميل إلى العادة التعليمية ، وعلى هذا يمكن مساعدة العميل بتغيير سلوكه وعاداته عن طريق التعلم وذلك بتعليمه أنماط سلوكية جديدة ويمكنه الاستفادة منها في المواقف التي يتعرض لها وتثبت هذه الأنماط بواسطة عمليات التدعيم لتصبح عادة تعليمية حلت محل العادة القديمة(١) .

ويمكن تغيير السلوك من خلال مبادئ التعلم بالتركيز على أساليب عديدة من بينها (القدوة الحسنة ، التدعيم الإيجابي ، التدعيم السلبي ، تشكيل الاستجابة)(٢) ، ولكن يمكن التركيز على أسلوب (القدوة الحسنة) باعتباره من الأساليب الأكثر انتشاراً في مجال الدعوة الإسلامية .

## خامساً : مدخل الأزمة :

يعتبر مدخل التدخل في الأزمات من المداخل المعاصرة في خدمة الفرد حيث يستخدم فيه مجموعة من التكنيكات الهامة التي تختلف عن التكنيكات التقليدية المتبعة مع الحالات العادية . وتعرف الأزمة بأنها النكسة أو الكارثة التي تصيب أكثر من أسرة واحدة في مكان واحد لأسباب طارئة أو خارجة عن إرادة الأسرة مثل حالات الحرائق والفيضانات والسيول وانهيار المنازل أو أي نوع من الحوادث تؤدي إلى خسائر في الأموال والأرواح والممتلكات .

والأزمة في خدمة الفرد هي المشكلة كما نعرفها التي قد تصيب الفرد أو الأسرة أو الجماعة، حيث إن لها كل خصائص المشكلة من حيث فشل الأداء الاجتماعي للفرد أو الأسرة أو الجماعة الناتج عن عدم استخدام الإمكانات الذاتية أو المجتمعية لضعف هذه الإمكانات أو لعدم تواجدها أو لأسباب خارجة عن إرادة الفرد أو الأسرة أو الجماعة مما يستوجب الحاجة لتقديم المساعدة المهنية المتخصصة(٣)، وتصنف الأزمات إلى (بيولوجية ـ الكوارث المفاجئة ـ أزمات البيئة) كما تصنف إلى (أزمات فردية ـ جماعية ـ مجتمعية) كما تصنف إلى أزمات يغلب عليها (الطابع المعنوي ـ أزمات يغلب عليها الطابع المادي) وتصنف إلى (أزمات فجائية ـ أزمات متوقعة)(٤) ، ويرى الباحث أنه يمكن استخدام مدخل الأزمة في مجال الدعوة الإسلامية من خلال علاج الأزمات التي يتعرض لها الأفراد والجماعات

---

(١) عبد الفتاح عثمان : المدارس المعاصرة في خدمة الفرد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩ ، ص ٦١ .

(٢) عبد العزيز النوحي : نظريات خدمة الفرد ، الجزء الأول ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ ، ص ٤٠ .

(3) Donna c . aguilera and Janicem . Messick , Crisis Intervention Theory and Methodology , 3 ed , The c . v . mosdy co , saint Iouis , 1978 , p . 6.

(4) Donna c . aguilera and Janicem . Messick , Crisis Intervention Theory and Methodology , 3 ed , The c . v . mosdy co , saint Iouis , 1978 , p .15.

والمجتمعات المسلمة وغير المسلمة ثم دعوتها إلى الله سبحانه وتعالي وربطهم بالخالق سبحانه وتعالي ، واستغلال موقف الأزمة لتوضيح أنها عقوبة من الله سبحانه وتعالي أو أنها ابتلاء منه ، ويجب الرجوع لمنهج الله سبحانه وتعالي (لا عقوبة إلا لذنب ، ولا رفع لهذه العقوبة إلا بتوبة) .

**سادساً : التنمية الخلقية بتكوين العادة :**

يتكون السلوك وخاصة الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة الفعل والمواظبة عليه مع استعمال وسائل الإغراء والترغيب التي من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد واستخدام وسائل التنفير لكل ما هو ضده[1] ، وهذا من الممكن استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية في مجال العبادات مثل أداء الصلاة في أوقاتها والمواظبة عليها وأداء السنن والنوافل والحث عليها ، الزكاة ، الصوم ، الحج والعمرة ، والصدقة ، كما يمكن استخدامه في تكوين الفضائل والأخلاق ، وفي مجال الطاعات كمراعاة حقوق الجار وإماطة الأذي عن الطريق والأمانة وعدم إيذاء الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

**سابعاً : الترغيب والترهيب :**

ويتم ذلك من خلال ترغيب (المدعو) في الإقبال على العبادات والقيام بالطاعات وترهيبه من عقاب الله في حالة استمراره في المعاصي ويمكن استخدام ذلك مع المسلمين ، كما يمكن استخدام هذا الأسلوب مع غير المسلمين بترغيبهم بالدخول الإسلام وتعديل عقائدهم ثم الاتجاه إلى العبادات والطاعات والإقبال عليها ، وترهيبهم من عذاب الله في حالة عدم دخول الإسلام[2].

**ثامناً : العلاج بالتوبة :**

وهي ندم الإنسان على ما فات واستغفار الله ثم الاستقامة على الطاعة من غير ميل إلى المعصية ومن غير عودة إلى فعل الذنب[3] ، ويمكن استخدام هذا الأسلوب في مجال الدعوة الإسلامية للمسلمين غير الملتزمين ، وغير المسلمين بالتوبة إلى الله والدخول في الإسلام .

---

(١) محمد يصار : العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢، ص ٩ - ٢.

(٢) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الأسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٢.

(٣) فوزي سالم عفيفي : السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٥ .

تاسعاً : العلاج بالصبر :

ويستخدم هذا النوع من العلاج عند الشدائد ، وهذا يتأتي بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذا التدريب حتى يصبح الصبر عادة ، وبالتالي يمكن استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية عند الجزع والهلع من المصائب عند بعض المسلمين[1] .

عاشراً : المساعدة على ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة :

يمثل رفاق السوء عاملاً وسيطاً يساهم إلى جانب عوامل أخرى في الانحراف والبعد عن منهج الله إذا ضعف الإيمان بالله ، ولذلك يتطلب العمل إعادة المنحرف إلى الصراط المستقيم مرة أخرى ، ويتضمن دور الأخصائي العامل في مجال الدعوة ما يلي :

١ - تعريف المنحرف بالأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء وذلك بشرح الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء من مخالفة لأوامر الله سبحانه وتعالى ونهيه عن مخالطتهم .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا**﴾[2] ، ويقول : ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾[3] .

٢ - تعريف المنحرف بالمزايا التي يجنيها الإنسان من الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة ، ويقتضي ذلك تعريف المنحرف بمزايا الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون**﴾[4] .

٣ - تهيئة الصحبة الصالحة ومساعدة المنحرف على الاندماج فيها[5] ، وللأخصائي الاجتماعي دور كبير في إبعاد المنحرف عن رفاق السوء بعد ما يعلم المنحرف ما يناله من صحبتهم والإسراع بادماجه مع صحبة طيبة يطمئن إليها الأخصائي ، وذلك من زملاء

---

(١) محمد سلامة غباري : المدخل إلى علاج المشكلات الفردية (خدمة الفرد) سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية (٢) ط ٢ ، الأسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٠٤.

(٢) سورة النجم : آية ٢٩.

(٣) سورة الكهف : آية ٢٨ .

(٤) سورة لقمان : آية ١٥ .

(٥) علي حسين زيدان : دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين (منظور إسلامي) للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٠ - ١٣ أغسطس ، ١٩٩١ ، ص ٧٧.

المدرسة أو العمل أو الجيرة أو الأقارب ، ويمكن الاستعانة في ذلك بالمؤسسات الموجودة في البيئة مثل المساجد والمدارس والأندية وغيرها .

الحادي عشر : العلاج بالعبادات :

العبادات هي الأقوال والأفعال التي أمر الله سبحانه وتعالى عبادة بقولها أو فعلها تحقيقاً لعبوديتهم وتقربهم إليه ، ويستهدف هذا النوع من العلاج مساعدة الشخص (المدعو) على الدخول في طاعة الله ، وإزالة ما قد يكون تراكم على قلبه من ألوان المعاصي واكتساب الحسنات التي تساعده على محو السيئات وتحصينه من غواية الشيطان .

# التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف في الدعوة الإسلامية

د . السيد عبد الفتاح عفيفي

## الجزء الأول ـ الإطار المنهجي للدراسة :

### أولاً : مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

تبرز المشكلة بشكل واضح في موجات العنف والتطرف التي تتبناها بعض الجماعات الإسلامية في تصورها الخاص نحو الدعوة الإسلامية ، وممارسة العنف في أقصى درجاته إلى حد استباحة القتل أو تدمير بعض المنشآت ـ تحقيقاً لتوجهاتها نحو إحداث التغيير بالقوة والعنف ، ومهاجمة السيارات التي تنقل السائحين والأجانب لزيارة المعالم السياحية والاعتداء المسلح عليهم ـ مما أدى إلى مواجهات مسلحة مع أعضاء تلك الجماعات من قبل أجهزة الأمن في عدد من الدول الإسلامية مثل مصر ، الجزائر في الآونة الأخيرة .

وعلى الرغم من أن المجتمع المصري قد عرف بحضارته القديمة ومعرفته الرائدة للزراعة، واتسم المصري بالتدين ـ فقد ظهرت في المجتمع المصري بصفة خاصة خلال العقدين الماضيين تيارات العنف والتطرف والاغتيالات لعدد من الشخصيات العامة على أيدي شباب تلك الجماعات ، مما أثار التساؤلات لدى العامة والخاصة من أفراد المجتمع ، وليس ببعيد اغتيال الدكتور / محمد الذهبي والدكتور / رفعت المحجوب ، والدكتور / فرج فوده ، ومحاولة اغتيال اللواء / حسن أبو باشا ، مكرم محمد أحمد، وصفوت الشريف .

وتكمن قضية الخلاف الجوهرية بين التيار الإسلامي المتنامي في مصر وبين الدولة في سعي هذا التيار إلى التغيير بالقوة بعد أن أعلنت الدولة رفضها لمقولة "الإسلام دين ودولة" تحت دعاوي كثيرة وإصرارها على عدم السماح بإنشاء حزب سياسي للإخوان المسلمين ، وتمسكها بالقوانين الوضعية دون تطبيق كامل للشريعة الإسلامية التي تقوم على الكتاب والسنة ـ وفي إيجاز شديد فهو خلاف بين التيار الإسلامي والعلمانية .

ولعل ذروة العنف في سلسلة الاغتيالات وأسلوب المواجهة المسلحة بين تلك الجماعات في مصر ، قد تجسد في حادث المنصة واغتيال أنور السادات في عام ١٩٨١ م ، حيث تتابعت أعمال العنف والتخطيط لها داخل تلك الجماعات رغم انقسام بعضها إلى فصائل وجماعات منشقة متعددة داخل التيار الإسلامي المتشدد ، لكنها تتفق جميعاً في

الجنوح إلى التطرف والمبالغة سواء بتكفير المجتمع أو الاغتراب عنه أو استخدام العنف المسلح.

وعلى الرغم من أن المجتمع المصري في أعقاب النكسة العسكرية عام ١٩٦٧ م قد عانى من الإحساس بالهوان ، إلا أنه قد واكب عملية تصحيح مسار الأمة تنامي التيار الإسلامي في مصر خاصة بين الشباب ـ بل وشجع النظام السياسي هذا التيار لضرب التيارات اليسارية التي سعت بشدة إلى إبراز دور فاعل لها في الحياة الاجتماعية والسياسية بالمجتمع .

ثم جاء النصر من عند الله في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ على العدو الصهيوني ليعزز فينا وعد الحق بنصره للمؤمنين ، وليؤكد ما شاع في الشارع المصري بعد النكسة بأن النصر قريب بعد العودة إلى الله .

ولكن وجه الغرابة الذي يمثل مشكلة الدراسة الرئيسية هو ذلك التناقض الصارخ بين ما يدعونا إليه الدين الإسلامي الحنيف من ناحية ، وتلك الممارسات المتطرفة لبعض أعضاء الجماعات الإسلامية من ناحية أخرى ، رغم علمهم بأن الإسلام يدعونا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة دون مبالغة أو تطرف فالإسلام هو دين المحبة والرحمة – وهل غايتهم في فرض التغيير بالقوة يبرر وسائلهم التي يمارسونها ؟

ويتفرع عن المشكلة الرئيسية عدة تساؤلات عن هؤلاء الشباب الذين اندمجوا في زمرة تلك الجماعات – هل هم ضحايا أم مذنبون ؟ وإذا كانوا ضحايا – فهم ضحايا من ؟ الدولة التي شجعت التيار الإسلامي في البداية ، ثم تراجعت تخوفاً من تسلطه وانتشاره نحو الحكم – أم هم مذنبون ؟

وهل ساعدت أساليب التحاور الخاطئة مع شباب تلك الجماعات ، وتبادل العنف بالعنف ووسائل الإعلام المرئية على تحدي مشاعر هؤلاء الشباب ، إضافة إلى مشكلات البطالة بين خريجي الجماعات والمعاهد العليا والمتوسطة ، وارتفاع الأسعار والتضخم ، التي هيأت المسرح السياسي والاجتماعي لمزيد من العنف والتطرف والعداء نحو السلطة ، ووقوع هؤلاء الشباب فريسة سهلة لاستقطاب أصحاب المصالح في الداخل والخارج لضرب الأمن والاستقرار في المجتمع المصري ، إزاء تعثر الدولة في حل تلك المشكلات وشعور شباب الخريجين بالاغتراب والإحباط ؟.

ويبقي تساؤل أخير هل من حل لتلك المشكلة يضع كل تلك الاعتبارات في الحسبان وسط فهم واع للمتغيرات الثقافية والاجتماعية التي طرأت علي المجتمع المصري والعالمي ، يجعل من الشباب طاقة خلاقة مبدعة نستثمرها في بناء الأمة بدلاً من أن تكون معول هدم ضدها ، ولتتكاتف الدولة مع الشباب – كل الشباب – في ممارسة مهام الدعوة الإسلامية كما جاءت في الكتاب والسنة ؟

## ثانياً : مفاهيم الدراسة :-

تشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مفاهيم محورية ، يجدر توضيحها من وجهة نظر الباحث حتى يمكن معرفة المقصود بها دون لبس أو غموض - وهي المفاهيم التالية :

التوجيه الإسلامي ، والشباب ، والتطرف في الدعوة الإسلامية ، وبإيجاز شديد نحدد كل مفهوم على حدة فيما يلي :

### ١ - التوجيه الإسلامي :

يقصد به توجيه الشباب للتأسي بسيرة السلف الصالح في الدعوة للعقيدة فكراً وسلوكاً على ضوء مصادرها الأساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

على أن تتم عملية التصحيح من خلال الحوار المباشر والمناقشة الواعية بصدر رحب مع الشباب الذين يقومون بالدعوة الإسلامية بأساليب متطرفة ، وذلك بأن يتولى علماء العلوم الشرعية والفقهية تصحيح المفاهيم التي اختلطت على هؤلاء الشباب دون مصادرة مسبقة لأفكارهم ، حتى يصلوا بهم إلى حد الإقناع والاقتناع بالأسلوب الأمثل للدعوة الإسلامية .

### ٢ - الشباب :

يصنف العلماء الشباب وفقاً لثلاثة معايير هي : المعيار الزمني ، والمعيار الاجتماعي والنفسي، وهو الذي يحدد المفهوم طبقاً للقيام بأدوار اجتماعية معينة في البناء الاجتماعي والحالة النفسية التي تصاحب مرحلة عمرية معينة تتسم بالحيوية والقدرة على التعلم والمرونة وغيرها ، والمعيار البيولوجي يربط بين اكتمال البناء العضوي لجسم الإنسان كالغدد والعضلات .

وقد رأيت الأخذ بالمعيار الزمني للشباب الذي يحدد مفهوم الشباب بمرحلة عمرية تتراوح ما بين ١٥ - ٣٠ سنة[(١)] بوصف هذه المرحلة حجر الزاوية في كل التغيرات الأخرى التي تطرأ على الفرد .

### ٣ - التطرف في الدعوة الإسلامية :

يقصد بهذا المفهوم استباحة استخدام أساليب العنف والتخريب والتنكيل بكل من يعوق تقدم تلك الجماعات نحو أهدافها في تحقيق التغيير بالقوة - مما يشوه صورة الإسلام والمسلمين بل ويسيء إليهم ويخرج عن أصول الدعوة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

(١) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري (١٩٥٢ - ١٩٨٠م) ، القاهرة ، بدون ناشر ، ص ١٨١.

## ثالثاً : منهج الدراسة :

يعتبر المنهج العلمي هو الإطار الموجه لمسار الدراسة أو البحث لتحقيق أهدافه واختيار فروضه أو تساؤلاته ، وعلى ذلك فهو طريقة علمية منظمة لتقصي الوقائع(1) .

وتقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الملائم لطبيعة الدراسة وتساؤلاتها .

## رابعاً : البحوث والدراسات السابقة :

تعتبر دراسة التراث السابق من الدراسات والبحوث المتعلقة بمشكلة الدراسة مطلباً أساسياً للباحث لتعميق فهمه وإلمامه بأبعاد المشكلة ، وجوانبها المختلفة إلى جانب ضمان الابتعاد عن التكرار ، والبحث والدراسة في جوانب لم تنل الاهتمام الكافي من البحوث السابقة ، حتى يتحقق دائماً للعلم من خلال التراكم المعرفي ، والتحليل الدقيق للجوانب الغامضة دوام الازدهار والنماء.

وعلى الرغم من أن مشكلة الدراسة يندر وجود بحوث ودراسات سابقة مماثلة تماماً لموضوعها بشكله الراهن ، إلا أنه بمراجعة التراث المتعلق بالدراسات الإسلامية، والدراسات السوسيولوجية تبين وجود عدد من الدراسات والبحوث ، وإن افتقرت إلى التكامل أو المزاوجة في تناول موضوعاتها بين المنظور الإسلامي ورؤية علم الاجتماع للعمل في مجالات الدعوة الإسلامية باستثناء دراسة واحدة ، هي دراسة زكي محمد إسماعيل ، بعنوان علم الاجتماع وتطبيقاته في مجال الدعوة الإسلامية ، مما يعكس لنا الحاجة إلى إبراز التوجه الإسلامي .

وفيما يلي عرض لتلك البحوث والدراسات :

١ - بحث جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٠ م - بعنوان - الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وقد طبق البحث على عينة من الشباب قوامها عشرة آلاف شاب من فئات الطلاب ، والعمال والفلاحين ، والحرفيين ، وأصحاب المهن الفنية العالية ، والموظفين وربات البيوت - وتراوحت أعمارهم ما بين ١٨ - ٣٠ سنة .

وقد طبق الباحثون استمارة مقابلة ضمت (١٢١) سؤالاً تناولت إلى جانب البيانات الأساسية للمبحوثين دراسة القيم والاتجاهات السلوكية ، والاتجاهات الدينية ، والمشاركة

---

(1) Jahan , Gultuny : Theory and Methods of social Research . London George Allen , unwin, 1967 . p . 148.

الاجتماعية ، والمشاركة السياسية ، واتجاهات الشباب نحو وسائل الإعلام ودورها في تناول الإعلام الشبابي(1) .

٢ – بحث عبد الله غلوم حسين ، عبد الرءوف عبد العزيز الجرداوي ، بعنوان : اتجاهات الشباب ومشكلاته – "الكويت – دراسة تطبيقية" وقد تناول هذا البحث في إطاره النظري عرضاً لاحتياجات النمو في مرحلة الشباب والمشكلات المصاحبة لنمو الشباب مثل التمرد على السلطة ، والعنف والثورة ، والانحرافات السلوكية والإغتراب(2) .

كما ناقش وضع الشباب العربي في مواجهة الاغتراب ، وأوضاع الشباب في الكويت والخليج العربي ، وعرض البحث نتائج الدراسة الميدانية التي طبقها باستخدام استمارة بحث شملت (٧١) سؤالاً تم تطبيقها على عينة عشوائية من الشباب الكويتي ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ – ٢٤ سنة ، وقد بلغ حجم العينة ٧٣ حالة .

وقد أسفر البحث عن اتجاهات إيجابية من المبحوثين نحو الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الدستورية ، والصحافة ، والتعاون العربي والخليجي واتجاهات سلبية نحو العمل ونحو مراكز الشباب والمكانة الاجتماعية وارتباطها بالاعتبارات الطبقية والعائلية ، وظهور المشكلات السلوكية بين الشباب وعجز المدرسة عن حل كثير منها ، ونقص مجالات الترويح .

٣ – دراسة زكي محمد إسماعيل بعنوان : علم الاجتماع الإسلامي وتطبيقاته الميدانية في مجال الدعوة – دراسة في علم الاجتماع والأنثربولوجيا – وقد أكدت الدراسة الحاجة إلى وجود علم الاجتماع الإسلامي ، حيث يعني بدراسة النظم والظواهر الاجتماعية من خلال منظورين متميزين عن علم الاجتماع العام وهما المنظور البنائي أو المجتمعي الذي يضع في حسبانه نوعية التكوين البنائي للمجتمع موضع الدراسة والعلاقات الاجتماعية في إطارها الداخلي بين المسلمين وبعضهم البعض ، أو في إطارها الخارجي بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى – وعلاقة الظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة بغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ، أما المنظور الثاني فهو المنظور القيمي أو العقائدي . لإبراز مدى اتساق النظم والوقائع الاجتماعية مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، ويفرق الباحث بين علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع الإسلامي ، كما يفرق بين علم الاجتماع الإسلامي

---

(١) جامعة الإسكندرية : الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، الإسكندرية ، بدون ناشر ، ١٩٨٠ م .

(٢) عبد الله غلوم حسين – عبد الرءوف عبد العزيز الجرداوي : اتجاهات الشباب ومشكلاته – "الكويت –دراسة تطبيقية" في – دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي ، المنامة ، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧ – ٨٨.

وعلم الاجتماع الديني ، مؤكداً أن علم الاجتماع الديني يهتم بدراسة الأنساق الدينية السائدة في مختلف أنواع المجتمعات البدائية ، والتقليدية والحديثة ، على اختلاف معتقداتها الدينية وأديانها السماوية وغيرها .

بينما علم الاجتماع الإسلامي هو العلم الذي يدرس النظم والظواهر الاجتماعية في مجتمع إسلامي ومن منطلق قيمي إسلامي ، ويشير الباحث إلى أن دراسة علم الاجتماع الإسلامي تساعدنا في الاستفادة بنظرياته ونتائجه وتعميماته في مجال الدعوة الإسلامية والوعظ والإرشاد كميدان للتطبيق العلمي ، حيث يتولى دعاة المسلمين ، وأولو الأمر من حكام المسلمين وضع توجيهاتها ونتائجها الإمبريقية موضع التنفيذ مما يؤدي إلى نجاح جهود الدعوة الإسلامية وتقبلها ومساندتها(١) .

٤ – دراسة المجالس القومية المتخصصة بعنوان : تربية المواطن السوي ومواجهة الانحراف والتطرف ، وقد أشارت الدراسة إلى أن التطرف ظاهرة قديمة قدم الإنسان على الأرض ، ولكنه أصبح سمة العصر في النصف الثاني من القرن العشرين في مختلف دول العالم، وتشير الدراسة إلى أن المجتمع المصري يمر الآن بفترة حرجة من حياته تتسم – عند البعض – باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية ، والجنوح إلى التطرف .

وتفسر هذه الدراسة دوافع وعوامل الا نحراف والتطرف في المجتمع المصري بأنها نتاج للتغيرات الكثيرة والمتلاحقة فيه سواء كانت تلك المتغيرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مما هيأ الفرصة للتطرف .

وتشير إلى تلك التغيرات بالآثار الناجمة عن الحروب الأربعة التي استنزفت الموارد في ظل تدهور خدمات البنية الأساسية والإسكان والمرافق والخدمات والإنتاج ، وتضاؤل دور الأسرة في تنشئة الأبناء نتيجة لانصراف الأب للعمل في الداخل أو الخارج ، وخروج كثير من الأمهات إلى العمل ، وقصور جهود الدعاة ، مشكلات البطالة بين الشباب وتسلل بعض المغرضين لمجال الدعوة.

وتعرض الدراسة لمقومات التنشئة السليمة والشخصية السوية ، وتبرز حاجة الشباب إلى إدراك الفهم الصحيح للإسلام وتوضيح القضايا الخلافية لهم والتى تثيرهم على المجتمع وفي مقدمتها الشريعة الإسلامية ، وأساليب الدعوة والتربية الدينية وتأثير أجهزة الإعلام . وتبرر الدراسة عدم عقلانية مطالب الشباب المتطرفين حول هذه القضايا ، بأن الدستور المصري ينص على أن الإسلام هو دين الدولة ، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر

---

(١) زكي محمد إسماعيل : علم الاجتماع الإسلامي وتطبيقاته الميدانية في مجال الدعوة – في – مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، والرياض ، ع ٧ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، ص ٢٩٥ – ٣١٨.

الرئيسي للتشريع – وأن كافة القوانين (المدني ، العقوبات ، والمرافعات والإجراءات الجنائية، والأحوال الشخصية) كلها تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية .

وأخيراً تنتهي الدراسة بعرض لبعض التوصيات توكد على ضرورة ممارسة الأزهر لدور أكبر في مجال الدعوة والفتوى ، ودعم مجمع البحوث الإسلامية ، وعودة هيئة كبار العلماء والدعوة إلى الحوار مع الجماعات المتطرفة ، وتدعيم دور الأسرة في رعاية الأبناء والاهتمام بالتربية الدينية والاجتماعية على مدار مختلف المراحل التعليمية[1] .

وقد أفادت البحوث والدراسات السابقة الباحث في فهم مشكلة الدراسة الحالية وصياغة تساؤلاتها – لتكون إضافة جديدة تضاف إلى رصيد تلك الدراسات سعياً لفهم أعمق لكيفية التغلب عليها ومواجهتها .

## الجزء الثاني : الإطار النظري للدراسة :

إذا أمعنا النظر في التراث النظري لمشكلة الدراسة لوجدناه قد برز في جانبين من الدراسات كل منهما يغطي بعداً هاماً ، فالجانب الأول – يغطي قضية التوجيه الإسلامي في نشر الدعوة الإسلامية ، ثم يوضح معنى الدعوة لغة واصطلاحاً كما يتناول كيفية الدعوة للإسلام ومشكلات الدعوة .

أما الجانب الثاني – فقد تناول قضية الفهم الخاطيء للدين لدى بعض الشباب وعلاقته بالتطرف ، كما تناول أحوال الشباب المصري في ظل المتغيرات المحيطة به محلياً وعالمياً ، والتحول من الإحياء الإسلامي إلى التطرف ، ثم عرض لأساليب التوجية الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف .

وقد حرص الباحث على تناول التراث النظري بمنظور نقدي ، يقوم على الموضوعية والتحليل العلمي دون تقليل من جهد أحد أو القيمة العلمية للاجتهاد في تحليل القضايا المتصلة بمشكلة الدراسة ممن سبقه في تناولها من الباحثين .

وفي إيجاز شديد نعرض لتلك الموضوعات عى النحو التالي :

### ١ – التوجيه الإسلامي في نشر الدعوة الإسلامية :

ينبثق هذا التوجية من المصدرين الأساسيين للعقيدة الإسلامية وهما : القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بوصفهما المنبع والمنهل الرئيسي للعقيدة والأصل الذي يحسم أي قضايا خلافية قد تثور بين الناس وبذلك تكون هي الفيصل الحاسم لما يدور من جدل حولها .

---

(١) المجالس القومية المتخصصة : تربية المواطن السوي لمواجهة الانحراف والتطرف ، القاهرة ، المجلس القومي للخدمات والتنمية الاجتماعية، الدورة الحادية عشرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٣ – ١٨٤.

ومن ناحية أخرى فإن القرآن والسنّة لم يكتفيا بإسداء النصيحة وعرض العظة والعبرة ليتذكر أولو الألباب ، وإنما تخطت هذا الأمر من حدود التعريف ، والإبلاغ ، والتوعية والتبصير إلى الفعل الاجتماعي ( Social Action) والدعوة إليه بالتوجيه للعمل والتصدي للخطأ بمواجهته بتصحيحه وتقويمه.

كذلك فإن "المتتبع لأبعاد التحليل الاجتماعي في القرآن يستطيع أن يقف على أكثر من أربعمائة من ميادين المعرفة الاجتماعية ، يشتق منها الباحث أفكاراً وقضايا عامة يمكن أن توجه اهتماماته الامبريقية المختلفة ، وتشكل في جملتها إطاراً تصورياً ملائماً لدراسة الواقع"(١) وللتوجيه الإسلامي أساليبه في نشر الدعوة سنتناولها فيما بعد .

## ٢- معنى الدعوة لغة واصطلاحاً :

للدعوة لغة ، معان متعددة يمكن إيضاح أبرزها فيما يأتي :

أ - الدعوة للشيء بمعنى الحث على قصده .

ب - الدعوة بمعنى النداء فيقال دعا فلان فلاناً ، إذا ناداه ، ودعوت الرجل إذا صحت به واستدعيته .

جـ - الدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاً أو باطلا - مثلاً قول الحق تبارك وتعالى عن يوسف عليه السلام ﴿قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه﴾(٢) .

د - المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة(٣) .

هـ - الابتهال والسؤال : جاء في المصباح المنير ، في مادة "دعا" - دعوت الله دعاء أي أبتهل إليه بالسؤال ، وأرغب فيما عنده من الخير .

ويطلق لفظ الداعية على من يدعو إلى هدى أو ضلال ، ويؤكد ذلك قول الرسول عليه السلام: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"(٤) .

---

(١) بشارات علي : أسس علم الاجتماع وقضاياه من منظور قرآني إسلامي - عرض وتحليل محمد علي محمد في مجالات علم الاجتماع المعاصر (أسس نظرية ودراسات واقعية) الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ١٦-١٧.

(٢) سورة يوسف : آية ٣٣ .

(٣) المصباح المنير - في مادة دعا .

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، وكتاب السنّة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فكل داع يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه ، ويقول الإمام ابن القيم : الدعاة جمع داع كقاض وقضاه ورام ورماة ، والدعوة الإسلامية تعني الدعوة إلى الله بدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ - شريعته [1] .

## ٣ - كيفية الدعوة للإسلام ومشكلات الدعوة :

دعوة الناس إلى الإسلام ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، واجب إسلامي والدعوة إلى الإسلام هي المهمة الأساسية لكل داعية .

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

**﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**[2] .

وقوله تعالى : **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾**[3] .

كما دعت السنّة المطهرة إلى واجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : - "يا أيها الناس إن الله يقول لكم ، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم"[4] .

وللدعوة الناجحة للإسلام أصول وقواعد يجب أن يحرص عليها الدعاة ، فالدعوة موجهة لكل الناس لهذا فهي تستلزم من الداعية أن يخاطب كل فئة وفقاً لمستوى قدراتها تأسياً بالرسول الكريم ، لقوله عليه الصلاة والسلام : "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، نكلمهم على قدر عقولهم"[5].

والطريق إلى دعوة الناس للإسلام ليس أحادي الاتجاه ، ولكنه ذو مداخل متعددة يسلكها الدعاة حيث يبدأون بإثارة اهتمام الناس بالإسلام بما يشعرهم بوجوده كمنهج حياة وكإمامة ، وكقيادة، وكريادة وسط التيارات والقوى العالمية المتصارعة .

---

(١) جمعة أمين عبد العزيز : الدعوة - قواعد وأصول ، ط٢ ، الإسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م ، ص ١٤-١٥.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٤) .

(٣) سورة فصلت : آية رقم (٣٣) .

(٤) رواة الترمذي - وقال حديث حسن .

(٥) رواه أبو داود .

وتلك خطوة تمهيدية لتهيئة عقول الناس ونفوسهم للتلقي تسبق عملية الإقناع[1] ، ليتحولوا من حالة التلقي إلى حالة الفعل والإيمان سلوكاً وممارسة كمرتبة أعلى .

ولنا في القرآن الكريم والسّنة النبوية عظة وعبرة في الوسائل المناسبة للدعوة الإسلامية إذ تعتمد أساليب الدعوة على الحكمة ، والعظة الحسنة ، ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم – تنفيذاً للتوجيه الرباني في قوله تعالي :

﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[2] وقوله جل شأنه : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[3] .

وتقوم الدعوة الإسلامية على إثارة اهتمام الناس بالإسلام كمنهج حياة من خلال تبني الدعوة للقضايا التي تشغل بالهم وحلها حلاً إسلامياً مناسباً ، مما يزيد من تهيئة عقولهم ومشاعرهم لتقبل المزيد من الفكر الإسلامي ، وهو ما يتفق مع مقولات النظرية العامة للقيمة للعالم رالف بري R.Perry التي ترى إمكانية تعديل القيم والاتجاهات لدى الناس إذا كونا لديهم اهتمامات جديدة[4].

كما يجب أن يتصف المشتغلون بالدعوة بعدد من الصفات التي تؤهلهم لنجاح الدعوة ذاتها ، فالداعية يجب أن يلتزم بالعمل بما يقول ليكون قدوة ومثلاً لقومه لقوله تعالى :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[5] .

كما يجب أن يبتعد الدعاة عن التجريح أو نقد أشخاص بعينهم أو توجيه التهم إليهم أو سبهم إذ نهى النّبي (ص) عن ذلك لقوله "إني لم أبعث سباباً ولا شتاماً" كذلك فإن الإسلام يرفض أن يستعمل بعض أئمة المساجد منابر مساجدهم لأغراض شخصية ، وأن يتناول نقد الدعاة الجوانب الخاصة لبعض الأشخاص العامة لأن هذا من قبيل الغيبة المحرمة والتشهير بالناس .

ومن محظورات الدعوة أن يصدر بعض الدعاة حكمهم على بعض المسلمين بأنهم من أهل النار أو كفار خارجون عن الإسلام ؛ لأنهم لا يلتزمون بالإسلام في أعمالهم الظاهرة ، فليس الدعاة قضاة يصدرون قرارات بالرضا أو الحرمان من رحمة الله ، فالله وحده هو الأعلم بذلك وهو الذي سيتولى محاسبة عباده .

---

(١) فتحي يكن : كيف ندعو إلى الإسلام ؟ ط ٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) سورة النحل : آية رقم ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩ .

(٤) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص٢٦ .

(٥) سورة فصلت : آية رقم ٣٣ .

ومسئولية الدعوة المتخصصة في دقائق وتفصيلات الأحكام الشرعية ليست مشاعاً لعامة الناس، وإنما هي من اختصاص العلماء حراس الدين ، لقوله تعالي : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾(١) .

بينما يجب على كل مسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ألا يتخطى حدود معرفته اليقينية وأن يترك الأمور المتخصصة والفتوى للعلماء المتخصصين ، "إذ أنه لا بد للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يكون عالماً بما يأمر به وما ينكره ، وقد عرف عن معظم هؤلاء أنهم من عوام الناس و لم يصلوا إلى هذه المرتبة التي تؤهلهم أو تمكنهم من فهم الدين أو الاجتهاد فيه . فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتميز بينهما ، كذلك لا بد من العلم بحال المأمور والمنهي ، وهذا لا شك لا يتوافر في هؤلاء الذين حكموا على المجتمع بالكفر وخرجوا على الحاكم المسلم مع أنه يقيم الصلاة ولا ينكر الحكم بما أنزل الله وإن تأخر التطبيق لأسباب يمكن أن تزول يوماً ما"(٢) .

وتواجه الدعوة الإسلامية مشكلات عديدة تعوقها عن تحقيق أهدافها المرجوة نحو فهم صحيح للعقيدة الإسلامية وإتخاذها منهاجاً للحياة سلوكاً وممارسة لإقامة المجتمع الإسلامي ، ونشر الدعوة الإسلامية وتوصيلها لغير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة ولعل من أهم تلك المشكلات ما يلي :

أ- تخوف بعض حكام المسلمين من تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض المجتمعات الإسلامية التي تضم أقليات دينية أخرى - تجنباً لاحتمالات حدوث فتنة طائفية بين أبناء الأمة تترقبها تيارات معادية أجنبية لإشعالها وضرب الوحدة الوطنية ، والدعوة إلى الإنقسام وتقسيم البلاد، مما دفعهم إلى تشجيع التيار العلماني لمواجهة تلك الصحوة .

ب- انصراف المسلمين عن أمور الدعوة الإسلامية وانشغالهم بالصراعات المذهبية السائدة بينهم، بين الشيعة والسنة من ناحية ، وبين أبناء المذاهب المختلفة من أهل السنة من ناحية أخرى - مما أدى إلى فرقة المسلمين وتأخرهم والإساءة إلى الدعوة الإسلامية وسمعتها ، وهي براء مما يمارسون من ألوان العنف والبطش خلال صراعهم الدائر .

---

(١) سورة التوبة : آية رقم ١٢٢ .

(٢) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، القاهرة ، مؤتمر رابطة الجامعاتالإسلامية - عن دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة والتنسيق بين كليات الشريعة ، في الفترة ما بين ٢٠/٢٤ شعبان ١٤٠٧هـ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص٣١.

جـ - انتشار المفاهيم الخاطئة بين جماعات التيار الإسلامي المتصارعة ، والتي تتعارض مع الفهم الصحيح للدين الإسلامي ، والجنوح إلى التطرف والمبالغة فكراً وممارسة ، وإثارة نفوس الشباب وتعبئتها ضد الدولة وعلماء الدين ، والدعوة إلى الخصومة معهم مما أدى إلى "تشدد بعض الشباب واعتقادهم بتحريم كثير من الأمور مما لم يتفق علماء الأمة على تحريمه إلى حد أن بدأت تنتشر بعض الكتيبات التي تدعو الشباب إلى فكر معين" .

وقد أدى ذلك إلى بلبلة أفكار هؤلاء الشباب وتأثر الكثيرين منهم بتلك الأفكار ، فوقعوا صرعي الأمراض النفسية وأصبحوا حيارى بين ما يقوله العلماء الرسميون وما يروج له هؤلاء الذين دعوا الشباب إلى رفض هؤلاء العلماء وما يقدمونه لهم من فتاوى وأحكام .

ومن أمثلة الكتيبات التي نشرتها بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة والحافلة بالمفاهيم الخاطئة عن النظام الإسلامي ، ذلك الكتيب الصادر قبل انتخابات مجلس الشعب في مصر التي تمت بتاريخ ٦ إبريل ١٩٨٧ م - بعنوان : (القول السديد في بيان أن دخول المجلس مناف للتوحيد) ، وهو اختصار لرسالة إبلاغ الحق إلى الخلق ، لفضيلة الشيخ سيد الغباشي) حيث يدعى هذا الكتيب إثبات تحريم الانتخابات والمشاركة في عضوية المجالس التشريعية عن طريق هذه الانتخابات ويرون أن ذلك جاهلية ، ويطلقون عليها مجالس الشرك والفسوق والعصيان[1] .

د - غياب التخطيط العلمي لنشر الدعوة الإسلامية ، والحاجة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة عنها لدى الشباب داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، في الوقت الذي يخطط فيه أعداء الإسلام لضرب الصحوة الإسلامية في الداخل والخارج وتمزيق العالم الإسلامي والتخطيط لإثارة الفتن بين قياداته وشغلها بحروب أهلية طاحنة تستنزف قواها وقدراتها ، توجساً منها وخيفة ، والعمل على وأدها قبل أن يشتد عودها بعد أن بدأوا يتطلعون إلى الإسلام كحل لمشكلاتهم في معية انهيار وسقوط أقنعة الشيوعية والمادية الزائفة وفشلها في إسعاد البشرية كما كانت تدعى[2] .

هـ - ضعف الموارد المالية المخصصة للدعوة الإسلامية الصحيحة في العالم الإسلامي لتمكينها من نشر الدعوة خارج حدوده في الأمم غير الإسلامية .

---

(١) عبد الغفار عزيز :.مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، مرجع سابق ، ص ٥ - ٦ .

(٢) السيد عبد الفتاح عفيفي : الشخصية الإسلامية - مقوماتها وأساليب تنميتها في السياق الثقافي للعاصر -دراسة اجتماعية من منظور الثقافة والشخصية ، دراسة مقدمة للمؤتمر الثاني لتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية في الفترة ما بين ٧ - ١٩٩٣/٨/١٠م بالقاهرة ، الذي ينظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص٢.

و – الحاجة إلى إعادة النظر في الإعداد العلمي للدعاة من خريجي الجامعات الإسلامية وتعميق قدراتهم على حمل أمانة الدعوة الإسلامية بشكل متخصص ، والعناية بدراسة اللغات المختلفة والعلوم الإنسانية الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها إلى جانب العلوم الشرعية المتخصصة بعد أن أظهر واقع الممارسة تدني مستويات الإعداد العلمي والمهني للأجيال الجديدة.

## ٤ – الفهم الخاطئ للدين لدى الشباب وعلاقته بالتطرف :

يعتبر الفهم الخاطيء للدين لدى الشباب من أخطر العقبات التي تواجه مسيرة الدعوة الإسلامية وتسيء إليها ، ويخالجني الشك في أن شحن الشباب المصري بالتفسيرات الخاطئة المنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة دفع به إلى المغالاة والتطرف واستجابة العنف والقتل – هو أمر مخطط ومقصود من قبل جماعات في الداخل والخارج ، وترتدي عباءة الإسلام لضرب الفكر الإسلامي الصحيح لأهل السنة الذي طالما عهدته مصر على مر العصور .

وفيما يلي عرض موجز لنماذج من صور الفهم الخاطيء لدى بعض الجماعات المتطرفة في فهمها لعدد من القضايا المتصلة بالنظام الإسلامي :

أ – سوء فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويرون أن تغيير المنكر باليد وبالقوة هو أمر واجب وجوباً عينياً على معشر الشباب ، بل وينسبون هذا الفهم للإمام ابن تيمية في كتابه (مجموع الفتاوى) ، وهو فهم قاصر منهم يسيئون به إلى الإمام المفترى عليه ، إذ يؤكد الرجل على ضرورة الرفق في الدعوة ، ويستدل على ذلك بحديث النبي – ﷺ – "ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شأنه" .

ويرى الإمام ابن تيمية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تتوافر فيه ثلاثة شروط هي: العلم ، والرفق ، والصبر ، العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده .

أما من يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان أو باليد من غير فقه أو علم وبلا حكمة وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يمكن وما لا يمكن فيصفهم الإمام نفسه بأنهم معتدون في حدود الله مع أنهم يأتون بالأمر والنهي معتقدين أنهم بذلك يطيعون الله ورسوله ، وقد فعل ذلك كثير من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة[1] .

ب – تنادي بعض الجماعات (الإسلامية) بتكفير المجتمعات الإسلامية الحالية في كثير من الدول الإسلامية لأنها لم تعد ملتزمة على حد زعمهم بالعقيدة الإسلامية ويكفرون الحاكم ويرون الخروج عليه لعدم تطبيق حكم وشرع الله ، وفكرة التكفير وفدت إلى مصر

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ـ عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه مرجع سابق ، ص ٢٨ – ٢٩.

نقلاً عن المفكر الباكستاني المسلم أبو الأعلى المودودي بعد مقتل حسن البنا ، وبالغ في تطويرها سيد قطب . ولهذا يؤمنون باعتزال المجتمع لجاهليته وعودته إلى عصور الجاهلية قبل الإسلام(1) ، وقد تبنى هذا الفكر المتطرف شكري مصطفي ، أمير جماعة التكفير والهجرة وأتباعه ، دون وعي باختلاف السياق الثقافي والديني للمجتمع المصري عن الفكر الهندوكي، والجمع بين المجتمع والدولة في خصومتهما.

جـ - رفض فتاوى علماء الأزهر ومفتي البلاد وما يصدر عن دار الإفتاء الرسمية للبلاد ، والدعاة العاملين بوزارة الأوقاف في مصر ، ووصفهم بأنهم علماء السلطة ، والنظام السياسي ، يطوعون الدين على هوى الحاكم - على حد زعمهم - لهذا فإن فتواهم - في رأي تلك الجماعات (الإسلامية) - غير شرعية ، بل ويتمادى المتطرفون في وصفهم لهؤلاء العلماء بأنهم علماء السوء والضلال ولا أمل فيهم ولا رجاء منهم وقد غضب الله عليهم كأحبار اليهود .

ونحن نتساءل هنا هل من الدين كل هذا التطاول والافتراء والتعميم المطلق وإصدار الأحكام على المسلمين ونسبها إلى رب العباد عزّ وجل ؟

إن هذا التضليل الذي تتحمل أوزاره قيادات وزعامات تلك الجماعات التي تصدر تلك الأحكام مسئولة أمام الله عن النتائج المدمرة في حق الدين والأمة عندما يتلقاها شباب تلك الجماعات على أنها فتاوى وأوامر عليهم طاعتها طاعة مطلقة ، فيستبيحون العنف والقتل والإرهاب لكل من خالفهم في الرأي .

ء - تحريم الجندية والهروب من الخدمة العسكرية ، بدعوى أن الجيش لا يقاتل في سبيل الله ادعاء باطل من تلك الجماعات ؛ ذلك لأن الدفاع عن الوطن أمر إلا هي بنص القرآن الكريم في الدعوة للاستعداد العسكري لقوله تعالى :

**﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.**

هـ - رفض إقامة الأحزاب السياسية والنظم البرلمانية الحالية ، والمطالبة بنظام الحكم الإسلامي الكامل الذي يقوم على الخلافة ، حيث لا يكون الحكم فيه إلا لمتخصصين في الدين الذين سماهم القرآن الكريم أهل الذكر ، وتستشهد الجماعات (الإسلامية) برفض حكم الأغلبية بقوله تعالى :

**﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ .**

وهنا يظهر سوء فهم تلك الجماعات لهذا النص القرآني ، إن عفويا أو بقصد يعلمه الله ، إذ المقصود بمفهوم "أكثر من في الأرض" في زمن الرسول - ﷺ - هم الكفار(2) .

---

(1) سيد قطب : معالم في الطريق ، ط ٨ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ١١ .

(2) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ وما بعدها .

الذين لا تعنيهم مصلحة الإسلام والمسلمين ، وليس المسلمين الذين أمرهم الله بالتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان .

وقد كانت أول انتخابات في الإسلام في عهد الرسول الكريم في بيعة العقبة عندما طلب من الأوس والخزرج أن يختاروا بمعرفتهم اثنى عشر نقيباً يمثلونهم فاختاروا ثلاثة من قبيلة الأوس ، وتسعة من الخزرج ، بنسبة عدد أفراد كل قبيلة .

## ٥- الشباب المصري في ظل المتغيرات، والتحول من الإحياء الإسلامي إلى التطرف:

تمثل شريحة الشباب المصري الشريحة العريضة في التركيب الديموجرافي للمجتمع ، وهو نفس الحال في معظم مجتمعات العالم الثالث . وقد وصلت نسبة الشباب في مصر نحو ٥٨٪ من سكان المجتمع – تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ٣٠ سنة والعناية بدراسة الشباب ودوره في المجتمع لا ترجع إلى الثقل الديموجرافي له فحسب ، بل إلى قدرته الفعالة على توظيف طاقاته الهائلة في تنمية المجتمع وتطويره إذا نجحت الدولة في استثمارها والاستفادة منها – إذ أن شريحة الشباب هي الشريحة التي تتطلع إلى مشاركة الكبار لمسئولياتهم وإشباع احتياجاتهم المختلفة في فرص عمل ملائمة ، ودخول ميسرة ، ومسكن مناسب .

ونجاح المجتمع في تحقيق متطلبات الشباب يؤدي إلى حالة من الاستقرار والتنمية وعلى العكس فإن فشل أو عجز النظام السياسي عن تحقيق تلك المطالب يجعل المجتمع – حسبما يذهب علماء الاجتماع السياسي – مهدداً بانفجارات اجتماعية عديدة قد تحمل قدراً من الفوضى[1] ، والقطعية أو الخصومة بين الشباب والمجتمع وهي تؤدي إلى التمزق والتدمير لكل منهما .

وقد كشف البحث في قضية الشباب أن لهم حضورهم في المعادلة الجيلية أو الاجتماعية ، وأن لهم دورهم في مراحل التاريخ المختلفة في صناعة الفاعلية والحركة فيه .

ففي مصر كان لشباب الفلاحين الفضل في التنمية الزراعية منذ عصر محمد علي وشق الترع والقنوات واستزراع الأرض ، كما كان لهم أيضاً دورهم البارز في دعم الثورات السياسية منذ ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ ، وثورة ١٩٥٢ – حتى تحقق الاستقلال السياسي للبلاد ، وحدثت تحولات ومتغيرات جديدة نتيجة لغياب التوجهات الملائمة ، وفقدان الهدف أو المشروع القومي الواحد الذي تلتف حوله الأمة ، وسعى النظام السياسي في مصر

---

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف ، القاهرة ، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر ، ١٩٩٠ ، ص ١٩ ، ص ٥٩.

إلى التخلص من الجماعات الشبابية القومية التي تربطها أيديولوجية قوية تنبع من العقيدة الإسلامية ، بعد أن حلت الثورة الأحزاب السياسية الأخرى ، لتتخلص بذلك من كل ما يعوقها أو يقاسمها ولاء الجماهير لها، مما أدى إلى سلسلة درامية من المواجهة والعنف والخصومة بين النظام السياسي أو الدولة وبين الجماعات الإسلامية ، "كما أدى ذلك إلى تقييد الدولة لحركة الشباب ، وبدأ التخطيط للشباب والعمل الشبابي يأخذ شكل الوصاية ، بل وامتدت هذه الوصاية أحياناً لتشمل المجتمع المصري بأكمله ، ولقد أدى فرض الوصاية ورفض المشاركة ، وهدم قيم المجتمع القديم دون تأسيس فعال لسياق قيمي يقود مسيرة التنمية في مجتمع الثورة إلى خلق نوع من الفراغ[1] ، وتنامي مشاعر الاغتراب وفقدان الانتماء ومعاداة النظام السياسي لتوجهاته نحو التغريب (Westernaization) ، والعلمانية .

وقد أدى ذلك إلى بروز الجماعات السرية التي تدعو إلى الإحياء الديني كأدلة للتغيير بالقوة بعد أن يئست من الحوار الهادئ مع الدولة والنظم السياسية المتعاقبة بعد الثورة وإصرارها على رفض السماح لها بإنشاء حزب سياسي أسوة بما كان لها قبل الثورة ، أو حتى على غرار الموافقة التي تمت لأصحاب الاتجاهات اليسارية في مصر بإنشاء حزب لهم ، وقد بدأت تلك الجماعات المسماة بالإسلامية بشكل سري في التكاثر بعد الثورة حتى وصلت إلى نحو خمسين جماعة أبرزها جماعات ثلاث هي جماعة الجهاد وجماعة التكفير والهجرة ، وجماعة الأخوان المسلمين الجدد . وبعد خصام دام خلال عقد الخمسينيات ، والستينيات ، والسبعينيات مع النظام السياسي في مصر أسفر القهر والرفض مع مطلع الثمانينيات عن اغتيال رأس هذا النظام ومصرع أنور السادات .

وقد حسب الرافضون أو توقعوا نهاية للمواجهة ، وتحقيقاً لبعض مطالبهم في المشاركة السياسية وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وبرفض الدولة تلك المطالب ظل العنف المسلح هو لغة الحوار بين الطرفين .

ويربط علماء الاجتماع السياسي بين بروز ظاهرة العنف المسلح التي يقودها شباب تلك الجماعات في مصر ، وبين ثورة الشباب العالمية التي بدأت منذ عام ١٩٦٨م ، في فرنسا وامتدت إلى أوروبا كلها والولايات المتحدة الأمريكية والدول الاشتراكية ، وما صاحبها من تغيرات احتماعية هائلة بفعل الوفاق العالمي بين القوتين العظميين وانتهاء الحرب الباردة ، وسقوط بعض النظم السياسية في العالم الثالث ، وتفكك الاتحاد السوفتي وانهياره ، والاتحاد اليوغوسلافي وانقسامه ، وهبوط فاعلية حركات التحرير الوطنية لافتقادها للدعم المادي والمعنوي .

---

(١) على ليلة : نفس المرجع لسابق ، ٦٤ .

يربطون بين تلك التغيرات الاجتماعية الهائلة على المسرح العالمي ، وأحداث العنف على أيدي بعض الشباب في مصر بقولهم :

"وأمام سقوط بعض الأنظمة وعجز البعض الآخر بدأ شباب العالم الثالث يستلهم شعارات ثورة الشباب في العالم المتقدم ، وإن كان بمضمون مختلف ، حيث قاد الشباب مظاهر التمرد والعنف والرفض مدمراً الأصول المادية لمجتمعه تحت مظلة الدين كساحة للانتظار والتجمع من أجل مسيرة الخلاص ، بينما انصرف نوع آخر من الشباب إلى المخدرات كعالم خيالي يحقق له إشباعات عجز عن تحقيقها في عالم الواقع .

ويستطردون في تحليلهم لظاهرة العنف وأسبابها في العالم الثالث فيرجعونها إلى فشل الأنظمة السياسية في تحديد مسار واضح للتنمية ، بما أدى إلى انتكاسها والحرمان من المشاركة ، واحتكار سلطة إصدار القرار بينما الشباب هم المتحملون لآثار القرار إذا تمخض عن آثار سلبية[1] ، وإلى متى يصمتون، وهم يشاهدون أحلى سنوات العمر تضيع نتيجة لعجز النظام الاجتماعي عن إشباع حاجاتهم ، بما يوفر لهم حياة كريمة وملائمة ، مثلما حدث في مصر حيث عانى كثير من الشباب من ظروف الاختناق في مستوى المعيشة ، والمسكن ، والمواصلات وممارسة حياته اليومية بشكل متوتر .

ورغم منطقية العوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث ظاهرة العنف وتشابهها بين ما حدث في دول العالم الثالث ، واتساق الأسباب مع النتائج ، وما جرى في مصر ، ومواكبه كل ذلك لثورات الشباب العالمية منذ أواخر الستينات في مختلف نواحي العالم ، إلا أنني أختلف في إرجاع أسباب التمرد والعنف والرفض في مصر إلى عوامل المحاكاة وانتشار عدوى الرفض والتمرد لمجرد تزامن الأحداث في مصر مع عدد محدود من الحالات في مناطق أخرى من العالم . ذلك لأن مبررات ذات خصوصية أعمق ، وعوامل أكثر فاعلية لها جذورها التاريخية في طبيعة العلاقة بين الجماعات الإسلامية والدولة قبل الثورة وبعدها كانت وراء قيام العنف والتطرف كذلك فإنه لو صح تفسير المحاكاة وإستلهام شعارات ثورة الشباب في العالم المتقدم لكان من الممكن أن تعم حركة التطرف والتمرد كل أو معظم بلدان العالم، وهو ما لم يحدث .

ويمكن أن نوضح الجذور التاريخية للخلاف بين الجماعات الإسلامية والدولة في مصر في إيجاز شديد بأن مرد هذا الخلاف يرجع إلى خبرات مريرة وأزمة ثقة بين هذه الجماعات والنظام السياسي في مصر عبر مراحل زمنية متعاقبة ، فمنذ الثلاثينات شاركت جماعة

---

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف ، مرجع سابق ص ١١ – ١٢ ، ص ٥٩ .

الإخوان المسلمين في توحيد مشاعر المصريين ودعوتهم للجهاد لطرد الاستعمار والقضاء على الفساد وكذلك فعلت جماعة شباب محمد .

وقد ظهرت هذه الجماعات في إطار من التعددية السياسية ، وحرية التعبير عن رأيها في القضايا القومية الراهنة ، حتى ولو لم يأخذ النظام السياسي بوجهة نظرها ، وبذلك حدث نوع من التراضي بين الطرفين مما جعل الإحياء الإسلامي معتدلاً غير متطرف في الالتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، ولكن مرت جماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٨٠م بعدد من المحن وعاشت فكر الأزمة ، ورغم أن تلك الجماعة بقيادة الشيخ / حسن البنا تميزت بالاعتدال االواضح ، إلا أنها كانت في بعض الأحيان تلجأ إلى العنف لفرض رأيها على الدولة[1] – وبعد اغتيال الجماعة لرئيس الوزراء / محمود فهمي النقراشي باشا في عام ١٩٤٨ رداً على قرار حل الجماعة ، تصاعدت الأزمة باغتيال المرشد العام للجماعة الشيخ / حسن البنا – عن طريق أعوان القصر.

وبقتل زعيم الجماعة فقد الأخوان المسلمون رائد الحركة البارزة للبعث الإسلامى الحديث ، وفي عام ١٩٥٤م اتهم النظام السياسي الأخوان المسلمين بمحاولة اغتيال عبد الناصر ليزج بهم مرة أخرى في السجون ، ثم في عام ١٩٦٥م ، وفي عام ١٩٧٠م شجع النظام السياسي الجماعات الإسلامية الطلابية على القيام داخل الجامعات لتواجه الجماعات الأيديولوجية الأخرى المعادية للنظام السياسي مثل الشيوعيين والناصريين .

وفي قلب السجون ، وتحت قسوة التعذيب الذي لا يتصوره عقل ، وتحجر قلوب البشر نحو أعضاء الجماعة في محنهم المتتالية ، تولدت لدى جماعة الأخوان المسلمين والأجيال التالية من الجماعات الإسلامية مشاعر التطرف والعنف والضراوة .

وفي ظل المناخ ولد الفكر الإسلامي الحديث على يد سيد قطب من خلال كتابه الشهير "معالم في الطريق" ، وهو في مستشفى السجن خلال عقد السبعينيات حيث صنف النظام السياسي وباقي أفراد الأمة الذين لم يثوروا لسجنهم وتعذيبهم بهذه القسوة والوحشية إلى أنهم من الكفار ، وأن أفراد الجماعة المعذبين هم المسلمون الحقيقيون .

وبذلك تصاعد سيد قطب بفكر أبي الأعلى المودودي وجماعته الإسلامية في الهند بعد أن حكم قطب على الأمة والمجتمع بالكفر والجاهلية . وبذلك تطورت فكرة الإحياء الإسلامي المعتدلة بعد تصعيد المواجهات المستمرة للعنف إلى نظرية للتطرف تقوم على

---

(1) Kepel , G . : Muslim Extremism in Egypt , The prophet and pharoh , university of california press , Berkeley and Los Angelos , 1984 , p . 54.

مفهومي الحاكمية ، والجاهلية، حيث يرى مفهوم الحاكمية أنه لا سلطان إلا لله سبحانه ، لا الشعب ولا (الحزب) ولا أي من البشر ، وأن الكتاب والسنّة هما اللذان يرجع المسلمون إليهما لأي من الأمور مع جواز الاجتهاد فيما لا نص فيه – وفقاً لأصول الاجتهاد المقررة في منهج الله ذاته .

أما مفهوم الجاهلية فهي حالة تتكرر كلما انحرف المجتمع عن نهج الإسلام والدعوة إلى عدم المصالحة معها كما فعل المسلمون الأوائل .

وقد حاولت الجماعات الإسلامية الأخرى تطوير فكر سيد قطب وأبي الأعلى المودودي ونقدهما حيث شاع المؤيدون لفكرهما من خلال جماعة التكفير والهجرة ، التي قامت باختطاف الشيخ محمد الذهبي وقتله ، بينما انتقدت جماعة الجهاد هذا الفكر من خلال كتاب الفريضة الغائبة لعبد السلام فرج ، حيث انتقد كافة التيارات الإسلامية المعاصرة ، ووضع أولويات للجهاد تبدأ بالعمل على إقامة الدولة الإسلامية أولاً ، ثم تتجه للعدو البعيد بعد نجاحها في بناء المجتمع الإسلامي، ومما يذكر أن كتاب الفريضة الغائبة كان يمثل دستور هذه الجماعة المسئولة عن اغتيال أنور السادات ، من هذا العرض نجد صراعاً متواصلاً بين الدولة من ناحية وتلك الجماعات من ناحية أخرى ، أو بين النظام العلماني وبين التوجه للإحياء الإسلامي بالعودة إلى الأصول الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية والمشاركة في صنع القرار ، وسط أزمات معاصرة أخرى تزيد من معاناة الشباب مثل مشكلات البطالة ، والإسكان ، والغزو الثقافي ، والإعلام الذي يتحدى المشاعر الدينية ، وارتفاع الأسعار ، وضعف المرتبات ، وقد اتجه الإحياء الإسلامي إلى مزيد من العنف بعد مراوغة السادات له واستخدامه كأداة لتحقيق أغراضه ، ثم انقلابه على التيار الإسلامي ، والسخرية من رموزه بعد أن زج بزعمائه في السجن ، ولا يعلم الا الله ما تسفر عنه عملية التصعيد الحالية لمقابلة العنف والإصرار على أساليب التصفية الجسدية التى يبرأ منها الإسلام "إذ لا يدخل في الحساب من قريب أو بعيد ، أن يمس الإسلام من ذلك أدنى شائبة من شبهة إباحة فساد في الأرض ، فما في الدنيا من يتصور أن شريعة ما وضعية أو دينية ، يمكن أن تبيح الاغتيال والحرابة والاغتصاب ، فذلك ما لا يجوز على من له أدنى حظ من عقل ، متديناً كان أو ملحداً" ، ولا هو مما يمكن أن يصدق بإطلاقه على شريعة الغاب ، فضلاً عن أن يصدق على شريعة إلاهية خاتمة لرسالات الدين ومصدقة لها ، تمحق الفساد في الأرض وتقضى آياتها المحكمات البينات بحكم الخالق عزّ وجل"[1] :

---

(١) عائشة عبد الرحمن : (بنت الشاطئ) الإرهاب والإعلام بين التهويل والتهوين في جريدة الأهرام – قضايا وآراء ، القاهرة مؤسسة الأهرام ، ع ٣٨٨٣٢ ، ط ٢ ، أول إبريل ١٩٩٣ م ، ص ٨.

﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾(١) .

## ٦ – أساليب التوجية الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف :

تتخذ أساليب التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف ، صوراً شتى فى محاولة لإدارة حوار هادف لتصحيح المفاهيم الخاطئة والتعرف على الرأي والرأي الآخر ، ومناقشة الحجة بالحجة وصولاً إلى فهم صحيح للقضايا الخلافية التي اندفع وراءها شباب المتطرفين من الجماعات الإسلامية .

بيد أنه من خلال استقراء الأحداث المتصاعدة للعنف والتطرف فإن تقييم الواقع الراهن أثبت فشل الجهود الحكومية والرسمية للدولة ، من خلال اللقاءات الدورية والزيارات الميدانية للمحافظات المختلفة التي قام بها كل من وزير الأوقاف ومفتي البلاد ، والتي شارك في تنظيمها المحافظون وقيادات الأجهزة الحكومية ؛ ولعل مرد ذلك يرجع إلى مقاطعة شباب تلك الجماعات الإسلامية للمشاركة في تلك اللقاءات في إطار التوجيهات السلبية التي تدعو إلى الانسحاب واعتزال فكر هذا المجتمع ، والنظرة إلى قيادات الدعوة الرسمية للدولة على أنها قيادات تسعى لتحقيق هوى الحاكم والمحافظة على مصالحها المرتبطة به ، بل واعتبارهم سند النظام السياسي وأتباعه ، والمبالغة في الادعاء بتكفيرهم وتكفير المجتمع لدى بعض المتطرفين .

ولهذا رغم ما بذله هؤلاء الدعاة من جهد صادق في زياراتهم الميدانية لمختلف المحافظات ، إلا أنها تحولت إلى شكل بلا مضمون حيث غابت عنها الجماعات الإسلامية الحقيقية المستهدفة لإجراء حوارات دينية متعمقة معها لحسم القضايا الخلافية .

وهناك عدة أساليب يمكن أن تحقق مزيداً من الفاعلية لتصحيح مسار العلاقة بين تلك الجماعات المتطرفة من ناحية ، والدولة من ناحية أخرى باعتبار أن الدولة تتحمل مسئولية أكبر في وجوب حرصها على طاقات الشباب وتوجيهها الوجهة الصحيحة لخير المجتمع بأسره ، حتى وإن جنحت في تصوراتها ، وليكن تقويم المسار قائماً على الفهم المتعمق والمجادلة بالحسنى حتى يحقق نوعاً من التلاقي بين الطرفين ، دون محاولة لاستخدام العنف لأنه لن يؤدى إلا لخراب المجتمع وهدم طاقاتهم البشرية والاقتصادية .

وفيما يلي نعرض لعدد من الأساليب المقترحة في هذا المجال :

### أ – الحوار والمناظرة بين قيادات التيار الإسلامي والدولة :

إن ما نعنيه هنا ليس صورة مكررة للقاءات الرسمية التي قام بها مفتي البلاد ووزير الأوقاف ، وإنما صورة أخرى لدعوة كافة الاتجاهات المختلفة التي يضمها التيار الإسلامي في

---

(١) سورة المائدة : آية ٣٢ .

مصر بطوائفه المتعددة التي تزيد عن ثلاثين جماعة إسلامية أبرزها جماعة الجهاد ، والتكفير والهجرة ، والجماعات الطلابية بالجامعات ، والإخوان المسلمون الجدد وغيرهم .

وذلك على غرار اللقاءين اللذين تم عقدهما في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة في عام ١٩٢٢م، ونقابة المهندسين بالإسكندرية عام ١٩٩٢م بعنوان "مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية" على شكل حوار بين أنصار التيار الإسلامي وما أسموه بالتيار العلماني . ولم تحضره أيضاً قيادات الجماعات الإسلامية الممثلة لكافة جوانب التيار الإسلامي ، كما غابت عنه قيادات الدعوة الإسلامية للدولة مثل مفتي البلاد ووزير الأوقاف ، وشيخ الأزهر .

كذلك فإنه من الأهمية بمكان كبير أن تضم هذه اللقاءات المقترحة للحوار والمناظرة شخصيات عامة تعتبر رموزاً للتيار الإسلامي المعتدل ، تحظى باحترام كافة الأطراف أمثال الشيخ / الشعراوي ، الشيخ / محمد الغزالي ، الدكتور / عبد الصبور شاهين للإسهام في مواجهة مخاطر التطرف والمغالاة بين التيارين المتصارعين بين التيار الإسلامي والعلمانية .

## ب – دور وسائل الإعلام المختلفة :

للإعلام بوسائله المختلفة در خطير في تصعيد مشكلة التطرف لدى الجماعات الإسلامية باتباع سياسات تقوم على إثارة المشاعر الدينية في وسائل الإعلام المرئية من خلال البرامج الإعلامية المثيرة والمسلسلات الوافدة من ثقافات غير إسلامية لا تدعو إلى فضيلة ، ولكنها تحمل قمة التناقض الإعلامي الصارخ ، وأوضح مثال على ذلك ما نشاهده في مصر حينما تعرض أفلام هزيلة ومسرحيات هابطة تبث قيماً غريبة على مجتمعنا وفي قلب كل ذلك يتوقف الإرسال لكي يذيع آذان الصلاة ، وأحاديث الرسول(١) ، ويؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى نوع من بلبلة الفكر وافتقاد الهوية وإثارة الحيرة والتساؤل لدى الكثيرين ، وخاصة الشباب .

وإذا كان البعض يدافع عن المسار الحالي للإعلام المرئي والمسموع والمقروء بدعوى أنه لم يعد في الإمكان مقاومة الغزو الثقافي ، إلا أنه على المستوى الرسمي لأجهزة وسائل إعلام الدولة لا يليق أن تنقل الدولة بنفسها هذا الغزو إلى داخل كل بيت وهي تعلم "ما لوسائل الاتصال الجماهيري من قدرة سحرية على عرض الأفكار والقيم التي تعتبر عنصراً لا يستهان به في صناعة المجتمع . وقد أصبحت هذه الحقيقة واقعاً تتحدث عنه النظريات الحديثة التي تتناول العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري وجمهوره"(٢) .

---

(١) محمد حسين هيكل : خريف الغضب – قصة بداية ونهاية عصر السادات ، بيروت شركة المطبوعات للتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ١٩.

(٢) جيهان رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٨ م ، ص ٥٦٥ .

وتبرز في المقابل دعوة إلى قيام إعلام إسلامي ، ويقاوم فريق آخر هذ الدعوة بأن الدول العربية والإسلامية خصصت إذاعات خاصة للقرآن الكريم ، إلى جانب البرامج الدينية في الإذاعات ، والتلفاز، وأعمدة خاصة في الصحف لهذا الغروض ، ولكن الأمر يقتضي دون جدل أن يكون التوجه العام في كل هذه الوسائل الإعلامية توجهاً إسلامياً ينطلق من فكر إسلامي سمح يقوم علىالقرآن والسنّة ويفتح باب الاجتهاد في المعاملات اليومية وقضايا العصر وفقاً لقواعد الاجتهاد المنضبطة في أصول الفقه تقديراً من القائمين على الإعلام الرسمي بخطورة دوره في صياغة العقل الجمعي والوجدان وترسيخ القيم ، دون استخفاف بالرموز الإسلامية ، وتقويم الفهم الخاطئ لدى الشباب عن العقيدة الإسلامية .

**جـ – اختيار الوسائل المناسبة للاتصال في الدعوة الإسلامية :**

يعتبر اختيار وسائل الاتصال للدعوة الإسلامية أمراً ضرورياً لنجاح جهود الدعوة في مراحلها المختلفة التي مرت بها السرية إلى العلنية ثم العالمية ، حيث تعددت وسائل الاتصال في الدعوة لتتلائم مع كل مرحلة من مراحل الدعوة ومع كل جمهور من جماهيرها[١] .

وتشمل هذه الوسائل الاتصال الشخصي ، والاتصال الجمعي ، والاتصال غير اللفظي والرسائل أو الكتب ، والجمع بين أكثر من وسيلة في آن واحد .

ويأتي أسلوب الاتصال الشخصي المباشر بين الدعاة والمدعوين في مقدمة هذه الوسائل لقيامه مباشرة على الحوار والإقناع بالحسنى مما يجعله إذا تأثير فعال لهذا استخدمه الرسول عليه السلام في المرحلة السرية ، والمرحلة العلنية[٢] .

وعلى الرغم من أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل مسلم ، الا أنه يجب التسليم بأن ذلك يجب أن يتم في حدود المعرفة اليقينية للمسلم كما جاءت في الكتاب والسنّة ، وأن ترك المسائل الفقهية للدعاة المتخصصين في العلوم الشرعية ، فلكل علم رجالاته المتخصصون حتى لا يترك الأمر – كما هو الحال الآن – لكل المدعيين .

**د – دور الخطابة في التوجية الإسلامي :**

تعتبر الخطابة أحد أساليب الاتصال الجمعي في الدعوة الإسلامية وتلعب الخطابة دوراً خطيراً لنشر الدعوة وإبلاغها للناس ، وتزدهر الخطابة في عصور الحرية الفكرية والقولية . "والحرية في الشريعة حرية مسئولة ولها حدودها التي لا تؤثر على المبدأ ، ولكنها تعني بضبط

---

(١) محمود يوسف مصطفى : العلاقات العامة والإعلام في الإسلام ، جدة ، مكتبة مصباح ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٤٢٥.

(٢) إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامي – المرحلة الشفهية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م ، ص ٥٢ .

إيقاع ممارسة الحرية حتى لا تؤثر على حريات الآخرين ، وعلى مصالح أسمى للمجتمع المسلم وللدولة الإسلامية(١).

وإذا كان مجال الدعوة الإسلامية قد استطاع أن يتسلل إليه في مصر في الآونة الأخيرة كثير من المدعين الذين نصبوا أنفسهم رجالاً للدعوة في غيبة دور فاعل لعلماء الدعوة والأزهر ، فإنه بات ضرورياً على علماء الإسلام في الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يتصدوا بقوة وسرعة لتصحيح المفاهيم الخاطئة وأساليب الإثارة غير المسئولة التي أفسد بها المدعون عقول الناس في المساجد .

ولم يقتصر دور المسجد في عصر الرسول عليه السلام على العبادة فحسب ، بل كان ملتقى العلم وخدمة المجتمع ، وتدعيم العلاقات الطيبة بين المسلمين - "والمسجد في المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة عن طريق الدين ، الذي كان من المرونة والصلاحية، بحيث يمكن أن يوجد حلاً لكل مشكلة ، وحكماً لكل حادثة وجواباً لكل سؤال(٢) .

### هـ - أدب الحوار والمعارضة في الفكر السياسي الإسلامي :

عرف الفكر السياسي في الإسلام كل معاني الديموقراطية والمعارضة في آن واحد ذلك لأنه ليس هناك نظام سياسي لا يعرف المعارضة كحقيقة إنسانية طبيعية نابعة من عدم إمكانية إرضاء كل البشر ، وإن اختلفت النظم من حيث القدر الذي تسمح به في حرية التعبير والتشكيل والتمثيل للمعارضة ، وفي إيجاز شديد فإن حقيقة المعارضة تتركز في التعبير عن الحق الجماعي في المناقشة والتقويم لسلوك السلطة السياسية والتنفيذية والتشريعية ، وتقوم فلسفتها على تقبل الخلاف في الرأي واعتباره حقاً مشروعاً بحيث يصير من المقبول أن تتعدد المفاهيم والتصورات على الرغم من بقاء الحقيقة واحدة(٣) .

ومن ثم يرى البعض أن تغلغل القيم الدينية بما تتضمنه من شيوع لروح التسامح الإنسانية يخلق مناخاً مناسباً للتعبير عن حقيقة المعارضة . ومن أبرز ما يُستقى من الفقة الإسلامي في هذا الخصوص ذلك القول الذي ينظر إلى التقل والأرجحية لرأي من الآراء

---

(١) جعفر عبد السلام : الإطار الشرعي لنشاط إعلامي - من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، القاهرة ، بالتعاون بين مؤسسة اقرأ الخيرية ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ، في الفترة ما بين ٣ شوال إلى ٢ ذي القعدة ١٤١٢ هـ الموافق من ٣ - ٥ مايو ١٩٩٢م ، ص ٣٥٩.

(٢) عبد الغفار عزيز : أصول الخطابة العربية بين مراحل التاريخ وفن التطبيق ، القاهرة ، دار الحقيقة للاعلام الدولي ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٦٠.

(٣) نيفين عبد الخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الملك فيصل الإسلامية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٦٣ - ٦٦.

على أنه يمثل صواباً قد يحتمل الخطأ وأن غيره من الآراء قد يمثل خطأ قد يحتمل الصواب[1] ، وبذلك يظل الباب مفتوحاً لإمكانية المناقشة والتقويم ، وقد دعانا الإسلام لأن نلتزم بأدب الحوار في الدعوة بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن دون عنف أو إرهاب أو قهر .

وتؤكد الآيات الكريمة ذلك في قول الحق :

**﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ .**

*** ويمكن للقارئ الرجوع لمزيد عن رسالة المسجد في خدمة المجتمع – في :**

– مسعد الفاروق حمودة : دور المسجد في تنمية المجتمع ، القاهرة ، رسالة دكتوراه – غير منشورة – بكلية الخدمة الاجتماعية – جامعة حلوان ، ١٩٨٣ .

"والصبر" هو أحد مسالك التعبير عن المعارضة الإسلامية وهو لا يعني الموافقة أو التسليم بمشروعية الظلم ، والصبر هو مذهب الجمهور من أهل السنّة ومسلكهم في مواجهة البغي أو الظلم. وهم في ذلك يرون أن على الحاكم الظالم الوزر وعلى المؤمن الصبر ، وقد ساند مبدأ الصبر فكر الإرجاء بمعنى إرجاء الحكم على الأعمال لله سبحانه وتعالى ، ولهذا لاقي هذا الفكر تعضيداً ومناصرة من السلطة الحاكمة لأنه يضمن مصالحهم[2] .

ولعل التطرف والعنف بين التيار الإسلامي والدولة يرجع إلى افتقاد أدب الحوار بينهما لروح التسامح التي اتصف بها الإسلام ، وكذلك حالة الخصومة السياسية بفعل التجاوزات والاتهامات المتبادلة – "فما زال الفكر العربي يعاني حالة الانفصام التى بينه وبين المؤسسة السياسية ، ما أدى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط ، لذا تقع المسئولية على خطاب الإعلام العربي في تحقيق المصالحة بين الرأي الفكري ، والقرار السياسي[3] .

---

(١) محمد أبو زهرة / المذاهب الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، بدون تاريخ ، ص٢٥ .

(٢) نيفين عبد الخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ص٣٠١ – ٣٠٤ .

(٣) محمد إبراهيم القيومي : فلسفة خطاب الإعلام العربي بين التبرير والتغيير ، القاهرة من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، مؤسسة اقرأ بالتعاون مع جامعة الأزهر ، ٣ – ٥ مايو ١٩٩٢م ، ص ١٩٥ – ١٩٦.

## الجزء الثالث – استراتيجية جديدة لمواجهة التطرف :

تقوم هذه الاستراتيجية لمواجهة المشكلة ، والرؤية المستقبلية لها على ما نسميه بالاستراتيجية التربوية ، والتى تعتمد على تغيير نسق الفعل من خلال تغيير نسق القيم والمعاني والتصورات لدى الشباب من خلال الخطط والبرامج التربوية المناسبة ، وتشمل العمل على إعادة النظر في أساليب التوجيه التقليدية الحالية التي تقوم على التحدث من طرف واحد دون مشاركة فاعلة لقيادات التيار الإسلامي وشبابه ، والدعوة إلى الحوار والمناظرة لإجلاء الحقيقة وتخليص فكر الشباب من شوائب التطرف والتعصب الأعمى لمقولات الادعاء بالجهاد ، والتكفير والهجرة .

وترتكز تلك الاستراتيجية على سياسات وخطط وبرامج ، تسعى جميعاً إلى تبني أساليب جديدة في التعامل مع المشكلة بأسلوب علمي عقلاني لا يعتمد على اجراءات القمع الأمني وحده، واعتبار جهاز الشرطة هو المسئول الوحيد عن تلك المواجهة ، وتبادل العنف بالعنف بين جماعة المتطرفين والأجهزة الأمنية والتربص بها ، والدخول في سلسلة من الثأر على المستوى القومي ، بل يعمل على مشاركة أفراد المجتمع أنفسهم مع أجهزة الدولة المختلفة في التصدي لمحاولتهم لتخريب الاقتصاد الوطني بضرب السياحة ومهاجمة أجهزة الشرطة كرموز لسيادة الدولة .

فلقد أثبتت التجربة "أن المتطرفين قد لا يرهبون تصدي أجهزة الأمن الرسمية لمقاومتهم ، بل يستغلونه في كسب عواطف الجماهير ويرتدون أمامها قميص الشهداء الذين تبطش بهم أجهزة الدولة لأنهم على حق، وهذه الأجهزة ومن وراءها الدولة على باطل"(١).

وتنطلق الاستراتيجية الجديدة من فكرة مفادها أن يتم عزل تلك الجماعات عن قياداتها الفكرية المخططة للتخريب والتطرف ، ذلك لأنها هي العقول المدبرة التي تصدر الفتاوى للشباب باستجابة تلك الأفعال المدمرة ، سعياً لتحقيق مآربها الخاصة للتغيير بالقوة والعنف .

وترتكز هذه الاستراتيجية على ثلاثة محاور وهي :

أولاً : تصحيح المفاهيم الخاطئة المتصلة بالعقيدة الإسلامية وأحكامها في مجال الدعوة وأساليبها ، والتربية الدينية ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، من خلال الحوار البناء والمناظرة الهادفة بين أقطاب الدعوة الإسلامية من العلماء والدعاة وبين قيادات وطوائف الشباب من التيار الإسلامي حول كل القضايا الخلافية التي يكثر الجدل والاجتهاد حولها .

---

(١) المجالس القومية المتخصصة : تربية للمواطن السوي ومواجهة الانحراف والتطرف ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

ثانياً : حل المشكلات الاجتماعية التي هيأت المسرح السياسي للتطرف في المجتمع المصري مثل مشكلات البطالة ، والإسكان ، وضعف المرتبات وارتفاع الأسعار ورفض الدولة السماح بإقامة حزب للجماعات الإسلامية ، وحصول بعض الطوائف المهنية على امتيازات دون غيرها مثل (القوات المسلحة، الشرطة ، والقضاء ، والإعلام ، والسلك السياسي وغيرهم) .

مما أثار تبايناً وصراعاً بين النقابات المهنية أدى إلى بروز ما يعرف في علم الاجتماع السياسي بجماعات الضغط .

ثالثاً : إعادة النظر في سياسات العمل الإعلامي بوسائله المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة، وصياغتها صياغة إسلامية وغربلة برامجها ومحتوياتها للابتعاد عن الإثارة والابتذال والاستخفاف بالرموز الدينية ، والدعوة لاستتبات القيم والفضائل التي تحفل بها العقيدة الإسلامية ، والإسهام في تكوين الشخصية الإسلامية السوية بعيداً عن التطرف والعلمانية في آن واحد .

ومع تقديرنا لكثير من الكتابات التي طرحها نخبة من الصفوة الفكرية بالمجتمع فإن هناك بعض المقولات التي تندرج تحت التفسير السوسيولوجي لمشكلة التطرف تستحق التأمل والتحاور معها ونقدها نقداً موضوعياً وهي :

١- القول بأن غياب القيادة الكارزمية لظاهرة الإحياء الإسلامي من العناصر التي عطلت دائماً عملية اكتمالها ، نتيجة لعدم وجود القيادة القادرة على تطوير تصور شامل جغرافياً وتاريخياً يحدد الأهداف العامة للإحياء والاستراتيجيات أو التكتيكات اللازمة لتجسيده ، فعلى خلاف الحركات الثورية ذات المركز الواحد ، الذي تقوده شخصية أو جماعة كارزمية نجد حركة الإحياء الإسلامي متعددة المراكز وتفتقد القيادة الكارزمية المركزية[1] .

ونحن نختلف في اعتبار حركة الإحياء الإسلامي ذات خصوصية معينة تختلف عن الحركات الثورية الأخرى نتيجة لتعدد مراكزها ، إذ إن هذا التعدد على مستوى العالم الإسلامي هو نتيجة لتباين الأسباب الدافعة إلى الثورة ، ودرجة الوفاق أو الاختلاف بين الجماعات الإسلامية والدولة .

ولهذا لا يمكن تصور وجود قيادة لشخصية أو جماعة كارزمية تقود الحركة في آن واحد في أرجاء العالم الإسلامي ، وإنما تتوالد قيادات موقفية متعددة في كل مجتمع وفقاً لتصاعد الأزمات مع الحكومات والنظم السياسية .

---

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

وعلى ذلك فهذه القيادات بتشخيصنا الراهن لها هي قيادات الأزمات أو ما يمكن أن نسميه أزمة الفكر ، فكر الأزمات التي لم تنضج بعد لتكون شخصية أو جماعة كارزمية بمفهوم علم الاجتماع السياسي .

٢- الادعاء بأن الثورة الإيرانية قد قدمت للحركات الإسلامية مثالاً عملياً للثورة الإسلامية النموذجية في العصر الراهن ، وبذلك مثلت دفعة هائلة لحركة الإحياء الإسلامي في المجتمعات الإسلامية[١] .

وعلى الرغم من المبالغة اللفظية حول فكرة "النموذجية" التي تختلف عن مفهوم النموذج في الدراسات السوسيولوجية ، إلا أن المتأمل لقيادة الثورة الإسلامية في إيران يلحظ أن حركة الإحياء الإسلامي فيها قامت على أكتاف فقهاء الدعوة وفقهاء الحوزة العلمية في قُمْ ، التي تولت أيضاً التخطيط لحشد الجماهير وتحريكها للإطاحة بالحكم[٢] .

وهو أمر يختلف عن حركة الإحياء الإسلامي في المجتمع المصري التي تقوم على جماعات متعددة متباينة الفهم لأسلوب الدعوة الأمثل من غير المتخصصين فيها .

كذلك فإن الثورة الإسلامية الإيرانية قد فقدت مثاليتها في حربها الطويلة مع العراق وتكفيرها للمذاهب الإسلامية الأصلية لأهل السنة والجماعة ومحاربتها لفكر السنة والعمل على نشر المذهب الشيعي في مختلف أنحاء العالم – ولا يخفى على أحد أن مصر لم تكن ولن تكون مسرحاً للفكر الشيعي، مما يجرد هذا النموذج من مساعيه المشبوهة لتصدير الثورة الإسلامية الإيرانية بفكرها إلى مصر والجزائر وغيرها .

٣ – القول بأنه "على الرغم من أن الجماعات الإسلامية قد نشأت داخل أسوار الجامعات إلا أنها كانت تهدف أساساً إلى نقل المجتمع الخارجي من مجتمع جاهلي إلى مجتمع إسلامي – وقد بدأت فاعليتها تمتد إلى ما بعد أسوار الجامعة من خلال حدثين كبيرين هما تنظيم صلاة الفطر ، وصلاة عيد الأضحى في أماكن مفتوحة تضم آلاف المصلين كنوع من استعراض القوة في مواجهة النظام السياسي[٣] .

ونحن نختلف مع هذا التحليل في نقطتين جوهريتين : النقطة الأولى هي الموافقة على ما يدور في خلد وفكر تلك الجماعات التي تتهم المجتمع بالجاهلية والسعي إلى نقله من حالة الجاهلية إلى وضع المجتمع الإسلامي – على حد زعمهم – وكما يعرف الكاتب فإنه ليس من حق أحد أن يكفر المسلمين لمجرد اختلافهم معه في الرأى أو عدم تأييده .

---

(١) السيد زهرة : حركة الاحياء الإسلامي ، مؤشرات ودوافعها ، السياسية الدولية ، ع ٦١ ، يوليو ١٩٨١م ، ص ٨٨ .

(٢) فهمي هويدي : إيران من الداخل ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٧م ، ص ٤٥ .

(٣) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٤٥١ .

أما النقطة الثانية فتتعلق بتفسير الكاتب إلى امتداد فاعلية الجامعات الإسلامية إلى خارج أسوار الجامعة مستشهداً على ذلك بإقامة صلاتي العيدين في الساحات والميادين كأماكن مفتوحة – تضم آلاف المصلين ، مفسراً ذلك – على حد قوله – بأنه نوع من استعراض القوة في مواجهة النظام السياسي .

ونحن نختلف معه في هذا التفسير الذي ذهب إليه كما هو معروف شرعاً فإن صلاة العيدين طبقاً للسنّة يجب صلاتها في الأماكن المفتوحة وليس في المساجد ولهذا فإن سعي الجماعات الإسلامية لتنظيم ذلك هو محاولة لتطبيق الشريعة الإسلامية وفقاً لأصول العبادات، وكسباً للمشاعر الدينية من الجماهير وتعاطفها مع الحس الديني وليس استعراضاً للقوة في مواجهة النظام السياسي طبقاً لتلك المقولة.

٤ – القول بأن "حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة تفتقر إلى وجود المشروع الاجتماعي الحضاري الإسلامي مما أدى إلى تقييد انطلاق الحركة ، وبرغم ذلك فقد بدأت بعض إرهاصات لصياغة مشروع اجتماعي حضاري إسلامي (كذلك الذي قدمه أبو الأعلى المودودي ، سيد قطب ، باقر الصدر) – والقول بأن الثورة الإيرانية قد بدأت تفرزه من خلال تفاعلاتها ، ويبقى أن تتفاعل هذه الاقترابات المتنوعة لكي تنتهي في النهاية إلى صياغة المشروع الاجتماعي والحضاري والإسلامي – الذي يتفق عليه الجميع والذي يتحرك أيضاً بحمية إلى تجسيده"(١) .

وإذا كنا نسلم بأن غياب المشروع الاجتماعي الحضاري عن حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة هو سمة بارزة بالإضافة إلى الحد من قدرتها على الانطلاق ، إلا أننا لا نتفق مع رأي الكاتب بأن الثورة الإيرانية قد بدأت في إفراز هذا المشروع من خلال تفاعلاتها ، ذلك لأن هذه الثورة قد شوهت صورة حركة الإحياء الإسلامي أكثر مما أفادتها، وذلك من خلال التحليل الدقيق لدورها في الأحداث المؤسفة التي شجعت فيها جماعة من المتطرفين على الاستيلاء على الحرم المكي الشريف في اليوم الأول من القرن الرابع عشر الهجري الموافق ٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٩م – رغم تظاهرها بالبراءة – وحشد جنسيات إسلامية أخرى لتنفيذ تلك المؤامرة . هذا بالإضافة إلى تورطها في الحرب الأهلية في لبنان ، وتمويل الجماعات الإسلامية المتطرفة في مصر والجزائر .

وحتى لو غضضنا الطرف عن تلك الأدوار المشبوهة ، فإن انبثاق المشروع الاجتماعي والحضاري الإسلامي المرتقب من إيران بالذات لن ينال قبولاً جماعياً أو اتفاقاً عليه لتجسيده إلى واقع مأمول ، ذلك لأن حساسية الاختلافات المذهبية الجذرية بين فكر الشيعة (في إيران) وفكر السنة في الدول الإسلامية الأخرى سوف تحول دون تحقيق أدنى اتفاق عليه .

---

(١) علي ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٤٦٨ .

ولهذا يظل هذا التوقع لرؤية المستقبلية لحركة الإحياء الإسلامي أملاً بعيد المنال في ظل هذا التفسير . ويظل البديل لهذا الخيال ،وهو أن تنهض إحدى الأمم الإسلامية لدعوة كافة دول العالم الإسلامي إلى مؤتمر عالمي للدعوة الإسلامية لوضع استراتيجية شاملة لها ، ولمشروع اجتماعي حضاري للأمة الإسلامية تلتف حوله كل الدول والمجتمعات الإسلامية توازره وتعمل على تنفيذ دورها في إطار استراتيجية موحدة ومشروع متكامل يقدم نموذجاً للتنمية الإسلامية الشاملة بديلاً عن نماذج التنمية الغربية التي أخفقت في إشباع احتياجات الشباب .

ولعل كلا من مصر والمملكة العربية السعودية هما الدولتان المهيأتان للقيام بهذا الدور معاً أو إحداهما ، بعلمائها ودعاتها ، فكر السنّة والجماعة الذي يسود كلاً منهما ، وإمكاناتها ، ومكانتها في التاريخ الإسلامي .

**والله من وراء القصد والهادى إلى سواء السبيل**

# الخدمة الاجتماعية مع المسنين بنظرة إسلامية

د .الفاروق زكى يونس

## مقدمة :

لاشك أن من أهم التغيرات التى يشهدها المجتمع الإنساني المعاصر ، ما يتصل بالتركيبة السكانية المتغيرة لمجتمعات العصر ، ومن أهم معالم تلك التركيبة ذلك التغير الكبير في نسبة المسنين إلى المجموع الكلى للسكان ، مع اتجاه هذه النسبة إلى الزيادة المطردة . أصبحت أعداد المسنين تتزايد بسرعة واستمرار بين سكان العالم ، ولا تقتصر هذه الظاهرة على الدول المتقدمة صناعياً في الغرب أو الشرق ، وإنما تشهد دول العالم الثالث كذلك تلك الزيادة المطردة في أعداد المسنسين ، مع بعض الاختلاف في نسبتها إلى مجموع السكان في تلك الدول . إذ تشير الإحصاءات الدولية إلى أن عدد المسنين (٦٠ سنة فأكثر) على مستوى العالم بلغ ٢٥٠ مليوناً عام ١٩٦٠ ، ثم ارتفع هذا العدد إلى ٣٧٦ مليوناً عام ١٩٨٠ ، كما تشير التقديرات إلى أن عدد المسنين في العالم سوف يرتفع إلى ٦٠٠ مليون عام ٢٠ ثم إلى ٩٥٠ مليوناً عام ٢٠٢٠ ، وفي المقابل ترتفع نسبة المسنين إلى سكان العالم من ٢ر٨٪ عام إلى حوالى ٥ر١٢٪ عام ٢٠٢٠ (نسبة تقديرية) .

هذه التركيبة السكانية المتغيرة لا تعتبر ظاهرة ديمغرافية فحسب ، بل ظاهرة مركبة لها انعكاساتها على مختلف جوانب الحياة والعلاقات في المجتمع ، خاصة وأن تلك الزيادة لم تقتصر على أعداد المسنين ، وإنما شملت كذلك متوسط عمر الفرد الذى ارتفع إلى أكثر من ٧٠عاماً في كثير من الدول المتقدمة صناعياً ، ومن ثم يوصف هذا التغير بأنه من أكثر ظواهرالنصف الثانى من القرن العشرين إثارة وتأثيراً . فلم يحدث في التاريخ الإنسانى أن عاش المسنون بهذه الأعداد الكبيرة مثل من يعيشون في عالم اليوم . هذه الظاهرة الفريدة لابد وأن يكون لها آثار عميقة على المجتمع في جملته ، وعلى الأسرة والأنظمة الاجتماعية الأخرى وعلى السياسة الاجتماعية والخدمات وعلى المهن الإنسانية التى تتعامل مع المسنين وتشارك في رسم السياسات ، وعلى الأخص الطب والخدمات الاجتماعية ، بل وعلى المسنين أنفسهم. إذ كلما تضاعفت أعداد المسنين مع الزيادة المطردة في متوسط عمر الفرد ، كلما تعددت وتنوعت الاحتياجات ، ظهرت المشكلات على طريق الوفاء بتلك الاحتياجات ، الأمر الذى يجعل من رعاية المسنين قضية ملحة من قضايا العصر. وإن اختلف التعامل مع هذه القضية باختلاف المجتمعات، واختلاف البناء الاجتماعي والثقافي لكل مجتمع .

حقيقة إن لكل فئة عمرية حاجاتها ومشكلاتها . ولكن ضغط المشكلات التى صاحب تضاعف أعداد المسنين وخاصة في دول الغرب الصناعية ، قد أدى إلى تحول في

النظرة إلى تلك القضية، لتتحول من مشكلات المسنين إلى المسنين كمشكلة . حيث أصبحت الشيخوخة توصف بأنها مشكلة اجتماعية تتطلب عملاً اجتماعياً جمعياً ، وسياسات اجتماعية للتعامل مع تلك المشكلة . وحقيقة كان للتقدم في العمر مشكلاته في أى مجتمع خلال التاريخ الإنسانى ، كما كانت كثير من المجتمعات تنظر للتقدم في العمر نظرة احترام وتقدير . وقد تعرض المسنون في كل الأزمنه لمشكلات الضعف الجسمى والعقلى ، إلا أنه وحتى وقت قريب كانت تلك الأعراض المصاحبة للشيخوخة ، وليست الشيخوخة ذاتها ، هى التى توصف بأنها مشكلات ، حيث كانت محصورة في المسنين الذين يعانون من أعراض المرض ، ومن ثم وقعت مسئولية العناية بتلك الفئة على الأسرة أكثر من المجتمع ، إلا أنه ومع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى صاحبت التصنيع ، بدءًا بالمجتمعات الغربية ، أخذت مشكلات المسنين أبعاداً جديدة ، اقتصادية واجتماعية ، إلى جانب الأبعاد الجسمية والنفسية . وهكذا أصبحت الشيخوخة ذاتها مشكلة في تلك المجتمعات أو كان التحول من مشكلات الشيخوخة إلى الشيخوخة كمشكلة .

إزاء هذا التحول ، كان لابد وأن يتحرك المجتمع بنظمه ومؤسساته ، وبرامجه وخدماته ، استجابة للاحتياجات المتغيرة للمسنين ، على طريق الاستجابة المناسبة للشيخوخة كمشكلة ، وهنا يثور التساؤل عن موقف الخدمة الاجتماعية من هذه التغيرات ، خاصة وقد ارتبطت الخدمة الاجتماعية منذ نشأتها بالرعاية الاجتماعية بصفة عامة وبرعاية الفئات ذات الاحتياجات الخاصة ، ومنهم المسنون من المتوقع أن تتحرك الخدمة الاجتماعية في المجتمعات الغربية لتشمل بخدماتها الفئات المحتاجة من المسنين، وخاصة بعد أن تقلص دور الجماعات الأولية ، ومنها الأسرة ، عن رعاية المسنين وهكذا أصبحت رعاية المسنين أحد المجالات النامية لممارسة الخدمة الاجتماعية ، ومن الطبيعى أن يقوم العمل مع المسنين على أساس من الأطر النظرية التى تقوم عليها الخدمة الاجتماعية ، وأن يلتزم بالقيم الاجتماعية والمهنية التى توجه علاقة الممارس بوحدات الخدمة ، وأن يستهدف من الأهداف ، ويوظف من المناهج والمهارات ما تواضعت عليه الخدمة الاجتماعية في التجربة الغربية .

ومن المعروف كذلك أن الخدمة الاجتماعية الغربية نشأت استجابة للتحولات التى شهدتها المجتمعات الغربية ، وخاصة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ومن ثم تشكلت في نماذج تعتبر نتاجاً للبيئة الاجتماعية والثقافية التى نشأت فيها . ومع ذلك فقد انتقلت الخدمة الاجتماعية بتقاليدها الغربية وبتراثها الثقافى ، ونماذجها في الممارسة إلى مختلف دول العالم ، ومنها العالم العربى الإسلامي . الأمر الذى أثار قضايا عديدة حول جدوى تطبيق النموذج الغربى للخدمة الاجتماعية في دول العالم الثالث . وقد بدأ الحوار ، ومازال ، حول تلك القضايا في الإطار العربى الإسلامي . وساهم الحوار في

إثراء الفكر على الطريق نحو أنسب نماذج الخدمة الاجتماعية ، إسلامياً وعربياً . في هذا الإطار تطرح قضية المسنين في العالم الإسلامي، وإلى أى حد تصلح الخدمة الاجتماعية بنموذجها الغربى للتعامل مع تلك القضية ، خاصة وأن رعاية المسنين في المجتمع الإسلامي تعتبر جزءاً من نظام متكامل للرعاية الاجتماعية تتفق مع فطرة الإنسان التى فطره ا لله عليها.

هذه الدراسة محاولة للإسهام في هذا الحوار . اختارت مجال المسنين باعتباره أحد المجالات الحديثة التى استقطبت اهتمام العديد من العلوم والمهن الإنسانية وخاصة الخدمة الاجتماعية والتى انتشر الأخذ بها في المجتمعات العربية والإسلامية .

تهدف هذه الدراسة إلى عرض الملامح الأساسية للعمل مع المسنين كمجال لممارسة الخدمة الاجتماعية وذلك بنظرة إسلامية ، وتعتمد في ذلك على منهج وصفى تحليلى يستعرض الأساس النظرى الذى يقوم عليه العمل مع المسنين ، والقيم التى توجه ممارسه ، سعياً إلى إعادة ترتيب رعاية المسنين كمجال لممارسة الخدمة الاجتماعية على ضوء الصيغة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، والله المستعان .

## النظريات الاجتماعية في الشيخوخة :

إن العناية بالدراسة العلمية للشيخوخة تعتبر من ظواهر القرن العشرين ؛ بدأ الاهتمام بهذا النوع من الدراسة من جانب علم الشيخوخة وعلم الشيخوخة الاجتماعي منذ الخمسينيات في المجتمع الأمريكي . وقد ارتبط ذلك بما شهدته تلك الحقبة من ظواهر تتصل بالحياة المتغيرة للمسنين ، متمثلاً في العزلة الاجتماعية ، وما صحبها وترتب عليها من ضرورة إعادة النظر في أهداف الحياة لدى المسن ، وحاجته إلى معيار جديد لتقدير الذات ، بدأ المجتمع الأمريكى ينتبه إلى تلك الظواهر، مع شعور ضمني بالذنب ؛ في هذه الحقبة ظهر علم الشيخوخة ، واتجه إلى الدراسة العلمية للظواهر المتصلة بالشيخوخة والتقدم في السن/ ومن ثم ينبغى التعامل مع النظريات التى ظهرت عن الشيخوخة في إطار الوسط الثقافي والاجتماعى الذى تمت فيه (1) .

### نظرية فك الارتباط :

وتعتبر من أقدم النظريات في علم الشيخوخة وأكثرها انتشاراً ، وتأثيراً ، على الرغم مما واجهته من اعتراضات وانتقادات وصلت إلى حد الرفض الكلى من جانب البعض ، تشير

---

(1) Brown , A . (1990) . The Social Processes of Aging and Old Age . N . J . Prentice - Hall . pp. 56 .

هذه النظريـة إلى عملية التقدم في السـن باعتبارهـا تتضمـن بـالضرورة تقليـص النشـاط أو الانسحاب الذى لا بد منه من جانب المسن ، الأمر الذى يؤدى إلى الحد تدريجياً من تفاعلـه مع المحيطين به في الوسط الاجتماعى ، قد تبدأ هذه العملية من جانب المسـن نفسـه ، أو مـن جانب الأطراف الأخرى في نفس النسق .

على أنه فى كلتا الحالتين يستعد الفرد والمجتمع من خلال تلك العمليـة ، للانسـحاب النهائى للمسن بالوفاة ، أو بالمرض الذى يقعد المسن . يسلم أصحاب هذه النظرية بأن هـذه العملية تحقق مصلحة الفرد والمجتمع .

فالانسحاب يحرر المسن من الضغوط التى يفرضها عليه المجتمع من أجل الاستمرار في الإنتاج ، كما أنه يهيئ الفرصة للأجيال الشابة ، وهى أكثر نشـاطاً وأحـدث تدريبـاً لكـى تحل محل المسنين وتقوم بالأدوار المطلوبة لاطراد الحياة في المجتمع ، حتى لا تؤدى وفاة المسنين إلى نوع من الخلل في المجتمع ، نتيجة للانقطاع المفاجئ عن مختلـف الأدوار الاجتماعيـة التـى كانوا يقومون بها[١].

أثارت هذه النظرية كثيراً من الجدل ، وكانت عرضةً لانتقادات شـديدة ، على أسـاس أن حتمية فك الاتباط أو الانسحاب أمر غير مقبول . إذ لم يقدم أصحابها دليلاً علـى رغبـة المسنين في الانسحاب أو رضائهم عنه ، وقبولهم به ، علاوة على القول بأن الانسـحاب يتـم بطريقة طبيعية وتدريجية . إضافة إلى ذلك فإن الاتجاه في المجتمعات المعاصرة قـد يكـون علـى خلاف ذلـك ، حيـث يشـجع المسـنون على الاعتمـاد علـى الـذات ، والانـدمـاج في الحيـاة وممارسة الأنشطة لأطول فترة ممكنة ، بل يرى البعض أن الانسحاب في مرحلة الشيخوخة ، إذا رغب فيه البعض ، قد يكون استمراراً لمشاركة محدودة من جانب المسـن خـلال حياتـه . الأمر الذى ينبغى ألا يعمم على كل المسنين إذ قد لا يكون من مصلحة المسنين تحقيـق هـذا الانسحاب[٢] ولا يغيب عنا موقف الإسلام في هذا الصدد ، فالباب مفتـوح أمـام المسنين ، كما هو أمام غيرهم ، للمشاركة في الحياة العامة ، ما داموا قادرين على ذلك .

**نظرية النشاط :**

في مقابل نظرية فك الارتباط ظهرت هذه النظريـة في جامعة شيكاغو الأمريكيـة في منتصف الخمسينيات ، وتقوم على التسليم بأن للمسنين نفس الحاجات الاجتماعية والنفسية

---

(1) Cummings &Henry 1961 .

(2) Youmenn , G . 1977 . "Some Perspecives on Disengagment Theory" . in Let's . Learn about Aging . J . Barry & C. Wingrove (eds.) New York : John Wiley & Sons : 161-164 .

المرتبطة بممارسة الأنشطة المختلفة ، مثلهم في ذلك مثل الفئات الأصغر سناً ، فالشيخوخة السوية إذن تتطلب المحافظة على مختلف الأنشطة والاتجاهات التى سادت في حياة المسن في أواسط العمر ، وذلك لأطول فترة ممكنة ، مما قد يتطلب منه البحث عن بدائل لبعض الأنشطة أو الأدوار التى لا بد من التوقف عنها بالتقاعد ، تؤكد هذه النظرية أن فهمنا لفك الارتباط لا ينبغى أن يقلل من أهمية فهمنا لما يعنيه الارتباط في حياة الفرد الأمريكى ، وخاصة من الطبقة المتوسطة ، إن القيم السائدة بين أفراد هذه الطبقة تؤكد على أن النشاط والإنتاج أمور ضرورية لتحقيق حياة ناجحة ، ومن هنا يأتى الموقف المناهض لهذه الطبقة بالنسبة للتقاعد ، وهكذا يظهر التعارض بين هذه النظرية وسابقتها فك الارتباط ، إذ تسلم نظرية النشاط باستمرار العلاقة بين الشخصية الفردية والنسق الاجتماعي ، مع انتقال الفرد من أوسط العمر إلى الشيخوخة الأمر الذى يؤدى إلى الاستمرار في الحكم على سلوكيات كبار السن بمعايير أواسط العمر(1) . بناء على هذه النظرية يصبح السبيل إلى شيخوخة ناجحة هو المحافظة على أعلى درجة من النشاط ، إذ كلما تدنى هذا النشاط كلما انعكس سلباً على التكيف مع الحياة ، وما يترتب على ذلك من عدم إحساسهم بالنفع ، وبالتالى عدم رضائهم عن تلك الحياة .

الواقع أن هذه النظرية تعتبر على نحو ما تعبيراً عن المعتقدات التى كانت سائدة بين الأمريكيين بخصوص التقدم في السن في الفترة التى ظهرت فيها ، ولذلك فهى لا تمثل نظرية علمية بقدر ما هى تقنين لأفكار شائعة . ومع ذلك الاتجاه نحو إنشاء مراكز أو نواد للمسنين لمساعدتهم على الاستمرار في النشاط، وعلى الرغم من انتشار هذه النظرية ، فقد فشلت فى تفسير ظواهر الانسحاب وتدنى الأحوال الشخصية عند بعض المسنين ، بل وانصراف البعض الآخر عن المشاركة في تلك النوادى أو المراكز . إضافة إلى ذلك فقد فشلت النظرية في الكشف عن أنواع الأنشطة الملائمة للمسنين ، ودرجة النشاط المناسبة لهم ، كما فشلت في تفسير إعراض البعض عن ممارسة النشاط ، مع قدرتهم على ذلك.

## نظريات النمو :

نتيجة للانتقادات التى أثارتها نظريتا فك الارتباط والنشاط ، اتجه الباحثون وجهة أخرى فى محاولة لربطها بالتجارب والخبرات التى يمر بها الشخص خلال مراحل العمر المتتالية أو خلال دورة الحياة باعتبار أن هذه الخبرات تساهم في تشكيل اتجاهات الفرد

(1) Havighurst , R . (1963) . "Successful Aging" in Process of Aging : Social and Psychological Perspecives . R . Williams et al (eds.) New York : Atherton : P299.

ومدركاته ، وأسلوبه في التكيف خلال مرحلة الشيخوخة ، ومن هنا كان الاتجاه إلى نظريات النمو (من فرويد إلى أريكسون) . يمر الفرد في نموه بمراحل متتالية ومتداخلة ، بحيث يصبح الانتقال من مرحلة إلى أخرى تدريجياً ، وبدرجة أكبر من الأحداث التى تميز كل مرحلة ، وإذا كانت كل مرحلة تشهد ظواهر جديدة ، إلا أنها ليست مستقلة عن سابقتها، لأن النمو ، حتى يصبح تنموياً ، لا بد أن يكون تراكمياً ، كما أن النمو في نفس الوقت لا رجعة فيه إلى الوراء . وتهتم الدراسات النفسية بعملية النمو من ناحيتين : إحداهما مراحل النمو ، والأخرى الأعباء المرتبطة بالنمو ومراحلة ، وقد تعددت الدراسات حول الأعباء التنموية للشيخوخة ، والتى تمثل تحديات لكبار السن ، نذكر منها ما انتهت إليه تلك الدراسات من إبراز خمسة أعباء تنموية أمام المسنين[1] :

١- الاعتراف بما يصاحب الشيخوخة من بعض القيود أو الحدود (جسمية وعقلية).

٢- التغير في الأنشطة البدنية والأدوار الاجتماعية .

٣- البحث عن أساليب جديدة لإشباع الحاجات الجسمية والانفعالية والاقتصادية .

٤- الوصول إلى معيار جديد لتقدير الذات من خلال أدوار جديدة لا تقوم أساساً على العمر.

٥- البحث عن قيم وأهداف جديدة في الحياة .

وهكذا تقوم معظم نظريات النمو على الاعتقاد بأن لكل مرحلة عمرية متطلبات تنموية معينة ، لابد من الوفاء بها ، تمهيداً للانتقال للمرحلة التالية .

والفشل في ذلك يمثل خروجاً عن المألوف في عملية النمو . وبناء عليه هناك نظرة جديدة لتكيف الفرد مع مرحلة الشيخوخة ، وذلك بالرجوع إلى تاريخ الفرد ، والتعرف على نموه خلال المراحل المتعاقبة ، وبذلك فإن هذه النظريات لا تؤكد على نمط سلوكي معين كالنظريات السابقة، وإنما تتعدد أنماط التكيف بتعدد التجارب السابقة للمسنين أملاً فى المستقبل ، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين بلغوا الشيخوخة دون الوفاء بمتطلبات المراحل السابقة ، ولذلك يرى البعض أن هذه النظريات تتسم بقدر من التشاؤم لا مبرر له ، بل يتساءل هنا البعض عن فرص المسن في تحسين أحواله في الشيخوخة ، على الرغم من أخطاء الماضى[2] .

---

(1) Clark , M . & Anderson B . B . (1967) . Culture and Aging III : Springfield : Thomas .

(2) Cox, H. 1992. Later Life: The Realities of Aging , N, J. Prentice - Hall, Cox: P 36 .

## نظرية الاستمرار :

وتقوم على الجمع بين الاستمرارية في عملية التنشئة الاجتماعية وبين مفهوم مراحل الحياة في علم نفس النمو ، ليصبح جوهر النظرية هو استمرار أنماط السلوك في مراحل العمر المتتالية . ويرى أصحاب هذه النظرية من علماء الاجتماع أن تجارب الفرد في مرحلة ما من حياته تعدد للدور أو الأدوار المطلوبة منه في المرحلة التالية ، بل إن تربية الأطفال تسهم في استمرار عملية التنشئة الاجتماعية ، من خلال إعداد الطفل للمراحل المتعاقبة من الحياة . وبناء على ذلك يفسر أصحاب النظرية ما قد يصاحب التقاعد من مشكلات ، على أساس أن التقاعد لا يحقق الاستمرار ، بل قد يعد انقطاعاً عن مراحل العمر السابقة (توقف العمل كدور هام في الحياة ، عدم الحاجة إلى مهارات العمل ، ضعف دوافع الإنجاز والنجاح) .

وهكذا يعتقد أنصار هذه النظرية أن عادات الناس واهتماماتهم ، وحالتهم الصحية ، وتجاربهم في الحياة ، تسهم في تحديد قدرتهم على المحافظة على أسلوبهم في الحياة عند التقاعد . إذ أن تجربة الفرد طوال حياته تنمي فيه استعدادات لأسلوب معين في الحياة يحاول الحفاظ عليه ، ما أمكن ذلك ، وفي مقابل نظريات فك الارتباط والنشاط التي ترى اتجاهاً واحداً للتكيف مع الشيخوخة ، فإن نظرية الاستمرار تنطلق من التسليم بأن الفرد يحاول المحافظة على أسلوبه في الحياة لأطول فترة ممكنة . أما التكيف فيمكن أن يسير في اتجاهات مختلفة ، بناءً على إدراك الفرد لمركزه ودوره المتغير ، ومحاولة التكيف معه . وبدلاً من أن ينسحب الفرد يمكن أن يكون نشطاً من أجل التكيف ، لأن تاريخ الفرد وأسلوب حياته يتدخلان فيما يقرره المسن من التخلي عن بعض الأدوار والحفاظ على البعض الآخر(1).

من استعراض هذه النظريات يتضح لنا ، لأول وهلة ، أنها لم تقدم تفسيرات مقنعة للشيخوخة وعملية التقدم في السن . وقد شهد على ذلك شاهد من أهلها ، إذ يعلق على ذلك أحد الباحثين في علم الشيخوخة الاجتماعي بقوله : "إن بعض النظريات تقدم إجابات مختلفة على نفس التساؤلات ، بل وأحياناً متعارضة مع نظريات أخرى // ومن ثم أصبحت تفتقر إلى عمومية التطبيق ، ويرجع السبب في ذلك إلى ارتباطها زمانياً وثقافياً"(2) . ويقصد بذلك ما سبق الإشارة إليه من نشأة تلك النظريات في إطار المجتمع الأمريكى متأثرة بالأحوال المتغيرة للمسنين ، والمشكلات التى أفرزتها تلك المتغيرات .

---

(1) Cox, H. (1992). Later Life : The Realities of Aging. N. J. Prentice - Hall : 36 .

(2) Brown, A. (1990). The Social Proesses of Aging and Old Age. N. J. Prentice - Hall : 71 .

والواقع أننا إذا نظرنا إلى تلك النظريات من منظور إسلامي نجد أنه ينطبق عليها ما ينطبق على النظريات الأكثر عمومية والتى انتهت إليها العلوم الاجتماعية ، سواء ما يتصل منها بالطبيعة البشرية مثل النظريات الفرويدية والسلوكية ، والتى ترى في الإنسان مجرد كائن عضوى ، مدفوع بدوافع مادية ، أو تلك التى تتصل بسلوك الإنسان في البيئة الاجتماعية ، وخاصة نظريات التنظيم الاجتماعي ، التى اقتصرت في معظمها على العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وأغفلت علاقات هؤلاء الناس ، أفراداً وجماعات ، بالملأ الأعلى . علاوة على أن كلتا الطائفتين من النظريات اقتصرت في تحليلاتها على الحياة الدنيا مع إغفال تام للحياة الآخرة . وفي ذلك يشير إبراهيم عبد الرحمن في دراسة له عن التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية إلى هذه النقطة في قوله : "إن تلك النظريات إنما تبدأ وتنتهى بالإنسان ، وكأنه جاء من فراغ ، وينتهى إلى عدم ، وأنه بين هاتين النقطتين مجرد كائن عضوى تدفعه حاجاته دفعاً إلى تنظيم علاقاته مع غيره ... أما عن حياته الروحية ومتطلباتها ، وعن صلته بخالقه وآثارها ، وعن شرائع ربه التى ارتضاها لخلقه وأما عن البعث والجزاء في يوم تشخص فيه الأبصار ، وأما عن الحياة الأخرى ، التى هى الحياة الحقيقة بكل معنى لا ينكره إلا الجاحدون ، فكل هذه الجوانب غائبة غياباً تاماً عن تلك النظريات جميعاً"[(١)] .

وإذا كانت نظريات النمو قد حظيت بقبول أكبر من الخدمة الاجتماعية الغربية في عملها مع المسنين ، فإن تلك النظريات تشترك مع غيرها في إغفال الجانب الروحى في حياة الإنسان مع أهمية هذا الجانب للإنسان عموماً . بل وقد تزداد أهميته خلال مرحلة الشيخوخة الأمر الذى يتطلب تصحيح أو استكمال تلك النظريات من خلال تفهمنا لموقف الإسلام من الشيخوخة والتقدم في السن .

## الشيخوخة من منظور إسلامي :

وردت في القرآن الكريم عدة آيات تصور ما يحدث للإنسان خلال مراحل العمر المتتالية ، بدءاً بالطفولة وانتهاءً بالشيخوخة والوفاة ، وهى تصور ما يحدث للإنسان في شيخوخته من ضعف قواه البدنية والعقلية متمثلة في ضعف القوة عموماً ، ووهن العظم ، وشيب الرأس ، وضعف القدرة على الحفظ والتذكر ، وقلة العلم . على أن هذه التغيرات تعتبر في رأى علماء المسلمين "تطورات طبيعية ينبغى أن يتلقاها المسن على أنها أمر حتمى قضاه الله على عباده ، وهذا ما يجعل المسن يتقبله بصدر رحب ، دون ضجر أو ضيق . بل

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب (١٩٩٢). "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية" . بحث قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم . رابطة الجامعات الإسلامية - القاهرة ، ص ٣٥ .

يجعله يحس بأنه في كنف الله ورعايته ، ولهذا تقل أو تندر في المجتمع الإسلامي حوادث انتحار المسنين أو إصابتهم بالإكتئاب"[1] .

ومن الآيات التي تناولت خصائص مرحلة الشيخوخة قوله تعالى : **﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يُرَدّ إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم بعد علمٍ شيئا إنه عليم قدير﴾**[2] .

الله تعالى هو الذي خلق الخلق ، وهو الذي يتوفاهم ، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم، وبعد أن كان يعلم ، أصبح ينسى كثيراً مما علمه . كما يشير القرآن في آية أخرى إلى أن طول العمر ، أو الهرم ، يعتبر تنكيساً في الخلق ، والتنكيس هو قلب الشيء على رأسه ، أو بمعنى آخر تبديل الشباب هرماً ، والقوة ضعفاً ، ويقول تعالى : **﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾**[3] .

ومن أبدع الصور التي صور بها القرآن حال الإنسان في الشيخوخة ، وما يعتري الجسم من ضعف أو وهن قوله تعالى : **﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا * إذ نادى ربّه نداءً خفيًّا * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعآئك رب شقيًّا﴾**[4] ، وهن العظم يشير إلى ضعف القوى ، كما يشير شيب الرأس إلى علامات الشيخوخة بعد الشباب .

أما عن المراحل التي يتنقل فيها الإنسان خلال رحلة العمر ، فيصورها القرآن أبلغ تصوير في قوله تعالى :

**﴿الله الذي خلقكم من ضَعْفٍ ثم جعل من بعد ضعف قوةً ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾**[5] . فالله هو الخالق ، وهو المبدع ، وهو صاحب التصرف المطلق في خلقه : **﴿ألا له الخلق والأمرُ﴾**[6] . خلق الله الإنسان في أطوار ، خلقه من بدن وروح ، وخلقه لغاية هي عبادته سبحانه وتعالى باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه . فإذا وقر ذلك في قلب المسن تقبل الشيخوخة التي هي خلق الله ، فتطمئن القلوب ، وترضى النفوس . من هذا المنظور الإسلامي للشيخوخة تبرز أهمية مراجعة

---

(١) محمد متولي( ١٩٩٢)، "الإسلام والشيخوخة" . محاضرة في أسبوع التمريض الثامن – جمعية التمريض الكويتية .

(٢) سورة النحل : الآية ٧٠ .

(٣) سورة يس : الآية ٦٨ .

(٤) سورة مريم : الآية ٢-٤ .

(٥) سورة الروم : الآية ٥٤ .

(٦) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

الأساس النظرى للخدمة الاجتماعية مع المسنين ، فالشيخوخة ليست نشاطاً دائماً ، وليست انسحاباً تاماً ، وإنما هى مراحل ذات بداية وتؤدى إلى نهاية قدّرهـا الله على عباده ، وهى حياة دنيوية زائلة تؤدى إلى حياة أخروية باقية . ومن الطبيعى أن يؤدى تعديل الأساس النظرى إلى تعديل في عمليات الخدمة الاجتماعية . إلا أن الخدمة الاجتماعية وإن تأسست ممارستها على نظريات ، فإنها في نفس الوقت تلتزم بقيم معينه ، ومن الطبيعى أن يؤثر نسق القيم على أساليب الخدمة الاجتماعية مع المسنين .

## قيم الخدمة الاجتماعية :

إن ممارسة الخدمة الاجتماعية مع المسنين إذا كانت تقوم على أساس معرفى من النظريات المتصلة بالشيخوخة ، فإنها تلتزم في نفس الوقت بنسق من القيم ، التى يلتزم بها الأخصائى الاجتماعي في اختياره لأنسب المعارف النظرية بالنسبة للمسن في الموقف ، بل إن ممارسة الخدمة الاجتماعية تقوم على مثلث ذى ركائز ثلاث : المعرفة والقيم والمهارة ، وإذا كانت المعرفة النظرية التى سبق عرضها تحتاج إلى قدر من الحذر في الانتفاع بها ، فإنها تحتاج أيضاً إلى كثير من التعديلات والإضافات على ضوء المنظور الإسلامي ، فقيم الخدمة الاجتماعية تحتاج إلى وقفة .نظراً لخطورة الدور الذى تقوم به القيم في توجيه العمل مع المسنين ، بل في صياغة أهداف المهنة ، خاصة وأن قيم الخدمة الاجتماعية بصفة عامة هى نتاج تراث ثقافى غربى ، يغلب عليه الطابع الأمريكى .

وفي نفس الوقت فإن القيم المهنية لا تنفصل عن قيم المجتمع الذى تمارس فيه ، بل إن المهن تعمل على تكريس قيم مجتمعية وفي المقابل تحصل المهنة على تصديق المجتمع ، واعترافه بها ، من خلال التشريعات والتمويل وتفويض المهنة في بعض وظائف المجتمع ، وهكذا ونتيجة الارتباط بقيم مجتمعية معينة ، فإنها تمثل في هذه الحالة ضمير المجتمع بالنسبة لتلك القيم[1] ، بناءً على ذلك عرض القيم المهنية يتطلب عرض أهم القيم المجتمعية وخاصة تلك التى تنعكس سلباً أو إيجاباً على المسنين في المجتمع . وهنا نشير في البداية إلى مصادر القيم المتصلة بالناس والمجتمع في الغرب بصفة عامة ، والتى حددتها إحدى الدراسات فيما يلى[2]:

١- الدين المسيحى : وخاصة التأكيد على قيمة الإنسان ومسئولية الفرد تجاه جاره.

---

(1) Hepworth, D. & Larsen J. (1990). Direct Social Work Practice : Theory and Skills. Belmon, Calif : Wadsworth .

(2) Brill,N.(1990).Working with people: The Helping Process. New York: Longman 25-26 .

٢- المثل الديمقراطية : وخاصة المساواة بين الناس ، وحق الإنسان في الحياة والحرية والسعى وراء السعادة .

٣- الأخلاقيات البيوريتانية : التأكيد على أن صفات الشخص وأخلاقه هى كل شىء ، والظروف لا شىء . الإنسان الأخلاقى هو الجاد في عمله المعتمد على نفسه ، أما اللعب فرذيلة .

٤- الداروينية الاجتماعية : التأكيد على أن البقاء للأصلح والأقوى خلال العملية التطورية التى تنتهى إلى بقاء الفرد وإلى مجتمع الأقوياء .

ومن الطبيعى أن تختلف هذه المصادر في أهميتها ، وبالتالى أهمية ما يصدر عنها من قيم باختلاف ظروف الزمان والمكان ، والواقع أن الخدمة الاجتماعية الغربية وإن تأثرت في مراحلها الباكرة بقيم الدين المسيحى ، فقد تأثرت في مراحل لاحقة بالبيوريتانية والداروينية . خاصة وقد مارست الفلسفة الفردية تأثيراً واضحاً على ممارسة الخدمة الاجتماعية ردحاً من الزمان ، بل مازالت رواسب هذه الفلسفة تؤثر على الخدمة الاجتماعية الأمريكية ، الأمر الذى لا بدّ وأن ينعكس على أساليب العمل مع المسنين ، وذلك في إطار النظرة المجتمعية المعاصرة للمسنين في المجتمع الغربى ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهل من سبيل لعرض أهم القيم المجتمعية حتى نتبين دورها في توجيه قيم الخدمة الاجتماعية .

يشير أحد الباحثين في دراسة له عن الشيخوخة إلى أهم الصفات والخصائص التى تحظى بقيمة كبيرة في المجتمع الأمريكى ، ونلخصها فيما يلى :

١- الإنجاز والقدرة على الإنجاز .

٢- إنتاج السلع والخدمات .

٣- النجاح في تنمية العلاقات الإنسانية والمحافظة عليها .

٤- الاستقلالية والاعتماد على الذات .

٥- القدرة على الاستمتاع بالحياة .

٦- المعرفة والوعى .

٧- تحصيل التكنولوجيا واستيعابها .

٨- الجاذبية والحسية .

٩- الحيوية البدنية .

١٠- القوة والتأثير .

١١- الثراء المادى .

علماً بأن الاستقلالية والاعتماد على الذات في المجتمع الأمريكي تعني أموراً أهمها : دخل كاف –مسكن مستقل– صحة جيدة تمكن صاحبها من الحركة والسعي في الحياة(1). يتضح من استعراض هذه الصفات التي يرقى بعضها إلى مرتبة القيم أنها تكرس خصائص الشبابية والفردية والإنتاجية ، وبالتالي لا تتيح لقطاع كبير من المسنين تحقيقها أو الوفاء بمتطلباتها ، الأمر الذي يؤدي في معظم الأحيان إلى التقييم السلبي للشيخوخة والتقدم في السن ، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وفي إطار الصفات والخصائص ذات القيمة في المجتمع الأمريكي ننتقل إلى القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الأمريكي والمؤثرة على سلوك الناس وعلاقاتهم بعضهم بالبعض . وإذا كان من الصعب حصر كل تلك القيم فإننا نكتفي بنماذج من أبرز القيم الاجتماعية والتي تعرضها إحدى الدراسات على الوجه التالي :

- الإنجاز والنجاح .
- النشاط والعمل .
- الأخلاقيات الإنسانية .
- الكفاءة والواقعية .
- التقدم .
- الرفاهية المادية .
- الحرية .
- المساواة .
- العلم والعلمانية .
- الديمقراطية .
- المسئولية الفردية .
- الوطنية .

وبدون الدخول في تحليلات مسهبة لكل تلك القيم تكفي الإشارة إلى التأكيد على الجانب المادي في حياة الإنسان لتصبح الرفاهية المادية قيمة من قيم المجتمع ، وبالتالي معياراً للحكم على الناس ، وتحديد موقعهم في شبكة العلاقات الاجتماعية ، وفي نفس الوقت فقد أغفل نسق القيم كل ما يتعلق بالجانب الروحي في حياة الإنسان ، ليصبح في ظل ذلك النسق دابة تسعى نحو الإشباع الحسي والثراء المادي ، لتتوقف عند ذلك غاية الحياة . وإذا كانت القيم تدفع الناس دفعاً للنشاط والعمل والإنجاز ، فيبدو أن كل ذلك موجه نحو غاية الغايات ، وهي الإشباع المادي ، وإن كنا لا نغفل قيم الديمقراطية والحرية والمساواة ، إلا أن نسق القيم يؤثر في بعضه البعض الأمر الذي يؤدي إلى تقارب وزن هذه القيم وأثرها في توجيه حياه الناس .

---

(1) Kalish, R, (1975). Late Adulthood : Perspectives on Human Development . Monterey . Calif : Brooks Cole : 75 .

وإذا ارتفعت العلمانية في هذا النسق إلى مصافّ القيم ، فإن معنى ذلك التأكيد على الحياة الدنيا، وهى الفانية ، مع إغفال واضح للحياة الآخرة ، وهى الباقية . فكيف يؤثر ذلك على المسنين باعتبارهم أقرب الفئات العمرية إلى لقاء الله سبحانه وتعالى .

لقد ساهم النسق القيمى ، بتفاعله مع عوامل أخرى ، في تنمية الصورة السلبية للشيخوخة ، وللمسنين في المجتمع الغربي بصفة عامة . وهى نتيجة انتهى إليها عدد من الدراسات . تشير إحدى تلك الدراسات إلى ظاهرة الحط من قيمة الشيخوخة ، وذلك في معرض التعليق على موقف المجتمع الغربى منها في القول : "يثير المسنون تأنيباً للضمير . لقد قاموا خلال حياتهم بأعمال شتّى ، وواجهوا مطالب تلك الحياة ليقعوا في النهاية فريسة للعزلة والحرمان . إنهم ينتشرون بيننا بحضورهم الهادئ ، شواهد على الخلل الذى أصاب العدالة الاجتماعية(١) .

وعلى الرغم من نمو وتقدم خدمات رعاية المسنين فى المجتمعات الغربية عامة ، ترصد الدراسات حالة التدنى المستمر لأحوال المسنين . وتصور لنا الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار حالة المسنين في المجتمع الغربى بصورة درامية بدءًا بالتساؤل : "هل مازال المسنون من البشر ؟ إن المجتمع لا يوفر لهم الحد الأدنى الضرورى . إنه يحكم عليهم بحياة الفقر ، وسكن الأحياء المتخلفة ، وتدهور الحالة الصحية ، وحياة العزلة واليأس . كما لو كان المجتمع يؤكد على أن المسنين لا يتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتع بها غيرهم من الأفراد في المجتمع" .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تفاعلت كل هذه العوامل المجتمعة لتؤدى إلى ظاهرة جديدة للتفرقة بين الناس على أساس العمر ، أطلق عليها التعصب العمرى ، والتى يعرفها روبرت بتلر بأنها "عملية منظمة لوضع الناس في قوالب ، والتفرقة ضد اللون أو ضد الجنس. وهكذا يصنف كبار السن على أنهم مخرفون ، جامدون في الفكر . إن الفرقة العمرية وجهت الأجيال الشابة إلى أن ترى في المسنين أناساً مختلفين عنهم . ومن ثم يخفقون في معاملتهم كبشر" .

---

(1) Rosow, I. (1977). Socialization to Old Age. Berkeley, Calif, : University of California Press.

-De Beauvoir, S. (1972). The Coming of Age. New York : Butman's : 160.

-Butler, R. (1975). Why Survive . New York : Harper & Row . Clark, E. 1988. "Conceptulizing Spirituality for Social work : Insights from diverse Perspectives" . Social Thought : Winter , 1988: 12 .

- Johnson 1986 : 58 - 59 .

بعد هذا العرض الموجز لتلك النماذج من قيم المجتمع الغربى ، والأمريكى بصفة خاصة وما تركته من آثار على حياة الناس وعلاقاتهم ، ننتقل إلى القيم المهنية ، قيم الخدمة الاجتماعية ، باعتبارها موجهات للأخصائيين الاجتماعيين ، في عملهم مع المسنين ، أفراداً أو جماعات . ومعروف أن قيم الخدمة الاجتماعية ، والتى ترجع بجذورها إلى التجربة الغربية، قد تشكلت في إطار قيم المجتمع الغربى عامة ، والأمريكى خاصة . ودون الدخول في دراسة تفصيلية للقيم وتصنيفاتها وعلاقتها بالمكونات الأساسية للممارسة ، نكتفى بإحدى الصور التى قدمتها إحدى الدراسات الحديثة عن قيم الخدمة الاجتماعية ، في التجربة الأمريكية ، والتى تقسمها إلى ثلاث فئات على ثلاثة مستويات.

**١- صور علية مفضلة لدى الناس :**

- قيمة الإنسان وكرامته .
- القدرة الفطرية للإنسان على التغير في سبيل حياة أفضل .
- مسئولية الفرد عن نفسه وعن غيره في المجتمع .
- الانتماء كحاجة للإنسان .
- تفرد الإنسان على الرغم من عمومية الحاجات .

**٢- غايات مفضلة للناس :**

- مسئولية المجتمع عن توفير الفرص لنمو الفرد بالشكل الذى يساعد الناس على استثمار طاقاتهم .
- توفير الموارد والخدمات اللازمة لإشباع حاجات الناس .
- تكافؤ الفرص لكل الناس في توجيه شئون مجتمعهم (المسئولية الاجتماعية) .

**٣- أساليب مفضلة للتعامل مع الناس :**

- معاملة الناس بالاحترام والكرامة .
- مساعدة الناس على التفاعل مع الآخرين حتى يستجيب المجتمع لاحتياجات كل الناس فيه .
- التعامل مع الفرد كإنسان له كيانه الذاتى المستقل(مع تشابهه مع الآخرين) .

من استعراض هذه السلسلة من القيم نلاحظ أن القيمة الإنسانية تمثل المحور الذى تدور حوله قيم الخدمة الاجتماعية . إذ تؤمن الخدمة الاجتماعية بالإنسان ، وتؤكد على حقه في احترام كرامته بغض النظر عن الأعتبارات التى تفرق بين إنسان وآخر ، كاعتبار الجنس أو اللون أو العقيدة أو المذهب السياسى ، لأنها اعتبارات لا تمس جوهر الإنسان ، وبالتالى ينبغى ألا تؤثر على حقوق الإنسان وفي مقدمتها الحرية والمسئولية ، والمساواة والعدالة وتكافؤ الفرص . والواقع أن الخدمة الاجتماعية تستجيب بذلك إلى موقف الإسلام

من تكريم الإنسان ورفع شأنه . ومن ثم تصبح الكرامة الإنسانية حقاً للناس جميعاً ، لأنها تتعلق بالإنسان ، وبنوعه لا بشخصه . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ولقد كرّمنا بنى آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيّبات ، وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾(١) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكرامة الإنسانية ، حين تتعلق بنوع الإنسان لا بشخصه ، ينبغي ألا ترتبط بأى مرحلة من مراحل العمر ، بحيث يصبح حق الإنسان في احترام كرامته حقاً مقرراً في كل مراحل العمر ، في الصِغَر والكِبَر ، في الشباب والشيخوخة . وهنا قد تتعارض القيم المهنية للخدمة الاجتماعية مع القيم الاجتماعية للمجتمع ، وخاصة تلك التى تؤكد على الشبابية والإنتاجية والاعتماد على الذات ، والتى سبق الإشارة إليها ، خاصة وأن الكرامة الإنسانية وما تفرزه من حقوق لا تتم في فراغ ، وإنما تتم في إطار اجتماعى . وهكذا تتفاعل مع شبكة القيم السائدة في المجتمع . ومن ثم تتأكد الحقوق من خلال العلاقات الاجتماعية بين الناس .

وهكذا ترتبط القيمة الإنسانية بعدد من القيم الأخرى في المجتمع الإسلامى . نذكر منها وفي مقدمتها القيم المتصلة بالعمل مع المسنين مثل صلة الرحم والأخوة ، والتكافل الاجتماعى .

إن القيم المهنية للخدمة الاجتماعية ، وإن أكدت على مسئولية الفرد ومسئولية المجتمع ، إلا أنها أغفلت التزامات القرابة ، التى ينبغى أن تحظى بالأولوية في الرعاية الاجتماعية عامة ، ورعاية المسنين خاصة . ودعوة الإسلام إلى التعاطف والتقارب بين أولى الأرحام دعوة معروفة ، دعوة تستجيب للفطرة الإنسانية ، التى تتوقع وتتقبل الرعاية من أولى الأرحام وذوى القربى مصداقاً لقوله تعالى :

﴿وأولو الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله﴾(٢) .

وإذا كانت القيمة الإنسانية تقرر حقوقاً للإنسان باعتبار وحدة الأصل التى صدر عنها الناس جميعاً ، فإن الأخوة في الإسلام تقرر حقوقاً والتزامات متبادلة بين المسلمين . ومن هنا ترتفع الأخوة إلى مرتبة القيم ، تأكيداً لارتباط المؤمنين برباط روحى واحد ، وغاية في الحياة واحدة . وهكذا تخاطب شريعة الإسلام المسلمين جميعاً ، أينما وجدوا ، باعتبارهم أمة واحدة ، وإن تعددت أوطانهم تربطهم أخوة الدين ، التى هى أقوى من أى رباط . يقول الله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾(٣) .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٧٥ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

﴿إنما هذه أمّتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾(١) .

والأخوة كقيمة في المجتمع الإسلامى ترتبط بالتكافل الاجتماعي كقيمة تفـرض على المسلم أن يتعاون مع أخيه المسلم في مواجهة أعباء الحياة ، ماديا ومعنويا . فالتكافل الاجتماعى في رأى أحد علماء المسلمين : "لازم من لوازم الأخوة ، بل هـو أبرز لوازمها ، وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول على أخيه ، يسأل عن نفسه ، ويسأل عن غيره"(٢) .

بقيت الإشارة إلى حقيقة أن قيم الخدمة الاجتماعية تتفـق مع قيـم المجتمع الغربى في إغفالها الواضح للقيم الروحية . ويظهر ذلك بصفة خاصة في تلك القيم المتصلة بغايات الناس في الحياة ، والتى تدور جميعاً حول الحاجات الدنيوية ، وتوفير الموارد لإشباع تلك الحاجات. وهنا يقف دور الخدمة الاجتماعية عند مساعدة الناس على استثمار مواردهم في تذليل الصعوبات التى تعترض ذلك الإشباع . ويعكس ذلك ما شهدته الخدمة الغربية في تاريخها الحديث من تجاهل واضح للبعد الدينى في حياة النـاس ، الأمر الذى انعكس على ممارسة المهنة. إذ على الرغم من ان الخدمة الاجتماعية قد نشأت متأثرة بتعاليم الدين المسيحى ، إلا أنه ، ومع حركة العلمانية التى سيطرت على الخدمة الاجتماعية منذ مطلع القرن العشرين ، قد استبدلت الدوافع الدينية للمهنة بالفكر العلمانى مثل نظريات الحقوق الطبيعية ، ومصالح المجتمع ومسئولية الدولة مع إهمال واضح للجانب الروحى في حاجات الناس وتجارب الإنسان(٣) .

وعليه فإن الخدمة الاجتماعية في المنظور الإسلامي ، وإن اتفقت معها التجربة الغربية في التأكيد على القيمة الإنسانية وما يرتبط بها من حقوق ، إلا أنها ترفض حصر غايات الإنسان في أمور الدنيا ، وفي الحاجات المادية والاجتماعية . وإنما ينبغى أن تأخذ الغايات الروحية ، في المنظور الإسلامى ، مكان الصدارة ، وخاصة صلة الإنسان با لله ، وطاعته له ، وافتقاره إليه . إن ضعف الصلة با لله ، والضلال عن طريق ا لله ، يؤدى إلى التخبط في إشباع الحاجات الدنيوية(٤) . وكيف لا تكون تقوى ا لله وطاعته غاية العباد ، وقد خلق ا لله الإنسان ، وفضله على كثير من خلقه ، وجعل غايته هى عبادة ا لله . قال تعالى : ﴿وما

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

(٢)محمود شلتوت (١٩٦٦) . "الإسلام عقيدة وشريعة" . دار القلم – القاهرة : ٤٤٣ .

(3) Canda (1988) : 30 .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب (١٩٩٢) . "التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية" . بحث قدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم . رابطة الجامعات الإسلامية – القاهرة : ٤٦ – ٤٧ .

خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعِمون . إن الله هو الرّزاق ذو القوة المتين﴾[1] . في هذا الإطار ننتقل إلى مناقشة الاحتياجات المتغيرة للمسنين، وأساليب مقابلة هذه الاحتياجات في مجتمعات العصر ، وموقف الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد .

## الاحتياجات المتغيرة للمسنين :

إن للمسنين كفئة عمرية حاجات ترتبط بحالتهم البدنية والنفسية والاجتماعية ، وذلك في إطار من النمط الثقافي السائد . وقد يكون من الصعب الوصول إلى تحديد دقيق لكل حاجات المسنين ، على أساس أنها تختلف باختلاف المجتمعات والعصور . علاوة على أن المسنين ليسوا بجماعة متجانسة ، ومن ثم يتفقون في كل حاجاتهم . ولكن لا يمنع الأمر من أن هناك حاجات أساسية ترتبط بمرحلة الشيخوخة ، أو تتخذ أهمية خاصة في هذه المرحلة ، أو يواجه المسنون بعض المشكلات في إشباعها . على أن ذلك لا يعني أن للمسنين حاجات خاصة ينفردون بها عن بقية الفئات العمرية . وقد تعددت تصنيفات الحاجات عند المسنين ، نذكر منها تصنيفاً ورد في إطار دراسة عن الخدمة الاجتماعية مع المسنين على النحو التالي[2] :

### أ- الحاجات الأولية :

وتشمل الحاجات المادية (الغذاء ، الملبس ، السكن ، الجنس) ، والحاجات الاقتصادية (الدخل) والحاجات الصحية (البدنية والنفسية والحاجة للأمن والحماية) ، والحاجات الاجتماعية (الأدوار والعلاقات الاجتماعية في الأسرة والمجتمع) .

### ب- الحاجات الثانوية :

وتشمل الحاجة للنشاط والحركة ، الحاجة لشغل وقت الفراغ ، الحاجات الثقافية (الإعلام والمعرفة والفن) ، الحاجات السياسية (ممارسة حقوق المواطنة والمشاركة في شئون المجتمع) وأخيراً الحاجات الروحية .

حقيقة إن النظرة السريعة لهذا التصنيف تكشف عن أنها حاجات عامة تنطبق على كل الفئات العمرية ، إلا أنه من المعروف أن أولويات تلك الحاجات تختلف من فئة إلى أخرى . إلى جانب أن الناس قد يشتركون في حاجة واحدة ، ولكن أسلوب إشباع تلك

---

(١) الذاريات : ص ٥٦ - ٥٨ .

(2) Lowy , L . (1979) . Social Work with the Aging : The Challenge and Promise of Later years . New York : Harper & Row : 112 .

الحاجة يختلف من فئة إلى أخرى . ولكن الذى يلفت النظر حقيقة في هذا التصنيف موقفه من الحاجات الروحية ، والتى يضعها ضمن الحاجات الثانوية ، بل في أدنى مرتبة من تلك الحاجات ، مع أنه يتعامل مع حاجات المسنين . ويعكس ذلك ، كما سبق أن أشرنا ، موقف الخدمة الاجتماعية الغربية من البعد الدينى في الممارسة المهنية . ويكفى أن نشير في هذا الصدد إلى الكتاب الشهير في أوساط الخدمة الاجتماعية الغربية للسيدة شارلوت تول بعنوان (الحاجة الإنسانية العامة) والذى ناقش الحاجات الإنسانية في ١٧٤ صفحة خصص منها لما أسماه الحاجات الروحية للفرد سطراً فقط (١).

ولعله من الملاحظ أنه كلما تقدم العمر بالفرد نحو الشيخوخة كلما تقلصت تدريجياً الحاجات المادية متزامنة مع انخفاض مطرد في الأدوار والعلاقات والالتزامات الاجتماعية ، مع انخفاض نسبى في الحركة والنشاط . ومن الطبيعى في مقابل ذلك أن يزداد الإقبال على الجوانب الروحية في الحياة ، تعويضاً للفرد عما قد يكون قد فاته في غابر أيامه ، وتكفيراً عما يكون قد أسرف فيه على نفسه ، واستعداداً للحياة الآخرة والتى هى في المنظور الإسلامى الحياة الحقيقية أو دار البقاء . بقيت الإشارة إلى خدمات رعاية المسنين استكمالاً للصورة التى ينبغى أن تربط بين الاحتياجات والموارد .

## خدمات رعاية المسنين :

من الطبيعى أن تختلف خدمات رعاية المسنين باختلاف المجتمعات ، وباختلاف نظرتها للشيخوخة ، والإطار الاجتماعى والثقافى السائد ، والدور المتغير للأسرة والدولة في توفير الرعاية المطلوبة ، والعلاقة بين دور الدولة ودور القطاع الأهلى في هذا الصدد . وبناءً على ما سبق ذكره بالنسبة لحاجات المسنين ، يتوقع أن تتجه السياسة الاجتماعية للدولة في المجتمع الغربى إلى توجيه الاهتمام الأكبر للحاجات الدنيوية للمسنين . حقيقة تختلف سياسات رعاية المسنين بين الدول الغربية ، إلا أنه ونسبة للزيادة المطردة في أعداد المسنين في تلك الدول ، وتقلص دور الأسرة والجماعات القرابية في رعاية المسنين من أفرادها فقد أدى ذلك إلى تضخم في حجم التشريعات والبرامج والخدمات في مجال رعاية المسنين ، تقدمها المؤسسات الحكومية والأهلية ، ولعل من أهم الخدمات التى انتشرت في عديد من الدول العربية النماذج التالية :

### ١ - خدمات الأمن الاقتصادية :

وتشمل التأمينات الاجتماعية التى تؤمن دخلاً مناسباً للفرد العامل عند بلوغه سن الشيخوخة ، إلى جانب المساعدات العامة والتى تغطى المسنين ممن لا تغطيهم التأمينات الاجتماعية وذلك بشروط معينة .

---

(1) Towle , C . (1965 ). Common Human Needs . New York : NASW : 11 .

### ٢- الخدمات الصحية :

وتعتبر من أهم الخدمات المطلوبة للمسنين خاصة وأن مشكلات المرض ، وتكلفة العلاج الطبى، تعتبر من أهم مصادر القلق لدى المسنين ، لزيادة نسبة الإصابة بالأمراض ، وزيادة نسبة الأمراض المزمنة بين المسنين ولأن بعض تلك الأمراض قد يمكن علاجه ولكن لا شفاء منه ، فإن كثيراً من المسنين يعيشون حياتهم العادية بهذه الأمراض ، مع حاجتهم في سبيل ذلك إلى خدمات طبية مستمرة .

### ٣- خدمات تيسير الحياة اليومية :

تؤمن الخدمة الاجتماعية أن من أهم خدمات رعاية المسنين هي تلك التي تقدم لهم مع أسرهم أو في منازلهم لأنها تمكنهم من الاستمرار في حياتهم العادية عوضاً عن نقلهم إلى مؤسسات . وتشمل صوراً مختلفة مثل : خدمات التدبير المنزلى ، وخدمات الزيارات المنزلية ومجالسة المسنين وتقوم بها جماعات تطوعية .

والجدير بالذكر هنا أن من أحدث البرامج التى اتجهت إليها بعض الدول الغربية حديثاً خدمات الجار الطيب ، وفيها يتعهد أحد الجيران بمتابعة شئون جاره من المسنين وخاصة قعيد البيت ، وتوفير ما يلزمه من خدمات ومتابعة حالته وتقترب هذه الخدمات من موقف الإسلام من العلاقة بين الجيران والتزامات هذه العلاقة والتى تقررت منذ أربعة عشر قرناً(١) .

### ٤- خدمات تنمية المشاركة والعلاقات الاجتماعية :

وهى خدمات تساعد المسنين على تنمية علاقاتهم بالآخرين ، واستمرار اتصالهم بالعالم الخارجى من خلال أندية المسنين وغيرها من المؤسسات ، والتى تسهم بخدماتها في الحد من الشعور بالوحدة والعزلة الاجتماعية التى يعانى منها أعداد متزايدة من المسنين في المجتمعات الغربية .

### ٥- الخدمات المهنية المتخصصة :

مثل خدمات الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والتى تساهم في مواجهة مشكلات التكيف الفردى والأسرى .

بالنظر إلى هذه الشبكة من خدمات وبرامج رعاية المسنين في إطار السياسة الاجتماعية في المجتمعات الغربية والتى أخذت في معظمها بنموذج دولة الرعاية ، نجد أنها ولاشك قد ساهمت بدور كبير ، لا مجال لتقييمه الآن ، في مواجهة ضغط الحاجات المتغيرة

---

(1) Mckoewn,T.&Lowe,C.1977.An Introduction to Social Medicine. London: Blackwell Scientific : 338 .

للأعداد المتزايدة من المسنين ، في زمن تقاعست فيه الجماعات الأولية عن أداء دورها تجاه المسنين من أعضائها ، وفي مقدمتها الأسرة والجيرة والمجتمعات المحلية . ولكن إلى أى حد نجحت تلك السياسة في تقديم الرعاية الحقيقية المناسبة للمسنين ، وإلى أى حد يمكن الأخذ بهذه السياسة في رعاية المسنين في مجتمعاتنا الإسلامية ؟

وهنا لا يمكن أن ننكر ما قامت به تلك السياسة من دور ضرورى ومطلوب في الاستجابة للاحتياجات المتغيرة للمسنين ، ولكنا نشك في نجاح تلك السياسة في وضع المسنين في المركز الاجتماعي المناسب ، وتقديم الرعاية المناسبة لهم. ودليل ذلك ما ذكرناه سابقاً من الأوضاع المتردية للأعداد الفقيرة من المسنين ، والتى كشفت عنها العديد من الدراسات والبحوث الغربية في علم الشيخوخة ، وما يمكن أن نضيفه لاحقاً : تلك الظاهرة السلبية التى كشفت عنها إحدى الدراسات وأطلقت عليها وصمة الشيخوخة والتى تلحق بالمسنين في تلك المجتمعات . وأبرز سمات تلك الوصمة النظرة السلبية تجاه المسنين ، حيث ينظر إليهم على أنهم لا أهمية لهم ولا فائدة منهم . وما لم يكن لديهم مهارات متميزة أو دخل كافٍ يوفر لهم حياة كريمة ، فإن الوصمة تؤثر على فرصهم في الحياة ، الأمر الذى يؤدى بالكثير منهم إلى حياة الفقر والمرض والعزلة الاجتماعية. ولا يقتصر ذلك على نظرة الناس إلى المسنين بل إن ذلك يؤثر على نظرة المسنين إلى أنفسهم ، ويعزز إحساسهم بالدونية(١) .

والواقع أن هذه السياسة الاجتماعية كانت عرضة لهجوم شديد خلال الثمانينات في عديد من الدول الأوروبية التى أخذت بنموذج دولة الرعاية . فقد وصفها البعض في بريطانيا (مع تجربتها الطويلة في هذا الصدد) بأنها "الطريق إلى العبودية والخراب الاقتصادى"(٢) وفي الولايات المتحدة تمحور الهجوم على تلك السياسة الاجتماعية حول فشلها في المحافظة على تنمية الأساليب التقليدية القديمة في مواجهة المشكلات وتنميتها ، وانحسار دور الأسرة ، والجماعات العرقية ، والمجتمعات المحلية ، والهيئات الدينية في هذا الصدد ، الأمر الذى يتطلب الاقتداء بتقاليد الماضى في وضع السياسات الاجتماعية ، ومنها بالطبع سياسة رعاية المسنين(٣) .

---

(1) Athchley, R.(1980) .Social Forces in Later Life . Belmont ,Calif . : Wadsworth: 15 - 16 .

(2) Mishra, R. (1984). The Welfare State in Crisis: Social Thought and Social Change . Sussex : Wheatsheaf : 1 .

(3) Glazer (1988) : 3 .

وعلى الرغم مما تقدم فقد اتجهت كثير من دول العالم الثالث ، ومنها دول عربية وإسلامية إلى الأخذ بتلك السياسات الاجتماعية . وكان آخرها الدول العربية النفطية في المجتمع العربى ، حيث ساعدت الثروة التى حققها النفط ، على أن تتحمل الدولة النفقات المتزايدة لخدمات الرعاية الاجتماعية التى تقدم للمواطنين بالمجان . وهكذا حلت الدولة في فترة وجيزة محل الأسرة والجماعات القرابية والمجتمعات المحلية في إشباع الحاجات المتغيرة للناس ، وفي تغذية النزعات الاستهلاكية ، الأمر الذى أدى إلى عديد من الظواهر السلبية التى ظهرت على مسرح الحياة في المجتمعات الخليجية(١) .

وبدلاً من إحياء القيم الإسلامية كركائز لسياسة اجتماعية تحقق التكامل والتكافل الاجتماعى ، تبنت كثير من الدول الإسلامية النموذج الغربى ، الذى نشأ في بيئة ثقافية واجتماعية ودينية مغايرة ، الأمر الذى أدى إلى ما تعانيه تلك الدول من آثار سلبية تتمثل في عجز ذلك النموذج المستورد عن الاستجابة للحاجات المتغيرة للناس ، حتى وإن حقق قدراً من الرفاهية المادية للبعض . فقد عجز عن تقديم الرعاية المناسبة لقطاعات كبيرة من المواطنين ومنهم المسنون(٢) ، الأمر الذى يتطلب عرضاً موجزاً لأهم الأسس التى تقوم عليها الرعاية الاجتماعية للمسنين من المنظور الإسلامى ، والتى تمثل الإطار الذى ينبغى أن تمارس فيه الخدمة الاجتماعية .

## رعاية المسنين من منظور إسلامى :

إن التنظيم الإسلامى للرعاية الاجتماعية جاء بصيغة فريدة ومتكاملة ، تتفق مع الطبيعة الاجتماعية للإنسان ، وتستجيب لفطرة الإنسان التى فطره الله عليها . فإذا كانت العلاقات الاجتماعية تبدأ بالأسرة وتنتهى إلى المجتمع الإنسانى ، فإن التزامات الرعاية الاجتماعية تتجاوب مع التزامات العلاقات الاجتماعية المتدرجة بين الناس ، بدءاً بالعلاقة الزوجية ، وعلاقة الأبوة والبنوة ، علاقة القرابة أو صلة الرحم ، علاقة الجيرة ثم علاقة الأخوة في الإسلام وإنتهاء بالمجتمع الإنسانى(٣) .

---

(١) الفاروق زكى يونس (١٩٨٩) . "الرفاهية وبناء الإنسان : حول اتجاهات السياسة الاجتماعية في دول الخليج العربى" . بحث قدم إلى الملتقى الثقافى الثانى لجمعيات وروابط الاجتماعيين في الدول العربية الخليجية ، الكويت .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب (١٩٩٢) . "التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية" . بحث قُدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم . رابطة الجامعات الإسلامية – القاهرة : ٧ – ٩ .

(٣) الفاروق يونس ١٩٨١ "الرعاية الاجتماعية في الإسلام" . بحث مقدم للمؤتمر الدولى لعلماء المسلمين . إسلام آباد (باكستان) .

في هذا الإطار من التنظيم الإسلامي للرعاية الاجتماعية ينبغي النظر في رعاية المسنين حقيقة إننا لا ننكر دور الدولة ممثلة للمجتمع في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية اللازمة للمسنين ، فتلك وظيفتها ومسئوليتها ، وإنما ينبغي أن توضع مسئولية الدولة في موضعها الصحيح من النظام الإسلامي الذي يجعل رعاية المسنين أولاً حقاً للآباء على الأبناء (بشرط القدرة) الأمر الذي ينسجم مع الفطرة الإنسانية وقد تعددت آيات القرآن الكريم التي تحدد حقوق الآباء على الأبناء ، وخاصة حين يتقدم بهم السن ، بقوله تعالى :

**﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً * إمّا يَبلغن عِندك الكِبر أحدُهما أو كلاهما * فلا تقُلْ لهمُا أفٍ ولا تنهرهُما وقُلْ لهما قولا كريما * واخفِض لهما جناح الذّل من الرحمة* وقُلْ ربِ ارحمهما كما ربياني صَغيرا﴾**[1] تبدأ الآية الكريمة بلفظ "وقضى" والذي يفيد الأمر والوصية . وفيها يُقرن الله تعالى عبادته ببر الوالدين ، وتمضى الآية في تفاصيل أساليب معاملة الأبناء للآباء مع تقدم السن بهم ، خاصة وأنهم الآن عند الابن بعد أن كان الابن عندهما ، منها التأدب فيما يوجهه إليهما من قول أو عمل ، حتى كلمة أفٍ ، التي هي أقل القول ، فقد نهت عنها الآية ، نهت عن القول السئ والفعل السئ (لا تنهرهما) أي الابتعاد عن كل ما يراه الأب أو الأم نهراً ولو كان بالصمت . بعدها جاء الأمر بالقول الكريم الذي فيه التأدب والتوقير و المودة ، وجاء الأمر بالرحمة .

ويعرض القرآن رعاية الأبوين ، وهي أكرم صور رعاية المسنين ، من زاوية أخرى في سورة الأحقاف . بقوله الله تعالى :

**﴿ووَصّينا الإنسانَ بوالديهِ إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحملهُ وفِصالهُ ثلاثون شهراً حَتى إذا بَلَغَ أشدّه وبلغ أربعينَ سنةً قالَ ربِ أوزعني أن أشكرَ نعمتَكَ التي أنعمتَ عليّ وعلى والديّ وأن أعملَ صالحاً ترضاهُ وأصلحْ لي في ذريّتي إني تُبتُ إليكَ وإني من المسْلمين * أولئك الذين نَتَقَبل عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوزُ عن سيئاتِهم في أصحاب الجنة وعدَ الصِدق الذي كانوا يوعدون﴾**[2] .

في الآية تذكير للإنسان بما تحملته أمه من ألم الحمل والوضع ، ورعايته في الرضاع والطفولة والشباب ، حتى إذا بلغ أشده وأصبح ربّ أسرة ، وسطاً بين آبائه وأبنائه يذكر رحمة الأبوين وبّرهما ، ومسئوليته عن أبنائه ورعايته لهم . يستغفر الله من خطأ ارتكبه ، ويسمع وعد الله بتقبل صالح عمله والتجاوز عن سيئاته وحشره مع أهل الجنة .

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتؤكد على حق الوالدين على الأبناء ، برهم ورعايتهم . عن أبي هريرة قال : "قال رجل : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال- ﷺ - ((أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك)) .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٣ – ٢٤ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ١٥ – ١٦ .

بل يحض الإسلام على رعاية الوالدين المسنين حتى لو كانا مشركين . عن أسماء بنت أبى بكر قالت : "قدمت على أمى وهى مشركة في عهد قريش فقلت يا رسول الله : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصلها ، قال : نعم صلى أمك .

ومن الأحاديث ما جاء ترغيباً في رعاية الوالدين ، وبعضهما يقدم بر الوالدين على الجهاد . عن معاوية بن جاهمة السلمى أن جاهمة جاء إلى النبى - ﷺ - فقال : يا رسول الله أردت الغزو وجئتك استشيرك، فقال: فهل لك أم قال : نعم ، قال: فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها[1]. بل إن رعاية الوالدين تعود على الأبناء بنعم من الله. عن ابن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يُمد له في عمره ويُزاد له في رزقه فليبرّ والديه ، وليصل رحمه.

وفي نفس الوقت فمن الأحاديث النبوية ما يحمل ترهيباً من عقوق الوالدين ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس"[2] .

ورعاية المسنين في الإسلام لا تقتصر على الأبوة والبنوة وصلة الرحم ، وإنما جاءت الأحاديث لتحضّ على رعاية المسنين عموماً . عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ- "ليس منّا من لم يرحم صغيرنا و لم يوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر"[3].

بقيت الإشارة إلى أن الرعاية الاجتماعية للمسنين في الإسلام تفتح لهم أولاً باب المشاركة الإيجابية في الحياة العامة ، ما داموا قادرين على ذلك ، أما إذا أقعدتهم الشيخوخة فمن الطبيعى أن تتولى الأسرة رعايتهم ، فهذا حق لهم ، وهو في نفس الوقت قربة إلى الله وطاعة ، وبدءاً ببر الوالدين ، وصلة الرحم ، وحقوق الجوار ، وحقوق الأخوة في المجتمع الإسلامى . فإن تعذر ذلك تكون مسئولية الدولة ممثلة للمجتمع في ضمان حق الرعاية . في هذا الإطار من الرعاية التى تقوم على هدى من الله ، ينبغى أن تكون ممارسة الخدمة الاجتماعية . وفي هذا الإطار كذلك توجه التدخلات المهنية للأخصائيين الاجتماعيين إلى الأطراف المتداخلة في الموقف أو في عملية المساعدة نحو الأخذ بما شرع الله ، ففيه هدى الله البصير بفطرة الإنسان الذى استخلفه في الأرض لعمارتها. ومن الطبيعى في ظل هذا التوجه ألاّ تقتصر عملية المساعدة على إشباع الحاجات الدنيوية، أو إصلاح الخلل في العلاقات الاجتماعية، أو القصور في أداء الأدوار ، وإنما ينبغى أن تتجه إلى صلة نسق العميل مع الله

---

(١) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الترمذى .

سبحانه وتعالى ، سواء من جانب المسن أو أبنائه أو الوسط الأسرى ، وذلك هو البداية على الطريق الصحيح لعملية المساعدة ، التى تناقشها بإيجاز .

## الخدمة الاجتماعية وعملية المساعدة :

إن العمل مع الأفراد والأسر والجماعات وغيرها من الأنساق ينبى على نظريات السلوك الإنسانى ، وينطلق من نماذج مختلفة للممارسة ويطبق تدخلات مهنية متنوعة ، ويتعامل مع عملاء ومشكلات مختلفة . وعلى الرغم من هذا التنوع ، فإن عملية المساعدة تستهدف الأهداف المهنية العامة للخدمة الاجتماعية . وقد تنوعت النماذج المتصلة بتحديد المراحل التى تمر بها عملية المساعدة ، ومع ذلك يكاد يتفق المنظرون في الخدمة الاجتماعية على أن تلك العملية تمر بمراحل ثلاث ، لكل مرحلة أهدافاً خاصة بها ، وأنشطة ومهارات معينة، وإن كان ذلك لا يعنى استقلال هذه المراحل عن بعضها البعض ، وإنما هناك التواصل والتداخل . تلخص إحدى الدراسات الحديثة المراحل على النحو التالى[1] :

١ - الاستكشاف ، تقدير الموقف ، التخطيط .

٢ - التنفيذ وتحقيق الهدف .

٣ - إنهاء العملية والتقييم .

إن الأخذ بهذا النموذج أوغيره في العمل مع المسنين أمر لاغبار عليه ، ولكن الخطورة تكمن في مضمون تلك المراحل ، وألوان المعرفة والقيم والمهارات التى يستعين بها الأخصائى الاجتماعى في كل مرحلة ، خاصة مع موقف الخدمة الاجتماعية الغربية ، والامريكية خاصة، تجاه الدين - والذى سبق الإشارة إليه ، وعلى الرغم من الاعتراف بأن حياة الإنسان موزعة على ثلاث أبعاد : الجسمى والعقلى والروحى ، وأن البعد الروحى هو الذى يؤكد إنسانية الإنسان ، إلا أن الخدمة الاجتماعية وأدبياتها قد تجاهلت أو استبعدت أثر الدين على الممارسة لفترة طويلة . وحتى بعض المؤلفات التى ذكرت الدين فقد تعرضت له كموضوع جانبى ، أو فكرة هامشية[2] ، حقيقة أن المناخ الفكرى للمهنة قد تغير بعض الشئ في السنوات الأخيرة ، فقد ظهر عدد من البحوث والمؤلفات والمقالات حول البعد الدينى في الخدمة الاجتماعية ، كما تناولته بعض المؤتمرات بالمناقشة دليلاً على تزايد الاهتمام بالموضوع، إلى جانب صدور مجلة متخصصة في هذا الموضوع عام ١٩٩١ ، تحت عنوان : الروحانية والخدمة الاجتماعية . إلا أن الأمر مازال في بداياته الأولى ، ومازال يلقى مقاومة

---

(1) Hepworth , D. & Larsen J . (1990) . Direct Social Work Practice : Theory and Skills, Belmont , Calif : Wadsworth : 29 .

(2) Leowenberg (1988) : 2 - 5 .

من كثير من دوائر الخدمة الاجتماعية . وتشير إحدى الدراسات إلى ما انتهت إليه الخدمة الاجتماعية الأمريكية من تناقض في القول :

"من المثير للعجب أن الخدمة الاجتماعية التى تزعم أن اهتمامها الأول أو الأوحد هو الإنسان في كليته أو في بيئته الكلية ، قد تجاهلت البعد الدينى لفترة طويلة . فإذا استمرت الخدمة الاجتماعية في إهمالها للدين ، مع العناية بتنمية التكنولوجيا ، سوف ينتهى بها الأمر إلى نتيجة مأساوية ، خاصة ، تنامى الاتجاه نحو التشكيك في كفاءة العلم والاعتراف بأهمية الدين"(١) .

إذا كان ذلك هو المناخ الفكرى الذى تتم فيه عملية المساعدة ، وإذا أصبحت تلك هى نقطة الانطلاق في الخدمة الاجتماعية مع المسنين ، فأى مردود يمكن أن نتوقعه من عملية المساعدة؟ وأى إنجاز يمكن أن تحققه الخدمة الاجتماعية للمسنين ؟ يكفى للرد على ذلك استحضار الصورة المتدنية التى انتهى إليها وضع المسنين في المجتمع الغربى ، حتى لو طال البعض منهم جانب من الرفاهية المادية . وعلى أية حال فإن هذه النقطة من الدراسة : عملية المساعدة وأساليب التدخل المهنى مع المسنين ، من منظور إسلامى ، تتطلب مزيداً من البحث والاستقصاء . ونسبة لأنه لا يمكن الفصل بين التوجه الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، وبين من يحمل الأمانة من الممارسين لهذه المهنة ، فإن الخدمة الاجتماعية مهما حققت من نمو على طريق التأصيل الإسلامى ، ستظل بعيدة عن الهدف المنشود ما لم تضع في الاعتبار أساليب التنشئة والإعداد والتنمية الروحية للأخصائيين الاجتماعيين ، والمواصفات اللازمة للعمل مع المسنين ، لأن "فاقد الشئ لا يعطيه" كما يُقال . وكلها قضايا جوهرية نسأل الله التوفيق في استكمال دراستها في بحوث لاحقة إن شاء الله .

وفي الختام ننوه بالصيغة الإسلامية لرعاية المسنين ، ونوجه للنبع الفياض من التراث الإسلامى حول المسنين الذى لم يقتصر على تكريم المسنين في حياتهم ، وإنما يستمر التكريم بعد وفاتهم ، وذلك في أروع صورة لبر الوالدين في الحياة وبعد الممات .

عن مالك بن ربيعة الساعدى قال : "بينما أنا جالس عند رسول الله - ﷺ - إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : هل بقى على من بر أبوي شئ بعد موتهما أبرهما به ؟ فقال: خصال أربع : الصلاة عليهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا رحم لك من قبلهما . فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما"(٢) .

---

(1) Faver , c .(1987) . " Religious Beliefs , Professional Values and Social : 210.

(٢) رواه أبو داود والبيهقى .

# سياسات الرعاية الاجتماعية للمسنين بين الفكر الوضعي والتصور الإسلامي

د . أحمد يوسف محمد بشير

## بين يدى هذا البحث :

هذا البحث يمثل مساهمة متواضعة على صعيد الجهود المبذولة لتوجيه الخدمة الاجتماعية إسلامياً سواء كان ذلك على مستوى البناء المعرفي النظري أو الممارسة المهنية في شتى المجالات ، إيماناً من الباحث بأهمية وحتمية هذا التوجه الذى يستهدف إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ، ويتناول البحث أحد المجالات الهامة للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية وهو مجال "رعاية المسنين" والذى يعتبر "وفقا لتقسيم باركر ١٩٨٧" أحد المجالات المستحدثة للخدمة الاجتماعية(١) مستهدفاً المراجعة النقدية التحليلية للسياسات الاجتماعية إزاء المسنين ، والتى تمخض عنها الفكر الوضعى سواء في المجمعات الغربية (المنتجة لهذه السياسات) أو في المجتمعات العربية والإسلامية والتى يسير معظمها - إن لم يكن جميعها - في إطار النموذج الغربي ، وكيف أن هذه السياسات إنما جاءت ترجمة للسياق الاجتماعي والثقافى للمجتمع الغربى وطبيعة تصوره للإنسان والحياة والمجتمع بشكل عام ونظرتة "للمسن" بشكل خاص .

ونعنى بالسياسات الوضعية "تلك السياسات التى أثمرها الفكر البشري البحت والتى لا تنزع إلى أصل دينى أو توجيه سماوى ، تمييزاً لها عن تلك السياسات التى تستند في توجهها وفلسفتها وأهدافها إلى قيم دينية سماوية تستنير بهديها وتستلهم منها ما يصوب مسيرتها ويرشد اتجاهاتها وأساليبها بما يتفق وطبيعة الإنسان كما خلقه الله عز وجل وهو أعلم بمكوناته ونوازعه ودوافع سلوكه وتصرفاته ما ظهر منها وما بطن **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾**(٢) فالسياسات الوضعية إذن هى فكر بشري خالص من حيث الأطر المرجعية والمصدر والأسلوب وظروف النشأة وعوامل التكوين والتطور.

لأن هذا البحث ينظر إلى هذه السياسات الوضعية من زاوية الرؤية وهى رؤية موضوعية تقبل وترفض إلا أنها تقبل ما تقبل عن بينة وترفض ما ترفض عن بينة ، لا شك

---

(1) Paul E. Weinderger ; "Perspectives on Social Welfare" , N. Y; Macmillan Pudlishing Co .; Inc., 1979, P. 56 .

(٢) سورة الملك : الآية ١٤ .

أن لهذه الرؤية أصول وقواعد ومبادئ أساسية وقواعد ثابتة وهى حقائق إيمانية ذات مصدر إلهى .

**وبين يدى هذا البحث نطرح تساؤلا مؤداه :**

هل نجحت السياسات الاجتماعية الوضعية لرعاية المسنين في تحقيق الأهداف التى تتوخاها، والآمال التى عقدت عليها والمتمثلة في رعاية هذه الفئة وإشباع احتياجاتها ومواجهة مشكلاتها ؟ إن الدراسات والبحوث والكتابات العديدة تؤكد ، والواقع يشهد أن هذه السياسات وما تم في إطارها من برامج وخطط ومشروعات وخدمات لم تحقق بعد ما هو مؤمل منها في هذا الصدد ، لا في المجتمعات الغربية ، ولا في غيرها ، لأسباب ترجع في المقام الأول - في تصور الباحث - إلى العديد من جوانب القصور التى شابت هذه السياسات والبرامج لكونها مبنية على تصور مخالف لطبيعة الإنسان ، هذا بالطبع إلى جانب عوامل أخرى اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسة ، أو هى جميعا تضافرت فأدت إلى قصور هذه السياسات وعدم فعاليتها في تحقيق أهدافها مما دفع الكثيرين إلى المناداة بضرورة تبنى سياسات جديدة إزاء المسنين تختلف عن تلك السياسات القائمة والتى لم تنجح في حل المشكلة إلى الآن.

إن نقطة الضعف المحورية في هذه السياسات هى استنادها إلى العقل البشري مستقلا عن أى توجيه سماوى ، وهو (العقل البشري) مهما أوتى من كمالات فإنه يتصف بالعجز والقصور ، ولا بد للعقول من نور الوحى لكى يضيء لها الطريق ويبصرها بالنافع من الضار، فالعقل كالعين والوحى كالنور ولا بد للعين من نور ترى في ضوئه[1] .

ويأمل الباحث أن يسهم هذا البحث - على صعيد البحث العلمي - مع غيره من البحوث في هذا الميدان في استنهاض همة الباحثين والمهتمين بمجال رعاية المسنين في بذل المزيد من الجهود نحو بلورة نماذج وسياسات تنبثق من المنظور الإسلامي في إطار التوجه الحالي المعنى بالتوجيه الإسلامي لمجالات الممارسة المهنية .

وعلى صعيد العمل الميداني يتوخى الباحث أن يسهم هذا البحث -على تواضعه- في لفت أنظار المسئولين وصناع القرار والمهتمين بقضايا المسنين إلى العمل على أن تنطلق سياسات وبرامج رعاية المسنين في مجتمعاتنا العربية والإسلامية من الخصوصية الحضارية الإسلامية التى تتمايز -دون أدنى شك- عن منطلقات سياسات الحضارات المادية ، وأن

---

(١) عبد الحميد أحمد أبو سليمان : "أزمة العقل المسلم" ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض، ط : ٢ ، ١٩٩٢، ص ١٨٢ .

تستلهم هذه السياسات من المبادئ والقواعد التى احتوتها مصادر الثقافة الإسلامية وعلى رأسها الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة (قولاً وعملاً وتقريراً) والممارسات التطبيقية التى حفل بها صدر الإسلام الأول وعصور ازدهار الأمة الإسلامية .

هذا ويدور البحث الراهن حول مجموعة من العناصر هى :

**أولاً** : أهمية موضوع البحث .

**ثانياً** : الإطار الاجتماعي والثقافي لظاهرة الكبر .

**ثالثاً** : مداخل رعاية المسنين في العلم .

**رابعاً** : العوامل المؤثرة في السياسات الوضعية الحالية لرعاية المسنين .

**خامساً** : جوانب القصور في السياسات الوضعية وفق الرؤية الإسلامية .

## أولاً : أهمية موضوع البحث :

١- لعل النظرة التحليلة لبرامج وسياسات الرعاية الاجتماعية في المجتمعات الصناعية تعكس بوضوح كيف أن هذه السياسات توجه من خلال أيديولوجية المجتمع وفلسفته العامة، مما يشير إلى السمة المحلية لنسق الرعاية الاجتماعية ، واختلافه من مجتمع لآخر نظراً لارتباطه بطبيعة المجتمع وإمكاناته ودرجة تقدمه ، وطبيعة المشكلات التى يواجهها ، وعلى الرغم من ذلك فإن "تطور الرعاية الاجتماعية في الدول النامية لم يكن استجابة أصيلة لإشباع الاحتياجات الأساسية المراد إشباعها ، وإنما استوردت ونقلت من المجتمعات الصناعية الغربية و لم يبذل جهد يذكر في دراسة التوافق بين هذه التكنولوجيا الجديدة وبين الثقافة المحلية والبناء الاجتماعي الوطنى"(١) .

٢- و لم يختلف الأمر بالنسبة للمجتمعات العربية الإسلامية عن غيرها ، فلقد تأثرت سياسات الرعاية الاجتماعية في هذه المجتمعات بالنموذج الغربي دون اعتبار لخصائص البناء الاجتماعي والثقافي ، والخصوصية التاريخية المتميزة لهذه المجتمعات ، ومدى ملائمة التجربة الغربية لطبيعة المجتمع الإسلامي ، واحتياجات أفراده ، الأمر الذى انعكس – وكان هذا طبيعياً – على درجة فعالية نظم الرعاية الاجتماعية واستجابتها لأهداف واحتياجات المجتمعات الإسلامية ومشكلاتها .

٣- والعجيب في الأمر ، أن تتمسك المجتمعات الإسلامية بالسياسات والنماذج الغربية في الوقت الذى تعالت فيه صيحات النقد والهجوم على هذه السياسات والنماذج حتى من قبل الغربيين أنفسهم حيث يشير "يونس" إلى أن السياسة الاجتماعية الأمريكية

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "نحو تأصيل الخدمة الاجتماعية في الدول النامية " في : إبراهيم رجب وآخرين : "نماذج ونظريات تنظيم المجتمع" ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، والقاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٨٤ .

تعرضت في الثمانينيات لهجوم شديد لفشلها في المحافظة على تنمية الأساليب التقليدية القديمة في مواجهة المشكلات ، وانحسار دور الأسرة والجماعات العرقية والمجتمعات المحلية والهيئات الدينية في هذا الصدد ، الأمر الذى تطلب الدعوة إلى إحياء أساليب الحياة والضوابط التقليدية لا في صورة عودة إلى الماضى ، بقدر ما هى الاستفادة بتجربة الماضى في سياسات اجتماعية تستفيد من الأنظمة التقليدية(١) .

٤- وفيما يتعلق (برعاية المسنين) لم يختلف الأمر كثيراً ، فلقد تأثرت سياسات رعاية المسنين في المجتمعات الإسلامية بالنموذج الغربي الذى نشأ متأثراً بأيديولوجية محددة ونظم سياسة تترجم التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمجتمعات الغربية ، هذا في الوقت الذى تعرضت فيه السياسات الغربية للهجوم من الغربيين أنفسهم ، وتعالت أصواتهم بضرورة تبنى سياسات جديدة أكثر واقعية وإنسانية لرعاية المسنين من السياسات القائمة ، فلقد أظهرت الدراسات التى درات حول قضايا الكبر والمسنين أن اتجاه المجتمعات الحضرية في البلاد الصناعية إلى الاعتماد على المؤسسات الإيوائية لرعاية المسنين أو الأجهزة البديلة للأسرة في توفير احتياجاتهم قد أظهر كثيراً من العيوب والمآسى الإنسانية ، وأخل بالتماسك بين الفئات لأفراد المجتمع الأمر الذى أبرز أهمية مواصلة الأسرة لدورها باعتبارها الجهاز المجتمعى الأقدر على توفير هذه الرعاية والاحتضان للكبار من أفرادها(٢).

٥- إن المشكلات والتغيرات التى يتعرض لها المسنون تختلف من مجتمع لآخر تبعا للسياق الاجتماعي والثقافي الذى يعيشون في كنفه والذى يحدد طبيعة نظرة المجتمع لكبار السن وموقفه منهم ، ومن هنا كان من الضرورى والأمر كذلك أن تختلف السياسات والبرامج المعتمدة لمواجهة هذه المشكلات ورعاية هذه الفئة بحيث تأتى منسجمة مع هذا السياق .

٦- إن أهم ما يلفت النظر في السياسات الاجتماعية إزاء المسنين في المجتمعات العربية الإسلامية أنها تدور حول عناصر جزئية مبتسرة تفتقد التكامل والشمول في مواجهة وعلاج المشكلات وإشباع الاحتياجات ، ودون ربط كافة العناصر المجتمعية والحضارية في نطاق شمولى متكامل ، وبالنظر إلى أدبيات رعاية المسنين في هذه المجتمعات نجد أنها - في الأغلب

---

(١) الفاروق زكى يونس : "سياسة الرعاية الاجتماعية من منظور إسلامي" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة ، (١٠-١٣ أغسطس ، ١٩٩١ ، ص : ٩-١٠) .

(٢) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم في السن دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص١٨٣ .

الأعم – تغفل "محورية" البعد الروحي والأخلاقي في مواجهة مشكلة المسنين أو حتى في نشأتها ، وتغفل أيضا البعد الخاص بتميز وخصوصية المعالجة الإسلامية لهذه المشكلة وإن ذكر هذا البعد فإنما يشار إليه على استحياء في إطار هامشى يتعلق بإشارات مقتضبة حول اهتمام الأديان السماوية "والإسلام من بينها" دون اهتمام بترجمة هذا البعد الحيوى والهام ليكون محوراً تدور حوله كافة سياسات وبرامج وأشكال رعاية المسنين في هذه المجتمعات.

٧– إن هذا البحث يمثل رؤية مهنية – من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية – فيما يتعلق بسياسات رعاية المسنين ، خاصة وأن دور الخدمة الاجتماعية كمهنة لم يعد قاصراً على تنفيذ برامج ومشروعات الرعاية الاجتماعية فحسب وإنما أصبح من الأغراض الأساسية لها المساهمة في صنع وتطور السياسة الاجتماعية والعمل ، والعمل على سد الفجوة بين احتياجات نسق العمل وتشريعات السياسة الاجتماعية(١)، ومن ناحية أخرى فإن الخدمة الاجتماعية كمهنة تلعب أدوارا أساسية في مجال العمل مع المسنين وتنظيم برامج رعايتهم ، ليس فقط فيما يتعلق بتقديم الخدمات المباشرة للمسنين ، وإنما تعمل في ذات الوقت بفضل وضعها المتميز وخصوصيتها المتفردة بين مهن المساعدة الإنسانية ، على دعم الجهود المتنوعة والتنسيق والربط فيما بينها بما يحقق أكبر عائد لصالح المسنين والمجتمع .

٨– إن هذا البحث يرتكز على خصوصية الرؤية الإسلامية في مجال رعاية المسنين في المجتمعات العربية الإسلامية الأمر الذى يرجع ضمن ما يرجع إلى المبررات التالية :

- أن الإسلام هو دين هذه المجتمعات ويشكل عصب نسيجها الثقافي ، وله خصوصيته المتميزة من حيث كونه منهجاً شاملاً للحياة بجميع جوانبها ومجالاتها .
- أنه يستلزم – في ضوء هذه الخصوصية – ضرورة تحقيق الانسجام بين الارتباط العاطفي به في الجانب العقدي والروحي والفردي ، والارتباط الواقعي والعملي في الجانب التشريعي والتنظيمي والاجتماعي والمؤسسي .
- ومن هنا تكتسب الدعوة إلى التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية والنظم الاجتماعية في المجتمع المسلم أهميتها البالغة باعتبارها عاملاً أساسياً من عوامل تحقيق هذا الارتباط المنشود .
- وما دامت الخدمة الاجتماعية هى إحدى مهن المساعدة الإنسانية ، يصبح من الضروري والمنطقي ، في نفس الوقت الاهتمام بتوجيه تعاليمها ومناهجها ومجالات ممارستها وفقا لهدى الإسلام وتوجيهاته .

---

(1) Allen Pincus & Anne Minahan., "Amodel for Social Work Practice" in Harry Specht & Anne Vickery (eds) "Integrating Social Work Methods, London, Jeorge Allen & Univ, 1977, P. 75-77 .

• وتتعاظم أهمية صياغة الخدمة الاجتماعية فلسفة وغاية ومنهجا وممارسة في إطار التوجيه الإسلامي في ضوء إدراكنا لأهمية هذه المهنة في حياة المجتمعات .

٩- أصبحت مشكلة المسنين واحدة من القضايا الهامة المطروحة على صعيد المجتمعات الغربية الصناعية وبدأت تلحق بها في ذلك المجتمعات النامية بما فيها المجتمعات الإسلامية ، ويرجع تزايد الاهتمام بقضايا المسنين ، في العصر الحاضر إلى مجموعة من العوامل أهمها :

أ- شهد هذا القرن في كثير من مناطق العالم زيادة كبيرة في أعداد المسنين ونسبتهم إلى مجموعة السكان بالمقارنة بأعدادهم ونسبتهم في القرون السابقة ، وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة فإن عدد الأشخاص الذين بلغوا سن الستين أو تجاوزوها سيتزايد حتى عام ٢٠٠٠ إلى أن يبلغ ٥٩٠ مليون مسن وسيشكل المسنون نسبة ١٤٪ من سكان العالم بعد أقل من ٥٤ عاماً(١)، كما أن هذه المعدلات إنما تعنى في الواقع زيادة في الطلب على برامج الرعاية الاجتماعية والخدمات الطبية والعلاجية الأمر الذى أصبح يقلق بال صانعي القرارات في المجتمعات المعاصرة .

ب- دواعى عصرية ترجع إلى طبيعة العصر والتغيرات السريعة والمتلاحقة ، إذ إن مشكلة المسنين هى وليدة الصناعة والتقدم المادي والتكنولوجي ، وهى نتاج التنظيم الاجتماعي المعاصر الذى أحدث الكثير من التغيرات الاجتماعية وبالذات في البناء الأسري ويشير (براون Browin .C) إلى ذلك بقوله : "إن الأسرة ظلت مسئولة عن رعاية مسنيها لفترات طويلة إلى أن جاء التحضر والثورة الصناعية فأثرا تأثيراً سلبياً على هذا الدور"(٢) .

جـ- دواعى دينية حيث يعد الاهتمام بالمسنين ورعايتهم وتوفير الاحترام والتقدير الخاص لهم من الأمور التى أولتها الشرائع السماوية (والإسلام خاتمها) عناية خاصة في إطار اهتمامه بالإنسان ، في شتى مراحل حياته .

د- دواعى تنموية ، تتمثل في أن ظاهرة الكبر الفردي والكبر السكانى لها تأثيرها إن سلباً أو إيجاباً ، ففي حالة إهمال الأعداد المتزايدة للمسنين قد تؤدى إلى إعاقة حركة التنمية على المستوى القومى، وفي حالة الاهتمام بوضع السياسات التى تتوخى تحقيق المشاركة الفعالة للمسنين في شئون المجتمع والحياة العامة تؤدى إلى دفع مسيرة التقدم والتنمية .

---

(١) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربى" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٣ .

(2) Charance Browin & Mary O'day ; "Services to the Elderly" , in Neil Gilbert & Harry Soecht , (eds), Handbook of the Society Services, New jersy ; Prentice - Hall Inc, 1981, p. 102 .

هـ- دواعى علمية تتمثل في ازدياد الوعى علمياً بما يواجهه المسنون من مشكلات نفسية واجتماعية وصحية واقتصادية ، وظهور علوم جديدة أسهمت بقدر كبير في تفهم الظواهر المختلفة المرتبطة بالكبر مثل علم الكبر ، وعلم طب الكبر ، وعلم الطب الاجتماعي.

١٠- أن ثمة حقائق ومسلمات يستند إليها البحث الراهن لعل أهمها :

- أن هذا البحث وهو يسعى إلى المراجعة النقدية للسياسات الوضعية لرعاية المسنين من زوايا الرؤية الإسلامية لا يقف موقف الرافض لهذه السياسات جملة وتفصيلا ، ولا ينطلق من افتراض أن هذه السياسات هى خطأ مطلق أو شر محض فإن ذلك يتنافى مع إحدى البديهات الإسلامية التى تنص على أن " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها" .

## ثانياً : الإطار الاجتماعي والثقافي لظاهرة الكبر :

لا شك أن للسياق الاجتماعي الذى يعيش فيه المسنون وطبيعة نظرة المجتمع لهم ولمشكلاتهم أثره على درجة اهتمام المجتمع بالتعامل مع هذه المشكلات من ناحية ، والتعامل مع أصحابها من ناحية أخرى ، ذلك السياق وتلك النظرة التى يعد من بين محدداتها الأساسية المعارف الإنسانية والتجارب والخبرات التى كثفت لتصبح نوعاً من العادات والتقاليد والأعراف والقيم التى تحكم سلوك الأفراد والجماعات وتوجه المجتمع وفلسفته في الحياة ، ولما كان لكل مجتمع محدداته الخاصة به وبالتالى إطاره الثقافي وخصوصيته الحضارية كان لابد - تبعا لذلك - أن يختلف وضع المسنين ، ونوعية المشكلات التى تواجههم ، وطبيعة البرامج الموجهة لرعايتهم من مجتمع لآخر ، ويرى (جيمس بيرين J . E . Biran) أن ثمة محكين رئيسيين للشيخوخة الناجحة ( Aging Successful) أحدهما داخلى سيكولوجى يتعلق بالمسن ذاته ، والآخر خارجي اجتماعي يتعلق بالسياق المجتمعي الذى يعيش فيه ، وما بين هذين المحكين من ارتباط وثيق وتفاعل حتمى ، ويتضمن المحك الأول الرضا عن الحياة كما يخبره الشخص المسن وما لديه من اتجاهات إيجابية خاصة باعتبار الذات (أى نظرة المسن لنفسه) ، أما الآخر فيتعلق بكفالة الفرد لأدواره الاجتماعية ، هذا المحك يتحدد بدوره بموقف المجتمع من المسنين ومن ظاهرة تقدم العمر ، ويتجلى ذلك في اتجاهات الأبناء والشباب والراشدين نحو المسنين ونحو ظاهرة الشيخوخة[1] .

---

(1) J . E . Biran "Sychology of Agging" , New Jersey ; Prentice - Hall, Inc. 1964, p. p. 237-238 .

ورغم اتفاق الباحث مع هذا الرأى على المستوى التحليلى إلا أنـه يـود التـأكيد علـى أهمية الإطار الثقافي والحضاري الذى يحكم كلا المحكين معـا ، ذلـك الإطـار الـذى يشـكل ويحدد نظرة المسن إلى نفسه وإلى مرحلة التقدم في العمر من ناحية ، ونظرة المجتمع والأجيـال المعاصرة للمسنين من ناحية أخرى ، وتمشياً مع تلك النظرة التحليلية فإننـا نتنـاول فيمـا يلـى هذين المحكين ودورهما في تحديد طبيعة ظـاهرة الشيخوخة ومشـكلات وأسـاليب مواجهـة هذه المشكلات .

## ١- المحك الاجتماعي (نظرة المجتمع للمسنين) :

يقرر"إيريك إريكسوف" فى نظريته للنمو أن الشيخوخة تعتبر مرحلة (نمائية) تتحـدد كثيراً بالواقع الثقافي وبنظرة المجتمع إلى ظاهرة التقدم في السن ، والتى تجعل من هـذه المرحلـة مرحلة نمائية عادية أو مرحلة (أزمة Crisis)[١] الأمر الذى يؤكد أهميـة دور البيئـة والمجتمـع والمواريث الثقافية والتاريخية وانعكاساتها على موقـف المجتمـع مـن المسنين بشـكل عـام ؛ ولذلك وجدنا أن وضع المسنين يختلف من مجتمع لآخر ومـن وسـط اجتمـاعي وثقـافي إلى وسط آخر تختلف عنه .

### أ- فبالنسبة للمجتمعات التقليدية :

فإن الموقف الاعتباري للمسنين يرتكز على إمكانات البنـاء الاجتمـاعي والاقتصـادي في المجتمع والذى يغلب عليه النشاط الزراعى ونمط العائلـة (الأسـرة الممتـدة) حيـث كـان في استطاعة المسـنين القيـام بأعمـال ذات فـائدة جمـة للأسـرة والمجتمـع[٢] حيـث ينظـر إليهـم كمعلمين ومستشارين لهم باع طويل في الحكمة والتجربة العملية في الحياة كما أن خـبراتهم ومهاراتهم المكتسبة على مدار الحيـاة أساسية ، حيـث أسـهمت إسـهاماً جوهريـاً في تقـدم أسرهم وفي تقدم الجماعة ككل ، وحتى في حالة عجـز المسـن عـن الإنتـاج الجمسـانى فـإن قيمته داخل الأسرة لا تهتز حيث ينظر إليه دائما كمثل أعلـى يحتـذى بـه ومصـدر للنصيحـة المتكاملة ، وتعتبر رعاية الشخص المسن مسئوليه الأسرة الأساسية ، وكـان الشـخص المسـن يشارك الأسرة في المسكن طيلة حياته[٣]، ولا شك أن ذلك كله من شأنه أن ينعكـس علـى نظرة المسن لذاته ويخفف من الآثار والاضطرابات النفسية والاجتماعية التى تواجهه .

---

(١) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتى ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص٧ .

(٢) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التنمية " نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ١٩٩١ ص ٩٩ .

(٣) راشد محمد أبا الخليل : الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين فى العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ٥٣ .

ب – وفيما يتعلق بالمجتمعات الصناعية المتقدمة :

فإن الأمر مختلف ، تبعا لاختلاف البناء الاجتماعي والاقتصادي الذى يغلب عليه النشاط الصناعي والتقدم التكنولوجي ونمط الأسرة النووية المنعزلة ، وأدى التخصص وتقسيم العمل إلى زيادة اعتماد الإنسان على غيره اجتماعياً إلى حد بعيد ، هذا بالطبع فضلاً من ضياع القيم العائلية وسيادة المعايير المادية في تقييم العلاقات الإنسانية ، كل ذلك أدى إلى مجموعة من النتائج لأوضاع المسنين في هذه المجتمعات لعل أهمها :

- تدهور المكانة الاجتماعية للمسنين في هذه المجتمعات التى تقوم على تقديس العمل والإنجاز والقوة والشباب .
- النظر إلى المسنين على أنهم يشكلون عبئاً على عائلاتهم وعلى المجتمع ككل .
- عزلة المسنين عن المجتمع وانزواؤهم عن الحياة الاجتماعية .
- تقلص (أو فقدان) الأدوار الاجتماعية للمسنين بالنسبة للأسرة في المجتمع .
- تراجع دور الأسرة في رعاية مسنيها لتحل محلها مؤسسات أخرى .
- أصبح التقدم في السن يمثل شبحاً مخيفاً للإنسان .

ونكتفى هنا بهذا ، وسوف نتناول بالتفصيل واقع المسنين في المجتمعات الغربية الحديثة فيما بعد .

جـ- واقع المسنين في المجتمعات الإسلامية :

وإذا نظرنا إلى الواقع الاجتماعي للمسنين في المجتمعات العربية الإسلامية لوجدنا أنه لاينفصل عن الركائز الحضارية لها مهما طرأ عليها من تغييرات سياسية واقتصادية ، إذ أن الإيمان با لله وأفعال البر بالوالدين ومن في مقامهما من أهم الثوابت الراسخة ، ومهما حدث من تشوهات وبقع سوداء متناثرة في نسيج العلاقات الوالدية إلا أن القاعدة العامة هى احترام علاقات الآبناء وكبار السن ، مما يشكل توجهاً حضارياً يؤثر في السياسات الاجتماعية إزاء المسنين أو ينبغى له ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بوادر تشير إلى أن هذه الأوضاع آخذه في التغيير ، وأن ثمة تحويلات طرأت على هذه المجتمعات لها آثارها السلبية على هذه الفئة مع مشاغل التنمية التى تحتل مساحة كبرى من اهتمام هذه المجتمعات .

إن قيماً جديدة مرتبطة بالتحضر الزائد تطغى على بعض القيم التقليدية الأصيلة التى كانت تفرد مكانة خاصة لكبار السن في المجتمع الإسلامي ، كما أن التغييرات الاجتماعية الكبيرة والتطورات السريعة كل ذلك أفقد بعض المسنين قسطاً من الأدوار التقليدية التى كانت وقفاً عليهم ، والتى كانت تلعب دوراً هاماً في توافقهم النفسى والاجتماعي واختزال

ما يمكن أن يتعرضوا له من مشكلات ومصاعب(١) وأعطى المسنين شعوراً بالعزلة المتزايدة حتى وإن لم يكونوا بالفعل معزولين ، كما أن هذه الأوضاع والاتجاهات يرجح جداً أن تتزايد مستقبلاً ، الأمر الذى يحتم سرعة تدارك الموقف والاستعداد له لتحاشى تضخم المشكلات واستفحالها وصعوبة مواجهتها .

وهناك بعض الدراسات التى تشير إلى بروز مشكلة المسنين في بعض المجتمعات العربية وتعزو ذلك لعوامل التصنيع الحديث ، وتغير تركيب الأسرة ، واختلاف دور المرأة والهجرة المتزايدة للمناطق الحضرية(٢) .

إن ما ذكرناه آنفاً لا ينفى أن هناك بعض الجوانب الإيجابية التى تتميز بها المجتمعات العربية الإسلامية ، والتى يمكن استثمارها وتدعيمها والاستفادة منها لصالح المسنين هذه الجوانب نذكر منها :

- أن هذه المجتمعات لم تعرف بعد المشكلات التى يتعرض لها كبار السن بالحدة نفسها التى عرفتها المجتمعات المتقدمة ، وأن مشكلة المسنين لم تأخذ بعد شكلا صارخاً وحاداً .
- ارتباط كبار السن بالسلطة والمكانة داخل الأسرة وخارجها الأمر الذى يتصل بدوره بالعلاقة بين كبر السن والوقار والاتزان والحكمة .
- ارتباط الكبر بطبيعة العلاقة بين الأبناء والآباء خاصة الاتجاه الإيجابي القوى من الأبناء نحو آبائهم ، ذلك الاتجاه المستند بشكل قوى على القيم الإسلامية السائدة .
- أن هذه المجتمعات – انطلاقاً من تعاليم الإسلام وقيمه السامية – مازالت تقدر قيمة المسنين وتعطيهم حقهم في الاحترام والتقدير والمشورة والقيادة .
- أنه وحتى في المناطق الحضرية ، ورغم تحول الأسرة من النمط الممتد إلى النمط النووي فإن هذا الأخير (الأسرة النووية) يأخذ طابعاً في المجتمعات العربية يختلف عما هو موجود في المجتمعات المتقدمة ، ذلك أن الأسرة النووية المسلمة في المجتمع العربي تعتبر غير منعزلة عن أسرتى التوجيع ( Orientation Famillies) (أسرة الزوج وأسرة الزوجة) ، فلقد أثبتت بعض الدراسات التى تمت في هذا الصدد أن الزوج والزوجة على صلة بالنسق القرابى حتى في المستويات الثقافية العليا(٣).

---

(١) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربى" ، مجلة المستقبل العربى ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ص٤٩ .

(٢) راشد محمد أبا الخليل : الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين فى العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ١٥٠ .

(٣) سناء الخولى : "الأسرة فى عالم متغير" الهيئة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص١١٢ .

ولعل أبلغ دليل على عدم عزلة الأسرة النووية في المجتمع العربي المسلم ما نلمسه من اقتناع نظري وعملي بالعون المتبادل حسب الظروف، والذى يعكس الرواسب القوية لطابع الأسرة التقليدية، كما يعكس الجذور العميقة لنسق القيم الذى يرتكز على مبادئ العون لذوى القربى وخفض جناح الذل من الرحمة للوالدين ومن في حكمهما[1].

## ٢- المحك السيكولوجي (نظرة المسن لذاته) :

وتتحدد هذه النظرة - كما سبق وأشرنا - بدرجة كبيرة بموقف المجتمع وثقافته من فئة المسنين، الأمر الذى يعبر عن نفسه من خلال الاتجاهات الاجتماعية التى تبديها الأجيال المختلفة (الصغار والشباب والرجال) حيال هذه المرحلة العمرية المتقدمة من حياة الإنسان، كما أن نظرة المسن، لذاته والفكرة التى يكونها عن نفسه لا تنشأ بعد وصوله إلى هذه المرحلة وإنما تتكون خلال السنوات السابقة من حياته، وتعتمد على الاتجاهات الاجتماعية نحو الموضوع أكثر من الخبرة الشخصية في معايشة هذه الفترة، وإذا كانت هذه النظرة أو الفكرة سلبية وغير محببة فإنها تؤدى إلى التخوف من الوصول إلى مرحلة الشيخوخة[2] وفي هذه الحالة فمن المتوقع أن يخبر المسن هذه المرحلة كأزمة (Crisis) في الغالب وهى ما يطلق عليه "ايريكسون" أزمة تكامل الأنا التى تبدو في شكل اليأس والقنوط اللذين يسيطران على الحياة النفسية للمسن[3].

ويحدث العكس إذا كانت هذه النظرة تتسم بالإيجابية فإن ذلك يؤدى إلى تكامل الأنا الذى هو حالة عقلية قوامها اقتناع الشخص المسن بأن لحياته نظاماً ومعنى وبأنها مقبولة وضروزية[4].

وبينما تتضمن الاتجاهات الاجتماعية التى يحملها المجتمع الغربي نحو المسنين (كما سيتبين) اتجاهات سلبية غير مرضية تجعل من الصعب أن يرى المسن هذه المرحلة إلا على أنها مرحلة سلبية من مراحل الحياة، ونجد أن التقدم في العمر في المجتمع المسلم لا يمثل أزمة بالنسبة لمسن، حيث لازال المسنون يحتلون مكانة اجتماعية لائقة قوامها الوفاء والاحترام والتقدير في ظل التعاليم الإسلامية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يربى

---

(١) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمرى : الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربى": مجلة المستقبل العربى، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ص ٥٤ .

(٢) إبراهيم خليفة - عبد الله الشمرى : الاستفادة من القدرات الكامنه لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربى"، مجله المستقبل العربي، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ص ٥٠ .

(٣) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتى، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، ربيع ١٩٨٧، ص٧٤ .

(٤) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتى، مجلة العلوم الاجتماعية - الكويت، ربيع ١٩٨٧، ص٧٤ .

المسلم على الأمل والرجاء في رحمة الله ، ويرفض اليأس والقنوط مهما كانت الظروف – قال تعالى– ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾(١) فالمؤمن –حال كونه مؤمناً– لاييأس من روح الله عز وجل ولا يقنط من رحمته ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ...﴾(٢) كما أن تعاليم الإسلام تربى المسلم على أن ينظر إلى الشيخوخة والتقدم في العمر على أنها نعمة من الله – عز وجل – ففي الحديث "ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى ، قال : خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً"(٣) وفي الحديث أيضا : "خير الناس من طال عمره وحسن عمله"(٤) .

إن المسلم – وفقا لعقيدته – ينظر إلى هذه الحياة على أنها إحدى نعم الله عليه ومن حقه أن يتنعم بما فيها من خير ، وعليه – في المقابل – أن يصبر على ما فيها من ضر ، فإنه أصابته النعماء شكر ، وإذا حلت به الضراء صبر كما جاء في الحديث "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"(٥) .

وإذا كان "إدوارد كاندا" يقرر أن لكل إنسان حاجات روحية تتصل بإيجاد معنى وهدف لهذه الحياة وأن المعتقدات والممارسات الدينية غالباً ما تلعب دوراً حاسماً في فهم الإنسان لنفسه وللعالم من حوله ، خصوصاً فيما يتعلق بالتوصل إلى نوع من المعنى والهدف في العلاقات بين الذات والآخرين والبيئة والحقيقة المطلقة(٦) فإن المسلم لا ينظر للحياة نظرة قوامها العبثية وضياع المعنى والهدف وإنما ينظر إليها على أنها دار ابتلاء واختبار ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾(٧) وعلى المؤمن أن يأخذ على عاتقة ما يمكنه من اجتياز هذا الاختبار بنجاح سيراً على منهج الله واستهداء بنور شريعته الغراء .

وإذا كان البعض يعتبر أن أزمة التقدم في العمر هى انعكاس للايقين بالدور الاجتماعي (Social Role Uncertainly) فإن المسن في الإسلام لا ينتهى دوره في الحياة والمجتمع لمجرد بلوغه هذه المرحلة وإنما يتعاظم هذا الدور حكمة وعطاءا وعملاً واجتهاداً ،

---

(١) سورة يوسف : الآية ٨٧ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٣ .

(٣) رواه الحاكم عن جابر .

(٤) رواه أحمد والترمذى عن عبد الله بن بشير ورمز السيوطى لصحته .

(٥) رواه مسلم عن صهيب بن سنان .

(٦) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "المنهج العلمى من وجهة نظر إسلامية في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة عبد الانسانية"،بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، (١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١)، ص ٥٩ .

(٧) سورة الملك : الآية ٢ .

وهو (المسلم) لا يعرف ما يسمى باللايقين بالدور الاجتماعي ، حتى ولو كانت نظرة المجتمع واتجاهاته نحو مرحلة التقدم تخلق مناخاً مهيئاً لهذه الحالة ، وإنما – في ظل الهدي الإسلامي – يوطن نفسه على أن يكون له يكون له دوره الفعال في هذه الحياة مهما كانت سلبيات المناخ الذى يعيش في كنفه ، وهو يعلم أن عليه ألا يكون إمعة يقول إذا أحسن الناس أحسنت وإذا أساءوا أسات ، وإنما يوطن نفسه إذا أحسنوا أن يحسن وإذا أساءوا أن يتجنب إساءتهم ويظل على إحسانه "فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه كائن ذو وعى وذو إرادة يوجه حياته كفاعل وليس كمجرد كائن منفعل بالمؤثرات الخارجية"(١).

## ثالثاً : مداخل رعاية المسنين في العالم :

إن السياسة الاجتماعية لرعاية المسنين في أى مجتمع إنما هى انعكاس طبيعى لظروفه وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، التى تحدد خيارات المجتمع إزاء نوع الرعاية التى يوجهها للمسنين سواء رعاية أسرية أو رعاية مؤسسية إيوائية ، ومن هنا سلكت المجتمعات في معالجتها لمشكلة المسنين طرقاً متعددة ، ولكل مجتمع طريقته الخاصة المرتبطة بثقافته ، وبنوع نظرته لمرحلة التقدم في العمر وكذلك نظرة المختصين وصناع القرارات والسياسات لهذه الفئة العمرية .

وعلى الرغم من أن معظم المجتمعات قد بدأت بالفعل في معالجة مشكلة المسنين وذلك بوضع السياسات والخطط والبرامج اللازمة لرعاية هذه الفئة طبقاً لظروف كل مجتمع وثقافته ، إلا أنه لم يصل أى مجتمع حتى الأن إلى تطوير نظام رعاية شاملة ومتكاملة للمسنين، ويكشف استعراض التراث البحثي والدراسات المتعددة في مجال سياسات رعاية المسنين في المجتمعات الغربية عن أن هناك محاولات جادة للسيطرة على حاجات المسنين ومشكلاتهم كما تراها هذه المجتمعات ، وأن هناك أكثر من مدخل لتوفير الرعاية المنظمة لهذه الفئة من سكان المجتمع .

ومن الملاحظ أن التجربة الغربية لا ترتكز على استخدام مدخل واحد دون غيره من المداخل بل إن هناك تعددية في النظم المختلفة(٢) وطبقاً لما تقرره منظمة الصحة العالمية :

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "مداخيل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي القاهرة : (١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١) ، ص ٧٣.

(٢) محروس محمود خليفة : "دراسة عن الوضع الراهن لرعاية المسنين فى المملكة العربية السعودية ، البرامج والمؤسسات" المنامة ، البحرين ، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ١٩٨٢ ، ص٥٢.

"فإن النظم والمداخل الحالية لتقديم الخدمات لرعاية المسنين أصبحت مجال انتقاد لأنها مجزأة وليست منظمة بل تفتقر إلى معايير بديهية لتوفير الخدمات[1] .

وبصفة عامة يمكن تصنيف المداخل والنماذج السائدة لرعاية المسنين إلى ثلاثة أنواع على النحو التالى :

**١ - المدخل الأسرى Family Care Approach :**

ويقصد به الرعاية داخل الأسرة أو عن طريقها بحيث يتحمل عضو أو أكثر من أعضاء الأسرة مسئولياتهم تجاه رعاية الآباء والأمهات المسنين أو أى فرد ينتمى إلى الأسرة كالأشقاء أو زوجاتهم...إلخ.

وتتمثل أهمية هذا المدخل فى كونه أفضل المداخل لرعاية المسنين لكونه ينسجم والطبيعة الإنسانية ، إذ إن استمرار وجود المسن فى نفس المناخ الأسرى الذى أمضى فيه حياته يبعث على اطمئنانه النفسي وتوافقه الاجتماعي ، ذلك المناخ الذى يزداد جاذبية مع التقدم فى السن حيث إنه يمثل تجسيداً لكل ارتباطاته العاطفية والاجتماعية ، كما أن وجود الإنسان في وسط الأشياء التى أحبها يمده باستمرار بذكريات الأوقات الخالية[2] .

وتشير نتائج العديد من الدراسات والبحوث إلى أن كبار السن الذين يوجد لديهم أبناء بالغون يفضلون تلقى الرعاية فى بيوت أبنائهم رافضين أى شكل من أشكال الرعاية المؤسسية الداخلية المغلقة متى توافرت الظروف لذلك[3] .

ولاشك أن لهذا المدخل التقليدي أهميته القصوى بالنسبة لمجتمعاتنا يتفق ، حيث أن الطبيعة الاجتماعية للإنسان العربى وخصائص العلاقات الإنسانية ، فى هذا الصدد كشف استطلاع رأى لعينة من كبار السن فى سلطنة عمان عن رفض أغلبيتهم الرعاية خارج بيئاتهم الأسرية[4] ولقد أكد الإسلام على هذا النمط من الرعاية وأولاه عناية خاصة بحيث

---

(١) راشد محمد ابا الخليل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين فى العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ . ص ٣٦ ، ص٣٦.

(٢) روبرت هوجرنوت : "نحو شيخوخة جديدة" . مجلة العلم والمجتمع ، العدد (٧٥) ، "الشيخوخة وتطور بحوثها"، مجلة ربعسنوية تصدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليونسكو ، باريس ، يونية /أغسطس ١٩٨٩ ، ص٤.

(٣) وحيد الدين خان "الإسلام والعصر الحديث" ترجمة ظفر الإسلام خان النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦ ، ص١٦٨ .

(٤) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التمية" نحو بديل حضارى إسلامى ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ، ، ص ١١٨ ١٩٩١.

جعله الأمان للإنسان حينما يصل إلى هذه المرحلة من العمر ، إن جميع برامج وأجهزة رعاية المسنين على تنوعها ومهما كان مستوى أدائها مرتفعاً وكفاءة العمل بها عالية لايمكن أن توفر للمسنين ماتوفره الأسرة لهم من حب حقيقي وعلاقات حميمية، وأمان ومشاعر إنسانية، كما أن كفالة الأسرة لمسنيها ورعايتها لهم لاتعود فائدته على المسن وحده إنما تعود على أفراد الأسرة جميعاً صغاراً وكباراً فهى تنمى ذلك الشعور بالانتماء الإنساني الذى لابد وأن ينمو فى الأسرة حتى يمتد من أفرادها إلى جيرتهم ومجتمعهم ووطنهم الأكبر(١) وكحل لمشكلة المسنين فى المجتماعات الغربية اقترح "ألفين توفلر" فى كتابه "الموجة الثالثة" ضرورة العودة جزئياً إلى التقاليد التى تجعل المسنين لاينعزلون عن أسرهم وأحفادهم بعمل طوعى من الجيل الناشئ ، مع تقديم المغريات المادية والحكومية (كتخفيض الضرائب مثلا) للأسرة التى تهتم بمسنيها وترعاهم صحياً واجتماعياً ونفسياً بدلاً من تركهم ينتظرون الموت فى دور العجزة(٢) وفى نفس الاتجاه يشير "روبرت هوجوزت" إلى أن أسر وعائلات المسنين أنفسهم ينبغى أن تشكل عنصراً أساسياً فى السياسات الاجتماعية لرعاية المسنين(٣) .

### ٢- مدخل الرعاية المفتوحة للمسنين Open Care for the Aged :

بدأ هذا النظام فى السويد كنظام أساسى لرعاية المسنين فى المجتمع ، وانتقل إلى عدد آخر من المجتمعات الأوربية ، وهو نظام للخدمات لتدعيم الحياة المجتمعية ، ويرمى إلى العمل بعيداً عن الجهود المؤسسية أو الرعاية الأسرية ، ويقصد به أحياناً العيش فى الفنادق الترفيهية أو بخدمات المنازل وهو مايعنى العيش فى وسط من الخدمات ، ويستند هذا النموذج إلى توفير ظروف أسرية محلية أو ظروف بيئية مشابهة للحياة الأسرية للشخص المسن الذى يكون بحاجة للرعاية ويشمل هذا النظام العديد من البرامج والخدمات منها :

خدمات الرعاية المنزلية .

خدمات بيوت التمريض .

خدمات بيوت المسنين .

---

(١) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعى مع المسنين" فى عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم فى السن دراسات نفسية اجتماعية دار القلم ، الكويت ١٩٨٤ ، ص١٩١.

(٢) مظفر صلاح الدين شعبان : "المسنون بين العلم والحضارة" مجلة الفيصل ، دار الفيصل الثقافية ، عدد (٦٨) الرياض ، ديسمبر ١٩٨٣، ص١٢٣.

(٣) روبرت هوجونوت : "نحو شيخوخة جديدة" مجلة العلم والمجتمع ، العدد (٧٥) ، "الشيخوخة وتطور بحوثها" ، مجلة ربع سنوية تصدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليونسكو باريس ، يونية/أغسطس ١٩٨٩ ، ص٥.

خدمات الغرف .

خدمات الرعاية الطبية طويلة الأمد .

ويلاحظ أن غالبية هذه البرامج تقوم على أساس أن المسنين من الفئات المعتمدة على الاخرين ، أى أنهم فاقدون للقوة والقدرة ، ومن هنا فإن هذا النظام ينقصه الاستفادة من المسنين كطاقة إنتاجية فى المجتمع بسبب هذه النظرة السلبية ، ويشير "هوجونوت" إلى أن تطبيق نظام خدمات الرعاية المنزلية فى فرنسا منذ بداية السبعينات ، قد عمل فى أحيان ليست قليلة على تقييد المهارات الذاتية لدعم المسن من قبل جيرانه أو حتى أقاربه ، ومن هنا ظهرت الحاجة من جديد – على حد قوله – إلى تعريف وتعليم وتدريب عائلات المسنين وأقاربهم وجيرانهم وتحريك دوافعهم الذاتية وتقوية إمكانات الدعم الطبيعى لديهم(١) .

٣- مدخل الرعاية المؤسسية المغلقة Institutionalization Closed Care :

وهو أحد الأنظمة التى شاع استخدامها فى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأخرى. وظهرت الحاجة لهذا النظام كنتيجة طبيعية ترتبت على انتهاء (أو انحسار) الوظيفة التقليدية للأسرة فى رعاية أفرادها المسنين وعدم كفايتها – كما سبق أن أوضحنا – فى تحقيق الإشباع الكافى للحاجات الخاصة لهذه الفئات ومن ثم حدث التحول نحو الرعاية المؤسسية ، وعلى الرغم من الآثار السلبية التى ترتبت على تطبيق هذا النظام إلا أن بعض الدراسات تشير إلى أن كلا من النظام الأمريكى والإنجليزى يتجه نحو التوسع فى استخدامه كبديل مناسب لمواجهة حاجات ومشكلات المسنين ، ويغلب على هذا النظام الاتجاه العلاجى والطبى طويل المدى (Medical approach long care) خصوصاً فى الولايات المتحدة الأمريكية(٢) .

وهناك مدخل آخر يعد من أحدث الاتجاهات فى رعاية المسنين ، ويقوم على تهيئة فرص العمل أمام المسنين القادرين فى بعض المشروعات التطوعية ، يشتركون فيها مع غيرهم من المواطنين ، وبالتالى يفيدون بخبراتهم الآخرين مثل مشروعات الخدمة فى المدارس

---

(١) روبرت هوجونوت : "نحو شيخوخة جديدة" مجلة العلم والمجتمع ، العدد (٧٥) ، "الشيخوخة وتطور بحوثها" ، مجلة ربع سنوية تصدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليونسكو باريس ، يونية / أغسطس ١٩٨٩ ص ٤.

(٢) محروس محمود خليفة : "دراسة عن الوضع الراهن لرعاية المسنين فى المملكة العربية السعودية : البرامج والمؤسسات" ، المنامة البحرين ، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ، ١٩٨٢ ، ص٦٥.

والمكتبات والمستشفيات ودور الإصلاح ومراكز الرعاية الصحية وخدمات الهاتف ... إلخ[1] ومن الدول التى أخذت بهذا النظام الولايات المتحدة الأمريكية .

هذا بالإضافة – بالطبع – إلى ذلك النوع من الرعاية المجتمعية ، والذى ينتشر فى أغلب المجتمعات المعاصرة والخاص بمعاشات المتقاعدين والتأمين والضمان الاجتماعى .

## رابعاً : العوامل المؤثرة في السياسات الوضعية الحالية لرعاية المسنين :

تأثرت السياسات الاجتماعيـة الوضعيـة إزاء المسنين بعاملين أساسيين شكلا هـذه السياسات ، ونماذج الخدمات والبرامج والخطط التى تمت في إطارها :

### ١- طبيعة المجتمع الغربي :

لماذا المجتمع الغربي بالذات ؟ الواقع أن الإجابة على هذا السؤال تتمثل في أن السياسات الاجتماعية الحالية لرعاية المسنين السائدة في أغلب المجتمعات هى سياسات غربية، وحتى تلك السياسات التى اعتمدتها المجتمعات النامية ، قد تـأثرت بالتجربة الغربية في هـذا الصدد إما ناقلة أو مقلدة ، ولسنا هنا -بطبيعة الحال- بصدد تحليل طبيعة المجتمع الغربي واستقصاء ظروفه وأوضاعه وثقافته بشكل تفصيلي فإن ذلك يخرج عن نطاق هذا البحث ، إلا أننا نحاول -وفي عجالة- الإشارة إلى بعض السمات التى تميز الثقافة الغربية والتـى تحكم نظرة المجتمع الغربي وتصوره عن الإنسان والحياة والمجتمع ، في محاولة لبيـان انعكاسـات هـذه الثقافة على أوضاع المسنين ومشكلاتهم وعلى سياسات الرعاية الاجتماعية التى تتبناها هذه المجتمعات لرعاية مسنيها أو تلك التى تسير في ركابها وتتأثر بها .

والمتطلع إلى واقع المجتمعات الغربية والمتابع لكتابات الفلاسفة والمفكرين الغربيين يستطيع أن يدرك عناء أن التطور الاقتصادى في الغرب انتهـى في القرن الماضى إلى اعتماد النظام الرأسمالى وبلورته ضمن الفلسفة المادية في الوجود ، والفلسفة الحسية في المعرفة والأخلاق والنفعية البراجماتية في التشريع والسلوك ، ولقـد تمثلت حصيلة التطورات المادية والفكرية والسياسية خلال هذه الحقبة الزمنية في انهيار تام لأركان المجتمع التقليدي بكل نظمه وأفكاره ومؤسساته ونمو متزايد للفردية Individualizm وانهيار تام للانتماءات الاجتماعية وإيمان بأسبقية الفرد على المجتمع والقيم والقوانين ، واهتزاز لنظم كانت شبه مقدسة كالأسرة والطبقة والطائفية والملكية والدين وغير ذلك ، إضافة إلى الاضطرابات الأخرى التى شملت المجتمع الجديد بوصفها جزءاً لا يتجزء من طبيعته ومن أهمها الصراعات

---

(١) حامد عبد الهادى : "اتجاهات حديثة فى رعاية المسنين . أوراق الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ، المنامة ، (٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٨٢) ، ص٤٣.

الطبقية التى ولدتها ظروف العمل الصناعي ونظام المصنع والأشكال المختلفة للاستقلال[1]. "ويشير بيير باسكالون" إلى النمو الليبرالي الاقتصادى الذى تميزت به هذه المجتمعات أدى إلى إفساد الوسط الاجتماعي للإنسان حيث تقوم التنمية الليبرالية على الإقرار بالإنجازات وحرية ممارسة مختلف أشكال الاستقلال الذاتى ، وتؤدى في الأغلب الأعم إلى تمزيق مؤلم للوحدات الاجتماعية التقليدية ، وما يتبع ذلك من اضمحلال النظام العائلى الواسع (الممتد) وزوال النظم الاجتماعية القائمة على العرف ، وإحلال نظم ومؤسسات تقوم على العقد وتكافؤ الفرص ، وبتراخى الروابط العشيرية تتقلص الحقوق المعترف بها للفئات الاجتماعية[2] .

وهكذا فإن أحادية الاتجاه التى ميزت الحضارة الغربية ، وما حققته من إنجازات في الجوانب المادية للحياة ، كانت له آثاره الواضحة على الحياة الاجتماعية ، ويشير فلاسفة الحضارة الغربية أنفسهم إلى أن الخطر الحقيقي الذى يهدد الإنسان الغربي يكمن في أن قدرته على تشكيل ذاته على المستوى الفردي والجماعي قد تراجعت تراجعاً حاداً خلف قدرته على تشكيل بيئته تشكيلاً مادياً[3] ، كما أن الدرجة العالية من التحديث والتقدم الصناعي الذى وصلت إليه هذه المجتمعات قد أدى إلى تقليل درجة التكامل الاجتماعي Social Integration وانتشار العديد من الظواهر التى تمس سلامة الحياة الاجتماعية والتى أصبحت تقلق بال الفلاسفة والمفكرين وتزعج صناع القرار في هذه المجتمعات ومن هذه الظواهر :

* تقلص الأسرة الغربية (بناء ووظيفة) بل أنها أصبحت على حد تعبير (بوم وبوم Boum and Boum) تواجه خطر الاختفاء تماماً[4] .

* ارتفاع معدلات الجريمة وانحراف الأحداث وفشل المؤسسات الاجتماعية في مواجهة هذه المشكلات .

* التركيز على الثراء والنجاح الاقتصادي مع إهمال إنسانية الإنسان وإغفال قيمة العلاقات الإنسانية بين الناس بحيث أصبح الفرد يركز قواه العقلية في خدمة وجوده المادي

---

(١) محمود عودة : "نشأة علم الاجتماع" دراسة في سوسيولوجيا المعرفة ، في دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ ، ٥١.

(٢) بيير باسكالون : "نظرات في هذا الزمان" أو تأملات في النمو ترجمة صلاح الدين برمدا ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨٥، ص ٢٢٢.

(٣) محمود حمدى زقزوق : "الحضارة فريضة إسلامية" للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، فبراير / إبريل ١٩٩٢ ، ص ص ٣٢ – ٣٣.

(٤) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ٣٦ ، ص ٥٦.

الخاص ، وأصبحت الرفاهية المادية وزيادة الدخل ، وثقافة الاستهلاك هى أسمى درجات المثل الأعلى الذى تتحرك نحوه إرادة الإنسان .

* انتشار الاضطرابات النفسية والعصبية كنتيجة طبيعية لفقدان المعنى والهدف الذى يعيش الإنسان من أجله والفراغ الروحى والضياع العقدى وانعدام هداية الوحى .

– والآن ما هى الآثار التى ترتبت على كل هذه المظاهر – التى تشكل طبيعة المجتمع الغربي – على نظرة هذا المجتمع للمسنين وعلى سياسات الرعاية ؟

في هذا الإطار يمكن الإشارة إلى عدد من هذه الآثار:

* إن تمجيد الثقافة الغربية للعمل والإنجاز ، وتقويمها المتعاظم للتنافس والتفوق والنجاح يؤدى إلى تدهور مكانة المسنين في المجتمع .

* من الطبيعي في ظل هذا التوجه أن يهتم المجتمع بشكل أساسي بتوجيه الاستثمارات لخدمة صغار السن والشباب ، وأن يوضع المسنون في قائمة الجماعات (أو الفئات) ذات الأولوية في الاستفادة من البرامج والخدمات .

* إهمال أثر الدين والنواحى الروحية في التوافق الاجتماعي والنفسي للمسن ، وانعدام البعد الروحي في سياسات الرعاية الاجتماعية التى تنتهجها هذه المجتمعات لرعاية مسنيها .

* إن طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الغربي – من الضعف والترهل – بحيث لا تستطيع أن تلزم الأبناء أن يأخذوا على عاتقهم مسئولية ذويهم وأقاربهم من المسنين .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن ثمة ظواهر لها أثرها البالغ على وضعية المسنين وسياسات رعايتهم في المجتمعات الغربية نذكر منها :

### * صراع الأجيال :

لقد أثبتت العديد من الدراسات التى أجريت في المجتمعات الغربية اتساع المسافة النفسية والاجتماعية بين المسنين وبين الجيال اللاحقة نتيجة لسرعة وشمول التطورات الاجتماعية التى تتعرض لها هذه المجتمعات ، وما يسود اتجاهات الشباب نحو المسنين من رفض غالباً ، الأمر الذى يؤدى إلى نوع من الصراع بين المسنين والفئات العمرية الأخرى يطلق عليه البعض : "الصراع بين جماعة الأكثرية والأقلية"(١) ، وتتمثل هذه الظاهرة في شيوع الاتجاهات السالبة وغير المرغوب فيها بين الشباب نحو المسنين من ناحية ، والسخط الذى يسود الكثيرين من كبار السن نحو جيل الشباب كنتيجة طبيعية لهذه الاتجاهات خاصة،

---

(١) طلعت منصور غبريال : "دراسة في الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتى"، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص ٩٧.

وأن كبار السن يبدون اهتماماً بالغاً وحساسية مفرطة حول ما إذا كانوا موضع قبول أو رفض من الشباب والراشدين والمحيطين بهم بصفة عامة .

ويمثل هذا الصراع إحدى المشكلات الهامة التى ينشأ عنها سوء توافق المسنين مع أفراد المجتمع ، كما ينعكس على اتجاهات السياسة الاجتماعية التى تجعل من المسنين مشكلة عبء اقتصادى واجتماعي على المجتمع .

وإذا كان التواصل بين الأجيال قد أفقده التحضر بعض الود وكثيراً من التراحم في بعض المجتمعات الإسلامية ، الأمر الذى أدى بدوره إلى اختلال منظومة العلاقة بين الأجيال وتحول مقاييس الكيف في علاقات الجيرة والأرحام إلى مقاييس الكم والوحدة النقدية(١) ، فإن ذلك لم يحدث إلا نتيجة للتخلى عن القيم الإسلامية التى تعمل على تقريب المسافات بين الأجيال وحلول قيم مستحدثة محلها تقوم على المصلحة المتبادلة والمنفعة المادية خاصة مع موجة الانفتاح التى تسود هذه المجتمعات .

إن الإسلام لا يسمح بما يسمى "بالصراع بين الأجيال" فهو يربى الصغار والشباب على احترام وتوقير كبار السن وإجلالهم ، وأن ما وصل إليه الشباب من علم وخبرة صنع الكثير منه جيل الشيوخ والكبار ، "من علمنى حرفاً صرت له عبداً" قيمة سامية تقوم على الوفاء والاعتراف بالحق وإرجاع الفضل لذويه ، كما أن الشيخوخة مرحلة حتمية يصل إليها كل إنسان ، وتقدير الأجيال اللاحقة للمسنين ورعايتهم هو أمر سيرتد إلى هذه الأجيال : ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾(٢) .

وفي الحديث : "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"(٣) .

إن هذا الحديث الشريف يعكس رؤية الإسلام الفريدة والمتميزة لما ينبغى أن تكون عليه العلاقات بين الأجيال والفئات العمرية المختلفة ، رحمة للصغير وتوقيراً للكبير في تواصل مستمر يعكس الاستمرارية بين مختلف الأجيال .

وتأتي توجيهات الإسلام في هذا الصدد لتأخذ مساراً ذا اتجاهين فيوصى الشباب بالكبار خيراً : ففي الحديث : "ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله من يكرمه عند سنه"، وفي ذات الوقت وعلى نفس المستوى يوصى الكبار بالشباب : "أوصيكم بالشباب

---

(١) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التنمية" نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٩٨.

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٠ .

(٣) رواه الترمذى .

خيراً فإنهم أرق أفئدة .." الحديث[1] ، وهكذا فالمسلمون - وفق تعاليم الإسلام - يؤمنون بالتقاء الأجيال وتكاملها ، والكبار منهم (الشيوخ) يفرقون - أو ينبغى لهم أن يفرقوا - بين فريضة تقديم التجربة الكاملة إلى الجيل الجديد وبين ما يوصف بأنه وصاية على الأجيال الصاعدة .

* المسنون ضحايا الجريمة :

فلقد تزايدت معدلات الجرائم التى تقع على المسنين ، وتشير الدراسات إلى تنوع هذه الجرائم كالسرقة والنشل والاحتيال والقتل والإيذاء ، الأمر الذى حدا بالمؤتمر الدولي للمسنين الذى عقد في "فينيا" إلى إصدار التوصية رقم (٢٣) والتى تقول[2] : "إن تزايد حدوث الجريمة ضد كبار السن في بعض البلدان لا يقع ضحية لها أولئك الذين تأثروا بها مباشرة فحسب بل العديد من كبار السن الذين أصبحوا يخشون ترك مساكنهم ، وينبغي توجيه الجهود نحو الهيئات المنفذة للقانون ونحو كبار السن لزيادة وعيهم بمدى الجريمة التى ترتكب ضد كبار السن وآثارهم عليهم" .

إن هذه الظاهرة وانتشارها بهذا الشكل - خاصة وأن ضحاياها هم المسنون وهم الفئة المستضعفة في المجتمع - لا يمكن مواجهتها بالقوانين والأجهزة الأمنية فحسب ، بل تأتى هنا أهمية القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية التى تشكل وازعاً داخلياً يكبح جماح الفرد ويضبط سلوكه ، ويمنعه من الانحراف ، الإسلام يقدم الحل الأمثل لمثل هذه الظواهر ، وهو حرب على الجريمة وعلاج لكل انحراف، ومنهجه الواقعي في معالجة هاتين الظاهرتين الاجتماعيتين المرضيتين طريقتان لا ثالث لهما[3] :

* غرس الوازع الدينى وإيقاظ الضمير وذلك بالتربية الخلقية وتهذيب النفوس : "الأسلوب الوقائى" .

* أسلوب الردع والجزاء الذى يقوم عليه النظام الجنائي الإسلامي ، لذلك شرع الله الحدود والقصاص والتعزيرات : "أسلوب علاجي" .

---

(١) إسماعيل العجلونى الجراحى : "كشف الخفاء ومزيل الإلباس" ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣ ، ص ٢١٥.

(٢) محمد رياض الخانى : دور الطب الوقائى في الجرائم التى ترتكب من المسنين أو عليهم" المجلة العربية للدراسات الأمنية ، العدد (٦) ، الرياض ، شوال ١٤٠٨ ، ص ٧٣.

(٣) محمد سلام مدكور : "تحديد المسئولية الجنائية في الشريعة الإسلامية" أبحاث الندوة العلمية لدراسة أثر تطبيق الشريعة في مكافحة الجريمة ، الرياض ١٣٩٦ ، ص ٤.

* **انتحار المسنين :**

وفي ظل مجتمعات ينظر فيها للشيخوخة على أنها مصدر للتعاسة والشقاء والعزلة وانعدام الفائدة، كان طبيعياً أن تتزايد معدلات انتحار المسنين نتيجة للشعور بعدم التقبل للذات واليأس والقنوط والإحساس بالإهمال ، خاصة وأن قوانين العقوبات في العالم الغربي لا تعتبر الانتحار (Suicide) جريمة ولا تعاقب المنتحر ، وفي هذا الإطار انتشرت في السنوات الأخيرة ما يسمى بظاهرة الموت الرحيم "اليوتانازيا" (Mercy Killing - Euthanasia) عن طريق قطع وسائل الإنعاش عن المسن بناء على رغبته[1]، ولسنا في حاجة إلى التأكيد على العلاقة الوثيقة بين انتشار هذه الظواهر في المجتمعات الغربية وبين الفراغ والخواء الروحي الذى تعانى منه هذه المجتمعات ، والذى يجعل الفرد في حاجة ماسة إلى تفسير مقبول للحياة وفلسفتها يساعده على حل مشاكله المتزايدة والتى ينشأ بعضها بسبب اجتثاث العامل الروحي من تكوينه[2] ، إن الإيمان يمثل بحق "سكينة النفس" ويمثل الدواء الحقيقي من أمراضها وبخاصة تلك الأمراض الناجمة عن الخوف واليأس والقلق ، وما أجمل ما قاله بعضهم حين وصف الإيمان بأنه :

"سند العزائم في الشدائد ، وبلسم الصبر وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ ونور الأمل في الصدور ، وسكن النفس إذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه" .

## ٢- العلوم الاجتماعية والسلوكية :

تقوم سياسات الرعاية الاجتماعية ضمن ما تقوم على ما توصلت إليه العلوم الاجتماعية والسلوكية من نتائج ونظريات فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع ، ومن هنا فإن نجاح هذه السياسات إنما يتوقف على درجة صدق تلك النتائج وأصالتها في إعطاء تفسير مقبول للسلوك الإنساني والحياة ، ولا شك أن تاريخ هذه العلوم والمدى الذى وصلت إليه لجديرة بأن تضع أيدينا على حقيقة لا يجادل بشأنها إلا مكابر – ويبقى أن هذه العلوم وإن تكن قد انتشرت اليوم في العالم كله إلا أنها في منشئها – ومن غير إنكار للجهود التي سبقتها

---

(١) محمد رياض الخانى : "دور الطب الوقائى في الجرائم التى ترتكب من المسنين أو عليهم" المجلة العربية للدراسات الأمنية ، مركز الدراسات الأمنية ، العدد (٦) ، الرياض ، شوال ١٤٠٨ ، ص ٧٦.

(٢) مالك بدرى : "علم النفس الحديث من منظور إسلامي" بحث مقدم إلى اللقاء العالمي الرابع حول قضايا المنهجية في العلوم السلوكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الخرطوم ، (١٥ - ٢٢ يناير ١٩٨٧) ، ص ٢.

وأهمها جهود العلماء المسلمين – عمل أوروبى ، وما زالت قيادتها الفكرية عند الغربيين(١)، وبالتالي فهى تأثرت بطبيعة المجتمع الغربـي ، وتعكس نظرياتها قيم هذا المجتمع ومفاهيمه ومعتقداته وغاياته ، وتشكل بالتالى على تلك الأسس والغايات الغربية مختلف ألوان السلوك والنشاطات في المؤسسات الاجتماعية .

وفي ضوء هذه الحقيقة يحذر "المختارى" من الركون إلى هذه العلوم وما توصلت إليه من نتائج (كما هى) عند دراسة وتحليل المشكلات الاجتماعية والقضايا الإنسانية في المجتمع الإسلامي ، فيقرر : أن علم الاجتماع كما يدرس حالياً في الغرب ومن حيث هو نموذج مرجعى لباقى التحاليل الأخرى ، بالرغم من قيمته التحليلية والإجرائية لا يمكن اعتماده أو الركون إليه نموذجاً علمياً لتحليل وتشريح مشاكل الأمة لأنه وليد أمور اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة والهدف والمثال والنماذج التى يريد بناءها(٢) ، ويشخص "رجب" أزمة هذه العلوم وقصورها عن فهم الإنسان والمجتمع ، حين يقرر "أن ذلك إنما يرجع إلى"(٣) :

* أن هذه العلوم استبعدت تماماً كل ما يخضع للملاحظة من نطاق الدراسة وأخرجت الجوانب الروحية المتعلقة بصلة الإنسان بربه من نطاق الدراسة العلمية فأهملت بذلك قطاعاً كاملاً من العوامل الحاكمة على السلوك البشري والتنظيم الاجتماعي .

* أنها استبعدت الدين والوحى كمصادر للوصول إلى المعرفة العلمية الصحيحة نتيجة لما شاب الديانات السائدة في الغرب فيما يتصل بنظرتها للعلم وفي تعاملها مع رجاله فأضاعت بذلك كل أمل في الهداية المستمدة من الوحى الصحيح في دين الإسلام .

* أنها زعمت لنفسها حياداً قيمياً لم تلتزم به في الواقع فاتحة المجال لاعتبار قيم الثقافة بمثابة المعيار الذى يقاس إليه كل تقييم إنساني أو متجهة إلى نسبية قيمية أضاعت كل تقييم .

ويؤكد "رايموندس" عالم الاجتماع الأمريكي المعاصر على هذا القصور الذى شاب هذه العلوم حين يقول(٤) :

---

(١) جعفر شيخ إدريس : "إسلامية العلوم وموضوعيتها" ، مجلة المسلم المعاصر ، تصدرها مؤسسة المسلم المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد (٥٠) ، ديسمبر / فبراير ١٩٨٧ / ١٩٨٨م ، ص ٨.

(٢) أحمد المختارى : "نحو علم اجتماع الإسلامي" ، مجلة المسلم المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، العدد(٤٣) ، السنة (١١) ، ١٤٠٥ ، ص ٤٨.

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "المنهج العلمى للبحث من وجهة نظر إسلامية في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية"، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، (١٠ – ١٣ أغسطس ١٩٩١) ، ص ٣١.

(٤) نبيل السمالوطى : "الايدولوجيا وأزمة علم الاجتماع" ، دار الكتاب الجامعى ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٤٣.

"إن العلوم الاجتماعية الموضوعية لم تعد تكفى الإنسان المعاصر لأنه يسعى إلى حلول لمشكلاته المادية والنفسية والاجتماعية ، ويسعى دائماً وراء توجيهات تخلصه من محنته الدنيوية فهو في حاجة إلى استجلاء معنى الحياة والوجود الإنساني" .

ولقد كان طبيعياً – في ضوء ذلك كله – أن تتعالى صيحات العلماء والمفكرين في المجتمعات الإسلامية لتنادى بضرورة وأهمية توجيه هذه العلوم توجيهاً إسلامياً ، خاصة وأن هذه العلوم بوضعها الحالي – تتضمن في أصولها المنهجية وتصوراتها الفلسفية التى تستند إليها عداءً ظاهراً أو خفياً للتصور الدينى جملة والتصور الإسلامي على وجه الخصوص ، كما أننا لدينا بحمد الله – التعاليم الإلهية الصحيحة التى تشكل خميرة هذه العلوم الإنسانية وأدواتها والكثير من وسائلها وتبصر بوظائفها .

فإذا كانت الثقافة الغربية تضع حدود المعرفة في إطار الفهم الجزئي للوجود ، فإن الثقافة الإسلامية تجتاز حدود المعرفة في إطار الفهم الكلي للوجود ، فالإسلام يحيط بفهم كليات الحياة وذلك بسبب أنه يفسرها تفسيراً شاملاً للأبعاد النهائية كالموت والولادة ويعتمد في ذلك على اختيارات وجدانية بالحدس(١).

## خامساً : جوانب القصور في السياسات الوضعية وفق الرؤية الإسلامية :

بعد العرض السابق للسياق الاجتماعي والثقافي والعلمي الذى نشأت في إطاره وتأثرت به السياسات الوضعية إزاء المسنين في المجتمعات الغربية ، والتى تعتبر معظم السياسات والبرامج الموجهة نحو رعاية المسنين في المجتمعات الإسلامية ، نعرض فيما يلى لأهم أوجه القصور في هذه السياسات والتى أثرت إلى حد كبير على درجة فعاليتها في مواجهة مشكلة المسنين وذلك في ضوء التصور الإسلامي :

### ١– بين التجانس والاختلاف :

قامت هذه السياسات على أساس النظر إلى كبار السن على أنهم يمثلون جماعة أو فئة واحدة متجانسة بشكل عام ، ولذلك فإن صناع السياسات والمهتمين بوضع الخطط والبرامج التطبيقية كانوا يحرصون على أن يضعوا نصب أعينهم هذا التجانس المفترض بين هؤلاء الناس عند التخطيط من أجلهم(٢) ، ولكن الحقيقة أن المسنين لا يمثلون فئة عمرية واحدة ، ولا يمثلون تجانساً في تركيب وبناء الفئة العمرية بل على العكس من ذلك تتضمن

---

(١) ليوبولد فايس : (محمد أسد) : "الإسلام على مفترق الطرق" ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤، ص ٣٥ – ٣٤.

(٢) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٦ .

تبايناً واختلافاً في نمط المسن وتاريخه الاجتماعي ونوع صلته بالله – عز وجل – فضلاً عن الاختلافات الأخرى المرتبطة بالحالة الصحية ، الخلفية ، الثقافية ، الوضع الأسرى ، القيم ، الجنس .. إلخ ، مما يعنى صعوبة وضع برامج ذات صفة عامة (Universal Programmes) عند التخطيط لرعاية المسنين .

ومن ثم فإن هذه الفروق والاختلافات التى أثبتتها نتائج البحوث الاجتماعية ، وهذا "اللاتجانس" بين المسنين ، إنما يترتب عليه عدة أمور فيما يتعلق بالسياسات الاجتماعية لرعاية المسنين نشير إليها فيما يلى :

أنه لا يمكن لصانعى السياسات الاجتماعية وواضعى البرامج أن يتغاضوا عن هذه الفروق والاختلافات ، وإلا جاءت هذه السياسات والبرامج مخالفة للواقع وبالتالي مفتقدة لأهم مقومات نجاحها وفعاليتها وهو "الواقعية" .

* أن "اللاتجانس" يعطى المخططين مجالاً أوسع للعمل مع أفراد وجماعات هذه الفئة العمرية بحسب إمكاناتهم وظروفهم وانتماءاتهم ، وبحسب احتياجات المجتمعات المحلية ، والجوارات السكنية التى يقطنونها ، لا في مجال رعاية المسنين فحسب وإنما في مختلف مجالات الرعاية الاجتماعية .

* أنه وعلى المستوى التطبيقي فإن الممارسة المهنية وبرامج التدخل المهني لمواجهة مشكلات المسنين في محيط الخدمة الاجتماعية ينبغى أن تضع في اعتبارها هذه السمة "اللاتجانس" ويؤكد (مير وما كلويد) على هذه الحقيقة بقولهما : "إن النسق القيمي للخدمة الاجتماعية يقوم ضمن ما يقوم على الاعتقاد بفردية كل إنسان وبأنه من المتعذر تصنيف الناس في قوالب جامدة بناء على معيار واحد أو أكثر"(١) .

* أن هذه الاختلافات إنما تبرز أهمية المدخل الأسرى لرعاية المسنين ، ذلك لأن الخصوصية المتميزة لكل حالة من حالات المسنين إنما تلقى عبئاً ضخماً على سياسات وبرامج الخدمات العامة ، ومن ثم يمكن للأسرة أن تسهم بفاعلية أكثر في رعاية أفراد هذه الفئة في بيئاتهم الطبيعية وبدون عزلهم عن الحياة الاجتماعية في المجتمع متى توافرت الظروف الملائمة لذلك ، ومن هنا فإن الإسلام حين يؤكد على رعاية المسنين في محيط الأسرة ويعطى لها الأولوية المطلقة فإنه يقدم علاجاً شافياً لهذه الإشكالية التى لا يمكن لصانعى السياسة الاجتماعية أن يتهربوا منها ، ليبقى بعد ذلك أولئك الذين لا أسر لهم أو الذين يحتاجون إلى رعاية من نوع خاص .

---

(1) Danna L . Maceod & Henry J. Meyer ; " A Study of the Values of Social Workers in Ewin J . Thomas , ( eds ) , " Behavioral Social for Science Workers " n , j ,; hte free press , 1967 , p . 405.

* أنه وعلى الرغم من أن النظرة التخطيطية لبرامج رعاية المسنين لا يمكن أن تتهرب من إيجاد تصنيف مقبول يسمح بالتعامل مع المسنين كفئات وليس كأفراد ، إلا أن ذلك لا ينبغى أن يعنى بحال وضع جميع المسنين في (سلة واحدة) والتعامل معهم بنوع من التعميم (التعسفى) ، بل يعنى ضرورة إيجاد معايير للتصنيف المقبول التى يمكن تصميم برامج رعاية المسنين في ضوئها دون تعسف ، وفي هذا الصدد يمكن اقتراح مجموعة من المعايير للتمييز بين الفئات المختلفة للمسنين لأغراض صنع السياسات وتخطيط البرامج .

**٢- بين العجز والقدرة :**

وترتبط هذه النقطة بما سبقها ، إذ أن الاعتقاد بتجانس المسنين كان قوامه النظر إليهم على أنهم من الفئات المعتمدة على الآخرين وأنهم فاقدون للقدرة والقوة ، وأن كبر السن ما هو إلا حالة من العجز الجسمي والعقلي والنفسي ، والواقع أن هذه النظرة إنما ترجع إلى عدة عوامل لعل أهمها :

* ذلك الاتجاه الذى يقسم الحياة إلى مراحل متعاقبة تتميز كل منها بسمات معينة كما لو هناك انقطاع وانفصال بين كل مرحلة وأخرى ، في حين أن حياة الإنسان ما هى إلا مسيرة متكاملة ووحدة متصلة لا انفصال بينها .

* النظر إلى الشيخوخة في ذاتها على أنها أحد الأمراض أو أنها حالة "باثولوجية" .

* أن الدراسات المختبرية أثبتت أن أداء المسنين أقل أداء من صغار السن ، إلا أن "كرندال" يؤكد على أنه "يجب علينا في هذا الصدد أن نلاحظ عن حق أن فروق الأداء ليست كبيرة" ، ويقول أيضاً "نشك أن تكون هذه الفروق ذات أهمية في معظم حالات الحياة اليومية[1].

* ارتباط الشيخوخة تاريخياً وتراثياً بسن الإحالة إلى التقاعد حيث ينتقل الإنسان في سن معينة إلى حالة من البطالة الاجتماعية وما يتبعها من الكسل والعجز والوهن .

وفي ضوء هذه النظرة وجدنا من يشير إلى أن كبار السن سيعتبرون الفئة من البسكان ذات العقول المصابة الخربة[2] ، وذيوع الاعتقاد بأن مشكلة المسنين تكمن أساساً في ضعفهم الجسماني وانهيار قواهم البدنية ، ولقد ترتب على ذلك عدة نتائج لعل أهمها :

* أن السياسات الوضعية قد قامت على أساس هذه النظرة السلبية للمسنين ، كيف أنهم يحتاجون دائماً (وعلى وجه العموم) إلى الرعاية تقدمها لهم ويتضح ذلك من مراجعة نماذج الخدمات والبرامج المقدمة للمسنين والتى قامت على هدى هذه السياسات .

---

(١) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" ، دار الخريف ، الرياض ١٩٩١ ، ص ٤٥ .

(٢) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربى"، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٦ .

* أن هذه السياسات والبرامج قد أعطت جل اهتمامها للمشكلات والآثار الصحية المترتبة على الكبر ، والرعاية الطبية طويلة المدى وأغفلت الجوانب الأخرى .

* أن سياسات وبرامج الرعاية المستندة إلى هذا التصور تغفل عنصراً هاماً يتمثل في وضع الخطط والبرامج التي تكفل إفساح المجال أمام المسنين للاستفادة منهم كطاقة إنتاجية في المجتمع .

* أن لهذه النظرة انعكاساتها السلبية على الفكرة التي يكونها الإنسان عن مرحلة التقدم في العمر ونظرته لها على أنها مرحلة العجز واليأس والقنوط وأنها مصدر للتعاسة والشقاء والانزواء عن الحياة .

* أن النظر إلى المسنين على أنهم بحاجة إلى العطف والشفقة نتيجة عجزهم يترتب عليه تدهور منظومة المكانة الاجتماعية لهذه الفئة في المجتمع .

أن هذه النظرة السلبية للمسنين تحتاج إلى مراجعة في ضوء تعاليم الإسلام التي ترفض الربط بين السن والعجز ، وبالتالي ترفض الربط بين السن وبين القدرة على العطاء ، فالإنسان في التصور الإسلامي مكلف بالعمل والعطاء لا إلى أن يبلغ سناً معينة وإنما إلى آخر لحظة من لحظات حياته ما دام ذلك ممكناً، والقرآن لم يربط النبوة بالعمر ، وعرض نماذج النبوة في نسق ممتد ، وذكر أنبياء تقدمت بهم السن وطالت بهم الدعوة إلى الله "كإبراهيم وزكريا ونوح" على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ومن ناحية أخرى فإن مشاهد السيرة النبوية تدلنا على أن المجاهدين الأوائل لم يكن يمنعهم من الخروج إلى الجهاد بلوغهم مرحلة الكهولة أو الشيخوخة ، إذ إن الجهاد في سبيل الله يظل فريضة ما دام الإنسان قادراً ، فالقدرة لا ترتبط إطلاقاً بالسن حيث أن الضعفاء هم أصحاب الوهن في أى عمر[1] .

فالتقدم في العمر إذاً لا يعني "العجز" ولا يعنى التوقف عن العطاء في منظور الإسلام، وهو بهذا يفتح الباب أمام المسنين للمشاركة الإيجابية الفعالة في الحياة العامة ما داموا قادرين على ذلك ، ينظر إلى هذه المشاركة على أنها تكليف للمسلم لا يسقط ببلوغه حداً معيناً من السن وإنما يسقط فقط عند عدم الاستطاعة والقدرة على الوفاء به وفي هذه الحالة فإن الإسلام يوفر له الرعاية الواجبة حيث يكون .

## ٣- بين الجزئية والشمول :

تعتمد السياسات الحالية على النظرة الجزئية التي تفتقر إلى الشمول والتوازن وضبط النسب عند تعاملها مع المسنين نتيجة "للتجانس" المفترض بينهم من ناحية ، ونتيجة للرؤية القاصرة لمشكلاتهم من ناحية أخرى ، ولذلك كان من الطبيعي أن تركز هذه السياسات والبرامج على جوانب معينة من مشكلة المسنين وتغفل جوانب أخرى بسبب النظرة الأحادية

---

(١) صلاح عبد المتعال : "مستقبل التنمية" نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ١٩٩١.

الضيقة التى تتوهم أنها اكتشفت الحقيقة المطلقة كلها ، وفي هـذا الصـدد نجـد الـتركيز على البرامج الصحية والخدمات الطبية ، أو التركيز على الجوانب الاقتصادية وتأمين الدخل ، دون النظر إلى المسنين من منطلـق شمـولي ، والواقـع أن قضايـا المسـنين – كمـا تؤكـد الدراسـات العلمية – ليست قاصرة على هذا الجانب أو ذاك وإنما هى قضايا متعددة ومتنوعـة ، وبالتـالى تتعدد الاهتمامـات والتخصصـات التى تتناولها فهنـاك الجـانب الصحـي ،والاقتصـادي ، والاجتماعي ، والتعليمي ، والترويحي ، والروحـي ، والعلمـي ... إلخ . والتصـور الإسـلامي يرفض عقلية التبعيض والتفكيـك والنظرات الجزئيـة ، ويعتمـد علـى التفكـير الشـامل الـذى يتناول الظاهرة من جميع جوانبها ويتحري جميـع أجزائهـا ومـا يتعلـق بهـا ، ومـن ثـم يوجـه الجهود بشكل متوازن إلى جميع هذه الجوانب ، في رعاية شاملة متكاملة.

## ٤– بين التقاعد الإجباري والعمل المستمر :

تقوم السياسات الوضعيـة علـى افـتراض أساسـي مـؤداه : أن مجـرد الإحالـة للتقـاعد تصيب الإنسان بالأمراض الجسمية والعقلية ، وتدفعه إلى الانطواء والانزواء عن الحياة العامة، وأن اعتزال الخدمة له آثاره العقلية والجسمية الضارة بالنسبة للمسـن ، ويرتبـط هـذا التصـور بطبيعة المجتمع الغربي الذى يمجد القوة والشباب ويقدس العمل والإنجاز ، ولكـن الحقيقـة أن التقاعد – في حد ذاته – ليس هو المسئول أو السبب المباشر لتلك الأعراض الجسمية والعقلية أو حتى الاجتماعية ، وإنما المسئول عن ذلك – ما أشارت الدراسـات والبحـوث العلميـة – "هو بقاء المتقاعد واسـتمراره في حالـة مـن الركـود دون تشـغيل طاقاتـه واسـتثمار إمكاناتـه كعنصر قادر علـى العطـاء ، الأمـر الـذى يؤكـد الحاجـة إلى سياسـات عامـة تنمـى قـدرات المتقاعدين وتستثمرها في مصالحهم وصالح مجتمعهـم"(١) ، وفي هـذا الصـدد يصبـح الإنفـاق على المسنين هو استثمار دائم له عائده المجزى علـى المسـن وعلـى المجتمـع في نفـس الوقـت ، ولقد أوصت خطة العمل الدولية التـى وضعتهـا الأمـم المتحـدة في عـام ١٩٨٢م بعـدم سـن القوانين التى تحرم أو تستبعد القيام بأعمال إضافية بعد التقاعد ، واقترحت أن تتخـذ التدابـير اللازمة لمساعدة المتقاعدين والمسنين على القيام بأعمال جزئية(٢) .

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد أنه لا يعترف "بالتقاعد الإجبـاري" ومـا ترتـب عليـه مـن حرمان الإنسان من حق أساسي كفله الإسلام وأوجب على ولاة الأمور تهيئة المنـاخ الملائـم

---

(١) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٦٠ .

(٢) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة في الوطن العربي" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٥٠ .

له ليمارس من خلاله هذا الحق ، وإذا كانت الظروف والمستجدات قد دفعت الدول والحكومات إلى سن القوانين التى تحدد سنا معينة لاعتزال العمل الرسمي (الوظيفة) لإتاحةالفرص للشباب والأجيال الصاعدة لأداء دورها في خدمةالمجتمع ، فإن هذا لا يعني - أوينبغي أن لا يعنى - حكماً على الإنسان بالتحول إلى نوع من البطالة والعجز والكسل والخمول والاعتماد على الآخرين ، ومن هنا فإن الرؤية الإسلامية لا تعترف بتلك المقولة التى تربط التقاعد والإصابة بالأمراض العقلية والجسمية لسبب بسيط وهو أن مفهوم العمل في الإسلام لا يقتصرعلىذلك النوع من العمل الذى يخضع صاحبه للتشريعات المنظمة للتقاعد ، أعنى العمل الرسمي أو "الوظيفة الرسمية" كما هو الحال في المفهوم الوضعي ، إذ إن آفاق العمل مفتوحة أمام المسلم للدين والدنيا ، وليس لقوة أن تقف في طريقه أو تمنعه عن العمل بما دام قادراً عليه وراغباً فيه ، بل وربما ينظر المسلم إلى التقاعد عن العمل الرسمى أواعتزال الخدمة على أنه متغير إيجابي في حياته يحرره من قيود الوظيفة ويطلق لطاقاته وقدراته العنان في أعمال تعود بالنفع عليه وعلى أسرته ومجتمعه وأمته ودينه ، إن الإسلام يرى أن مهمة الإنسان في الحياة الدنيا هى خلافة الله في الأرض : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة ..**﴾(١) ، وأن دوره في أداء هذه المهمة وغايته منها هو عبادة الله -عز وجل- : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾(٢) .

ومفهوم العبادة في الإسلام يتسع حتى أنه يشمل جميع الأعمال والأنشطة والمشاعر وحتى الرغبات التى يطلق لها العنان في سبيل الله وابتغاء مرضاة الله .

ومن هنا فالعمل جزء من العبادة في تصور الإسلام ويرتبط العمل في القرآن الكريم بالإيمان ويرتبط بقيمة أخرى هى إتقان العمل واستمراريته حتى"ولو قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" ، كما جاء في الحديث الشريف(٣).

وفي ضوء ذلك ينبغى أن تقوم السياسات الاجتماعية لرعاية المسنين وفق الرؤية الإسلامية على أساس النظر إلى كبار السن باعتبارهم طاقة منتجة لا مجرد عالة على المجتمع ، والوضع يؤكد ذلك فإننا نرى القادة والحكام والسياسين والعلماء على مستوى كثير من المجتمعات هم من كبار السن الذين تؤازرهم الحكمة والخبرة والحنكة التى اكتسبوها على مر السنين .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٣) رواه أحمد .

كذلك فإن مبدأ الشورى في الإسلام يتيح الفرصة أمام كبار السن ليشعروا بقيمتهم وكيانهم في خدمة مجتمعهم في شتى مجالات الحياة بإسداء النصح والمشورة ، وتقديم الآراء والخبرات التى ترتبط بمجالات تخصصهم ، قال تعالى في سمات المؤمنين : ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾(١)، وقال : ﴿**وشاورهم في الأمر ..**﴾(٢) .

إن كبار السن لهم أهميتهم الخاصة عند تطبيق هذا المبدأ في حياة المجتمع المسلم ، ويحتوى تاريخ الإسلام على العديد من المواقف التى رجع فيها أولو الأمر إلى الشيوخ وكبار السن للاستفادة بآرائهم في إدارة دفة الأمور أو إيجاد الحلول لما يواجههم من مشكلات .

## ٥- بين الحاجات المادية والأشواق الروحية :

سبق أن أشرنا إلى أن سياسات وبرامج رعاية المسنين تقوم على النظرة الآلية المادية للإنسان مع إغفال الأبعاد الروحية ، سواء في تفسير سلوك الإنسان في هذه المرحلة العمرية والمشكلات التى يتعرض لها ، أو في الجهود والبرامج التى توجه لرعاية المسنين ومواجهة مشكلاتهم ، وقد ترتب على ذلك الاهتمام بإشباع الحاجات المادية - باعتبارها هى الأساس - مع إغفال الاحتياجات والأشواق الروحية إلا نادراً .

ويود الباحث هنا أن يشير إلى أنه لا يميل إلى التقليل من قيمة وأهمية الحاجات المادية لكبار السن ، وإنما يود التأكيد على خطورة إغفال الجوانب الروحية وإشباع الحاجات والأشواق الروحية للإنسان وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج لا تفلح الجهود والخدمات المادية في مواجهتها أو تلافيها .

ويشير "إبراهيم رجب" إلى أن إغفال سياسات الرعاية الاجتماعية للأبعاد الروحية نشأ عنه عدم اكتراث بقيمة العلاقات الاجتماعية الطبيعية بين الناس وجرأة شديدة على تقطيع أوصال العلاقات الإنسانية بشكل مصطنع عند تصميم برامج الرعاية الاجتماعية(٣) ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك انتشار مؤسسات رعاية المسنين ، وما يترتب على إيداع المسن من آثار نفسية واجتماعية كما سيتضح .

والتصور الإسلامي للإنسان يقضى بأن توجه الجهود في توازن وشمول لكافة جوانب الإنسان، كما أن أى جهد يخلو من إرضاء الجانب الروحى في الإنسان لا يخلف وراءه إلا الإحساس بعدم الرضا رغم كل مظاهر التقدم المادي التى يمكن تحقيقها .

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية" بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، جامعة الأزهر، القاهرة ، (٢٤ - ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢) ، ص ٥٧.

إن التصور الإسلامي لرعاية المسنين يقوم على أن الجانب الروحى هو الأساس وهو المحور الذى ينبغى أن تدور حوله كافة أشكال الرعاية الأخرى اقتصادية كانت أو اجتماعية أو وطنية أو نفسية .. إلخ.

ودليلنا على ذلك ما جاء في الحديث الشريف : "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهى القلب" ، فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً بخلاف العكس(1) ، ولذلك تقرر الشريعة الإسلامية - كما أبان علماء الأصول - أن جميع المصالح الإنسانية في هذه الحياة تتجمع في كليات خمس مرتبة في سلم يبدأ بالأهم فما دونه وهى الدين ، الحياة ، العقل ، النسل ، المال ، وإن تحقيق كل مصلحة يندرج في ثلاث مراحل تبدأ بالأهم فما دونه أيضاً وهي: الضروريات ، الحاجات ، والتحسينات .

إن النزعة الروحية عند الإنسان وشعوره النفسي والوجداني لايمكن تلبيته أو إشباعه إلا من خلال الدين ، لأن العقيدة الدينية هى التى تصل الإنسان بخالقه جل وعلا وتضعه مع صفاته العليا أمام عتبة اليقين والاطمئنان والرضا وتطلق أشواقه الروحية ، قال تعالى :

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(2) .

وإذا كان الإنسان في كل مراحل حياته في حاجة ماسة إلى الإشباع الروحي المتوافق مع تكوينه الفطرى لتحقيق السعادة والسكينة والطمأنينة التى ينشدها فإنه يكون أشد حاجة إلى ذلك في مرحلة الكبر .

### ٦ - بين العزلة والاندماج :

تعرف العزلة (Segregation) بأنها "تلك الحالة النفسية الناتجة عن فقدان الفرد لنظام المساندة مع تناقص المشاركة في النشاطات الاجتماعية ، وقلة الشعور بالإنجاز الاجتماعي"(3) ، وهى بهذا المعنى أصبحت من المشكلات التى يعانى منها المسنون في المجتمعات الغربية نتيجة للعديد من العوامل التى يشير "فيلد" إلى بعضها بقوله "ما أقل إدراكنا للضغوط الاجتماعية التى طالما تحملها المسن مثل تضييق دائرة العلاقات الاجتماعية للفرد ، وانتقال رفقاء عمره نتيجة المرض أو الوفاة ، فليس من اليسير على الشخص المسن تكوين صداقات جديدة والنتيجة هى انفصال المسنين التام عن عالم العمل وشعورهم بأنه لا فائدة

---

(1) ابن تيمية : "الإيمان" ، تحقيق ومراجعة هاشم محمد الشاذلى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٦ .

(2) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(3) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ، ١٩٩١ ، ص ٦٠ .

ترتجى منهم وإحساسهم بالوحدة (Lonelines) والعزلة ولا حيلة لهم للقضاء على ملل فراغ الأيام الطويلة"(١) .

ومهما تكن الأسباب فإن بعد الشخص المسن عن أسرته ومجتمعه ومحيطه الاجتماعي الذى عاش فيه وارتبط به وألفه سنوات طوال يمكن أن يتركه وحيداً ومكتئباً وهى حالة تزيد من أو حتى تسبب الكثير من المشاكل النفسية والبدنية فضلاً عن مضاعفاتها بالنسبة للفرد والمجتمع .

ولقد لوحظ أن معظم السياسات التى سارت عليها الدول المتقدمة قد باعدت بين المسنين وبين الحياة المجتمعية ، الأمر الذى ترتب عليه عزلة المسنين عن تيار الحياة المجتمعية ونسيجها ، كنتيجة طبيعية لأوجه القصور التى يمكن رصدها سواء في الفصل بين سياسات رعاية المسنين وبين غيرها من سياسات الرعاية الاجتماعية للفئات الأخرى أو في طبيعة البرامج والمشروعات والتى نشأت في إطار هذه السياسات ، وفي الصدد يمكن أن نشير إلى الملاحظات التالية(٢) :

* غياب التكامل بين سياسات رعاية المسنين وسياسات الرعاية الاجتماعية بشكل عام ، حيث يتم وضع الخطط والسياسات الخاصة برعاية المسنين منفصلة عن الخطط القومية وسياسات الرعاية الاجتماعية .

* التركيز على المؤسسات الاجتماعية الإيوائية لرعاية المسنين وما نتج عنه من عزلهم بعيداً عن الحياة العادية لأسرهم وللفئات العمرية الأخرى في المجتمع .

* أن سياسات التنمية وخططها اعتبرت المسنين بعيدة كل البعد عن إمكانية المشاركة الجادة والفعالة في العمل الإنتاجي ووضعهم في فئات المتقاعدين .

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى فإن من الخطأ وضع سياسات رعاية المسنين في غياب الارتباط والتكامل بين هذه السياسات وبين الخطط القومية وسياسات الرعاية الاجتماعية بشكل عام ، وأن كل سياسة تهتم بالمسنين ينبغى أن يكون ضمن السياسة القومية العامة سواء منها السياسة الاقتصادية أو سياسة التنمية الاجتماعية عدا ما يمكن أن يتصل بصفات وخصائص ومشكلات المسنين أنفسهم ، وبالتالى المشروعات والبرامج التى تضعها الحكومات لجميع الفئات من جميع الأعمار ينبغى أن تشمل المسنين كذلك وكل الوسائل

---

(١) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ، ١٩٩١ ، ص ٦١ .

(٢) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل ، دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم، الكويت ، ١٩٨٤، ص ٨٥ .

والأساليب التى من شأنها أن تدعم الأسرة لابد وأن تراعى مشاكل واحتياجات كبار السن فيها(١) .

وهذا يعنى أن كل السياسات والبرامج الموجهة نحو مجالات رعاية الأسرة ، والطفولة والشباب، والسياسات التعليمية ، والصحية ، الإعلامية ، وسياسات الإسكان ، وتنمية المجتمع المحلي... إلخ ، ينبغى أن تضع في اعتبارها ظروف ومواقف وقضايا المسنين في المجتمع.

والرؤية الإسلامية تقوم – كما سبق وأشرنا – على تحقيق هذا التكامل والشمول بين هذه المجالات المختلفة .

**المؤسسات الإيوائية :**

وفيما يتعلق بالملاحظة الثانية والمتعلقة بالرعاية المؤسسية الإيوائية وما ترتب عليها من عزل المسنين عن الحياة في المجتمع ، فلقد سبقت الإشارة إلى أن هذا اللون من الرعاية يعد واحداً من أنظمة الرعاية المغلقة ، والواقع أن هذا النمط يرتبط إلى حد كبير بطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمع الغربي ، وتدهور (أو تقلص) الوظائف التقليدية للأسرة . ومن السهل علينا أن نتبين النتائج السلبية التى ترتبت على التركيز على هذا المدخل في رعاية المسنين لعل من أهمها :

* عزل المسنين عن أسرهم وعن الحياة العامة في المجتمع .
* ضعف مكانتهم الاجتماعية في المجتمع .
* الإخلال بالتماسك بين الفئات العصرية لأفراد المجتمع بشكل عام .
* زيادة مشاعر الاعتماد (Dependncy) والسلبية والتواكل والكسل لدى النزلاء .
* فضلاً عن أشكال المعاناة النفسية والاجتماعية التى تصاحب حياة "النزيل" في هذه المؤسسات .

ويشير "فيلد" إلى هذه الآثار السلبية للرعاية المؤسسية بقوله : "قد يقع المسنون لسوء الحظ في دائرة الإهمال ، والوحدة والاكتئاب مالم تتحقق احتياجاتهم العاطفية ، فعندما يدركون أنهم قد أصبحوا عبئاً على المجتمع فإنهم يشعرون دائماً بعدم فائدتهم وأنهم ليسوا محبوبين ، وبالتالى يصابون بالملل وخيبة الأمل في الحياة مما يفاقم إحساسهم بالوحدة والاكتئاب ، ويمكن تخطيط هذه الدائرة بأسلوب التفاعل الاجتماعي إلا أن الدائرة تسوء بدخول المسنين إلى المؤسسات الاجتماعية"(٢) .

---

(١) حامد عبد الهادى : "اتجاهات حديثة في رعاية المسنين" ، وأوراق الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ، المنامة (٢٧ – ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢) ، ص ٢٥ .

(٢) راشد محمد أبا الخيل : "الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم" دار الخريف ، الرياض ، ١٩٩١ ، ص ٥١ .

ولقد أثبت الدراسات الميدانية أن مسنى الرعاية الاجتماعية بالمؤسسات الإيوائية هم أكثر معاناة للأمراض الجسمية والنفسية من غيرهم[1] ، كما تشير دراسات "ماسون" أن اتجاهات المسنين النزلاء في مؤسسات أو دور خاصة بهم نحو أنفسهم تضمنت مشاعر سلبية عن الذات أكثر من غيرهم[2] .

ولا يتوقف الأمر على المسنين أنفسهم بل يتعداهم إلى الشباب الذين يرفضون فكرة وجود هذه المؤسسات في مجتمعنا الإسلامي ، ففي دراسة عن نظرة الشباب للمسنين[3] يرى الشباب أن وجود المسن بين أفراد أسرته يمكن أن يساعده على حل بعض مشاكله ومن ثم لا يؤيدون فكرة المؤسسات الخاصة بالمسنين .

أن ما سبق على أهميته لا يعنى أن المؤسسات هى شر محض ، إذ إن هناك حالات خاصة وظروف خاصة معينة تحتم وجود هذا اللون من الرعاية ، وإنما نريد - وانطلاقاً من رؤيتنا الإسلامية - أن نؤكد على أنه ينبغى النظر إلى هذه المؤسسات على أنها الملاذ الأخير، وأن تحتل درجة متأخرة في سلم أولويات رعاية المسنين وأن يتم اللجوء إليها فقط في الحالات والظروف الخاصة التى لا تتوفر لها الرعاية الواجبة من خلال الترتيبات المجتمعية التقليدية كالأسرة والجيرة والمنظمات المحلية ، أو تلك الحالات التى تتطلب نوعاً خاصاً من الرعاية لا تستطيع هذه التنظيمات التقليدية القيام به .

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن الإسلام يعتبر الأسرة هى المؤسسة الأساسية والمحورية المسئولة عن مسنيها في إطار التكاليف الشرعية ، فالمسئولية تقع على الأسرة وذوى القربى والجيران ، والمجتمع المحلي ، أما في الحالات الاستثنائية مثل عدم وجود أسرة أو أقارب للمسن أصلاً ، أو في حالات رفض الأسرة أو مقاومتها القيام بتقبل أحد مسنيها ورعايته داخلها ، إما لعدم توفر الإمكانات أو الظروف ، أو لاستحالة القيام بذلك لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية في ضوء ظروف الحالة الصحية (جسمية أو عقلية) للمسن ، هنا تبدو الحاجة ملحة - لا سيما مع فقدان الأسرة الحديثة للمقومات الأساسية التى كانت تجعلها

---

(١) محمد عودة :"مشكلات مرحلة الشيخوخة" ، دراسة ميدانية لعينة من المسنين ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، عدد (٢٣) ، ١٩٨٦، ص٤٩ .

(٢) طلعت منصور غبريال : "دراسة فى الاتجاهات النفسية نحو المسنين لدى بعض الفئات العمرية في المجتمع الكويتى"، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ربيع ١٩٨٧ ، ص٧٢ .

(٣) بدرية شريف عبد الوهاب : "نظرة الشباب نحو المسنين - دراسة تجريبية لطلاب كلية الآداب بسوهاج" ، المؤتمر الدولى للصحة النفسية للمسنين ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

قادرة على القيام بوظيفة الرعاية لأفرادها المسنين – للبحث عن بدائل للأسرة تقوم بهذه المهمة ، ومن بين هذه البدائل بطبيعة الحال الرعاية المؤسسية . غير أننا نؤكد هنا على بعض الاعتبارات التى ينبغى وضعها موضع الاهتمام بالنسبة لهذا النمط من الرعاية في ضوء التصور الإسلامي نجملها فيما يلى :

– أن تكون هذه المؤسسات جزءاً من المجتمع المحلى تتفاعل معه ويتفاعل معها وألا تقتصر على المسنين فقط وإنما ينبغي أن تستقبل أصدقاء المسن وزملاءه وأقاربه كنوع من استمرارية العلاقات الاجتماعية ، كما يتضمن ذلك أيضاً خروج المسنين النزلاء إلى المجتمع المحلي في برامج منظمة لتوثيق صلتهم بالمجتمع ولتفادي العزلة التي تفرضها الإقامة في مثل هذه المؤسسات .

– التدقيق في اختيار العاملين بهذه المؤسسات بحيث يكونوا من المشهود لهم بالصلاح والتقوى والرغبة في إرضاء الله تعالى والتحلى بصفات التقوى والرحمة وحب الناس ، حتى ينعكس ذلك على أسلوب تعاملهم مع المسنين وعلى المناخ الذي يسود الحياة داخل هذه المؤسسات .

– أن تقوم هذه المؤسسات على إشباع الحاجات الروحية وأن تعتبر البعد الروحي محوراً تدور حوله كافة ألوان الإشباعات الأخرى ، ونشير هنا إلى أن الإحساس بالعزلة يتفاقم إذا كانت صلة الإنسان بربه ضعيفة أو مقطوعة ، والمؤمن العارف با لله والذي يكون على صلة وثيقة به لا يتطرق إليه الإحساس بالعزلة أو الوحدة أو الملل لأنه يشعر دائماً أنه في معية الله عز وجل يأنس به ويستمد منه العون والتأييد الذي يجعله أكثر صلابة في مواجهة المشكلات والصعوبات التي تعترضه. قال تعالى : ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[1] وأن راحة المؤمن في توثيق صلته با لله عن طريق أداء العبادات التي افترضها الله عليه ، فعن الصلاة كان الرسول ﷺ يقول : «أرحنا بها يا بلال» ولذلك ينبغي أن تهتم هذه المؤسسات بتكثيف الجرعات الإيمانية للمسنين والتي تحقق لهم التوازن النفسي.

– التركيز على إيجاد شكل من أشكال التعاون بين هذه المؤسسات وبين المؤسسات والهيئات الأخرى القائمة في المجتمع المحلى والقومي مثل الهيئات الخيرية ، ومؤسسات رعاية الشباب (أندية ومراكز الشباب) والمدارس والجامعات ومعاهد العلم لتهيئة المناخ الملائم للتكامل والتواصل بين الأجيال ، والاستفادة من جهود الشباب من خلال هذه المؤسسات في رعاية المسنين ، ولتعديل الاتجاهات السلبية التي قد تكون لدى الشباب نحو المسنين ،

---

(١) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

فضلاً عما يمكن أن يؤدى إليه ذلك من التخفيف من مشاعر الاغتراب والإحساس بـالوحدة والعزلة لدى النزلاء وإشعارهم بقيمتهم وأنهم ما زالوا مقبولين ومرغوباً فيهم ، وأخيراً يمكـن أن يستفيد هؤلاء الشباب من خبرات وتجارب للمسنين مـن خـلال احتكـاكهم بهـم وقربهـم منهم .

سياسات التنمية والمسنين :

ونأتي إلى النقطة الثالثة والـتي تتمثـل في أن سياسـات وخطـط التنميـة وضعـت على أساس اعتبار المسنين بعيداً عن إمكانية للمشـاركة الجادة أو الفعالـة في العمـل الإنتـاجي ، مما يضاعف من إحساسهم بالعزلة ، ويرجع ذلك - كما سـبق أن أشـرنا - إلى النظـرة السـلبية لمرحلة التقدم في العمر على أنها مرحلة العجز وفقدان القدرة على مواصلة العمل والنشـاط ، وهي نظرة سبق أن أوضحنا خطأها وخطورتها في نفس الوقت . ونضيـف هنـا أن استمرار المسن في العمل والعطاء ومشاركته الإيجابية في مختلف مجالات الحيـاة لا يعـني تـأمين الجـانب الاقتصادى للمسن والمتمثل فى مصدر دخـل مستمر فحسـب ، - فـإن هـذا الجـانب على أهميته بالنسبة للمسن يبدو أقل بالنسبة للجوانـب الأخرى الـتي يحققهـا العمـل والنشـاط في حياة المسن ، لعل منها :

- ضمان حسن توافق المسن نفسياً واجتماعيـاً ومقاومتـه للتدهـور العقلـي والنفسـي الذي يمكن أن يتعرض له في هذه المرحلة .

- التخلص من الفراغ والشعور بالوحدة والعزلة والإحساس بعدم الفـائدة المصـاحب للخمول والكسل والانقطاع عن العمل والانسحاب من الحياة ، ولعل ذلك هو السبب فيما أشارت إليه نتائج بعض الدراسات من أن الأشـخاص في كـل المسـتويات المهنيـة يميلـون إلى النظر إلى التقاعد نظرة سلبية[1].

- أن العمل يساعد المسنين على حل الكثير من مشكلاتهم الاجتماعية وتأمين فـرص الصداقة والعلاقات الاجتماعية والإبداع والمكانة الاجتماعية .

- الفائدة التي تعود على المجتمع ككل والمتمثلة في دعـم الجهـود التنمويـة والاسـتفادة من قدرات وإمكانات خبرات كبار السن واستثمارها لصالح المجتمـع في برامـج ومشـروعات تلائم هذه الفئة من الناس بدلاً من حرمـان المجتمـع مـن عطـائهم وجهودهـم ، وخاصـة وأن لديهم قدرات كامنة يتمثل بعضهـا في وفـرة الوقـت والخـبرة ، وحـاجتهم إلى تحقيـق الـذات

---

(1) Gordon F. Streib & wayne E.thompson ; personal and social Adjustement in Retirement",in wilma donalsue & clark Tibbitts, (eds) "the New Frontiers of Aging" an Arbor, university of Michigan press, 1957, p. 180.

والشعور بالقيمة والرضا عن النفس ، إن إدماج المسنين في أنشطة المجتمع بدلاً من عزلهم والعمل من أجل إيجاد أدوار بديلة عن تلك التي فقدت نتيجة للتقدم في العمر والتقاعد ، يمكن أن يؤدى إلى تدعيم بقية الخدمات بحيث يؤثر في تحقيق أهداف الرعاية الاجتماعية للمسنين(١) .

## ٧- بين العمل مع الكبار والإعداد للكبر :

الواقع أن النظرة التحليلية للسياسات الاجتماعية إزاء المسنين تشير بوضوح إلى أن هذه السياسات يكاد ينحصر اهتمامها في العمل مع المسنين فقط ، دون أن يتعداهم إلى العمل مع غيرهم من الفئات الأصغر سناً وبعبارة أخرى فإن هذه السياسات تقتصر على من وصلوا إلى مرحلة الكبر دون الاهتمام بإعداد الإنسان لهذه المرحلة منذ المراحل المبكرة من حياته . إن هذه النظرة القاصرة تتجاهل حقيقة ينبغي التنبه لها وهي أن معظم مشكلات الشيخوخة إنما هي مشكلات يمكن الوقاية منها وتحاشيها أو على أضعف الاحتمالات تأخيرها بإجراءات وسلوكيات وعادات يلتزم بها الإنسان في مراحل عمره المبكرة ، فالوقاية والتربية الصحيحة (الشاملة لكل أبعاد وجوانب الشخصية الإنسانية) تبعد شبح أمراض الشيخوخة وتقلل من آثارها ومشكلاتها أو على الأقل ظهورها ، كما أن الهوايات والمهارات المبكرة تعاون على مواصلة الحياة الإنتاجية في مجالات جديدة للمسنين بعد عجزهم عن القيام بأعمالهم الأصلية التي تتطلب جهداً بدنياً خاصاً ، وهذا يعني أن التعامل مع قضايا المسنين يقتضي العمل مع مراحل الطفولة والفتوة والشباب والرجولة لإعدادهم وتهيئتهم لمرحلة الكبر(٢) .خاصة وأن الاتجاهات الحديثة تنظر إلى الشيخوخة على أنها عملية دائبة مستمرة على مدى العمر كله ، وينبغي التأكيد على أن إعداد السكان للمراحل المتأخرة من العمر جزء لا يتجزأ من السياسات الاجتماعية(٣) .

والإسلام ينظر إلى الشيخوخة على أنها الثمرة الحقيقية ، والمحصلة الطبيعية للمراحل السابقة في حياة الإنسان ، فإن كان الإنسان في شبابه وكهولته (من الأربعين إلى الخمسين) صالحاً فإن هذا الصلاح ينسحب على مرحلة الشيخوخة ويمتد إليها ليصير المسن صالحاً

---

(١) محروس محمودخليفة : "دراسة الوضع الراهن لرعاية المسنين في المملكة العربية السعودية ، البرامج والمؤسسات" ، المنامة ، البحرين ، الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية ، ١٩٨٢ ، ص٦٥ .

(٢) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعي مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم في السن دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص١٨٧ .

(٣) إبراهيم خليفة – عبد الله الشمرى : "الاستفادة من القدرات الكامنة لدى المسنين لرعاية الطفولة فى الوطن العربى" مجلة المستقبل العربى ، العدد (٦٧) سبتمبر ١٩٨٤ ، ص٥٣ .

يعرف ربه - عز وجل - حق المعرفة ، ويمتلىء قلبه بالرحمة ، وإن كانت المراحل السابقة فساداً وهوى وضلالاً وتيهاً فإن ذلك ينسحب على الشيخوخة فيكون صاحبها في نقمة وعذاب وآلام وربما يبلغ أرذل العمر ابتلاء واختباراً له(١).

وفي هذا السياق نفهم معنى قول رسول الله ﷺ ((وشاب نشأ في عبادة الله .. الحديث)) حين عده من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله(٢) .

كما ينبغي الاهتمام ببرامج الإعداد للتقاعد والتي تستهدف التخفيف من حدة الاضطرابات العاطفية التي يواجهها كبار السن من ناحية ، والتخفيف من الآثار المادية الناشئة عن التوقف عن العمل وازدياد أعباء المعيشة في سن الشيخوخة من ناحية أخرى .

## ٨- بين اضطرار المصلحة والالتزام الشرعي :

لقد سبق أن أوضحنا أن الاهتمام بالمسنين في المجتمعات الغربية (وخاصة في الولايات المتحدة) قد تأثر كثيراً بقدرة المسنين على تنظيم أنفسهم وفرض ضغط سياسي لصالحهم كقوة سياسية ، وفي هذا الإطار جاء الاهتمام بالتخطيط المجتمعي لرعاية كبار السن في أمريكا كنتيجة طبيعية للجهود والضغوط التي مارسها المسنون من خلال حركة المسنين الأمريكية في عام ١٩٦٥ حيث نجحت هذه الحركة في إرغام الحكومة الأمريكية على توفير الأموال المساعدة على بناء مؤسسات للمسنين وتطوير الخدمات المختلفة لرعايتهم(٣) .ولا شك أن هذا الأمر يترتب عليه أن المسنين لا يستطيعون الحصول على حقوقهم إلا من خلال منظمات سياسية دفاعية تمارس العمل في ظل عمليات سياسية معقدة ومتشابكة ، البقاء فيها لمن يملك القوة على العملية السياسية ، كما أن ترك الأمور للصراع "ديمقراطياً" بين جماعات المصالح المختلفة قد أدى - حسبما يشير (رجب)- "إلى كثير من الفوضى والاضطراب في برامج الرعاية الاجتماعية"(٤) .

---

(١) على فؤاد أحمد : "العمل الاجتماعى مع المسنين" في : عزت سيد إسماعيل وآخرين : التقدم في السن دراسات نفسية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص١١٨ .

(٢) رواه البخاري .

(3) Elaine M . Brody ., "Aging" in Encyclopedia of social work, Vol 1, N . Y ., National Association of social workers; 1971 .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية" بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ٢٤- ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢) ، ص٥٦ .

إن الإسلام لا ينظر إلى المشكلة من هذه الزاوية النفعية "البراجماتية" وإنما ينظر إليها على أساس أن المسن إنسان له كرامته التي أسبغها الله عليه ، والتي ينبغي الحفاظ عليها كما أن له حق الرعاية على المجتمع كله ممثلاً في ولي الأمر الذي ينبغي أن يتحمل مسئوليته وأن يؤدى ما أوجبه الله عليه من واقع استشعاره لخطورة موقعه في المجتمع الإسلامي .

ولذلك فإن رعاية المسنين في الإسلام إنما تقوم على قاعدتين بينهما ارتباط وثيق :

– الأولى تتعلق بالتكافل الاجتماعى العام بين أفراد المجتمع بدءاً ، من الأسرة وانتهاء بالأمة الإسلامية مروراً بذوى القربى ، وعلاقات الجوار ، والمجتمع المحلي ، والمجتمع القومي .

– الثانية : مسئولية الدولة الإسلامية عن ضمان مستوى الكفاية أو حد الكفاية من المعيشة لكل أفراد المجتمع الإسلامي كحق أساسي لهم قبلها ، ويؤكد (رجب) على هذه المسئولية بقوله : أما بالنسبة لتدخل الدولة في تقديم برامج الرعاية الاجتماعية فإنه لا يقوم – في التصور الإسلامي – على مجرد الاستجابة للضغوط السياسية الضيقة أو الاستجابة لتوازنات القوى المتطلبة ، وإنما يقوم على شعور الحاكم" بالمسئولية أمام الله تعالى "في ضوء ما شرع من حقوق للعباد ، على الوجه الذي يرى فيه عمر مثلاً أنه لو عثرت بغلة في العراق لكان متحملاً للمسئولية عما أصابها وفي صورة تتناقض بشكل صارخ مع ما تشير به المكيافيلية أو البراجماتية القصيرة النظر التى تستشري في نظم الحكم الحديثة في المجتمعات المعاصرة"(١) .

وإلى هذا المعنى تشير العديد من النصوص نذكر منها سبيل على المثال : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ... الحديث"(٢) وحديث : "ما من عبد يسترعيه الله رعية ويموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"(٣) وهي رواية مسلم : "ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة"(٤) .

وهكذا فالوظيفة الأساسية للدولة في الإسلام هي حماية المصالح ومن أهم هذه المصالح التى تشتد الحاجة إليها تأمين الضمان الاجتماعى عن طريق مسئولية الدولة ممثلة في الحاكم

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية" بحث مقدم إلى مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، جامعة الأزهر، القاهرة ، ٢٤– ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢) ، ص٦١ .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

عن المحتاجين والفقراء ، والأيتام والمسنين ، وغيرهم ، والمسنون - في التصور الإسلامي - لهم حقوق متساوية ومماثلة تماماً لحقوق الآخرين في الحياة والعيش الكريم الذى يحفظ عليهم كرامتهم وآدميتهم ، ورعايتهم فرض شرعى على ولاة الأمور القيام به امتثالاً لأمر الله - عز وجل - وطاعة له .

## ٩- بين مفهوم الوطن ومفهوم الأمة :

يتفق الباحث مع ما قرره "يونس" من أن سياسة الرعاية الاجتماعية في معظم الدول الإسلامية ، ونتيجة لتأثير التجربة الغربية تقوم على أساس الجنسية أو المواطنة ، بمعنى أن المسلم لابد أن يكون متمتعاً بجنسية الدولة التى يقيم فيها حتى يتمتع بخدمات الرعاية الاجتماعية ، ومعنى ذلك أن يعامل المسلم معاملة الأجنبى في بلاد المسلمين الأمر الذي يجافي المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية الذي يمتد ليمثل الأمة الإسلامية(١) . والواقع أن فكرة القومية أو الوطنية هي فكرة دخيلة على الإسلام وهي فكرة غربية بدأت في أعقاب الثورة الفرنسية ، وهي تعنى التجمع الوطنى بعيداً عن الدين ، ويشير "جون ستيوارت ميل" إلى مفهوم القومية بقوله : "إن القومية تجعل الناس لا يهتمون بحقوق أو مصالح أي جزء من الجنس البشري فيما عدا ذلك الذي يطلق عليه نفس اسمهم ويتكلم نفس لغتهم التى يتكلمون بها هم أنفسهم"(٢) .

والإسلام يرفض الحدود المصطنعة بين المجتمعات الإسلامية ، ويقوم على وحدة الأمة الإسلامية: ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾(٣) .

ووفق هذا التصور فإن سياسات الرعاية الاجتماعية والاستفادة من برامجها تقوم أول ما تقوم على رابطة العقيدة والدين ، لا على المواطنة أو القومية فحسب ، وتأسيساً على ذلك يصبح للمسلم حق على المجتمع والدولة المسلمة ، حتى ولو لم يكن من مواطنيها ، كما أن لغير المسلم الحق بالانتفاع بخدمات الرعاية الاجتماعية طالما كان يعيش في كنف الدولة الإسلامية .

---

(١) الفاروق زكى يونس : "سياسة الرعاية الاجتماعية من منظورإسلامي" ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، (١٠-١٣ أغسطس) ، ١٩٩١ ص١٧ .

(٢) أنور الجندى : "الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة" ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩ ، ص٢٣٩ .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

# دور الأخصائي الاجتماعي مع المرضى المشرفين على الموت
## "مقارنة بين المنظورين الإسلامي والغربي"

د . رشاد أحمد عبد اللطيف

## أهمية دراسة الموضوع :

اهتمت علوم وتخصصات عديدة بدراسة الموت منها : الطب والتمريض والصحة العامة والعلوم الاجتماعية ، وبصفة خاصة علم النفس وعلم الاجتماع .. كما نشأ في العقود الأخيرة علم دراسة الموت والاحتضار (Thanatology) وتطور هذا العلم حتى أصبح مقرراً رئيسياً في الجامعات وأصبح مجالاً جيداً للدراسة والبحث .

– إن معظم المؤلفات التى تحدثت عن الموت والمرضى المقبلين على الموت في الخدمة الاجتماعية كانت غربية ، فيما عدا بعض الأبحاث العربية التى تطرقت بطريق غير مباشر إلى هذا الموضوع من خلال الإشارة إلى الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية مع مرضى السرطان والقلب والفشل الكلوى .. بينما وجدت دراسة واحدة باللغة العربية ليست في مجال الخدمة الاجتماعية وموضوعها "قلق الموت"(١).

– إن معظم الدراسات الاجتماعية التى تناولت الموضوع لم تبرز التصور الإسلامي للموت وكيفية التعامل مع المرضى المقبلين على الموت .

– إن فهم الأخصائي الاجتماعي للتصور الإسلامي للموت يساعده على فهم الأسس المحركة لسلوك المريض ، والإطار المرجعى الخاص بكل حالة ، ومدى تأثير العامل الدينى على تقبلهم للمرض وتحمل الآلام المرتبطة به ، ومساعدة أسر هؤلاء المرضى على مواجهة أحزانهم وإعادة تأهيلهم (Rehabilitation) من خلال التكيف مع الظروف الجديدة بعد فقد العائل أو الإبن .. إلخ حتى لا يقع هؤلاء وخاصة ضعاف الإيمان منهم فريسة للأمراض الاجتماعية : الإدمان ، الإفراط في التدخين ، الاكتئاب ... إلخ) .

– ويقول دافيد كلارك ١٩٧٤م : إن أعظم هدية قدمتها العلوم الاجتماعية للمهن الطبية النمو المطرد لنموذج المرض الاجتماعي بدل نموذج المرض الطبي كطريقة مختلفة للنظر إلى حالة شخص به علة أو يشكو ألماً .. حيث يضع هذا النموذج الاجتماعي للمرضى الأمر

---

(١) د . أحمد عبد الخالق ، قلق الموت الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٦م ، ص٥ – ١٥ .

كله في إطار أوسع .. فهو ينظر إلى الكائنات الإنسانية على أنها تشكل مجتمعاً هو تركيبة أدوار متشابكة .. ومن بين هذه الأدوار التي يقدمها لنا المجتمع دور "المريض" أي الشخص السقيم .. وفي هذا النموذج الاجتماعي ، بدل الطبي تبرز أهمية دور كل من الممارس لمهنة الخدمة الاجتماعية ، ودور التمريض ، والأخصائي الاجتماعي العارف لأمور الشريعة الإسلامية للعمل مع حالات المرضى الميئوس من شفائهم أو المشرفين على الموت.

– كما أن أعظم هدية قدمتها لنا الشريعة الإسلامية هو دراسة الموت لأن وفي دراسته تذكرة واحترام الإنسان لنفسه ، وحثه على الاستعداد لما بعد الموت ، ودعوة إلى حسن عبادته لله تعالى وإرشاده له إلى إسلام وجهه ونفسه وماله وولده لله سبحانه وتعالى .. فلا يكون لديه إذعان إلا لله تعالى ، ولا يكون عنده خوف إلا من الله تعالى .

## أولاً : المنظور الإسلامي للموت :

يرى الدين الإسلامي أن الموت ليس ذلك المجهول الذي يبث الخوف والوهن في النفوس ، ولكنه قضاء الله ورحمته ، أن يعيش الإنسان عمراً زائلاً في الدنيا ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة ﴿**وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**﴾[1] ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً**﴾[2] واليوم الآخر أصل قوي من أصول الدين الإسلامي لذا اهتم به القرآن الكريم ، وكما أن للحياة حكمة، فإن للموت حكمة وغاية كذلك وتكتمل الحكمتان في اختيار الإنسان وامتحانه في حياة أخرى باقية[3]. لذلك نزع الإسلام الخوف والوهن من الموت من صدور المسلمين وأنزل السكينة بدلاً منها ، بل إن الإسلام حبب الموت إلى الناس ، ورغبهم فيه ، روى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قوله ((ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وماله على الأرض من شئ ، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)) .كما يعتبر الموت بالنسبة إلى المؤمن ولادة جديدة .. فيقول الرسول – ﷺ – ((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)) ، ويقول تعالى ﴿**والذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾[4] . فقد قدم الموت على الحياة على أساس أنه الحياة الحقيقية وجعله الله نعمة .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(٣) د .أحمد محمد عبد الخالق "قلق الموت" ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٧م ، ص١٤ .

(٤) سورة الملك : الآية ٢ .

في إطار ذلك نجد أن المؤمنين بدرجة شديدة قد وصل بهم الزهد إلى الدرجة التي لا يخشون الموت منها أبداً ، بل بعضهم يرنو إليه مشتاقاً ، وينتظره متلهفاً ، ويترقبه راجياً ... مؤمنين بقول الله تعالى : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾(١) وفي قوله تعالى ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾(٢) .

**فضل ذكر الموت في التصور الإسلامي :**

**- استحباب ذكر الموت والاستعداد له :**

حيث روى عن الرسول - ﷺ - قال : «أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فما ذكر في كثير إلا قلله ، ولا في قليل إلا كثره» (٣) .

**- انتظار الموت وعدم الخوف منه :**

قال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها ، وقال إبراهيم التيمى: شيئان قطعا عنى لذة الدنيا : ذكر الموت، والوقوف بين يدى الله -عز وجل- (٤) .

**- قصر الأمل والرغبة في حسن الخاتمة :**

روى عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله -ﷺ - قال «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا»(٥) .

**- الموت حتم في موعده المقرر :**

ولا علاقة له بالصحة أو المكان ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾(٦) . كما أن الموت لا ينجو منه أحد ﴿كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(٧) .

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٨ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

(٣) رواه البيهقى .

(٤) أبو حامد الغزالي ، سكرات الموت وشدته ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٦ ، ص٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص٣٧ .

(٦) سورة النساء : الآية ٧٨ .

(٧) سورة الرحمن : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

– أنه أحد النعم التى تنعم الله بها على الإنسان :

فنعمة الموت كنعمة الحياة بل هى مقدمة عليها ، قال تعالى : ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾[1] .

– من دعاء الأبرار المؤمنين طلب الوفاة مع الأبرار :

﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾[2] . وعن الرسول –ﷺ– «إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح .. قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يؤتى بها ؟ قال : نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله»[3] .

الخصائص المميزة للمريض المؤمن با لله والمشرف على الموت :

أولاً : الرضى بما قدره الله تعالى :

أ– أنه راض بما قضى الله له ، وما قدره عليه

إيماناً منه بأن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقضى أمراً يريد به عسراً لعباده ، وأن الخير مطوى في جوف ما نظن أنه كارثة وشر .. وهذا ما يهون على المريض مرضه ، ويعطيه قوة لأنه كان قانعاً بقضاء الله وقدره ، ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[4] . وهذا يبعد عن القلق والاضطراب .

ب – أنه يعرف أن الله قد كتب على نفس متى تموت أن تموت

قال تعالى : ﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾[7] .

---

(١) سورة الملك : الآية ٢ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٣ .

(٣) تفق عليه .

(٤) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧ ، ص١٨٣ .

(٥) سورة نوح : الآية ٤ .

(٦) سورة الأعراف : الآية ٣٤ .

(٧) سورة فاطر : الآية ١١ .

وهذا ما يضفي على نفس وقلب وفكر للمريض الأمن والسكينة والطمأنينة والصبر على الآلام المترتبة على المرض .

جـ - أنه يدرك أنه لا كاشف لما أصابه من ضر أو مرض إلا الله سبحانه وتعالى ، حينما يدرك أنه لا كاشف ولا شفاء لمرض إلا بيد الله سبحانه وتعالى تهدأ نفس المريض ملتمساً قول الله تعالى : ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾(١) .

وإن تنزل بالإنسان شدة ، أو مرض لا شفاء منه فلا رافع ولا صارف له إلا هو فالله سبحانه وتعالى المتفرد بالفعل ، المتصرف في الخلق ، دون شريك أو ممانع .

د - الاسترجاع حيث يسعى المريض المؤمن عند الابتلاء بالمرض إلى :

أن يقول اللهم "أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها" .

ويقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

ويقول ذلك مستلهماً بهدى الله سبحانه وتعالى .. وما وقر في قلبه من إيمان ، قالت أم سلمة : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول «ما من مؤمن تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا خلف الله خيراً منها » .

**ثانياً : المريض لا يعرف (لو) و "يا ليت" وتشمل ذلك :**

أ - عدم التحسر على الماضي والسخط على الحاضر والخوف من المستقبل :

لا يقول ليتني فعلت ذلك ، ليتني تركت هذا الأمر ، لو أني فعلت كذا لكان كذا... لو أطال الله في عمري لعملت كذا .. إلخ لأنه يؤمن بقضاء الله وقدره فلا يسلم فريسة للمرض وأحداثه ، بل يعتقد أنه أمر قضاه الله لابد أن ينفذ .. وأن ما فيه من حرص إنما هو من قضاء الله وقدره ولا يقابل بغير الرضى والتسليم .

لا يقول لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن يقول "قدر الله وما شاء فعل" ، وأن يلتزم بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور﴾(٢) .

---

(١) سورة يونس : الآية ١٠٧ .

(٢) سورة الحديد : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

ب - عدم اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى وقدرته على شفائه أو رحمته ورفع درجاته بعد الموت :

مما يضفى على نفسه الأمن ويبعده عن كلمة "لو" و "يا ليت" لأن ما فاته لم يكن ليصيبه ، ولأنه يعلم أن ذلك ليس من صنعه وإنما من صنع الله ومن فضله ويرجو من الله أن يعطيه خيراً بعد البلاء .

**ثالثاً : وضوح الغاية والطريق أمام المريض المؤمن :**

المريض المشرف على الموت .. المؤمن بالله - سبحانه وتعالى - لديه غاية واحدة يحرص عليها ويسعى إليها وهى "رضوان الله تعالى" لا يبالى معه بشدة مرض أو مسئولية أهل لأن الله هو المتكفل بذلك.. فَلِمَ الخوف ؟ إنه يدرك أن الحياة امتداد للآخرة فهو يدرك ما يلى :

أ - أن الموت نهاية كل حى :

ولا ينفرد بالبقاء سوى الله .. وفي الموت يستوى كل البشر بما فيهم محمد رسول الله-ﷺ- فالموت حتم سواء نتيجة مرض أو غير ذلك . قال تعالى : ﴿**كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون**﴾(١) . وقال تعالى : ﴿**وما تدرى نفس بأى أرض تموت**﴾(٢) .

أن يدرك أن الموت زائر لابد من لقائه وقادم لا ريب فيه والخوف والجزع والألم لا يثنيه ﴿**قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾(٣) .﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**﴾(٤) .

وبالتالى لابد من الصبر والإيمان وتجنب اليأس والخوف لأنه لا يطيل أجلاً كما أن الصحة والعافية لا تقصر عمراً .

ب - أن الموت ليس نهاية المطاف :

وإنما هو حلقة لما بعدها من حلقات النشأة المقدرة المدبرة ، التى لم توجد عبثاً ولا سدى .

ويرى المريض المشرف على الموت أن الموت ليس عدماً محضاً ولا فناء صرفاً ، إنه انتقال من حياة إلى حياة ومن طور إلى طور ، وقال يحى بن معاذ : "لا يكره لقاء الموت إلا مريب ، فهو يقرب الحبيب من الحبيب" .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٧ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الجمعة : الآية ٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٧٨ .

وقيل لأعرابى اشتد مرضه وأشرف على الموت : إنـك ستموت ، فقـال : وإلى أين يذهب بى بعد الموت ؟ قالوا : إلى الله ، فقال ، ويحكم وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا عنده؟(١). وصدق الله تعالى ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون، نزلاً من غفور رحيم**﴾(٢) .

جـ – أن الموت من حكم الله وتدبيره :

ولا علاقة له بما أصابه من مرض شديد ، يقـول الله تعالى : ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين**﴾(٣) .

ولهذا يسعى المريض المؤمن إلى الاستغفار والتوبة لتخفيف البلاء ومواجهة الآلام ، قال تعالى: ﴿**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله**﴾(٤) .

د – الرغبة في حياة الآخرة :

والاهتمام بالغايات البعيدة وبذلك لا تنشغل نفس المريض المشرف على الموت بالخوف والجزع من قدومه حيث أن الإنسان لا يملك شيئاً في شأن الموت والحياة ، ولكن يكون الانشغال بما هو أنفع للنفس في المجال الذى تملكه ، وتملك فيه الاختيار : تختار الدنيا أم الآخرة .

والمؤمن لا يحب الحياة حب المريض على متاعها الأدنى ، المتهافت على لذائذها حباً يخيفه من الموت ، ولتمتعه بتراب الأرض ، بل يحب المؤمن الموت لأنه يعجل به لقاء ربه وفي الحديث "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"(٥) .

كما أن المريض المؤمن يرى أن المصائب والابتلاء بالمرض يكفر السيئات ويرفع الدرجات(٦) .

---

(١) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، (القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٧) ص١٥٠

(٢) سورة فصلت : الآيات ٣٠ – ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(٤) سورة هود : الآية ٣ .

(٥) متفق عليه .

(٦) ابن تيمية ، الحسنة والسيئة (القاهرة ، مطبعة المدنى ، ١٩٧٢) .

**رابعاً : عدم الهلع والخوف من الموت وذلك للعوامل الآتية :**

أ - حسن الصلة بالله والالتزام بمراقبته :

من خلال المداومة على الصلاة المستوفية لشروطها الفكرية والقلبية والنفسية والروحية والجسدية، وهو ما دل عليه قول الله تعالى : ﴿**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾(١) وهذا يضفي على المريض المؤمن السكينة والثقة والاعتماد على الله .

ب - حسن تأدية الحقوق لأربابها :

سواء قبل المرض أو أثناء المرض أو بعد الوفاة طمعاً في مرضاة الله سبحانه وتعالى ، والتقرب إليه بالوسيلة والقيام بواجبه تجاه أسرته وأقاربه ، ومساعدة الفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين .

جـ - التصديق بيوم الدين وما أعد الله من جزاء والخوف من عذاب يوم القيامة وهذا يجعل ألم المرض أمام ألم يوم الساعة يهون :

قال تعالى ﴿**الذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون**﴾(٢) .

د - تحصين الفروج من المعاصى والمحرمات التى نهى عنها الله ، وعدم الإقبال عليها، والطمع لأن ذلك يزيد من الأمل في الحياة ، والابتعاد عن المحرمات يزيد من الأمل بالله والطمع بالفوز بالآخرة .

**خامساً : الصلاة والدعاء والأمل في الشفاء من بواعث السكينة لدى المريض المشرف على الموت :**

أ - الصلاة تعين المريض على التعبير بدقة وأمانة عما يشغل نفسه ، ويثقل عليها .

ب - الصلاة تشعر المريض بأنه ليس منفرداً بحل مشكلاته وهمومه حيث ينكر المريض ما يشغله عن الله سبحانه وتعالى .

ولقد أشار معظم النفسيين إلى أن علاج التوتر العصبي والتأزم الروحي يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بمبعث التوتر ومنشأ الأزمة إلى صديق أو قريب ، فإذا لم يجد المريض من ينصت إليه كفاه بالله ولياً .

جـ - الصلاة تشعر المريض بالسكينة وقت شدة الرض ، حين يلجأ المريض في ساعة العسرة يدعو ربه طالباً الفرج والشفاء ، ومن فوائد الصلاة ما قام به رسول الله -ﷺ- بعد عودته من الطائف دامى القدمين ، مجروح الفؤاد من سوء ما لقى من القوم ، فما كان

---

(١) سورة المعارج : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سورة المعارج : الآيتان ٢٦ - ٢٨ .

منه إلا أن رفع يديه إلى السماء يقرع أبوابها بهذه الكلمات «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقله حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى..»[1] .

**سادساً : الأمل في الشفاء من عند الله سبحانه وتعالى :**

الأمل قوة تشرح الصدر ، وتبعث النشاط في الروح والبدن ، وذلك عكس اليأس من رحمة الله ، فهو العقبة الكئود التى تحطم النفس وتوهن الجسد .

وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنين : "القنوط والعجب" . والقنوط هو اليأس والعجب هو الإعجاب بالنفس والغرور .

وإذا تغلب اليأس على إنسان – وبصفة خاصة المريض المشرف على الموت – اسودت الدنيا في وجهه وأظلمت عيناه ، وأغلقت أمامه الأبواب ، وتقطعت دونه الأسباب، وهذا ما أشارت إليه بعض الكتابات الغربية حول المشاعر التى تنتاب المرضى المشرفين على الموت[2] من مشاعر قلق وهلع وخوف، وليس بعجيب أن نجد ذلك بين من ضعف إيمانهم با لله وبين غير المؤمنين با لله سبحانه وتعالى لأنهم عاشوا بأنفسهم فحسب .. وهذا شك في الله وحكمته ، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور**﴾ ثم استثنى من ذلك بعده ﴿**إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات**﴾[3] .

وقال الله تعالى : ﴿**وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر كان يئوساً**﴾[4] ﴿**وإن مسه الشر فيئوس قنوط**﴾[5] .

والمريض المؤمن لديه أمل في رحمة الله فهو أكثر تفاؤلاً واستبشاراً ، وأبعد عن التشاؤم والتبرم ، إذ أن الإيمان بالنسبة له معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء ، ولا تعجز عن شيء ، يجيب المريض المضطر إذا دعاه ، ويكشف عنه المرض والابتلاء ويغفر الذنوب ويعفو عن السيئات .

إنه في مرضه لا ينقطع أمله في العافية : ﴿**الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين**﴾[6] .

---

(1) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧) ص١١٩ .

(2) راجع الجزء الخاص بذلك في البحث .

(3) سورة هود : الآيات من ٩ – ١١ .

(4) سورة الإسراء : الآية ٨٣ .

(5) سورة فصلت : الآية ٤٩ .

(6) سورة الشعراء : الآيتان ٧٨ – ٨٠ .

إن المريض المشرف على الموت يرى الأمل في ملاقاة الله – سبحانه وتعالى – والدعاء إليه بكشف الضر والعافية ، والقصص القرآني يحفل بكثير من ذلك :

**﴿وأيوب إذ نادى ربه إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾**(١) .

فبدون الأمل في رحمة الله تقع النفس في محظور ، ويشوبها التلق والخوف الذى هو سمه من سمات النفس غير المطمئنة ، وفي إطار ما تقدم :

يستهين المريض المؤمن بكل صعب ، ويستعذب كل ألم مرتبط بالمرض لكنه يدرك أن الله معه وعنايته تحيط بها ، وكيف يشعر بالخوف والألم والحزن وهو يقرأ قول الله تعالى: **﴿و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾**(٢) .

وكيف يخاف الله – سبحانه وتعالى – يقول : **﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾**(٣) .

ولقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة والأبحاث التى قام بها علماء العلوم الاجتماعية والنفسية والذين اهتموا بدراسة المشاعر النفسية المحيطة بالمرض والظروف والضغوط الاجتماعية المحيطة بالمريض ، أن علاج معظم هذه الحالات أثبت جداوه من خلال استخدام المدخل الدينى والاعتصام بعروة الإيمان .

لقد قال أحد السلف "وما أصبت في دنياي بمصيبة إلا رأيت لله فيها نعماً ثلاث :

أنها لم تكن في دينى ، وأنها لم تكن أكبر منها ، وأننى أرجو ثواب الله عليها"(٤) .

ولقد أصاب أحد الصالحين شيء في قدمه فلم يتوجع و لم يتأوه ، بل ابتسم واسترجع ، فقيل له : يصيبك هذا ولا تتوجع ، فقال : إن حلاوة ثوابه أنستنى مرارة وجعه .

ولقد حث رسول الله – ﷺ – أمته على قول : «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»(٥) .

---

(١) سورة الأنبياء : الآيتان ٨٣ – ٨٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٥ .

(٣) سورة الملك : الآية ٢٢ .

(٤) د . يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، مرجع سابق ذكره ، ص١٨٢ .

(٥) رواه الترمذى والحاكم .

## ثانياً : المنظور الغربي للموت :

وإذا انتقلنا إلى المنظور غير الإسلامي للموت نرى أن الفكر الغربي يعكس ذلك من خلال الأبحاث والكتابات التى تحدثت عن الموت ، حيث يرون أنه "قوة تدميرية وإبداعية معاً" ويرى "ماير" أن الخوف من الموت أساس الاضطراب النفسي ومن ذلك أصل الذهان والمرض العقلى ، كما يرى "براون" أن الصراع مع الموت هو المصدر الأساسي للقلق الإنساني ، ويرى كارل يونج أن قلق الموت مصدر أساسي للبؤس العصابي خصوصاً في النصف الثاني من حياة الإنسان .. ويرى "أونست بيكر" أن مشكلات التكيف والاضطرابات النفسية بمختلف أنواعها والتي تضم الاكتئاب والفصام والعصاب والانحرافات الجنسية يمكن أن تضع جميعها في إطار واحد هو الخوف من الموت ، وترى "ميلانى كلاين" أن قلق الموت هو أساس كل قلق(1) .

وقد اهتم علم الاجتماع بالموت (كتاب دوركايم عن الانتحار) وفي عام ١٩٠١ قدم "شينكوت" بحثاً عن "الموت والاحتضار" ، واهتم علم النفس والمجالات الغربية منه بشكل مفصل بالموت والموضوعات المرتبطة به حيث أسست عام ١٩٧٠م مجلة "النهاية" : الموت والاحتضار (Omega : Journal of Death and dying) وظهرت دوريتان هما : مجلة علم الموت والاحتضار (Journal of Thanatalogy) ومجلة التربية المتصلة بالموت (Death Education) وظهرت في السنوات الأخيرة (٨٠ - ١٩٨٥م) بحوث متعددة عن خبرة الاقتراب من الموت (Near Death) أو ما يسمى بعلم دراسة مشارف الموت (Circumthanat Ology) وقد أبرزت هذه الدراسات جوهر المنظور الغربي للموت على أنه :

- واحد من الألم أو موت في سلام .
- عقاب أو انفصال عمن يحبهم الإنسان على الأرض .
- عدم الاعتقاد في الحياة الأخرى وما بها من نعيم .
- الإصابة بالاكتئاب و الانطواء و الهستريا عند الإصابة بمرض الموت .

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة يحاولون أن يجعلوا من هذا الكون - الحياة الدنيا - عالماً أبدياً لأفراحهم ، ولذلك بحثوا كثيراً عن أسباب الموت حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع

---

(1) د . أحمد عبد الخالق ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٤٢ - ٤٣ .

هذه الأسباب من أجل تخليد الحياة ، ولكنهم أخفقوا إخفاقاً شديداً وكلما بحثوا في هذا الموضوع وبصفة خاصة مع المرضى المشرفين على الموت ، رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت وأنه لا مناص منه .

ولقد قال د . كيرك في بحث له عن "الزمن الداخلى" فذكر الجهود المحققة التى بذلت في هذا الصدد ثم قال "إن الإنسان لم يسأم أبداً من البحث عن الخلود والسعى وراءه ، مع أنه لن يظفر به إلى الأبد ، فتركيبه الجسماني يخضع لقوانين معينة ، إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفسيولوجي لأعضاء الجسد ، حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة ، ولكنه لن يتغلب على الموت أبداً"(١) .

ولقد أشار "ت . د . ماير في" بحث له عن الحياة بعد الموت فقال : إنها حقيقة تمثيلية، وليست بحقيقة لفظية وحاولوا إجراء عمليات قياس للتأكد من هذه الحقيقة في ضوء ثلاث متغيرات هى (النية – القول – العمل) .

**سمات المريض غير المؤمن عند الإصابة بمرض الموت :**

**أولاً : عدم الرضى بما قدره ا لله تعالى ... ويتمثل في :**

**أ – اليأس والضجر :** حيث ينظر إلى ما أصابه من ابتلاء بمرض الموت نظرة يأس وقنوط قائلاً : لماذا أنا بالذات .. ؟ لماذا أكون مريضاً وغيرى أصحاء ؟ .. إنه لاينتظر من ا لله فرجاً ويركز على النواحى المادية من حياته .. وفى ذلك يقول ا لله تعالى ...﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور**﴾(٢) .

وقال ا لله تعالى :﴿**وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون**﴾.

**ب – الهلع .. والجزع :** يمكنان حب المريض لذاته ، وحب السلامة ، وفي هذا الموقف يجد الإنسان المريض نفسه أمام مرض شديد لا أمل في الشفاء منه .. يتفجر فيه الألم، ويعبر عن ذلك بالجزع وإعلان الضجر عما هو فيه ويظهر ذلك في الاضطراب والقلق والصياح ، والبكاء المستمر، وحركات الأعضاء دون عقل ولا اتزان ، وتوجيه اللوم إلى الآخرين من الأسرة ، الأطباء ، التمريض .

---

(١) وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى (الهند ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨١) ص٨ .

(٢) سورة هود : آية ٩ .

ولقد عبر عن ذلك الطبيب العقلى (كارل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) ، موضحاً أن نسبة الأمراض العقلية تتزايد بشكل سريع وضخم في المجتمعات التى لا تستقر فيها النواحى النفسية ويسودها الصراع المادى .

والمستعرض للتراث الغربى يجد أن هناك كثيراً من الكتابات توضح التمزق النفسى بين الشباب.. وفي ذلك يقولون في كتاب لأحد المؤلفين الألمان ويسمى (بروشت) عنوانه (أمام الباب) يقول : نحن جيل بلا رابط ولا عمق ، عمقنا الهاوية ، نحن جيل بلا دين ولا راحة ، شمسنا ضيقة ، وشبابنا بلا شباب ، إننا جيل بلا قيود ، ولا حدود ولا إيمان .

هذه بالتالى تنعكس على شخصية الإنسان غير المؤمن عندما يصاب بالمرض .. وبصفة خاصة إذا كان المرض لاشفاء منه .. أو أمل الشفاء فيه قليل على حسب التحليل الطبى مثل (بعض أمراض السرطان – الفشل الكلوى الحاد – القلب ...إلخ) فإنه يصاب بالهلع والجزع .

وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى **﴿إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جذوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين﴾**[1] .

جـ – **الغضب** : وقد أشارت إليه كثير من الأبحاث التى أجريت على المرضى بالمستشفيات ومنها ما أشارت إليه (Ross) في مقال لها عن مراحل العمل مع المرضى المشرفين على الموت وكانت إحدى هذه المراحل (مرحلة الغضب) والاعتراض على الإصابة بالمرض ، وبكاء المريض المستمر .. وتسأوله لماذا هو بالذات !! لماذا يا ربى ألا يوجد أحد غيرى[2] .

وفي مقالة أخرى تحدثت فيها (Nancy . W .) عن العمل في مجال الحزن وتقصد به العمل مع المرضى المشرفين على الموت وأسرهم وقد أبرزت دراستها الميدانية أن أهم سمات المريض (الغضب ، المقاومة ، الاعتراض)[3] .

---

(١) سورة المعارج : الآيات ١٩ – ٢٦ .

(2) Elisdabeth Kobler - ross, on Death and Dying (N . y : Macmillan, 1769) p . 77.

(3) Nancy Wenileerg, the health care : social workers Rele in faciletating Grief work : An emperhical stady, social work in health care, vol 10 (N . Y, The howorth press, 1985) p . 107 .

والله سبحانه وتعالى يدعونا إلى إمساك الغضب فيقول الله تعالى ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾[1] .

**ثانياً : عدم إدراك قدرة الله على الابتلاء وكشف الابتلاء :**

أ – المريض غير المؤمن : يجهل غاية الخلق ، يفكر أن الدنيا دار الابتلاء ، وأن الآخرة دار الجزاء الأولى .. فهو كثير الدعاء في طلب الخير فهو لا يسأم منه .. فإذا مسه المرض فهو كشف هذا الابتلاء.. قال تعالى : ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾[2] .

ويقول الله تعالى ﴿لا يسئم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾[3].

إن هؤلاء المرضى غير المؤمنين ، وكذلك ضعاف الإيمان يدعون ربهم عند الشدائد والمرضى وينسون الله إذا كشف عنهم ما أحاط بهم من إبتلاء .

ب – لا يدرك أن المرض والموت من حكم الله وتدبيره .. وقد تكون هذه حقيقة غائبة على من يسعى إلى متاع الدنيا.. قال الله تعالى ﴿من يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾[4].

جـ – طول الأمل (حب البقاء) .. وطول الأمل له سببان : أحدهما الجهل ، والآخر حب الدنيا ، أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها ثقل على قلبه مفارقتها ، وامتنع قلبه عن التفكير في الموت الذى هو سبب مفارقتها ، والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمنى بما يوافق مراده ، من مال وأهل وأصدقاء .. أما الجهل فيتمثل في أن الإنسان قد يركن إلى شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب ، وقد يستبعد الموت بصحته .. ولو فكر قليلاً لعرف أن الموت لا يرتبط بالشباب أو الصحة[5]. أولئك الذين قال الله فيهم ﴿قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[6] .

---

(١) سورة الشورى : آية ٣٦ .

(٢) سورة الروم : آية ٣٣ .

(٣) سورة فصلت : آية ٤٩ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٤٥ .

(٥) أحمد فائز ، اليوم الآخر في ظلال القرآن الكريم (الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٩٥هـ) ص٦١.

(٦) سورة الجمعة : آية ٨ .

وروى عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله - ﷺ - قال ((إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا)) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾(١) .

وهؤلاء الذين يحبون الدنيا حباً شديداً من المرض .

**ثالثاً : الشكوى للمخلوق :**

فإذا شكى المريض المبتلى ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه . حتى وإن كانت هذه الشكوى إلى صديق .. ولا يعنى بذلك ما يرغب المريض فيه من مساعدة واستشارة .. مثل إخبار الريض للطبيب بشكايته ، أو للأخصائي الاجتماعي ، أو من يرى أن هناك فائدة قد تعود عليه نتيجة هذه الاستشارة .. ولكن المقصود هنا الشكوى والتبرم التي يفهم منها عدم الاقتناع بإرادة الله سبحانه وتعالى .. قال شقيق البنجي (من شكى مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله أبداً)(٢) .

## الخدمة الاجتماعية وتعاملها مع المرضى المشرفين على الموت :

اتجهت الخدمة الاجتماعية بطرقها إلى العمل في هذا المجال بالولايات المتحدة الأمريكية .. ليس هذا فحسب بل قامت بعض الجامعات بوضع هذا الاتجاه كمقرر يدرسه بعض الدارسين للماجستير والدكتوراه ، وهو اتجاه غير مألوف في بلادنا العربية والإسلامية ؛ ويرجع ذلك إلى أننا نؤمن بأن الموت جزء لا يتجزأ من الحياة .. وأنه نهاية كل حي ، ولا يتفرد بالبقاء إلا الله ، قال تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾(٣) .وفي الموت يستوى كل البشر بما فيهم محمد رسول الله-ﷺ - وأن الموت ليس نهاية المطاف ، إنما هو حلقة لها ما بعدها من حلقات النشأة المقدرة المدبرة ، التي ليس شئ منها عبثاً ولا سدى . وإن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم ، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم ، فالخوف والهلع ، والحرص والتخوف لا تطيل أجلاً ، والشجاعة والإقدام والوفاء لا تقصر عمراً .. بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس فتترك الاشتغال به ، ولا تجعله في الحسبان ، وهى تفكر في الأداء والوفاء بالتكاليف والالتزامات الإيجابية ، والموت غيب لا يدرى إنسان

---

(١) سورة البقرة : آية ٧٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين العبرين وذخيرة الشاكرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٢ ص٢٣٢ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٣٠ .

متى يدركه ، فمن أراد ألا يموت إلا مسلماً فسبيله إلى ذلك منذ اللحظة أن يكون مسلماً ، وأن يكون فى كل لحظة مسلماً. قال تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا أتقوا ا لله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١) .

فالموت حتم سيأتى فى موعده المقدر ، ولا علاقة له بالمرض أو الصحة .. ﴿وكل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾(٢) .

بهذه اللمسة يعالج المنهج القرآنى كل ما يهجس فى الخاطر عن هذا الأمر ، وكل ما يعرضه التصور الغربى المضطرب من أمور ترتبط بغياب العمق الإيجابى للإنسان المسلم .

وإذا حاولنا أن نستعرض اتجاهات الخدمة الاجتماعية مع مرض الموت كما يطلق عليه أو على المرضى المشرفين على الموت ويقصد بهم (مرضى السرطان – الفشل الكلوى – القلب – الإيدز...إلخ) فى المجتمعات الغربية وبصفة خاصة (انجلترا وأمريكا) حيث لوحظ أن معظم الكتابات حول هذا الموضوع كانت فى هذه البلاد الحضارية في الفكر المادى .. نجد أن البدايات الأولى لهذا الاتجاه بدأت في إنجلترا عام ١٨٠٠م بواسطة ميرى أيكن هيد (Mary Aiken Head) عندما أقامت منزلاً لرعاية المشرفين على الموت وقدمت الرعاية الاجتماعية لهم إلى جانب ما كانوا يحصلون عليه من رعاية طبية .. وذلك بدافع الإحسان والشفقة .

وفي عام ١٩٠٦ اهتمت جمعيات الإحسان بهؤلاء المرضى ، وطالبت بإلحاقهم بالمستشفيات أو بعض المؤسسات التى تكون مهمتها الأولى رعاية هذا النوع من المرض وبصفة خاصة السرطان .. وتقديم المساعدة الاجتماعية والمادية للأسر ، نظراً لما تعانيه أسرهم من مشقة وجهد في رعايتهم .. حيث انتشرت فيما بعد الجمعيات والمؤسسات التى تهتم بالمرضى المشرفين على الموت وفي نهاية الثمانينيات أصبحت لا توجد مقاطعة في إنجلترا إلا وبها مؤسسة أو دار أو قسم بالمستشفى لرعاية هذه النوعية من الأمراض .

ولقد تأثرت أمريكا بالحركة التى سادت إنجلترا ، حيث بدأ الاهتمام بالمرضى المشرفين على الموت في نهاية عام ١٨٠٠م ، إلا أن التطور كان أسرع وأشمل من إنجلترا .. حيث حدث تطور هائل لرعاية المرضى المشرفين على الموت ، وتقديم الرعاية الاجتماعية لهم ولأسرهم وذلك في عام ١٩٥٠م حيث رصدت الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة للإنفاق على هذه الحالات .. كما اهتمت مدارس الخدمة الاجتماعية .. في ذلك الوقت بالعمل في هذا

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٥٧ .

المجال الذى شد اهتمام المجتمع الأمريكى وفتحت أبواب العمل لعدد كبير من الاخصائيين الاجتماعيين(١) .. و لم يقتصر الأمر على الرعاية الطبية بالمستشفيات ولكن وجدت مؤسسات خيرية تحملت عبء توفير الرعاية الاجتماعية لأسر هؤلاء المرضى سميت ب (A . D . S) أو المؤسسات البديلة للرعاية (Alternative Delivery System) وهو نمط آخر من الرعاية غير مألوف في مجتمعنا العربى ، يقوم على تقديم نوع من الخدمات لم تستطع القيام به المستشفيات نتيجة ضغط أو عدم توافر الإمكانات وتمول من مؤسسات خاصة أو من المتبرعين(٢) .

وفي عام ١٩٧٠م ظهرت حركة رعاية المرضى المشرفين على الموت ، وركزت على أهمية رعايتهم في منازلهم نظراً لطول مدة العلاج ، وفشل العلاج الطبى في كثير من الحالات في مواجهة ما يعانون من أمراض تستلزم الارتفاع بالروح المعنوية للمريض أكثر من العلاج الإكلينيكى(٣) .

وفي عام ١٩٨٤ .. كان هناك أكثر من ألف برنامج للمرضى المشرفين على الموت.. كما أشار المؤتمر القومى للمنظمات التى تهتم برعاية هؤلاء المرضى إلى ضرورة رعايتهم سواء كانوا بالمستشفيات أو يتلقون هذه الرعاية بالمنازل ، وأصبحت رعايتهم من الاتجاهات الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية .. واتجهت هذه الرعاية إلى الأخذ بفكرة العمل الفريقى المتكامل لدراسة حالة المريض وتهيئته اجتماعياً ونفسياً وطبياً لتقبل المرض وما ترتب عليه من فقدان الحياة بعد فترة قد تطول أو تقصر.. حسب حالة المريض الصحية .. ومدى تماسك أو ضعف الذات .. (والآجال بيد الله سبحانه وتعالى) .. وهناك من يرى أن تدخل مهنة الخدمة الاجتماعية ضرورى وحيوى ليس مع المريض فقط ، ولكن مع الأسرة وما ترتب على الحالة المرضية من تهديد لأوضاعها أو القيام بوظائفها .

كما أن العمل في هذا المجال يمثل تحدياً جديداً يواجه الأخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون مع حالات "مرضى الشريان التاجى والموجودين في العناية المركزة على الدوام" وهم

---

(1) Linda, J, Proffitt, "Hospice" Encyclopedia of social work Vol 2 U.S.A., N ASW, 1987) p. 813.

(2) Paul B . Ginsburg and Glenn M . Hackbarth, Alterntive Delivery System and Medicare Health Affairs . (U . S . A ., Virginia, Millwood, Project of H . O . P . E ., 1986) P 9 .

(3) Lind, J, Proffitt, op . cit, p . 813 .

غالباً ما يكونون محاطين بالآلات الكثيرة وغالباً ما يعانون من آلام نفسية مرتبطة بهذه الأساليب التكنولوجية والخوف من الموت.. وإنه يجب على الاخصائى الاجتماعى أن يكون مستعداً للتعامل مع مظاهر الخوف التى يعانى منها هؤلاء المرضى .

كما أن دور الأخصائى الاجتماعى حاسم ومهم بالنسبة للفريق المعالج(١) .

ولقد أشارت تقارير المنظمة الدولية لرعاية المرضى المشرفين على الموت عام ١٩٧٩. إلى الأسس التى ترتكز عليها برامج رعاية هؤلاء المرضى وهى :

١ – أن رعاية المرضى المشرفين على الموت هى نوع من الرعاية الشاملة للمريض وأسرته .. وأن الخدمات يجب أن تقدم لكل أعضاء الأسرة لما قد يترتب بعد وفاة المريض .

٢ – أن المريض يحتاج إلى الرعاية الإنسانية والاجتماعية أكثر من العلاج الطبى لأن الرعاية الطبية إذا كانت قد قامت بدور حاسم للسيطرة على المرض والتحكم في عدم انتشاره بالجسم . إلا أن هناك حالات أخرى قد لا يستطيع السيطرة عليها مثل حالات الإغماء المفاجىء ، والقيء ، وبعض العمليات النفسية المصاحبة للمرض والتى يحتاج فيها المريض إلى الدعم الروحى والنفسى والاجتماعى .

٣ – تقدم الرعاية لهؤلاء المرضى بواسطة فريق متكامل من المهنيين والمتخصصين ويضم (الأطباء ، والأخصائيين الاجتماعيين ، والأخصائيين النفسيين ، والممرضات ، والمتطوعين ، ورجال الدين ، ومن يقومون برعاية المريض بالمنزل ، وغيرهم ممن تستدعى حالة المريض تواجده) ويتم التنسيق بين هذا الفريق بواسطة الأخصائى الاجتماعى أو الممرضة . ويتولى إدارة هذا الفريق الطبيب الذى يتولى متابعة حالة المريض ، والحث على استمرار علاجه خلال الفترة المتبقية من حياته ، أو إلى أن يترك المريض المستشفى لاستثمار العلاج بالمنزل . ويقوم بمتابعة العلاج من خلال الممرضة أو من يرى ضرورة تواجده مع المريض لتقديم الرعاية الطبية اللازمة بالإضافة إلى الرعاية الاجتماعية من الأخصائى الاجتماعى .

٤ – أن رعاية هؤلاء المرضى تختلف عن رعاية أنواع أخرى من المرضى . أو رعاية الناقهين في دور رعاية الناقهين ، حيث إن الرعاية في حالات المرضى المشرفين على الموت تحتاج إلى صبر ومعاناة ، ويتم تدريب عدد من المتطوعين لمساعدة الأسرة في تقديم هذه الرعاية ، وهو إجراء غير مألوف في مجتمعنا العربى الإسلامى الذى يقوم على التكافل

---

(1) Foster, W . B . Role of the social Worker in the waiting room of the intensive care unite, Health and Social work, Vol 5, 1980. p. 3 .

الاجتماعى والتماسك الأسرى ، فلا يمكن أن يسمح بوجود شخص غريب بالمنزل لتقديم هذا اللون من الرعاية .

وأهمية تواجد شخص بجوار المريض يتبه - من وجهة نظرهم - إلى رفع الروح المعنوية للمريض ومواجهة الاحتياجات السريعة أو المشكلات الصحية الطارئة التى يعانى منها المريض ، أو القيام بأعمال القراءة للمريض ، وعزف الموسيقى ، وإلقاء الشعر ، أو بجرد الجلوس مع المريض كصديق يملأ عليه وقت فراغه ويزيل عنه الشعور بالوحدة والعزلة .

٥ - أن برامج رعاية المرضى المشرفين على الموت متاحة لمدة ٢٤ ساعة يومياً ، وطول الأسبوع، وهنا يكون عمل الأخصائى الاجتماعى عملاً غير تقليدى ، فلا بد من أن يكون هناك تنسيق ما بين الأخصائيين الاجتماعيين للتواجد كل الوقت ، وذلك للإجابة عن تساؤلات الأسرة أو استدعاء الأسرة في حالة الضرورة ، حتى يكون لدى الأسرة شعور بالاطمئنان على المريض . كما يستطيع الأخصائى أن ينقل للطبيب تطور الحالة أولاً بأول من حيث أبعادها الاجتماعية والنفسية .

٦ - أن هذه الرعاية شاملة للمريض سواء كان في منزله أو في المستشفى أو في أى مؤسسة أخرى للرعاية والتمريض ، وأن هذه الخدمات هى معبر ما بين المستشفى والمريض . وما بين إدارة الخدمة الاجتماعية وما يحيط بالمريض من ظروف ومشكلات سواء كان ذلك في إطار المستشفى أو خارج إطارها .

٧ - أن هذا النوع من الرعاية يقدم سواء أثناء مروره بعملية العلاج والرعاية أو بعد الوفاة حيث تنتقل الرعاية إلى الأسرة . وعمل الأخصائى الاجتماعى حينئذ يكون كمستشار للأسرة خلال فترة الحزن ويعمل على الإسراع بإنهاء الإجراءات الخاصة بالمريض ومساعدة الأسرة على مواجهة المشكلات التى قد تترتب على الوفاة[1] .

هذا وقد أشار (Doman Lum) إلى أن عدد الأخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون في مجال الرعاية الصحية بصفة عامة في الولايات المتحدة الأمريكية ٤٥ ألف أخصائى اجتماعى ، منهم ١٦ ألف أخصائى اجتماعى يعملون في حالات المرضى الحادة ورعاية المرضى الميئوس من شفائهم "مرض الموت" وأن دورهم يشمل :

١ - الاتصال الدائم بالمريض الذى يشرف على الموت وسرعة إعداد السجلات والملفات الخاصة به وعرضه على الطبيب أو القسم المختص .

(1) Linda . J ., Proffitt, Haspice, Op . Cit., p . 814 .

٢ - تفسير الحالة الأسرية للمريض ومعرفة ما يعانيه المريض من ضغوط نفسية واجتماعية.

٣ - القيام بعمليات الخروج (خروج المريض للعلاج في منزل الأسرة - أو إنهاء إجراءات الخروج بعد الوفاة)(١) .

هذا وقد ظهرت بعض الكتابات التي تتناول فلسفة رعاية المرضى بأمراض خطيرة وتحديد بعض الإسهامات التي يمكن أن تقوم بها مهنة الخدمة الاجتماعية . وقد عرفت الرعاية الاجتماعية للمرضى المشرفين على الموت بأنها "مختلف الخدمات التي تنظم وتقدم للمرضى بأمراض خطيرة والتي يحصلون عليها خلال الفترة الأخيرة من حياتهم . وأن هذه الخدمات تقدم بواسطة الأطباء ، وجهاز التمريض ، والفنيين والمسئولين عن الأجهزة ، والأخصائيين الاجتماعيين ، والعمال العاديين بالمستشفى ، والأسرة ، وكل من له صله بحالة المريض كل حسب ما يستطيع أن يسهم به في تخفيف الآلام التي يتعرض لها المريض" .

وتستهدف هذه الرعاية تقديم نوع من المواساة (الراحة) للمريض واستخدام الإمكانات والموارد الموجودة بالبيئة لمساعدة الأسرة في حالة الحاجة إلى ذلك .

كما تنفرد هذه الرعاية عندما يدرك الأطباء أنه لا أمل في الشفاء ولا فائدة من استخدام العلاج الطبي . وأنه لو استخدم فلن تكون له فائدة . وأن كل ما يحتاج إليه المريض هو الرعاية الاجتماعية التي توفر له الراحة النفسية وترفع من روحه المعنوية(٢) .

وقد أشارت (Nomi Golan) إلى عمليات التدخل المهني للخدمة الاجتماعية في مثل هذه المواقف ، والتي أطلقت عليها اسم "الأزمة" التي يتعرض لها المريض والأسرة بكل أفرادها . وقد استخدمت بعض المنطلقات النظرية التي يمكن أن يرتكز عليها عمل الأخصائي الاجتماعي وبصفة خاصة أخصائي خدمة الفرد . وإن هذا الأساس يعتمد على الاستفادة من معطيات "نظرية الأزمة" التي تعد مدخلاً نظرياً وعملياً ملائماً لطبيعة هذه المواقف ، وذلك لأن الشخص الذي يصاب بأحد الأمراض الخطيرة "أمراض الموت" تنتابه نزعات تدميرية للذات ، وعدم التوازن ، والحزن العميق ، وفي مثل هذه الحالات تفيد نظرية الأزمة في الحد من المشاعر والإسراع بالاستفادة بالإمكانات المتوفرة بالمستشفى ليس فقط الإمكانات الطبية

---

(1) Doman, Lum, Health services System, Encyclopedia of S . W ., OP . Cit ., p / 730 .

(2) Linda, J . Proffitt, Op . Cit ., p . 812 .

ولكن الإمكانات الخاصة بعمل الأخصائي الاجتماعي ومهارته ، في امتصاص مثل هذه المشاعر[1] .

وهذا يتطلب مجموعة من الخطوات يجب على أخصائي خدمة الفرد القيام بها مثل :

أ - عدم ترك المريض في قائمة الانتظار والتحرك السريع الفعال لمواجهة ما يعترض المريض من إجراءات تعوق مواجهة ما يتعرض له من أزمة أو كارثة .

ب - أن يبدأ في استخدام العلاج الاجتماعي النفسي بمجرد تشخيص الحالة وتحديد نوعية المرض مستعيناً في ذلك بالمهارات الخاصة بالمهنة وبغيره من المهنيين والأخصائيين النفسيين والأطباء بالمستشفي .

جـ - أن يعمل على إيجاد وتنمية الخدمات التى تواجه أى تطورات في حالة المريض أو أسرته .

د- أن تتم عملية المتابعة بصفة مستمرة سواء من خلال التليفون أو المقابلات ، أو الزيارات حتى لا يشعر المريض أو أسرته بأى نوع من الإهمال قد يكون له تأثير ضار على الحالة[2].

وقد أشارت (Nomi Golan) إلى مدخل آخر للمساعدة فى حالات المرضى المشرفين على الموت ، وذلك من خلال استخدام مدخل حل المشكلة . وعللت استخدام هذا المدخل بارتفاع تكاليف العلاج الخاص بالمرضى ، وعدم توفر مصدر مالى مناسب للإتفاق وعدم قيام شركات التأمين برعاية مثل هذه النوعية من الأمراض .. ورأت أن مدخل حل المشكلة يتمثل فى قيام الأخصائى الاجتماعى بعمل ما يلى :

- جمع بيانات من المؤسسات الخيرية والحكومية والأفراد الراغبين فى التبرع والمساعدة .

- تنمية الموارد المتصلة بخدمات الإسكان والغذاء ، والمواصلات ..، وذلك للمرضى الذين يأتون من مناطق بعيدة .

---

(1) Baccom, W., Ratliff and Others, Social Work in Hospitals, (Illinois, Charles, Charles C. Thomas, 1982) p . 49 .

(2) Haward . j., Barad, Crisis, Crisis Intervention, Encycolopedio of S.W Op. Cit., 1977., P., 236.

- القيام بتوفير برامج تأهيلية لأسرة المريض . لمساعدتهم على رعاية المريض أو تقديم أى خدمة يحتاجها أثناء فترة الرعاية سواء بالمنزل أو المستشفى[١] .

- القيام بإجراءات الخروج بالنسبة للمرضى الذين أثبت التقرير الطبي عدم جدوى العلاج لهم وضرورة استكمال بقية العلاج بالمنزل إلى أن تتم الوفاة .. وما يتعلق بذلك من ملفات وتقارير.. وتخصيص إحدى الممرضات أو أحد المتطوعين لمتابعة الحالة -(وهذا نادرا ما يحدث فى دولنا العربية)- أو القيام بإنهاء الإجراءات الخاصة بالمريض بعد الوفاة وسرعة نقل الجثمان وتوجيه الأسرة إلى المؤسسات التى يمكن أن تقدم لهم مساعدات لمواجهة أى مشكلات أو احتياجات خاصة بالأسرة أو أحد أفرادها .

ولقد أصبحت هذه الإجراءات (الخاصة لخدمات خروج المرضى) (Discharge Planning) من أهم واجبات الأخصائى الاجتماعى المشتغل بطريقة تنظيم المجتمع بالمستشفيات .. وأصبحت إحدى التحديات التى تواجه الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمستشفيات .. وذلك نظراً للضغط المتزايد على المستشفيات وارتفاع تكاليف العلاج .. مع قلة وجود الأسرة . لذلك أصبح البحث عن مصدر آخر لرعاية المريض بأقل التكاليف وأحسن خدمة[٢] هو من الخدمات الحديثة للعاملين مع المرضى المشرفين على الموت .

كما يمكن للأخصائى الاجتماعى أن يستخدم مهارته المتصلة بالعمل مع الجماعات والأسس النظرية للعلاج الجماعى وديناميكية الجماعات لمساعدة المرضى المشرفين على الموت وذلك من خلال استخدام الجماعة كوسيط (Medium) لكى يتوافق المريض مع ما أصابه من مرض ومع البيئة المحيطة به . ويفيد استخدام الجماعة كعلاج فيما يلى :

- الحصول على معلومات أكثر تتصل بالمرض وكيفية متابعة العلاج من مرضى لهم نفس الظروف .

- محاولة توجيه اهتمام المريض إلى مجالات أخرى غير المرض وتحسين علاقته بزملائه، وبالأسرة ، وبالفريق المعالج أيضاً .

- إتاحة الفرصة للمريض لكى يعبر عن مشاعره واهتماماته وبالتالى التخفيف من حدة الأزمة التى قد يشعر بها المريض نتيجة الإصابة بمرض الموت[٣] .

---

(1) Bascon, W., Op. Cit., P . 46.

(2) Julia, B. Raush and Hanita Scheriber, "Discharge Planning As A Teaching Mechanism", Social Work in Health Care, U.S.A NASW., 1985) P. 208.

(3) Bascon, W ., Op. P. 46.

## المراحل التى يمر بها المرضى المشرفون على الموت :

"من الكتابات الحديثة التى أشارت إلى المراحل المختلفة التى يمر بها المرضى المشرفون على الموت" أو المصابون بمرض الموت ، ما أشارت إليه إليزابيث روز (Elizabeth. K. Ross) وقد حددت بعض الأدوار التى يمكن أن يقوم بها الأخصائى الاجتماعى فى كل مرحلة من هذه المراحل ، وهذه المرحلة هى :

**١ – مرحلة إنكار Denial المرض : I Can't be No, not me**

حيث يبدأ المريض حين يدرك أنه مصاب بأحد الأمراض الخطيرة (الفشل الكلوى السرطان ، القلب ..إلخ) فيكون رد فعله الأول .. هو الإنكار .. وأنه لابد أن هناك خطأ .. وأن هذا غير معقول .. هذه التساؤلات التى تدل على عدم الإيمان .. والتمسك بالحياة .. وعدم الإدراك لحكمة الله وتقديره – قال تعالى : ﴿**قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم**﴾ ولو نظروا وتدبروا ، عجبوا واستغربوا ولكنهم كانوا غائبين عن الحقيقة ، ويكون دور الأخصائى الاجتماعى هنا .. هو مهدىء وملطف لمواجهة المريض بهذه الصدمة على المريض .. وترك الفرصة للمريض ليعبر عن كل مشاعره السلبية إلى أن يهدىء هذه الثورة .. أو الأزمة النفسية .

**٢ – مرحلة الغضب (Rage and anger) والثورة : Why me?**

حيث يبدأ المريض – عند إدراكه لخطورة المرض المصاب به – وأن مصيره الموت يبدأ فى التساؤل لماذا أنا يا الله ؟ ما الذى فعلته فى حياتى ؟ إننى مازلت أقوم بكثير من الأشياء الجيدة من أجل أسرتى .. وتجاه الأقارب .. وتجاه المعارف .. والأصدقاء .. ؟ لماذا أنا بينما الآخرون فى صحة جيدة !! وعلى قيد الحياة !! .

إن الله هو الهدف الأساسى فى هذه المرحلة .. وإن المريض يوجه هذه التساؤلات إليه – سبحانه– لكى يقيه من هذه المحنة .

إن القرآن يلمس مكمن الخوف من الموت فى النفس البشرية لمسة موجبة تطرد ذلك الخوف ، وهذه التساؤلات عن طريق الحقيقة الثابتة فى شأن الابتلاء وشأن الموت وشأن الحياة وما بعد الحياة والموت والابتلاء قبل الموت من حكمة الله وتدبيره .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين**﴾ .

ومن دلائل عدم اليقين لدى الفكر الغربى .. أن المؤلفة ترى أن المريض فى هذه المرحلة يعبر عن كثير من المشاعر السلبية والغضب تجاه الطبيب المعالج فيقول : إن الأطباء

غير أكفاء ، وتعاملهم غير إنساني ، إن المستشفى لا تحسن معاملة المرضى ، وإنها غير دقيقة فى إجراء الفحوص ، إن الممرضات يهملن فى أداء الواجبات ويرغبن فى القضاء على حياته.. وقد يحدث المريض كثيراً من الضوضاء ..وقد تتابه حالات بكاء شديد .. أو صمت تام .. ودوران بالغرفة التى يعالج فيها بدون هدف ، وهنا يكون دور الأخصائى الاجتماعى أكثر دقة ومهارة .. وذلك من خلال الآتى :

أ- ترك الفرصة للمريض لكى يعبر عن كل هذه المشاعر .

ب- الجلوس مع المريض والاستماع إليه بدون التقيد بوقت معين .

ج - تقييم هذه المشاعر ومحاولة تهدئة المريض بقدر الإمكان .

د- إعطاء بعض الأمثلة والتوضيحات لحالات مماثلة ولا يعد ولكن يتمنى للمريض الشفاء.

وإن هذه المرحلة قد تستغرق وقتاً طويلاً .. ولكن الوقت وترك الفرصة للمريض لكى يعبر عن مشاعرة تجعله يواجه مثل هذه المشاعر .

وهنا نقول .. إن إلمام الأخصائى الاجتماعى بالأمور الدينية وبقواعد الشريعة الإسلامية . وتوعية المريض فى هذا الوقت الذى قد يغفل فيه المريض عن ذكر الله إلى التمسك بإرادة الله سبحانه وتعالى .. وأن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم ولن تموت نفس حتى تستوفى هذا الأجل المرسوم .. ولماذا الحرص على الحياة .. وما الهدف منها؟ .

فالحياة إلى نهاية والموت الذى يفر منه الإنسان ملاقيه لا محالة . هذه الحقيقة لابد أن تكون واضحة أمام المريض .

عن أنس بن مالك رضى الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعة من الشقاء ، : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا» .

**المرحلة الثالثة : المساومة والمجادلة :**

**(Bargaining- "I realize my death is inavitable, but)**

وفى هذه المرحلة يدرك المريض حقيقة مرضه .. وأنه لا أمل فى الشفاء . ويبدأ المريض فى ترديد بعض التساؤلات مع نفسه .. ومناديا الله سبحانه وتعالى قائلاً :

- إننى فقط لو عشت ٦ شهور تالية من الممكن أن ..

- إننى لو شفيت من المرض سوف أقوم ...

إنه يبدأ في الشعور بالذنب تجاه بعض الأفعال .. ويسترجع تاريخ حياته كشريط ليرى كل ما مرّ به من أحداث في حياته سواء كانت سيئة أو جيدة . إنه يدين نفسه على بعض السلوكيات الخاطئة ويقول : يا ليتني كنت عملت كذا .. ياليتني كنت ذهبت إلى المسجد للصلاة .

يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم بالآخرة هم الأخسرون﴾**

وقال الله تعالى : **﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾**.

ويتناسب في هذه المرحلة الأخذ بالمدخل المتكامل .. في تقديم النصح للمريض .. ويستخدم الأخصائي الاجتماعي أحد الدعاة للجلوس مع المريض وإرشاده إلى التوبة .. وإلى مرضاة الله في القول والعمل .. واستخدام القصص القرآني مع المريض .

**المرحلة الرابعة : الإحباط : (Depression, yes, it Will soon be over)**

إنها مرحلة في الحقيقة حزينة .. ولكنها مواجهة للواقع .. وفي هذه المرحلة يشعر المريض أنه قد أحيط به .. وأنه لا مفر .. فالمرض قاتل قاتل .. ومما يزيد من إحباطه وشعوره بالذنب.. ما قد يكون قد ارتكبه من إثم ، ولا يستطيع أن يقوم بأي شيء في خلال هذه الفترة .. إنه يشعر بالذنب وبأنه فقد كل شيء .. خسر كل شيء فلم يعد المريض يملك شيئاً **﴿تدور أعينهم كالذي يغشى عليه الموت﴾**[1] .

ومن قول الله تعالى : **﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون﴾** .

وقال الله تعالى : **﴿حتى إذا حضر أحدكم الموت قال إني تبت الآن﴾**[2] .

كما يبدأ المريض في هذه المرحلة في التفكير في لحظة الموت ، وإعداد نفسه إلى لقاء الله سبحانه وتعالى .. ويوصي أفراد الأسرة بنوعية المقبرة ومكان الدفن .. وفي هذه المرحلة لا ينظر المريض إلى الفترة المشرقة من حياته .. وفي الغالب يكون أكثر هدوءاً ولا يرغب في مشاهدة الزائرين .. ويشعر المرضى أنهم فقدوا كل شيء وكل إنسان يحبونه .. ويمكن للأخصائي الاجتماعي أن يشرح ظروف المريض لأقرب الناس إليه وحينما يبدأ المريض في الصمت المطبق .. وتبدأ عيناه في النظر إلى بعيد .. فهنا تكون قد جاءت سكرة الموت (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٨ .

مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب .. والإمام الغزالي يقول في ذلك (اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن ينغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهده وغفلته٦) .

**المرحلة الخامسة : التقبل وموت المريض : (Acceptance : I will soon pass on,)**

وهذه المرحلة هي نهاية المطاف بالنسبة للمريض حيث تكون المرحلة الرابعة بداية لها، فقد بدأ المريض في المرحلة السابقة يعاني من سكرات الموت ، وفي هذه المرحلة يكون قضاء الله سبحانه وتعالى قد وقع ، إنها مرحلة غير سعيدة ، وغير سارة لأسرة المريض ، تنفجر بها المشاعر، يبدو على أقارب المريض الصمت التام المطبق وتنساب الدموع ، ويهرع بعض أقارب المريض لإنهاء إجراءات الخروج ويساعد الأخصائي الاجتماعي أسرة المريض في إنهاء هذه الإجراءات .

## المنظور الإسلامي للموت ودور الأخصائي الاجتماعي المسلم مع المرضى المشرفين على الموت :

وإنني أرى أن هذه المراحل التي أشارت إليها إليزابيث كوبر تتفق والثقافة الغربية المستمدة منها ، والتي تنكر في كثير من ثناياها الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى وترك مشاعر المريض ومخاوفه للصراع ما بين الخير والشر ، ولعمليات علاجية اجتماعية ونفسية في أساسها دون إشارة تذكر لأهمية العامل الديني الذي يبث الأمن والطمأنينة في نفس المريض، ويصرف عنه نوازع الشيطان، حيث يمس القرآن الكريم قلب الإنسان ويشعر في إطاره أنه إلى زوال .. يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾** .

إن شعور الإنسان أنه مبتلى وممتحن بأيامه التي يقضيها على الأرض ، وبكل شيء يملكه وبكل متاع يتاح له ، يمنحه مناعة ضد الاغترار ، والانخداع ويعطيه وقاية من الاستغراق في متاع الدنيا .

وفيما يلي عرض للمراحل التي يمر بها المريض الذي قارب الموت .. وليس شرطاً أن يمر بها كل مريض على نفس الترتيب .

**المرحلة الأولى :**

**معرفة نوعية المريض :**

حيث يدخل المريض إلى المستشفى ، كأي مريض آخر ، ثم يفاجأ بالقرار الطبي الذي يقرر أن المريض مصاب بمرض خطير لا أمل في الشفاء منه ، أو أن العلاج الطبي سوف يأخذ فترة معينة وبعدها لا فائدة من العلاج ، أو أن تكون حالة المريض سيئة للغاية ،

فيقال له من البداية لا فائدة من العلاج ، والأمر بيد الله سبحانه وتعالى ، فى هذه المرحلة يبدى المريض -وبصفة خاصة - إذا كان إيمانه بالله سبحانه وتعالى ضعيفاً نوعاً من الاستغراب ، حيث يقول : (لابد أن هناك خطأ ما فى التشخيص ، إن الطبيب الذى طالع الحالة غير متخصص .. إلخ ، هذه الاستفهامات) .

ويكون دور الإخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة هو أن يهدئ من روع المريض ، ويحاول أن يطلعه على بعض الأفلام التى توضح بعض الحالات الشبيهة بحالته ، يحاول أن يربطه بذكر الله وأن هذا المرض مقدر من الله -سبحانه وتعالى- وقد يكون ، هذا الابتلاء، رحمة ومغفرة من الله سبحانه وتعالى .

**المرحلة الثانية :**

**التساؤل عن الأسباب والرغبة فى التعرف على المزيد من المعلومات عن المرض :**

وهنا يبدأ المريض فى العديد من التساؤلات ، وسوف يسترجع كثيراً من الخبرات المتصلة بحياته (نمط المعيشة -نوع الأكل- نوع العمل- طبيعة العلاقات .. إلخ) ، والتى قد يكون لها علاقة بالإصابة بالمرض ، وقد يتساءل هنا عن الأسباب فى الإصابة بالمرض ، ولماذا بالذات هو الذى يصاب بالمرض ؟ ما الذى فعله فى حياته ؟ ويقول : إن هذا ابتلاء لعل فيه خيراً له فى حياته وفى آخرته ! وقد يقول الشخص ذو النفس الضعيفة إننى قمت بكل شىء طيب ، فلماذا ذلك يا رب!! لماذا أنا بالذات بينما هناك آخرون ينعمون بالصحة والعافية .

إن إلمام الأخصائى الاجتماعى بالأمور الشرعية التى تساعد المريض على تقبل هذا المرض والإيمان بقضاء الله وقدره يساعد المريض إلى حد بعيد على تقبل هذا المرض والانتقال إلى المرحلة التالية والاتجاه نحو التوبة والاستغفار وذكر الله كثيراً .

**المرحلة الثالثة :**

إدراك طبيعة المرض ، وطول الأمل ، حيث يقول المريض : نعم إننى أدرك الحقيقة وأن مرضى لا شفاء منه !! (It is Really my ill , but) ثم يبدأ المريض فى نزاع مع نفسه، ومع المرض ، وتساؤلات مع الله سبحانه وتعالى حيث يقول ، لو أن الله سبحانه وتعالى ، أطال فى عمرى مدة ٦ شهور لو أن الله -سبحانه وتعالى- أطال فى عمرى لغيرت نمط حياتى إلى ...

إذا عشت سوف أتبرع بكل شىء لأعمال الخير ولمن هم فى نفس مرضى ، سوف أقلع عن سلوكى إلى سلوك آخر أحسن وأفضل .. إلخ .

يقول الإمام الغزالى هنا "إن طول الأجل له سببان ، أحدهما الجهل والآخر فيه حب الدنيا، أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع

قلبه من التفكير فى الموت الذى هو سبب مفارقتها ، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه ، والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى نفسه أبداً بما يوافق مراده ، وما يوافق مراده هو البقاء فى الدنيا ، وهذا جهل بحقيقة الموت وأنه ليس بعيداً عن الشاب والمسن والصحيح ، وصدق قول الله تعالى :

**﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾**(١) .

وقول الله تعالى : **﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذٍ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾**(٢) .

ويمكن للأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة بما لديه من إعداد فى الأمور الدينية أن يساعد المريض على الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى ، وأن رحمة الله واسعة ، كما يمكنه أن يستخدم أحد الدعاة إذا لم تكن لديه خلفية واضحة عن التعامل مع هذه الحالات ، وهذا يستدعينا أن نقول : إن الأخصائى الاجتماعى الذى يعمل مع هذه الحالات له إعداد خاص يميزه من غيره من الأخصائيين الذين يعملون فى مجالات أخرى أو نوعية أخرى من المرضى لم يقاربوا الموت ، كما أن الأخصائى الاجتماعى فى هذا النوع تواجهه تحديات كثيرة تتعلق برغبة المريض فى الحياة أو رغبته فى الموت ..وبالمشكلات الخاصة الأسرة .. وبعلاقته مع الفريق الذى ينظر إلى أن عمل الأخصائى هذه المرحلة أهم من العلاج الإكلينكى الذى أثبت عدم جدواه وأن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى .. ومحاولة جعل الأيام المتبقية من حياة المريض أكثر هدوءاً .. ورفع روحه المعنوية إلى أكبر درجة ممكنة .

ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يقوم باستخدام القصص القرآنى .. وما أصاب بعض الرسل من ابتلاء .. وما أصاب بعض المؤمنين من مرض .. وأن رحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شيء .

قال الله سبحانه وتعالى **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾**.

ولهذا يكون الهدف الأساسى للأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة هو :

- أن يساعد المريض على التوبة (بالإكثار من الصلاة – والإكثار من الدعاء – والعمل الصالح) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

- أن يساعد المريض على أن يدرك طبيعة الحياة وأنها امتداد للحياة الأخرى .

- أن يذكر للمريض الآيات القرآنية التى تحث على التوبة قال الله تعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾(١) .

- وقال تعالى ﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾(٢).

**المرحلة الرابعة :**

**الاستسلام للأمر الواقع .. وانتظار لحظة الموت :**

**((اليقين با لله)) :**

حيث يصل المريض إلى هذه المرحلة .. وقد اشتد به المرض .. حيث يقول : ها هى النهاية قد قربت !!yes, it will soon be over .

وفى هذه المرحلة قد يميل المريض إلى طلب أفراد الأسرة لرؤيتهم أكثر من أى وقت.. وإلى طلب الأصدقاء والمعارف المقربين .. كما يقضى وقت فراغه فى ذكر الله والقراءة والتوبة إلى الله وطلب السماح والمغفرة .. كما قد ينطوى على نفسه ويرفض مقابلة أى شخص .. وقد تنتابه حالات بكاء شديد .. وسرحان دائم قال الله سبحانه وتعالى : **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾(٣)** .

إن زوغان البصر فى حقيقة أمره .. هى رؤية الحياة بأكملها .. فى ساعة لم يعد فيها قادراً على إعادة عقارب الساعة إلى الوراء .

وقال الله تعالى : **﴿كلا إذا بلغت التراقى * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق﴾(٤)** .

وهنا يكون دور الأخصائى الاجتماعى أكثر حساسية فهو من جانب يعايش اللحظات الأخيرة من حياة المريض ، ومن جانب آخر مطالب أن ينقل خبر الوفاة إلى الأسرة والأقارب المنتظرين خارج الغرفة .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٤ .

(٢) سورة طه : الآية ٨٢ .

(٣) سورة ق : الآيات ١٨ - ٢٢ .

(٤) سورة القيامة : الآيات ٢٦ - ٣٠

كما يشمل دوره استدعاء أفراد الأسرة لمساعدته فى رفع الروح المعنوية للمريض .. ومساعدته فى تذكير المريض بتلاوة القرآن .. والاستعداد للحظة الموت وتهوين سكرة الموت .

فقد روى عن النبى ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول : ((اللهم هون علىّ سكرات الموت))(١) .

وفى هذه المرحلة يأتى أقارب المريض ويجلسون بجواره .. ولكن بهدوء ودون حديث وإذا تحدث أحد حدث بخير ، عن مسلم عن أم سلمة قالت : ((قال رسول الله ﷺ إذا حضر أحدكم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون))(٢) .

ولهذا استحب أن يحضر لحظة الوفاة الصالحون وأهل الخير من أسرة وأقارب المريض ليذكروه ويدعوا له وينتفع بذلك الميت .

فى إطار ما تقدم نحتاج إلى ممارسة مهنية متخصصة للعمل مع حالات المرضى المشرفين على الموت تتسم بخصائص قد لا تتوافر لدى الأخصائيين الاجتماعيين فى مجالات أخرى وأبرز هذه الخصائص :

١- العلم والمعرفة بالقرآن والسنة المطهرة وسيرة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح .

٢- الاحتساب لوجه الله سبحانه وتعالى والنظر إلى الوظيفة على اعتبار أنها رسالة يرجو منها ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى .

٣- تفهم كافة الإجراءات المرتبطة بمرحلة ما قبل الوفاة وما بعدها .

٤- المهارة فى الاتصال بمؤسسات المجتمع لخدمة أسرة المريض قبل الوفاة وبعدها .

---

(١) متفق عليه .

(٢) شمس الدين القرطبى ، التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ، (السعودية ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، بدون سنة نشر) ص٣٢ .

# تعاطى المسكرات كمشكلة اجتماعية

## الوقاية والعلاج من منظور إسلامى

د . عاطف مصطفى مكاوى

### مقدمة :

إن تعاطى المسكرات يعتبر ظاهرة قديمة وحديثة فقد عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ ومازالت هذه الظاهرة منتشرة في كل المجتمعات بصورة نسبية . وتعاطى المسكرات يؤدى إلى العديد من المشكلات والمخاطر والآثار السيئة على الفرد والأسرة والمجتمع ، صحياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وعقلياً . ومن أخطر آثار تعاطى المسكرات على الفرد أنها تسلبه أعز ما يملك ألا وهو العقل منهبة له أو مغطية عليه أو مقلة أداءه لوظائفه .

ولقد حرم ديننا الإسلام الحنيف المسكرات ممثلة في الخمر وماشابهها تحريماً قاطعاً ، وحرم بيعها وتجارتها وصناعتها ، وعبر عنها القرآن الكريم بأنها ﴿**رجس من عمل الشيطان**﴾ وجب علينا اجتنابه ، عبر عنها رسولنا الأمين محمد ﷺ بأنها (أم الخبائث) ولقد نالت هذه الظاهرة ومازالت اهتماماً متزايداً من جانب الجمعيات والمؤسسات والهيئات الدولية والدارسين والباحثين .

ومن المعروف أن كثيراً من مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد تعرضت لتأثيرات الحضارة الغربية الوافدة عليها ، وهذا التعرض ساهم في زيادة انتشار تعاطى المسكرات تقليداً ومحاكاة لهذه الدول . كما أن الكثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد حُكمت حكماً استعمارياً مباشراً واصطبغت القوانين في كثير من هذه الدول بالصبغة الاستعمارية التى تبيح – وللأسف الشديد – شرب الخمور والإعلان عنها وبيعها والاتجار فيها رغم تحريمها تحريماً إسلامياً قاطعاً لايدع مجالاً ولو قليلاً لتداولها ، أو التعامل معها بأى شكل من الأشكال وبأى صورة من الصور ، وكذلك حرم التداوى بها لأن الله – جل وعلا – لم يجعل دواء الأمة الإسلامية فيما حرم عليها .

وتعمل مهنة الخدمة الاجتماعية في مجالات عمل كثيرة ، ومن بين تلك المجالات مجال الإدمان على المسكرات والمخدرات ، ولها أساليبها الفنية والمهنية في توضيح الآثار الضارة للمسكرات وكيفية الوقاية والعلاج . حيث يعمل الأخصائى الاجتماعى ضمن فريق عمل داخل مؤسسات رعاية وعلاج المدمنين ، ويتكون هذا الفريق من الطبيب والطبيب النفسى والأخصائى النفسى والأخصائى الاجتماعى وفريق تمريض .

وفى الوقت الحاضر هناك اتجاه قوى للعودة بعلومنا الاجتماعية إلى الوجهة الصحيحة والصالحة للتعامل مع مشكلات البشر ألا وهى التأصيل الإسلامى لتلك العلوم ومن بينها مهنة الخدمة الاجتماعية التى يجب أن يكون لها إسهام في هذا الاتجاه .

وحيث إن الخدمة الاجتماعية تعمل مع الإنسان في صوره المختلفة كفرد وكعضو في جماعة أو كعضو في مجتمع ، وأن هذا الإنسان قد يتعرض لمشاكل عديدة ومن بينها مشكلة تعاطى المسكرات ومن هنا يتدخل الأخصائى الاجتماعى مستخدماً معارفه وخبراته ومهاراته في معاونه ذلك الإنسان في العودة إلى حالة السواء وهى الإقلاع عن الإدمان أوتعاطي المسكرات ومهيئاً لذلك بيئة العمل أو المدرسة أو الأسرة لتفهم ظروف ودوافع ما وقع فيه وتقبله عضواً فعالاً بعد العلاج .

ولقد كان التركيز في علاج المدمنين ينصب على الجانب الجسمى والبدنى فقط وإهمال الجانب الروحى لذلك الإنسان المسلم ، والذى يعلم جيداً أن تناول المسكرات من الأمور المحرمة ولكن تحت تأثير وغواية الشيطان ووسوسته قد انحرف نحو تيار الانحراف . لذلك وجب على الأخصائى الاجتماعى تدعيم وتأكيد مالدى الإنسان من قناعة بأنه واقع تحت غواية الشيطان ولابد من العودة والرجوع والإقلاع عن الذنب .

وأخيراً فإن الأخصائى الاجتماعى المسلم في المجتمع المسلم يجب أن يكون له دور أكثر فاعلية في بيان أضرار المسكرات ، وأن يكون له إسهام في أساليب الوقاية والعلاج من المنظور الإسلامى ، لذلك تقوم فكرة هذه الدراسة حول تناول ذلك الموضوع من خلال مباحث ثلاث :

**المبحث الأول** : تعاطى المسكرات .

**المبحث الثانى** : المشكلات الاجتماعية لتعاطى المسكرات .

**المبحث الثالث** : الوقاية والعلاج من منظور إسلامى .

حيث سأحاول في هذا المبحث تناول موضوع حد شارب الخمر ومدى وإمكانية استفادة الخدمة الاجتماعية من تطبيق هذا الحد وقاية وعلاجاً .

## المبحث الأول : تعاطى المسكرات :

### أولاً : نبذة تاريخية :

علاقة الإنسان بالمسكرات علاقة قديمة جداً تعود إلى وجود الإنسان على هذه الأرض ، ويروى أنها عرفت عن طريق المصادفة عندما لاحظ أحدهم أن بعض الفواكه الناضجة الزائدة عن حاجته إذا ما تركت فترة من الوقت في جو دافىء انبعثت منها رائحة ليست بكريهة وإذا ما تناول شيئاً من عصيرها انتشى وهكذا أخذ يكرر العلمية ليحصل على

مزيد من النشوة والسرور فانتشر أمره بين العامة ، فأخذوا يقلدونه حتى شاعت بين الناس وتعارفوا عليها وسرت بينهم سرياناً عظيماً[1] .

ومن تقدم البشرية زاد تعرف الناس على المسكرات ، وتفننوا في تحضيرها وترويجها حتى سادت المجتمعات القديمة ، ففي الصين القديمة نجد أن الأساطير تقص أن خمر الأرز قدم إلى الإمبراطوار (يو) فثار عليهم وصب الخمر على الأرض وحذر من مغبة الاستمرار على شرب الخمر ومن ثم صار يمنع الناس من تناول هذا الشراب[2].

وفي العراق نجد أن البابليين كانوا قد تعرفوا على المسكرات بعدة طرق منها استخراجها من الشعير ومن عصير شجرة النخيل حيث يتم الحصول عليها بشق أعلى جذع النخلة وجمع العصير المتساقط منها الذي يكون غير مسكر ولكنه يخمر لمدة يومين أو ثلاثة أيام فيصبح مسكراً جداً ، وكان البابليون يفرقون بين الشراب المسكر وغير المسكر ، وقد عثر في العهود المتأخرة على آثار يظهر فيها غزال يمسك بإبريق خمر وقدح[3] .

كان العرب في الجاهلية لديهم إقبال شديد على الخمر ، وتفنن العرب في صفاتها وأسمائها وأفرد لها الشعراء مكاناً بارزاً في شعرهم حتى بقيت تلك العادة بعد ظهور الإسلام بمئات السنين وحتى كان من لايشربها من الشعراء المسلمين يصفها ويبدع في وصفها وأسمائها وصفاتها ، وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائماً ويرفرف عليها علم يسمى غاية.

وكان من شيوع تجارة الخمر أن أصبحت كلمة التجارة مرادفة لبيع الخمر وكلمة تاجر مرادفة لبائع الخمر ، وكانت كل العوامل المؤدية إلى الإدمان متوفرة فالخمر وفيرة والحصول عليها أمر ميسور ، وشرب الخمر إحدى صفات الرجولة ، وتقديمها مع الطعام يعتبر قمة الإكرام مع اعتقاد راسخ بأن الخمر دواء وغذاء ومقوية للبدن وباعثة للشجاعة والكرم[4] .

---

(١) صباح كرم شعبان : السياقة تحت تأثير المسكرات أو المخدرات ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

(٢) وول ديورانت : قصة الحضارة ، الكتاب الثالث ، ترجمة زكي نجيب محمود .

(٣) جورج كونتينوا : الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ،ترجمة سليم التكريتي وبرهان التكريتي - دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩ .

(٤) محمد علي البار : الخمر بين الطب والفقه ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ،١٩٨٤ .

وجاء الإسلام فغير تلك المعتقدات الخاطئة وحرم الخمر تحريماً قاطعاً ، ووضع الحدود علي ساقيها وبائعها وشاربها .

## ثانياً : المفاهيم الرئيسية في هذه الدراسة :

### مفهوم السكر :

**المعنى اللغوى :** س ك ر - السكران ضد الصاحي والجمع سكرى وسكارى بفتح السين وضمها والمرأة "سَكْرِي" ولغة في بني أسد "سكرانه" ، و"سَكِر" من باب طرب والاسم "السُّكر" بالضم و"أسْكَرَه" الشراب و"السكير" كثير السكر و"السُّكير" بالتشديد الدائم السكر و" التساكر" إن يرى من نفسه ذلك وليس به و" السكر" بفتحتين نبيذ التمر وفي التنزيل : ﴿تتخذون منه سكراً﴾ و" سَكْرة" الموت شدته.

و"سَكَرَ" النهر سَدّه وبابه نصر و "السِّكر بالكسر العرم وهو المسناة وقوله تعالى : ﴿سُكرت أبصارنا﴾ أي حبست عن النظر وحُيِّرت وقيل غُطِّيت وغشيت ، وقرأها الحسن مخففة وفسرها سحرت ، و"السكر" فارسى معرب واحدته سُكَرة(١) .

**السكر في الشريعة :** غيبة العقل متى تناول خمراً ومايشبه الخمر ويعتبر الإنسان سكران إذا فقد عقله فلم يعقل قليلاً ولا كثيراً وعند محمد وأبى يوسف وهم من فقهاء الحنفية «أن السكران هو الذى يغلب على كلامه الهذيان» ويستدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون﴾(٢) .

**السكر في القانون :** المقصود بالسكر هى تلك الحالة التى يفقد فيها الشخص شعوره أو اختياره بصفه مؤقته أو عارضة على إثر تعاطيه لكمية من سائل مسكر أو مادة مخدرة تكفى لإحداث هذه النتيجة ، ولاعبرة بنوع السائل المسكر أو المادة المخدرة ، فلفظ السكر تعبير عن الحالة الذهنية الناشئة عن تناول مايسكر أو يخدر ولايقصد به الإشارة إلى صنف بعينه من السوائل أو المواد التى تؤدى إلى هذه الحالة ، ولا أى وسيلة بعينها في تناولها أو تعاطيها وتختلف حالة السكر إذاً عن حالة الجنون أو العاهة العقلية في أنها ليست مرضية كما أنها حالة طارئة ومؤقتة(٣).

**مفهوم المسكرات :** جاءت الأسماء العديدة للمسكرات ، منها مايشمل عدة أنواع، ومنها ما يتناول نوعاً واحداً ومن أشملها السكر وهو مأخوذ من سكر الماء وسمى مغيب العقل

(١) الإمام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، دار نهضة مصر ، القاهرة ص٣٠٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ٤٣ .

(٣) عبد الخالق النواوى : التشريع في الشريعة والقانون ، المكتبة العصرية ، بيروت ص ص١٧١/١٨٤ .

سكراً لأنه يسكر ويحجب عنه المعرفة ، ومن أسماء المسكرات "الخمر" وهى تؤنث وتذكر(1).

**المعنى اللغوى للخمر :** خمره وخَمِر وخُمور مثل تَمرة وتمر وتُمور يقال " خَمْرة" صِرف قال ابن الإعرابى : سميت الخَمر خمراً لأنها تُركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها، وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل ، والخمير الدائم الشرب للخمر ، والخُمَار نقية السُكَر تقول رجل خمر بوزن كَيف ومخمور .

واختمرت المرأة لبست الخمار ، والخَمِير مايجعل في العجين تقول خَمَر العجين أى جعل فيه العجين وبابه ضرب ونصر . والتخمير التغطية يقال خمّر إناءك والمخامرة المخالطة واستخمره استعبده ومنه حديث معاذ (من استخمر قوماً أوَلهم أحرار) أى أخذهم قهراً وتملك عليهم(2) .

**الخمر شرعاً :** اتفق الفقهاء على أن النيئ من العنب إذا غلى واشتد يسمى خمراً ولكنهم اختلفوا فيما إذا كان الخمر مختصاً بالنيئ من ماء العنب إذا غلى واشتد ، أم أنه يتجاوزه إلى كل شراب مسكر على ثلاثة أقوال :

**القول الأول :** قول أبى حنيفة رحمه الله : إن الخمر مختص بالنيئ من ماء العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد وسكن عن الغليان .

**القول الثانى :** قول جمهور من الحنفية والإمامية والزيدية : إن الخمر اسم مختص بالنيئ من ماء العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد أم لم يقذف .

ووجه أبى حنيفة : إن الغليان بداية الشدة وكمالها بقذف الزبد - وأحكام الشرع قطعية تناط بالنهاية ، ووجه هذا الحكم : إن السُّكر يتحقق بدون قذف بالزبد .

**القول الثالث :** قول الجمهور : إن الخمر وإن كان اسماً للنيىء من ماء العنب إذا غلى واشتد إلا أنه ينصرف إلى كل شراب مسكر ، وعليه فإنه كل مسكر خمر عند جمهور الفقهاء سواء كان من العنب أم من التمر أم من الحنطة ونحو ذلك(3) . وأيضاً فالخمر هو كل مخامر للعقل مغط عليه له وواقع الأمر أن الخمر لاتفعل أكثر من ذلك لأنها تغطى المناطق المخية العليا وهى الموجودة في القشرة لفص المخ (Crebrad Cortex) وهى مراكز الإرادة والأخلاق والفكر والروية وكافة التصرفات العقلية والعقل هو الذى يمنع الإنسان من كل ماهو ضار وكل مايكتسبه الإنسان من موانع أخلاقية وأحكام خلال التنشئة

---

(1) صالح عبد الله الأطرم "المسكرات : حكمها أدلتها" بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفترة من ٢٧-٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ، ص٣٥٥ .

(2) الإمام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سبق ذكره ، ص١٨٩ .

(3) ماجد أبو رخية : الأشربة وأحكامها ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٠م .

الاجتماعية، ولذلك فالسكران يتصرف تصرفات لا يدركها ؛ لذلك سميت أم الكبائر لأن شارب الخمر قد يسرق ويقتل ويرتكب الفاحشة في محارمه دون وعي ، أعاذنا الله وجميع المسلمين منها (1).

وأخيراً فإن لفظ الخمر الوارد في القرآن الكريم هو اسم لكل مسكر من العنب والتمر والبر والشعير وغير ذلك ، قليلها وكثيرها كما تؤيده اللغة والسنة الصحيحة وأقوال سلف الأمة(2) .

**رأى الباحث :** أقصد بالمسكرات في هذا البحث كل ما يغيب عقل الإنسان أو يذهبه سواء كان خمراً أو كحولاً أو مشروباً روحياً امتثالاً لقول الرسول ﷺ : «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» رواه مسلم .

**مدمن الخمر :** في تعريف منظمة الصحة العالمية (WHO) في ١٩٥٢ لمدمن الخمر مايوضح تحديد إدمان الخمور :

مدمنو الخمور هم الأفراد الذين يكثرون "يسرفون" في الشراب حتى تصل درجة اعتمادهم على الخمر ، بما يتضح معها وجود اختلالات عقلية واضحة أثناء التعاطى وتعطل في قواهم البدنية والصحية وفي علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين ، وفي اضطراب وظائفهم الاجتماعية والاقتصادية ولذلك فإنهم في حاجة إلى المعاونه العلاجية(3).

## ثالثا : الشريعة الإسلامية وتحريم المسكرات :

خلق الله –سبحانه وتعالى– الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ليكون خليفة له في أرضه ، ومنفذاً لمشيئته وإرادته ، وموضعاً لأسراره وحكمته ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ليعمل فيها بثاقب نظره ونافذ فكره ، حتى يقف على بديع صنعته وعجيب قدرته وينفذ إلى ما أودعه فيها من الأسباب والقوانين التى اقتضتها حكمته وإرادته لتتحقق بذلك ماسبقت به المشيئة من فنون العمارة وأسباب الحضارة .

---

(١) فاطمة محمد صالح الحضار : المخدرات وأضرارها على الفرد والمجتمع وطريق الخلاص منها ، مطابع دار الهلال ، الرياض ١٤٠٥ هـ ، ص٢١-٢٢ .

(٢) عبد الرحمن عبد الله : تفسير آيات الخمر ، بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفترة من ٢٧-٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ ص١١٦ .

(٣) عبد المجيد سيد أحمد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، سلسلة كتب مكافحة الجريمة الكتاب الخامس ، ومركز أبحاث مكافحة الجريمة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـ ، ص١٣٩ .

وقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان الآلة التى تصل به إلى ذلك وهى العقل ، وأمره بالمحافظة عليه وتجنب مايحول بينه وبين أدائه لوظائفه ، فإذا ذهب عقله انحط إلى درك البهائم وانحدر إلى فصائل العجماوات ، وقد يعتدى الإنسان على ذلك العقل بأن يتعاطى مسكراً يؤدى إلى تعطله عن أداء وظائفه ولو لفترة من الوقت ، وهنا نجد أن شريعة الإسلام قد تدخلت لتضع الحد الفاصل وهو اعتبار المسكرات محرمة في الكتاب والسنة والإجماع[1] ولم تحرم نصوص القرآن الخمر دفعة واحدة بل جاء التحريم تدريجياً ، لأن شرب الخمر كان متفشياً بين العرب حتى إذا أصبحت النفوس مهيئة لاستقبال التحريم جاء النص القرآنى الصريح في التحريم[2].

وقد مر التحريم "تحريم الخمر" باعتبارها مسكراً في القرآن الكريم في أربع مراحل وسأعرض لهذه المراحل باختصار كما يلى :

**المرحلة الأولى : إن الخمر غير حسن في ذاته :**

قال الله تعالى ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً**﴾[3] .

قال ابن عباس والحسن وغيرهما إن السكر هو ماحرم الله والرزق الحسن هو ما أحل الله.

**المرحلة الثانية : إن إثم الخمر أكبر من نفعها :**

قال الله تعالى : ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾[4] .

وفي هذا إشارة إلى أن تركهما هو الأولى مادام الإثم أكبر من النفع وأحكام الشرع والعقل تقتضى أن كل شيء مضرته أكبر من نفعه يحرم . وتعكس هذه الآية رداً لرسول الله ﷺ على سؤال المسلمين الأوائل حول هذا الموضوع في سنوات الإسلام الأولى . وفي هذا الوقت لم تكن الخمر محرمة تحريماً قاطعاً ، والرد يشرح الفوائد والمضار للخمر من الوجهة الاقتصادية دون التعرض لتأثير الخمر على صحة الأفراد .

---

(١) أحمد على طه ريان : المخدرات بين الطب والفقه ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٥ص ٥-٦ .

(٢) فكرى أحمد عكاشة ، والخمر في الفقه الإسلامى ، المختار الإسلامى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ص ١٦ .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

**المرحلة الثالثة : إن شارب الخمر لايقرب الصلاة :**

قال الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون**﴾[(١)] بهذا النص كان على المؤمن الامتناع عن شرب الخمر عند أوقات الصلاة حتى لايصلى وهو سكران ، وهذا سيؤدى إلى أنه لايسكر طول النهار وجزءاً من الليل فالشارب يتعود الانقطاع عنها بعد أن كان لايستطيع ، وذلك لأن الصلاة المفروضة في خمسة أوقات معظمها متقارب ولايكفى مابينهما للسكر .

ولقد جاء فى تفسير القرطبى أن المراد من قوله تعالى : ﴿**حتى تعلموا ما تقولون**﴾ أى حتى تعلموه أى حتى تعلموه متيقنين منه من غير غلط ، والسكران لايعلم مايقول ، ولذلك قال عثمان بن عفان رضى الله عنه إن السكران لايلزمه طلاق وقد أجمع العلماء على أن السكران معتوه كالموسوس معتوه بالوسواس . وقال سفيان الثورى : حد السكر اختلال العقل فإذا استقرئ فخلط في قراءته وتكلم بما لا يعرف جلده وقال أحمد : إذا تغير عقله عن حال الصحة فهو سكران، وحكى عن مالك نحوه قال ابن المنذر : إذا خلط في قراءته فهو سكران استدلالاً بقوله تعالى : ﴿**حتى تعلموا ما تقولون**﴾[(٢)] .

**المرحلة الرابعة : إن الخمر رجس من عمل الشيطان :**

قال الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾[(٣)] . وذلك في السنة الثالثة من الهجرة بعد موقعة أحد و لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادى المدينة : ألا أيها القوم إن الخمر قد حرمت فمن كان في يده كأس حطمها ، ومن كان في فمه جرعة مجّها .

وعند نزول هذه الآية كان الإسلام قد قوى في نفوس الناس وتسامت أرواح المسلمين ، ولكن الأمر الذى يعد حيوياً بالنسبة لهذه الدراسة ليس هو الإرادة القوية التى ساندت الأفراد في فعل مايؤمنون به فحسب ، ولكن أيضاً الفائدة البدنية المكتسبة من وراء هذا . ذلك أن شرب الخمر لمدة طويلة يؤدى إلى زيادة نسبة تركيز الكحول في الدم الذى يستتبع زيادة الجرعة التى يحتاجها المدمنون وإلى إطالة فترة النقاهة .

---

(١) سورة النساء : الآية ٤٣ .

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، الجزء الخامس ، دار الكتاب عربى، القاهرة ١٩٦٧ م ص ٢٠٣ .

(٣) سورة المائدة : الآيتان ٩٠-٩١ .

وتتضمن هذه الآية تحريماً نهائياً لشرب الخمر بالإضافة إلى شرح يتناول المصلحة الاجتماعية والنفسية التى وراء هذا التحريم(١) .

## رابعاً : بعض الأحاديث النبوية وتحريم المسكرات :

رويت عن النبى ﷺ أحاديث كثيرة في تحريم المسكرات ومنها :

١- (قال أبو هريرة أن النبى ﷺ أوتى ليلة أسرى به بإيلياء - بقدحين من خمر ولبن ، فنظر إليهما فأخذ اللبن ، فقال له جبريل عليه السلام : الحمد لله الذى هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك)(٢) .

٢- عن عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ ((كل شراب أسكر فهو حرام))(٣).

٣- عن وائل الحضرمى (أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها فقال : إنما أصنعها للدواء فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء)(٤) .

## خامساً : آراء الفقهاء في تحريم المسكرات :

حاول الفقهاء الوقوف عند المسكرات ودراستها وتحديدها وبيان أحكامها ، وظهرت مدارس واجتهادات شتى ، ويلاحظ أن الجميع اتفقوا على أن المسكر من الخمر ، مع اختلاف حول مفهوم السكر وموضوعه والفقه الإسلامى زاخر بهذا الموضوع ، وقد اختلف الفقهاء حول موضوع المسكرات ، ولكنهم اختصوا موضوع الخمر بالإجماع ، فالخمر لديهم اسم للنيىء من ماء العنب بعدما غلى واشتد وقذف بالزبد ثم سكن عن الغليان وصار صافياً مسكراً . وأجمع الفقهاء على إلحاق بقية المسكرات بالخمر ، وذهبوا إلى توسيع القاعدة لتشمل كل ما كان معروفاً من أشربة في ذلك الوقت وأشاروا إلى السكر والفضيخ ونقيع الزبيب والطلاء والبذق والمنصف والجمهورى والخليطان ونبيذ العسل أو التين وكل هذه ملحقة بالخمر في الحكم الشرعى . وذهبوا إلى أن الخمر هو كل ما يؤدى إلى ستر العقل وتغطيته معللين ذلك بأن الخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهذه الصلة

---

(١) عائدة عبد العظيم البنا : الإسلام والتربية الصحية ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، السعودية ١٤٠٤هـ ص٨١ .

(٢) صحيح مسلم - الجزء الثالث ، ص١١١٢ .

(٣) صحيح البخارى - الجزء الأول ص ١٥٣ .

(٤) صحيح مسلم الجزء الثالث ، ص ١٠٩٩ .

وجودة في جميع المسكرات وأجمعوا على أن الخمر من ماء العنب حرام سواء أسكر أو لم سكر(1) .

## سادساً : بعض التشريعات الوضعية الخاصة بموضوع المسكرات :

يوجد تباين كبير بين تشريع وآخر بسبب اختلاف وجهات النظر إلى موضوع المسكرات، ويبدأ الخلاف بدءاً من التسمية حيث يلاحظ أن بعضاً من التشريعات تطلق على المسكرات مصطلح الخمر وأخرى تسميها الكحول وغيرها تسميها المشروبات الروحية(2) .

ومن ثم يتخذ كل تشريع منحىً مغايراً في نظرته إلى مفهوم المسكرات ، حيث يلاحظ أن أغلب التشريعات حاولت الابتعاد عن إيراد تعريف محدد جامع مانع للمسكرات ولاغرابة في ذلك فكل تشريع إنما ينبع من خلفية اجتماعية وسياسية معينة ،وحسب نظرة المجتمع إلى موضوع السكر والمسكرات ، حيث تختلف بصددها المواقف والآراء .

وقد تفادى المشرع في لبنان والبحرين تعريف المسكرات .

بينما أشارت التشريعات في كل من ليبيا ومصر وسوريا والكويت إلى المشروبات الروحية أو الخمرة أو المشروبات الكحولية وماهو في حكمها بدون الخوض في بيان مكوناتها وآثارها .

واكتفى المشرع اليمني بالقول كل مواد أو مشتقاتها والتي تؤثر في حرية الاختيار الإرادة وذلك بالنقص والإزالة(3) .

وأما المشرع الأردني فقد حاول إيراد تعريف جامع ونص على "الكحول المشروبات الروحية على اختلاف أنواعها وتشمل العرق والكونياك والنبيذ وجميع المشروبات الممزوجة بالكحول ومزيج الكحول ومستحضراته ومركباته وكل مشروب آخر مخمر أو كحول تبين أنه بتحليل عينه منه في أى وقت يحتوى على ٢٪ من الكحول(4) .

أما المشرع العراقى فقد حدد في قانون المشروبات الروحية رقم "٣" لسنة ١٩٣١ في المادة الأولى فقرة "د" أن المشروبات الروحية هي كحول الشراب والكحول المحتوية على المثيل والكحول والشراب والبيرة وأى سائل مؤلف من أكثر من ٢٪ من الكحول أو يحتوى

---

1) صباح كرم شعبان : السياقة تحت تأثير المسكرات أو المخدرات : مرجع سبق ذكره ، ص ص٢٩/٣٢ .

2) صباح كرم شعبان : المرجع السابق ص٣٣ .

3) ظاهرة تعاطى المسكرات: المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٧٣ ، ص٢٣ .

4) المرجع السابق ص٣٤ .

على أكثر من هذا المقدار لاتشمل العطور ولامستحضرات الزينة أو المستحضرات الطبية المؤلفة من كحول أو محتوية عليها"(١) ولما كانت الاتجاهات السائدة في كافة التشريعات التركيز على المادة "المسكرة" وهى المادة "الكحولية" والمادة الكحولية مثبتة في الكتب العلمية والطبية فلابد من توضيح المفهوم العلمي لمصطلح الكحول إتماماً للفائدة .

ومعادلة الكحول الكيميائية هى «C2 H5 OH» حيث أنها تحتوى على جزئيتين من الكاربون مذابة بخمس جزئيات من الهيدروجين وجزئية واحدة من كل من الأوكسيجين والهيدروجين ويكون على شكل سائل عديم اللون ذو رائحة نفاذة له قابلية الذوبان في الماء ويتطاير عند تعرضه إلى الحرارة الاعتيادية ، ويمكن الحصول عليها عن طريق التخمير أو التقطير ، ومن خصائص مادة الكحول أنها سريعة الامتصاص من قبل الحجيرات الجسمية وذات تأثير متعدد على مراكز التحسس في الجسم البشرى حيث تؤثر بصورة فاعلة على خلايا قشرة المخ ، وتهيج المعدة وتوسع العروق الجلدية وتهبط وظيفة الكبد ويؤدى الاستمرار في تناول الكحول إلى ضعف تدريجى في العقل وعدم السيطرة واضطراب الحركة(٢) .

## رأى الباحث :

### بالنسبة للتشريعات الوضعية الخاصة بموضوع المسكرات :

يرى الباحث أن هناك تبايناً واختلافاً بين التشريعات الوضعية في قضية تعاطى المسكرات وسيظل هذا التباين والاختلاف سارياً حتى يتم تطبيق شرع الله فيما يختص بتحريم المسكرات تحريماً قاطعاً ، وتطبيق حدود الله في شارب الخمر . ومن ثم يكون الرادع والزاجر مناسباً لتلك الجريمة . وإذا كانت هناك بعض المجتمعات المسلمة تبيح تعاطى الخمور وبيعها والاتجار فيها فستضيع معظم محاولات الإصلاح هباءً منثوراً.

## المبحث الثانى : المشكلات الاجتماعية لتعاطى المسكرات :

### أولا : المسكرات مشكلة اجتماعية :

بعد تناول مشكلة المسكرات في القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء ، وفي بعض التشريعات الوضعية سأعرض لها باعتبارها مشكلة اجتماعية .

---

(١) صباح كرم شعبان : السياقة تحت تأثير المسكرات أو المخدرات : مرجع سبق ذكره ، ص٣٤ .

(٢) إبراهيم الدليمى ، دراسة استطلاعية عن ظاهرة الإدمان على الكحول ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد، ١٩٨٥م ص ٣ .

لقد تعددت مفاهيم المشكلة الاجتماعية ، فيعرفها البعض بأنها وضع اجتماعى غير مرغوب فيه ، وهناك حاجة إلى جذب الانتباه إليه ، وذلك إما في رأى نسبة كبيرة من الناس في المجتمع أو في رأى أصحاب السلطة في المجتمع ، وهناك بعض الحقائق الاجتماعية يجب التعرض لها قبل الحكم على وضع اجتماعى معين بأنه غير مرغوب فيه منها : أنه قبل وجود جريمة أى مشكلة تتصل بالجريمة فيجب أن يكون هناك مجرمون وقبل وجود مشكلة إدمان هناك مدمنون وهكذا[1].

ويذهب توماس كوين T. Quinn إلى أن المشكلة الاجتماعية هى عجز ما في وظائف النظم الاجتماعية التى تحدد أبعاد العلاقات الاجتماعية[2] .

وترى زوفيا بتريم Zofia Batrym أن المشكلة الاجتماعية من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية تتمثل في عجز عن أداء واجب معين في ظرف معين[3] . بينما إيفلين شولمان Eveline D'Schulman تحدد خمس خطوات لحل وعلاج المشكلات تتضمن :

أولاً : تحديد المشكلة ثانياً : تحديد الأهداف ثالثاً : تحديد البدائل

رابعاً : اختيار البديل الأمثل والأكثر قدرة على تحقيق الأهداف .

خامساً : التقويم النهائى للعمل[4] .

كما يجب الاهتمام بتحديد أين توجد المشكلة ؟ ماهى المشكلة ؟ مالذى جعل المشكلة تظهر ؟ كيف يمكن مواجهتها ؟

وتتضمن ممارسة الخدمة الاجتماعية تحديد مايؤديه الأخصائيون الاجتماعيون وكيفية تطبيق المعارف المهنية وتقديم خدمات مباشرة وغير مباشرة لتحسين نوعيه الحياة والوقاية من الوقوع في المشكلات وحل تلك المشكلات[5] .

---

(1) Jon M. Shepard, Harwin L. Voss : Social Problems, N.Y (Macmillan Publishing Co., 1978 PP. 1-2 .

(٢) نيقولا تماشيف : نظرة علم الاجتماع ، ترجمة محمود عودة وآخرون ، ط ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣م ص١٨٤ .

(3) Zofia Batrym :The Nature of Social Work , N.Y.,(The Macmillan Press, L.T. D.1982)P.5

(4) Eveline D'SChulman(Editor): Intervention in Human Services, (Merrill Bublishing Company Chio . 1986) PP.41-45 .

(5)Mary Wirtz Macht and Others : Social Work : An Introduction ,Printed in the U.S.A 1986 P.5

ويتضمن العمل مع المشكلات الاجتماعية تحليل تلك المشكلات مع الوضع في الاعتبار القوى والمراكز الاجتماعية للمتأثرين بها والمصادر التى توظف لحلها(١) .

والمشكلات الاجتماعية تعرف كذلك بأنها الاختلاف بين المستويات المرغوبة والظروف الواقعية(٢) .

**ثانيا : طبيعة المشكلات الاجتماعية :**

تعتبر برامج الرعاية الاجتماعية حلولاً للمشكلات الاجتماعية ، والمشكلات الاجتماعية التى تواجهها برامج الرعاية الاجتماعية هى بالضرورة التى تؤثر على أعداد كبيرة من الأفراد ، ولكى نطلق على المشكلة أنها مشكلة اجتماعية فيجب أن يمتد تأثيرها على أكثر من شخص . كما أن المشكلات الاجتماعية ليست متساوية التأثير ، ويرى البعض أن أهمية المشكلة يعتمد على جانبي القوة والمكانة الاجتماعية لهؤلاء الذين حددوا المشكلة وحددوا مصادر الإنفاق على الحل وعدد الأفراد الذين يتأثرون بها .

ولهذا فكلما زاد عدد الأفراد المتأثرين بالمشكلة وزادت مكانة وقوة المهتمين بحل المشكلة ازدادت أهمية المشكلة الاجتماعية ، وازدادت برامج الرعاية الاجتماعية المقدمة لهؤلاء الأفراد كماً وكيفاً(٣) .

وإن السكر والإدمان على المسكرات آفة "مشكلة" فردية واجتماعية واقتصادية ، وقد ذهبت كل المحاولات وخاصة الوضعية منها لردع الناس عن هذا الولع أدراج الرياح ، فليس في العالم أى نظام سياسى استطاع مكافحة السكر مكافحة ناجحة ، فالرجل الغربى يقدر النشوة الناتجة عن الكحول ويعتبرها أقل المخدرات ضرراً .. مع أن أضرار الكحول لاتحصى ولاتعد(٤) .

ولايشكل إدمان الخمر في كثير من الدول الإسلامية معضلة كبرى مثل الدول الأوربية وذلك للعوامل الدينية التى تحرم شرب الخمر على المسلمين ، ولكن الكثير من هذه

---

(1) Donald E. Chambers ; Social Policl Programs, N.Y., (Macmillan Publishing Company .1986)P.7

(2) John Stimsom and Others : Social Problems , Definition and Solution, N.Y., (John Willey and Sons .1985)P393.

(3) Donald E. Champers, Op. Cit, PP 7-8

(٤) محمد رفعت : الموسوعة الصحية : الآفات الاجتماعية والأمراض النفسية ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨ م ص١٤ .

الدول مازالت تواجه إدمان الخمر التى هي في زيادة مطردة ، ويجب التفرقة هنا بين التعود على الخمر وهو شرب نفس الكمية يومياً لعدة سنوات دون زيادة ظاهرة ، وبين الإدمان وهو زيادة الجرعة دائماً مع ظهور تدهور خلقي وأدبي واجتماعي في سلوك المدمن(١) .

## ثالثاً : مشكلات الإدمان على المسكرات :

إن الإدمان يشكل مشكلة خطيرة بين فئات الكبار والشباب معاً لما يصاحب ذلك من أفعال سلوكية ضارة ، إذ الكبار من المدمنين يسهمون في إهمال أبنائهم والإشراف الكامل عليهم لكثرة استمرارهم غائبين عن وعيهم مما يزيد من فرص تورط أبنائهم في أفعال

لأن الإدمان لايحدث إلا إذا اجتمع المسكر أو المخدر في بؤرة الاهتمام الرئيسية لفكر متعاطى وعواطفه وعلاقاته وبيئته ، ويقضى المدمن وقته مهموماً ومرتبكاً فى تخطيط أين ؟ ومتى ؟ وكيف يتعاطى جرعات المخدر أو المسكر التى اعتاد عليها ؟ ومن ثم يحطم ذاته ، ويحطم علاقاته مع الأسرة والأصدقاء والمهنة ومختلف الجماعات التى ينتمى إليها وتصبح باقى أهداف الحياة ثانوية بالنسبة له.

إن هذه الشخصيات المحطمة بسبب الإدمان سوف تظهر آثارها بالضرورة إذا تغلبت الظاهرة على القدرات البشرية فتنقص من كفايتها ، وينعكس ذلك على الطاقة الإنتاجية للمجتمع واقتصاده القومى بصفه عامة(٢) .

وتتعدى مشكلة المدمن ذاته وتؤثر على مجال العائلة ، فإهماله لعمله وبيته يجعل الحياة الزوجية محطمة تماماً ، وينشأ الأطفال في جو مرضى يسبب لهم بعض الأمراض النفسية والعقلية عند نضجهم .. ويتعرض مدمن الخمر والمسكرات عموماً لعدد من المضاعفات أهمها :

١- **مضاعفات جسمية** : مثل التهاب المعدة المزمن ، قرحة المعدة والإثنى عشر ، التهاب أطراف الأعصاب مع التنميل والحرقان في الأيدى والرجلين ، وتليف الكبد وعدم تمكنه من القيام بوظائفه ، وكذلك بعض الضعف في عضلات القلب .

٢- **مضاعفات عقلية** : وأهمها تدهور الشخصية والإتيان بسلوك شاذ غير اجتماعى ، مع ظهور الهذيان ، إما في هيئة حادة مثل الهذيان الارتعاشى ، أو مزمنة مثل حالة

---

(١) أحمد عكاشة : الطب النفسى المعاصر ، مكتب الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص٣٤٩ .

(٢) ياسين صالح أندر قيرى (تدابير الوقاية والعلاج لظاهرة تعاطى المسكرات والمواد المخدرة في المجتمع الإسلامى) بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى الفترة من ٢٧-٣٠جمادى الأولى هـ ص١٥ .

كورساكوف أو الهذاءات الخيلائية الاضطهادية والغيرية . وعادة مايصاب المدمن بعدة أعراض عقلية من جراء كثرة تناوله للخمر ، ومن أمثلة ذلك: النسيان والقيام بتصرفات غريبة أو إهانات والاعتداء على أقاربه أثناء تناول العقار ، ثم نسيان ذلك صباح اليوم التالى وإنكاره التام لاحتمال حدوث هذا السلوك منه ، ويصاب كذلك المدمن بالضعف الجنسى ، ويبدأ في الشك في زوجته وفي سلوكها تعويضاً لضعفة الجنسى ، وأحياناً مايصاحب بأفكار اضطهادية أن الناس تتكلم عنه وتتجسس عليه وأنهم يتسمون ويضحكون من منظره . . وأن المدمن يصبح في حالة تهيج عصبى مستمر .

٣ - مضاعفات اجتماعية : وتنعكس في جميع أوجه حياة المدمن فتسوء علاقته مع العائلة ويصبح عنيفاً في علاقته مع زوجته مما يشجع على الانفصال أو الطلاق ، ويهمل ذاته وعمله ويقل إنتاجه وتهبط الثقة بمقدرته ويبدأ فى الانعزال ويفقد الكثير من اهتماماته وطموحه(١).

ومن المضاعفات الاجتماعية كذلك تأثير الخمر علىالعلاقات الزوجية في المجتمعات التى تبيح تعاطى الخمور ، وترتفع نسبة طلاق النساء المدمنات على الخمر عن نسبة الطلاق بين المدمنين، وفي هذا مايشير إلى تقبل زوجه المدمن لزوجها المدمن ، وزوجات المدمنين إما شاكية باكية تحاول استدرار عطف زوجها وتثنيه عن عزمه ، وإما مذبذبة تشعر بالحب والكراهية نحو زوجها ، أو ضعيفة وقلقة ومتخوفة أو عدوانية متسلطة .

وتحاول زوجة المدمن عندما تشعر بإدمان الزوج ، التستر عليه وتحاول عزله اجتماعياً وتتدبر هى بنفسها توجيه الأسرة وإدارة شئونها وتستقل عن الزوج ، وعادة تحاول العلاج أو الطلاق .

والزوج المدمن لايشارك في نشاطات الأسرة ولا ينفذ دوره المطلوب ، إذ يغيب عن البيت عند ظهور الأزمات التى تتطلب تصرفه ، وغالباً مايثير هذا سخط الزوجة وعدم الرضا وتتضرر من رائحة الخمر التى تفوح منه ومن تهديده ومن شجاره المتواصل .

وفي ردود فعل الزوجات لإدمان الأزواج ، تبين أن الكثير من الزوجات يعتمدن على أنفسهن وتتجاهلن سلوك الزوج ، ويقمن بمساعدة أطفالهن وإدارة شئون الأسرة ، بغية أن يثوب الزوج إلى رشده ويبدأ العلاج ، في حين تبين أن إنكار الزوجة والأبناء والسخرية من الزوج بل والشجار معه قد يترتب عنه نتائج إيجابية علاجية ، أفضل من التجاهل والخصام والسكوت ، أى أن التفاعل الإيجابى داخل الأسرة أفضل من ردود الفعل السلبية ، ويعانى

---

(١) أحمد عكاشة ، الطب النفسى المعاصر ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٥٦.

الأبناء في الأسر التى يدمن فيها أحد الأبوين تعاطى الخمر ، يعانون من اضطرابات مادية وعاطفية ، حيث تضطرب العلاقة بين الأبوين ، ويواجه الأبناء مواقف تعوق النمو بصورة سليمة .

فالآباء المدمنون متقلبون من الناحية المزاجية ، يتصف سلوكهم بالعدوانية والقسوة مع الزوجة والأبناء والاكتاب وكثرة الغياب عن البيت ، وقد يحدث تذبذب فى علاقة الأبناء بالأباء فقد يميل الطفل إلى الأب المدمن عند وجود الأم المتسلطة ، حيث يغالى الأب المدمن في تدليل الطفل والعطف عليه أثناء وعيه ليغطى شعوره بالذنب ، وقد يواجه أبناء المدمن احتمال الحرمان من الأب المدمن بسبب وفاته أو طلاق الأبوين ، ويشكو أبناء المدمنين من كثرة شجار الأبوين وعدم الاهتمام بالأبناء ، وقد يشكو الأبناء من أمراض جسمية وهمية كما أنهم يفتقدون العلاقات الاجتماعية الطيبة(١) .

**٤- الآثار الاقتصادية للخمر :** ناقش كل من بيرى (Berry) وبولاند (Boland) شرب الخمر من الوجهة الاقتصادية وأوضحا الفائدة والتكلفة الناجمة عن التجاوز في شرب الخمر واستندت دراستهما على مبدأ أساسي للغاية :

من البديهيات الأولية أن هناك تشابها كبيراً فى عملية اتخاذ القرار الخاص واتخاذ القرار العام .

فمن المستحيل أن يختار مستهلك أن يشترى منتجاً ما ، تزيد قيمة مايدفعه فيه عن قيمة الفائدة التى يحصل عليها من ورائه ، وعلى هذا النحو فإن على المجتمع أن يتحاشى تلك السلع التى تزيد قيمة الخسارة الناجمة عن شرائها عن قيمة مكسبها الاجتماعى .

ثم عدد بيرى وبولاند الآثار الاقتصادية الناجمة عن التجاوز في شرب الخمور :

١- قد يصبح مدمنو الخمر أقل قدرة على الانتاج .

٢- فقد العمل هو نهاية الطريق بالنسبة لمدمن الخمر .

٣- يزيد إدمان الخمر من مخاطر وقوع حوادث السيارات والعمل وحوداث المنزل .

٤- بذل جهود إضافية بالنسبة لسلامة المرور وتقوية أجهزة العدالة الجنائية والشرطة والمحاكم ، وما إلى ذلك مما يؤدى إلى انخفاض مستوى الخدمات العامة .

٥- يعانى العمال المدمنون للخمر من نسب أعلى من الغياب والتأخير والمرض عن العمال الذين لايدمنون أو يتعاطون الخمر .

---

(١) عبد المجيد سيد أحمد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٦٥، ١٦٧ .

٦- فقد الدخل في استهلاك المنتجات الاقتصادية الأخرى(١).

كما يشير كل من يولمان وهادوكس (Uelmen & Haddox) سنة ١٩٨٣ . إلى أن إدمان الخمور والكحوليات يكلف الولايات المتحدة الأمريكية وفقاً لإحصاء تم سنه ١٩٧٥م يوازى ٤٣ بليون دولار سنوياً ، وهذا التقرير الخاص بأثر الكحوليات على الاقتصاد القومى ينظر إليه بطريقتين رئيسيتين :

١- عادة تعاطى الخمور تجعل الأفراد أقل قابلية لأداء أعمالهم ،والقيام بمسئولياتهم ، وبالتالى فإن المجتمع يفقد جانباً من جوانبه الاقتصادية عن طريق انخفاض الإنتاجية الخاصة بهؤلاء الأفراد .

٢- هناك خدمات عديدة تتأثر بنتائج تعاطى الخمور ، كهيئات الصحة والهيئات الاجتماعية ورجال الأمن ورجال المطافئ ، وغيرهم ممن يتدخلون في المشاكل الناجمة عن الدمار الذى يلحق بالمنشآت أو غيرها نتيجة الأفعال التى يرتكبها المدمنون ، إضافة إلى الخسائر التى يتحملها الأفراد الذين يلحق بهم الضرر من أفعال المخمورين وإدمان الخمور ، وما يتصل بها من مشاكل تحدث خسائر فادحة في الإنتاج ، ومايرتبط به من اقتصاد يؤثر بدوره على المجتمع بأكمله(٢) .

**وخلاصة القول :**

هو أن مدمنى المسكرات يشكلون عائقاً كبيراً في طريق التنمية والتقدم الاقتصادى ويخلفون عبئاً ثقيلاً على عاتق الأمة بما يضيعون من ثروتها ، وما يجلبونه لها من مآسى ونكبات ، وأن الاقتصاد يحتاج إلى سواعد قوية ورجال أصحاء يقومون على رعاية الإنتاج وحراسته ، وإلى تفكير سليم صادر عن عقل واع مدرك لما ينفع ومايضر . وأن عقلاً أفسدته شرور المسكرات لهو عاجز عن القيام بعمل مثمر ، وبناء مفيد له أو لغيره(٣) .

٥- **الخمر والجنس :** في بداية الشراب تزداد الرغبة في الجنس مما يؤدى إلى ارتكاب الجرائم الشاذة لغياب العقل والخلق ومع الاستمرار في الشراب تضعف بل تفقد القدرة الجنسية .

---

(١) عائدة عبد العظيم البنا : الإسلام والتربية الصحية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٨٥-٨٦ .

(٢) عبد المجيد سيد أحمد منصور ، الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، مرجع سبق ذكره ، ص٤٦ .

(٣) محمد بن حمود الوائلى : حكم الشريعة الإسلامية في المسكرات وطرق مكافحتها ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ١٤١٠هـ ، ص٣٤ .

٦- الخمر والعقم : "شرب الخمر يؤدى إلى ضمور في المبيض وتصلب في الخصيتين ، مما يؤدى غالباً إلى العقم عند من يدمن الشرب (شرب الخمر) ، كما قال القاضى إسماعيل الخطاب في كتابه المسكرات ، وقد تعقب أبحاثه الأستاذ برطهو يلت بعدة أبحاث متوالية فتوصل إلى أن للمسكرات تأثيراً قاتلاً للحيوان المنوي الذنيبى فيغيره ويجعله غير صالح للتخلق .

هذه بعض أضرار الخمر ، وواحد منها كفيل بأن يجعل أى عاقل يبتعد عنها ويؤثر لنفسه السلامة فلا أحد يريد أن يقتل صحته وتفتك به الأمراض[1] .

٧- إدمان الخمور وحوادث السيارات : من المعلوم أن الشخص أثناء قيادته للسيارة وهو سكران أو واقع تحت تأثير مسكر أو مخدر يكون فاقداً أو ضعيف السيطرة على قواه العقلية والجسمية بسبب تناول مادة مسكرة أو مخدرة ، وهذا بدوره يؤدى إلى عدم تمكنه من السيطرة التامة واللياقة المطلوبة لسياقة المركبة ، مما قد ينشأ عن هذه الحالة خطر يؤدى إلى احتمال وقوع أضرار لأطراف عديدة ، والذى يعمل المشرع دوماً على تفادى وقوعها عن طريق التدخل العقابى[2] . وتؤثر الجرعات الصغيرة من الخمر على مهارة وكفاءة قائد السيارة ، وقدرته على مواجهة المشاكل المرورية ، ويبدو هذا واضحاً عند الشباب ، ومن السمات الواضحة على قادة السيارات المخمورين مايأتى :

١- عدم القدرة على مواجهة الطوارئ المفاجئة .

٢- عدم القدرة على تلافى الحوادث البسيطة .

٣- التهور في القيادة أو الحذر المفرط .

٤- عدم القدرة على تركيز الانتباه في القيادة .

٥- عدم القدرة على الإمساك بعجلة القيادة باتزان من ارتعاش اليدين والتحرك يمنة ويسرة مع عدم الاتزان .

٦- الخطأ الظاهر عند الدخول إلى المنعطفات أو في التقاطعات الرئيسية .

٧- الخلط في تمييز إشارات المرور والألوان بصفة عامة .

٨- بطء ردود الأفعال .

٩- بطء عودة الإبصار الطبيعى عند التعرض لأضواء السيارات القادمة في الاتجاه المعاكس.

---

(١) فاطمة المحضار : المخدرات وأضرارها على الفرد والمجتمع ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) صباح كرم شعبان : السياقة تأثير المسكرات أو المخدرات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩ .

ويتسبب تعاطى الخمر في ٥٠٪ من حوادث المركبات ، وللتحقق من معرفة در - السكر عند السائق تفحص نسبة الكحول في الدم(١) .

٨- الإدمان والجريمة : السلوك العدوانى المرتبط بإدمان الخمور يترتب عليه ارتكاب جرائم العنف والجنس ، وتصل نسب الإدمان بين نزلاء السجون إلى ٥٠ ٪ وحيث ترتفع نسبة الجرائم التى من أجلها دخلوا السجون ، والمتمثلة في جرائم السرقة والاعتداء والسطو والجرائم الجنسية ، كما تؤدى حالة الإدمان إلى تصور خاطئ للفرد المدمن عن نفسه وعن قدراته ، وقد تخيل له الحالة الإدمانية أنه قوى فيقوم بأعمال إجرامية كالعدوان على الآخرين والسرقة(٢) .

٩- الإدمان والأمراض النفسية :

أ- الهذيان الارتعاشى وهو مرض يظهر بدون سبب واضح بعض الأحيان ، ولكنه يظهر بعد سكرة شديدة أو صدمة جسمية أو نفسية أو كسر في الأطراف أو مرض أو التهاب جرثومى أو انقطاع مفاجىء عن الشراب ، ونسبة المصابين به عالية في أوروبا وأمريكا .

ب- مرض أو "تناذر" كورساكوف ومن أعراضه شلل جزئى في الأطراف وألم والتهاب في الأعصاب ورواية بارعة للأكاذيب ، وعدم توازن(٣) .

## المبحث الثالث : الوقاية والعلاج :

### أولاً : تمهيد :

يقوم الطب على أصلين هما :

١- الوقاية ٢- العلاج .

ولقدكان للإسلام عناية بهذين الأصلين وفي سبيل ذلك مزج بين المنافع الروحية والجسدية ليتسنى للمسلم سلامة في بدنه ، وسلامة في روحه ، فلا شك أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف(٤) .

---

(١) عبد المجيد منصور :الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٦٧ .

(٣) نبيل الطويل : الخمر ومضارها على الجسم والعقل ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ص٢٩-٣٠

(٤) محمد إبراهيم سليم : التداوى بالقرآن والاستشفاء بالرقى والتعاويذ ، مكتب القرآن للطبع والنشر القاهرة ١٤٠٦هـ ، ص١٣

ففى جانب الوقاية نراه يحثنا على حفظ الحياة التى وهبها الله لنا ، حيث قال جل شأنه ﴿ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾(١) . ويقول سبحانه وتعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾(٢) . وهناك العديد من آيات القرآن الكريم التى تحث على تناول الحلال الطيب قال تعالى : ﴿ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله﴾(٤) ، وقد عوضنا الله عن الخبائث بالطيبات النافعة ، قال تعالى :﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾(٥) ، ولقد حافظت الشريعة الإسلامية على الضرورات الخمس وهى :

١- حياة الإنسان : فتحرم قتله والاعتداء عليه .

٢- عرضه : فتحرم الزنا ومايؤدى إليه .

٣- عقله : فتحرم شرب الخمر وكل مايذهب العقل أو يفسده .

٤- ماله : فتحرم السرقة .

٥- دينه : فتحرم الردة أوالدعوة إلى توهين العقيدة .

وبناء على ماتقدم نجد أن الشريعة الإسلامية قد حافظت على العقل من خلال تحريم كل مايذهبه أو يفسده أو يسبب أى ضرر من الأضرار على المدى القريب أو البعيد ، سواء على شخصية الفرد أو دينه أو أسرته أو مجتمعه ، كما حرمت الشريعة السكر بأنواعه كما جاء واضحاً في الكتاب والسنة والإجماع فقد حرمت كل مايذهب العقل أو يفسده سواء كان سائلاً أو جامداً أو غازاً(٦) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٣) سورة الأعراف : الآيتان ١٥٦-١٥٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

(٦) فاطمة المختار : المخدرات وأضرارها على الفرد والمجتمع وطريق الخلاص منها ، مرجع سبق ذكره ص١٠٠ .

أ) أساليب الوقاية :

١- يجب الاهتمام الكامل بتطبيق شريعة الله فيما أحل وفيما حرم ، فما ورد فيه نص لامجال للاجتهاد فيه ، وبالنسبة للخمر ورد النص الصريح القاطع بحرمتها ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾(١).

٢- أن تهتم الأسرة بوظائفها وتتابع تربية أبنائها على طاعة الله ورسوله ﷺ .

٣- الاهتمام بتربية الناشئة على منهج الإسلام وتقوية الوازع الديني لديهم .

٤- التوعية الإسلامية لكل قطاعات المجتمع بأضرار وخطورة المسكرات وتحريمها شرعاً .

٥- الاهتمام بتوجيه طاقات الشباب وشغل أوقات فراغهم بممارسة الهوايات المفيدة وكل مامن شأنه تنمية قدراتهم الجسمية والنفسية والثقافية والدينية .

٦- تضمين مناهج التربية الدينية في كل مراحل التعليم معلومات كافية عن حكم الدين في تحريم المسكرات والعقاقير المخدرة وتبيان أضرارها النفسية والصحية والاجتماعية والمجتمعية .

٧- قيام وسائل الإعلام بتبصير الناس بالأضرار الناتجة عن تعاطي وإدمان المسكرات أو المخدرات ، كما يجب إصلاح هذه الأجهزة الإعلامية في المجتمعات الإسلامية حفاظاً على الدين والخلق وتطهيرها من نشر الرذائل ومطالبتها بمنع نشر الصحف والمجلات والأفلام والمسلسلات التي تروج للمسكرات بطريق مباشر أو غير مباشر .

٨- يجب حظر إنتاج الخمور أوتصنيعها أو استيرادها في الدول الإسلامية .

٩- دعوة الحكومات والمنظمات العالمية التي تحارب المخدرات وتبيح المسكرات إلى معاملة المسكرات معاملة المخدرات ، لأن ضررها لايقل عن ضرر المخدرات واعتبار صنعها وبيعها وشربها جريمة.

١٠- توقيع أقصى العقوبات على المهربين والمروجين والتاجرين في المسكرات والمخدرات بجميع أنواعها .

١١- توعية الأفراد بترشيد الإنفاق المادي ، فالرزق الحلال والمال فضل ونعمة من الله ويجب على المسلم صيانة المال وحفظه . فلا إنفاق إلا فيما أحله الله ، ولا استمتاع بالمال إلا في طيبات الحياة ، كما أن الرسول ﷺ قد نهى عن إضاعة المال وهل بعد الإنفاق في المسكرات والعقاقير المخدرة من إضاعة لمال الفرد والأسرة والدولة ؟

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

١٢- النظر إلى مشاكل التعاطى والإدمان على أنها مشاكل اجتماعية مرضيـة تحتـاج إلى تحرى أسبابها وعلاجها .

ب) أساليب العلاج :

إن المدمن مريض ، وهو خطر على نفسه وعلى الآخرين ، كما أنه يختلف عن الشخص المريض عقلياً في أنه مسئول عن كل مايأتيه من أفعال ، وهو يحتاج إلى علاج لما هو فيه[1] . وتتضمن أساليب علاج الإدمان على المسكرات مايلى :

١- توفير السرية التامة لمن يتقدموا طواعية للعلاج .

٢- ضرورة اعتبار تعاطى المسكرات جزءاً من مشكلة الصحة في أى مجتمع إسلامى ويترتب على ذلك وجوب إعطاء الأولوية لتدابير علاج متعاطى ومدمنى العقاقير والعمل على إعادتهم لحظيرة المجتمع .

٣- تشجيع إنشاء عيادات ومصحات متخصصة لعلاج الإدمان مع ضمان الأمن والسرية للمتقدمين تلقائياً للعلاج ، على أن يتم العلاج في إطار نفسى اقتصادى طبى اجتماعى شامل.

٤- الدعوة إلى إدخال تدابير حديثة في أساليب معالجة المدمنين ، كالإيداع في مؤسسات متخصصة لمرضى المسكرات والعقاقير المخدرة وإلزام المتعاطين والمدمنين بالتردد على عيادات اجتماعية نفسية تنشأ لهذا الغرض .

٥- يقتضى علاج الإدمان على الخمور اكتشاف الإدمان في المراحل المبكرة .

**أهداف علاج الإدمان على المسكرات[2] :**

إن الهدف الرئيسى في علاج الإدمان على الخمر هو الامتناع الكامل والنهائى عن التعاطى مع توفير البدائل المناسبة ، وعلاج التوتر والقلق وتدريب المدمن وأسرته على مواجهة الظروف المسببة للتعاطى بأسلوب مغاير ، وتمر عمليات العلاج في الخطوات التالية :

١- تخليص الجسم من الخمر في مستشفى عام أو في مراكز متخصصة ، عندما يكون المدمن فى حالة سكر أو غيبوبة .

٢- عند الإفاقة يحول المدمن إلى مستشفى لاستكمال العلاج النفسى وفي كثير من البلدان توجد مراكز متخصصة في علاج الإدمان .

---

(١) محمد رفعت : الموسوعة الصحية الآفات الاجتماعية والأمراض النفسية ، مرجع سبق ذكره ص١٤ .

(٢) عبد المجيد منصور : الإدمان أسبابه ومظاهره الوقاية والعلاج ، مرجع سبق ذكره ص ص٣٠٥-٣٠٦ .

٣- يقوم الفريق العلاجي في المستشفى ، طبيب نفسي وأخصائي اجتماعي وأخصائي نفسي وهيئة التمريض ، بتقويم المريض ودراسة الحالة والظروف التي أدت إلى الإدمان مع دراسة ظروف الأسرة وظروف العمل .

٤- يعالج المريض بالمهدئات أو بدائل مشابهة حيث يحقن المريض بهذه المهدئات مع كميات من الفيتامينات لمنع أعراض الامتناع .

## ثانياً : دور الخدمة الاجتماعية في مكافحة الإدمان :

يجب الاهتمام بدور الخدمة الاجتماعية في المدارس والمؤسسات المختلفة لمساعدة الطلاب والعاملين في حل مشاكلهم الاجتماعية والنفسية ، لتجنبهم القلق والتوتر الذي يدفعهم إلى الهرب من مشاكلهم بالإقبال على تعاطي المسكرات أو المخدرات ، ويجب على الإخصائيين العاملين في تلك المؤسسات مواجهة المشكلات التي تعترضها في حدود وظائفهم واختصاصاتهم .

وفي مجال مكافحة مشكلة الإدمان يمكن للخدمة الاجتماعية أن تلعب دوراً هاماً سواء في علاج هذه المشكلة أو الوقاية منها ، كما أن الاخصائي الاجتماعي يستطيع أن يعمل مع الفرد المدمن لمساعدته على العلاج من الإدمان والإقلاع عن تعاطي المواد المخدرة ، كما يمكنه أن يعمل مع أسرة المدمن لمساعدتها على تقبل المدمن وعودته لحياته الأسرية ومواجهة المشكلات الأسرية التي ترتبت على إدمان أحد أفرادها وأيضاً للأخصائي الاجتماعي دوره مع المجتمع بصفة عامة للوقاية من الإدمان(١) .

ولايخلو مجتمع من المجتمعات من المشكلات الاجتماعية التي تعبر عن نفسها في النهاية في صورة مواقف أو صعوبات أو مشكلات تواجه الأفراد أو الأسر ، وظهور هذه المشكلات يتطلب اتخاذ إجراءات لمواجهتها وللوقاية منها على مستوى المجتمع ككل أو إجراءات وممارسات تتخذ لمواجهة آثارها وأعراضها من خلال مساعدة الأفراد والأسر بطريقة مباشرة على حل تلك المشكلات وتنمية قدرتها على التعامل مع مثلها في المستقبل(٢).

---

(١) أحمد السنهوري وآخرون : الخدمة الاجتماعية مع الفئات الخاصة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩١، ص ص ١٤٠/١٤١ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ،بحث قدم إلى "مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم " الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر ١٥-٢٠ شوال عام ١٤١٢هـ ، الموافق ١٨-٢٣ أبريل ١٩٩٢م ص٥٢ .

**دور الاخصائى الاجتماعى في مجال الإدمان :**

**١- الدور الوقائى : ويتمثل هذا الدور في الآتى :**

أ) قيام الاخصائى الاجتماعى بإثارة اهتمام ووعى أفراد المجتمع بخطورة الإدمان وآثاره الضارة على الفرد والمجتمع ووسائل الوقاية منه .

ب) تنظيم الندوات والمحاضرات الثقافية حول الإدمان ومضاره في المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي يعمل بها أخصائيون اجتماعيون .

جـ) تنظيم البرامج والأنشطة المختلفة التي تساعد المواطنين وخاصة الشباب على الابتعاد عن المسكرات بجميع أنواعها من خلال مزوالة الأنشطة الثقافية والتعليمية وإتاحة الكتب الثقافية والعلمية بأسعار مناسبة .

د) المساهمة فى حل المشكلات التي تتعرض لها الفئات التي يقوم الأخصائيون الاجتماعيون بالعمل (كالشباب والعمال والمسنين) لتخفيف الضغوط عليهم والتي قد تدفع للإدمان.

هـ) القيام بالبحوث والدراسات في مجال الإدمان لإلقاء مزيد من الضوء على أسباب الإدمان والظروف المهيئة له وآثاره وطرق علاجه .

و) التوسع في إنشاء العيادات التى ترعى المدمنين ، وتزويدها بالمختصين من الأطباء النفسين والأخصائيين الاجتماعيين ، والعمل على المساعدة في معالجة مشكلات الأفراد النفسية والتى أثبتت نتائج بعض الأبحاث أنها من أهم الأسباب المؤدية للإدمان .

**٢- الدور العلاجى : ويتمثل فى الأتى :**

١- عندما يشترك الاخصائى الاجتماعى في الفريق المعالج للمدمنين فإنه يقوم ببحث حالة المدمن اجتماعياً وتقديم تقرير مفصل لأعضاء الفريق العلاجى ليكون على دراية بظروفه الاجتماعية الأسرية الاقتصادية والأسباب والظروف التي دفعته للإدمان .

٢- يقوم الاخصائى الاجتماعى بمساعدة المدمن على إدراك حقيقة ذاته ودوره الاجتماعى في الأسرة وفى المجتمع ، ومساعدته على التوافق الاجتماعى والنفسى .

٣- مساعدة المدمن على تغيير الظروف البيئية التى دفعته للإدمان .

٤- تقديم الخدمات التي يحتاجها المدمن ، فهو قد يكون قد انقطع عن العمل وبالتالي قل أو انعدم مصدر دخله إذا كان يعمل فهو في حاجة إلى مساعدة اقتصادية فيساعده الأخصائى الاجتماعى على ذلك ومساعدته للعودة إلى العمل

٥- محاولة المعاونة في تخفيض الضغوط النفسية الاجتماعية على المدمن مما يسهم في سرعة عودته للحياة الطبيعية .

٦- تهيئة البيئة لاستقبال المدمن العائد من العلاج وتوجيه الأسرة لكيفية معاملته وإعادة الثقة في نفسة وتدعيم قيامه بدوره الاجتماعي في الأسرة .

٧- العمل مع الجماعات العلاجية للمدمنين وتولى دوره فيها ومساعدة الجماعة على وضع وتصميم برامجها وأنشطتها لتحقيق الأهداف العلاجية .

٨- متابعة المدمن العائد من العلاج في بيئته الطبيعية ، حتى يتم التأكد من عدم عودته للإدمان مرة أخرى وتدعيم التغييرات الإيجابية التي حدثت في ذات المدمن وسلوكه في الأسرة ، والعمل على مواجهة ما يظهر من مشكلات وصعاب قد تؤثر على إرادته في البعد عن الإدمان(١) .

وعادة يمر علاج المدمن بالمراحل التالية :

أ) مرحلة أولى : ويتركز فيها العلاج على العلاج الطبي بصفة خاصة ، وذلك بإبعاد المدمن عن المسكرات والمخدارت ، وإعطائه مواد طبية بديلة تساعده على التخلي البدني عن المخدر .

ب) مرحلة ثانية : يتركز فيها العلاج النفسي الاجتماعي على يد اخصائيين اجتماعيين ونفسيين لإعادة التوازن النفسي والاجتماعي للمدمن ، ومساعدته على أداء أدواره الاجتماعية في محيط الأسرة والعمل .

جـ) مرحلة ثالثة : بعد خروج المدمن من المراكز الاجتماعية ، فيها يقوم الإخصائيون الاجتماعيون بمتابعة الحالة لمساعدة المدمن – السابق– على التغلب على أية عوائق تواجه ممارسته لحياته العادية مرة أخرى لضمان عدم حدوث انتكاسه(٢) .

## ثالثاً : كيف حل الإسلام مشكلة الخمر :

استخدمت كلمة الخمر فى القرآن الكريم لتشير إلى المشروبات الكحولية ، وفي عهد الرسول ﷺ كان مصدر الشراب الكحولى العنب (Grapes) التمر (Dates) القمح (Wheat) الشعير (Barley) ، العسل (Honey) وحيث إن الكحوليات يمكن تحضيرها فى الوقت الحاضر من مصادر أخرى فهى تعتبر من المسكرات ولقد ركز الإسلام على تأثير

---

(١) أحمد السنهورى وآخرون : الخدمة الاجتماعية مع الفئات الخاصة ، مرجع سبق ذكره ص ص ١٤٣/١٤٥ .

(٢) عبد الحليم رضا عبد العال : رسم سياسة اجتماعية للوقاية من الإدمان ، عبد الحليم رضا وآخرون أجهزة تنظيم المجتمع، عمان للخدمات ، القاهرة ، ١٩٨٩م ص١٢٢ .

الكحول "الخمر" على الناس و لم يركز على أصل أو شكل هذه المادة الكحولية ، وتعامل الإسلام مع المادة المسكرة بطريقة ممتازه فى التحريم ، حيث إن المعلومات المرتبطة بتحريم الكحوليات في الإسلام يمكن الحصول عليها مباشرة من كلام الله جل وعلا في القرآن الكريم ، ومن أحاديث المصطفى ﷺ وقد ذكر تحريم الخمر فى القرآن الكريم بشكل مباشر في ثلاثة مواضع(1) .

الأول : قول الله تعالى : ﴿**يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾(2) .

الثاني : قول الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾(3) .

الثالث : قوله الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾(4) .

وكانت هناك حكمة تشريعية من التدرج في هذا التحريم ، فمن فضل الله وكرمه أنه ذكر الخمر في سورة البقرة بما يدل على تحريمها دلالة ظنية فيها مجال للاجتهاد ليتركها من لم تتمكن فتنتها من نفسه . وذكرها فى سورة النساء بما يقتضى تحريمها فى الأوقات القريبة من الصلاة إذ نهى عن قربها في حال السكر ، فلم يبق لمن يريد شربها إلا الاغتباق بعد صلاة العشاء والصباح بعد صلاة الفجر لمن لا عمل له ولايخشى أن يمتد سكره إلى وقت الظهر وقليل ماهم . ثم كان تحريم الخمر القاطع في سورة المائدة . ولقد كان تحريم الخمر بهذه الصورة لأنها كانت من معالم الجاهلية ومن التقاليد المتغلغلة في المجتمع آنذاك فقد كان العرب يشربونها بإسراف ويذكرونها فى مجالسهم ويعدونها من المفاخر ، والعلاج الحاسم

---

(1) Muhammad Samiullah : Muslims In Alien Society , Some Important Problems With Solution In The light Of Islsm , Pakistan Islamic Pubications LTD., 1982 ,P.50. .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤٣ .

(٤) سورة المائدة : الآيتان ٩٠-٩١ .

للخمر من أول الطريق كان سيثير كوامنهم ويثقل كاهلهم ويشق عليهم وربما يكون صارفاً لكثير من المدمنين عن الإسلام ، ولذلك وعلى عادة المنهج الإسلامى فى علاج القضايا المتعلقة بالعادات والتقاليد والمألوفات ، فقد عالج قضية الخمر بضع آيات من القرآن الكريم، وعلى مراحل وفي رفق وتؤده وكسب المعركة دون حرب ودون تضحيات ودون إراقة دماء ، والذي أريق فقط هو دنان الخمر وزقاقها ، وجرعات منها كانت فى أفواه الشاربين حين سمعوا التحريم فمجوها من أفواههم[1] .

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هى التى تعمل على صلاح القلب وصحة النفس كما يعمل الغذاء على سلامة الجسد . وإن العقل الصحيح تصدر عنه أخلاق وأفعال صحيحة ، كما أن الجسم الصحيح يصدر عنه عمل صحيح ، ولايستقيم أحدهما بدون الآخر ، إن الدين الإسلامى أمضى سلاح ضد الجريمة والانحراف بل هو الضابط الذى يجعل من يتمسك به يشعر بالمسئولية فيبتعد عن كل مايذهب الفضيلة أو يشين السلوك لأن ارتكاب الرذائل يتعارض مع سمو العقيدة وجمال الأخلاق .

وإن العالم الإسلامى يملك من الأسلحة الروحية والمادية مايستطيع أن يدفع بها عن نفسه غارة المسكرات والمخدرات ، وأعظم تلك الأسلحة هو دين الله الذى يحرم هذه الموبقات . .

إن مخاطبة قلب المدمن من خلال الحكمة والموعظة الإسلامية الحسنة التى يفتح باب التوبة أمامه ، أعظم تأثيراً من مخاطبة عقله بعرض أنواع أضرار المسكرات ، لأنه يعرف أضرار تلك السموم التى اصطلى بنارها ، أما مخاطبة قلبه بعظيم كرم الله وإحسانه ومغفرته لمن تاب وعمل صالحاً فإنه لن يضيع إذا صاحبته دعوة صادقة وحكمة بالغة .

إن العلاج الحاسم لمشكلة المسكرات هو العلاج الإسلامى الذى يتحقق فى تطبيق شرع الله والنزول عند أحكامه **﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون﴾**[2] **﴿اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون﴾**[3].

---

(١) ماجد أبو رخيه : الأشربة وأحكامها فى الشريعة الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص٩٣-٩٤ .

(٢) سورة الجاثية : الآية ١٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٣ .

إننا مهما بذلنا من جهود فى التعريف بأضرار المسكرات والمخدرات ، ورصدنا الأموال واستعنا بأحدث الأجهزة ، ووصلنا إلى أسلم الطرق وأكثرها دقة وإحكاماً فى المكافحة فإننا نبقى عاجزين عن السيطرة على ذلك السيل الجارف ما لم نصلح النفوس ، ونغرس العقيدة الصافية فى القلوب .

لقد رأينا نجاح العلاج الإسلامى منذ أربعة عشر قرناً فى القضاء على شرب الخمر مع شدة تعلق العرب بها ، وإفراطهم في شربها وإكثارهم من وصفها ، والحديث عنها ، لأن الوحى كان ينزل على رسول الله ﷺ فتتلقفه القلوب قبل الأسماع ، فيسرى معناه فى نفوس المسلمين فتنشط جوارحهم لتنفيذه وبهذا تعلم أصحاب رسول الله ﷺ القرآن وعملوا به ، فما كان القرآن عندهم يقرأ ويهجر ، ولكنه يقرأ ويطبق ، وبهذا التلقى الجاد لشرع الله تطهرت نفوسهم وأشربت قلوبهم معانى الإيمان ، واصطبغت حياتهم بصبغة الإسلام فقام كيان الفرد والأسرة والمجتمع على المحبة والتعاون على البر والتقوى فكانوا جميعاً كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً فلم يكن عسيراً على المسلم أن يتغلب على هوى نفسه وتطلعها إلى الشهوات ، لأن كل شئ حوله يمده بأسباب القوة والنصر على أهواء نفسه ، ولهذا كان لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فاجتنبوه**﴾ وقوله ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ أعظم الأثر وأبلغه فى نفوسهم وفطمها عن تناول الخمر .

إن العقيدة الصحيحة حين تستقر فى القلوب تخضع النفوس وتنقاد الجوارح ، فيصبح كل فرد فى المجتمع عضواً صالحاً ينير الطريق فيهتدى ، ويسعى لهداية غيره ، إن القانون الوضعى يمنع ويعاقب الخارجين عليه ، ولكنه يعجز أن يغرس فى النفوس وازعاً رادعاً لأن الرقابة التى يقوم بها من الظاهر ، ورقابة الشريعة الإسلامية من الأعماق ، تنبعث من خضوع المؤمن لربه وتسليمه لشرعه .

إن من لايخاف الله ويخشاه يقدم على ارتكاب كل خطيئة فى الخفاء حين يغيب عن عيون الناس ، والمؤمن يعلم أن عليه رقيباً لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء فيبتعد عن كل مايشين[1] .

وتلك هى ثمرة الإيمان ، ولكى تنجح حملات القضاء على الخمر فى المجتمعات الإسلامية لابد من غرس بذرة الإيمان أولاً حتى نقتطف الثمار ، ولن يجدينا إذا فقدنا الإيمان أن نوضح بالأرقام والعلوم والطب وكل وسائل الإعلام أضرار الخمر أو الزنا أو الربا لن يجدى ذلك مع فقد الإيمان .

---

(١) محمد بن حمود الوائلى : حكم الشريعة الإسلامية فى المسكرات وطرق مكافحتها ، مرجع سبق ذكره ص٣٥/٣٩ .

إن المجتمع المدنى بقيادة الرسول محمد ﷺ قد استطاع أن يتغلب على مشكلة الخمور التى كانت منتشرة فى الجاهلية بين العرب ، وكانوا يعتقدون أن فى الخمر غذاء ودواء وشفاء وأنها باعثة على الكرم حافزة على الشجاعة .

استطاع الإسلام فى الماضى ويستطيع فى الحاضر والمستقبل أن يحل مشكلة تناول الخمور وإدمانها بما لاتستطيعه أى وسيلة أخرى(١) .

## رأى الباحث :

يرى الباحث أن الإسلام بما يملك من إمكانيات وقيم وأخلاقيات يستطيع أن يغير من سلوكيات الناس وعاداتهم الخاطئة عن طريق الفهم الصحيح لأوامره وحدوده ونواهيه ، وذلك من خلال الحكمة والموعظة الحسنة ، ومن خلال الدعوة الجادة والصادقة والتى تتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكل من يستطيع ذلك وفى حدود ولايته . فقد استطاع الإسلام فى سنوات قلائل وفى المدينة وبعد السنة الثالثة من معركة أحد أن يقضى على الخمر قضاء يكاد يكون نهائياً من أفراد كانوا شديدى الولع بها ولكنها قضية الإيمان والتسليم المطلق لأوامر رب العالمين .

بينما نرى التشريعات الوضعية لم تزل حتى الآن متعثرة فى القضاء على ظاهرة إدمان المسكرات وخير شاهد على ذلك التجربة الأمريكية التى فشلت فشلاً ذريعاً فى القضاء على المسكرات وخير شاهد ماأنفق عليها من أموال ، وماأعلن عنها فى وسائل الإعلام المختلفة .

## رابعاً : الخدمة الاجتماعية وإمكانية الاستفادة من تطبيق حد شرب الخمر كأسلوب من أساليب الوقاية والعلاج :

يرى الباحث أن الخدمة الاجتماعية يمكن أن تلعب دوراً هاماً من خلال الاستفادة من تطبيق حد شرب الخمر على المدمنين ، وهذا الدور يمكن أن يكون وقائياً أو علاجياً .

ففى الجانب الوقائى يستطيع الأخصائى الاجتماعى المسلم الدعوة إلى إقامة ندوات ومحاضرات يدعى إليها رجال الدين الإسلامى ، وذلك من خلال عمله مع التجمعات الطلابية أو العمالية ، أو من خلال عمله فى السجون أو مع المسنين لبيان وتوضيح حدود شرب الخمر والمسكرات والعقوبة الملائمة ، وكيفية تطبيقها ومن يطبقها ، ويكون إقامة مثل هذه الندوات من الناحية الواقعية زاجراً عن الوقوع فى المعصية فالمثل الشائع والمعروف يرى

---

(١) محمد على البار : مشكلة الخمر وحلها فى الإسلام ، بحث قدم إلى المؤتمر الطبى الإسلامى عن الشريعة الإسلامية والقضايا الطبية المعاصرة ، القاهرة ، جامعة الأزهر بالاشتراك مع كلية الطب جامعة عين شمس فى الفترة من ٢-٥ فبراير ١٩٨٧ م، ص٩ .

أن الوقاية خير من العلاج ، وكذلك فإن التهديد بالعقاب وإقامة الحد يشكلان رادعاً للسلوك المنحرف عند وقوع ذلك السلوك المنحرف ، وقد لا يعلم بعض مدمني المسكرات عن تلك الحدود شيئاً ، ومن ثم فمعرفة تلك الحدود قد يكون زاجراً ورادعاً عن تناول المسكرات . وتطبيق الحدود كجانب علاجي يحط من مكانة المدمن النفسية ويشعره بالدونية، خاصة وأن العقوبة حال تطبيقها تتم في وجود أفراد آخرين ، ومن ثم فهو يشعر بالدونية ، وأنه في موقف مذر ومخجل وقد يثوب إلى رشده حتى لايتكرر ماحدث معه ويقلع عن المعصية والإدمان ، وهنا يدعم الأخصائي الاجتماعي المسلم ذلك الجانب الإيجابي والعقوبات ، وتطبيق الحدود لها حكمة كبرى في شريعتنا الإسلامية الغراء ، فالبعض يطيع الله حباً ورغبة في الطاعة وامتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه ، ولكن هناك على النقيض من يتبع هواه ولايتجه إلى خالقه إلا خوفاً من العقوبات المقررة شرعاً - كحد الزنا والسرقة وحد شرب الخمر - والتي شرعت أساساً لتحافظ على مصالح الفرد والمجتمع .

إن عقاب العاصي (السارق أو الزاني أو شارب الخمر) يؤدي لأن يرتدع كلما أقبل على اللذة العاجلة تذكر ألم وشدة وقسوة العقاب فينأى بنفسه عن الوقوع في المعصية .

ومدمن الخمر إذا أقيم عليه الحد فإنه سيفقد احترامه أمام الآخرين ، وسيفكر كثيراً قبل العودة إلى هذا الفعل مرات ومرات .

والعقوبة وإقامة الحد رحمة من الله بعباده لأنها تطهرهم من الذنوب وتكون كفارة لهم من العقاب في الآخرة .

والأخصائي الاجتماعي المسلم الذي يقوم بدوره الوقائي والعلاجي في توضيح حد شارب الخمر من خلال مايعقده من ندوات في مجالات وأماكن عمله المختلفة فإنه يقوم بهذا الدور متمثلاً قول الرسول الله ﷺ «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»[1] فهو يحب لأخيه جلب المنفعة ودرء المفسدة وأيضاً امتثالاً لقول الرسول ﷺ «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله» فلا يحل للمسلم أن يرى أي فرد آخر في المجتمع الإسلامي يتعرض إلى سوء كأن يدمن مسكراً أو مخدراً ويقف منه موقف المتفرج لأنه بذلك يكون قد خذله ويكون قد ظلمه بل عليه نصحه وتوعيته .

وقيام الأخصائي الاجتماعي المسلم بهذا العمل كذلك يعتبر نوعاً من أنواع التعاون على البر ونفع الناس وفي هذا يقول الرسول ﷺ «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»

---

(١) رواه مسلم عن جابر .

والعناية بصحة مدمن المسكرات ورده إلى رشده وبعده عن ذلك الطريق الموبوء نوع من أنواع الإحسان ينفع به المسلم أخاه المسلم .

وقد يجد الأخصائى الاجتماعى صعوبة في عمله وفي الاستفادة من التطبيق الفعلى لحد شارب الخمر ، وهذه الصعوبة سببها أن بعض المجتمعات الإسلامية تبيح تعاطى وشرب الخمور بل وإنتاجها والاتجار فيها ولاتقيم لشرع الله وزناً ، كما أن كثيراً من أفلام الخلاعة والمجون العربية والأجنبية تظهر مدمن الخمر على أنه شخص ذو مكانة عالية سامقة وأنه بطل فذ ولن يستقيم الحال بالتنبه لإقامة حدود الله على العصاة إلا بالتطبيق الكامل لشرع الله فيما أمر وفيما نهى، لأن الله هو خالق البشر وهو أعلم بهم من أنفسهم وبما يصلحهم ومايفسدهم .

ولايعنى ذلك أن يقف الأخصائى الاجتماعى المسلم موقف المتفرج فهو على الأقل يساهم في إقامة الندوات والمحاضرات التى توضح أضرار المسكرات على الفرد وعلى الأسرة وعلى المجتمع وأسس وأساليب الوقاية والعلاج .

والأخصائى الاجتماعي المسلم الذى يعمل من خلال فريق عمل في المستشفيات والمؤسسات العلاجية التي ترعى المدمنين يستطيع أيضاً أن يساهم في توعية المدمنين من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهل هناك منكر أكثر خطورة من تناول مادة مسكرة حرمها الله جل وعلا تسلب العقل وتذهب به وتغطى عليه ؟ بل ويزداد ضررها على الفرد نفسه وعلى أسرته ويقل إنتاجه وتسوء علاقاته مع الآخرين .

ومن هنا فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو في حقيقته جهد من جانب كل فرد من أفراد المجتمع المسلم بما فى ذلك الإخصائيين الاجتماعيين من أجل تطبيق المصلحة العامة للمجتمع المسلم ، فكل من يعلم أن المسكرات مضرة يجد من واجبه أن ينقل خبرته ومعارفه لغيره من الناس عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وذلك لأن مدمن المسكرات يضر نفسه ويضر غيره والرسول ﷺ يقول : «لاضرر ولاضرار»(١) .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه الدار قطنى وابن ماجه وأحمد .

# الخدمة الاجتماعية الإسلامية

# فى القوات المسلحة

د . محمد أحمد عبد الهادى

## مقدمة :

تعتبر الخدمة الاجتماعية العسكرية (Military Social Work) من أقدم مجالات الممارسة المهنية من حيث النشأة ، حيث ارتبطت نشأتها في الولايات المتحدة الأمريكية بنشأة الجيش الأمريكى ، وكان من العوامل التى ساعدت على هذه النشأة المبكرة أنها وجدت في الجيش من خلال هيئة الصليب الأحمر ، وظل دورها يتنامى في المؤسسة العسكرية واتسع بصورة مضطرة ليشمل كل أسلحة القوات المسلحة الأمريكية (الجيش والقوات الجوية والبحرية) وامتدت خدماتها وأنشطتها إلى أسر الجنود وأبنائهم في برامج مؤثرة وقوية للرعاية الاجتماعية .

وحذت مصر حذو الولايات المتحدة الأمريكية في الاعتراف بالعمل المهنى داخل القوات المسلحة من خلال الضباط المؤهلين كأخصائيين اجتماعيين ، وإن كان حجم وأسلوب الممارسة المهنية يختلف اختلافاً واضحاً عنه في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لعوامل متعددة .

ومما يلاحظ على أسلوبى الممارسة الأمريكي والمصرى أنه يستخدم الخدمة الاجتماعية التقليدية والتى تركز عادة على الجوانب العلاجية (Residual) في الكثير من البرامج والأنشطة سواء بالنسبة للجنود أو لأسرهم . وإذا كان الأسلوب المهنى التقليدى القائم على حيادية المهنة يناسب المجتمع الأمريكى فإن القضية المطروحة على مستوى البلاد غير الأمريكية ، وبالذات الدول المتخلفة تتراوح ما بين التوطين والتأصيل ، وذلك انطلاقاً من عدم فاعلية الخدمة الاجتماعية في تلك المجتمعات بالقدر الذى توجد به في المجتمع الأمريكى بصفة خاصة ، ومن هنا فإن مراجعة الممارسة المهنية وأطرها النظرية بات أمراً مفروغاً منه ومسلماً به في تلك المجتمعات ومنها المجتمعات الإسلامية .

ويبدو أن اتجاه التوطين خاصة في الدول الغربية والإسلامية لم يجد أنصاره ما يحفزهم على الأخذ به وآثروا الاستمرار على ما تفرزه الكتابات الأجنبية خاصة الأمريكية منها .

أما أنصار التأصيل فإنهم وجدوا في التأصيل الإسلامى ضالتهم المنشودة لاعتبارات عديدة لسنا بصدد سردها ، بل يكفى فيه رأيهم بأنه بدون التأصيل والتوجيه الإسلامى

للخدمة الاجتماعية، فإن المهنة لن تضرب بجذورها في المجتمع الإسلامي وستظل كالعهد بها في تلك المجتمعات مهنة هامشية ، ليس لها الدور الإيجابي الذى يتوقع منها ، وستظل مستهلكة لأدبيات المهنة بدون وعى لطبيعة الاختلافات الأيدولوجية والثقافية بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الإسلامية ، مما يجعل نمو المهنة وتقدمها أمراً مستحيلاً .

وللتأصيل الإسلامي رغم حداثة عهده اتجاهات ومداخل متباينة ربما تفرضها طبيعة مرحلة البدء ، فمنها ما يرى أن الخدمة الاجتماعية كمهنة على المستوى العالمى قد تخطت مرحلة استعارة النماذج والأطر النظرية من العلوم والمهن الإنسانية الأخرى وأصبح لها بعض النماذج ، التى يمكن أن توجه الممارسة ، وبالتالى فإن التأصيل والتوجيه الإسلامى لابد أن يبدأ بأطر تصورية إسلامية تعكس منهج الإسلام وفلسفته وشريعته ، ومستفيدة في نفس الوقت مما صلح من أدبيات المهنة في الغرب .

وهناك من يرى أن الخدمة الاجتماعية كمهنة بدأت بممارسة عملية وإن كانت قد استفادت من علم النفس والسياسة والاجتماع ، إلا أنها مازالت حتى الآن تعتمد الممارسة طريقها الرئيسي في عملها ، وكل سعيها في اتجاه تكوين نظرية للممارسة المهنية (Practice Theory) أو نماذج علمية ذات نطاقات محدودة في التعميم ، نحن نميل لهذا الرأى استفادة من الوقت ورغبة في إفادة المجتمع من جهود مهنية علمية ذات توجيه إسلامى ، إذ إن الانتظار حتى تنضج النماذج والأطر الإسلامية قد يأخذ وقتاً طويلاً ، إضافة إلى ذروة تأصيل العلوم الإنسانية الأخرى ، كعلم النفس والاجتماع ، وهذا يحتاج إلى وقت أطول .

وبدأت هذه المحاولة بتحديد أهداف إسلامية للخدمة الاجتماعية تنبثق من منهج الإسلام وطبيعة التخلف الذى تعيشه المجتمعات الإسلامية وحاجتها إلى التقدم والنمو ، وظهر هذا الاتجاه فيما سمي بالخدمة الاجتماعية الإسلامية ، على أن هذا الاتجاه ليس بديلاً عن الاتجاه الأول أو بديلاً عن غيره مما قد يظهر فيما بعد ، بل هو جهد يمكن له أن يتوازى ويتكامل معه ومع غيره.

والهدف الذى حددته الخدمة الاجتماعية الإسلامية لنفسها هو بناء الوعى الإسلامي على العقيدة الصحيحة ، وتنمية المجتمعات الإسلامية تنمية اجتماعية واقتصادية وفق المنهج الإسلامى الصحيح ، واستتبع ذلك الاهتمام بمجالات جديدة ، كمجال الدعوة الإسلامية والعمل مع منظمات الإغاثة والجمعيات الأهلية وغيرها ، وكلها يمكن وصفها بأنها محاولات في بدايتها الأولى.

ولقد بدا واضحاً لأنصار هذا الاتجاه ، أن مجال العمل في القوات المسلحة ، من أهم المجالات التى يمكن أن تعمل بها الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، باعتبار أهمية القوات المسلحة في المجتمعات عموماً وفي المجتمع الإسلامى خصوصاً ، ومن هنا تبلورت هذه

الدراسة التى حاول فيها الباحث ، أن يحدد تصوراً لهذا المجال الهام على ضوء أهداف الخدمة الاجتماعية والإسلامية .

## المبحث الأول : الخدمة الاجتماعية العسكرية بين الاتجاه التقليدى والاتجاه الإسلامى :

إن ممارسة الخدمة الاجتماعية التقليدية في القوات المسلحة – أفرزتها حاجة القوات المحاربة إلى أية جهود إنسانية تساعد الجنود المحاربين وترفع من روحهم وهذا بالغ الأهمية ، إضافة إلى حل مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية وتقديم الخدمة لهم ولأسرهم .

وأصبحت القوات المسلحة في الكثير من المجتمعات النامية مجالاً من مجالات الخدمة الاجتماعية التقليدية ، شأنها شأن مجالات أخرى متعددة مثل مجال التعليم والمجال الطبى والمدرسى والصناعى وغيره . وهى تمارس على غرار مايتم في الولايات المتحدة الأمريكية وليست هناك صعوبة في الممارسة لأن الخدمة الاجتماعية مهنة غربية والقوات المسلحة ذات تنظيم وبناء غربى ، ولهذا فيمكن القول بأن ممارسة الخدمة الاجتماعية تكون ممارسة تقليدية تقتضى من المهنة الحياد والبعد عن المواقف الأيديولوجية ، وإن كان ذلك يصلح في المجتمعات الغربية التي أخذت موقفاً من الدين وعزلته عن النظام السياسى والعسكرى ، فإن ذلك يصبح أمراً مشكوكاً فيه في المجتمع الإسلامى .

والخدمة الاجتماعية التى يمكن ممارستها في المجتمعات الإسلامية هى الخدمة الاجتماعية الإسلامية لأن الهدف والنتائج باستخدامها تختلف ، حيث تهدف الخدمة الاجتماعية الإسلامية إلى بناء الوعى الإسلامى وتنمية العقيدة الصحيحة وهى أساس ضرورى للقوات المسلحة فى المجتمع الإسلامى .

والاختلاف الجوهرى ما بين الخدمة الاجتماعية التقليدية والخدمة الاجتماعية الإسلامية يكمن في أن الأخيرة لها قضية واضحة وملزمة ، وإطار فكرى وقيمى محدد مسبقاً هو الإسلام يجعلها تدور في فلكه مستهدية ومسترشدة به ، وفق غاياته ، ملتزمة بفلسفته ، وشموليته وتكامله ، على عكس الحياد المهنى التقليدى الذى يمكن أن يستخدم مع أى نظام وفق أى مجتمع ، وكل ماتستطيعه هو التخفيف من المشكلات الاجتماعية التى تظهر نتيجة هذا النظام ، كما أن ممارساتها مهما كانت صورية أو إيجابية فإنها تكون في نطاقات محددة من أجل فئات محددة تعصف بها مشكلات طاغية أو في مجتمعات محلية ، وبشكل منعزل وفق الظروف المحلية والثقافية التى تختلف من مجتمع لآخر .

والخدمة الاجتماعية التقليدية وإن كانت قد انحازت إلى ما تسميه بالعدالة الاجتماعية بين طبقات وفئات المجتمع ، إلا أن هذا الهدف تحكمه أيضاً الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما يراه المجتمع بقواه المختلفة في هذا الاتجاه ، وهى ليست لديهـا نظريـة واضحـة تدعو إليها وتتبناها ، بل هى رهينة استجابة القوى الاجتماعية المؤثرة في اتخاذ القـرار مـن أن يسمح لها بتقديم بعض الخدمات الاجتماعية للفئات الاجتماعية المحرومة في هذا الاتجـاه ، إن اتجاه الخدمة الاجتماعية في الأخذ بما يسمى (الصراع) و(الضغط) على الفئات القويـة في المجتمع من أجل صالح هذه الفئات أصبح اتجاهاً محدداً قليـل الجـدوى ونتائجـه ومخـاطره التـى تهدد النسيج الاجتماعي والتماسك الاجتماعى في المجتمع أكثر من فوائده ، وهناك تحفظـات حالية على استخدامه في الولايات المتحدة بالصورة التى بدأ بها في الستينيات .

أما الخدمة الاجتماعية الإسلامية : عندما تعمل في المجتمع الإسلامى فإنهـا تعمـل مـن أجل تحقيق الإسلام كنظام اجتماعى متكامل في المجتمع ، وهى تؤمن بأن الإسـلام ديـن متكامل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في اتساق واتـزان وشمـول يعجـز عنـه أى نظـام آخـر ، ومن هنا فإن الخدمـة الاجتماعيـة الإسـلامية لديهـا الإطـار الواضـح ، فعلـى سـبيل المثـال إن عملت في مجال الأسرة فهناك الموجهات والقيـم التـى وضعهـا الإسـلام للعلاقـات الأسـرية ، وحقوق الزوج على زوجته ، والزوجـة علـى زوجهـا ، والأولاد وعلاقـاتهم بـالأب والأم ، وصلة الرحم ورعاية الأبناء للآباء وطريقة معـاملاتهم لهـا خاصـة عندمـا يكـبران في السـن ، وكذا العلاقة بالجيران ... الخ وإن عملت في مجـال القـوات المسـلحة فـإن منهـج الإسـلام في التربية العسكرية وفي بنـاء الجنـدى ووعيـه بوجـوده ، يجـب أن يكـون هـو السـائد وبشـكل واضح، ولا تقتصر على سد الفجوات وتقديم الخدمات الاجتماعية فقط رغم أهمية ذلك في القوات المسـلحة . على أننـا يجب ألا نغرق في التفـاؤل ونظـن بـأن تغيير أهـداف الخدمـة الاجتماعية التقليدية إلى أهداف إسلامية شيء مسلم به في المجتمع الإسـلامي وكـذا بالنسبة للقوات المسلحة في المجتمعات الإسلامية ، بـل إن هنـاك صعوبـات كـثيرة ، خاصـة في مجـال القوات المسلحة لتشبع تلك النظم العسكرية بالنظام الغربى المتفوق فنياً كماً وكيفاً ، كما أن انتصار النموذج العسكرى الغربى في حربين عالميتين متـاليتين ومـا استتبع ذلـك مـن إمـلاء شـروط المنتصـر علـى غـيره مـن دول المحور واستقسـامه وتقسـيمه للعـالم الثـالث إلى دول ودويلات تدور في فلكه ولا تخـرج عـن إرادتـه ، أدى ذلـك إلى أن يكـون التنظيـم الإدارى والقيادى ونظريات القتال وأدوات وتقنيـات الحـرب كلهـا علـى غـرار العسـكرية الغربيـة ، وكذلك العلاقة بين الجنود والضباط والنظرية البيروقراطية العسكرية ووجـود النظـام الطبقـى والطاعة المطلقة وعدم مناقشة الأوامر العسكرية من جانب المستوى الأدنى ، إضافـة إلى تحية

الإسلام كدين يحث على الجهاد وتغييبه عمداً عن أن يكون له دور في القوات المسلحة في الدول الإسلامية ، اقتداء بالغرب ، والذى يعزل الجيش عن السياسة والدين كل ذلك يحتاج إلى جهود فائقة ، وفترات زمنية ليست بالقليلة .

**أهمية الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامى :**

١- تبدو أهمية الخدمة الاجتماعية العسكرية من الارتباط التاريخى الذى مهد لنشأة المهنة نشأة مبكرة في المجال العسكرى في الولايات المتحدة وهى بهذا تعتبر من أقدم المجالات المهنية ممارسة ولديها رصيد وافر يمكن الاستفادة به في محيط العمل مع القوات المسلحة في المجتمع الإسلامى .

٢- تأخذ الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامي أهميتها من أهمية الجيش في المجتمع بصفة عامة ومن أهميته في المجتمع الإسلامي بصفة خاصة ، وتزداد هذه الأهمية في المجتمع الإسلامي كلما كان المجتمع الإسلامى مجتمعاً متخلفاً . وسمة المجتمعات المتخلفة والتى تحررت من الاستعمار العسكرى أنها مجتمعات ذات حكم عسكرى يتولى الجيش فيها السلطة المدنية والعسكرية وهذا يدل على أهمية الجيش في الدول النامية والمجتمعات الإسلامية جزء منها .

٣- إن انتصار الاستعمارية (الحلفاء) في الحربين العالميتين - كما أسلفنا - قد أدى إلى فرض أوضاع عسكرية لخدمة الاستعمار الجديد وتثبيت دعائم النظام الغربى ثقافياً واجتماعياً في المجتمعات النامية ، عزل الإسلام عزلاً متكامل عن توجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية إدراكاً منه لخطورته كنظام متكامل يقف أمام أطماعهم في تلك الشعوب ، وفرضوا أنظمتهم ، هذه على تلك المجتمعات بالسلطة العسكرية خارجية أو داخلية ، يمكن للخدمة الاجتماعية الإسلامية أن تساعد على إيقاظ وتنمية وعى القوات المسلحة في الاتجاه الإسلامى الصحيح الذى به تعود الهوية للمجتمعات التى فقدتها .

٤- المساهمة في إعادة صياغة الأيدولوجية العسكرية على ضوء العقيدة الإسلامية والاهتمام بالتربية العسكرية ذات المفهوم الإسلامى بحيث تتشكل وفقاً لها الاستراتيجية العسكرية، وهذا المفهوم يتطلب تربية وتنشئة اجتماعية في مراحل الإعداد التى تسبق الانضمام للخدمة العسكرية والتى تتم عن طريق الأسرة والمدرسة ، والخدمة الاجتماعية يمكن أن تقوم بدور واضح في هذا الاتجاه ، كما سيأتى تفصيله فيما بعد .

٥- إن الحاجة إلى إعادة الوعى بمفهوم التربية العسكرية هو السبيل الوحيد لاستمرار وجود المجتمعات الإسلامية ، ذلك لأن تاريخ الغرب مع المسلمين هو تاريخ الحروب الصليبية وحاضره امتداد لهذا التاريخ ، والهدف أن تترك تلك المجتمعات إسلامها ، فكما جاء في مجلة

العالم الإسلامى الإنجليزية [1](أن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم ، ولهذا الخوف أسبابه منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل دائماً في ازدياد واتساع ، ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب بل من أركانه الجهاد ، ووقف جلادستون [2] (زعيم حزب الأحرار البريطانى ومن مشاهير الخطباء في القرن التاسع عشر وكان من ألد أعداء الخلافة الإسلامية) وقف يخطب مشيراً إلى القرآن الكريم : (إننا لن نستطيع الاستقرار في الشرق مادام فيه هذا الكتاب ...) ويستمر الهدف واضحاً لديهم وهو إخراج المسلمين عن دينهم كما جاء ذلك بوضوح في خطبة لصمويل زويمر[3] في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ حيث بدأها بقوله : (... أيها الأخوان الزملاء ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتهم عناية الرب) – هكذا بوضوح بأن مهمة التنصير هى استعمار بلاد الإسلام !! ثم يضيف في كلمته مؤكداً الهدف بقوله: (إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من دينه ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ولذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعمارى في الممالك الإسلامية ...) .

ومن هنا يجب أن يكون إسهام الخدمة الاجتماعية الإسلامية هو التركيز على هدف الوعى بالذات الإسلامية ومعرفة حقيقة ما يراد بها ، مع الدراسة العلمية لتلك الأساليب القديمة والحديثة.

٦– إن النظام العالمى الجديد الذى انفردت به الولايات المتحدة الأمريكية بالنفوذ والسيطرة على العالم – عقب انهيار الاتحاد السوفيتى – لم يعد يخفى عداءه للإسلام بل إنه يعتبره العدو الباقى الوحيد الذى يجب القضاء عليه[4] .

---

(١) نقلاً عن : على بن نفيع العليانى : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الفرق الضالة فيه ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥/١٩٨٥ ، ص٢٩٧ .

(٢) نقلاً عن : عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام مؤتمر الفقه الإسلامى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠١/١٩٨١ ، ص ١٩٦ .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : الندوة العلمية للشباب الإسلامى ، الرياض ، ط ٢/١٤٠٩/١٩٨٩ ، ١٦٢ .

وانظر أيضاً : مصطفى خالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال :

-Richard Nixon, Seiz the Moment : America : Challenge in a one - Super power World, Simon & Schuster, New York, 1992 .

-Francis Fuku yama (The End of History?) In The National Interest, Summer, 1989 . pp. 3-18 .

-Mortimer B. Zackerman, Beware of Religious Stalinists, In U.S News & World Report March, 1993 .

وهذا ما يؤكده واقع المسلمين في شتى أنحاء العالم ، حيث يتعرضون للإبادة في الهند وفي كشمير وفي الفلبين وسيريلانكا وكمبوديا ودول أوربا الشرقية التي تحررت من الشيوعية فعادت إليها الصليبية ، وما يحدث الآن في البوسنة والهرسك[1] . مثال واضح لما يراد بالمسلمين تحت سمع وبصر وتأييد النظام العالمي الجديد ، ولذا فإن الاهتمام بالوعي العسكري الإسلامي يجب أن يتناول القضية في كليتها وفي عموم الواقع الإسلامي للمجتمعات الإسلامية في العالم ككل . إن وعي المجتمعات الإسلامية وقوتها المسلحة بعدوها على المستوى العالمي يمكن أن تسهم فيه الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، نظراً لأهمية هذه النظرة الشمولية لتعرف المجتمعات خطورة الانعزال والتفرق ، فليس معنى عدم المعاناة المباشرة والحالية لمجتمع ما أنه بعيد عما يحدث لغيره ، بل إن المسألة فروق في التوقيت وأولوية في مخطط العدو ، حسب استراتيجية شاملة أعد لها من فترات بعيده ، والمناخ العالمي يسمح حالياً بما لم يسمح به من قبل .

٧- إن الحاجة إلى الوعي بالتربية العسكرية الإسلامية يمكن أن يفيد في مواجهة مظاهر اختلاف الجهاز المناعي في المجتمع والمنوط به حماية المجتمع من أعدائه ، من هذه المظاهر الاعتقاد الخاطىء أن تقدم المجتمعات الإسلامية لن يتم إلا إذا تركت الإسلام وتخلت عنه كما فعلت أوربا بتركها المسيحية وهو ما يطلق عليه العلمانية وما يستتبع لك من تغريب المجتمع ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، بل إن الأخطر من ذلك ليس هو تبني هذه الاتجاهات لصفوة المجتمع ومثقفيه كما سنشير إلى ذلك فيما بعد ، ولكن الأخطر اعتقاد هؤلاء الصفوة والمسئوليين بأن الإسلام هو الخطر الذي يجب أن نحاربه ، وتبني مفاهيم الغرب التي يصور

---

(١) الحديث عن البوسنة والهرسك لا تحتمله صفحات هذا البحث ولكن يمكن الاشارة فقط إلى أحد جوانب الأسلوب الوحشي الذي يتبعه الصرب الأرثوذوكس وهو اغتصاب النساء والفتيات المسلمات ، لما يمثله ذلك من تعصب ديني ، إذ يعرفون بأن الزنا محرم في الإسلام والزواج الشرعي لا يكون إلا لرجل مسلم ، والصرب يلجأون للاغتصاب الجماعي لإضعاف معنويات المقاتلين المسلمين وتحطيم المرأة المسلمة ويمكن الإشارة إلى بعض حالات الاغتصاب كما ذكرها الغربيون أنفسهم في صحفهم ومجلاتهم وعلى سبيل المثال التقرير الذي نشرته النيوزويك ويقرر أن عدد اللاتي تعرضن للاغتصاب ما بين ٣٠,٠٠٠ ثلاثون ألفاً و٥٠,٠٠٠ وخمسون ألفاً منهم فتيات ما بين ٦-٧ سنوات (ترجمة التقرير نشرته مجلة المجتمع الكويتية الذي نشرته النيويورك تايمز الأمريكية في منتصف ديسمبر ١٩٩٢ والذي يقدر عدد المغتصبات ب٥٠,٠٠٠ خمسين ألفاً وأنه في تزايد كل يوم .

وانظر كذلك التقدير الذي رفعته الدبلوماسية أن ووبروتون إلى المجموعة الأوربية وذكرت ضمن ما ذكرت بأن جرائم الاغتصاب التي ارتكبت في حق النساء والبوسنويات قد اتسمت بالسادية ، لإحداث أكبر قدر من الإذلال لهن (مجلة المجتمع الكويتي،١٩ يناير ١٩٩٣ ، العدد ١٠٣٤ ، السنة ٢٣ ، ص٢٧) .

الإسلام على أنه التطرف والأصولية ، وأنهما خطر على الحضارة الحديثة ، مثال لذلك تصريح وزير خارجية تونس السيد عبد الله القلال الذى نشر على لسانه في ربيع ١٩٩١ وقال فيه : (لقد تحدثت في مناسبات عديدة إلى بعض زملائي في فرنسا وإيطاليا وألمانيا والولايات المتحدة ، ولكنى لم ألمس لديهم للأسف إلماماً كاملاً بخطورة الجماعات الأصولية، وقد بينت لزملائي الغربيين أن تلك الجماعات تهدف إلى هدم كل المبادئ التى تقوم عليها الحضارة الحالية)(١) .

لذلك تصبح قضية الوعى بالذات وبالعدو من أهم عوامل تقوية الأجهزة المناعية الدفاعية في الجسم(٢) . وعلى رأس هذه الأجهزة الدفاعية القوات المسلحة .

## المبحث الثانى : الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكري :

### أهمية العمل مع القوات المسلحة وضرورة الوعي بواجبها الدفاعي في المجتمع :

ليس خافياً على أحد أهمية القوات المسلحة في أي بلد من بلدان العالم فالقوة المسلحة هي التي تترجم الأهداف السياسية والاقتصادية على مستوى العالم إلى واقع ، وهي التى تقسم دول العالم إلى دول مُسْتَعْمِرَة ودول مُسْتَعْمَرَة ، وإلى دول تابعة وأخرى متبوعة ، والحروب العالمية هي التصادم العسكرى والتي ينتج عنها إعادة تقسيم العالم ، وفق إرادة المنتصر ، ولقد ساعد على استمرارية التفوق للدول التي انتصرت ازدياد تفوقها في أجهزة الحرب وأدواتها ، خاصة من أسلحة الدمار الشامل والسريع ، واحتفاظها بسبق الضربة الأولى أو القدرة على إجهاضها .

إن تنامي القوة العسكرية للغرب وعجز الكثير من البلاد النامية عن اللحاق به ، أو القدرة على مواجهته واتساع الفجوة بين الضعيف والقوي ، أدى بالكثير من هذه الدول إلى

---

(١) فهمى هويدى : بيان تنصيب (الغلو) الأصولى ، مجلة المجلة ، العدد ٦٨٧ ، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩٣ .

(٢) من المعروف أن جسم الإنسان قد زوده الله بجهاز للدفاع والحماية والمناعة يسمى (Defensive Mechanism) وهذا الجهاز وظيفته حماية الجسم من أى جسم غريب أو جرثومة تحاول غزوه والإضرار به ، ومن خصائصه أنه يستطيع أن يميز بين خلايا وأنسجة الجسم وغيرها من الأجسام الغريبة ، فيما يعرف بالذات وغيرها (Self or Non - Self) وفي بعض الاحيان يفقد هذا الجهاز المناعى قدرته على التميز فيهاجم خلايا الجسم بنفس الأسلوب الذى يهاجم به الأجسام الغريبة ، فيفقد بذلك وظيفته الأساسية في الدفاع ، بل يبدأ في تدمير خلايا الجسم مؤدياً إلى ما يسمى (Auto Immune Diseases) وينشأ عن ذلك الكثير من الأمراض التى يصعب علاجها وتؤدى في الغالب إلى الوفاة .

حالة من الاستسلام واليأس والسير وفق إرادة القوة العالمية ، والرضوخ لكل ما تمليه إرادتها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

والواقع الذي نعيشه يقتضي منا النظر بموضوعية إليه ، فلا نقلل من خطورته وأهميته، وفي نفس الوقت لانيأس من مقاومته والتغلب عليه يقول تعالى :

﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾(١) .

وأول الخطوات التي تبعدنا عن اليأس هي استقراء التاريخ لا للوقوف عنده والتغني بأمجاده، بل لجرعة من الثقة ضرورية ، حيث يعلمنا التاريخ أن المسلمين سادوا العالم وقهروا الفرس والروم واجتاحوا أوروبا عندما كانت عقيدتهم صحيحة وإيمانهم بنصر الله كاملاً .

النقطة الأخرى التي يفيد فيها استقراء التاريخ هو الاستفادة من عوامل الضعف والانحلال التي تفشت في الدولة الإسلامية في مراحلها المختلفة ، خاصة في عملية المواجهة بين المسلمين والنصارى في الأندلس ولابد أن نعي الدرس جيداً ، وأخطر مافيه هو الولاء والبراء ، فعندما ولى حكام وملوك الأندلس من المسلمين غيرهم من نصارى أوروبا ووصل بهم الأمر إلى الاستعانة بهم ضد المسلمين لينتصروا بهم ، أملاً في الاستمرار في الحكم وهذا ماوصفناه من قبل "بضعف الجهاز المناعي في المجتمع" والذى لا يستطيع فيه أن يفرق بين ذاته وبين عدوه ، والنتيجة معروفة ، ولعل قول أم عبد الله الأحمر الذي كان آخر الملوك الذين أبيد ملكهم في الأندلس عندما كان يبكي ماصار إليه ملكه حيث قالت له :

".. ابك على ملك ضيعته كالنساء !! و لم تحفظه كالرجال" .

الخطوة التالية بعد ذلك هي واقعنا المعاصر فعلى الرغم مما فيه من هوان للمسلمين ، إلا أن ملحمة النضال الإسلامى في أفغانستان يجب أن تعطي للمجتمعات الإسلامية الكثير من الثقة والأمل في نصر الله حيث نجد أن شعباً فقيراً متخلفاً ، معدماً ، لا يملك من أسباب الحضارة الحديثة شيئاً ، حتى حكومته كانت عميلة للنظام الشيوعى السوفيتى – تلك هى أفغانستان ، بدأت جهادها الإسلامى ببضع وعشرين رجلاً والعدو يملك الجيش الثانى في العالم ودفع بكل قواته في هذه الحرب ، ثم كانت نتيجة الحرب هي نصر الله لجنوده المجاهدين ، وكانت هزيمة الاتحاد السوفيتى أحد العوامل الهامة التى عجلت بانتهائه وتفككه إلى جمهوريات متفرقة ، إن تكوين وبناء الجهاز الدفاعى في المجتمع لا تستطيع الخدمة الاجتماعية التقليدية أن تسهم فيه ، إذ إنها حيادية تهتم بالجانب العلاجى وتقديم الخدمات

---

(١) سورة يوسف : آية ٨٧ .

الاجتماعية والاقتصادية بصورة مباشرة وعلى المستوى الفـردى ، في حـين أن الخدمـة الاجتماعية الإسلامية تهتم بتنمية الوعى وبناء العقيدة الإسلامية الصحيحة عند الفرد والجماعة والمجتمع وهذا الجانب هو ما يحتاجه المجتمع الإسلامي في مواجهة عدوه .

ويمكن أن نتناول في الصفحات الباقية من هذا البحث الأسس والأهداف التى تقوم عليها الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكرى .

## الأسس التى تقوم عليها الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكرى :

يمكن تحديد أسس الخدمة الاجتماعية الإسلامية في المجال العسكرى على ضوء أحد أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية[1] وهو بناء الوعى الإسلامى ، ويمكن أن يكون المقصود به هنا هو بناء الوعى الإسلامى الصحيح الذى تقوم عليه العقيدة التتالية الصحيحة وذلك على مستوى القوات المسلحة ومستوى المجتمع ذاته ، وبناء الوعى الإسلامى الجهادى يقوم أساساً على العقيدة الإسلامية وقوامها التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وإخلاص العبودية له . يقول الله تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[2] ثم بعد ذلك عبادة الله كما أراد وشرع، كما جاءت الرسالات والرسل ، يقول سبحانه ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**﴾[3] .

والإيمان بالله وملائكته ورسله هو الإسلام ﴿**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**﴾ سورة آل عمران آية ١٩ . ويقول الله تعالى : ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[4] .

والإسلام دين عبادات ومعاملات ، كل محدد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٩-١٩٨٩ ، ص ٩-٤٥ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٨٥-٢٨٦ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

فأساس الوعي الإسلامي الصحيح هو عقيدة صحيحة ، ولذلك يجب أن توجه جهود الأخصائيين الاجتماعيين في القوات المسلحة لتكوين وصقل هذه العقيدة وتخليصها مما شابها من تحريف أو طمس حتى تعود واضحة جلية لأنها جوهر الإسلام ، وذروة سنام الإسلام هو الجهاد في سبيل الله .

ويرتبط بناء الوعي لدى المجتمع ولدى قواته المسلحة بالفهم الصحيح لمفهوم الجهاد وأسبابه وأساليبه وضوابطه على ضوء القرآن والسنه ، وهو ما يجب أن تتناوله برامج عمل الأخصائيين الاجتماعيين ولأهمية هذا المفهوم فيمكن أن نشير إليه باختصار ، على أن يستكمله القارئ في كتب الفقه المختلفة ، فالجهاد لفظ إسلامي لم يرد في أي نص جاهلي لا بمعنى الحرب ولا بمعنى القتال ولا بغيرها ، والجهاد لا يضاف له أي لفظ في المعنى الإصطلاحي فليس هناك جهاد مقدس أو جهاد مشروع ، وإنما هناك جهاد ، فالجهاد ديني خالص لا يستعمل إلا إذا كانت الشروط الواردة في الشريعة الغراء قد استوفيت حتى تكون الحرب مشروعة فعند ئذ تكون الحرب جهاداً[1] .

وجاء في كتاب السير الكبير – باب الجهاد – مايسع منه وما لا يسع (قال أبو حنيفة –رحمه الله– : الجهاد واجب على المسلمين إلا أنهم في سعة من ذلك حتى يحتاج إليهم... فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين ولهذا كان فرضاً على الكفاية ... حتى لو اجتمعوا على تركه اشتركوا في المآثم وفي مثل هذا يجب على الإمام النظر للمسلمين ، لأنه منصوب لذلك نائباً عن جماعتهم فعليه ألا يعطل الثغور ، ولا يدع الدعاء إلى الدين وحث المسلمين على الجهاد ، وإذا ندب الناس إلى ذلك فعليهم ألا يعصوه بالامتناع عن الخروج ولا ينبغي أن يدع المشركين بغير دعوة إلى الإسلام أو إعطاء جزية إذا تمكن من ذلك لأن التكليف بحسب الوسع[2].

ويرى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية[3] . أن الله لما بعث نبيه وأمره بدعوة الخلق إلى دينه، لم يأذن له في قتل أحد على ذلك ولا قتاله حتى هاجر إلى المدينة فأذن له وللمسلمين بقوله تعالى : **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من**

---

(١) ظافر القاسمي : الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٨٦ .

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : السياسة الشرعية ، الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الرياض ، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢ ، ص٨٥–٨٧ .

ينصره إن ا لله لقوى عزيز* الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر و لله عاقبة الامور﴾[1] . ثم أنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وا لله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[2] . والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر ، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ومن الصلاة والتطوع والصوم ، كما دل عليه الكتاب والسنة حتى قال النبي ﷺ : "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد" ، وقال : "إن في الجنة لمائة درجة مابين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها ا لله للمجاهدين في سبيله" متفق عليه . وقال : "من اغبرت قدماه في سبيل ا لله حرمه ا لله على النار" رواه البخارى .

وفي الصحيحين "أن رجلاً قال : يارسول ا لله أخبرنى بشيء يعدل الجهاد في سبيل ا لله ؟ قال : "لاتستطيع ؟ أخبرنى به قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تفطر، وتقوم ولا تفتر ؟ قال : لا ، قال : فذلك الذى يعدل الجهاد" . وفي السنن أنه ﷺ قال : "ان لكل أمة سياحة ، وسياحة أمتى الجهاد في سبيل ا لله" .

### أهداف الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامى :

يمكن تحديد أهداف الخدمة الاجتماعية العسكرية في المجتمع الإسلامي على مستوى الممارسة في مستويين كل منهما مكمل للآخر :

- الأول : هو العمل مع القوات المسلحة .
- الثانى : هو العمل المجتمعى على مستوى المجتمع المحلى أو المجتمع بصفة عامة إن تيسر لها ذلك .

وسنحاول أن نتناول هذين المستويين بشيء من التفصيل فيما يلى :

### أولاً : أهداف العمل مع القوات المسلحة :

ذكرنا من قبل أن الخدمة الاجتماعية التقليدية قد ضربت بجذورها في القوات المسلحة في دول كثيرة وأصبح لها وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها ، وخاصة في مجالات العلاج الاجتماعى وإعادة التكيف للأفراد داخل القوات المسلحة أو العمل في المستشفيات العسكرية.. وغير ذلك إلا أن الخدمة الاجتماعية الإسلامية ذات المفهوم القائم على بناء الوعى الإسلامى والتنمية الذاتية يمكن أن يكون لها دور أكثر فائدة في المجتمعات الإسلامية ،

---

(١) سورة الحج : الآيات ٣٩-٤١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٦ .

ذلك أن الإسلام يمثل عقيدة المجتمع ومنهجه وله تواجده في كافة النظم الاجتماعية الموجودة على عكس المجتمعات الغربية .

وإذا كان من المقبول في المجتمعات الغربية فصل الدين عن الدولة وغيابه في منظمات المجتمع خاصة العسكرية ، فإنه من غير المقبول أن تكون ذات النظرة هى السائدة في المجتمع الإسلامى .

ويمكن أن نحدد أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية على مستويين :

أ- المستوى العلاجى .

ب- المستوى الوقائى والتنموى .

أ- المستوى العلاجى :

وهو تطوير الدور القائم فى المجالات العلاجية المختلفة سواء حالات إعادة التكيف للفرد داخل القوات المسلحة أو في العمل مع المرضى والمصابين في المستشفيات ، ويكون التطور قائماً على أساس المنظور الإسلامي في العلاج ذلك لجدواه وأثره بالنسبة للمسلم ، ويمكن توضيح ذلك في أحد المواقف المبدئية التى تواجه أى ممن يلتحق بالقوات المسلحة ، فالتجنيد للقوات المسلحة في بعض البلاد الإسلامية يكون تجنيداً إجبارياً ، ويراها بعض الشباب فترة عقابية يحسب لها حساباتها المختلفة ويعد العدة للهروب منها والتخلف عنها إن أمكن ، فإذا أتيح له ذلك كان بها ونعمت ، وإن لم يتح له عدم الدخول ، هذا ما يتم في الغالب فإنه يبدأ في السعى والوساطة للهروب من الموقف بالنسبة له عن طريق الوساطة لاختيار سلاح معين والتحايل أطول فترة ممكنة . ولذا فإن استخدم المدخل الإسلامى مع هؤلاء له أهميته القصوى لأنه يغير نظرته السلبية نحو القوات المسلحة ويحول سخطه ومقاومته إلى رضى بما قسمه الله له وتفهم لدوره الجهادى ويكون ذلك بالآتى :

١- أن وجود القوات المسلحة يمكن أن يتحول من وجود شكلي إلى وجود إيماني لأنه في رباط لأن الرسول ﷺ يقول : ((عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)) .

٢- إن الإحساس والوعى بقيمة القوات المسلحة في الإسلام ينمى لديهم الشعور بالمسئولية وبالواجب المقدس وهو القتال في سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا .

٣- إن الإسلام يتطلب من المسلم الصبر على المكاره والابتلاء بحيث يكون ذلك في سبيل الله ، لما ينتظر الصابرين من نعيم في الآخرة .

٤- وعلى مستوى الإصابة أو فقدان عضو نتيجة للعمليات العسكرية فإنه لا يوجد مادياً مايعوض به الجندى عما فقده ، وتظل نقمته قائمة وسخطه على النظام

العسكرى الذى أدى به إلى ما هو فيه من عجز ، إلا أن المدخل الإسلامى هو بفضل الله الذى يبعث في نفسه السكينة انتظاراً لثواب أكبر من الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

وبالنسبة لأسر الشهداء الذين استشهدوا في المعارك لا يوجد أى عوض مادى ولكن العوض الحقيقى عند الله ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[1] .

**ب- المستوى الوقائى والتنموى :**

يقصد هنا بالمستوى الوقائى والتنموى تنمية الوعى لدى الجندى بأهمية وجوده في القوات المسلحة ، وبقيمة العمل الذى يؤديه في الدنيا والآخرة ، وهو حينما يطمئن إلى أن له هدفاً عظيماً يرضى عقيدته فإن قدراته وإمكانياته ستنطلق في الاتجاه الصحيح .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية يمكن أن تقدم البرامج والأنشطة في الاتجاه الذى يخدم هذه الأهداف مثل :

**١- التعريف بالعدو :**

كانت هناك برامج للتوعية منذ فترة في القوات المسلحة بعنوان (اعرف عدوك) وهذه البرامج يجب أن تعاد إلى الوجود بالشكل الإسلامي الصحيح ، فمعرفة العدو لا يمكن أن تتم إلا من خلال الفهم الصحيح للقرآن والسنة ، ولا بد أن تمتد لتبدأ من بداية الإسلام مروراً بالحرب الصليبية وانتهاء بما نحن فيه من تآمر يهودى صليبى على الإسلام ، ولا بد من معرفة الصور التى يتلون بها هذا العدو وطبيعة أهدافه ووسائله .

ويمكن أن يستخدم الأخصائى الاجتماعى في القوات المسلحة الأدوات التالية لتحقيق هذا الهدف :

- الندوات والمحاضرات ويختار لها أفضل العلماء من ذوى العقيدة الصحيحة والرأى الصادق .
- النشرات والكتب التى تحوى معارف ودراسات مبسطة وحقيقية عن العدو وتاريخه ضد المسلمين .
- صحائف الحائط في المعسكرات التى يكتبها الجنود والضباط في هذا الاتجاه .
- كل الوسائل التى تجدد الوعى بالتاريخ الإسلامى وبطولات المسلمين ضد أعداء الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٧ .

### ٢- الالتزام بالقيم والسلوك الإسلامي :

يجب أن تستثمر فترة وجود الجندى في القوات المسلحة في غرس الإسلام الصحيح لديه بتعويده على أسس الحياة الإسلامية من حب الجماعة والصلاة في أوقاتها وصلاة الجماعة والتحبيب في النوافل وفي صيام بعض أيام الشهر تطوعاً ، والتأكيد على الصدق فى القول والشجاعة في إبداء الرأى ، إضافة إلى التشجيع على حفظ القرآن الكريم أو بعض أجزائه ويمكن أن يستخدم الأخصائى الاجتماعى في هذا الاتجاه الأدوات الآتية :

- إقامة المسابقات التى تشجع على حفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه وكذلك حفظ وفهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة .
- وضع حوافز للفائزين تتمثل في الحج أو العمرة .
- تيسير فرص الحج والعمرة لأبناء القوات المسلحة ، ويمكن البحث عن وسائل رخيصة كالحج بالطريق البرى مثلاً ، لزيادة عدد المستفيدين .
- الاهتمام بالنشاط الجماعى من خلال جماعات للنشاط الثقافي والفنى والذى يسير في الاتجاه الإسلامى ويحث على المنافسة والنمو .
- الاهتمام بالنشاط الترويحى الذى يقوى أواصر العلاقات الإسلامية بين الجنود وبعضهم البعض وبين الجنود والضباط في الإطار الذى يقلل من الفجوة الطبقية بين الجنود والضباط ، وفي نفس الوقت يحفظ للضباط وجودهم القيادى حتى لا تختل الجوانب التنظيمية والإدارية التى تسير عليها المنظمة العسكرية .

الاهتمام بأسس القيادة الإسلامية الصحيحة والتبعية المخلصة دون قهر ، بل التزاماً بما أوجبه الإسلام على القائد والجندى .

### ثانياً : أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية العسكرية على مستوى المجتمع :

#### أ - مواجهة وعلاج آثار التغريب في المجتمع :

للخدمة الاجتماعية التقليدية دور واضح في تثقيف الجماهير وزيادة وعيهم بمشكلاتهم الاجتماعية وبقدراتهم من أجل التغلب على هذه المشكلات ، وتهتم طريقة تنظيم المجتمع بصفة خاصة بهذا الهدف ولها أساليبها وأدواتها من أجل تشجيع مشاركة المواطنين بعد توعيتهم واستشارتهم - نحو الحركة الإيجابية في هذا الاتجاه ، والتربية العسكرية الإسلامية تعتبر هدفاً مجتمعياً ومؤسسياً في نفس الوقت فهى هدف يجب أن يهيأ المجتمع له ، ويكون ذلك على مستوى المجتمع كله ، خاصة بعد غياب هذا المفهوم عن المجتمع وانصرافه عنه لعقود زمنية طويلة ، صاحبها هزيمة وتفكك في النظم الاجتماعية وأخذ بالنظم

الاجتماعية الغربية وهى ظاهرة يفسرها ابن خلدون في مقدمته بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب ، وهذه الظواهر التغريبية ، كان لها آثارها على مستوى المجتمع ككل ولعل من أخطرها إفرازه لقيادات فكرية تبوأت مواقع قيادية مؤثرة في المجتمع في ظل الاستعمار حيث وجهت المجتمع من خلال نظمه التعليمية والاجتماعية والثقافية وجهة غربية فكانت ترى بأن حتمية التقدم والتطور لا يتم إلا من الغرب وبنفس قيمه وأساليبه ومن هؤلاء طه حسين(١) أحمد لطفى السيد . وحفلت الصحافة التى تصنع وتوجه الرأى العام بعناصر غربية خطيرة من أمثال سلامة موسى وغيره .

ولقد كان من خطورة هذا الاتجاه التغريبى هو تأثر القوات المسلحة في الكثير من البلاد العربية والإسلامية بالنموذج الغربى وبطرح الإسلام جانباً في الكثير منها ، وشاء الله أن تتبوأ الكثير من قيادات القوات المسلحة الحكم في هذه البلاد فأصبحت هناك فجوة قائمة بين تربيتهم وإعدادهم العسكرى بالمفهوم الغربي وقلة فهمهم للكثير من الأمور الدينية والمدنية ، إضافة إلى أنهم لم يجدوا نموذجاً عسكرياً أو اجتماعياً إسلامياً جاهزاً من الأمور للتطبيق ، و لم يسعوا إلى ذلك مما ساعد على اتساع الهوة بين الاتجاهين ، واستثمر الاستعمار الغربى الفرصة مرة أخرى للوقيعة بين الاتجاهين وتخويف هؤلاء بهؤلاء .

---

(١) أشرنا من قبل في كتاب الخدمة الاجتماعية الإسلامية إلى اتجاهات طه حسين التغريبية حيث توحد مع الثقافة الغربية وحمل لواءها وكانت خطورته أنه تولى مراكز ثقافية مؤثرة في المجتمع مثل وزارة المعارف إضافة إلى كتبه حيث أصدر كتابه (الشعر الجاهلى) والذى صدر عام ١٩٢٦ ويدعو فيه إلى هدم التدين . وأثار منذ ظهوره ضجة هائلة في الصحف وفي المجلس النيابى . وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق وجمعت نسخه من الأسواق حتى لا يتداولها الناس بعد أن ألقاه صاحبه على طلبة السنة الأولى في كلية الآداب . والكتاب مقسم إلى ثلاثة فصول أخرها الفصل الأول الذى يوضح منهجه في بحث الأدب الأبواب وهو أكثر إثارة . ولذلك اضطر صاحبه إلى إسقاطه ، أو إسقاط أكثره عندما طبع الكتاب باسم (من الأدب الجاهلى) وأعقب هذا بكتابه عن (مستقبل الثقافة في مصر) وهى دعوة كاملة إلى التغريب حيث يرى بأن سبيل النهضة (واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهى : أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب) وهو شبيه بقول (أغا أوغلي أحمد) أحد غلاة الكماليين من الترك في أحد كتبه (إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين ، حتى الالتهابات التى في رئتهم والنجاسات التى في أمعائهم) .

وكذلك آراء سلامة موسى وكتابه (اليوم وغداً) والذى يدعو فيه صراحة وبكل سفور لمعاداة الدين ونبذه ويدعو فيه إلى إبطال شريعة الإسلام في تعدد الأزواج والطلاق والمعاقبة بالسجن لكل من يتزوج أكثر من إمرأة ويمنع الطلاق إلا بحكم المحكمة ويدعو إلى إلغاء الأوقاف والأزهر الذى يبث بيننا ثقافة القرون المظلمة ويسخر من المشايخ وطريقة لباسهم للجبة والقفطان ويهزأ بطريقتهم في الوضوء) . ولمزيد من التفاصيل انظر الاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين ، ص ٢٢١-٢٤٢ .

٥- في المجتمعات ذات الأقلية المسلمة والتى يواجه المسلمون فيها ظلماً يصل إلى حد التصفية الجسدية تحت مسمى (التصفية العرقية) ، كما يحدث للمسلمين في يوغوسلافيا السابقة وفي جمهوريات شرقى أوربا - الاتحاد السوفيتى سابقاً - وفي الهند وكشمير والفلبين وبورما وسيرى لانكا وغيرها من الدول التى يعانى فيها المسلمون الاضطهاد بصوره المختلفة، فإن استراتيجية الضغط والجهاد في سبيل الله بالقوة الدفاعية هي الاستراتيجية المناسبة بل والحتمية ، ويمكن أن يكون للخدمة الاجتماعية دور أساس في تنظيمهم وفي التوعية بالجهاد في سبيل الله وأهميته والدعوة إليه وجمع المال والإعلام المحلى والدولى لمناصرتهم ، وفي رعاية أسرهم وفي الحث على التطوع وتهيئة المتطوعين للعمل القتالى بتنمية عقيدتهم وبث روح الجهاد الإسلامى فيهم باستخدام الأدوات والأساليب المهنية وتوظيفها في تحقيق هذه الأهداف .

## المبحث الثالث : دور طرق الخدمة الاجتماعية في تنمية الوعى العسكرى على المستوى المجتمعى :

### أولاً : طريقة خدمة الفرد :

إذا تناولنا دور الخدمة الاجتماعية على مستوى الطرق فإننا نجد أن طريقة خدمة الفرد ، ربما تكون أقل هذه الطرق على مستوى تنمية الوعى الجهادى من الناحية الكمية ، ومن ناحية العمل المباشر في هذا الاتجاه حيث إننا نعلم بأن طريقة خدمة الفرد طريقة علاجية أكثر منها وقائية وتعمل مع حالات فردية وإذا عملت بطريقة جماعية فيما يطلق عليه (خدمة الفرد الجماعية) فإنها أيضاً تتم بطريقة علاجية ، ومن هنا فإن دورها سيكون أكثر أهمية عند الحديث عن الجزء الثانى من أهداف الخدمة الاجتماعية الإسلامية وهو الخاص بالبرنامج والخدمات التى يمكن أن تسهم بها الخدمة الاجتماعية في المجال العسكرى .

إلا أن هناك جانباً على درجة كبيرة من الأهمية يمكن أن تقوم به خدمة الفرد ، حيث هى الطريقة المؤهلة للعمل مع الأسرة لمساعدتها على مواجهة مشكلاتها الاجتماعية ، وهنا سنتكلم عن جانب تكوين الوعى الجهادى لدى الأسرة ويمكن أن يتم ذلك في إطار بناء الوعى الإسلامى الصحيح وتنمية العقيدة الإسلامية ، التى تعتبر أساس أى نشاط أو جهد إسلامى ، وخدمة الفرد يمكن أن تقوم بدور في تصحيح التوجيه الإسلامى لدى الأسرة والاطمئنان إلى سلامة العقيدة ووضوحها وخلوها مما قد يشوبها من شركيات وعادات اجتماعية بعيدة عن الإسلام ، وتأتى هذه عن طريق الدراسة الاجتماعية للأسرة ثم وضع خطة العلاج مع الاستفادة من العلماء والدعاة في ذلك ما أمكن .

ويجب الاهتمام بالأم وبأهمية دورهـا في الأسرة المسلمة خاصـة فيمـا يتصـل بتربيـة الأبناء ، ويمكن هنا أن توجه وتساعد في الآتي :

١- تدريب الأطفال على القيام بواجبات الديـن مـن صـلاة وصيـام حسـب المرحلـة السنية المناسبة لتعويدهم على الطاعة والتحمل والصبر .

٢- أن تغرس في نفوس الأبناء وعياً بأن هناك أعداء للإسلام هم الكفار والمشركون، وأن تضرب لهم الأمثلة على عدائهم للإسلام وحربهم الشرسة ، وأن تستثمر ما تبثه وسـائل الإعلام عن حرب المشركين والكفـار للمسـلمين كمـا يحـدث في البوسـنة والهرسك والهند وكشمير والفلبين . . وغيرها .

٣- أن تروى لهم قصص البطولة في الإسلام خاصة ما يماثلهم في السـن فعلـى سـبيل المثال : أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كـان يقـاتل في معركـة بـدر وكـان علـى يمينـه ويساره فتيان عمر كل منهما لا يزيد على أربعة عشر عاماً وسألاه أن يصف لهما أبـا جهـل لأنهما عزما على قتله ، وقد قتلاه فعلاً وقالا ذلك لرسول الله ﷺ .

٤- تربية الفتاة المسلمة أيضاً على حب الجهاد في سبيل الله والإنفاق في سبيل الله ، وعلى دورها المتوقع في المستقبل كأم مسلمة ، وذلك عن طريق الأمثلة مـن سـيرة المسلمات فهناك أسماء بنت أبي بكر ودورها مـع رسـول الله ﷺ ومـع أبيهـا عندمـا هـاجرا وكـانت تحمل لهما الغذاء في غار ثور وسميت بذات النطاقين ، ثم بعد ذلك تربيتها لابنها عبد الله بـن الزبير وكيف شجعته على الجهاد وقول كلمة الحق حين قال لها أخشى أن يمثل بـي الحجـاج بعد قتلى فقالت : ماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحهـا !! وحينمـا تم ذلـك وطلـب لقاءهـا الحجاج ليتشفى فيها ، قالت له : (رأيتـك أفسـدت عليـه دنيـاه وأفسـد عليـك آخرتـك..) وكذلك الخنساء وفرحها باستشهاد أبنائها.. وغير ذلك .

٥- غرس قيمة وأهمية الشهادة في سـبيل الله ، وبـأن الإسـلام ديـن جهـاد ونضـال واختبار وابتلاء من أجل هدف سام وعظيم وهو الجنة ، وبأهمية العمل لما بعـد المـوت حتـى لا يشتغل الناس بأمور دنياهم على حساب آخرتهم .

٦- توعية الأم بأهمية مناهضة (التغريب) الذى يتغلغل في الأسرة عن طريـق المحاكـاة في الملبس وفي طريقة الحياة الاجتماعية ، كالاختلاط والذهاب إلى المصايف ونزول البحر... وغير ذلك من صور التغريب الاجتماعي .

٧ - توعية الأم وإرشادها إلى أساليب الاهتمـام بتحفيـظ أولادهـا قـدراً مـن القـرآن الكريم مع حسن التجويد ، والاهتمام بإرسالهم إلى المسجد لتحقيـق هـذا الغرض والمداومـة على صلاة الجماعة في المسجد والنوافل في المنزل . ولبعض المجتمعات الخيرية بالمملكة العربيـة

والخدمة الاجتماعية الإسلامية في تشخيصها لمشكلات المجتمع يجب أن تهتم بهذه الجذور المريضة والتى أدت إلى الكثير من الأمراض الاجتماعية ومن أخطرها فقد (الهوية الإسلامية).

ب- الوعى بالتربية العسكرية الإسلامية :

إن إيجاد الوعى المجتمعى بالتربية العسكرية الإسلامية يحتاج إلى جهود في المجال التعليمى بمستوياته المختلفة ، وهذا يقتضى مناهج سليمة تهتم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وتهتم بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وإبراز دور المجاهدين والتركيز على فترات ازدهار الحكم الإسلامي وليس على التاريخ الفرعونى أو ألف ليلة وليلة ، إضافة إلى الحاجة إلى جهود الإعلام والصحافة – في المجتمعات – والتى لا يخفى حالها على أحد حيث يسير في عكس اتجاه الوعى العسكرى ولعل ما صنرنا إليه يتبهنا إلى قول صمويل زويمر في خطبته التى أشرنا إليها من قبل عام ١٩٣٥ . حيث يقول مخاطباً المنصرين : (..وإنكم أعددتم بوسائلكم الخاصة جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد .. إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة با لله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية وبالتالى جاء النشيء طبقاً لما أراده الإستعمار ، لايهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيىء في سبيلها ... إن مهمتكم تم على أكمل وجه) .

جـ- التوجه والاهتمام المهنى :

إن ما ذكرنا من مواجهة آثار التغريب في المجتمع قد يطرح على مستوى التنظير والممارسة إحدى القضايا الهامة في الخدمة الاجتماعية والتى أشرنا إليها من قبل وهى قضية (الحياد المهنى) ، وقد تكون هذه هى المرة الأولى التى تطرح فيها هذه القضية – بمجرد طرح – لكنها حسمت منذ أكثر من ربع قرن في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث ظهر – في الستينيات كاستجابة للظروف الاجتماعية والثقافية في ذلك الوقت نتيجة لثورة الفقراء والزنوج من أجل العدالة الاجتماعية ومناهضة التفرقة العنصرية والحرب الفيتنامية – ما جعل القائمين على أمر الخدمة الاجتماعية يقطعون برأى ، إما الانحياز للمضطهدين والمظلومين ومناصرتهم ، وإما البقاء بعيداً عن هذا الاتجاه وذلك يعنى تخليهم عن عملائهم وأصحاب الحاجة إلى جهودهم المهنية .

وظهر اتجاه مناصرة المظلومين والدفاع عن قضاياهم (Advocacy) وتنظيمهم من أجل الحصول على حقوقهم عن طريق ماسمى باستراتيجية الضغط أو القوة وبتكتيكات متعددة تبدأ من التفاوض وتنتهى باستخدام القوة وظهرت أدوات للمنظم الاجتماعى هذا الدور مثل دور المناصر والمدافع والمثير وغيرها .

ونحن نرى أن الخدمة الاجتماعية كمهنة لايمكن لها أن تثبت وجودها في المجتمع إلا إذا تبنت قضاياه ودافعت عن حقوق عملائها ، ونرى أن تطور المهنة يأتى بممارسة الاتجاهات الحديثة في الخدمة الاجتماعية كالدفاع والمناصرة ، مع تقييم ما تسفر عنه الممارسة في هذا الاتجاه ، كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية . وفي نفس الوقت نرى بأن هناك الكثير من الظروف الموضوعية التى تعوق الأخذ بهذا الاتجاه حالياً ومنها :

١- أن حرية الممارسة للمهنية ترتبط بطبيعة النظام السياسى والاجتماعى القائم في هذا المجتمع ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية يسمح النظام والدستور بالاختلاف والتعدد في الرأى والفكر والحياة ، على عكس الدول النامية التى ترى الحرية من جانب واحد فقط وهو جانب (السلطة) وأن الاتجاه لتعدد الآراء وحرية التنظيمات السياسية والاجتماعية سيجلب الفوضى ويهدد نظمها .

٢- أن قوة الخدمة الاجتماعية في المجتمع ترتبط بقوة تنظيماتها المهنية وبقدرتها على الدفاع عن المهنيين وحماية حقهم في العمل لاجتماعى طالما أن هناك مبرراً علمياً ونظرياً ، طالما أن عملها سيفيد من الفئات الاجتماعية في المجتمع . والواقع أن التنظيم المهنى للاجتماعيين في الدول النامية يأتى في مؤخرة التنظيمات والنقابات المهنية الأخرى حيث تسبقها التنظيمات النقابية المختلفة في القوة والتأثير بل وفي التصدى لقضايا هى من صميم عمل الأخصائيين كمواجهة الزلازل والكوارث والإغاثة ، إضافة إلى تأكيد وجودهم في مجال العمل السياسى .

٣- أن هذه المعوقات يمكن النظر إليها من زاوية أخرى على أنها معوقات تواجه الخدمة الاجتماعية المنطلقة من منطلقات دينية كالخدمة الكاثولوكية أو الخدمة الاجتماعية البروتستانتية فإنها تأخذ العمل المهنى من منظور دينى وعقائدى ، وهذا ما يمكن أن ينسحب على الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، فلا يمكن تصور الأخصائي الاجتماعي المسلم شخصاً حيادياً وكأن أمر دينه لا يعنيه ، خاصة وأن الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعى متكامل سياسياً واقتصادياً ودينياً ، وأن الدعوة إليه والالتزام به فيه صلاح المجتمع الذى هو هدف الخدمة الاجتماعية في أى نظام .

٤- أن قضية التربية العسكرية الإسلامية قضية تهم المجتمع ككل من حيث هو مجتمع مسلم ولا تهم طبقة أو فئة أو أقلية اجتماعية . وإذا كان المجتمع دستوره الرسمى ونظامه يعتبر الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع فإنه لاحاجة إلى إستراتيجية الضغط في تبنى تنمية الجهاد في سبيل الله ، بل إن إستراتيجية الإقناع هى الأكثر جدوى بل هى التى تناسب تكون الوعى وتنميته من خلال عرض الفكرة وأهميتها على القيادات والجماهير من خلال رسائل التوعية من صحف أو مجلات أو ندوات ومحاضرات ، ويتيح تعدد الصحف حزبية كانت أو حكومية إمكانية تحقيق هذا الوعى .

السعودية دور ممتاز في هذا المجال حيث تشجع الأسرة على الانتماء إلى المسجد وتهتم بالأم وأولادها .

٨ – تحاول الأم أن تكسب الطفل بعض القيم الإسلامية منذ الصغر كالإنفاق في سبيل الله خاصة تقديم العون المادى للشعوب التى تحارب فيها الإسلام .

٩ – أن يحفظ الأطفال بعض الأناشيد التى تدعو إلى الجهاد في سبيل الله وترغب في الشهادة وقد كثرت هذه الأناشيد في أيامنا هذه وذاع استعمالها على أشرطة (كاسيت) بإنشاد وصوت محبب إلى نفوس الأطفال[(١)] .

## ثانياً : طريقة خدمة الجماعة وتنمية الوعى العسكرى :

تعتبر طريقة خدمة الجماعة من أهم الطرق التى يمكن استخدامها في تكوين التربية الجهادية والعسكرية الإسلامية .

وطريقة خدمة الجماعة حالياً ذات طابع تربوى ووقائى أكثر منه علاجى ، ولذا فإنه يمكن الاستفادة منها وتوجيهها لتحقيق التربية والتنشئة الجهادية والعسكرية ، خاصة العمل في المجال المدرسى وفي مجال رعاية الشباب وغيرها .

### أ– الأسس والمبادئ التى يجب أن تهتم بها طريقة خدمة الجماعة :

### ١– تكوين العقيدة الإسلامية :

يجب أن تقوم برامج وممارسات طريقة خدمة الجماعة في هذا الاتجاه على أسس إسلامية تكون هى محور كافة البرامج والأنشطة الجماعية ، بهدف تكوين العقيدة الإسلامية الصحيحة وتنمية الوعى الإسلامى على ضوء تلك العقيدة . وأن يعرف أعضاء الجماعات بالتربية العلمية حقيقة التوحيد لله وإفراده بالربوبية ، وأن يرسخ هذا فى وجدانهم من الصغر ، إن عرض تاريخ بعض الصحابة كبلال بن رباح وعمار بن ياسر وغيرهما وتعذيب المشركين لهم حتى ينطقوا بكلمة الشرك ويكفروا بوحدانية الله ، ولم تفلح كل صور التعذيب فى إرغامهم على ذلك بل إن فى قصة (الرجيع) وتذكير الأعضاء بها ما يقوى عقيدتهم وأصل قصة (الرجيع)[(٢)] . هذه أن وفداً من قبائل (عضل والقارة) قدم على رسول الله يذكر أن أنباء الإسلام قد وصلت إليهم ، وأنهم يحتاجون إلى رجال يعلمونهم الدين ويقرئونهم القرآن ، فأرسل النبى معهم رهطاً من الدعاة يرأسهم (عاصم بن ثابت) فانطلق

---

(1) Donald Brieland, History and Evalution of social work, NASW . 1987. P 43 .

(٢) محمد الغزالى : فقه السيرة ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٢/١٩٨٢ ، ط٨ ، ص٢٩٤ ، ٢٩٥ .

الجميع حتى إذا كانوا بين (عسفان) و (مكة) قريباً من مياه (هذيل) شعر الدعاة بأن أصحابهم غدروا بهم واستصرخوا هذيلاً عليهم ، وفزع الدعاة إلى أسلحتهم يقاتلون الغادرين ومن أعانهم من قبيلة هذيل وماذا يجدى : قتال نفر يعدون على الأصابع لنحو مائة من الرماة وراءهم قومهم يشدون أزرهم ؟ لذلك لم يلبث عاصم وصحبه أن قتلوا ، واستسلم للأسر منهم ثلاثة نفر (خبيب) و (زيد بن الدثنة) و (عبد الله بن طارق) فاسترقهم الهذليون وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، ومعنى بيعهم بمكة تسليمهم للقتلة المتربصين ، فإن أولئك النفر من الرجال الذين قاتلوا مع رسول الله – ﷺ – فى (بدر) و (أحد) ولأهل مكة لديهم ثارات يودون الاشتفاء منها وقد حاول عبد الله الإفلات من هذا المصير فقتل وأما (خبيب) و (زيد) فأخذهما أهل قريش ليقتلونهما أخذا بثأرهم القديم .

فأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية لقتله بأبيه ولما خرجوا به من الحرم اجتمع رهط من قريش-منهم أبو سفيان بن حرب -فقال له أبو سفيان- حين قدم ليقتل – أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ فقال : ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى .. فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قتل (زيد) .

وأما خبيب فقد اشتراه عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه فلما خرجوا (بخبيب) من الحرم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة . فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً . رواه البخارى فى صحيحه وأحمد .

**الابتلاء والتضحية :**

يقول الله سبحانه وتعالى **﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾**(1) .

يجب أن يرسخ فى وجدان المسلم منذ الصغر أن الإسلام دين وعمل وجهاد وأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأن سلعة الله غالية وهى الجنة ويحتاج من يصل إليها أن يقدم فى الدنيا ما يؤهله للوصول إليها ، ولنا فى رسول الله – ﷺ – القدوة

---

(1) سورة العنكبوت : الآية ١ : ٣ .

والمثل ، يقول محمد الغزالى[1] . (..ما كان محمد - ﷺ - رجل خيال يتيه فى مذاهبه ثم يبنى حياته ودعوته على الخرافة ، بل كان رجل حقائق يبصر بعيدها كما يبصر قريبها ، فإذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه وبذل فى تهيئتها - على ضوء الواقع المر - أقصى ما فى طاقته من قدر وجهد ، وما فكر قط ولا فكر أحد من صحابته أن السماء تسعى له حيث يقعد ، أو تنشط له حيث يكسل ، أو تحتاط له حيث يفرط ، ولم تكن خوارق العادات ونواقض الأسباب والمسببات أساساً ولا طلاء فى بناء رجل عظيم أو أمة عظيمة .. إنهم تعبوا أكثر مما تعب أعداؤهم ، وحملوا المغارم الباهظة فى سبيل ربهم فكانوا فى ميدان تنازع البقاء أولى بالرسوخ والتمكين .. قال الله لرسوله ﷺ ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً﴾ سورة النساء آية ١٠٢ .

بل إن ما حدث للمسلمين من مقاطعة عامة اضطر الرسول - ﷺ - إلى الاحتباس فى شعب بنى هاشم وانحاز إليهم بنو عبد المطلب كافرهم ومؤمنهم على سواء ، عدا أبى لهب فقد آزر قريشا فى خصومتها لقومه ، حيث تمخض حقد المشركين عن عقد معاهدة تعتبر المسلمين ومن يرض بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمى أحداً منهم حزباً واحداً دون سائر الناس ، ثم اتفقوا ألا يبيعوا أو يبتاعوا منهم وكتبوا ذلك فى صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة توكيداً لنصوصها .. قال السهيلى : كانت الصحابة إذا قدمت إلى مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد - ﷺ - حتى لا يدركوا معكم شيئاً . وقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فأنا ضامن لا خسار عليكم فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتصاغون من الجوع وليس فى يده شىء يطعمهم به ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً.. كم بقيت هذه الضائقة ؟ ثلاث سنين كالحة ، كان رباط الإيمان وحده هو الذى يمسك القلوب ويصبر على البلاء .

---

(١) محمد الغزالى : المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعلمون﴾(١) .

وحياة الرسول ﷺ كلها جهاد وتضحية وصبر على الابتلاء ويكفى فى مجال الجهاد والحرب أن الفترة التى قضاها فى المدينة وهى عشر سنوات حفلت بتسع عشر غزوة . فعن بريده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل ثمان منهن»(٢) .

**٢- الاستعداد والتأهب للجهاد أما النصر فهو من عند الله :**

يقول تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾(٣) .

يرى الغزالى(٤) . بأنه ما من أيام القتال فيهن أوجب على المسلمين من أيام يهدد فيها الإسلام وآله بالفناء وتتألب عليه شتى القوى ، بل يصطلح ضده الخصوم الألداء ، محاولين سحقه إلى الأبد وقد وقع ذلك فى صدر الإسلام ، قبل الهجرة وبعدها ووقع فى هذه الأيام ، فسقطت أوطان الإسلام فى أيدى لصوص الأرض ، ثم رسمت أخبث السياسات للذهاب به رويداً رويداً ، وكيف تستغرب الدعوة إلى التسلح والإهابة بأهل النجدة أن يوطنوا أنفسهم على التضحية فى سبيل الله ؟ وكيف تستنكر صناعة الموت فى أمة يتواثب حولها الجزارون من كل فج ؟ وتمشياً مع توجيه الوحى وسياسة الواقع ، وحفاظاً على حق الله وحق الحياة درب النبى ﷺ رجاله على فنون الحرب واشترك معهم فى التمارين والمناورات والمعارك .. عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة هى الرمى..(٥) .والرمى أعم من أن يكون بالسهام أو بالرصاص أو بالقنابل ، وعن فقيم اللخمى(٦) قال قلت لعقبة بن عامر : تختلف بين هذين الغرضين -تتردد بينهما- وأنت شيخ كبير يشق عليه.

---

(١) سورة هود : الآية ١٦ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذرى : تحقيق محمد ناصر الألبانى ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢١ ، ط٢ ، ص٣٢٠ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

(٤) محمد الغزالى ، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ولاحظ أنه قد كتب ذلك قبل مأساة البوسنة والهرسك وقبل ما يحدث فى الهند وكشمير ودول الاتحاد السوفيتى .

(٥) حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد .

(٦) حديث صحيح أخرجه مسلم ..

قال عقبة : لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه . قال : وما ذاك ؟ قال : سمعته يقول «من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا» فانظر كيف يبقى الشيوخ المسنون على دربهم فى إصابة الهدف ومهارة اليد ونشاط الحركة ، إن الإسلام يفترض المقدرة على القتال فيوجبها على الشباب والشيوخ جميعاً .

ويجب أن يعد الفتية والشباب على الثقة بالله وبأنفسهم وبأن الماضى من تاريخ الإسلام له صور من الحاضر تؤيده ، فما حدث فى افغانستان ليس ببعيد ، حيث بدأ الجهاد بفئة لم تتجاوز عشرين رجلاً ، ليس لديهم سوى بعض البنادق القليلة ومطلوب منهم أن يواجهوا الاتحاد السوفييتى أقوى الجيوش العسكرية بعد الولايات المتحدة وهى قوة كانت تخشاها الولايات المتحدة ذاتها وتعمل لها حسابها ، ومعروف حجم تسليح هذه القوات وإضافة إلى سلاحها العقائدى الملحد الذى لا يؤمن بالله أو بأى دين أو رسول .. ومع ذلك جاهد الأفغان المسلمون أكثر من تسع سنوات وكتب الله لهم النصر ، وهذه هى إسرائيل التى تملك القنابل الذرية وتأخذ السلاح من ترسانة الولايات المتحدة مباشرة دون قيد أو شرط .. تهزها بمجموعة من الأطفال والشباب ، سلاحها بعد الإيمان بالله هو الحجارة !! يجب أن يعد الشباب على الصبر والإيمان بنصر الله والشهادة فى سبيله .

إن النصر فى المعارك لا يكون بكثرة العدد ووفرة السلاح ، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش ، وقد كان الجيش الإسلامى فى معاركه يمثل العقيدة النقية والإيمان المتقد والفرح بالاستشهاد والرغبة فى ثواب الله وجنته ، بينما كان جيش المشركين يمثل فساد العقيدة وتفسخ الأخلاق وتفكك الروابط الاجتماعية والانغماس فى الملذات(١) .

على أنه يجب أن يراعى الأخصائى الاجتماعى قبل ذلك وبعده التزام السلوك الإسلامى وتمثله كقيم وممارسة ، وأن يحافظوا على صلاة الجماعة فى المسجد وعلى المواظبة على بعض النوافل كصوم التطوع ولو ثلاثة أيام كل شهر لما فى ذلك من التقرب إلى الله ومن الإسهام فى بناء الشخصية القادرة على التحمل والتضحية .

كما يجب وبصفة دائمة التحذير من عمليات التغريب وفقدان الهوية التى يسعى إليها الغرب بصفة دائمة والتحصن على قدر الإمكان من تلك الموجات العاتية ممثلة فى الأفلام والمسلسلات والأغانى الخليعة والملابس التى لا يعرف الناظر إليها إن كانت للبنات أم للأولاد ، وأن يفهم ما وراء ذلك كله حتى لا ينطبق علينا قول الرسول - ﷺ - عن أبى سعيد الخدرى: قال رسول الله - ﷺ - : «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر

---

(١) مصطفى السباعى : السيرة النبوية ، دروس وعبر ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٤٠٥ /١٩٨٥ ، ط ٨ ، ص١١٢

وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم» ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : (فمن)؟[1].

ب – دور أخصائى خدمة الجماعة :

يتحدد دور أخصائى خدمة الجماعة على ضوء المجال الذى يعمل فيه كالمجال المدرسى أو رعاية الشباب ، إذ إن المجال حدد نوع المؤسسة والهدف وسن الأعضاء .. وغير ذلك من الأمور والمتغيرات التى يجب أن يراعيها الأخصائى ، إلا أن الأخصائى يجب أن يتأكد بداية من وضوح الهدف الذى يسعى إليه وأن يتوافر لديه حد أدنى من الثقافة والفقه بالجهاد وبالسيرة النبوية خاصة فى مجال بناء العقيدة وغزوات الرسول ﷺ وبسيرة الصحابة رضوان الله عليهم ؟ وأن يختار من ذلك ما يناسب عملاءه ويمكن أن نأخذ المدرسة كنموذج ، حيث تعتبر من أهم مجالات عمل طريقة خدمة الجماعة ويمكن من خلالها وضع البرامج المتكاملة التى تحقق الوعى الجهادى وذلك عن طريق :

١- جماعات النشاط مثل الصحافة والإذاعة والخدمة العامة والنشاط الدينى والاجتماعى وغيرها . .

٢- المعسكرات والمخيمات الكشفية .

٣- المدارس الثانوية العسكرية ومادة التربية العسكرية .

وسنعطى بعض التفاصيل عن كل هذه الأساليب الثلاثة :

١- جماعات النشاط :

تعتبر جماعات النشاط هى أساس نشاط خدمة الجماعة فى المدرسة وعن طريقها يمكن تحقيق الأهداف المطلوبة ، وعادة ما تكون هذه الجماعات موجودة وقد تكون لها أنشطتها الاجتماعية التى تشبع احتياجات الأعضاء وهواياتهم بعيدة عن الجانب الدينى ، وهذا واضح فى أغلب المدارس فى الكثير من البلاد العربية نتيجة لما أسلفنا من قبل عن عمليات التغريب وفصل الدين عن المجتمع ونظمه الأساسية .

وهنا يجب أن يعيد الأخصائى الاجتماعى صياغة هذه الأهداف من جديد بحيث تتم الأنشطة الاجتماعية والثقافية من خلال البعد الإسلامى ووضعها فى إطارها الصحيح ، فإن كانت الجماعة لها نشاط علمى فيجب إبراز دور الإسلام فى العلم على ضوء القرآن الكريم وما به من آيات تحث على العلم والقوة ومن السنة كذلك ومن تاريخ المسلمين ودورهم فى العلم والأسباب التاريخية وراء تخلفهم والعوامل المعاصرة التى تحول دون تقدمهم العلمى ،

---

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٢٦ ، حديث رقم ٢٠٠٢ .

وإن كانت الجماعة لها أهداف اجتماعية فيجب أن تتم وفق اهتمام الإسلام بقيم التعاون والإخاء والمساواة والعدالة وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة واحترام الأبناء للآباء ولكبار السن ولعلاقات الجيرة فى المجتمع المحلى وفى علاقات المجتمع ككل والعلاقات بين المجتمعات الإسلامية .. وهكذا.

وإذا كانت الجماعة تهتم بالثقافة والتوعية فلا بد أن تركز على الوعى الذاتى بالقدرات والإمكانات التى أودعها الله سبحانه وتعالى عند المسلمين وأهمية العقيدة فى بناء المجتمع حيث إنها كانت الأساس الذى جعل المجتمع الإسلامى الفقير بإمكاناته المادية والبشرية يقهر أكبر إمبراطوريتين هما الفرس والرومان .. وأن ينصب اهتمام الجماعة أيضاً بتوعية أعضاء الجماعة والمجتمع المدرسى ككل بحقيقة العدو الذى يتربص بالإسلام والمسلمين وكشف أساليبه ومخططاته.. إلخ .

أما إذا كانت هناك فرصة لتكوين جماعة أو جماعات أخرى فإن تنمية الوعى الجهادى يمكن أن يكون هدف جماعة من تلك الجماعات ويمكن أن تتصور المثال التالى :

### ٢- المعسكرات والمخيمات :

يقصد بالمعسكرات والمخيمات شيء واحد ، والمقصود بهما هو قضاء مجموعة من الأفراد وقت معين قد يكون يوماً أو أكثر بعيداً عن أماكن إقامتهم المعتادة وبطريقة مختلفة عما ألفوه لاكتساب بعض الخبرات أو الترويح عن النفس . وأهم ما تسهم به هذه المخيمات فى حياة الناس وإن اختلفت مشاربهم هو تنمية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وإكسابهم خبرات مشتركة وإيجاد نوع من التغيير فى أسلوب الحياة النمطى الذى اكتسى بطابع رسمى مادى أدى إلى أن يصبح الإنسان أسيراً لنظام ثابت ويومى يؤدى إلى الملل والكآبة ، والمخيم شأنه شأن أى وسيلة يمكن أن يستخدم لأغراض صالحة وغير صالحة ، حسب الهدف منه .

هذا ويمكن أن تتعدد هذه المخيمات وتزداد فترتها الزمنية كلما تقدمت فى السن ، ففى المرحلة المتوسطة (الإعدادية) يجب أن تكون لمدة أسبوع أو أكثر ، وفى المرحلة الثانوية لمدة أسبوعين أو شهر وكذلك فى المرحلة الجامعية يمكن أن تمتد وتنتشر ، وهنا يمكن أن يكون النموذج الذى تقدمه الندوة العالمية للشباب الإسلامى[(١)] نموذجاً يمكن أن يحتذى ، حيث تضع الندوة ضمن أهداف المخيمات الأحد عشر هدفاً ، هدفاً يتمثل فى الاشتراك فى برامج الخدمة الاجتماعية أو فى جهود الدعوة إلى الإسلام مثل دعوة غير المسلمين ، إماطة الأذى عن الطريق ، والحديث فى المساجد القريبة ، وبذل مساعدات للسكان القريبين من

---

(١) المخيمات الإسلامية : الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١٧ .

المخيم ، والقيام بجولات فى المناطق المجاورة للتعرف على أحوال المسلمين وتسيير القوافل[1] الخدمية والدعوية . ويقوم بذلك مجموعة متجانسة من الأفراد ذوى التخصصات المختلفة تتعاون مع عدد من الشباب المؤهلين تأهيلاً عالياً ملتزماً بالإسلام من أجل القيام بواجب الدعوة والإرشاد بتقديم الخدمات العامة التى تمس حياة الإنسان إبتداء بتقديم العلاج الطبى والإغاثة وبرامج رعاية الطفولة والأمومة والخدمات البيطرية والزراعية وغيرها ، كما أن دعوة غير المسلمين تمثل جزءاً هاماً من برامج القافلة، ويمكن لهذه القوافل بالقيادة المهنية للأخصائى الاجتماعى أن تحقق هدفين فى آن واحد :

الأول : تنمية وتربية الشباب التربية العسكرية النظامية المطلوبة .

الثانى : هو تقديم الشباب لبعض الخدمات الضرورية للمواطنين وإثارة الوعى لديهم والاهتمام بالتربية العسكرية الإسلامية .

### ٣- المدارس الثانوية العسكرية ومادة التربية العسكرية :

تعتبر المدارس الثانوية العسكرية التى أنشئت فى بعض البلاد الإسلامية كمدخل للالتحاق بالقوات المسلحة تعتبر من أفضل مجالات العمل أمام الأخصائى الاجتماعى الذى يعمل بمفهوم الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، ولذلك لو سمح بالوجود المهنى فى هذه المدارس لأمكن تحقيق هدف الإعداد الإسلامى لهؤلاء الشباب من خلال كافة البرامج الاجتماعية من أسر للنشاط الحر ومخيمات والاهتمام ببرامج التثقيف الدينى وتكوين العقيدة الصحيحة وتنمية السلوك الإسلامى من خلال العمل الجماعى الملتزم بقيم الإسلام وتعاليمه .

كما يمكن استثمار التربية العسكرية فى المدارس الثانوية بأن تأخذ اتجاهها الصحيح ، وأن يتم التعاون بين الأخصائى الاجتماعى ومعلم التربية العسكرية فى اكتساب الطلاب فى الجامعات والمخيمات المهارات العسكرية الأساسية ، وأن يعطى الأخصائى تصوراته وأفكاره حول تطوير تلك الحصص التعليمية والأنشطة العسكرية ليكون لها جاذبية تجعل الطلاب يهتمون بها ويرغبون فيها ويعطونها الأهمية اللائقة بها .

## ثالثاً : طريقة تنظيم المجتمع وتنمية الوعى المجتمعى بالتربية العسكرية :

إن تنمية الوعى بالتربية العسكرية على مستوى المجتمع ككل يحتاج إلى جهود تفوق إمكانات الخدمة الاجتماعية ، إضافة لضرورة وجود هذا الاتجاه عند الحكومات ذاتها ، ومن ثم يمكن أن تختفى كثير من العوائق التى تحول دون ذلك ، لأن الوعى المجتمعى العام يرتبط باستراتيجية الدولة وبتوجيه إمكاناتها القومية خاصة أجهزة الإعلام العامة والمؤثرة على مستوى المجتمع ككل من صحافة وإذاعة وتلفاز ، إضافة إلى التوجيه المطلوب والمناسب لهذه

---

(١) المرجع السابق ، ص٩٨ .

السياسة على مستوى برامج التعليم والتنشئة الاجتماعية المختلفة وبرامج رعاية وتوجيه الشباب .

إلا أن الخدمة الاجتماعية يمكن لها العمل بطريقة تنظيم المجتمع على مستوى المجتمعات الصغيرة (Micro community) خاصة فى المجتمع المحلى بتنظيماته المحلية المختلفة ويمكن أن تكون أهداف طريقة تنظيم المجتمع فى هذا المجال كالآتى :

١- تنمية الوعى بقضية التربية العسكرية وأهميتها ودور المجتمع فى الإعداد لذلك

٢- الاهتمام بالدعوة للتطوع لمناصرة الشعوب الإسلامية المضطهدة على مستوى العالم الإسلامى .

٣- الاهتمام بتمويل وتجهيز المسلمين الذين يخوضون حروباً مع أعدائهم .

٤- رعاية أسر المقاتلين الشهداء .

ويمكن أن تتحقق تلك الأهداف عن طريق المؤسسات المجتمعية الآتية :

أ- المسجد :

سيظل المسجد -بفضل من الله- المؤسسة الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة فى حياة المسلمين أكثر من غيرها خاصة فى بناء العقيدة الإسلامية وصياغة الرأى العام المسلم لمقاومة خطط الغزو الفكرى والتنصيرى ، وإن كنا نود ألا يقف دوره عند هذا الحد فقط ، والذى ساعدت عليه مراحل التدهور والتخلف الذى أصيبت به الدول الإسلامية عبر مراحل الهزيمة المتلاحقة ، بل نود أن يمتد دوره ليشمل صوراً متعددة للنشاط الاجتماعى المؤثر فى حياة المجتمع الإسلامى ولا يبقى كما أراده الاستعمار معزولاً عن الحياة الاجتماعية والتأثير فيها , وفى مجال الوعى بالتربية العسكرية فإن المسجد هو أكثر المؤسسات تأثيراً فى هذا الاتجاه ويمكن للخطيب الواعى أن يتناول هذا الموضوع فى خطب الجمع من زوايا عديدة مختلفة ويربط ذلك بحياة المسلم العادية ويتناولها بالشكل الذى لا يجعل منها مجرد سرد تاريخى لا علاقة له بواقع المسلمين الآن ، أو يجعل من هذا التاريخ شيئاً مثالياً معجزاً ، ولا يساعد المسلم على أن يخط المنهج البسيط الذى يحول هذه الصورة المثالية إلى صورة واقعية خاصة وأن الواقع الآن يزخر بالعديد من صور الحروب والعداء السافر للإسلام فى الكثير من بلاد العالم المختلفة .

ويمكن للمسجد أيضاً أن ينمى الوعى لدى الشباب بالتطوع لمناصرة المسلمين فى البلاد الإسلامية وكذلك حث المسلمين على بذل المال وتجهيز هؤلاء المسلمين ودعمهم

بالمال عملاً بقول الرسول - ﷺ - : «من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلفه فى أهلـه بخير فقد غزا »[1] .

ويمكن للخدمة الاجتماعية هنا أن تساعد المسئولين عن المسجد فى وضع الخطة التـى تحقـق مثـل هـذه الأهـداف ، فيقـدم لهـم الأخصـائى الاجتمـاعى المشـورة الفنيـة والبحـوث والدراسات التى تفيد فى هذا المجال بحيث يتم الربط القوى بين المسجد والمجتمع .

**ب- جمعيات النشاط الاجتماعى الأهلى :**

تعتبر جمعيات النشاط الأهلى فى الخدمة الاجتماعية إحدى الدعـائم الأساسية التـى قامت عليها المهنة ، وظل هذا الدور التاريخى ممتداً بالنسبة لها فى كافة الدول على اختـلاف مذاهبها ، حيث تقوم بما لا تستطيعه الحكومات فـى مجـال الرعايـة الاجتماعيـة وتسـد ثغـرة واسعة فى هذا الاتجاه إضافـة إلى مـا تسـهم بـه هـذه المنظمـات الأهليـة مـن تنميـة الشـعور بالمسئولية الاجتماعيـة لـدى أفـراد المجتمـع وتوطيـد دعـائم التكـافل الاجتمـاعى بـين الفئـات المختلفة .

وتهتم طريقة تنظيم المجتمع فى هذه المؤسسات ببعض المهام والأهداف التى تسهم فى زيادة فاعلية تلك المؤسسات بما يحقق أهدافها ويضمن لها الاستمرار فى وظيفتهـا الاجتماعيـة ومـن تلـك المهـام والواجبـات الاهتمـام بـالتطوع والمتطوعـين للانضمـام لهـذه المؤسسـات والجمعيات الأهلية لأنهم القاعدة الرئيسية لهذا العمل وزيادة حجم المتطوعين لهذه المؤسسات يحقق أهداف طريقة تنظيم المجتمع فى المشاركة الاجتماعية المنظمة والمستمرة ، والتى تتحمـل واجبها ومسئوليتها الاجتماعية فى المجتمع ، وتنظيم المجتمع كما هو معروف يستطيع فى هـذا الاتجاه أن يقوم بالآتى :

١- يسهم فى توجيه هؤلاء المتطوعين للأنشطة القتالية التى تساعد القـوات المسلحة النظامية ويفيد فى مجالات الدفاع المدنى والإسعافات الطبيـة .. وغيرهـا ممـا تقتضيـه الحـرب الفعلية فى حالة قيامها ، وذلك بتهيئة البرامج المناسبة للتدريب وتوزيع المهام وتسـجيل كافـة البيانات التى تفيد فى هذا المجال .

٢- تدريب وإعداد المتطوعين للعمـل مـع أسـر المقـاتلين والشـهداء ، وذلـك بتقديـم المسـاعدات المالية المنظمة لهم والتى تكفل للأسرة كل احتياجاتها الضرورية وكـأن المقـاتل أو الشهيد مازال معهم لما فى ذلك من حماية لهذه الأسرة وتشجيعاً لغيرها من الأسر ، ويتطلـب ذلك أيضاً متابعة أبنـائهم فـى كافـة مراحـل التعليـم ورعـايتهم الرعايـة اللائقـة بهـم وتنميـة الإحساس بالبطولة والتضحية التى قدمها آباؤهم فى سبيل الله ولابد أن يكـون ذلـك عمـلاً

---

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص٢٨٤ .

منظماً ومستمراً ويحظى باهتمام كافة المنظمات الأهلية الاجتماعية فى المجتمع المسلم وفى المجتمع غير المسلم فلا بد من إيجاد مثل هذه المؤسسات والجمعيات الخاصة ، ويمكن لخدمة الفرد أن تقوم بدور واضح فى هذا المجال خاصة بالعمل مع أسر الشهداء وفق ما لديها من خبرات وأساليب فى الرعاية الأسرية .

٣- تقديم كافة الرعاية الاجتماعية والتأهيل المهنى لذوى الإعاقة التى نتجت عن مشاركة هؤلاء الأبطال فى العمل العسكرى ضد العدو ، وتقديمهم إلى المجتمع بالصورة التى تليق بهم وليكونوا نماذج حية على صور التضحية فى سبيل الله ويمكن للخدمة الاجتماعية فى مجال العمل مع ذوى الإعاقة أن تقوم بدور فعال فى ذلك وفق هدف إسلامى وهو المسئولية الاجتماعية تجاه هؤلاء ، ولا يقتصر العمل معهم بأساليب خدمة الفرد فقط . بل يمكن أن تستخدم معهم طريقة تنظيم المجتمع فى إنشاء تنظيمات تقوم بمناصرتهم وحصولهم على حقوق من قبل الدولة .

٤- الاهتمام بحملات جمع المال من أجل مناصرة المسلمين ويمكن لطريقة تنظيم المجتمع فى هذا المجال أن تقوم بدور واضح من أجل التخطيط والتنظيم والمتابعة لهذه الحملات ، بحيث لا تترك للجهود الفردية والعشوائية ، بل تتم بأسلوب علمى يضمن لها بفضل الله الاستمرار والاستقرار والفاعلية المطلوبة ، وذلك من خلال خطة عامة ومتكاملة لها لجانها ومجالسها المنظمة وحساباتها الموجودة فى كافة الأماكن والمجتمعات ، وتطوير وتدعيم الأساليب التقليدية القائمة والتى تتم فى المساجد فى أوقات معينة من السنة كشهر رمضان ودراسة أساليب جديدة تكفل مصادر جديدة للتمويل .

٥- رعاية يتامى المسلمين خاصة أبناء الشهداء وتوفير الجو الأسرى الملائم لهم وتوفير المؤسسات اللائقة بهم إذا تعذر وجودهم فى أسر طبيعية ، ويجب أن تولى الخدمة الاجتماعية الإسلامية هذا الاتجاه عناية خاصة حماية ليتامى المسلمين من جمعيات رعاية وكفالة الأيتام التى تقوم بتنصير أبناء المسلمين تحت شعار رعايتهم وتقديم الخدمات لهم ، كما يجب كشف هذه الأساليب لحماية المجتمعات الإسلامية من هذا الخطر وسد هذه الثغرة أمامهم .

# حلقات النقاش

# حول

- الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله .
- قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع .

# حلقة نقاشية حول

# الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله

رئيس الجلسة :

الأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام

نائب رئيس جامعة الأزهر ومدير مركز صالح عبد الله كامل

المشاركون :

فضيلة الشيخ / محمد الغزالي

الأستاذ الدكتور / عبد العظيم الديب

الأستاذ بجامعة قطر

الأستاذ الدكتور / محمد كمال الدين إمام

الأستاذ بقسم الشريعة كلية الحقوق . جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد عبد الهادي

الأستاذ بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## فضيلة الشيخ / محمد الغزالي :

بسم الله الرحمن الرحيم ... من صعاليك العرب رجل اسمه عروة بن الورد ، طالعت سيرته ، ووددت لو أن عدداً من الملوك كانوا على مستواه الخلقي ، لأنه صعلوك كبير النفس إلى حد يشعر بالرهبة ، حيث قال ذات مرة ( ذروني أطوف بالبلاد ، لعلي أفيض غناً فيه لذي الحق محملة ، أليس عظيما أن تلم ملمتنا ، وليس علينا في الحقوق معول ) .

هذا الرجل كان يخجل من أن يجد أمامه خللاً ، ولا يستطيع أن يسده ، أو حاجة لا يستطيع قضاءها، رجل كبير القلب كما نقول في عصرنا ، وهو يطلب المال لا ليزداد شبعا أو ترفاً لنفسه وأهله ، بل يقول لعلي أفيض غناً فيه لذي الحق محملة .

وهكذا نجد أن طبيعة العظمة في كل عصر ، كما يوضحها أي دين ، والتي منها الإسلام، هي أن يكون الإنسان مفضلاً على الآخرين ، له القدرة على العطاء ، وعلى أن يكون إنساناً ذا يدين سخيتين ويظهر هذا في الفرد كما يظهر في الدولة ، فكما أن الفرد لا يجوز أن يكون سلبياً لا خير فيه فكذلك الدولة لا يجوز أن تكون سلبية لا فائدة منها .

وأنا أنظر إلى قصة ذي القرنين . وقد كان صاحب مواهب ، وإمكانيات ، شكي له أهل البلدان بأن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، ثم اقترحوا أن يجعلوا له خرجاً أي (مالا) مكافأة على أن يقيم سداً بينهم وبين عدوهم ، وأنا أتصور أن ذا القرنين لو كان من مسلمي العصر الحاضر لقال لهؤلاء الناس :"والله العين بصيرة واليد قصيرة ، ما أستطيع أن أصنع لكم شيئاً وسوف أعمل ندوة أو مؤتمراً ندعوا الله أن يكفينا شر هؤلاء" . وهذه طبيعة كل رجل سلبي ، أو كل رجل لم يفهم حقيقة الدين من أنه عطاء وقدوة وإبداع ، ولذلك قال لهم ذو القرنين : أي مال ؟ هذا المال أنفقه عليكم ، فأنا لا أريد مالا ويتضح هذا في قوله تعالى: **﴿هل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما﴾** ثم صنع ورشة عمل ، وبدأ يحركهم معه ويتضح هذا في قوله تعالى :**﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾** ، وهكذا يتضح أنه كان رجلاً قادراً على العطاء ، لأنه صاحب امكانيات ، فهو ليس مفلساً أو ضائعاً .

إن ما يلاحظ في الأمة الإسلامية في هذا العصر هو أنها أمة سلبية ، لأنها لا تملك المواهب والإمكانيات الأدبية والقدرات العقلية التي تستطيع بها أن تكون متميزة على الآخرين ، وكما قلت: نحن لا نستطيع أن نصنع لأنفسنا ما صنعه ذو القرنين لأناس قصدوه كي يحميهم وينفعهم بعلمه وقدراته ولكن عجزنا غريب في هذا المجال ، والسبب في نظرنا هو تعطل موارد الإيمان في العقل الإسلامي ، فأنا أنظر لآية تقول **﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** هذا جزء من

الكون المسخر للإنسان ، ثم قال تعالى ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

من هذا الفكر يأتي الإيمان ، فإذا كان الإنسان محجوب البصر ، مكفوف البصيرة ، لا يستطيع أن يرى أو يفهم فمن أين يأتي إليه الإيمان ، دعونا من إيمان الوراثة والتقليد وأتساءل لمن قال القرآن الكريم الآيات السابقة ؟ ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ فأنا أنظر الآن للبحر المتوسط ، وأنظر إلى الشاطيء الجنوبي له ، والشمالي له ، فتجد أن الشاطيء الشمالي في إيطاليا واليونان وأسبانيا وفرنسا ، دولاً ملكت البحر ، فقد سخروه لهم ، ثم انظر إلى جنوب البحر فأجد فيه المغرب بدوله الثلاث ، والدول المجاورة ، فأسأل نفسي ماذا يملك المسلمون في هذا الجانب ؟ هل لديهم ميناء لصنع غواصة أو مدرعة أو مدمرة ؟ لا يوجد شيء إطلاقاً ؟ رغم أن المسلمين الأوائل لم يكونوا كذلك فالمسلمون عندما بدأوا بدأوا من جزيرة العرب أي من الصحراء حيث سفينتها الجمل ، ولكنهم جاءوا من الصحراء وملكوا البحر المتوسط بعد ما فتحوا شرق البحر عن طريق سوريا ولبنان ثم أحسوا بأن البحر ليس ملكهم ، فهم على الشاطيء ولكن الإيطاليين والرومانيين يمتلكون أسطولاً يسير في البحر ، فقرروا فوراً أن تكون لهم أساطيل في البحر .

وفي هذا يقول ابن خلدون "كان الأسطول الروماني يتهرب من لقاء الأسطول العربي الإسلامي ، لأنه تغلب عليه كما يتغلب الأسد علي فريسته". هؤلاء هم أصحاب الصحراء الذين لم يكونوا يعرفون إلا الجمل ، لكن الإمكانيات العقلية تكونت لديهم بفضل فقه القرآن الكريم والذي يقول سخر لكم البحر ، وهو كلام موجه للعرب وليس للرومان، إذن لابد أن يستفيدوا من هذا البحر ، وعندما دارت معركة (ذات الصواري ) انهزم الرومان فيها ودخل المسلمون قبرص بالأسطول البحري ، ولعل أول سفينة كانت تحمل إمرأة تجاهد عليها ، هي السفن التي فتحت قبرص وحاصرت القسطنطينية من البحر المتوسط، وأذكر أن إحدى السيدات قالت للرسول ﷺ : أدع أن أكون من هؤلاء المجاهدين؟ انظروا إنها إمرأة ، لو كان الحال مع رجل من هذه الأيام لوجدناه يقول "لماذا نذهب للبحر" وقد استجاب الله لهذه المرأة ونالت الشهادة ، وتم دفنها في قبرص .

هذا هو العطاء الذي لابد منه لكي تكون مسلماً مفضلاً على الآخرين أي صاحب يد عليا ، تعطي الإيمان ، كما قال : الرسول صلى الله عليه وسلم «علي كل مسلم صدقة ، قيل له قد لا يملك شيئاً قال : يأمر بالمعروف ، أو يمنع الناس من شره» ، المهم أن يكون فيه خير ، فالمؤمن الخالي من الخير لا يصبح مؤمناً ، ولكنه يكون كاذبا .

وأنا أنظر إلى الأمة الإسلامية الآن ، أجد أنها أمة تستطيع العطاء ، لأن خيرات الأرض كثيرة لديها ، ولكن فقرها فقر أخلاق ، وليس فقر أرزاق ، بمعنى أنهم ليس لديهم القدرة على العطاء ، وهذا يرجع لعدم التربية الإسلامية التي تجعلهم أصحاب فكر .

في حديث طويل لرسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أن المال لأربعة من الناس ، الصنف الأول : رجل أتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل في ماله بعلمه بمعنى يصل رحمه ، يعطي المحتاج ، يسد به الخلل فهو في أعلى المنازل ، الصنف الثاني :رجل لايملك المال ، ولكن يملك هذه الرغبة النفسية يملك النية الحسنة في أن يعطي إذا ملك ، فهو كالأول وأجرهم سواء ، أما الصنف الثالث والرابع فهو رجل أتاه الله مالاً ، ولم يؤته علماً ، تماماً ككثير من العرب الآن لديهم المال ، وليس لديهم العلم ، فهو يخبث في ماله ، لا يرى لله حقاً ، بل ينفق منه على الشرور ، وفي بناء القصور واللذة الشخصية ، وفي الجاه الذاتي ... وهذا في أسوأ المنازل ، ورجل لا يملك مالا ولا علماً ، ولكنه يقول لو كان لي مال لكنت عملت فيه مثلما يعمل عظماء العرب في مالهم ، فهذا وزره ، وزر الرجل الثالث ، فهما سواء .

ولننظر لأحوال المسلمين ، أجد أن المسلمين من الصنفين الثالث والرابع ، فالصنف الأول قلما يوجد وليس معنى ذلك أنه لا يوجد ، بل هناك ولكن قلة . فإذا كان العرب يمتلكون ألف مليار دولار فسنجد أن هناك ملياراً منه في الخير ، والباقي للشهوات الطائشة عند بعض الناس ، وهذا شيء غريب لا تنصلح به الأمة وكنت أقرأ سورة ابراهيم فوجدت هذه الآية ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار**﴾ وهكذا ذكرت كلمة (لكم) خمس مرات في الآيات السابقة فهل هذا الكلام للأمريكيين أم الأوربيين ؟ كلمة (لكم) أي لكل من استمع إليه وتدبر آياته ، والسؤال الآن هو ما الذي لنا في دنيا الناس الآن ؟ ليس لنا في عالم البحر شيء ، أو الجو شيء ، أو البر إلا بعض الأسلحة التي نستوردها على أن تكون لدى الآخرين قطع الغيار ، ثم يرسلون من يقوم بتدريبنا ، وهم مستعدون لسحبه في أي وقت وانتهى الأمر .

في ظل هذا ما زلنا نعيش في حالة عدم وعي ، لذلك فإن الخدمة الاجتماعية في أساسها هي فيض ينساب من تلقاء نفسه على الذين كثر الخير لديهم سواء أكان خيراً ماديا أو أدبياً أو عقلياً ، فهم بطبيعة الإسلام في أنفسهم يدعون إلى الخير ، هذا هو المفروض في الخدمة الاجتماعية، ويؤسفني جداً حينما قرأت أمس الأول في جريدة الجمهورية على – ما أظن – هذا التعبير ، يقولون أنه في ألبانيا ، البلد الإسلامي نحو ١٠٠٠٠٠ مسلم هناك ٥٪ فقط من المسيحيين وأن المائة ألف تعمل بينهم الكنيسة الكاثوليكية ، وأن الصيحة التي أطلقتها الكنيسة بين مسلمي ألبانيا ... هي " اتركوا الإسلام تغتنوا " اخلعوا ثوب الإسلام تخلعوا ثوب الفقر " فهل نحن المسلمون الذين نحمل للناس ديناً يجردهم من الخير ، ويجعل

الفقر نصيبهم في هذه الحياة ؟ أهذا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم لنرى من الذي يدعو بهذه الدعوة السابقة ؟ المسيحيون الذين لديهم تعليمات تقول لهم لأن يدخل الجمل في سم الخياط أهون من أن يدخل الغني ملكوت السموات ، أصبحوا الآن أغنياء يعطون فقراء المسلمين ، ونحن الذين كنا نتعب لإعلاء هذا الدين ، وقد امتلك المسلمون العالم ثم يأتي من يقول للمسلمين ذلك.

يا إخواني كان مفروضاً أن تكون الخدمة الاجتماعية عملنا نحن المسلمين ، هذا المفروض، أما أن تأتي المسيحية الآن وتفتح ورشاً للعمل في شتى أنحاء العالم ، وذلك لكي يدخل هؤلاء في المسيحية ، ونحن جالسون نعظ وننصح فقط بكلمات ميتة ، وحالتنا تساعد الآخرين على الانصراف عنا ، فهل هذا الوضع يرضي الإسلام ؟ بالفعل لا يمكن قبول هذا .

في الواقع لابد من إعلان الحرب على الأوضاع التي تعيش فيها الأمة الإسلامية ، لأنها أوضاع غير إسلامية ، ولكي نعود بالناس إلى الإسلام ، ألا نرمي قنبلة أو نحمل سلاحاً نصلح به الأوضاع لأن الفقر عندنا هو فقر نفوس وعقول وأخلاق وإدراك وفهم بمعنى أننا لا نفهم ديننا ، ولذلك يجب إن كنا نريد فعلاً أن نسود الأرض ، أن يعرض الإسلام دعوة مقرونة بالخير ﴿**وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير**﴾ هذا هو ديننا ، يجب أن نكون أصحاب دعوة حقيقية ، وأن ننهض بمقوماتنا الاجتماعية ، وأن ندرك أنفسنا قبل أن تأتي إسرائيل بتغيير العالم العربي ، لأنهم مع ضآلة القطعة التي يعيشون عليها من أرض الله ، يملكون ثروة من المواهب جعلتهم يهزمون ١٥٠ مليون عربي، وجعلتهم يهزمون ملياراً وربع من المسلمين .

لذلك لابد أن نعيد النظر في حياتنا ، لأن الإيمان عندنا معطل ، كيف يتحرك ؟ هذا هو عمل الدعاة الذين يريدون أن يصنعوا لله دولة على هذه الارض ... والله ولي التوفيق .

## أ . د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

شكراً لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي على حديثه ، الذي أوضح فيه مقومات الأمة الإسلامية كما جاءت في القرآن والسنة ، وكيف أن المسلم لابد أن يكون إيجابياً قوياً في الأرض يده فيها عليا ، وانتقل بعد ذلك إلى شرح الحالة التي نحن عليها الآن وكيف أن عقولنا معطلة ، وأن مواردنا منهكة ، ولا نستطيع أن نستخدمها الاستخدام الأمثل كما شرعه الله سبحانه وتعالى، ثم أجرى مقارنة بين ما يفعله المسيحيون الآن ، وما يعجز عن فعله المسلمون وفي النهاية ترك المجال مفتوحاً وذلك للإجابة على سؤال أساسي وهو كيف يمكن للأمة الإسلامية أن تخرج من كبوتها وأن تصل إلى مكانتها اللائقة ، وأن تكون لها الأوصاف الواردة في القرآن والسنة ؟ ، لذا أتمنى لو أن السادة أعضاء حلقة المناقشة ركزوا على هذا السؤال .

## أ .د / عبد العظيم الديب : الأستاذ بجامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم ... ولاشيء معه دائماً وأبداً ، نحمده سبحانه وتعالى ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد وأصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه إلى يوم الدين ... وبعد فأحب أن أشكر القائمين على المعهد العالمي للفكر الإسلامي على هذا العمل الجاد ، وعلي دعوتنا للحضور .

منذ فترة ليست بالبعيدة قرأت بحثاً لأحد أساتذة الخدمة الاجتماعية عن نظام البلديات والمجالس البلدية ، وقد أجهد البحث صاحبه وبذل فيه مجهوداً مشكوراً ، وقد انتهى هذا الباحث إلى أن مصر لم تعرف نظام المجالس البلدية إلا بعد أن اتصلت بالغرب وعرفت منه هذا النظام ، فأخذته عن الفرنسيين حينما جاء نابليون، ثم استكملته حينما استولى عليها الإنجليز ، وانتهى إلى هذا وسكت ، ونظراً لما بيني وبينه من ود ومعرفة أحاول أن أناقشه في هذا الامر ، فوجدته ينعي على هذه الأمة عجزها وتأخرها وتخلفها ، وأنها لم تعرف هذا النظام إلا عن هؤلاء الغربيين ، ويبدو من البحث الأسى و الأسف ، ولكنني أود أن أقول له إنه ليس بالضرورة أن تكون أنظمة البلديات هي الأنظمة الوحيدة التي تدير المدن الكبرى و الأحياء وتشرف عليها ، وسألته ما رأيك فيما هو معروف ومؤكد وشهد به الموافق والمخالف عن عظمة مدننا في عصور ازدهارنا ، وعن وعي نظافتها وتنسيقها ونظامها وروعتها التي لا ينكرها جاحد ، فلم أحصل منه علي جواب بل صار يلف ويدور ويتهرب.

والحقيقة أن هذا الفهم نتيجة تطبيق مناهج وافدة ومستوردة ، وفي نفس الوقت ليس لمن يطبقها علم بتراث الأمة وتاريخها ، فلو علم أن نظام الحسبة ، ونظام شيوخ الحرف وغيره من الأنظمة كانت تتعاون فيما بينها وتتقاسم مهمات ومسئوليات مجالس البلديات ، فليس بالضرورة أن يكون عندنا مجلس للبلدية ، ولكن يمكن أن تتوزع مسئوليات المجالس البلدية على مؤسسات أخرى بأسماء أخرى ولكن أن ننقل عن الغرب بهذا الشكل المدمر دون تبصر أو تعقل جعلنا نصل إلى مثل هذه النتيجة ، وأقول هذا بمناسبة الخدمة الاجتماعية وأن هذه الخدمة ليست وافدة أو مستحدثة وليست جديدة ، إنما مجتمعنا مارسها منذ عصر الإسلام الأول ، وإن لم يسمها بهذا الاسم ، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا تقف عند حد . ولا تنحصر فعندنا الإحسان إلى الجار ، وحق المسلم على المسلم "لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه" "وتبسمك في وجه أخيك صدقة " .

وإرشادك في أرض الضلال صدقة "وإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان".

وفروض الكفاية ، فالذي يقوم بفرض الكفاية يكفي نفسه وكافة المسلمين الحرج والعقاب، ومن أنظمة الخدمة الاجتماعية أيضاً نظام الوقف ، فقد رأت أمتنا منه فنوناً إلى أن وصل الأمر إلى حد الوقف على خداع المريض وهو أمر في منتهى العجب والغرابة ، أن يوقف من يوقف ماله على تخصيص من يخدع المريض الذي هو في النزع حتى يهيء له موظفين وعاملين من هذا الوقف ليشعروه بأنه سيشفى ، وذلك حتى لا يستشعر اليأس من الشفاء ورهبة الموت ، هذا الحس الذي عرفته أمتنا على طول تاريخها ، يجعلنا نستقبل موضوع الخدمة الاجتماعية ودراستها على أنها ليست مبتدعة ومستحدثة وإنما هي من أصولنا ومن مبادئنا وأسس مجتمعاتنا .

وهنا قد يقول البعض إن هذا خلاف لفظي ، والمفروض أن نسميها بر ، والبعض يقول لا بل خدمة اجتماعية ، لاتهم الأسماء المهم الأداء ، خاصة أن الأمم الواعية تعرف نفسها ، وتحافظ على أصولها وتراثها ومصطلحاتها ، وتتميز بعلومها ومبادئها ونظامها ، وعلى أية حال .. هذه كلمة عن نشأة الخدمة الاجتماعية وأسسها وعلاقتنا بها ، ولا يظن أحد أننا ضد مدارس ومعاهد وكليات الخدمة الاجتماعية ، ولكن نريد أن نتناول هذه الأمور ، ونحن نعرف مكاننا منها أو منزلتنا منها ، لا نريد نغمة الاعتزاز ، وحقن التخدير بالماضي ، ولكن نعرف أين نقف ؟ وكيف نقف ؟ ونصل ما كان عليه آباؤنا وأجدادنا وأمتنا نأتي بعد ذلك إلى ما نريده من الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة ، أولاً الدعوة كما هو معروف مهمة كل مسلم ، فا لله سبحانه يقول ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ ، ومعنى ذلك أننا نتولى مهمة الإبلاغ بعد عصر الرسالة ، وبما أن هذه الرسالة هي الرسالة الخاتمة للأديان والرسالات ، وبما أن هذا الدين لكافة الناس ، فعلى المسلمين جميعاً أن يقوموا بالدعوة ، وكل منا مطالب بها بقدر ما يستطيع ، فمن ندعو ؟ الدعوة توجه للمسلمين وإلى غير المسلمين ، توجه لغير المسلمين تبليغاً لكلمة ا لله وتعريفاً بالرسالة ودعوة للدخول في الدين ، وتوجه إلى المسلمين توضيحاً وتعليماً وتذكيراً وتزكية وتربية وتوحيداً وبعثاً وجمعاً لكلمة الأمة حتى تقوم بدورها وتحمي دينها وترفع لواءها .وأحب أن أؤكد أولاً أن الدعوة إلى الاسلام ، لا تعني أبداً العدوان على الآخرين ، فالدارس لتاريخ المذاهب والدول يرى بنفسه أن الإسلام هو النظام الأوحد الذي أذن للمخالف بالبقاء معه ، لم تر الدنيا منذ كانت نظاماً أذن وسمح للمخالف أن يعيش معه إلا النظام الإسلامي ، حتى لإننا نجد أن الآخرين حينما اختلفوا مذاهب وشيعاً ما كانوا يسمحون ببقاء المذهب المخالف أياً كان وتاريخهم في ذلك معروف ، والدماء التي سالت بين الكاثوليك والبروتستانت خير شاهد على ذلك وقد وجد العرب حينما جاءوا إلى مصر بعض رجال الدين هاربين من بطش الروم ، فماذا فعلوا ؟ سمحوا في الوقت الذي دخل فيه الإسلام مصر أن يمارس الآخرون شعائرهم الدينية ولذلك فإن الدعوة على أية حال واجب الأمة كلها .

ومسار الدعوة ببساطة هو التبليغ ، فكيف نبلغ ؟ المفهوم السائد في الحقيقة هو الحديث بما فيه من خطاب وحوار ولكن هذا المفهوم على أهميته لا يمثل إلا جانباً صغيراً من جوانب لا تعد ولا تحصى من وسائل الدعوة ، فلو نظرنا إلى المناطق التي انتشر فيها الإسلام في آسيا كلها ، نجد أن الإسلام انتشر هناك بالقدوة والحكمة والأسوة الحسنة فالذين دخلوا في الإسلام عن طريق الالتقاء بالتجار المسلمين أكثر عدداً من الذين دخلوا في البلاد التي فتحت في عهد الاسلام مع مراعاة أن الفتح لم يدخل الناس في الإسلام ، ولكنه أزال العقبات بين الناس والإسلام ، ونحن نعرف أن غزوة مؤتة كانت بسبب قتل أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنكيل بهم مرة بعد مرة ، فكانت الغزوة لفتح الطريق لرسالة الاسلام ، وليس لإرغام الناس على الدخول في الإسلام .

وإذا كان هذا هو مفهوم الدعوة ببساطة فهل للخدمة الاجتماعية دور في الدعوة ومجالاتها؟ أعتقد أننا نستطيع بشيء من التنظيم أن نؤدي دوراً بالغاً في مجال الدعوة ، عندنا من الوقت والجهد فائض لا حصر له ، وعندنا من المال ما يكفي ويوجه فعلاً في مجال الدعوة، ولكن بدون ترشيد ففي إحدى البلاد الإسلامية في شرق آسيا وجدت مبعوثين دعاة من أكثر من دولة عربية وجهات دينية ، ولكني وجدتهم متنافرين متقاطعين فكراً ومذهباً ، بل وجدت مشكلات بينهم ، ليس هذا الموضوع ، ولكن حينما وجدنا عملهم وجدنا المبعوث منهم يذهب ضائعاً من بداية الوصول للمطار ثم البحث عن مسكنه ووسائل المعيشة وحساب الراتب ، موظف يريد أن يعرف كيف يعيش ويدبر حاله ، بل إن البعض كان يسأل عن الرخيص في هذا البلد لكي يحمله إلى بلاده استثماراً وتربحاً .. وهو حق له ، ولكن المبعوث بهذه الصورة ضائع لا يؤدي شيئا، نسألهم ماذا تصنعون ؟ يوم الخميس محاضرات ، بعد العصر دروس في المساجد ، وانتهي الأمر على ذلك.

لقد طرأت في ذهني فكرة تدخل في نطاق الخدمة الاجتماعية ، وتدخل في نطاق موضوعنا ألا نستطيع حصر الكفاءات وحصر الجهود الضائعة لشباب لا يجدون عملاً ، ورجال يضيعون إجازات طويلة ، فبعض شباب الجامعات تزيد إجازاتهم عن أربعة اشهر وربما أكثر ، وبعض الموظفين في البلاد العربية وفي مصر وخاصة رجال التربية والتعليم تصل إجازاتهم إلى ثلاث أشهر ، ألا نستطيع حصر هذه الأوقات والكفاءات عن طريق نشر استمارة إحصاء في الصحف ، وشرح المشروع ويتم جمع هذه الاستمارات ، ثم تبدأ مراكز الدعوة المعروفة من قبل رابطة العالم الإسلامي والأزهر ، وتبدأ مثل هذه المراكز في حصر هذه الكفاءات وتوزيعها ، وهذه الكفاءات يتم تصنيفها حسب قدراتها ، لأننا في مجال الدعوة نحتاج إلى من يعلم الفاتحة وسورة الإخلاص ، ويناقش قضايا فكرية وفلسفية على أعلى مستوى ، وعندنا من هذه الكفاءات في هذا المستوى الكثير ، ثم بعد حصر هذه الكفاءات يتم تحديد الوقت المتاح لكل من هذه الكفاءات والتي تستطيع إعطائه ، ثم بعد

ذلك نحصر ما يريده العالم الإسلامي عن طريق مركز في كل دولة أو عدة مراكز في حالة اتساع الدولة ، هذا المركز بواسطة الجمعيات الخيرية والمسئولين عن المسلمين هناك يمكن أن يحدد ماذا يريدون هناك ؟ ثم بعد هذا يكون لدينا كفاءات محددة ومصنفة وأوقات معلومة ولدينا برامج محددة ومفهومة نستطيع بعد ذلك ببساطة أن نوجه هؤلاء بحسب قدراتهم كل إلى ما يليق به ، ولقد وجدت أنه من الممكن أن نأخذ مجموعة من الشباب إلى بلد مثل الفلبين ، ونوزعهم في معسكرات ، معسكر يضم ١٠٠ من أهل البلاد ، وعشرة من المسلمين العرب ،هؤلاء لا يحسنون الصلاة و النطق بالعربية ، وفي معسكر مدته خمسة عشر يوماً أعتقد أنه الثمرة ستكون إن شاء الله كافية ومجزية ، لأن هؤلاء سيتعرفون على الخطاب بالعربية لمدة خمسة عشر يوماً مثلاً سيتعرفون على طريقة أداء الصلاة ، سيتعلمون كيف يقرأون سور القرآن الكريم ، ويتعلمون تاريخ الإسلام والمسلمين .

وإذا استطعنا بعد ذلك أن نأخذ الأطباء في إجازاتهم ، ونأخذ المهندسين الزراعيين والإخصائيين الاجتماعيين والإخصائيات الاجتماعيات والمعلمات في مجالات التمريض والتدريس والتطريز ، وكل هذا ممكن وسهل وميسور ولدينا الطاقة ، وذلك للاستفادة في تعليم وعلاج هؤلاء ، ولكن نحتاج لعقلية كما قال الشيخ / الغزالي تنظر للأمور بفهم وبوعي ، وحينما يذهب المبعوث المتطوع ستكون هناك أماكن للإسكان والمعيشة ، ويستقبل في المطار وليس لديه إلا تذكرة الطائرة من قبل الجهات التي تنظم هذا العمل .

وأعتقد أن المال الذي يوظف به هؤلاء الدعاة ، الذين يضيعون في هذه البلاد كما رأيناهم، وأعتقد أن مرتبات هؤلاء كافية لممارسة دورهم ، واذا كانت هناك من حاجة فأعتقد أن هناك كثيرين على استعداد للبذل حينما يجدون الأمر جاداً .

وهذا المشروع يجب ألا يقتصر على البلاد غير الإسلامية بل يمكن أن يكون هذا المشروع في داخل البلاد الإسلامية من الداخل ، هذه صورة مبسطة من المشروع وهو يحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل ، وأعتقد أننا قد حاولنا أن نجيب على السؤال المطروح وهو كيف يكون للخدمة الاجتماعية دور في الدعوة إلى الإسلام ؟ وأشكركم وجزاكم الله كل خير .

## أ . د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

أشكر أ .د / عبد العظيم الديب ، والذي عرض في البداية سبق الإسلام إلى تطبيق الخدمة الاجتماعية ممثلة في نظام الوقف والحسبة والشيوخ ، ثم حدد بعد ذلك معنى الدعوة، والفئات التي يجب أن توجه إليها ، لأن الإسلام دين للعالمين ، ثم انتقل بعد ذلك إلى أن مفهوم الدعوة يتصل بأمرين هامين وهما : تبليغ الرسالة، السلوك والقدوة للمسلمين وكيف أن الأسلوب الثاني له الأفضلية لنشر الدعوة في بلاد العالم ، حيث زاد عدد المسلمين في الدول التي تعامل فيها التجار عن المسلمين في المناطق التي دخلها الجيش الإسلامي الفاتح .

والحقيقة أن الجزء الأخير من حديث سيادته كان متصلاً بالخدمة الاجتماعية والدعوة، وقد قدم اقتراحاً مهماً جداً ، وأنا شخصيا متحمس لهذا الاقتراح الممتاز لأن ظروف المسلمين في مناطق كثيرة تقتضي وصول الدعوة بسرعة إليهم لكي يتعلموا كيف يؤدون تعاليم إسلامهم بالشكل الصحيح .

والآن ننتقل إلى استكمال أحاديث الأساتذة . .

## أ. د / محمد كمال الدين إمام : أستاذ بقسم الشريعة - كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم .. والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد . فإن حواراً حول صلة الخدمة الاجتماعية بالدعوة إلى الله في إطار مؤتمر أو ندوة تناقش التوجيه الاسلامي للعلوم الاجتماعية ، وتركز على محور أساسي هو الخدمة الاجتماعية ربما يقتضي وصلاً أساسياً بين موضوع هذا النقاش وموضوع هذا المؤتمر وهو أمر يحتاج منا إلى مزيد من التدقيق والعناية .

وقد كنت منذ عشر سنوات مهتماً بموضوع الإعلام الإسلامي فوضعت كتاباً أتحدث فيه عن واجبنا نحن الإعلاميين في الدعوة إلى الله كواجب أساسي يقوم به إعلامي مسلم وأذكر أنني قلت يومها إن هناك ساحات كثيرة ينبغي أن يتجه إليها العاملون في هذا المجال وهو مجال من مجالات الدعوة إلى الله ، وهو مجال الداخل والخارج ، وقلت إننا في الداخل في حاجة لتدعيم الإسلام ، وفي الخارج في حاجة إلى تعميم و لم يكن الأمر مجرد رغبة نحو نحت مصطلحات قد تبدو شيقة ، وإنما كان مقصوداً بها كيف وما هي ضوابط وحدود الداعية في داخل البلدان الإسلامية وخارجها ؟

وفي مجال الخدمة الاجتماعية تشغلني بعض القضايا التي لا أريد أن أدلي فيها برأي ، وإنما أريد أن أضعها بين يدي المختصين يدرسون هذا الموضوع في إطار صياغة جديدة للعلوم الاجتماعية فهل نحن حينما نتحدث عن هذا الإطار وصلته بالدعوة إلى الله نتحدث عن الخدمة الاجتماعية باعتبارها حكماً شرعياً أو باعتبارها عملاً تكليفياً يحتاج إلى حكم شرعي، فنقول إن حكمها الوجوب ، أم أن حكمها الندب أو الإباحة إلى غير ذلك من الأحكام التكليفية التي لا يخرج عنها سلوك البشر ، فلابد أن يكون السلوك الإنساني في إطار شرعية الله متصفا بحكم من الأحكام الشرعية ، أما أن نتحدث عن الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً أو مجموعة من العلوم في منظومة العلوم الإنسانية الحديثة أصبحت لها مقوماتها وجامعاتها وكلياتها ، أم أننا نتحدث عن الخدمة الاجتماعية باعتبارها نظاما أو مجموعة من النظم التي تركز على مجال أو عدة مجالات من أجل تحقيق أهداف معينة بوسائل

معينة محددة ، وهذه الوسائل المحددة كل وسيلة منها لها علماؤها، وأريد أن أفاضل بين هذه المجالات المتعددة ، لأن لكل مجال من هذه المجالات أهله في إطار منظومة عامة هي منظومة العلوم الإنسانية .

ولقد كنت أتمنى وأنا أقرأ هذه الدراسة التي تعرض الإيجابيات والسلبيات ، وتحاول أن تقدم رؤية ، وأن تعرض تصوراً ، وأن تبين مواقف من الناحية الأصولية ، مواقف المعارضين لهذا الاتجاه ، ومواقف المدافعين عن هذا الاتجاه ، كنت أتمنى لو أن الموضوع انطلق من هذا الجانب العام ، الذي يتحدث عن العلوم الاجتماعية ككل وتوجيهها نحو الإسلام إلى الخدمة الاجتماعية في ذاتها باعتبارها علماً له خصائصه ومجالاته .

ولقد كنا ونحن صغار في قريتنا ننظر للخدمة الاجتماعية باعتبارها ذلك المكتب الذي يلجأ إليه الفقراء لكي يأخذوا مبلغاً من المال كل شهر أو كل موسم ، وكنا نعتبرها جزءاً يضم ملجأ أيتام – أيتام القرية –، فهل هذه هي الخدمة الاجتماعية ؟ هذا لون من الخدمة الاجتماعية فلا يوجد مجتمع إلا وجه عناية لهؤلاء الفقراء سواء أكان هذا المجتمع إسلامياً أو ماركسياً ، لأن الناس بفطرتهم يجب أن يساعدوا الضعيف والفقير، ولكن الخدمة الاجتماعية ينبغي أن ننظر إليها بهذه المعاني الثلاثة :باعتبارها عملاً تكليفياً يضع له الإسلام حكماً وحينما يريد الإنسان أن يبحث في الخدمة الاجتماعية من ناحية الحكم الشرعي فلابد أن يتجه إلى القرآن والسنة ، وأن يجمع كافة الآيات والأحاديث التي ينبغي أن تعالج هذا الموضوع حتي يستطيع أن يجد المصادر لبحثه ، وذلك لأن القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية .

وأعتقد أن الإخوة في المعهد العالمي للفكر الاسلامي منذ سنوات ، قد انشغلوا بهذا الأمر ، وقدموا حصراً كاملاً لآيات القرآن الكريم المتعلقة بموضوع الخدمة الاجتماعية ، وقدموا أيضاً حصراً كاملاً لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتعلقة أيضاً بالخدمة الاجتماعية ، وهو مجال قدم فيه إنجاز محمود ومشكور ينبغي أن يتابع حتى نستطيع أن نحوله من عمل للمتخصصين إلى عمل يستفيد منه العاملون في مجال الخدمة العامة بوجه عام والخدمة الاجتماعية بوجه خاص .

الأمر الثاني الذي أريد أن أتحدث عنه هو النظر إلى الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً فنحن نعلم أن العلوم انقسمت وتطورت واختلفت آراء الناس حولها ، فهل الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً كان لها في التراث الاسلامي مكانة ؟ وهل هناك مؤلفات في هذا المجال ؟ إذن ينبغي ونحن ندعو للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية وربطها بالدعوة إلى الله أن ننظر للتراث الإسلامي في مجال الخدمة الاجتماعية باعتبارها علماً ، ومنذ أيام كنت أقرأ في كتيب للمرحوم أ.د / محمد عبد الهادي أبو ريدة بعنوان التطور الفكري الاجتماعي

عند المسلمين ، وقد حاول الرجل من خلال مؤلفات الفلاسفة باعتباره أستاذاً للفلسفة أن يعرض لمساهماتهم في مجال الفكر الاجتماعي والذي تعتبر الخدمة الاجتماعية جزءاً من البنية الأساسية الخاصة به ، وما أريده هو أن نجمع هذا التراث ، وأن نصنفه وأن نبين كيف نستفيد منه ؟ لا أقول أن التجربة البشرية يمكن استعادتها ، فالتاريخ يصنع مرة واحدة ، ولكن نستطيع أن نتبين حركة العقل المسلم في معالجة هذه القضايا وكيف يمكن أن نستفيد من حركة هذا العقل في تنشيط العقل العربي الإسلامي الراكد والمتوقف في حياتنا الراهنة حتى يمكننا أن نستعيد الثقة في عقولنا وقدرتها على إبداع أنظمة وعلوم ، واكتشاف مجالات جديدة للبحث .

الأمر الثالث الذي أريد أن أوضحه هو دراسة الخدمة الاجتماعية باعتبارها نظماً أو مجموعة من النظم ، وما لفت إليه النظر الآن أ . د / عبد العظيم الديب ، و أ . د / جعفر عبد السلام ، وهو مجموعة من الأنظمة الإسلامية التي كانت تغطي مساحات من بينها موضوع الخدمة الاجتماعية كنظام الحسبة وما إلى ذلك ، وأقول للذين ينكرون أن الخدمة الاجتماعية كان لها مكانها في التفكير الإسلامي والعربي منذ القرون الهجرية الأولى ، أن يراجعوا كتب الحسبة العملية والنظرية التي كتبت منذ القرن الثامن الهجري خاصة أنني وجدت مؤلفات في موضوع الحسبة في المذاهب الإسلامية المختلفة منذ القرن الثاني الهجري وظلت هذه المؤلفات تتوالى ربما إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجري ، ولازالت هناك مؤلفات حديثة تظهر في هذا المجال مثل عوض السماني وإن اختلفت تسمية الحسبة من دولة إلى أخرى ، والسؤال الآن هو ما الذي كان يحكم نظام الحسبة؟ كانت تحكمه حركة الحياة الاجتماعية بكافة صورها في كل مجالاتها سواء أكانت الخدمة الاجتماعية أو غيرها ، ولهذا كنا نجد لهذا النظام جوانب عملية ، وجوانب نظرية ، والجوانب النظرية هي الأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة لتنظيم هذا المجال من مجالات الحياة ؟ ثم محاولات المسلمين في مراحلهم المختلفة أن يتناولوا هذا النظام في شكله السياسي كولاية ، أو في شكله الاجتماعي كمجموعة من أنماط الرقابة و الضبط لحركة الحياة الفردية والاجتماعية على السواء .

فلو أننا راجعنا هذه المصادر وحاولنا أن نصنفها تصنيفاً علمياً دقيقاً ، ولدينا من هم على دراية بهذا ، أستطيع أن أقول إننا سنجد للخدمة الاجتماعية تاريخاً متطوراً في مجال الدعوة إلى الله باعتبارها حكماً وعلماً ونظاماً وهذه المجالات لا أستطيع أن أفصل بينها فصلاً متكاملاً ، وإنما أصل بينها لحاجة الدراسة العلمية ، فحينما أريد أن أبحث عن حكم ، فلابد أن أبحث عنه في الكتاب والسنة وكتب الأصول الشرعية ، واذا أردت البحث عنها باعتبارها علماً علي أن أرجع إلى التراث الإسلامي على امتداد تاريخه الطويل ، وحينما أبحث

عنها باعتبارها نظاماً أستفيد من الكتب المتعلقة بالنظم مثل كتب الحسبة وغيرها فقد أردت أن أنبه إلى هذه النقطه باعتبارها جزءاً من المنهجية التي يدعو إليها الدارسون في هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات التي تسعى إلى توجيه الإسلام للعلوم وصلة ذلك كله بالدعوة إلى الله؟ فللدعوة إلى الله أيضاً مفهوم عام ، والإسلام كله دعوة إلى الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال لنا ذلك ، والقرآن أوضح ذلك من قبل من خلال حوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين في سورة غافر ، وذلك في قوله تعالى ﴿**إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار**﴾ وقوله تعالى ﴿**من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكرأو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب**﴾ وقوله ﴿**ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار**﴾ وهذا التعبير العام لا يعني النجاة فقط من نارالآخرة ، وإنما يعني أيضا النجاة في الدنيا بكل ما يحتويه هذا المعنى من معان فردية وعامة .

والحق أنني أردت أن ألفت النظر إلى مجموعة من القضايا المنهجية الهامة التي تصل بين الدعوة والخدمة الاجتماعية وتصل بين موضوع المؤتمر وموضوع الخدمة الاجتماعية بصلة متعمقة وهادئة مع تأصيل هذه المسائل والتدقيق في مفاهيمها حتى لا تكون مؤتمراتنا مجرد كلام في الهواء... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ . د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

شكراً للدكتور / محمد كمال الدين إمام على عرضه الطيب ، لبعض المفاهيم الأساسية التي نحتاج إليها بالفعل في دراستنا للخدمة الاجتماعية والتوجيه الإسلامي لها ، فقد حاول أن يبرز الخدمة الاجتماعية والآراء التي حولها ، وأوضح أنه يمكن اعتبارها حكماً وعلماً ونظاماً ، وأضاف إلى معلوماتنا الكثير عن الكتب التي تناولت في التراث الإسلامي موضوعات الخدمة الاجتماعية ، وهي بلاشك مسألة ينبغي على الباحثين أن يتعرفوا عليها .

## أ . د / محمد أحمد عبد الهادي : الأستاذ بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ... والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ... فعذراً للتأخير فقد حرصت على الحضور مبكراً لأمرين أولهما لأنني أعايش هذا العصر وأرقب دور فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي في هذا الوقت ، الأمر الثاني دعم فضيلته للخدمة الاجتماعية في مؤتمراتها .. حيث كان الأول منذ عامين وقد شاركنا في معظم حلقاتها ، وعلق ووجه وصوب الكثير من الأفكار التي عرضت في المؤتمر الأول .

جاء في خاطري بعد حديث أستاذنا الفاضل / د . عبد العظيم الديب في أن آخذ أوراقي، خاصة وأنه طرق قضايا هامة ، فقد أحسست أنه إخصائي اجتماعي مسلم كما نريد ، ولكني تشجعت وقلت أواصل ، وبعد قليل فوجئت بالأستاذ . د / إمام يطرح مجموعة من القضايا جعلت الموقف أكثر حرجاً ، لكني على قدرما أتيح لي من اجتهاد في هذا الموضوع أبدأ بتعريف أو تحديد بسيط للخدمة الاجتماعية ، وكيف تسير في الاتجاهات أو القضايا التي طرحها الدكتور إمام .

الخدمة الاجتماعية ليست علماً كالعلوم الأخرى مثل علم الاجتماع مثلاً، بمعنى أنها تدور في فلك النظريات والقضايا النظرية ، وليست نظاماً اجتماعياً ثابتاً ، ولكنها مهنة لها مقومات المهنية بالمعنى المعروف عصرياً ، فهي تقوم على بعض المعارف النظرية ، تستفيد من العلوم النظرية ، لها معاهد تدرس هذه العلوم وتعطي مهارات وتدرب الطلاب عليها ، لها مؤسسات ومنظمات معينة تعمل من خلالها داخل المجتمع ، كل هذا يشكل لها مقومات المهنة ، وسمعنا بالأمس من أ. د / الفاروق زكي يونس أن هذه المهنة بصورتها التي جاءت به إلينا كانت مستوردة ، وهذا ليس بغريب في مجتمع فعل التغريب فيه الكثير ، فاستورد الكثير من النظم ، وباتت النظم القائمة فيه ، نظماً في مجملها تنحو المنحى العلماني الذي يفصل الدين عن المجتمع . متأثرة بأقوال وظروف معينة مرت بها أوربا ، ونقلت هذا بالإكراه لظروف تعلمونها جميعاً .

نحن في الخدمة الاجتماعية تعلمنا هذا النموذج الغربي وتعلمنا في مدارسنا وكلياتنا تعليماً الدين فيه بعيد إلى حد كبير ، ولكننا عشنا بفضل من الله في وقت فيه صحوة إسلامية وعندنا بفضل من الله الفطرة ، فأخذ كل منا يبحث في مجاله ... أين نحن كمسلمين ؟ وماذا نستطيع أن نقدم للإسلام ؟ وللمجتمعات الإسلامية التي يحاصرها الأعداء في الداخل والخارج ، وفي كل مكان ؟ وكانت قضية محيرة إلى أن هدانا الله بفضله وبتوجيه من بعض الإخوة الزملاء ولا أريد أن أذكر أسماءهم الآن ، لأنهم يستحيون من ذلك كثيراً ، ولكن بدأت بعض الاتجاهات تسأل أنفسها أين تقف ؟ وهل يمكن أن نستخدم هذه المهنة بشكلها الراهن وبطرقها وأساليبها الراهنة كما هي ونصنع بها شيئاً مفيداً في المجتمع الإسلامي ؟ أم أن الأمر يقتضي ثورة شاملة تطيح بهذه المهنة وتبدأ بنياناً جديداً ، ونظريات جديدة ؟ ولكل من هذين الاتجاهين ما يبرره ، وبتوفيق من الله توصلنا إلى صياغة تكاد تكون مقبولة بعضها علمي وبعضها سياسي إلى حد ما وقلنا نبدأ في خطين متوازيين ، خط يؤصل ويقنن كما يرجو أ. د / إمام ، ويرجع الشيء لأصله ويصل لأطر نظرية للممارسة الفعلية للخدمة الاجتماعية الإسلامية أو من خلال منظور إسلامي ، وخط آخر يأخذ بالممارسة وينحي ما يتعارض مع قيمنا وإسلامنا تنحية كاملة ، ويبقى الكثير لأنها مهنة

تعتمد على مهارات وأدوات أكثر مما تعتمد على أيديولوجيات أو نظريات وتشرع في العمل وفي الممارسة في المؤسسات الإسلامية، وتطرق ميادين جديدة .

وقد كان بتوفيق من الله يقود الاتجاه الأول إخوة كرام أعطاهم الله من العلم ما يمكن أن نطلق عليه المعرفة الشمولية مما يجعلهم يتجهون في الاتجاه الأول ويقطعون فيه مسافات طيبة .

الاتجاه الثاني : اتجاه ممارسة وبدأ بفضل من الله في السعودية ( الرياض ) من خلال جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وبدأنا العمل في منظمات وهيئات الإغاثة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي والحمد لله لنا بعض الخبرات في هذا المجال .

نبدأ في خوض مجالات نشعر بأنها مجالات حتمية وهو مجال الدعوة إلى الله ، وبدأت بعض الكتابات في هذا سراء في المؤتمر الماضي ، أو الحالي حيث يوجد بحث عن دورخدمة الفرد في الدعوة إلى الله ، وهو مجال هام ، وماذا يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة إلى الله ؟ لا ندعي أننا سنكون دعاة بالمعنى الصحيح للداعية ، وإن كان هذا أمل نرجو أن يتحقق للإخصائي الاجتماعي في أن يجمع بين الاثنين .. بين الفقه والعلم الشرعي وبين المهارات والأسس والقواعد التي يمكن أن تتيحها له الخدمة الاجتماعية ، ولكن كما قلت إن التربية العلمانية غطت مساحات كبيرة من معاهدنا ومدارسنا ، لا نجد في معظمنا القدرة على أن يجمع بين الاثنين، فإذا كنا لا نملك ذلك فنحن على الأقل لدينا حصيلة من المهارات ، ومن المعارف التي تتعامل مع الإنسان وترشده وتساعده في حل مشكلاته وفي تغييره ، إذن يمكن أن نستفيد من هذه المهارات ومن هذه المعارف في العمل مع الدعوة والدعاة ومنظمات الدعوة .

وحينما نتكلم عن الدعوة الآن فلابد أن نتكلم عن الدعوة من خلال منظمات وتنظيمات ، فالدعوة الفردية رغم أهميتها قاصرة ، ومحدودة ، أما الدعوة من خلال المنظمات فهي دعوة وعمل مستمر ، وفي إحصائية بسيطة جداً ولعلها توضح لنا ماذا يفعل النصارى فيما يسمونه تبشيراًو تنصير ، في إحصائية (ديفيد) قارن بين عدد من المنظمات من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٩م ، فوجد أن عدد المنظمات المسيحية التي تقدم خدمات ١٧٥٠٠ منظمة ، تطور إلى ٢٠٧٠٠ منظمة ، وهناك المنظمات التي ترسل مبشرين للخارج وعددها ٣١٠٠ منظمة أصبحت ٣٨٠٠ منظمة ، مجموع التبرعات لأغراض جنسية في أمريكا كان مائة بليون ، وأصبح ١٥١ بليون ولعله زاد الآن ، وعدد أجهزة الكومبيوتر عند المنظمات المسيحية كان عام ١٩٨٠م ٣ مليون أصبح في عام ١٩٨٩م ٤٥ مليون ونصف مليون من الأجهزة .

وفي تقرير لمجلة يهودية بأمريكا ذكرت أن ثلث اليهود الأمريكيين ينتمون لمنظمات ، وأن نصفهم ينتمون إلى معابد يهودية تبلغ ٣٠٠٠ معبد في أمريكا إلى آخره ، ولكن سر

نجاح هذه المنظمات أو الاتجاهات (النصارى واليهود) في ذلك أنهم يعملون عملاً منظماً من خلال منظمات معينة ، في الجانب المقابل إذا سألني أحد منكم عن عدد المنظمات الإسلامية التي تعمل في العالم الإسلامي فلن أجد إجابة ولن أجد إحصائية واحدة يمكن الوقوف عليها؟ لا في عدد المنظمات ولا في مجالات عملها ، ومن المشكلات التي تواجهنا في العمل في كثير من المنظمات الإسلامية أننا نعمل في فراغ .

إذن الخدمة الاجتماعية يمكن أن تساعد نظام الدعوة ومنظمات الدعوة الإسلامية في مجالات متعددة، فالنسبة للمجتمع نفسه فالداعية يجب أن يعرف المجتمع ، والخدمة الاجتماعية يمكن أن تساعده يبعض الدراسات ، في دراسة المجتمع الذي يعمل فيه الداعية من حيث من يخاطب ؟ وبأي وسيلة ؟ وبأي طريقة ؟ وما طبيعة هذا المجتمع ؟ وما مشكلاته ونظمه وعلاقاته واحتياجاته ؟ وما القوى الاجتماعية التي تتعامل معه ؟ وما القيادات الموجودة واتجاهاتها ؟ وما المنظمات الموجودة ومجال عملها وكيف تعمل ؟ وكيف يمكن الاتصال بالمجتمع ؟ هل بالكلمة أم بماذا ؟ وهكذا يتضح أن الخدمة الاجتماعية لها دور في مساعدة الداعية على العمل مع المجتمع بصورة علمية سليمة . كما أننا في أشد الحاجة إلى المنظمات الإسلامية التي تعمل في مجال الدعوة إلى الله ، كيف يمكن أن ننشيء هذه المنظمات ؟ وبأي طريقة ؟ وكيف تعمل وتدار ؟ والخدمة الاجتماعية يمكن أن تساعد في إنشاء هذه المنظمات ، والبحث عن متطوعين لهذه المنظمات ، وتنظيم و إدارة هذه المنظمات، ووضع استراتيجية محددة بعيداً عن التخبط ، والتنسيق بين الهيئات الاجتماعية الإسلامية الموجودة وأن نكتشف الكفاءات الموجودة كما أشار أ . د/ عبد العظيم الديب؟ وكيف يمكن للداعية أن يكتشف ذاته ، وأن يعرف نواحي القوة والضعف فيه ؟ وما الأسلوب الذي يناسبه ؟ وإذا أردنا أن تعمل المنظمات فلابد من تمويل مالي كما أشار فضيلة الشيخ محمد الغزالي ، وكيف أن أموال المسلمين تضيع على الملذات والشهوات ، وإذا كانت المنظمات الإسلامية تحتاج لتمويل ، فإن الخدمة الاجتماعية يمكن أن تفيد في تمويل المنظمات من خلال تحديد كيفية إعداد حملة لجمع المال ؟ وأين نجمع الاموال ؟ وما الصورة المثلى للاستفادة من الزكاة وكيف تتم ؟ .

كما يمكن للخدمة الاجتماعية أن تفيد في نظام المعسكرات عن طريق تحديد كيف تتم ؟ وكيف تعطي الفكر والتوجيه والعمل ؟ وكذلك المؤتمرات الإسلامية هل تتم كما تتم في بعض المؤتمرات ؟ وهناك مجالات أخرى يمكن أن تفيد فيها الخدمة الاجتماعية سواء على المستوى الفردي ، أو تقديم الخدمات ، أو العمل على مستوى قطاعات معينة من الشباب ، وأشياء أخرى كثيرة يمكن للمهنة أن تقوم بها ، وأعتقد أن الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية مسألة حياة ومستقبل لهذه المهنة اذا أردنا لها أن تستمر وأن تضرب بجذورها ... وشكراً لكم على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ .د / جعفر عبد السلام : رئيس الجلسة

أشكر الدكتور / محمد أحمد عبد الهادي على هذه الكلمات التي أوضح من خلالها أحد المجالات الهامة للخدمة الاجتماعية وهي مجال الدعوة إلى الله ، والمنظمات الاجتماعية التي تؤدي هذه الوظائف ، وكيف أنه لا توجد استراتيجية واضحة للمنظمات التي تعمل في مجال الدعوة الإسلامية ، وأشار إلى الاستيراتجيات التي تساعد هذه المنظمات على تحقيق أهدافها كما أبرز الدور الذي يمكن أن تؤديه الخدمة الاجتماعية في إقامة هذه المنظمات وتمويلها وتحديد مجالاتها .

والآن وبعد انتهاء وقت الكلمات للسادة المتحدثين ، وكما ترون كنا نريد أن نضع خطوات أساسية لنحدد العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله وكيف تستخدم الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة إلى الله أما فكرة المنظمات ووضع استراتيجية لها فتحتاج لمناقشة ، سواء أكانت منظمات دولية أو حكومية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي ، ولدينا العديد من المنظمات الشعبية كرابطة العالم الإسلامي والعديد من المنظمات ، وهناك منظمات عديدة ربما لا أذكر أسماءها الآن ، ولكن العالم الإسلامي مليىء بالمنظمات التي تعمل في مجال الدعوة .

أما عن قضية الاستفادة بالشباب وتوجيهه كقوة دافعة إلى العمل في مجال الدعوة ، فهي تحتاج إلى مزيد من المناقشة والبحث .

## د . فوزي الصباغ :

بسم الله الرحمن الرحيم ... في الواقع لدي اقتراح هو إنشاء أكاديمية للتجارة والتكنولوجيا في إطار جامعة الأزهر وهذه الأكاديمية المقترحة تتكون من كلية للإدارة ، وكلية للتكنولوجيا ، ومدة الدراسة المقترحة عامان ، لأن الدارسين ، كما أقترح أن يكون الطلاب من خريجي كليات جامعة الأزهر ، يضاف إليهم نسبة معينة تحددها الجامعة من خريجي الجامعات الأخرى ، يجتازون امتحاناً معيناً في الفقه وحفظ القرآن الكريم والحديث، على أن يكون سن الدارس في حدود ٢٥ إلى ٣٥عاما ، مع إعطائهم مكافآت مناسبة وأن يصعدوا إلى مناصب مناسبة في كل المجالات من خلال الأزهر .

كما يمكن استكمال هذا الاقتراح بأمر آخر وهو أن يتعهد الأزهر بصفة عامة اللائقين صحياً وجسمياً من طلاب المدارس الثانوية الأزهرية لإلحاقهم بالكليات العسكرية ، وهذا أمر في غاية الأهمية وضروري جداً ، ولهذين الاقتراحين تغذية عكسية يؤدي إلى زيادة الاقبال على الدراسة بالأزهر ، فتكون هناك فرصة أفضل وأكبر للانتقاء في مرحلة الدراسة

الثانوية ، ويتم رفع الكفاءة النوعية للداعية ، وهذا يساعدنا بدوره على تطوير وتحسين المناهج في الأزهر .

وهناك ملاحظة أخرى صغيرة فيما يختص بما ذكره الدكتور / محمد أحمد عبد الهادي عن الأرقام التي تفضل بذكرها والتي رغم أنه قرأها من مرجع واضح إلا أنني لدي أرقام أخرى أتذكرها جيداً ، وهي أن اليابان على سبيل المثال بها مليون منصر وبها مليون مسيحي ، وإفريقيا بها مليون بعثة تبشيرية ، وأن جيش الخلاص ، وهو إحدى جهات التنصير به ٢ مليون منصر .. وشكراً جزيلاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ. د / جعفر عبد السلام :رئيس الجلسة

شكراً للدكتور / فوزي ، في الواقع فإنني قد خصصت العامين السابقين في زيارة الدول التي توجد بها تجمعات إسلامية ، سواء دول أوربية أو أسيوية .

ولعل سيادتكم ستسعدون عندما تعلمون أنه على بعد ٢٠ كم من سيبيريا توجد مساجد يذكر فيها اسم الله ، وأن جموعاً غفيرة من المسلمين يؤدون الصلاة ، ويعرفون بعض أمور دينهم في هذه الأماكن في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي السابق والتي ربما لم تعرف سوى عبارات مثل لا إله إلا الله ، والسلام عليكم .

والخلاصة أنني انتهيت إلى أن هذه المجتمعات لا نعرف عنها شيئا ، مع أن بها مسلمين متحمسين لدينهم وحركة بناء المساجد في كل قرية تتم من قبل الأهالي أنفسهم ، ولكني في الواقع رأيت أن هؤلاء الناس في حاجة ماسة إلى جهودنا ، وقلت ماذا لو جندنا الأشخاص المتخرجين حديثاً ، وأرسلناهم لتعليم هؤلاء ، وهنا يأتي دور الخدمة الاجتماعية ، وكيف يمكن جمع هؤلاء الشباب وكيف يمكن أن نحولهم إلى قوة ضخمة ، وقوة روحية تؤثر في الغير فالمشكلة ليست مشكلة علم وفقه ، ولكن مشكلة روح قوية تستطيع أن تنقل الإسلام بقوة وهنا ربما يكون الداعية القوي إخصائياً اجتماعياً من أجل ذلك نحن نبحث عن إخصائيين اجتماعيين لهم سمات معينة يعايشون الشباب ويقومون سلوكهم ، مع مراعاة أن مقومات الحياة هناك متوفرة خاصة الزراعة ، حيث يرحب أهالي هذه البلاد بالشباب من هذا النوع ، وقد حاولنا وضع هذه التجربة موضع التنفيذ نجحنا في بعضها وفشلنا في جوانب أخرى ، إلا أن المشروع في سياق البحث حتى الآن ، وقد أشرت إليه لأسمع مزيداً من الأفكار ولو خارج نطاق هذه الجلسات والمناقشات الرسمية .

## أ.د / ابراهيم عبد الرحمن رجب :رئيس قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم .. أود أن أشير إلى جوانب أخرى لم تأخذ حقها في المناقشة ، أولاً الدكتور / عبد الهادي أشار إلى ما يمكن أن يقوم به الأخصائي الاجتماعي في الدعوة إلى الله، فأرجو أن يكون واضحاً لدى الجميع أن جهود التنصير لا تقوم على الوعظ بالكلمة ، وإنما تقوم على تقديم خدمات اجتماعية محددة ، برامج ما يسمى بتنمية المجتمع المحلي ، حيث يستخدم هؤلاء الخدمة الاجتماعية بكفاءة بالغة عندهم رغم باطلهم حيث تستخدم الخدمة الاجتماعية في الدعوة إلى ذلك الباطل من خلال دراسة حاجات الناس وتصميم برامج لما يسمى بالتنمية في مجتمعاتهم ، تجعل الناس يحتكون بالمنصرين ، فأين نحن من هذا ؟

الجانب الآخر الذي لم يذكر هو الجانب الفردي فقضية الدعوة إلى الله تدخل في صميم عمل الأخصائي ، كما تفضل أخي الدكتور الإمام أثناء حديثه عن الدعوة إلى الله والتي هي فرع من التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية والآن عندما تتكلم عن الإنسان الذي يأتي كأخصائي اجتماعي ليساعد في حل مشكلة لا يعرف صلة هذه المشكلة بالله سبحانه وتعالى ، من هنا وجب على الأخصائي الاجتماعي أن يفهم هذه الصلة ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ.د / سامية محمد فهمي : عميدة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم .. أحب أن أدعم فكرة أ .د/ عبد العظيم الديب وعلى استعداد للتعاون معه ، لأنها فكرة قوية وهامة ، خصوصاً في ظل الظروف الراهنة ، وفي الحقيقة أنه يمكن استخدام الأخصائيين الاجتماعيين في هذا المجال ، وغيرهم من المتطوعين مثلهم تماماً ، حيث يستخدم هؤلاء طرقاً متعددة وقوية ، ولكن المتطوعين يحتاجون إلى خلفية دينية قوية وبسيطة ، ولكن يمكن استخدامهم في جميع المجالات المتنوعة للخدمة الاجتماعية ، نخلص إلى أننا لنا دور قوي ولكن يبقى توظيفه من خلال القنوات الشرعية التي لا تحارب هذا الاتجاه ، وعدم تلوينه في أشياء أخرى ... وشكراً

# حلقة نقاشية حول

# قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع

**رئيس الجلسة :**

أ.د. عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس جامعة الأزهر

**المشاركون :**

**أ.د / أحمد فؤاد باشا**

أستاذ الفيزياء بكلية العلوم – جامعة القاهرة

**أ.د/ عبد الوهاب المسيري :**

أستاذ بكلية البنات – جامعة عين شمس

**أ.د / أحمد المهدي عبد الحليم :**

أستاذ المناهج وطرق التدريس

**أ.د/ آمنه نصير :**

أستاذ العقيدة وعميدة كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر بالإسكندرية

**أ.د/ زهيرة عابدين :**

أستاذة طب الأطفال ورئيس معهد صحة الطفل

## أ.د/ أحمد فؤاد باشا :الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد ..

سوف أتناول من خلال حديثي علاقة العلم بالمجتمع وحاجتنا إلى نظرية علمية إسلامية يتحرك في إطارها المتخصصون فتضبط حركتهم وتحقق الأهداف المرجوة منها ولست بحاجة إلى التأكيد أن علاقة العلم بتطبيقاته بالمجتمع علاقة قديمة قدم نشأة التفكير العلمي ، فالعلم يلعب دوراً أساسياً في حالات الأفراد والمجتمعات ويسهم إسهاما مباشراً في رسم تصورات الإنسان عن الكون وعن العالم الذي يعيش فيه ، ومن يستقرىء تاريخ العلم والحضارة يمكنه ملاحظة أثر التطور العلمي على مناهج التفكير وطبيعة التحول في مختلف دروب النشاط الإنساني وإذا ما قارن المرء بين حدود عالم الإنسان منذ كان يستخدم الحجر لإشعال النار إلى أن وصل إلى تفجير الطاقة من الذرة والنواة ثم تعددت رحلاته إلى القمر وسافرت أجهزته ومعداته إلى الكواكب البعيدة .

وقديماً على سبيل المثال كانت النظريات الفلسفية عن أصل الكون متعددة لأنها قامت على فروض ذاتيه قوامها التأمل العقلي الخاص ، وكانت إحدى هذه النظريات تقضي بأن العناصر الأساسية الموجودة في الكون أربعة هي الماء والهواء والتراب والنار ، وهو ما تصوره الإنسان عن الكون في وقت ما ، وجاء العلم بعد ذلك بالمنهج التجريبي ليؤكد بما لا يحتمل الشك وجود ما يزيد على مائة عنصر يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، أو تحضيرها في المعمل ، وأثبت أن الماء ليس عنصرا واحداً ولكنه يتكون من عنصرين هما الهيدروجين والأوكسجين وأن الهواء والتراب خليطان من عدة عناصر ، وأن النار ظاهرة حرارية ، أي أن الصورة القديمة تغيرت تماما بفضل التقدم في العلوم الكونية وهاهو الإنسان حاليا يرسل أجهزته لترصد حالة الكون المعروف لنا ، ويصور لنا النشأة الأولى للكون ، كل هذا بدأ يسحب البساط من تحت التصورات الفلسفية والآراء العقلية الخاصة.

والعلم بتطبيقاته يصب مباشرة في نفس الإنسان وتجربته ويلقي بظلاله على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتمعات هذا من ناحية تأثير العلم على المجتمع كما أن المجتمع أيضاً له تأثير على العلم وتقدمه وتطوره وعلى أفكار العلماء وهناك مبحث خاص يناقش هذه القضية وهو سسيولوجية العلم أو علم الاجتماع الآلي ومعالجة تأثير الثقافة السائدة في مجتمع ما على بناء نظرية علمية معينة ، وعلى مدى تقبل المجتمع لمثل هذه النظريات وقصة جاليليو ليست بعيدة كمثال على هذا الكلام .

بما أن العالم جـزء مـن المجتمـع ، والمعرفـة العلميـة أيضـاً جـزء مـن فاعليـات النشـاط الإنساني ، فهناك مباحث خصصت لمعالجة سيكولوجية العلم والكشف العلمي وعلم القيم والأخلاقيات المتعلقة بالكشوف العلمية وتطورها ، إذن العلاقة بين العلم والمجتمع علاقة متبادلة وتأخذ صوراً مختلفة وأصبح العلم يعامل كأنه كائن حي له جوانب متعددة كالجوانب النفسية والاجتماعية ، وإذا أردنا أن نتعرف على مراحل تقدم العلم وتعثره فعلينا أن ندرس هذه الجوانب دراسة منهجية لمتابعة حركة التقدم العلمي .

العرض السابق يدل على أهمية الأمور المنهجية في معالجة القضايا عموماً ، لأنه لو نظرنا إلى واقع التخلف العلمي بيننا وبين الدول المتقدمة ، سوف نجد أن هذا التخلف ليس ذا طابع كمي وإلا لاستطعنا عن طريق تكثيف الجهود أن نسد هذه الفجوة ، ولكن التخلف في حقيقته تخلف نوعي وسببه التأخر في استخدام المنهج المناسب للعلوم المختلفة ، وإذا كان البعض يتحدث عن التوجيه الإسلامي للعلوم فإنه بإمكاننا أن نضع تصوراً لنظرية إسلامية متكاملة مستمدة من أصول الإسلام متمثلة في القرآن الكريم والسنة وفي جهود السلف الصالح وفي ضوء المستجدات المعاصرة ، ولكن هذه الأمور يمكن على أساسها أن نصوغ نظرية منهجية تحكم توجيهات الفكر في مختلف جوانب الحياة ، وهذه النظرية ستكون دعامتها الأولى هي التوحيد الإسلامي .

ويعد المنطلق من التوحيد الإسلامي له ميزة هامة هي تكوين العقلية العلمية القادرة على الإبداع لأن التوحيد هو نقطة الإنطلاق نحو الرؤية الصحيحة لحقائق الوجود والكون ، وهناك ميزة أخرى ، وهي جعل الباحث أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمي السليم والبحث عن محور الوحدانية من خلال التنوع في الموضوع أياً كان هذا الموضوع مثل البحث عن محور الوحدانية في شخصية الفرد الإنساني ، على الرغم من تعدد جوانب هذه الشخصية، وتنوع العلوم الباحثة فيها ، كما يمكن أيضاً أن يبحث عن جوهر الوحدانية في ظواهر الكون المتعددة ويصل إلى التعميم اللازم عن طريق الثقة والاطمئنان ، وهذه الميزة لا تتوفر لباحث آخر ينطلق على سبيل المثال من مسلمة وضعية كمسلمة الحتمية فيعتقد بسلطة العلم وتقديس العلم ، وبعد ذلك يتطور العلم وينتقل إلى مرحلة اللاحتمية وعدم اليقين والنسبية ويكون على هذا الباحث أن يبحث عن مبدأ آخر ويلهث وراء مبدأ آخر يكفل له الإجابة على تساؤلاته .

إذن المنهج الإسلامي بهذه المسلمة وما يترتب عليها مسلمات أخرى تبعث في الباحث الثقة والاطمئنان وعدم إطلاق صفة مطلقة على المعرفة العلمية واعتبارها معرفة

نسبية، مقارنة بعلم الله الذي لا يقارن ، وهكذا نجد أن مجرد الانطلاق من مسلمة التوحيد يحكم ويضبط حركة العقل ويرشدها في الاتجاه السليم .

أيضاً من ميزة المنهج الذي نتصوره أنه مرن ، حيث يتسم بمرونة أدوات المعرفة ، لم يضعها كما وضعها المفتونون بالمنهج العلمي الغربي ، والذي صوروه لنا على أنه قائمة من التعليمات والإرشادات لا يمكن للباحث أن يتجاوزها ، ولكن الحقيقة أن البحث العلمي لمن مارسه ليس بهذه الصورة ، ويحتاج إلى أدوات ووسائل تستخدم بمرونة ، فالمنهج الإسلامي هو منهج قائم على مجموعة من الثوابت الإيمانية والفكرية وفيه مجموعة من الإجراءات والخطوات التي تلتزم بها .

والمنهج الإسلامي الذي نتصوره يحتاج لوقت طويل لمناقشته ولكن هناك ملاحظات سريعة أشير إليها :

**أولاً :** يؤخذ على اللقاءات والمؤتمرات أنها تسرف في طرح مصطلحات جديدة ثم يبدأ الخلاف حول هذه المصطلحات فتقول مرة إسلامية ومرة أسلمة ومرة تأصيل وما إلى ذلك مما يؤدي لضياع الوقت في النقاش وبالتالي تبعد عن الهدف الذي يرسمه لنا التفكير العلمي السليم .. وهي أول مسالك المنهجية .

**ثانيا :** الفجوة بين الثقافات وبعضها البعض تؤثر على صياغة المنهجية السليمة ، فهناك شبه عزلة بين دارسي العلوم الإنسانية والكونية والشرعية وتوحيد العلاقة بين هؤلاء الدارسين من شأنه أن يساعد على اكتمال الرؤية السليمة وصياغة المنهج بصورة مقبولة تساعد على نهضة العلم ، ومن ثم نهضة الأمة في المرحلة الراهنة .

وكنت أود أن أتطرق إلى موضوعات كثيرة ، ولكن احتراماً للوقت أكتفي بهذا الوقت.. وشكراً لحضراتكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ.د/ عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

أشكر للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا على عرضه ولكن اسمحوا لي أن أقول إن التوجيه الإسلامي للعلوم عقدت له ندوة في هذا المركز وقد أوضحنا أن الإسلام لا يحجر على العلم إطلاقا لقوله تعالى ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**﴾ ، و لم يحدد نوع النظرة ، ولكن توجد في الشريعة الإسلامية قيود أخرى ، وحينما وصلنا إلى الذرة وتفجيرها وفوائدها وأضرارها نجد الإسلام يقول إنك بوصولك إلى هذه النظرية العلمية ، وهذا فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة ، إذا قام به البعض سقط الوجوب عن الآخرين

أما إذا أحجمنا عن النظر والبحث الذي يقوي الأمة الإسلامية في جميع نواحي الحياة نكون جميعاً آثمين تماما كصلاة الجنازة إذا قام بها البعض سقط عنا الحرمة والإثم جميعاً ، ولكن إذا أحجمنا جميعا عن الميت كنا جميعا آثمين .

والعلم فرض كفاية ، وفي بعض الأحيان يكون العلم فرض عين ، فإذا توصل أعداء الأمة الإسلامية مثلاً إلى سلاح يفتك بالأمة الإسلامية ، وجب علينا أن نقوم بشراء السلاح المضاد أو أكلف بجموعة من شباب الأمة أو علمائها لكي يصلوا إلى السلاح المضاد ، وهو فرض عين في هذه الحالة ، لذلك فإن الآية الكريمة **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾** .

ولم تحدد الآية نوع القوة .. وإلا لما وصلنا إلى الصواريخ والدبابات والحرب الكيماوية والذرة لذلك علينا أن نملك مثل ما يملكون حتى ندفع عن أنفسنا الشرور ، وعلى هذا فالعلم لا حكر عليه وأسلمة العلوم تسمية أرجو ألا تقحم إقحاما فليس هناك كيمياء إسلاميه وأخرى قبطية، وأيضا هناك من يقول الطب الإسلامي فما هو الطب الإسلامي ؟ هل هناك استئصال أعور إسلامي وآخر غير إسلامي ؟ العلم لذات العلم ، إذا عاد بالنفع على الأمة الإسلامية وجب علينا أن نطبقه وإذا عاد بالضرر وجب علينا الامتناع عنه ، وهنا يأتي المقياس الإسلامي في أثر هذا العلم هل يؤدي إلى الدمار أو يؤدي إلى المصلحة ؟ فإذا غلبت المصلحة على الضرر وجب العمل والعكس صحيح وإذا تساوت المصلحة والضرر فهو مباح للمسلم أن يفعل أو لا يفعل ، ذلك هو ضابط الشريعة الإسلامية في كل نواحي الحياة ، إذا التزمنا بذلك فكل شيء جائز ما لم يخالف نصا من كتاب أو سنة .

### أ.د/ أحمد فؤاد باشا :

أنا من المؤمنين بضرورة الجمع بين المنهج الغيبي ومنهج البحث في العلوم الكونية ، فالقرآن الكريم حثنا على البحث والتأمل في ظواهر الكون لاستخلاص قوانينها والتعرف على سلوكها والإفادة منها في حياتنا لترقية الحياة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى ، ولم أقل إننا نبحث عن نظريات بديلة ، ولكن يجب عدم الخلط بين استخدام المناهج فنحن نبحث في العلوم الكونية ويجب أن نبحث فيها باستخدام المنهج الاستقرائي الرشيد الذي وضع أصوله علماء الحضارة الإسلامية لأول مرة ، بعد أن كان المنهج العقلي أو القياس الصوري هو المنهج السائد عند الإغريق، ثم جاء ابن تيمية وغيره ونقدوا هذا المنطق الأرسطي ثم شرعوا في استخدام معاني القرآن الكريم **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**

وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ ولو كان الوقت متاحاً لأوضحت لكم أن هذه الآية تمثل

نظرية معرفية إسلامية لأنها حددت وسائل المعرفة دون أن تقدم وسيلة على الأخرى وتركت الحرية للعقل البشري في معاملة الموضوعات واستنباط الحقائق والحكم على صحتها.

وهذا المنهج الإسلامي في البحث في العلوم الطبيعية هو الذي أخذه علماء الغرب واستفادوا به في ترقية أبحاثهم المادية ولكن للأسف أخذوا من هذا المنهج جانبه المادي فقط وتركوا الجانب المتعلق بقيم العلم وأخلاقياته وهو ما يعرف بالجانب الروحي الذي حث عليه الإسلام .

وإذا كنا نطالب بصياغة إسلامية لمنهج علمي معاصر فإننا بهذا نعيد للمنهج صيغته الإسلامية بجانبية المادي والروحي دون خلط بين المناهج وبعضها ، فلدينا علم الغيب وله منهجه كما أشار إليه القرآن ، ولدينا عالم المادة وله منهجه في البحث العلمي التجريبي وبهذا يتحقق التوازن ونصلح الخلل الذي تعيش فيه الحضارة المعاصرة .. وشكراً

## أ.د/ عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

اسمحوا لي أن أقول إن نقطة الخلاف ما زالت قائمة فالذي أشعر به أن هناك شعرة أو نقطة بين الطرفين حيث نجد قضايا مسلم بها في الشريعة الإسلامية وهي لا تحتاج إلى منهج وهي الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، كما أنها قطعيات لا تحتمل خلافا ، أما القضايا الفرعية التي تحتمل الخلاف ، فلا نزاع في أن مناهج الأئمة المجتهدين مختلفة في الاستنباط ، فمنهم من يقدم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل أهل المدينة على كل شيء ، ومنهم من يرفض خبر الآحاد لوضع خاص كان موجودا في العراق مع أن خبر الآحاد كان يعمل به في المدينة المنورة ، ولا شك أن هناك اختلافا في المناهج عند المجتهدين وبذلك ينتهي النزاع ولا خلاف بين الطرفين .

## أ.د/ عبد الوهاب المسيري :

بسم الله الرحمن الرحيم .. سوف أدخل في موضوع المحاضرة عن طريق مشكلة التخصص وما هو تخصصي ؟ لأن هذه مشكلة تواجهني دائما ... فقد كنت مطالبا لكي أدرس الفلسفة بأن أدرس الإنجليزية حتى تتفتح مداركي على العالم ككل فتخصصت في الأدب الإنجليزي ولكني كنت دائما مهتما بالفلسفة ، وعندما ذهبت إلى أمريكا للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي ظهرت لي القضية الفلسفية مرة أخرى ، بمعنى أن

اهتمامي أساسا كان بتاريخ الأفكار ثم ظهرت قضية الصهيونية سنة ١٩٦٣ م في حياتي وأصبحت تشغل الحيز الأكبر من عالمي الفكري وظهر لي أول كتاب سنة ١٩٦٥ م باللغة الإنجليزية ، ثم توالت الكتب وتجاوزت الآن خمسة عشر كتابا في هذا الموضوع ، آخرها موسوعة تفرغت لها تاركا عملي الأكاديمي وهي تشبه تاريخ حياتي بدأتها عن اليهود والصهيونية ولكني في منتصف الطريق اكتشفت أشياء غريبة الشكل ، فمثلاً نحن حينما نتحدث عن اليهود نتحدث كما لو كانوا تشكيلاً عالياً ، ولكني اكتشفت أن تسعين بالمائة من يهود العالم في أواخر القرن التاسع عشر كانوا يوجدون في بولندا فإذا كان ٩٠ ٪ من اليهود يوجدون في بولندا فما معنى أن نضع يهود الغرب على قدم المساواة مع يهود الهند ، أو مع يهود الصين أو يهود العالم العربي الذين لا يتجاوزون عشرين ألف نسمة ؟!

هذا وقد شعرت أثناء كتابتي للموسوعة أن المقولات التحليلية الأساسية يوجد فيها خلل أساسي ، فلا يصح الحديث عن يهود العالم وإنما نتحدث فقط عن يهود الغرب ، فإشكاليات اليهود إذن هي إشكاليات العالم الغربي ، نفس الشيء يوجد في كل أنحاء العالم، حين نجد ما يسمى بالدراسات اليهودية ، ومعاهد التاريخ اليهودي ، والسؤال الآن ما هو هذا التاريخ اليهودي ؟ التاريخ اليهودي لابد أن يكون له محور يهودي ، فالثورة الصناعية مثلاً محورها ليس يهودياً وإنما محورها الحضارة الغربية الحديثة ولكن تأثير الثورة الصناعية على يهود الغرب أقوى بكثير من تأثير التلمود مثلاً ، وفي الواقع سوف أفاجئكم بشيء ، فنحن ما زلنا في العالم العربي في كتاباتنا عن اليهودية نركزدائماً عن التلمود والتوراة والبروتوكولات وهي وثيقة مشكوك في صحتها ولا يصح الحديث عنها ، يأتي بعد ذلك التلمود الذي لا يعرفه اليهود الآن وهذا شيء غريب وهذا ما يؤكد اختلال المقولات التحليلية عندنا ، مما اضطرني إلى اتخاذ موقف جذري تماما من الموضوع في كتابة الموسوعة التي انتهيت منها منذ يومين في وقت قارب الخمسة عشر عاما . (وقد حاولت تأسيس علم جديد لدراسة ظواهر اليهود ، حيث لا يوجد شيء اسمه اليهود ، ولكنه توجد الجماعات اليهودية ، فيوجد يهودي مصري في القرن التاسع عشر ويوجد يهودي أمريكي في القرن العشرين، ولكي أوضح أهمية القضية فلنضع يهوديا من الفلاشة إلى جوار يهودي من أمريكا إلى جانب يهودي من المغرب مثلا ، سنجد أن يهودي أمريكا يتحدث الإنجليزية ، ويعرف بعض الكلمات اللاتينية وهي لغة لا علاقة لها بالعبرية ، وهو لا يؤدي أي شعائر دينية ، حيث يقيم خمسة بالمائة من يهود امريكا الشعائر الدينية بما في ذلك شعائر السبت والطعام ، وللعلم فإن أكثر من ٥٠ ٪ من سكان إسرائيل يأكلون لحم الخنزير وأن أكثر من ٩٠ ٪ يأكلون الخنزير من يهود أمريكا ، وهذا عكس الصورة التي عندنا .

أما فيما يخص يهود المغرب فهم يتحدثون اللغة العربية ، ويؤمنون بالصياغة اليهودية الفردية ، وهم يقيمون بعض الشعائر الدينية وليس كلها ، وإن كان الجيل القديم مازال متمسكا بشعائر معينة كما هو معروف في العالم العربي ، إذ إننا سنلاحظ أن الجماعات اليهودية عادة في ترتيبها العقائدي واللغوي والحضاري تشبه تماما المجتمع الذي تنتمي إليه ، وهم لا ينتمون إلى أي تشكيل يهودي معروف فبعضهم يتحدث الفرنسية وذلك في القرن العشرين مع دخول مدارس فرنسية ، وكان لا يعرف العبرية إلا رجال الدين فقط .

أما فيما يخص يهود الفلاشة فهذا عالم مختلف تماما ، فهؤلاء لم يسمعوا عن العبرية أو التلمود ولا يعرفون أيا منهما ، يؤمنون بالعهد القديم ، وبعض أجزاء من العهد الجديد ، ويتحدثون الأمهرية ويتعبدون باللغة الجغرية ،وهي لغة الكنيسة القبطية في الحبشة ، وهم يصلون في مكان يسمى المسجد ، ويخلعون نعالهم قبل الدخول إلى المسجد ، ويوجد عندهم قساوسة ورهبان ، فما رأيكم في هذا ؟ كل هؤلاء تعودنا أن نتحدث عنهم علي أنهم " يهود " فنفقد بذلك المقدرة التحليلية تماما ، فإذا كانت هناك عدة ظواهر ، وقمت بتصنيفها على أنها ظاهرة واحدة هنا نكون قد فقدنا المقدرة على الدراسة والتنبؤ والتحكم وهكذا .

أما إذا نظرنا إلى يهود الاتحاد السوفييتي فقد كتبت كتابا في هذا الموضوع رغم انشغالي بالموسوعة ، لأني قرأت التقرير المقدم لمؤتمر القمة الذي ناقش هذا الموضوع وقد أشار التقرير إلى أن هذه الهجرة سوف تغير من تاريخ إسرائيل وما إلى ذلك ، المهم لو كان أحد درس موضوع يهود الاتحاد السوفييتي ، فسيعرف أولا أنه لا يوجد ما يسمي يهود الاتحاد السوفييتي بل هناك جماعات يهوديه في الاتحاد السوفيتي وبعضها يقطن في الدول الإسلامية ، وهؤلاء متأثرون بالإسلام ، فهناك يهوديات محجبات وبعضهن تمارسن نفس عادات الزواج الإسلامي وهناك يهود جمهوريات البلطيق وقد اختفوا أما عن يهود روسيا وأوكورانيا فقد تعرضوا لدعاية علمانية كبيرة لمدة سبعين سنة وبالتالي لم يبق من يهوديتهم شيء علي الاطلاق ، أما عن عددهم فهم حوالي مليون وربع ، أما بالنسبة للمرحلة السنية فسنجد أن ٣٠ ٪ مسنين ( وقد تنبأت في كتابي أن عدد المهاجرين لن يزيد بأي حال من الأحوال عن ٢٠٠ ألف إلى ٤٠٠ الف يهودي وراهنت علي ذلك وبالفعل حدث ما تنبأت به .

علي جانب آخر لم يرصد أحد ظاهرة اليهود المتخفيين ، واليهود المتظاهرين باليهودية ، فمثلا قلت أنه لأول مرة في تاريخ العالم يصبح من المريح أن يكون الإنسان يهوديا أما في الماضي كان اليهودي يضرب إذا عرف أنه يهودي ، فجأة إذا أصبحت يهوديا

تذهب إلى إسرائيل وتحصل على عشرين ألف دولار ، وبالفعل نجد أن بعض مسلمي الجمهوريات السوفييتية ادعوا اليهودية وهاجروا ، وقد أكد لي صديق كيف أنه وقت الآذان رأى بعينه أربعة من جماعة يهودية يدخلون المسجد للصلاة!!

ما أود أن أقوله إن المقولات التحليلية في جميع العلوم تأتي جاهزة ، كما أعتقد أن الإنسان مطالب بأن يكون موضوعيا معنى التجرد من العاطفة والذات والاحاسيس وأن يكون متلقسيا

وهذا لا يمنعني أن أقدم تفسيرا .. وهذا ما يجب أن يكون أيضاً في العلوم الطبيعية ، وألفت النظر إلى أن العقل الإنساني فعال ، وان الذاتية الإنسانية يمكن توظيفها في عملية الرصد ، وأنني لا يمكن أن استبعد بعض العناصر وأخيرا .. أقول قولي هذا ... واستغفر الله لي ولكم.

## أ.د / أحمد المهدي : أستاذ المناهج وطرق التدريس

بسم الله الرحمن الرحيم . نحن أمام مثال واقعي نستطيع من خلاله أن نعرف كيف أن اللغة التي نتواصل بها يمكن أن تكون وسيلة للبيان والإيضاح ، ويمكن أن تكون وسيلة للتعتيم ، هذا وسوف أعرض بنفسي من خلال فهمي للعنوان الذي وضع لهذه الجلسة ... وهو قضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع فالمنهجية في رأيي ببساطة تعني الطرق والخطوات التي نتبعها في توظيف المعارف المتاحة لنا ، وفي توليد معارف جديدة عن طريق البحث وهذه المنهجية مختلفة اختلافات شتى ، لذلك نجد لافتات كثيرة يعارض بعضها بعضا في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي العلم الاجتماعي بالذات وأنا أفضل استخدام هذا المسمى لأنه يشمل كافة العلوم المرتبطة بالإنسان .

والمنهجية في العلم الاجتماعي مختلفة إلى درجات كبيرة جدا ،حتى أن بعض المتخصصين يصفون هذه الخلافات بأنها الحروب المرتبطة بالصيغ البحثية ، ولو استعرضنا صيغ البحث منذ سنة حتى الآن سنجد أننا أمام ثلاث صيغ رئيسية للبحث العلمي في العلم الاجتماعي وهي ما يلي:

**الأولى** : الصيغة التقليدية : وهي في نشأتها كاثوليكية ، تم فيها الفصل بين العلم والدين، والدين في ذلك الوقت هو المسيحية و اللاهوت ، وهذه الصيغة في البحث الاجتماعي تأخذ نموذج البحوث في العلوم الطبيعية والحيوية نموذجا للبحث الاجتماعي فيقال إذا أردت أن تكون عالما أو باحثا جيدا في علم النفس أو الاجتماع أو التربية عليك أن تأخذ مسار أستاذ الطبيعة بمعنى أن تكون موضوعيا ، بمعنى آخر اترك كل أفكارك وكل القيم التي تحملها وأن تستقبل الموضوع بحياد، وأن تكون موضوعيا أيضا إذا قام باحث آخر

بإجراء بحثك ، فإنه يصل إلى نفس النتائج وهو ما يطلق عليه المدخل التجريبي التحليلي في البحث .

وهناك أوجه نقد موجهة لهذه الصيغة ، مع الوضع في الاعتبار أنه تدخل تحتها وتدعمها الوضعية المنطقية التي جاءت من الثقافة الغربية والتي لدينا في مصر أحد دعاتها وهو / أ.د زكي نجيب محمود ، والذي يقول في مجموعة المقالات التي كانت تنشر في الأهرام أيام الثلاثاء منذ ثلاثة أعوام مضت "أن منهج العلم واحد ، وليس هناك خلاف في منهج العلم تبعا لاختلاف الموضوع الذي يبحث سواء أكان الموضوع الصخور أم ظاهرة اقتصادية أم نفسية ، فالوضعية المنطقية بهذه الصيغة التحليلية التجريبية تسوي بين الإنسان والجماد ، على اعتبار أنها تحسب أن أوضاع الإنسان مستقرة ولا تتغير ، كالأوضاع الموجودة في الجمادات ، وعليه فإن أوجه النقد الموجهة لهذه الصيغة كثيرة جدا .

الصيغة الثانية التي جاءت كرد فعل لأوجه النقد التي وجهت لهذه الصيغة هي الصيغة الرمزية في البحث أو التفسيرية أو التأويلية ، وتحتها عدد كبير من اللافتات في البحث الاجتماعي ما يطلق عليه بحوث الظواهر أو الظاهراتية ، وتحتها البحوث التي تهتم بالتركيز علي الحالات التي تبحثها ، وبضرورة إدخال السياق الثقافي والإنساني في عملية البحث ، فضلا عن أنها تدعو من سيتم عليهم البحث إلى أن يفسروا أعمالهم ، والصيغة الأولى التحليلية التجريبية تقول لك " تحرك يمينا أو يسارا - أرصد جلك عد - استخرج الفروق الإحصائية والمغزى الإحصائي فقط ، أما الرمزية أو التفسيرية أو التأويلية فقد دعت إلى ضرورة أن نقف أمام ما يطلق عليه " السلوك الإنساني "بمساحة واسعة للتفسير و التأويل من وجهة نظر هؤلاء الناس ، لأن حركة الإنسان غير حركة الجماد ، والسلوك الإنساني يختلف عن السلوك غير الإنساني ، وكلمة السلوك أوشكت أن تختفي من البحوث الرمزية أو التأويلية أو التفسيرية وحل محلها الفعل ، مع الوضع في الاعتبار أن هناك فرقا بين السلوك والفعل ، فحينما أفعل .. أفعل وفي ذهني دوافع دفعتني إلى الفعل، ولي مقاصد استهدفتها من هذا الفعل .

أما الصيغة الثالثة فهي صيغة البحوث الناقدة ، وهي ترى أن النموذج الطبيعي الحيوي ، والرموز التأويلية قليلة الفائدة ، لأن كل هذه البحوث تسعي إلى الإبقاء على الأوضاع القائمة في المجتمعات ، مثل الظلم الاجتماعي مثلا ، وهذا المدخل كان يتبناه اليساريون في أوروبا الغربية وحتى في أمريكا ، وحتى الآن لا تزال هذه الصيغة قائمة .

والقضية الآن هي أين نحن من كل هذا ؟ أقول إننا نختلف اختلافا كبيرا ، بل ونتناقض بدرجة حادة جدا مع كل هذه المنهجيات البحثية . لماذا ؟ لأن هذه الصيغ نشأت عن نظم اجتماعية ، هذه النظم - مع الفروق التي بينها - نشأت عن نظام عقائدي . أما

نحن فأنظمتنا الاجتماعية نشأت في نظام عقائدي يختلف تمام الاختلاف عن الأنظمة الاجتماعية التي تولدت عن نظام اعتقادي قديم في أوروبا ، وأنا هنا أنبه فقط إلى هذه الصيغ في المنطلقات وإلى ما يتبناه الباحثون في كل صيغة عن الله وعن والكون في نشأته وحركته ومصيره ، إلى الإنسان ودوره في هذه الحياة ، وإلى العلاقة بين الإنسان وخالقه وإلى دور الإنسان واستخلافه في هذه الارض وقضايا كثيرة جدا تختلف اختلافات جذرية في فهمها عن كل الصيغ الثلاث التي اشرت إليها ؟

واذا تساءلنا ما العلم ؟ نجد أن العلم عندهم هو العلم المنضبط الذي يخضع لقوانين وإحصائيات مضبوطة ، أما العلم عندنا فهو كل ما علمته وفيه نفع للفرد و للأمة ، وليس ضروريا أن يكون الجبر أو الكيمياء وهكذا لو وجدنا حتى معلومة أو مجموعة من الأفكار والحقائق يمكن أن تفيد الأمة حينئذ يطلق عليها العلم ، وهكذا يتضح أن تصنيف العلوم في الثقافة العربية يختلف عن تصنيف العلوم في الثقافة الغربية .

وعلى هذا يأتي دور مثل هذا المؤتمر ، وكل ما يستطيع أن يسهم في تأصيل صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي في الفروع المختلفة بدون خلاف بين التخصصات ، ولكن في إطار تكاملي خاصة وأننا أمام هجمة شرسة جدا ، ينبغي أن تتوحد كل الجهود لمواجهتها فماذا لديكم أيها المسلمون لتقدموا بديلا لكل الكلام الموجود الآن ؟ في الواقع لدينا جواهر في مجالات كثيرة في الفقه والتاريخ وما إلى ذلك ، لذلك هل آن الآوان لكي نستخلص من هذا التراث الثمين صيغة توجه وتقف بديلا ؟ ، أنا كفرد وبجهد متواضع جدا حاولت وكتبت حوالي ثلاثين صفحة تحت عنوان نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي وقد حاولت أخذ الصيغة الأولي التحليلية التجريبية ، خاصة وأن التجريب نابع من الثقافة العربية الإسلامية ومن التراجم اليونانية ثم واجهت هذه الصيغة بالتصور الإسلامي وبمعنى العلم عندنا وعندهم ودور الإنسان عندنا ودور الإنسان عندهم وحقيقة أنا لست ضد التجريب ، ولكن ينبغي أن نجرب بشرع الإسلام وبشرع الله سبحانه وتعالى .. وأكتفي بهذا .. وشكرا

## أ. د / عبد الفتاح الشيخ : رئيس جامعة الأزهر ورئيس الجلسة

أشكر السيد الدكتور على عرضه ، ولكني أعتقد أن المنهجية في الإسلام موضوع له إطاره، وهو موجود في الكتاب والسنة ، ولكن مع الأسف نحن ابتعدنا عن هذه المنهجية وربما كلمتي المختصرة كانت جزءا من المنهج الإسلامي ، وأعتقد أن المنهج يفتقر أول ما يفتقر إلى خلق وضع المنهج ، والأخلاق في الإسلام تأخذ جانبا كبيرا جدا فلو تحدثنا عن السنة النبوية الشريفة ومنهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- في التعامل مع الناس

والمجتمعات المحيطة بالأمة الإسلامية ، فلاشك أننا سوف نخرج بمنهج علمي إسلامي أصيل لا يكون عالة على هذه المناهج التي تذكر من هنا وهناك .

ولقد جاءتني ورقة من الدكتور جلال عبد الخالق - المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية - يقترح فيها إقامة بعض المؤتمرات أو تخصيص جانب منها لتحديد هذه المفاهيم ، وردي على ذلك أن المؤتمر لا يستطيع أن يحدد مفاهيم ، وإنما الذي يحدد المفاهيم هم الباحثون المتعمقون المتأصلون في العلم ، أما المؤتمرات فهي عبارة عن خميرة لتحريك الأذهان والعقول التي تكسبنا الباحثين المتازين الذين يقدمون أبحاثهم في المؤتمر ، ومن غير المؤتمر أو الندوة أعتقد أنه لن يكتب هذا البحث ، فموضوع الندوة يفرض على الباحث أن يدرس نقاطاً معينة ، إنما لو تركنا الباحث وسبيله فإنه سوف يكتب في أي شيء ، فلو كان أستاذ جامعة فإنه سوف يتحدث عن الكتاب الجامعي ، وإلا فما الذي يشغله في بحث يقدمه في مؤتمر ، والكتاب الجامعي مطلوب منه خلال شهر أو شهرين ، بالطبع سوف يكتب الكتاب الجامعي ويعدل فيه عددا من الصفحات ، وتستقر الأمور كما هي مستقرة ، ولكن حينما يحدد موضوع ، فإنه يقتضي من الأستاذ الباحث أن يجول بفكره في مناحي العلم المتخصص فيها ليخرج لنا بأشياء خافية وراء الذاكرة . هذه هي فائدة المؤتمرات ولكن المؤتمر لا يخصص مفاهيم ، لأنه ليس مجال بحث علمي ، ويحتاج تخصيص المفاهيم جلوس حلقة من العلماء المتخصصين مع بعضهم البعض ويتناقشون الأيام والليالي ويخرجون بنتاج لفكرهم وذلك لاختلاف تخصصاتهم .

## أ.د / زهيرة عابدين :

بسم الله الرحمن الرحيم .. والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أود في بداية حديثي أن أعلق على تسمية المؤتمر بالخدمة الاجتماعية ، والخدمة الاجتماعية مهنة عملية، ولكن لا فضل للعلم ولا للمناهج إذا لم يكن لها أثر على المجتمع ، والخدمة الاجتماعية عمل له أثره على المجتمع ، ومن هنا فالتسمية موفقة والحمد لله ،

كما أود أن أوضح أن الكلام انصب على معاهد ومدارس الخدمة الاجتماعية ، وهذا جميل ، لأن هذا يضع أسسا ، ولكن ما أود قوله أو أشير إليه هو أهمية العمل الأهلي التطوعي لأفراد المجتمع ، لأننا لو نظرنا لمهنة الخدمة الاجتماعية بمفهومها الواسع هنا تصبح كل الأعمال الحكومية مرتبطة بالخدمة الاجتماعية.

والخدمة الاجتماعية من المفروض أنها تشمل الفرد ، وخاصة الفرد المتطوع لممارسة ما يستطيع عمله لصالح المجتمع ونحن من المنطلق الإسلامي لن ينافسنا أحد في تحديد مفهوم

الخدمة الاجتماعية ، قد تكون الخدمة الاجتماعية في أوروبا قد وصلت إلى مرحلة متقدمة ، ولكن تحديد المهنة عندنا أفضل .

أما عن المناهج والعلم فهما ضروريان ، ولكن ما أود أن أقوله : إن الأزهر يجب أن يبث هذه الروح في أولاده وتلاميذه كما أرجو أن يهتم الأساتذة بالناحية العلمية ، وقد علق أحد الحضور على مصطلح الطب الاجتماعي ، وهو مادة أصبحت موجودة في أكثر بلاد العالم ، وبدايته كانت في مصر ، وهذا المصطلح لو طبقناه على المدرس فإنه يعني أن يخرج المدرس للمجتمع لكي يتبين مشاكله واحتياجاته ولكي يكون قدوة لمن بعده .

والخدمة الاجتماعية إذا مورست لوجه الله فإننا سوف نحقق بها المعجزات وهو الفرق بيننا وبين الغرب ... والله ولي التوفيق .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ.د / آمنة نصير : أستاذ العقيدة/عميدة كلية الدراسات الإسلامية/جامعة الأزهر بالأسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحقيقة من خلال ما سمعت من كلمات من الزملاء والأخت الدكتورة زهيرة ، وما ألمسه في هذه الحقبة من أقوال وأصوات حول أسلمة العلوم ، الغرب . الشرق ، السنة ، الكتاب وما فيه من هذه العلوم والتي تعتبر في لغة الواقع علوم معاصرة ، هذا الاشتباك بين هذه المفاهيم ، فريق متحمس ويريد أن يقطع كل شيء يربطنا بالعالم الخارجي ، وفريق آخر يقلل من شأن العلوم الإسلامية وما تحتوي عليه من عدة علوم التي نعتبرها علوما معاصرة ، أو علوما عرفناها أخيرا وأقول للجميع الحضارة الغربية حضارة ثبت لها وجودها وقد سبق القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى هذه العلوم بصورة أو بأخرى ، هذا أمر مقرر حتى وإن التفت إليه مؤخرا ... هذه حقائق ثابتة هنا وهناك ، بقى أن نتعلم كيف نتعامل مع الفريقين ، كيف نأخذ بعلومنا الاسلامية بدون التعصب أو التشنج أو إنكار رأي علم آخر سوى علومنا ، وكيف ننظر لهذه العلوم الغربية بأنها علوما ثبتت ، وعند ثبوتها أقول كيف بدأت ؟ فالعلوم الغربية وما وصلت إليه الحضارة الغربية أسسها وأصلها بني على العلوم الإسلامية وأخذت من العلماء المسلمين ، وإذا أردنا أن نستعرض العلوم الاجتماعية والنفسية والفقهية والعقائدية نجد أن علماءنا الأفاضل كان لهم السبق .

والحقيقة التي أود أن أفض بها الاشتباك الآن أن العلوم لا وطن لها ، وأن العلم ميراث البشرية جميعا فالعلوم الإسلامية سبقتها علوم أخرى يونانية ، حتى وإن أخذنا منهم شيئا ، ورفضنا آخر ، ولكن لنا جذور في عقول علمائنا الذين نقلوا للحضارة الغربية بعد ذلك هذه العلوم . إذن العلوم جميعها لها تطورات وأخذ وعطاء كل عن الآخر ، إذن كيف

يمكنني أن أتعامل مع هذا المفهوم ، أنا لدي علوم إسلامية حقيقة هي أفكار إسلامية بحتة ، حتى ما أخذناه من العلوم اليونانية، وإن رفضنا جانبا منها خاصة ما يرتبط بعلوم العقائد ، أما العلوم العلمية كعلم الطب والفلك والكيمياء فهي ملك للبشرية جميعها ، فلا يوجد من يقول بأسلمة الكيمياء أو الفلك أو الطب ، بل ولماذا كل هذا الانفعال في هذه القضية بهذه الصورة ؟ولماذا لا نقوم بتعلم ما يقوي فكري ووطني وإسلامي ؟ والرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما يقول من تعلم لغة قوم أمن شرهم . واللغة ليست فقط Language ، وإنما اللغة بما تحتويه من ثقافة وفكر .

وأود أن أقول للمتشددين ، أو الذين يغضبون من الاتصال بالحضارة الأوربية ، لا تغضبوا فالحضارة الأوربية لي فيها ميراثي ولبناتي وعلومي وفكري الإسلامي ، وهم أخذوه بصورة فيها روح رياضية أكثر منا بكثير ، حتي أنهم وقت الحروب بين الصليبيين والمسلمين كانت مواطن العلم لا تمس من أجل كرامة العلم حتى يمكن الاستفادة منها " وبيكون " الذي أسهم في بناء النهضة الأوربية تعلم اللغة العربية ، ولم يجد كراهية أو محاربة أو استياء من أجل كهنيته ومسيحيته. فلماذا لا نكون بهذا النوع من التعقل والتعمق والحكمة بأن نأخذ ما ينفع علومنا العلمية ، أما علومنا الدينية فلنا فيها ما يكفينا ويزيد ، فعلينا أن نكون صورة حية جميلة نصدرها لهم ونجعلهم يخشوننا بدلا من أن نخشاهم نحن ، فالمطلوب من الإنسان المسلم أن يكون عاقلا عاملا بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) خاصة وأن الغرب يخشى أن نغزوهم بهذه الأخلاق والعلوم ، أما العلوم الأخرى فالبشرية جميعا أسرة واحدة ، اللاحق يأخذ من السابق.

كلمة أخيرة : الحقيقة أتمنى من مؤتمراتنا ومن الإنسان العالم المسلم . ومن المجتمع الاسلامي بأكمله أن نتخفف من الكلام ، وأن نقبل على العمل فلقد أصبح أعظم مصائبنا في هذه المرحلة الحالية أننا نتكلم ونتكلم فقط ، لذلك تعالوا نطبق حتي ولو جانبا يسيرا مما نتكلم فيه فسينتهي الكلام بمجرد أن تنتهي المقولة ، وهذه مأساة في الحقيقة ، أود في مؤتمراتنا أن نأخذ الجانب العلمي ، وأن نهتم بالتطبيق الفعلي ، كما أود عندما نحارب رأيا أن نقدم بديلا عمليا له وشكرا ..

## أ .د / عبد الفتاح الحسيني الشيخ : رئيس الجلسة

في الحقيقة الدكتورة / آمنة أوضحت عن مقصدها لأن هناك ورقة تطلب التعقيب على حديث الدكتورة / آمنة من باحث بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي .

أنا حقيقة في أول الأمر . أصابني شيء من الشد العصبي ولكن الدكتورة سرعان ما أوضحت عن موقفها حينما قالت إن العلوم الإسلامية نحن أصلاء فيها ، لأن الفكر الإسلامي نبع من الجزيرة العربية على لسان الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلا تستطيع أن تقول غير ذلك ، وحتي بعض ما نقل من معاملات عن اليهود أو النصارى في الجزيرة العربية، أو بعض التصرفات التي أقرها الإسلام ، من وقت إقراره لها صبغت بالصبغة الإسلامية ، وهناك بعض الأشياء التي وافق عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأقرها في الجزيرة العربية ، و بإقرار الرسول (صلى الله عليه وسلم) لها أصبحت مبدأ إسلاميا لنا منذ وقت هذا الإقرار ، أما قبل هذا الإقرار فلا تكون إسلامية، فإن الكلمة حينما تعرب وتنتقل من لغة أخرى إلى لغة العرب ، مثل كلمة (استبرق) التي وردت في القرآن الكريم حيث اختلف فيها العلماء هل هي عربية أم غير عربية ، فالرأي الراجح لعلماء المسلمين أنه بإقرار القرآن لها ونزولها بالقرآن صارت عربية وليست معربة .

أما فيما يختص بباقي العلوم الأخرى ، فأنا أشارك الأستاذة الدكتورة العميدة في أن العلم أخذ وعطاء ، وأنا آخذ ما يتفق مع قواعد الإسلام ، وعليه فلا كيمياء إسلامية مثلا من هنا فإن هذه العلوم لا تسمي بالعلوم الإسلامية ، وأذكر أنني حينما كنت أمشي على الطريق الزراعي بالبلدة رأيت واحدا يكتب على الدكان ورشة الحدادة الإسلامية ، ثم سألته ما الحدادة الإسلامية ؟ فقال لي أنا مسلم وحداد ، وما دمت أنا مسلم وحداد فأنا أنسب الحدادة إلى الإسلام ، فقلت له إذن ستقول ورشة الخياطة الإسلامية ". وتعجبت .. فنحن حريصون على الدين الإسلامي ، ولكن لا ننزل به ، فالغرب انتفعوا بالتراث الإسلامي ، ارجعوا للقانون الفرنسي فستجدون أن مواده مأخوذة عن الإمام مالك لأن فقهه كان منتشرا في الغرب حيث ترجمت أعماله ، ولكنهم صاغوها صياغة جديدة بعناوين جانبية في حين أن الفقه الإسلامي يبدو دائما بدون ترتيب في أبواب محددة ، لذلك فإن هذه الكتب لا نستطيع أن نصل إلى أسرارها الا إذا تمرسنا على قراءتها مرات ومرات .. فتراثنا الإسلامي أصيل ، العلوم الأخرى نأخذ منها ونعطي بقدر ما شرعت الشريعة الإسلامية في إطار الشريعة الإسلامية .

## د . عبد العظيم الديب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبدأ تعقيبي على كلمة أ. د / رئيس الجامعة ، وأنا واثق إطلاقا أنه لا يعنيها ، فقد يظن أحد أنه يقصد ذلك قصدا ، فقد ورد في كلامه أن بعض الأئمة رفضوا الأخذ بخبر الآحاد ، وهو قطعا لا يعني ذلك إنما الخلاف في مدى الاعتماد على حديث الآحاد لظروف محلية كانت بين مدرسة العراق ومدرسة المدينة ، وهو شيء

معروف لكنني أحببت أن أنبه إليه ونحن في غمرة الافتراء على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا العصر .

أما عن قضية أسلمة العلوم فهي حقيقية ولا جدال فيها ، وإلا لما كان هذا المؤتمر ، أما أن يأتي أحد الآن ويناقش ويقول كيف تسمي هذا وتجعل ذلك ، العلوم الإنسانية ينبغي ويجب أن تنطلق من منطلقات إسلاميه ، فإذا لم يعجبكم أن تقول علم نفس إسلامي ، فلنقل علم النفس من منظور إسلامي مثلا ، لذلك كان المؤتمر ذكيا حينما قال التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، ومن المفارقات أن أ.د أحمد فؤاد باشا وهو أستاذ العلوم الطبيعية هو الذي يدعو إلى أسلمة العلم ، ويرى أن الحقيقة العلمية حينما يصل إليها المسلم تختلف عن الحقيقة التي وصل إليها غير المسلم ، الحقيقة واحدة والنتيجة واحدة ، ولكن حينما يرى المسلم الحقيقة في الكون يرى أن هذا أثر من قدرة الله سبحانه وتعالى ، فحينما يصوغ النظرية يصوغها من خلال ذاته ، وهؤلاء الذين أشبعونا ماذا تعني الموضوعية ، هذه الموضوعية المفتعلة لا أصل لها ، والذين أطلقوا في أدبيات الشيوعية والرأسمالية متأكدون أن العلوم الطبيعية في روسيا كانت مفاهيمها من حيث الفلسفة والإيمان بها وتطبيقاتها تختلف تماما عن العلوم الطبيعية الرأسمالية .

أما فيما يختص بأن العلم أخذ وعطاء ، فهذا صحيح ولكن من سيعطينا العلم ؟ فحقائق العلم في أصلها ملك للجميع ، وليست الفلسفة ولا المنطق ، لكن من سيعطينا العلم ؟ ألا تعلمين يا بنيتي الدكتورة أنهم يحجبون عنا حقائق العلم ، وأنهم سجنوا مسئولا كبيرا من عندنا لأنه حصل على نصف كيلو من وقود الصواريخ لماذا ؟ أما مسألة العلم لا وطن له وهذا صحيح ، وكلها كلمات حق ولكن في أحيان كثيرة يراد بها الباطل .

ابنتي الدكتورة / آمنة كانت تتحدث بألفاظ ما كنت أحب أن تتحدث بها مثل التشنج، والتشدد ، وقد ورد ذلك في كلامها أكثر من مرة وهذا في الحقيقة قد يرد عليه ، وأرجو أن نأخذ هذا في الحسبان دائما ، أما مسألة أن الحضارة الأوربية أخذت حضارتنا بروح رياضية – لا – لم تأخذ حضارتنا بروح رياضية ولا بغيرها ، وإنما هي أخذت علومنا فقط ثم صاغتها ، أخذت علومنا من غير قيمنا ، ونحن للأسف أخذنا القيم قبل أن نأخذ العلوم ، ثم أخذنا القيم الأوربية كما قال ( سارتر ) نحن كنا نأخذ شبابا من العالم الثالث نطوف بهم عواصمنا ثم نعلمهم عاداتنا وتقاليدنا ثم نقذف في أفواههم جملا ضخما تلتصق بأسنانهم فلا يزالون يتكلمون بها ، والأهم من ذلك أنهم يمنعون غيرهم من الكلام ، والحقيقة أنهم أخذوا العلوم و لم يأخذوا الحضارة ، وهذا فرق بعيد بين الحضارة والعلوم ، وعندما أخذوا العلوم صبغوها بصبغتهم هم .

أما الأخ الكبير الدكتور / أحمد المهدي فأنا أرى أنه اكتشاف عظيم ، وسعيد جدا بهذا لأن المشكلة لدينا كانت في أستاذ التربية فجميل جدا أن أسمع منه هذا الكلام وسعيد جدا بقدرته اللغوية التي تميز بها حديثه .

الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب المسيري ، أنا قرأت لك قبل ذلك عن إشكالية التحيز، ومشكلة المصطلح وأعجبت بهذا وأنا معك من أن كثيرا من البديهيات التي نبني عليها أصول علومنا الإنسانية بديهيات كاذبة لا أصل لها ولكن حديثك عن اليهود قد يوحي بالتهوين من شأن خطرهم . وهذا سؤال أرجو أن توضح رأيك .. وشكرا على حسن استماعكم ... والسلام عليكم

## الأستاذة / كريمان حمزة : مدير عام البرامج الدينية بالتليفزيون

بسم الله الرحمن الرحيم ... أشكر المركز على هذا النشاط الواسع وحقيقة لدي نقطتان أريد أن أتحدث فيهما .

النقطة الأولى : أن هناك من يخافون من الإسلام ، ونحن نخاف على الإسلام ، لدرجة الرغبة الشديدة عند الكل من أجل صبغ كل شيء بالإسلام والعودة إلى الإسلام والاستمساك به وهذا من منطلق منتهي الخوف على الإسلام ، ولنا الحق في أن نخاف على الإسلام لما يحدث لنا من العالم في هذه الأيام التي نعيشها .

هذا وقد تناولت موضوع أسلمة الإعلام في الحلقات التي قدمتها في التليفزيون ، وقد تناولت هذا الموضوع بمنتهي الحماس ، وذلك لأنني من هذا الفريق الذي ينتمي إلى الخائفين على الإسلام ، وبالطبع رحبت جدا بهذا الموضوع حتى على مستوى الدول العربية كالإمارات حيث شاهدت موضوع كلية الطب الإسلامية وأجريت له عدة حلقات وأنا من مؤيدي أسلمة العلوم والإعلام والحياة ، بل وكل شيء .

ولكن ما أريد أن أوجه النظر إليه أننا يجب أن ننظر إلى أنفسنا كجزء من العلم ، ويجب أن نعلم جيدا أن الله قال لرسوله (صلى الله عليه وسلم) **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** ولم يقل للمسلمين ولا للعرب ولم يقل للعالم الثالث ، ولكن قال للعالمين ، على هذا الأساس نريد في الخريطة التي ترسم للعالم حديثا أن نجد لنا موقعا ، فلو ظللنا نقول إننا مختلفون عن الأمريكيين والكتلة الشيوعية والرأسمالية .. وهكذا على طول الخط فستنقطع الصلة بيننا وبين العالمين ، فنحن لا نختلف ، بل إننا متفقون أفلا يكفي أننا من آدم ، وآدم من تراب حتى تكون أصل الخلقة واحدة ؟ ، نحن متفقون في الأمور العلمية ، ونأخذ بالعلم أينما كان ، ونحن لا نقول أننا مختلفون ، ولكن أرجو أن تكون هناك مؤتمرات تبحث

عن أوجه الاتفاق لنقول للغرب الذي يخشى الإسلام خشية كبيرة ، ويفكر أن يدمر كل شيء إسلامي ، لنقول له نحن بشر لنا قلب ومشاعر ونحب الخير المحض ونأخذ الكثير من أي مكان ، ونرحب بكافة الأديان والكتب والأنبياء وهو جزء من العقيدة الإسلامية ، ونحن نتفق معكم في كل الخير والنعم والبركة ، ثم نسوق إليهم الجانب الروحي الذي نتميز به عنهم ، ولذلك ينبغي ألا نأخذ موقفنا معاديا من البداية من الفكر أو العلم أو النظريات الأجنبية ، لذلك فإني أقول للرأسمالي أنا اتفق معك في كذا وكذا ، إلا أن الإسلام هذب الموضوع الفلاني بكذا وكذا ، كما أقول لمن له اتجاه اشتراكي إننا الذين أوجدنا الاشتراكية، ونحن الذين نتعاطف مع المساكين ، ونحن الذين قال رسولنا (صلى الله عليه وسلم) اللهم أحييني مسكينا، وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين ، ونحن نتعاطف مع الفقراء ولكننا نختلف في كذا و كذا .

أرجو أن تكون هناك مؤتمرات تقرب بين وجهات النظر هنا ، فإن الغرب لن يخاف منا ولا الشرق ولا العالم كله وسوف يسعون إلينا ، ولن ينظرون إلينا نظرة عدائية . من زاوية أخرى ليسوا هم فقط الخائفين ، هناك في بلادنا من يخافون أيضا من الإسلام ، ذلك لأننا لم نحسن طرح الإسلام ، قبل جزئية الخوف على الإسلام جعل عندنا شيئاً من التعصب، وجعلنا في العاطفة المندفعة نخسر كثيرا لا نريد أن نخسر العالم ولا من في وطننا ، وذلك بالسياسة والحياد .

نقطة أخيرة فيما يتعلق بعنوان المؤتمر التوجيه الاسلامي للخدمة الاجتماعية ، فقد تحدثت د. زهيرة عابدين ، وكنت في انتظار أن تكون هي نجمة هذا الحفل ، لأنه لو بحثنا عن من يمثل الخدمة الاجتماعية الإسلامية بكل ما تحمل الكلمة من معاني لوجدنا د. زهيرة عابدين ، والتي لم تقدم نفسها ، فهي أستاذة بجامعة القاهرة ، وهي التي أسست مستشفى روماتيزم القلب فيها ٤٠٠ سرير ، ولها ١٢٧ مركزاً لعلاج روماتيزم القلب بالمجان ، وهي التي أقامت المدارس الإسلامية ، فأعتقد أن الدكتورة / زهيرة عابدين بما قدمت تمثل اتجاه الخدمة الاجتماعية الإسلامية في بلادنا .. وشكرا ... وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

## د. زكي إسماعيل :

بسم الله الرحمن الرحيم .. في الواقع أن حديثي سوف يكون مداخلة مع أ.د / عبد الفتاح الحسيني الشيخ ، هذه المداخلة في أنه في لمحة ذكية وصف أخي وصديقي أ.د / فؤاد باشا بأنه عالم اجتماع ، على أساس أن ما طرحه إنما يخدم المجتمع ، وأنا أقول لسيادته أنه يريد أن يقول إنه عالم مجتمع ، لأن كلمة علم اجتماع كلمة خاطئة ، والصحيح فيها هي

علم المجتمع ، لأن كلمة اجتماع عكسها التشتت والتفرق ، والصحيح أن نقول أن أ.د أحمد فؤاد باشا وكل الأساتذة الذين يقدمون بحوثهم ، إنما هم علماء مجتمع أما الجانب الثاني ، فلابد أن أسجل سعادتي الغامرة الشاملة بما ذكره الدكتور / رئيس الجلسة بأن هناك اتجاه بإنشاء قسمين للخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع سيكون منهجهما ذا منطلق إسلامي ، ومنذ سنوات ثلاث مضت أقيم هنا في جامعة الأزهر مؤتمر عنوانه علم الاجتماع المصري إلى أين ؟ و لم يكن في هذا المؤتمر أي بحث عن التأصيل الأسلامي لعلم الاجتماع فقد قدم قبيل المؤتمر بيومين أو ثلاثة بحثان كان للمعقب بحث منهما بعنوان (التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع إلى أين ؟) ، وقد بعثت بهذا البحث مطبوعا ومتبوعا إلى أخي الأستاذ الدكتور / رئيس الجامعة ، وعاتبت فيه جامعة الأزهر علي عدم سبقها بإنشاء مثل هذا القسم ، الذي ينطلق في موضوعاته من منطلق التوجيه والتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع وللعلوم الاجتماعية الأخرى كما فعلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ ١٦ عاما ، يوم فصلت كلية العلوم الاجتماعية عن كلية اللغة العربية ، والآن يتحقق هذا الأمل من جامعة الأزهر ، وبارك الله فيه ، أما موضوع رفض الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة لأسلمة العلوم ، وقوله بأنه لا يوجد طب أو كيمياء إسلامية ، فأنا معه في جوانب المنهج ، أما جوانب التوجيه فهناك طب إسلامي ، مثل رفض الطب الإسلامي للهندسة الوراثية التي تجمع بين خلق كروموسومات الإنسان مع كروموسومات الحيوان لتنتج مسخا وقد أقيم هنا في القاهرة أكثر من مؤتمر في قضايا الطب من منظور إسلامي ، وقد تناولت هذه المؤتمرات قضايا عديدة جدا تعلقت بالطب من منظور إسلامي ، وقد تناولت هذه المؤتمرات قضايا عديدة جدا تعلقت بالطب والمنظور الإسلامي لهذه القضايا المطروحة على الساحة ، كذلك أنا متفق معك في عدم وجود كيمياء إسلامية من جانب المنهج ، ولكن حينما توجد هذه الكيمياء لقتل البشر فإن هذا لا يرضي الله سبحانه وتعالى ، وهنا يمكن أن نفرق بين العلم النافع وغير النافع.

## د عبد الفتاح الحسيني الشيخ :

إن هذا هو الذي قررته في أن العلم لذات العلم موجود ، ولكن نتائج العلم تتفق مع مبادىء الشريعة الإسلامية فنعمل بها ، أو لا تتفق مع مبادىء الشريعة الإسلامية فلا نعمل بها ، كالتلقيح الصناعي ، فقد رفضت أن يفتح مركزا للتلقيح الصناعي في جامعة الأزهر ، لأن هذا الموضوع فيه احتمالات خطأ كبيرة جدا ، هو علم موجود بالفعل ، ولكن التطبيق سوف يختلف مع أهداف الشريعة الإسلامية وهو حفظ الأنساب .

### د . زكي اسماعيل :

هذا هو الذي يقصده من ينادون بالطب الاسلامي ، أو الطب من منظور إسلامي .

### رئيس الجلسة :

أنا حريص على الإسلام من أن ينسب له ما ليس في الإسلام

### د . زكي اسماعيل :

قلنا إن هناك نظرية اقتصادية إسلامية ، وبدأنا في هذه النظرية ، وقلنا فاتحة خير بأن ينقلب الناس من المعاملات الربوية إلى المعاملات الإسلامية ، فماذا كانت نتيجة التجربة ؟ و الآن اسمع على مضض هذا هو الإسلام ، فاقول لهم ليس هذا هو الإسلام ، أنا في يوم وقفت موقفا مدافعا عن الاسلام ، لما شاب هذه التجربة ، ولذلك أنا لا اسمي هذه الاشياء بأسلمة لأني سوف أحمل الإسلام ما لم يحتمل ، بقي أمر أخير للأخت الأستاذة الدكتورة / آمنة التي ضغطت في حديثها على أن العلم لا وطن له ، صحيح أيتها الأخت أن العلم لا وطن له ، ولكن توجه العلم له وطن ، ولا ينفع أن نستورد التوجه من الخارج . مع خالص شكري.

### أ.د إبراهيم عبد الرحمن رجب : أستاذ ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ... والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أما بعد ، في الواقع أحسست ببعض التعليقات المتوترة والتي بها شيء من الضيق ، وذلك لأن بعض الإخوان ضاقوا من الخلط بين العمل الاجتماعي والخدمة الاجتماعية كتخصص مهني من جانب ، والخدمة الاجتماعية بالمفهوم التطوعي ، يلاحظ أن هذه الجلسة سميت حلقة نقاشية ، وهي في الواقع دعي إليها ليس مقدمو البحوث ، ولكن دعي إليها اساتذة كبار واصحاب رأي وفكر ، ولكن هناك بعض الأخطاء في المصطلحات مثل استخدام علم الاجتماع بدلا من الخدمة الاجتماعية وهذه مقولة خاطئة ، حيث إن علم الاجتماع تخصص ، والخدمة الاجتماعية تخصص آخر ، ولكن هذا متوقع من غير المتخصص على أية حال ، فأرجو ألا يضيق صدر بعض الإخوان نتيجة لعدم استخدام المصطلحات في موضعها الصحيح .

أما عن الجانب الذي يتصل بالموضوع ، فإنه يحتاج لكلام كثير سوف أركز على الجانب الشكلي في الحقيقة لأن القضايا التي أثيرت على المنصة اليوم ، وخصوصا تعقيبات السيد الرئيس ، هي قضايا تحتاج إلى دراسة تفصيلية ، بالطبع الطريقة التي استخدمها السيد رئيس الجلسة والدكتورة العميدة فيها مصادرة على المطلوب بشكل واضح خاصة حينما يقول رئيس الجلسة " إنه لا توجد حاجة اسمها أسلمة العلوم " نحن في مؤتمر ، والمؤتمر لا يبدأ بإعطاء مثل هذا الرأي القاطع بسبب لن يخفى عليكم بعد دقيقة واحدة ، وهو أنه لدينا جلسات في هذا المؤتمر مخصصة لمناقشة مثل هذه الأمور تفصيلا ، لذلك فإن القضية لا تؤخذ بهذا المستوى من العمومية وإصدار الأحكــام التي قد تكون معوقة لاستمرار المناقشات في الاتجاه الذي يحقق تبادل المعرفة خصوصا أحكام سيادة رئيس / جامعة الازهر ، والذي أشار بأنه ليس ديكتاتورا أو حاكما إنما يقول رأيه فقط . والحقيقة إن الأسلوب الذي استخدمته الدكتورة آمنة نصير ، يكفيه ما أشار إليه أ.د / عبد العظيم الديب ، وأؤكد مرة ثانية مطالبة الجالسين بالتزام التعقل مرة بعد مرة خاصة وأن الحقيقة تحتاج لأسلوب مختلف في المداخلة مع الزملاء ، صحيح أن العميدة قد يكون لها تصور آخر ، ولكن أنتم مع زملاء آخرين .

أما عن الرأي الذي ذكره سيادة الرئيس مرات والأسلوب الذي استخدمه في إثبات رأيه بالحجة الضاحكة ، الحقيقة أن هذا لا يكسب الرئيس حجة ، هو قد يضحكنا ، ولكن القضية الأصلية هي اننا هل نحن بحاجة إلى توجيه أو تأصيل إسلامي أم لا ؟ ولكل العلوم ؟ نحن بحاجة إلى إعادة نظر شاملة ، وأدعو سيادة الرئيس ومن شاء من الإخوان على المنصة لمتابعة بقية الجلسات لأنه في الحقيقة حضور الجلسات الافتتاحية وحدها لا يؤدي لتحقيق المطلوب من ناحية المداخلات التفصيلية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## أ.د/ عبد الفتاح الحسيني الشيخ :رئيس الجلسة

أطمئن الأخ بأن قولي بعدم وجود ما يسمى بأسلمة العلوم لا يعني أنني أفرض على المؤتمر شيئا ولكن هـــذا رأيي ووجهة نظري وأنا لست سلطانا أو أميرا ، ولم أصدر فرمانا أو قرارا للأمة لكي تلتزم بهذا الأمر ، إنما أنا أعبر عن نفسي ، كمـا أود أن أقول لحضرتك وا الله إننا لسنا أقل غيرة على الإسلام وحباً للإسلام من تحمســكم ، لكن نحن ننظر من منظور ألا يطعن الإسلام من حيث لا نشعر ، والتجارب التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال السنوات الخمسة السابقة أصابت الإسلام أكثر مما نفعته ، وللأسف القائمون بها كانوا يتشدقون باسم الإسلام ، ويتكلمون باسم الإسلام ، ثم ظهرت نتائج التجربة وتحمل الإسلام عبء التجربة الفاشلة ومن هنا فأنا أتحدث من منطلق المحافظة على الإسلام .

## أ.د / أحمد فؤاد باشا :أستاذ بكلية العلوم - جامعة القاهرة

أود الحديث دقيقتين من واجب الأمانة مع نفسي أولا ومع عقيدتي قبلها ، أريد أن أوضح شيئا فقد يقال حدث لبس في بعض الأمور ، وقبل مغادرة القاعة بحكم تخصصي أساسا كأستاذ الفيزياء ، أوضح بعض الأمور على عجل سريع جدا بخصوص الدعوة لأسلمة العلوم الطبيعية وخاصة الكونية والرياضيات والطب ، هذه العلوم تعرضت لغزو ثقافي من الخارج، فكلنا درسنا قانوناً يقول (المادة لا تفنى ولا تستحدث) قانون علمي ، لغة علمية، صياغة علمية ، بحث علمي في صميم علم الفيزياء درسناه وتم اختبارنا فيه وكتبنا هذه الصيغة ، المادة لا تفنى ولا تستحدث ، ما هو الموقف حينما أقرأ هذا ثم أقرأ في القرآن الكريم "كل من عليها فان" ، أليس هذا تناقضا ، الذي أريد أن أضيفه أن المادة لا تفنى ولا تستحدث ليس قانونا علميا ، هي مقولة إلحادية ، إن القانون العلمي ليس هو الكشف العلمي ، لأن القوانين العلمية موجودة قبل بدء الخلق، ثم جاء نيوتن وغيره ، وكشف عن هذه القوانين ، وكان يمكن له أن يكشف عنها ويصمت وبالتالي لا يتحقق القانون العلمي.

والقانون العلمي هو كشف وصياغة ، ثم توظيف وهو إما توظيف فلسفي تقوم عليه عقائد ، وإما توظيف تقني ، بمعنى أن تستخدم القوانين العلمية لأغراض معينة ، والأسلمة هي إعادة صيانة القوانين بما لا يتعارض مع الأصول الإسلامية وحسن توجيه هذه القوانين فلسفيا وتقنيا ، بما يتمشى مع المبادئ والتعاليم الإسلامية ، وهذا وارد في جميع العلوم ، وإن كان يزيد في العلوم الإنسانية بقدر أكبر من العلوم الكونية ، ولكن يبقى أن الأسلمة تهتم بجوانب كثيرة سواء من إعادة الصياغة أو من تنقية صور الغزو أو من عملية التأصيل والسطو على تاريخ العلم ، هناك اكتشافات لعلماء مسلمين ، ولكن تاريخ العلم رصدها ونسبها لغير المسلمين و هناك صور وجوانب متعددة لأسلمة العلوم الكونية . وشكرا جزيلا لسيادتكم .

## أ. د/ عبد الوهاب المسيري :

أنا في الواقع أرى أن رؤية العلوم الطبيعية التي قدمت هنا ليست حقيقية بالمرة ، فمسألة أن الغرب أخذ علوما من العالم الإسلامي ، وحدثت تراكم معرفي وانفجار معرفي ، في الواقع أرى أن العلم الغربي مع عصر النهضة حدث فيه قطيعة معرفية مع كل العلوم ، وتتلخص هذه المقاطعة العلمية فيما يلي :-

استبعاد الإنسان كمقولة نتيجة لاستبعاد الله ، مما يعني استبعاد الغائية سواء إنسانية أو أخلاقية أو دينية ، وهذا هو جوهر العلم الغربي منذ عصر النهضة ، وقد حقق انطلاقاته لهذا السبب، بسبب أنه أصبح محايدا تماما ، ثم طبق هذا المنهج على عالم الإنسان أيضا ،

وهذا ما يسمى بوحدة العلوم ، فالانطلاق الذي حدث كنتيجة لاستيراد العلم الإسلامي ، لأن العلم الإسلامي منضبط بقيمة خدمة الإنسان ، أما العلم الغربي منذ عصر النهضة (وهذه مسألة لابد من وضعها في الاعتبار) قد جرد نفسه تماما من الغائية ، بعد أن أعلن تهميش الله أو موت الاله ، وأصبح الهدف هو الغزو إلى أن وصل إلى إرادة القوة وهو المطلق ، وقد حقق انتصاراته لهذا السبب ، لذلك عندما تحدثت الدكتورة / آمنة وأشارت بأن شخصاً ما يفطر في القاهرة ثم يتغدى في بلد آخر هذه هي قيمة السرعة ( وهو قيمة مطلقة ) ، هذه هي إشكالية تواجه الإنسان الغربي والمسلم أيضا ، لذلك نجد أن ما ظهر من أن الإنسان الغربي فجر شيئا محايدا في العلم ، ولكن نجد أمامه تتوب الأوزون - عدم التوازن البيئي ، التلوث ، مما يؤكد لهم أن المسألة لها حدود، وأن الرؤية المعرفية الانفجارية ، رؤية الغزو وهي الإنسان غير المستخلف ، يعني جوهر الرؤية العلمية ، الإنسان الإله ، بينما جوهر الرؤية العلمية الإسلامية الإنسان المستخلف ، وهما شيئان مختلفان تماما ، ومن هنا أعتقد أن ما يسمى بأسلمة العلوم لا يعجبني ، وأفضل عنه أسلمة المعرفة ، بمعنى أن المعرفة الإسلامية معرفة توليدية من داخل التراب أما كلمة أسلمة فتعني عندنا استيراد معرفة غربية ثم إعطائها وجها إسلاميا ، وبالتالي أفضل أسلمة المعرفة التوليدية ، حيث تولد معرفة جديدة وقد تولد علوما جديدة ، فمثلاً القرن الـ ١٩ كانت تكنولوجيا الطاقة المعتمدة على الماء والهواء كانت متقدمة للغاية ، ولكن الإنسان الغربي شاء أن يبدأ تكنولوجية الطاقة اعتمادا على الفحم والبترول ، لي صديق مؤرخ أشار بأن السبب هو رؤيته الليبرالية للغزو والسرقة وهكذا .

نأتي لمقولة أخرى مسألة أن الغرب تقدم ، وهي مسألة ثابتة ، أعطى لكم إحصائية تبين أن هذه المسألة مشكوك في صحتها ، إن ما حققته إنجلترا من غزو الهند يزيد عما حققته من الثورة الصناعية ، وهذا يعيد فهم النموذج ، إذن المسألة أن الإنجليز ليسوا متفوقين أو يعملون بجد في مجال العلوم والعمل ، ببساطة الإنجليز نهبوا دولة الهند ، وعندنا الأرقام تقول إن ما نهب من الهند يزيد عما انتجته الثورة الصناعية .

وعليه فأنا أرى أن أسلمة العلوم استعادة الإمبريالية كمقولة تحليلية ، أن النموذج الغربي ككل لا يمكن فصله ، فصل تقدمه أو ديمقراطيته ، أو تقدمه في عملية النهب التي ظهرت في القرن ١٦ . وهكذا ، وهذا هو ما أسميه أسلمة المعرفة ، أن المقولات التحليلية نفسها تصبح نابعة من النموذج الإسلامي ، ومسألة النموذج أساسية ، لأن النموذج مسألة لم نجدها في القرآن وفي السنة جاهزة وإنما مسألة سوف يتم تجريدها ، يعني مفهوم الإنسان المستخلف حتى يمكن تشغيلها معرفيا لابد أن توثق معرفيا من البداية ، أنا لا أجيد الفقه أو أعرف التراث الإسلامي بما فيه الكفاية ، ولكن أعمل عقلي من خلال ما أسميه الرؤية التوحيدية ، أنا أجد أن الرؤية التوحيدية دائما تأخذ شكل هرم ، بينما الرؤية المادية تأخذ شكل فطيرة ، لأن الرؤية التوحيدية هناك فوق وتحت ، سماء وأرض ، هناك إله وإنسان ، إنسان وطبيعة ، فهناك عمليات ثنائية ترتب نفسها في الهرم ، وبالتالي هناك قيم حاكمة ،

وقيم أقل حاكمية ، وقيم نلتزم بهـا ولكـن يمكـن ألا نلـتزم بهـا ، وهـي الفـرق بين الحـلال والحرام ، فهذا الحديث لو تصورتم أنني تكلمت الآن لمدة ساعتين بدون توقف بناء على قيمة حاكمة ، فإنني سوف أضيع وقتكم ومصلحة المسلمين يعني الضررالناجم استمر أكـثر بكـثير من الضرر الناجم عن قطعي وتصـوروا أننـا قمنـا بتشـويه هـذا المكـان ، لابـد مـن استدعاء الشرطة باسم قيمة كبرى ، بمعنى أن القيمة الهرمية هنا مسألة أساسـية في عمليـة المضمـون ، وهذا ما أعنيه بتوليد المعرفة الإسلامية من النموذج الإسلامي ... وشكرا جزيلا .

## أ. د / عبد الفتاح الحسينى الشيخ : رئيس الجلسة

أشكركم ... والأن وصلنا إلى نهاية الجلسة والسلام عليكم ورحمة ا لله وبركاته .

# إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

## أولاً - سلسلة إسلامية المعرفة :

- إسلامية المعرفة : المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الوجيز في إسلامية المعرفة : المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق العمل لمؤتمرات الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر. (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).
- نحو نظام نقدي عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمة عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصري، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- نحو علم الإنسان الإسلامي، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، الطبعة الأولى، (دار البشير / عمان الأردن) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- منظمة المؤتمر الإسلامي، للدكتور عبد الله الأحسن، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- تراثنا الفكري، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- مدخل إلى إسلامية المعرفة : مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- إصلاح الفكر الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

## ثانياً - سلسلة إسلامية الثقافة :

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) الدار العالمية للكتاب الإسلامي / الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

## ثالثاً - سلسلة قضايا الفكر الإسلامي :

- حجية السنة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).

- أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية - بقطر)، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

رابعاً - سلسلة المنهجية الإسلامية:

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

خامساً - سلسلة أبحاث علمية:

- أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الطبعة الأولى (دار الوفاء - القاهرة، مصر)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

سادساً - سلسلة المحاضرات:

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سابعاً - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة:

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، (مترجماً عن الانجليزية)، للدكتور محمد معين صديقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

## ثامناً - سلسلة الرسائل الجامعية :

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى، للأستاذ أحمد الريسونى، الطبعة الأولى، دار الأمان - المغرب، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الدار العالمية للكتاب الإسلامى - الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الخطاب العربى المعاصر: قراءة نقدية فى مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨-١٩٨٧)، للأستاذ فادى إسماعيل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة فى ضوء المنظور الحضارى الإسلامى، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

## تاسعاً - سلسلة الأدلة والكشافات :

- الكشاف الاقتصادى لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الفكر التربوى الإسلامى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الكشاف الموضوعى لأحاديث صحيح البخارى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- قائمة مختارة حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

## الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

**في شمال أمريكا :**

**المكتب العربي المتحد**
**United Arab Bureau**
**P.O Box 4059**
**Alexandria, VA 22303, U.S.A.**
**Tel: (703) 329-6333**
**Fax: (703) 329-8052**

**خدمات الكتاب الإسلامي**
**Islamic Book Service**
**10900 W. Washington St.**
**Indianapolis, IN 46231 U.A.S.**
**Tel: (317) 839-9248**
**Fax: (317) 839-2511**

**في أوربا :**

**المؤسسة الإسلامية**
**The Islamic Foundation**
**Markfield Da'wah Centre, Ruby Lane**
**Markfield, LeicesteLE6 ORN, U.K.**
**Tel: (44-530) 244-944 / 45**
**Fax: (44-530) 244-946**

**خدمات الإعلام الإسلامي**
**Muslim Information Services**
**233 Seven Sister Rd.**
**London N4 2DA, U.K.**
**Tel: (44-71) 272-5170**
**Fax: (44-71) 272-3214**

**المملكة العربية السعودية :**
الدار العالمية للكتاب الإسلامي
ص.ب : ٥٥١٩٥ الرياض : ١١٥٣٤
تليفون: (966) 1-465-0818
فاكس: (966) 1-463-3489

**المملكة الأردنية الهاشمية :**
المعهد العالمي للفكر الإسلامي
ص.ب : ٩٤٨٩ - عمان
تليفون: (962) 6-639992
فاكس: (962) 6-611420

**لبنان :**
المكتب العربي المتحد
ص.ب : 135888 بيروت
تليفون : 807779
تيلكس: 21665 LE

**المغرب :**
دار الأمان للنشر والتوزيع
4 زنقة المأمونية
الرباط
تليفون: (212-7) 723276

**مصر :**
النهار للطبع والنشر والتوزيع
٧ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة
تليفون: (202) 3913688
فاكس: (202) 340-9520

**الهند :**
**Genuine Publications & Meia (Pvt.) Ltd.**
**P.O. Box 9725 Jamia Nager**
**New Delhi 100 025 India**
**Tel: (91-11) 630-989**
**Fax: (91-11) 684-1104**

# المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

## هذا الكتاب

هو أعمال وأبحاث الندوة التى عقدها المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالتعاون مع جامعة الأزهر ، حول " التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية " .

وتأتى أهمية الكتاب حيث يصدر فى وقت تطورت فيه وسائل " الخدمة الاجتماعية " فى الغرب تطوراً كبيراً ، بينما شاع التراجع عن تلك الخدمة فى مجتمعات المسلمين ، واختفت مؤسسات الوقف التى كانت تقوم بأدوار مشرفة فى خدمة المجتمع الإسلامى . واليوم يقف المسلمون فى " آخر الأمم " المهتمة بالخدمة الاجتماعية ، فى وقت هم أشد الناس حاجة إلى هذه " الخدمة الاجتماعية " ، علماً وفناً وممارسات ومؤسسات وقيادات .

ويتضمن الكتاب ثلاثة محاور : -

*المحور الأول :* الإطار الفكرى والمنهجى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، ويشمل ستة بحوث تتنوع بين منهجية التوجيه الإسلامى والمنظور الإسلامى ، للعلوم الاجتماعية والرعاية الاجتماعية ، والسياسية الاجتماعية الإسلامية .

*المحور الثانى :* مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنهج الإسلامى ، من خلال سبعة بحوث تدور حول خدمة الفرد ، وتوجيه الشباب ، ورعاية المسنين ، والعسكريين .

*المحور الثالث :* يخصص لعرض حلقتى النقاش الذين تضمنتهما الندوة حول الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله ، وقضايا المنهجية وانعكاساتها على العلم والمجتمع ، وشارك فيهما أعلام الفكر الإسلامى المعاصر وأساتذة العلوم الاجتماعية .